ركائز الدعوة والإيمان
بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان
فيما اتفق عليه الشيخان

الجزء الأول

تأليف

الأستاذ الدكتور
أحمد أحمد غلوش
عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق
جامعة الأزهر

-١-

ركائز الدعوة والإيمان
بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان
فيما اتفق عليه الشيخان

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع

٢٠١٤/٣٥٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد ؛؛؛؛

فقد أعانني الله تعالى على إتمام مؤلفي في تفسير الدعوة الموسوم بمسمى:

" ركائز القدوة في تفسير الدعوة "

بعدما كنت أتصوره صعب التحقيق لعوامل عديدة، فذلله الله تعالى لي، وأعانني عليه، ووفقني لبذل الجهد الذي مكنني بقدرة الله من الانتهاء منه في مدة تزيد عن خمس سنوات، وآملي في الله تعالى أن ينفع به العامة والخاصة، وأن يتخذه علماء الدعوة زادا لهم يعينهم على قيادة الناس إلى الحق، ودعوتهم إلى صراط الله المستقيم، فهو سبحانه وتعالى المعين والمستعان .

وقد اشتاقت نفسي إلى مواصلة العمل والبحث في مصادر الإسلام لأخاطب الدعاة، وأقدم لهم الركائز والدروس التي تعينهم على المعرفة الصحيحة بالإسلام ، وتوضيح خفاياه وأسراره بالبحث والدراسة والتعليم .

إن الله تعالى أنزل كتابه على رسوله ﷺ لتوضيح الإسلام، والدعوة إليه، وتقديم زاد واسع للدعاة، ورسم الطريق الأمثل لنجاح الدعوة من ناحية تجلية أصول الدعوة، وتوضيح دور الدعاة، ورسم المنهج الأصلح والأنفع لتبليغ دين الله تعالى .

يقول الله تعالى:

- ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ (١)
- ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (٢)
- ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ ﴾(٣)

وحتى يتم التعريف التام بما جاء في القرآن الكريم أوحى الله تعالى إلى نبيه محمد ﷺ بالسنة الشريفة، فهي وحي مبين للقرآن الكريم، يقول الله تعالى :

- ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٤)
- ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾(٥)

ولهذا اتجه عزمي بعد انتهائي من التفسير الدعوي إلى السنة النبوية ، لأعيش مع رسول الله ﷺ في حديثه، وأعيش مع السنة الشريفة وهي تبين القرن الكريم ، وتوضح الحكم والأحكام في منهج الله تعالى للناس .

وأملي أن أعيش مع ركائز الدعوة التي تقدمها أحاديث المصطفى ﷺ ، فهي وحي يبين القرآن الكريم، ويماثله في الأهمية والتبليغ ، يقول النبي ﷺ :

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٩ .

(٢) سورة الإسراء الآية : ٩ .

(٣) سورة الكهف الآيتين : ١ ، ٢.

(٤) سوة النحل الآية : ٤٤ .

(٥)سورة النجم الآيتين : ٤ ، ٥ .

(ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) (١) .

واصطدم هذا العزم مني بالآلاف المؤلفة من أحاديث رسول الله ﷺ الموجودة في مئات الأسفار التي تناولت السنة سندا ومتنا، والتي جمعت عشرات الأبحاث، والعلوم، والمعارف المتصلة بالسنة، وكلها ضروري لعلماء الإسلام، ورجال الدعوة، وخفت من طول الطريق، وبعد المسافة، وقصر الهمة، وتقدم العمر .

ونظرت إلى ضخامة العمل، وشعرت بضألتي أمامه، فأخذت أفكر فيه وأنا أشعر بجلال الموقف، وضخامة العمل، وحاجته إلى الجهد ، والعمر، والبحث، والتعمق، .... ولم يشجعني على القيام به إلا رحابة الميدان، وحب خدمة الدعوة ، والاعتماد على الله تعالى الفتاح العليم .

إن إقدامي على هذا العمل إقدام على أمر عظيم، وعذري فيه حاجة الدعوة إليه، والقلب متهيب وجل، والعوائق المادية والنفسية كثيرة .

إن باب العلم واسع، يسع المقل والمكثر ، وليس من الحكمة الوقوف أمام باب العلم والخوف من الدخول فيه ، فالعطاء بيد الله تعالى .

لقد فكرت مليا في هذا العمل العلمي معتمدا على عطاء ربي ﷻ ، مؤمنا بتوفيق الله ﷻ وهدايته، علما أن الله تعالى إذا أراد أن يجعل الصعب سهلا سهله.

وآمنت بأن العلم لا يعرف الكلمة الآخيرة، وأن التقوى تيسر المعرفة والعمل

وبعد نظر وتفكير تغلبت على عوامل الكسل ، وتركت دوافع القعود وذكرني الله تعالى بفضله علي حين انتابني هذا الإحساس يوم بدأت في

---

(١) مسند أحمد بن حنبل – مسند الشاميين، حديث المقدام بن معدي – حديث : ١٦٨٤١

تفسير الدعوة وقد ولى هذا الإحساس، وثبت عدم وجوده بانتهائي من كتاب التفسير، فقد أعانني الله تعالى، وقوى همتي، وشد عزمي، وأطال عمري، فاستقر رأي على مواصلة البحث في السنة بعد التفسير متوكلا على الله تعالى ، مؤملا في معونته، وتوفيقه ...

ورجائي في الله تعالى أن أستمر مع الوحي إلى آخر العمر، داعيا الله تعالى أن يغفر ذنبي ، ويستر عيبي ، ويقبل توبتي ، فأنا واحد من الضعفاء لا نجاة لي إلا بعفو الله تعالى، ومغفرته، فهو رب المستضعفين وأمان الخائفين، وكل شيء بيده، وهو أرحم الراحمين، يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن كثير.

ورأيت أن من الخير لي ولديني أن أعيش في خدمة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى آخر أيام عمري، وعسى أن أكون رائدا في هذا المجال يتبعني فيه المحبون لله تعالى ورسوله ﷺ .

وأخذت في تخير مناط عملي في السنة النبوية في إطار قدراتي وعملي، وتخصصي، فلست من علماء الحديث ورجاله، ووجدت نفسي أمام ضرورة اختيار مؤلف في السنة النبوية لأعيش معه شارحا، ومبينا، ومستنبطا مع التزام صحة الحديث، وشرحه شرحا مبسطا، موضحا منه ركائز الدعوة، وأساسيات الإيمان.

وأخذت أبحث في هذا الإطار، فهداني الله تعالى إلى مؤلف عظيم القدر، جامع للسنة الصحيحة، وهو كتاب"**اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان**" لجامعه الأستاذ / **محمد فؤاد عبد الباقي**، .... ووجدت في هذا الكتاب بغيتي التي أبحث عنها، وأملي الذي أرجوه، وقصدت إليه.

وأخذت أقرأ، وأبحث، وأكتب مؤلفا جديدا أسميته :

" ركائز الدعوة والإيمان
بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان
فيما اتفق عليه الشيخان "

إن كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان يجمع المزايا التالية:

أولا : كتاب اللؤلؤ والمرجان يجمع ما اتفق عليه البخاري ومسلم لفظا ومعنى، وهما شيخا الحديث ، واماما المحدثين .

فالإمالم البخاري هو " أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برديذبه البخاري الجمعفي" ، ولد عام أربعة وتسعين ومائة من الهجرة، وتوفى عام ستة وخمسين ومائتين من الهجرة، وكان مولده يوم الجمعة بعد الصلاة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال (١) .

يتميز البخاري منذ صغره بالبلوغ والتفوق في علوم الحديث .

يقول ﷺ عن نفسه: "ألهمت الحديث في الكتاب ولي عشر سنين أو أقل ثم خرجت من الكتاب بعد العشر فجعلت أختلف إلى الداخل وغيره، فقال الداخل يوما فيما كان يقرأ للناس : سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم ... فقلت له : إن أبا الزبير لم يروي عن إبراهيم .

فانتهرني ...

فقلت له ارجع إلى الأصل إن كان عندك .

فدخل فنظر فيه ، ثم خرج ، فقال لي : كيف هو يا غلام ؟

قلت : هو الزبير بن عدي عن إبراهيم ، ...

فأخذ القلم مني واصلح كتابه...

---

(١) المتواري على أبواب البخاري ج١ ص٤١ .

وقال لي : صدقت ...

فقال بعض أصحاب البخاري له : أبن كم كنت ؟

قال : ابن إحدى عشرة سنة (١) .

وبدا البخاري في التصنيف وسنه ثماني عشرة سنة .

وصحيح البخاري من أعظم كتب الإسلام بعد القرآن الكريم، وقد رتبه صاحبه على أبواب الفقه والحديث التي احتوت على إقسام الإيمان، والعلم، والعبادات، والمعاملات، وسيرة النبي ﷺ، والفضائل، والآداب، والمغازي، والجهاد ... ألخ .

والإمام مسلم هو : أبو الحسين مسلم بن حجاج بمن مسلم القشيري، إمام أهل الحديث في زمانه ، ينتسب لأسرة عربية أقامت بنيسابور .

أجمع العلماء على جلالته وأمانته، وورعه، وحذقه في مكتابه الحديث المتميز بحسن الترتيب، وتلخيص طرق الحديث، وجمعها في باب واحد .

ويدل صحيح مسلم على علوة قدر صاحبه في علم الحديث .

ولد الإمام مسلم عام أربع ومائتين للهجرة، وتوفي عام واحد وستين ومائتين للهجرة (٢) .

ثانيا: أحاديث اللؤلؤ والمرجان أصح الأحاديث الصحيحة، فقد أجمعت الأمة على أن أصح الكتب بعد القرآن الكريم صحيح البخاري، وصحيح مسلم ، لأن كل من البخاري ومسلم – رحمهم الله تعالى – وضع شروطا لنقل الحديث وروايته تؤدي إلى ضرورة صحة ما يرونه،...

---

(١) هدى الساري مقدمة فتح الباري ج٢ ص ٢٣٢ .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات نقلا عن شرح النووي ج١ ص "ب" .

وقد اشترط الإمام البخاري في رواية سنده المعاصرة، واللقيا مع الضبط، والعدالة، والثقة.

واشترط الإمام مسلم: المعاصرة، وعدم وجود موانع للقيا مع العدالة والضبط .

ثالثا: جمع كتاب اللؤلؤ والمرجان محاسن ما في صحيحي البخاري ومسلم ، فقد فضل الجمهور المحدثين صحيح البخاري لكثروة فوائده، وتقسيمه كتابه إلى كتب وأبواب معينة ، وتكراره الحديث في فائدة قد تكون من المتن أو في السند، أو فيهما معا، فإن كانت الفائدة في المتن لا يعيده بصورته ، بل يتصرف فيه، وان كثرت طرقه أورده لكل باب طريقا آخر، وان قلت الطرق اختصر المتن أو الاثنان(١)، أورده في كل باب له فيه مناسبه ، ولتحريه الدقة في تدوينه الحديث، فلقد كان ينقل عن الثقات بشروطه، ويستخير الله تعالى، ويلجأ إليه قبل التدوين، وما إراده الحديث الواحد في أبواب كثيرة إلا رغبة في تدوين الحديث في كل موضع له به صلة .

يقول ابن يحيي ﷺ: سمعت الإمام البخاري يقول: " صنفت الجامع المسند الصحيح في أمور رسول الله ﷺ وسننه، وأيامه، وهو أول كتاب ألفته، وأول مصنف صنفته في الحديث الصحيح المجرد في ستة عشرة سنة، وما دونت حديثا فيه إلا بعدما أستخرت الله تعالى، وصليت ركعتين، وتيقنت صحته (٢)

وقد صح أن مسلما كان يستفيد من صحيح البخاري، ويرى أنه لا نظير له في علم الحديث.

---

(١) فتح الباري بشرح صحصح البخاري ج١ ص ١٥١.

(٢) عمدة القارئ شرح صحصح البخاري ج١ ص٥ .

وفضل بعض المغاربة، وبعض علماء الحديث صحيح مسلم في جمعه الأحاديث المتعددة الطرق في باب واحد، حيث يضم الباب كافة الطرق والروايات التي ارتضاها في صحيحه، وان أخذ عليه أنه لم يضع عناوين لأبوابه، ولم يفصل بينها بفاصل ما .

وجاء ابن حجر ﷺ فشرح صحيح البخاري في كتابه " **فتح الباري**" ، وشرح الإماك النووي ﷺ صحيح مسلم، وبوبه، واليهما يرجع الفضل في تيسير الصحيحين ، وابراز أهميتهما للناس ، وجاء بعدهما علماء عديدون اهتموا بالشرح والبيان.

وبسبب عمل البخاري ومسلم ﷺسهل جمع الأحاديث والوقوف عليها في أبوابها كما فعل البخاري، أو في باب واحد كما فعل مسلم، وتمكن طالب العلم من معرفة طرق الحديث في صحيح مسلم ، لأنها توجد في باب واحد مهما تعددت، وكان طالب العلم يجد صعوبة في معرفة جميع طرق البخاري لتناثرها في الكتاب كله، وقد توضع بعض هذه الأحاديث في أبواب لا يظن الباحث وجودها فيها لدقيقة يفهمها الإمام البخاري.

ولهذا اعتمد كتاب اللؤلؤ والمرجان في الترتيب، والتنسيق، والتبويب على صحيجح مسلم بعد أن جرد الأحاديث من أسانيدها ما خلا الراوي، واكتفى برواية واحدة من الروايات المكررة .... واختار نص الحديث كمتا هو في صحيح البخاري الذي هو أقرب النصوص انطباقا مع نص الحديث الذي رواه مسلم ، وبذلك لم يكرر الحديث إلا نادرا اكتفاء بالحديث المتفق عليه في اللفظ والمعنى .

رابعا : جمع كتاب اللؤلؤ والمرجان الأحاديث التي اجمع الشيخان على لفظها وبشروطهما، وقد اشترط – رحمهما الله تعالى – ألا يذكرا ألا حديثا

متصل الإسناد بنقل الثقة عن الثقة من أول السند إلى منتهاه، مع السلامة من الشذوذ والعلة، وبذلك جمع الإمامان في صحيحهما الأحاديث الصحيحة التي جمعت هذه الشروط.

ولم يختلف الإمامان في حد الصحيح إلا من اشتراط اللقيا، ولذلك وجدنا اصطلاح من يقول: هذا صحيح على شرط البخاري، وهذا صحيح على شرط مسلم .

ويتتبع أحاديث اللؤلؤ والمرجان نجدها صحيحة على شرط البخاري ومسلم معا.

وقد وصل حرص الإمامين على جمع الصحيح في كتابيهما أن أغلب حديثهما رواها صحابي مشهور عن النبي ﷺ له راويان فأكثر من الصحابة ، ثم يرويه عن الصحابي تابعيان على الأقل، وعلى التابعيين أتباع التابعين والمعروفون بالحفظ والاتقان والضبط ، والعدالة، وبذلك يتحقق التواصل، وتوجد المعاصرة، وتتحقق اللقيا، ويستمر نقل الحديث كذلك إلى بقية السند(١)

وهذا يشير إلى أن مسلما رحمه الله جمع في صحيحه طرقا عديدة تحقق ما شرطه البخاري من ضرورة اللقيا بين الرواة مع أنه لم يشترط اللقيا مكتفيا بالمعاصرة

خامسا : لم يسبق كتاب مؤلف في الأحاديث المتفق عليها كتاب اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جامعا لأحاديث رسول في سائر الكتب والأبواب الحديثية ... لأن كتاب "**زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم**" للشنقيطي اكتفى بالأحاديث القولية.

---

(١) عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ج١ ص٥ ..

وكتاب "**عمدة الأحكام**" لحافظ عبد الغني المقدسي أقتصر على أحاديث الأحكام.

وقد جرت عادة المؤلفات الحديثية التي اهتمت بما اتفق عليه البخاري ومسلم على استيعاب أحاديث البخاري ومسلم أولا على أن تتلو ذلك بالإشارة إلى ما اتفقا عليه ، والى ما انفرد به كل واحد منهما، ومن أمثلة المؤلفات على هذه الطريقة الشاملة : -

- الجامع بين الصحيحين للحاميدي الاندلسي ت ٤٨٨ هـ .
- الجامع بين الصحيحين لعبد الحق الإشبيلي ت ٥٨١ هـ .
- الجامع بين الصحيحين لمحمد بن حسين الأنصاري ت ٥٨٢ هـ .
- مشارق الأنوار للصاغاني ت ٦٥٠ هـ[١] .

وقد تفرد كتاب اللؤلؤ والمرجان بجمعه الأحاديث المتفق على لفظها في البخاري ومسلم في كافة أبواب كتب السنة، سواء كانت قولية أو فعلية، شاملة للعقائد، والأحكام، والعبادات ، والأحوال ، والآداب، والأخلاق، ... إلى أخر ما جاء في كتب السنة .

ويحسن هنا أن أبين أن مصطلح الأحاديث المتفق عليها يراد بها عند المحدثين الأحاديث التي اتفق عليها البخاري ومسلم [٢] عليها في تخريج أصل الحديث عن الصحابي، وان وقعت بعض المخالفة في السياق فقد بدا الإمام النووي كتابه الأربعين النووية بحديث (**إنما الأعمال بالنيات ، وانما لكل**

---

[١] اللؤلؤ والمرجان ج١ ص م .

[٢] المرجع السابق ج ١ ص ص.

امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو إلى امرأة ينكحها ، فهجرته إلى ما هاجر إليه) (١) .

وأشار إلى أنه من الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان، ولم يذكر أقرب نصوص البخاري إلى مسلم، وانما ذكر أول نص أخرجه البخاري في صحيحيه، وبين الأحاديث التي أخرجها مسلم بع بعض المخالفة في السياق، ولذلك كان قول المحديثين تعليقا على الحديث قولهم: متفق عليه واللفظ لمسلم ، أو للبخاري .

وهنا يجدر بي بيان أن كتاب اللؤلؤ والمرجان قصد مصطلحا خاصا به في المتفق عليه وهو الاتفاق في الأصل واللفظ .

سادسا : أدى اشتمال كتاب **اللؤلؤ والمرجان** للأحاديث القولية والفعلية وأحاديث العقائد، والأحكام، والنظم، والأخلاق إلى وصول عدد أحاديثه المتفق عليها إلى ألف وتسعمائة وستة أحاديث مخالفا في العدد كتاب "**زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم** " الذي تناول الأحاديث القولية المتفق عليها، فقد بلغت عنده ألف وثلاثمائة وثمانية وستين حديثا فقط .

سابعا: أقسام الحديث الصحيح سبعة أقسام هي :

١-صحيح أخرجه البخاري ومسلم .

٢-صحيح انفرد بإخراجه البخاري عن مسلم.

٣-صحيح انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري.

٤-صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه .

---

(١)صحيح البخاري - باب بدء الوحي / ٠ بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ، حديث : ١

٥-صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه .

٦-صحيحح على شرط مسلم ولم يخرجه .

٧-صحيح عند غير البخاري ومسلم وليس على شرط واحد منهم .

هذه هي أقسام الحديث الصحيح وأعلاها الأولى، وهو الحديث المتفق عليه بين البخاري ومسلم، وهذا القسم مقطوع بصحته، والعلم اليقيني واقع به.

ولذلك كانت أحاديث اللؤلؤ والمرجان أصح الأحاديث عن رسول الله ﷺ.

ثامنا : لم يضع الإمام مسلم في صحيحه أسماء الأبواب، وانما وضعها شراح الحديث، فحدث تغاير بين الأسماء التي وضعها النووي في شرحه لصحيح مسلم ، وبين غيره من شراح مسلم ، ومنهم مؤلف **اللؤلؤ والمرجان** إلا أن هذا التغاير لم يؤدي إلى تغيير في الترتيب والتنسيق .

تاسعا : أدى التزام مؤلف **اللؤلؤ والمرجان** بلفظ البخاري القريب من لفظ مسلم إلى عدم ذكر الأبواب من صحيح مسلم، ولم يتفق لفظ أحاديثها مع أحاديث البخاري، فظن البعض ذلك خطأ ، والحق أنه لا خطأ فيه ولا نسيان ، والسبب هو التزام المؤلف بلفظ البخاري ومسلم .

عاشرا : خلت أحاديث **اللؤلؤ والمرجان** من أي حديث يتقوى بغيره ، لأنها أصول الأبواب في الصحيحين، ولذلك لا يتوجه إليها ما وجهه إلى بعض الأحاديث في البخاري ومسلم (١) .

حادي عشر: يتميز منهج كتاب **اللؤلؤ والمرجان** بوضوح خطته، ودقته في الدلالة على موطن الحديث في صحيح مسلم ، وعمق دلالة ألفاظه، لارتباطه

---

(١) انظر مقدمة مسلم في صحيحه،ومقدمة ابن حجر في الفتح رحمهما الله .

بترتيب مسلم ، وتمسكه بألفاظ البخاري، ويتميز هذا المنهج عن كتاب "**زاد مسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم**" الذي يرتب أحاديثه القولية على حروف الهجاء التي بدأت بها الأحاديث، فأدى به هذا المنهج إلى جمع أحاديث الهمزة – مثلا – مع تغاير موضوعات الأحاديث ، فقد تأتي أحاديث الوضوء، والجهاد، والنكاح، والأدب متجاورة بسبب اشتراكها في حرف الهجاء الذي بدأ به الحديث ، وليس في " **الزاد** " إلا أبواب حروف الهجاء.

ثاني عشر : التزم مؤلف اللؤلؤ والمرجان بنص الحديث عند البخاري كما هو، في أول باب ورد فيه، ولذلك أشرت في الهامش إلى ارقام الحديث الأخرى كما وردت في كافة أبواب البخاري ليسهل الرجوع إليها .

هذه هي أهم الأمور المتصلة بكتاب "اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان" ، وقد أثرته بالبحث والدراسة لأنه لا يحتاج جهدا في دراسة الرجال، ولا في البحث عن درجة الحديث، ولا في وضع الحديث في باب مناسب له ، فما فيه من منهج دقيق يعفيني عن هذه الجوانب التي تحتاج إلى جهابذة علماء الحديث وهم بها عالمون ، وقد سميت مؤلفي

" ركائز الدعوة والإيمان
بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان
فيما اتفق عليه الشيخان "

واتبعت فيه المنهج التالي :

أ- **أذكر اسم الكتاب الذي ذكره اللؤلؤ والمرجان** كما هو في صحيح مسلم.

ب- **أضع لكل باب من أبواب اللؤلؤ والمرجان عنوانا** مع عنوان اللؤلؤ والمرجان المتضمن مسمى الباب في شرح النووي على صحيح مسلم أصدر به الباب لتوضيح ارتباط الباب بالدعوة إلى الله تعالى ، ولأشير إلى أهم الركائز الدعوة الموجودة في الباب .

ت- **أبين في الهامش موضع الحديث المذكور بنصه** كما هو في صحيح البخاري كما فعل صاحب كتاب اللؤلؤ والمرجان، وبذلك أتفق معه في أرقام الأبواب ومسمياتها، وعددها، وأزيد عليها .

ث- **أضع في الهامش أرقام الحديث** كما وردت في صحيح البخاري ليسهل الرجوع أليها .

ج- **أشرح الحديث شرحا تحليليا**، فأبين موضعه، والدلالات اللغوية لمفردات الحديث، وأحلل المعاني لأصل إلى الأسرار البلاغية، والدلالات العقدية والشرعية، والأخلاقية، والبيان الإجمالي الشامل لأحاديث الباب .

ح- **أربط المعاني اللغوية بألفاظ الحديث** بما فيها من حسن بيان، وروعة في الفصاحة، والإبداع في إظهار المعنى، وقوته في التأثير .

خ- **أوضح الركائز الدعوية والدعائم الإيمانية** كما أفهمها من أحاديث الباب أو توجيهها في خطة عملية تفيد الدعوة إلى الله تعالى .

د- **أختم الباب بذكر لمحات موجزة في فوائده .**

وآملي من هذا المؤلف أن يحقق الله به ما يلي : -

١- **أن يرزقني ﷻ حسن الفهم لسنة النبي ﷺ**، وأن ييسر لي ما صعب منها حتى أتمكن من معرفة الحق، وملازمته، واظهاره بحجته .

٢- **وأن يفتح الله به مغاليق القلوب**، وأن يزيل عن العقول ما ران عليها من جهالة وظلمات حتى يصل بيان السنة إلى العقول، وتنزاح به المغاليق، وتتمكن القلوب من الإحاطة بالركائز الإيمانية والدعوية .

٣- **أن أقدم عملا علميا أخدم به سنة المصطفى** ﷺ، وأبرز من خلالها دعائم الإيمان، وركائز الدعوة لتصير مناهج إيمانية تهدي إلى الحق، وترشد إلى الصراط المستقيم، وتحول البيان النظري في السنة إلى منهج عملي يساهم في نهضة المسلمين ودعوتهم إلى الله تعالى.

٤- **وأن أرد دعاوى المبطلين**، الذين يزعمون أن الاستقامة العملية، والسمو الخلقي، والنهضة الحقيقية تكون في غير دين الله تعالى ، ويصل بهم الضلال إلى الجرأة في الطعن وعدم الخوف من الله تعالى، والغوغائية في الجدل والحوار .

٥- **وأن ينير الله لي طريق العمل**، ويلهمني الصواب، ويبارك لي في هذا العمل، ليقودني في الدنيا إلى كل خير، ويسوقني في الآخرة إلى جنات النعيم .

٦- **وأن يضع الله تعالى مؤلفي هذا في مجال الاهتمام الدعوي** عند القائمين على شئون الدعوة ليصل للناس ، ويستفيد منه الجميع .

٧-**وألا يكون كتابي هذا تكرارا لمؤلفات سابقة** وان استفاد منها، فهو يعيش مع السنة الصحيحة، ولها مؤلفاتها، وشروحها العديدة ، ومنها أخذ العلماء الكثير من الحكم والأحكام، وبمشيئة الله سأستفيد منها، وأخذ منها راجيا أن أضيف إليها دعائم الإيمان بالقلب والعمل، وأظهر أنواره في العقل والسلوك، كما أرجوا إضافة الركائز الدعوية التي تبين موضوع الدعوة ، وأخلاقيات الداعية، ووسائل وسبل إيصال الإسلام للناس بينا واضحا، مشيرا إلى أهم فوائد الأحاديث.

ومراجعي في هذا المؤلف هي شروح السنة على اختلافها، وعلى رأسها شروح البخاري ومسلم ، وما يوفقني الله له من مختلف العلوم الإسلامية .

إن ما اتمناه جديدا في هذا المؤلف هو إبراز ما في الأحاديث الصحيحة المروية في اللؤلؤ والمرجان من ركائز وفوائد للدعوة والإيمان، ولذلك سأوردهما في عنوان خاص بهما عقب كل باب .

وقد جرت عادة مؤلفي السنة على حصر عددي للكتب، والأبواب ، والأحاديث ، وسألتزم بهذه العادة .

سوف أحافظ – بإذن الله تعالى – على ذكر الكتب كما أوردها صاحب كتاب اللؤلؤ والمرجان متفقا مع صحيح مسلم في هذا ، وسأضع رقما لكل كتاب لبيان عدد الكتب من أول السفر إلى آخره .

وسأجعل رقما متسلسلا لسائر أبواب الكتب التي تناولها كتاب اللؤلؤ والمرجان، ووضعه على أعلى اسم الباب بين شرطتين هكذا – ؟ – ، وبذلك أحصر أبواب كل كتاب على حدة ....

وسوف أحافظ على رقم الباب كما هو في شرح النووي لصحيح مسلم ،

وأضعه أمام الباب، ولن يكون هذا الرقم متتابعا لعدم إيراد جميع أبواب مسلم في **اللؤلؤ والمرجان** كما سبق بيانه (١)، فقد تركها مؤلف **اللؤلؤ والمرجان** لعدم اتفاق مسلم مع لفظ البخاري فيها.

وسأجعل رقما لأحاديث كل باب حصرا لأحاديث كل باب على حده، وسأضعه بين قوسين منحنيين هكذا ( ) أيمن الحديث .

وسأجعل رقما لأحاديث الكتاب كله وسأضعها بين قوسين معكوفين هكذا [ ] أيمن الرقم السابق.

وسأضع خطأ أفقيا أمام كل حديث أضع فوقه الرقمين المذكورين أنفا، وهما أرقام أحاديث الكتاب كله، ووأرقام كل باب على حده ....، وأضع تحت الخط رقم الحديث في صحيح البخاري ، وستبدوا الصورة هكذا [؟] ،(؟)

؟؟؟

وسوف أبين في الهامش موطن الحديث المذكور كما ورد في أول باب ورد فيه في صحيح البخاري، موضحا معه كتاب الحديث، وبابه، ومعه أذكر في الهامش أرقام الحديث التي جاءت مكررة في صحيح البخاري بعد ذلك .

وبذلك أعرف عدد كتب **اللؤلؤ والمرجان،** وعدد أبواب كل كتاب، وعدد أحاديث كل باب، وعدد أحاديث الكتاب كله، ورقم كل حديث كما هو في صحيح البخاري.

وسألتزم بترتيب الأبواب كما رتبها الإمام النووي على صحيح مسلم متمسكا بمسميات الإمام النووي للأبواب حتى لو كانت أكثر دلالة من أحاديث **اللؤلؤ والمرجان.**

---

(١) انظر ص ١٥ .

وسألتزم بألفاظ الإمام البخاري كما هي في اللؤلؤ والمرجان، وستكون الركائز تابعة لكل باب، وان تعددت أحاديثه.

وسوف أذكر بعض الفوائد المستنبطة من أحاديث الباب في كلمات موجزة. **وبهذا سيتتضمن مؤلفي عددا من الأرقام هي :-**

أولا : رقم لكل كتاب حديثي، وبه يوضح عدد كتاب اللؤلؤ والمرجان كما ذكرها المؤلف، وسوف أضع مع اسم الكتاب اسما يشير إلى ما فيه من ركائز الدعوة والإيمان، وبخاصة أن عناوين الكتب والأبواب من اختيار شراح الحديث كالإمام النووي وغيره .

ثانيا : رقم متسلسل لكل باب، لمعرفة عدد أبواب كل كتاب، وسأضع هذا الرقم بين شرطتين أعلى اسم الباب .

ثالثا : رقم الباب كما في صحيح مسلم، وأضعه أمام اسم الباب، ولا تسلسل في هذا الرقم .

رابعا : رقم لكل حديث في كل باب لمعرفة عدد أحاديث كل باب على حدة، ولو تكون الباب من حديث واحد سأضع له رقما واحدا .

خامسا : رقم مسلسل لسائر الأحاديث ، وهذا يوضع في الهامش الأيمن أمام رقم أحاديث الباب، ليسجل عدد الأحاديث المدونة في الكتاب كله .

سادسا: أضع أرقاما في الهامش تبين مواطن ورود الحديث في البخاري.

سابعا: سأجعل في الهامش رقما للحديث المذكور ، وأوضح فيه كتاب الحديث، وبابه، كما جاء في صحيح البخاري .

ثامنا : سأجعل الدراسة الحديثة وفق منهج ثابت يشمل العناوين التالية في أرقام هجائية كالتالي : -

أ- موضوع الباب .

ب- الدلالات اللغوية لأحاديث الباب.

ت- البيان التحليلي لأحاديث الباب.

ث- المعنى العام لأحاديث الباب.

ج- ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب.

ح- لمحات موجزة في فوائدأحاديث الباب.

وأحب التنبيه على أني لن أعلق على سند الحديث، ويكفيني أن الأحاديث قد اتفق عليها البخاري ومسلم رضي الله عنهما لفظا ومعنى، وقد سبقني إلى ذلك صاحب "**اللؤلؤ والمرجان**"، حيث اكتفى بذكر راوي الحديث عالما بصحة السند ومن رغب في معرفة السند ورجاله فليرجع إلى الصحيحين، ففيهما التفصيل.

أسأل الله تعالى :

- أن يشرح صدري وييسر أمري، ويهديني إلى الحق والصواب في القول، والعمل، والسلوك، وسائر الأحوال .
- أن ينجيني من هوى النفس، ونزاغات الشيطان، وشطاحات الضالين، وتلبيس إبليس، وينقذني من عدوات الضالين، ومخاصمات الجاهلين.
- وأن يكون سبحانه عونا لي ولسائر المؤمنين لينصرهم على الكذابين، والسفهاء، وأعداء الله تعالى .
- وأن يرني الحق حقا ويرزقني اتباعه، ويرني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه ، ويهديني سواء السبيل .
- وأن يخرجني من ظلمات الجهل، والجحود، والمعاصي إلى نور العلم والإيمان، وطاعة الله رب العالمين.

- وأن يقوي همتي، ويجدد عزيميتي، ويشد أزري، وينقي سريرتي، ويطهر علانيتي.
- وأن يجعلني من اتباع محمد ﷺ المنعمين برحمة الله تعالى ، الملتزمين بالصراط المستقيم .
- ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ (١)
- ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢) .
- ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (٣)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أ . د أحمد أحمد غلوش

م . نصر في

غرة ربيع الأول ١٤٣٥هـ

٢ يناير ٢٠١٤م

---

(١)سورة آل عمران الآية : ٨ .

(٢) سورة إبراهيم الآية ٣٨ .

(٣) سورة البقرة الآية : ٢٠١ .

-١-

كتاب النهي عن الكذب على رسول الله ﷺ

وضرورة تحري الصدق في رواية الحديث

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب النهي عن الكذب على رسول الله ﷺ
والمحافظة على الوحي

قدم الإمام مسلم لصحيحه بمقدمة وافيه عرف فيها بكتابه، ومنهجه في التحمل، ومنزلته في علوم السنة، ومدى محافظته على صحة الأحاديث، وتبليغها للناس كما نزلت، ولذلك جاء النهي عن الكذب على رسول الله ﷺ في عدد من الأحاديث التي رواها في المقدمة، وجعلها مؤلف" **اللؤلؤ والمرجان**" مقدمة لكتابه، وأوردها في باب واحد ملتزما بلفظ البخاري في الحديث الأول، والثاني، والرابع، واختصر الحديث الثالث وفق المنهج الذي التزم به، وليس لهذه الأحاديث باب عند مسلم، فقد أوردها في المقدمة، وجعل منها مؤلف "**اللؤلؤ والمرجان**" كتابا مستقلا، مكونا من باب واحد .... هي :-

-١-
باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ

[١]،(١) ١٠٦ **حديث علي ﷺ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تكذبوا علي، فإنه من كذب علي فليلج النار(١).**

[٢]،(٢) ١٠٧ **حديث أنس ﷺ قال: إنه ليمنعنى أن أحدثكم حديثا كثيرا أن النبي ﷺ قال: من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار(٢)**

[٣]،(٣) ١٠٨ **حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار (٣).**

---

(١)أخرجه البخاري في: ٣ كتاب العلم: ٣٨ باب إثم من كذب على النبي ﷺ .

(٢)أخرجه البخاري في: ٣ كتاب العلم: ٣٨ باب إثم من كذب على النبي ﷺ .

(٣)أخرجه البخاري في: ٣ كتاب العلم: ٣٨ باب إثم من كذب على النبي ﷺ .

[٤](٤) حديث المغيرة ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: إن كذبا علي ليس
١٠٩ ككذب على أحد، من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار(١)

-أ-
موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ، والنهي عنه، وبيان عاقبة من يكذب على رسول الله ﷺ متعمدا، أو غير متعمد، مع بيان أن الكذب على رسول الله ﷺ أكثر فحشا من الكذب على الناس، لأنه يشمل الكذب على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ .

-ب-
الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبي ﷺ : **(لا تكذبوا علي)** هذا من رسول الله ﷺ نهي عن الكذب على رسول الله ﷺ ، ... ومعناه لا تنسبوا إلي قولا لم أقله، وهذا نهي عن الكذب بصورة مطلقة، ولذلك أوردته أحاديث الباب نكرة ليشمل كل كذب .

والكذب هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه عمدا كان أو سهوا، وايراد **(علي)** لتخصيص بعض أنواع الكذب تخصيصا لا مفهوم له ، مثل قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ ﴾(٢) ، لأن الربا حرام كله، ومنهي عنه، وفائدة التخصيص تأكيد الأمر، وليس تخصيص الحكم .

---

(١)أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٣٤ باب ما يكره من النياحة على الميت، وانظر ورود الحديث عند البخاري في الأرقام التالية : : (١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ٣٥٣٩، ٦٩٩٣) .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٣٠ .

(فإنه من كذب علي فليلج النار) أي أن من كذب علي متعمدا فقد رضي لنفسه بالعذاب، فليدخل النار، وانما أسند الحديث الكذب إلى الكاذب لبيان وضوح الجرم الذي قام به ، لأنه حين يكذب على رسول الله ﷺ يكذب على الله ﷻ ، فرسول الله ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾(١) .

فمن كذب على رسول الله ﷺ يستحق النار ، وعليه أن يدخلها وقد استسلم لذلك، لأن العامة والخاصة يعلمون أن الكذب على رسول الله ﷺ أكثر فحشا وجرما من كذب بعض الناس على بعض، وكان كثير من الصحابة يخشون كثرة الرواية مخافة الوقوع في الكذب .

وقد جعل الحديث الأمر بولوج النار مسببا عن الكذب المؤدي إلى الإثم لما بين الكذب، والإثم، وولوج النار من تلازم .

وقيل : إن الأمر بمعنى الخبر، أي إن من يكذب على رسول الله ﷺ فقد استحق دخول النار، يؤيد هذا ما جاء في صحيح مسلم عن عليا ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : **(لا تكذبوا علي ، فإنه من يكذب علي يلج النار)** (٢).

(فليتبوأ مقعده من النار) أي ومن كذب علي متعمدا فليتخذ لنفسه منزلا يسكن فيه في النار .

يقال: تبوأ الرجل المكان إذا اتخذه سكنا، ... وهو أمر يفيد التهديد، والوعيد، والتهكم، والدعاء على من يفعل ذلك .

وفي الأمر إشارة إلى ما في نفس الكاذب من قصد الكذب في قوله، وفعله ، وعلى أن الجزاء من جنس العمل ، فكما قصد الكاذب الكذب فليقصد

---

(١) سورة النجم الآيتين : ٣ ، ٤ .

(٢)صحيح مسلم - باب في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله تعالى، حديث :٢.

السكن والتبوء في النار .

جاء في صحيح البخاري عن عبد الله بن الزبير ﷺ، قال : **(قلت للزبير: إني لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث فلان وفلان ؟ قال الزبير ﷺ : أما إني لم أفارقه، ولكن سمعته ﷺ يقول: " من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)** (١).

وقد جاء في رواية ابن ماجه عن عبد الله بن الزبير ﷺ قال : **(قلت : للزبير بن العوام، ما لي لا أسمعك تحدث عن رسول الله ﷺ كما أسمع ابن مسعود ، وفلانا، وفلانا ؟...)**(٢) وقد سمى ابن ماجه ابن مسعود .

وفي رواية ابن داوود قال :**(قلت للزبير : ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله ﷺ كما يحدث عنه أصحابه . فقال : أما والله لقد كان لي منه وجه ومنزلة ، ولكني سمعته يقول : " من كذب علي متعمدا ، فليتبوأ مقعده من النار)** (٣) .

يقول عبد الله بن الزبير ﷺ: " عناني قلة رواية الزبير ﷺ ، فسألته عن ذلك فقال لي: يا بني كان بيني وبين النبي ﷺ من القرابة والرحم ما علمت، فعمته أمي، وزوجته خديجة ﷺ عمتي، وأمه آمنة بنت وهب وجدتي هالة بنت وهيب ابنتا عبد مناف بن زهرة، وعندي أمك، وأختها عائشة ﷺ عنده(٤) .

وقول الزبير ﷺ يشير إلى تحمله أضعاف ما روى من الأحاديث عن

---

(١)صحيح البخاري، كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم – حديث : ١٠٦.

(٢)سنن ابن ماجه – المقدمة، باب التغليظ في تعمد الكذب على رسول الله ﷺ – حديث : ٣٦.

(٣)سنن أبي داود – كتاب العلم، باب في التشديد في الكذب على رسول الله ﷺ – حديث : ٣١٨٤

(٤) شرح النووي على مسلم ج١ ص ٦٨ .

رسول الله ﷺ وقصد عدم روايتها، وهو مع قوله هذا كان مكثرا في الحديث.

وقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول :(**لولا أني أخشى أن أخطئ لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله ﷺ – أو قالها رسول الله ﷺ – وذاك أني سمعته ﷺ يقول : " من كذب علي متعمدا ، فليتبوأ مقعده من النار)** (١) .

ومن جملة أحاديث الباب ندرك عدة أمور ... منها : –

الأمر الأول : تشديد عقوبة الكذب على رسول الله ﷺ ، لأنه ليس إنسانا عاديا من البشر، وانما هو رسول الله ﷺ، والكذب عليه كذب على الدين كله

الأمر الثاني : لم يكثر الرسول ﷺ حديثه لأصحابه في جلسة واحدة مخافة الملل، وحتى لا يؤدي الإكثار إلى الوقوع في الكذب، كما تؤدي قلة الأحاديث إلى التحري، والدقة، والتثبت.

الأمر الثالث: من حق الإنسان أن يبدأ عمله ، ويتخير طريقه في إطار مسئوليته في الدنيا للوصول إلى جزاء الآخرة .

ـ جـ ـ

البيان التحليلي لأحاديث الباب

أحاديث النهي عن الكذب على رسول الله ﷺ متواترة، رواها جمع غفير من الصحابة، أوصلها بعض المحدثيين إلى مائتي راو من صحابة رسول الله ﷺ ، منهم العشرة المبشرون بالجنة (٢) .

ونهت الأحاديث عن الكذب على رسول الله ﷺ بصورة مطلقة، سواء كانت عمدا أو سهوا ، له أو عليه ﷺ ، و إنما جاء جاء قوله ﷺ : **(متعمدا)**

---

(١)سنن الدارمي – باب اتقاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حديث : ٢٤٩.

(٢) فتح البار يبشرح صحيح البخاري ج١ ص ٣٠٧ .

لتاكيد الأمر وليس لاختصاص الحكم.

وقد التزم الصحابة – رضوان الله عليه – بنقل حديث رسول الله ﷺ بالألفاظ التي وصلت إليهم ، ولم يكثروا من الرواية مخافة أن يقعوا في الكذب

فهذا هو الزبير بن العوام ﷺ من أوائل الذين أسلموا، لما سئل عن عدم روايته لكل ما سمع من النبيﷺ، يقول: **(أما إني لم أفارقه منذ أسلمت، ولكني سمعت منه كلمة: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)** (١)

وعدم مفارقة الزبير ﷺ لرسول الله ﷺ هو أمر نسبي، فقد فارق رسول الله ﷺ حينما هاجر إلى الحبشة، ولم يصاحب الرسول ﷺ حين الهجرة إلى المدينة، وقد ذكر أنس ﷺ أن الذي يمنعه هو نفس السبب الذي منع الزبير ﷺ ، لأن الكذب عى رسول الله ﷺ من أكبر الذنوب والأثام .

وقد بلغ من تحري العلماء والمحدثين الصدق في نقل حديث رسول الله ﷺ ردهم الأحاديث التي وضعها بعض الجهلة للترغيب والترهيب بدعوى تأيدهم لدين الله تعالى ، وحث الناس على الطاعة، وما دروا أن تقوليهم لرسول الله ﷺ ما لم يقله كذب على الله تعالى ، واثبات لحكم لم ينزله الله تعالى، ولم يحكم به ، وهذا تغير لدين الله تعالى سلبا أو إيجابا .

وذهب العلماء إلى تحريم اللحن في الحديث لأنه يقرب من الكذب، ويؤدي إلى النتائج التي يؤدي إليها الكذب، ....

يقول الأصمعي : " إني أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي ﷺ : **(من كذب علي متعمدا فليتبوأ**

---

(١)مسند أحمد بن حنبل – مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند الزبير بن العوام ﷺ، حديث : ١٣٦٢

مقعده من النار) ، لأنه ﷺ لم يكن يلحن ، فاللحن من الرواة كذب على النبي ﷺ .

يقول ابن صلاح : واجب على طالب علم الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يتخلص به من شين اللحن، والتحريف، والتصحيف .

وعن شعبة رحمه الله : " أن من طلب الحديث ولم يبصر العربية فمثله كمثل رجل عليه برنس وليس له رأس) (١) .

فالسلامة من التحريف إتقان النحو، والسلامة من التصحيف الأخذ من أفواه العلماء العدول الثقات، مع الضبط في الحفظ والكتابة.

وكان المحدثون يتحرون الصدق فيما يرون ولا يحدثون بكل ما يسمعون، لأنهم يسمعون الصدق والكذب إلا أنهم لا يرون إلا ما ثبت عندهم صدقه مع عدم الإكثار في الرواية، والاكتفاء بما يبلغ دين الله للناس .

وكان الرواة إذا وقفوا على خطأ مدون أثبتوه كما وصل إليهم مع التضبيب لذلك كما وصل إليهم، وبيان الصواب خارجا في الهامش مع الإبقاء على الخطأ كما وقع ، لأن ذلك أجمع للمصلحة، وانقى للمفسدة ، ومحافظة على حديث النبي ﷺ وتحذيرا من اللحن، والتصحيف الذي وقع فيه بعض الرواة .

فإن قيل : ماذ لو غفل المحدث ونقل عن الكاذبين قولا ونسبه إلى رسول الله ﷺ ؟

أقول : لا تصح من مسلم غفلة عند رواية حديث رسول الله ﷺ ، فهو مسئول عن الضبط في الحفظ ، والإملاء، والعدالة التي تولد أمانة الراوي، وحرصه على إرضاء الله تعالى، ونقل ما صح عن رسول الله ﷺ .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، ج١ ص٧١ .

وقدم العلماء من قواعد علوم السنة وأبحاثها ما لو اتبعها أحد الناس لوصل إلى الحق والصواب .

وان قيل: هل الكذب يختلف إن كان على رسول الله ﷺ أو له ؟

أقول : الكذب كذب مهما كان توجيهه، ومهما كان قائله، ومهما كان دافعه إليه ، فالخبر المغاير للواقع كذب، والحديث غير المطابق في الاعتقاد الصحيح كذب ، والاعتقاد الضال غير المطابق للحق كذب بلا فرق بين أن يكون للنفع أو للضرر، فموضوعات الحديث المرغبة في الطاعة كذب يدعو إلى عمل أو ينهي عنه بلا دليل، ويغير الواقع المشروع بعدما أنزله الله تعالى كاملا تاما، ولا يحتاج لأحاديث موضوعة ترغب فيه أو تخوف منه، ويكفيه أن يبقى في الناس كما نزل من عند الله تعالى .

وان قيل: كيف يكون الكذب على رسول الله ﷺ كذب على الله تعالى ؟

أقول : الكذب على رسول الله ﷺ كذب على الله تعالى لأن الوحي كلام الله تعالى الذي أنزله على رسوله ﷺ، ومهمة الرسول ﷺ تبليغ الوحي المنزل ، ولذلك كان تكذيب الرسول ﷺ تكذيبا لله تعالى، وتشويها لصورته ﷺ، وفي هذا الكذب إضرار لدين الله تعالى، وتغيير له، ولذلك عد الكذب على رسول الله ﷺ كذبا على الله تعالى .

وان قيل : الكذب كله معصية ، فكل كاذب عاصي، وكل عاصي يدخل النار ، فلما خص الكذب على رسول الله ﷺ بالذكر، وبين ولوج صاحبه في النار ؟

أقول : خص رسول الله ﷺ الكذب عليه بالذكر لبيان عدة أمور :-

أولهما : الكذب على رسول الله ﷺ فاحشة منكرة لأنه يؤدي إلى إدخال ما ليس من الدين فيه، أو إخراج ما هو منه عنه.

ثانيها : الكذب على رسول الله ﷺ كبيرة لا تكفير فيها، والكذب على الناس صغائر يكفرها الإقلاع عنها ، والتوبة ، والرجوع إلى الله تعالى ، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابَا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ (١) .

والكذب على رسول الله ﷺ عدوان على حق الله تعالى وحق رسوله ﷺ، وعدوان على دين الله تعالى الذي ارتضاه الله للعالمين .

وان قيل: هل يستوي الكذب على رسول الله ﷺ في المنام مع الكذب عليه في اليقظة ؟

أقول: الكذب على رسول الله ﷺ وادعاء رؤيته في المنام يساوي الكذب عليه في اليقظة، لأن الشيطان لا يتمثل به ، ولبيان ذلك ساق البخاري الحديث بتمامه ، وفلم يختصره كعادته، لينبه على أن الكذب على رسول الله ﷺ يستوي في اليقظة والمنام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **(تسموا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي، ومن رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار)** (٢).

وان قيل: ما الفرق بين الكذب على رسول الله ﷺ والكذب على غيره على ضوء الحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ : **(إن كذبا علي ليس ككذب على أحد)** (٣) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٦ .

(٢)صحيح البخاري - كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم - حديث : ١٠٩

(٣)صحيح البخاري - كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت - حديث : ١٢٤٢.

أقول : يرى بعض أهل العلم أن تعمد الكذب على رسول الله ﷺ يخرج من الملة، ومنهم الإمام الجويني.

وحجة هؤلاء العلماء أن الكاذب على رسول الله ﷺ في تحليل حرام ، أو تحريم حلال لا ينفك عن عمل هذا التحليل أو ذلك التحريم، وأيضا إن الكذب على رسول الله ﷺ كبيرة ، والكذب على غيره صغيرة ، وقد دلت الأحاديث على طول مكث الكاذب على رسول الله ﷺ في النار، والظاهر أنه لا يخرج منها، لأن الحديث لم يجعل له منزلا في غير النار .

-د-

المعنى العام لأحاديث الباب

هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة ، وأخذ دين الله تعالى ينتشر في الأفاق بواسطة المؤمنين من التجار، والوافدين واشتد سعي الناس في معرفة دين الله تعالى .

وكان الناس ينظرون إلى لقيا رسول الله ﷺ وصحابته لأخذ حديث رسول الله ﷺ نظرة إجلال وتكريم، ولذلك نبه رسول الله ﷺ أصحابه إلى ضرورة التثبت في النقل عنه، والحذر من الكذب عليه ﷺ ، وبين لهم أن من يكذب على رسول الله ﷺ فليدخل النار ، ويسكنها في الآخرة ، لأن حديث رسول الله ﷺ دين يحتاج إلى التثبت ، والنقل الصحيح .

ولذلك كان الصحابة يتحرون الصدق التام في نقل أقوال النبيﷺ وأفعاله، وأحواله، وبقي هذا الأمر واجبا على الأمة الإسلامية تلتزم به على طول الزمان، ليبقى الدين كما نزل من عند الله تعالى ، والله خير موفق ومعين .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز التي لابد منها للمسلمين عامة ، وللدعاة خاصة ، وأهمها : -

الركيزة الأولى
حفظ الدين وثبوته
كما نزل من عند الله تعالى

أوحى الله تعالى دينه إلى رسول الله ﷺ، وأنزل عليه القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، ليبقى الإسلام بحيويته، وحقيقته التي نزل بها من عند الله تعالى.

وقد حدد الله تعالى للناس منهج الهداية والفلاح، وجعله نتيجة التمسك بالقرآن الكريم ، والسنة النبوية كما أوحى الله تعالى بهما إلى رسول الله ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : **(إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي)** (١) .

فعلم بذلك المؤمنون أن وحي الله هو دينه، وحفظ الدين يتم بالمحافظة عليهما.

والدعاة إلى الله هم حملة الإسلام وورثة النبي ﷺ ، وهم العاملون على تبليغ الإسلام، والتذكير به، وارشاد الناس إلى الصراط المستقيم الذي يوجههم إلى الله تعالى .

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب العلم، فأما حديث عبد الله بن نمير – حديث رقم : ٢٨٨

ولذلك لزمهم إتقان الحفظ والفهم للمصادر التي تحفظ دينهم كما نزل من عند الله تعالى ، ووجب تجنب مزالق الكذب، والوضع على رسول الله ﷺ .

ووضوح هذا المنهج دليل على ضرورة المحافظة على نقاء الإسلام، وخلوه من التحريف والتغيير ، **وهذا يحتاج من الدعاة إلى :-**

١- **فهم الإسلام فهما دقيقا شاملا لكافة جوانبه وعناصره،** وذلك أمر يقوم على العلم الدقيق، والفهم الواعي، والتطبيق العملي للفهم النظري

٢- **الإحاطة التامة بالبراهين والحجج** التي يقوم الإسلام عليها كما نزلت من عند الله تعالى .

٣- **معرفة أي تزييف يصنعه المضلون ضدد الإسلام** ، وهذا يحتاج إلى التتبع لأقوال وأعمال خصوم الإسلام ، وبخاصة تلك الشبهات التي يشيعونها بين عوام الناس، والتي تمكنوا من إدخالها في مؤلفات العلماء المسلمين .

٤- **الاهتمام بعلوم الحديث** لأنها الطريق الذي يميز الصحيح من السقيم، ويعرف بدرجة الحديث، ويرد ما يدعيه المبطلون حول سنة النبي ﷺ، ويجلي الجهد الضخم الذي تركه المسلمون الأوائل .

إن ثبوت القرآن الكريم ثابت متواتر، وقد أجمعت عليه الأمة، وأكده المسلمون في كل جيل بحفظهم، وعنايتهم المستمرة بكتاب الله تعالى .

أما السنة فبابها واسع، وعلومها عديدة، ولخصوم الإسلام حيل في الولوج إليها، وادخال ما ليس منها فيها، ولذلك كانت وظيفة الدعاة مع السنة

مهمة، وضرورية، وشاملة ولابد لهم من هذا الدور الذي هم مسئولون عنه أمام الله تعالى ، وأمام المسلمين .

ومن هنا :

أشير إلى أهمية دور الدعاة العلمية والعملية، وخطورة رسالتهم ... وانعي على الأمة الإسلامية تقصيرها مع الدعاة في هذا الجانب الحيوي الهام .

لابد من دعاة متقنين لعلوم الحديث حتى لا يستدلوا بحديث غير مقبول، ويتمكنوا من رد كل دخيل مدسوس، وحتى لا يعجزوا أمام خصم يحدثهم في الحديث وعلوم السنة، ومهمة مؤسسات الدعوة في الأزهر، ووزراة الأوقاف ، تيسير الدراسات الدقيقة عن السنة وتقديمها للدعاة وبخاصة في الجوانب التي تهمهم في مجال الدعوة .

إن أعداء الدعوة كثيرون، ولهم وسائلهم العديدة، وفيها يبذلون جهدهم وأموالهم، وهذا يجعلني أنادي بصوت مرتفع، وأقوال :

أين المسلمون ؟!

وأين الدعاة ؟ !

وأين الأمة المسلمة ؟!

وأين حماة الإسلام من هجمات الضالين ؟ !

الركيزة الثانية

مسئولية المؤمن تجاه دين الله تعالى

المؤمن إنسان رضي بالله تعالى ربا، وبمحمد ﷺ رسولا، وبالإسلام دينا ، وحمل بذلك أمانة الدين ، وصار مسئولا عنه، ... وهذا يقتضي منه أن يحمل

الإسلام واضحا بينا مرتكزا على مصادره ودعائمه، وأن يعمل بها، وأن يدعو الناس إليها بالقول والعمل، وهذه الأمانة مسئولية شاقة ثقيلة تحتاج من المسلم إلى الاستعداد، والاجتهاد، والتعلم، والتعليم، والاستعانة بالله تعالى .

إن **المحافظة على الأمانة الدينية** تحتاج إلى اختيار المصدر الواعي المتصف بالضبط في كتابته، وفي فهمه، وفي حفظه كما تحتاج إلى العدالة في إيمانه، وتدينه، وخلقه، وبذلك يتأكد بتلقيه الوحي من الصادق الأمين ، ونقله إلى من بعده من المؤمنين .

إن المحافظة على الوحي المنزل محافظة على دين الله تعالى ، ولذا رأينا حرص النبي ﷺ على تلقي الوحي، والمحافظة عليه كما نزل بلفظه ومعناه ، حتى كان ﷺ يكرر ما يقال له وهو يسمع ما بعده خوفا من النسيان، حتى قال الله تعالى له :﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ (١) .

وتلقت الأمة الوحي عن رسول الله ﷺ قرآنا وسنة ، ونقلته إلى من وراءهم حتى وصل إلينا ، واستمر التواتر في النقل إلى يومنا ، وسيستمر إلى يوم الدين .

وان من أوليات النقل الصحيح للوحي التزام الصدق ، وعدم التقول على رسول الله ﷺ، والتزام المؤمنين بالرواية عن الثقات العدول، ليبقى الدين بحيويته، وجدته كمانزل من عند الله تعالى بلا ابتداع ولا تغيير .

وأحاديث الباب تأمر بتحري الصدق في الرواية عن رسول الله ﷺ ، والأخذ من الثقات العدول .

---

(١) سورة القيامة الآيات من ١٦ :١٩ .

وقد التزم الصحابة بتوجيهات النبي ﷺ ولم يرووا إلا ما ثبت عندهم صدقه.

وقد بلغ بهم تحري الدقة أنهم لم يرووا كل ما سمعوا ، ففي المسموع صدق، وكذب، وعليهم رواية الصدق، وتجنب الكذب، بل إنهم مع الأحاديث الصحيحة رووا منها ما يحتاجون إليه فقط مخافة الوقوع في الكذب حين يكثرون من الرواية .

ومسئولية الدعاة والعلماء المحافظة على الإسلام كما بلغهم، وايصاله إلى من بعدهم، فقد كثر المتآمرون، ونشط خصوم الإسلام ، وأخذوا يشككون في كلام الله تعالى، ويزعمون عدم الحاجة إلى السنة ، وهذه مواقف معلومة تحتاج إلى رد الكذب بالصدق، وبيان ما دخل في سنة النبي ﷺ من كذب ودس في السند، أو في المتن ، وتوضيح الحق للناس ليبلغوهم دين الله بصفائه ونقائه.

وعلى الدعاة تحري رواية الصحيح عن رسول الله ﷺ ، ولا يصح تركه للجهل يفسده، أو لعجز العلماء وتخاذلهم أمام سعي الخصوم لإطفاء نور الله في الأرض .

إن المعركة الدينية شديدة، والمسلمون هم أصحاب الحق، فليهتموا بإثبات حقهم، واظهاره بوجه الناصع ، وحججه البينة ، وذلك خير لهم وأبقى .

الركيزة الثالثة

الإنسان بين عمل الدينا وجزاء الآخرة

ينشط أعداء الله تعالى من شياطين الإنس والجن في إضلال الإنسان وابعاده عن دين الله تعالى **بعدا كليا بإخراجه من** الملة الحنيفية، وصرفه إلى الإلحاد ، وعبادة الأصنام ، وانكار اليوم الآخر، **أو بعدا جزئيا** بتلهيته عن

الطاعة، واغراقه في الشهوات والغرائز المادية، وصرفه عن اليوم الآخر وما فيه من مشاهد وأعمال .

ويعتمد أعداء الإنسان في الإفساد على الجهل، وعدم الإدراك، وتقديم المتع المادية، وتحسين الفحشاء أمام النفس الأمارة بالسوء .

ولهذا :

نجد أحاديث الباب تعرف الإنسان بالجزاء الأخروي المترتب على عمل الإنسان في الدنيا، وتوضح أن الإنسان مجزي بأعمال قلبه ولسانه وجوارحه، فمن اعتقد غير الحق فهو كاذب على نفسه وربه ، ومن أخبر بقول لا يطابق الواقع فهو كاذب ، ومن عمل بغير ما يقول فهو كاذب .

وجزاء الكذب دخول نار جهنم ، فمن كذب فقد اختار لنفسه المصير .

وأحاديث الباب تشير إلى درجة كبيرة في الكذب، وهي الكذب على الله تعالى ورسوله ﷺ ، والقول في الدين بما ليس فيه ، وكأن من يفعل ذلك اختار لنفسه العقوبة المقررة ، ورضى بهذا المصير المؤلم .

إن عمل الإنسان في الدنيا مسجل بدقة ليحاسب عليه، ويجزى به، وعلى العاقل أن يتدبر في كل عمل يقوم به ، وأن يزنه بميزان الله قبل أن يقوم به ، وليكن على يقين من أن عين الله لا تنام، وأن الرقباء كثيرون، ولن يغيب من عمل الإنسان شيء عند الحساب ، يقول الله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ (١) ، وعليه أن يخلص في عبوديته لربه، وأن يعبده كأنه يراه ويراقبه، وينظر إليه، والعاقل من منع النفس عن الهوى، وخاف مقام ربه، وعمل لما بعد الموت .

---

(١) سورة الزلزلة الآيتين : ٧ ، ٨ .

انظر إلى صحابة رسول الله ﷺ فقد وصل بهم الخوف من الكذب على النبيﷺ أن اضربوا عن التحدث بكل ما سمعوا حذرا من أن يقعوا في كذب .

إن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يعملون في الدنيا وأملهم في الآخرة ، ولذلك أخلصوا لله، وصدقوا في أقوالهم، وأعمالهم، وأحوالهم، وكانوا على يقين بما عند الله تعالى أكثر من ثقتهم بما في أيديهم، فعاشوا في الدنيا غرباء عنها، واستعدوا للآخرة، ففازوا بجنات النعيم، وصدق فيهم قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾(١) .

الركيزة الرابعة
جوانب الإيمان في الأحاديث

إن أحاديث الباب تنهى عن الكذب على رسول الله ﷺ، وتدعو إلى الصدق في تحمل الحديث وأدائه، ليبقى الدين في صفائه الذي نزل به ، وفي ضوء أحاديث الباب ندرك أهم الدعائم التي يتحقق بها الإيمان ، ... وهي :-

الجانب الأول: الإيمان بالله تعالى، فهو خالق الخلق، وصاحب الفضل، ومرسل الرسل، ومنزل الوحي .

والإيمان بسائر صفاته، وبكل كمال يليق به سبحانه وتعالى .

الجانب الثاني : الإيمان بالرسل، وخاتمهم رسول الله ﷺ الصادق الأمين، الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

الجانب الثالث: الإيمان باليوم الآخر، ومشاهده من البعث، والحشر ، والحساب، والجنة، والنار .

---

(١) سورة الإسراء الآية : ١٩ .

ومن لوازم الإيمان بهذه الجوانب الثلاثة الإيمان بوجود الملائكة التي نزلت بالوحي، وهي التي تملأ الكون والحياة بالطاعة المطلقة لأمر الله تعالى، وهي التي نقلت الوحي من الله تعالى إلى رسله .

ومن لوازمه: الإيمان بالكتب المنزلة التي اشتملت على كتاب الله تعالى .

إن الأحاديث تضع المسلم في إطار إيماني خالص، فتأمره بالصدق في أحاديث رسول الله ﷺ ، وتحيط هذا الصدق بكافة أركان الإيمان التي تأخذ المسلم إلى صراط الله المستقيم، ليعيش في الدنيا بمنهج الله تعالى قولا، وعملا، وحالا .

الركيزة الخامسة
منهجية الدعوة في أحاديث الباب

حين نيعش مع دلالات أحاديث الباب نستفيد كثييرا من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، ... وأهمها ما يلي : -

١) **حسن الترتيب، والتنسيق، وتقديم الخطاب** في قالب مكون من عدد من العناصر في تسلسل دقيق، حيث يتمم كل عنصر ما سبقه، ويمهد لما بعده، ويتعاون كل عنصر مع بقية العناصر في تقديم صورة كاملة للموضوع الذي يقدمه الدعاة .

وهذا الترتيب الحسن نراه في الأحاديث المروية ، فقد بدات بالغاية المقصودة من الباب، وهي النهي عن الكذب عن رسول الله ﷺ ، وبيان مصير الكاذبين .

وثنت بالحديث الذي يدل على منهج الصحابة رضي الله عنهم في التحديث ، وتوقيهم الخطأ، وحذرهم من الكذب على رسول الله ﷺ .

وثلثت ببيان سبب امتناعهم عن الإكثار في الحديث، لأنهم كانوا يخافون من الخطأ، ويحذرون الوقوع في الكذب ، ولم يقصروا في التبليغ، ونشر الدعوة، فاكتفوا بما يحقق ذلك.

وختم البخاري أحاديث الباب ببيان استواء تحريم الكذب على رسول الله ﷺ في اليقظة أو في المنام .

وبهذا بينت أحاديث الباب منهجا للدعاة يشرح الموضوع ، ويوضح أثره، ويظهر المحاذير فيه، ويحدد مدى شموله لكل جزئياته، وهو منهج يستفيد منه الدعاة وهم يخاطبون المدعوين بأي قضية يعرضونها عليهم .

٢) **ربط العمل بعواقبه،** وهذا فن في الدعوة يعرف **بـ** " **الترغيب والترهيب**" وله أثره في الناس، ويحسن بالدعاة اللجوء إليه في إظهار خطابهم ، وربطه بغيره من المؤثرات في تجانس وترابط بعيدا عن الملل والسآمة.

٣) **ضرورة الاختيار العقلي في طريقة الدعوة،** وهذه مسئولية الدعاة، فهؤلاء الصحابة اختاروا في التحديث بعضا مما سمعوا، وتركوا بعضا آخر حرصا منهم على تحري الصدق والدقة، وخوفا من الوقوع في الكذب ، وفي نفس الوقت قاموا بتبليغ الإسلام للناس ، ورووا ما يحقق هذا التبليغ .

٤) **اختيار الأساليب الدالة على المقصود** في إيجاز ودقة، فقد جاء في الأحاديث النهي، والخبر، والتشبيه، وترتيب الجزاء على العمل،

وتوضيح مشقة الجزاء الأخروي ، واستمراره ، وبيان الإحاطة التامة بكل أعمال الإنسان .

٥) **مناسبة الكلام للمقام** ، فالمقام تحذير من الكذب على رسول الله ﷺ، فناسبه ذكر التبوا في النار .

وهذه المنهجية في الدعوة نأخذها من أحاديث الباب ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

الركيزة السادسة
الصدق والأمانة أساسيات الشخصية الكاملة

تتميز الشخصية الإسلامية بمزايا تلتقي مع قيم الإسلام وفضائله ، وأهم هذه المزايا الصدق والأمانة ، لأن هاتين الصفتين تدفعان صاحبهما إلى الثقة بالنفس، والرضى بما هو فيه، وتجعله محل ثقة الآخرين، لأنه بالصدق يعيش مع الواقع ، ويتعامل مع الحقائق، ويكون ظاهره مثل باطنه لا يخفي شيئا ، ولا يدلس أمرا، وكانت هاتان الصفتان من أساسيات ما يتصف به رسول الله ﷺ ، فقد عرف بهما قبل الرسالة ، وسماه أهل مكة بالصادق الأمين .

ويركز علماء التربية على غرس هاتين الصفتين في الصغير حين تنشئته، ليشب إنسانا صادقا أمينا ينفع نفسه، ودينه، وأمته .

يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾(١)

ويقول ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾(٢) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١٩ .

(٢) سورة النساء الآية : ٥٨ .

إن صفتي الصدق والأمانة تتسع صورهما لتكونا مع الله تعالى ، ومع الناس، ومع النفس، ويمتد أثرهما في الزمان والمكان، ولذلك جاءت أحاديث الباب حول هاتين الصفتين ، وجعلتهما أساس نقل الوحي إلى الناس لتبقى الحقيقة الدينية بين الناس وفي الأرض على طول الزمن واضحة بينة كما نزلت من عند الله تعالى .

وقد شرع الله تعالى للناس ما يصونون به دينه ، فعرفهم بأهمية الصدق، ودلهم على منهج التثبت منه ومكنهم من أسانيد الخبر، ووضع العلماء بتوفيق الله تعالى علوم الحديث التي تحدد معالم النقل الدقيق لحديث رسول الله ﷺ .

إن الأمة الإسلامية هي أمة الله تعالى، وعليها أن تتمسك بدين الله تعالى، وهذا شأن يحتاج إلى الصدق والأمانة في تحمل أحاديث رسول الله ﷺ ، ونقله إلى الناس .

الركيزة السابعة
حيوية الإسلام في حياة المسلمين

انزل الله تعالى دينه للمسلمين، وبلغه إليهم بواسطة رسوله ﷺ الذي دعاهم إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وأخرج منهم خير أمة ظهرت بين العالمين ، وأبقى فيهم مصادر الإسلام كما نزلت من عند الله تعالى ليعيش المسلمون دينهم في حيوية ، وتجدد، وبيان .

وأحاديث الباب تؤكد هذه الحيوية لدين الله تعالى من عدة نواح :-

الناحية الأولى: الالتزام بالصدق التام في نقل الوحي عن رسول الله ﷺ عن طريق بيان أن من يكذب على رسول الله ﷺ في نقل شيء من الوحي يحرم نفسه من رحمة الله تعالى ، ويستحق بكذبه عذاب جهنم التي يصنع له كذبه منزلا فيها .

الناحية الثانية : تضافر المسلمين جميعا على صيانة الدين ، وحمايته، ونقله نظريا وعمليا إلى من بعدهم، لأن كل مسلم يشعر بمسئوليته بالنسبة لدين الله تعالى ، فهو الأمانة التي حملها الإنسان ، وكلفه الله بها .

الناحية الثالثة : ضرورة الحذر من أي دخيل على الفكر الإسلامي ، ولا يتم ذلك إلا بقيام العلماء والدعاة بنشر ما هو صحيح في دين الله تعالى ، وكشف ما هو زيف وكذب أدخله خصوم الإسلام فيه خداعا للمسلمين ، ومحاولة لإدخال الشك بين المسلمين .

إن خصوم الإسلام اليوم يحاربونه بالتخطيط اللئيم، والتقدم العلمي وأساسيات العلوم الحديثة، ولذلك وجب مواجهة مكرهم ببيان الحق. والبحث الدائم لكشف ألاعيبهم التي يلبسونها ثياب المصلحة .

إن الخصوم اليوم يستفيدون بما وضعوه من نظم إعلامية، وثقافية ، واجتماعية في إطار العالمية التي يغلفون بها تأمرهم ومكرهم .

إن المسلمين أفرادا وجماعات مسئولون عن دينهم ، ولن يتم لهم ذلك إلا بالمحافظة على الوحي كما نزل ، وفهمه كما بينه العلماء الثقات، ونشره بين المسلمين ليبقى بحيويته ، وتجدده .

ولا عذر للمسلمين إن قصروا في المحافظة على الدين ، نظريا وعمليا – أمام محاولات أعداء الإسلام إطفاءه وابعاد المسلمين عن العلم به .

ولا عذر للمسلمين إذا دلس الأعداء عليهم، وأوهموهم أن معارضة بعض المسلمين تعني معارضة الإسلام نفسه ... لن كل فرد مسئول عن الإسلام بذاته، ويسحاسبه الله عنه .

والأمل :

أن ينهض العلماء والدعاة، وأن يهتم كل مسلم بدينه، لأنه سيبعث وحده، وسيحاسب وحده ﴿ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾[1] .

-و-

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

نستفيد من أحاديث الباب عددا من الفوائد العامة ... منها : -

١) الرسول ﷺ في أقواله ، وأفعاله، وأحواله، وكافة صفاته ، وشمائله هو الإسلام ، ولذلك وجب تحري الدقة في نقل أي خبر عنه حتى يصل الدين كاملا تاما كما بلغه رسول الله ﷺ للناس وما تركه فينا .

٢) بيان شفقة النبي ﷺ على أمته ، وحرصه ﷺ على تحقيق ما ينفعهم، فلقد كان يبلغهم ما ينزل عليه من وحي كما نزل، وحذرهم من الكذب عليه، وتحري الدقة في النقل، حتى وصل أمر الصحابة إلى الإقلال من رواية الحديث مخافة الوقوع في الكذب والتدليس .

٣) الجرايمة الواحدة تتنوع في مستوى جرمها تبعا للأشخاص، وللموضوع، وللأثر المترتب عليها ، فالكذب على رسول الله ﷺ ليس كالكذب على شخص آخر ، والزنا بحليلة الجار أكثر فحشا وجرما من الزنا بامرأة بعيدة .

---

(١) سورة مريم الآية : ٩٥ .

٤) تقدير الشخص متصل بعمله، وايمانه، والقاعدة هي في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] ، ولن يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، ولا يستوي الصادق والكاذب، وكل إنسان يقدر بإخلاصه وصدقه، وأمانته.

٥) النية أساس العمل، ولذا كان تعمد الكذب مؤديا إلى النار، وقد رفع الله تعالى عن أمته الخطأ والنسيان ، وما استكرهوا عليه .

٦) الوقاية خير من العلاج ، ولذلك رأينا رسول الله ﷺ يحذر من الكذب عليه ﷺ ، ويخوف من عواقبه حتى لا يقع فيه أحد .

٧) في الأحاديث إعجاز نبوي حيث حذر رسول الله ﷺ من أمر لم يقع مشيرا إلى عقوبته حين وقوعه ... والأمة اليوم ترى صورا عديدة منه.

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

-٢-

كتاب الإيمان

كتاب الإيمان

جرت عادة المصنفين في مؤلفاتهم إلى تقسيم منهجي لأبحاثهم، وذلك بتقسيم مصنفهم إلى أقسام كلية تتفرع إلى أقسام فرعية، ثم إلى أقسام أصغر منها، ولهذا يشمل المصنف على كتب، وفصول، ومباحث، وهكذا

وقد درج أغلب مدوني السنة إلى تقسيم مصنافاتهم إلى كتب، وأبواب، حيث يتناول الكتاب المصنف موضوعا كليا ، ويقسم هذا الموضوع إلى كتب ، وأبواب تشمل سائر موضوعات المصنف.

وقد درج مؤلف كتاب" اللؤلؤ والمرجان " على ما سار عليه الشيخان " البخاري ومسلم " في تقسيم صحيحيهما إلى كتب وأبواب .

فبدأ بكتاب الإيمان بعد أن أورد مقدمة مكونة من باب واحد ، وسماها باب " تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ " ، **ولذا يحتاج البحث إلى** بيان معنى "كتاب الإيمان" في اللغة، واصطلاح المحدثين .

فالكتاب في اللغة يعني: الضم، والجمع لجزئيات تكون شيئا واحدا ، ومنه دل الكتاب على كلمات جمعت حروفا، ودلت الكتيبة على عدد من الجنود والقادة ، ... وضم الكتاب للكلمات والحروف حقيقية ، ودلالته على معاني الكلمات مجاز، **والكتاب في المصطلح العلمي** عبارة عن طائفة من المسائل المتحدة في الجنس، المختلفة في النوع، والمضاف إلى الكتاب يحدد جنسه الكلي، ويشير إلى أنواعه الكثيرة ، وهذا يعني أن كتاب الإيمان يتناول البحث في قضية الإيمان، وينتقل البحث من المعنى الكلي للإيمان إلى البحث في سائر أنواعه مع تعددها وتغيرها .

والإيمان في اللغة التصديق القلبي، وفي لسان الشرع " تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به من عند ربه ﷻ "، **وهذا القدر في التعريف** متفق

عليه بين أصحاب الفرق الإسلامية ، إلا أنهم اختلفوا فيما زاد عن هذا القدر، حيث أتى كل فريق بما يؤيد فهمه للمراد من الإيمان الشرعي .

فذهب أهل السنة إلى أن الإيمان تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به عن ربه ﷻ ، مع الإشهاد على ذلك باللسان ، وتأكيده بالعمل، كما ذهبوا إلى أن الإيمان الكامل يجمع هذه العناصر ، وينقص عن نقص الإشهاد أو العمل ، ويزيد بزيادة البراهين والطاعات .

ولذلك قالوا: إن الإيمان يزيد وينقص، وانه يكون كاملا ويكون ناقصا.

وذهب المعتزلة إلى أن الإيمان تصديق ، وقول، وعمل إلا أنهم ذهبوا إلى أن من يقصر في العمل ينتقل إلى منزلة بين الإيمان والكفر ، فلا يكون مؤمنا ، ولا يكون كافرا .

وذهب الخوارج إلى أن الإيمان تصديق وعمل، فمن ترك عملا من لوازم الإيمان فهو كافر، لأن الإيمان عندهم لا يزيد ولا ينقص .

وقال المرجئة والكرامية إن العمل ههو الإيمان، ويكفي في تحقيق الإيمان العمل مجردا من التصديق .

ولكل فريق أدلته ، وأقواها ما ذهب إليه أهل السنة .

والإيمان والإسلام بمعنى واحد ، فإذا ذكر أحدهما دل على الثاني .... واذا ذكرا معا دل الإيمان على التصديق القلبي، ودل الإسلام على العمل الظاهر.

وقد اشتمل كتاب الإيمان في كتاب "**اللؤلؤ والمرجان**" على سبعين بابا توضح الإيمان تصديقا، وقولا ، وعملا، وتؤكد أهم أنواعه على ما ذهب إليه أهل السنة .

-١-

١ـ باب بيان الإيمان ما هو ؟
وبيان خصاله
(توضيح أركان الإسلام وعناصره)

[٥]،(١) ٥٠ حديث أبي هريرة ﷺ قال كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس، فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟

قال ﷺ: الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وبلقائه، وبرسله، وتؤمن بالبعث .

قال: ما الإسلام ؟

قال ﷺ : الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان .

قال: ما الإحسان ؟

قال ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال: متى الساعة ؟

قال ﷺ : ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها؛ إذا ولدت الأمة ربها، واذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا النبي ﷺ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ (١) ، ثم أدبر .

فقال ﷺ : ردوه ، فلم يروا شيئا .

---

(١) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

فقال ﷺ : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم (١)

ـ أ ـ
موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب حقيقة الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلامات الساعة، ويوضح الأمور الخمسة التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ويوضح الحديث أن الإسلام يشمل الإيمان بهذه العناصر كلها .

ـ ب ـ
الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول أبو هريرة رضي الله عنه : **(كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس)** ، أي كان ﷺ ظاهرا، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾(٢) ،وقوله ﷻ : ﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾(٣) .

وسبب ظهوره ﷺ أمام الناس أنه كان يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري من هو ؟ ... ولا يعرفه حتى يسأل ، فطلب الصحابة الكرام من رسول الله ﷺ أن يبنوا له دكة من الطين مرتفعة عن الأرض، فأذن لهم، وكان يجلس عليها ﷺ، ويبرز للناس، وصار يعرفه كل آت إليه من خارج المدينة، فعن أبي زرعة رضي الله عنه عن أبي هريرة، وأبي ذر رضي الله عنهما قالا: **(كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه ، فيجيء الغريب فلا يدري أيهم**

---

(١) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٣٧ باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام، وانظر الحديث رقم : " ٤٧٧٧ " في البخاري ففيه رواية أخرى للحديث .

(٢) سورة إبراهيم الآية : ٢١ .

(٣) سورة النازعات الآية : ٣٦ .

هو حتى يسأل ، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه ، فبنينا له دكانا من طين ، كان يجلس عليه، ...) (١)

(فأتاه رجل) أي جاء ملك في صورة رجل من أحسن الناس وجوها، وأطيبهم ريحا ... ، وفي رواية مسلم : عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : **(بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي ﷺفأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام ...)** (٢) . **فتخيلوه ملكا أو جنيا** لأنه ظهر بثوب نظيف، وهيئة حسنة، لا يكون عليها القادم من سفر بعيد، ولم يعرفه أحد من أصحاب النبي ﷺ ، فقد سأل بعضهم بعضا عنه، فلم يعرفه واحد منهم .

وقد تميز هذا الرجل بأدب المتعلم ،فقد استأذن من النبي ﷺ، ودنا منه شيئا فشيئا حتى التصق به، وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، وأخذ يسأله والصحابة ﷺ يستمعون للأسئلة والأجوبة .

وأظهر النبي ﷺ مع الرجل خلق الرسالة والدعوة، لأنه أذن له ، وقربه منه حتى التصقت ركبتاه بركبتي النبي ﷺ، ووضع يديه على ركبتي النبي ﷺ – في رأي– وأخذ يسأل والنبي ﷺ يجيب جزءا جزءا، والصحابة ﷺ يسمعون .

وقد سأل جبريل عليه السلام عن أمور أربعة هي : الإيمان، والإسلام، والإحسان، ومتى الساعة ؟ ... وهي أمور رغب الصحابة الكرام العلم بها .

---

(١) السنن الصغرى – كتاب الإيمان وشرائعه، صفة الإيمان والإسلام – حديث : ٤٩٢٩.

(٢) صحيح مسلم – كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان – حديث : ٣٤.

وقد سأل سؤاله عن الإيمان لأنه الأصل، وثنى بالإسلام ، لأنه يظهر صدق الدعوة، وثلث بالإحسان؛ لأنه متعلق بهما .

والإيمان هو التصديق بالحقائق الدنينة التي تؤكد اليقين القلبي المؤدي إلى التصديق بأركان الإسلام ، والموصلة إلى النطق بالشهادة ، والعمل بها ، والالتزام بمتعلقات الإيمان، وهي الأركان الواردة في الحديث .

والإسلام هو الأعمال الظاهرة الناشئة عن الاعتقاد الباطني، ومتعلقاته هي العبادات المذكورة .

والإحسان هو الاتقان، والإخلاص في الطاعة، وهو متعلق بالإيمان والإسلام

والسؤال عن الإيمان، والإسلام، والإحسان يحتاج إما إلى التعريف اللغوي، أو إلى تعريف الماهية والحقيقة، أو إلى تعريفها بمتعلقاتها، ... وقد أجاب النبي ﷺ بمتعلقاتها ، وصورها في حياة الناس .

وقد اختلف العلماء في مسمى الإيمان، والإسلام إلى فرق عديدة (١).

---

(١) ذهب الكرامية وبعض المرجئة إلى أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، فمن أقر بلسانه فهو مؤمن، وإن لم يصدق، وإن لم يعمل .

وذهب الخوارج إلى أن الإيمان هو العمل، فأهل المعاصي كفار وإن صدقوا وأقروا .

وذهب المعتزلة إلى أن الإيمان هو العمل إلا أن المعصية لا تكفر ،وإنما تضع صاحبها في منزلة بين الإيمان والكفر .

وذهب أهل السنة إلى أن الإيمان تصديق، وقول، وعمل، فمن ترك التصديق فهو منافق ، ومن ترك العمل فهو عاص، ومن ترك القول جحودا فهو كافر، وإن تركه عجزا أو جهلا فهو معذور .

والأولى من بينها ما ذهب إليه أهل السنة من أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد شرعا، وأنهما مع الإخلاص، والاتقان ، والإحسان هما الدين الذي جاء جبريل عليه السلام ليعلمهم إياه.

فالإيمان في اللغة هو التصديق، والإسلام هو الاستسلام، والإحسان هو الاتقان، والدين يشمل كل ذلك، فلكل من الإيمان، والإسلام، والإحسان حقيقة لغوية، وحقيقة شرعية، إلا أن كل واحد من الثلاثة مستلزم للآخرين ، فالمؤمن المصدق لا يكون مؤمنا إلا إذا أقر وعمل ، والمسلم المستسلم لا يكون مسلما إلا إذا اعتقد، ولذلك جاز إطلاق أحدهما على الآخر، ولا يبلغ أحدهما درجة الكمال إلا بالإحسان.

ولذلك قال أهل السنة: تختلف دلالة الإسلام والإيمان إذا افترقا في كلام واحد كما في الحديث ، وحين إفراد أحدهما يدخل الآخر فيه .

والإيمان تصديق، وقول، وعمل يزيد وينقص، فعن عدي بن عدي قال : كتب إلي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه **(أما بعد فإن للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان)** (١)

وجمهور العلماء على أن الإيمان يزيد وينقص بالأدلة والبراهين، والعمل، إلا أن أصل الإيمان ثابت ، وأدناه قول " **لا إله إلا الله** " .

يقول الإمام النووي: إن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر، وتظاهر الأدلة ، ولذلك كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم، بحيث لا تعتريهم الشبه ، ولا يتزلزل إيمانهم بعارض ... ولا يتشكك عاقل في أن إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا يساويه إيمان غيره .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الإيمان والرؤيا، حديث : ٢٩٨٣٠.

(أشراطها) أي: علامات الساعة التي تعرف بها، وتؤذن بقرب وقوعها، وأشراط جمع شرط، ووزنه أقلام ، ومفرده شرط بفتح الراء .

(إذا ولدت الأمة ربها) أي: إذا ولدت المرأة سيدها ومالكها، **ولذلك صور عدية : -**

- كثرة السراري فتلد الأمة ولدا يكون سيدها .
- كثرة الحروب والسبي، وتتحول السبايا إلى أمهات أولاد .
- كثرة العقوق فيعامل الولد أمه معاملة السيد لأمته .

(رعاة الإبل البهم) البهم أي التي لا شية فيها – إن كانت وصفا للإبل ، أو السود – أو المجهولون – إن كانت وصفا للرعاة – .

(ثم أدبر) أي ذهب وترك المكان بعد أن استمع للإجابة .

(فقال: ردوه فلم يروا شيئا) أي قال النبي ﷺ : " ردوا الرجل إلي" فنظروا ناحية الرجل فلم يروه، فتعجبوا من ذلك .

فقال النبي ﷺ : **(هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم)** أي عرفهم النبي ﷺ أن السائل هو جبريل عليه السلام ، فقد أرسله الله تعالى بهذه الصورة حتى يعلم الناس دينهم بأسئلته .

وتعليم الإسلام كان بأجوبة النبي ﷺ، وأسنده ﷺ إلى جبريل عليه السلام لظهور أهمية السائل والسؤال في العملية التعليمية، ولبيان أهمية كيفية عرض السؤال، لأنه نصف الإجابة إذ اكان واضحا متصلا بالموضوع، ومعلوما للناس، ولتوضيح أحد وسائل الدعوة إلى الله تعالى .

-ج-
البيان التحليلي للحديث

الحديث بنصه هذا هو رواية أبي هريرة ﷺ كما جاء في صحيح البخاري، ولم يختلف لفظ مسلم عن لفظ البخاري إلا في ألفاظ قليلة .

وقد جاء جبريل عليه السلام في صورة رجل لا يعرفه أحد من الصحابة ، فلا أثر للسفر على مظهره، ومخبره ، وليس هو من أهل البوادي ، فقد تميز بالحسن والبهاء، ودقة الأسئلة ، وحسن الاستماع والتلقي .

وكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ بصور شتى، ومنها مجيئه في صورة رجل غريب ليكون أدعى للاهتمام به، وأقوى في الانتباه حتى يقف المستمعون على أسئلة السائل ، واجابة الرسول ﷺ عليه .

وقد بين آخر الحديث أن الرجل السائل هو جبريل عليه السلام الذي جاء ليعلم الناس دينهم ، وقد جاء الوحي بهذه الصورة لأمرين :

الأمر الأول : أن المستمع للسؤال والجواب يكون أقوى انتباها ، ويقظة ، فيستفيد بما يسمع ويعقل .

الأمر الثاني : أن الصحابة رضوان الله عليهم – قد أكثروا من السؤال على رسول الله ﷺ، وشعر الرسول ﷺ منهم بالتعنت حتى احمر وجهه، فنزل قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾(١) .

فكف الصحابة عن السؤال، وكانوا يتمنون أن يأتي الرجل من غيرهم ليسأل رسول الله ﷺ عن أمور يتمنون معرفة أجوبتها، فأرسل الله تعالى جبريل عليه السلام ليسأل عن أمور الدين ليتعلموا .

---

(١) سورة المائدة الآية : ١٠١ .

وقد اتبع جبريل عليه السلام سلوك طالب العلم، وأدبه، فأتى مجلس رسول الله ﷺ واستأذن في التخطي والدنو منه ﷺ، فعن أبي هريرة ، وأبي ذر رضي الله عنهما قالا : **(... وانا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه، إذ أقبل رجل أحسن الناس وجها ، وأطيب الناس ريحا ، كأن ثيابه لم يمسها دنس ، حتى سلم في طرف البساط فقال : السلام عليك يا محمد ، فرد عليه السلام .**

قال : أدنو يا محمد ؟

قال ﷺ : " ادنه " .

فما زال يقول : أدنو مرارا ، ويقول له ﷺ : " ادن " حتى وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ ، قال : يا محمد ، أخبرني ما الإسلام ؟...) (١) .

وقد اهتم الصحابة بمتابعة الرجل، فهو ليس من أهل المدينة ، ولم يظهر عليه أثر السفر، وقد سلك أدب الخطاب على غير عادة البدو، فاستأذن، ودنا، وجلس.

والظاهر أن رسول الله ﷺ كان يعرف أن الرجل هو جبريل عليه السلام من البداية ، بدليل قوله ﷺ كما جاء عند البخاري : **(هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم)**، وقد أوضح النبي ﷺ للصحابة وهم في نفس المجلس بعد انصراف الرجل أن السائل هو جبريل عليه السلام ، وقد أرسله الله تعالى ليعلم الناس أمور دينهم .

ولا يمنع أنه ﷺ أخبر عمر رضي الله عنه بهذا الرجل بعد ثلاث ليال ، لأن عمر رضي الله عنه ترك مجلس رسول الله ﷺ قبل أن يخبر ﷺ الصحابة بأن السائل هو جبريل عليه السلام ، ولذلك أخبر عمر رضي الله عنه بأنه جبريل عليه السلام بعد ثلاثة أيام ، لأنه

---

(١) السنن الصغرى - كتاب الإيمان وشرائعه، صفة الإيمان والإسلام - حديث : ٤٩٢٩.

غادر المجلس قبل أن يبين رسول الله ﷺ أن الرجل هو جبريل عليه السلام ، فقد جاء في رواية عمر رضي الله عنه : **(ثم قال عمر: فلقيني النبي ﷺ بعد ثلاث ، فقال: " أتدري من الرجل ؟ "**

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال ﷺ : " ذاك جبريل ، أتاكم يعلمكم معالم دينكم) (١).

وقد بدأ جبريل عليه السلام في هذا الحديث بالسؤال عن الإيمان، لأنه أساس الدين، ومنطلق الأقوال، والأعمال الظاهرة، وقد عرفه النبي ﷺ بمتعلقات الإيمان التصديقية، ثم سأله عن الإسلام، وعن الإحسان، وعن الساعة، فقسم الدين إلى موضوعات، وجعل لكل منها عنوانا خاصا، مع أنها جميعا تئول على أمر واحد هو دين الله عز وجل لبيان منهج تربوي تعليمي، يتعامل مع طاقات الإنسان وقدراته، ويعلمه الدين شيئا فشيئا، ولذا كان السؤال الأول عن الإيمان

وقد أجاب النبي ﷺ بأن الإيمان هو التصديق اليقيني بوجود الله تعالى ، وبكافة صفاته الواجبة، فقال له : أن تؤمن بالله ، وأن تؤمن بملائكته الذين يملأون الكون حركة وطاعة، ويحملون كلام الله تعالى إلى الناس، فقال له : **(وملائكته)** .

وأن تؤمن بالكتب المنزلة على رسل الله – عليهم السلام– الذين اصطفاهم الله تعالى، وكلفهم بالرسالة، وأمرهم بالتبليغ ، فقال له : **(وكتابه ورسله)** .

وأن تؤمن بالبعث واليوم الآخر، فقال : **(وبلقائه وبالبعث الآخر)**، وأراد باللقاء الموت، وبالبعث الآخر : الإحياء من القبور للحساب والجزاء .

ثم سأل جبريل عليه السلام **بعد ذلك عن الإسلام ما هو ؟**

---

(١) سنن ابن ماجه – المقدمة، باب في الإيمان – حديث : ٦٢.

فقال ﷺ : الإسلام هو :

١) **(أن تعبد الله ولا تشرك** به) أي : أن يجعل المسلم العبادة لله وحده، وأن ينوي بكل أعماله وجه الله تعالى ، وأن يجعل عمله كله عبادة لله تعالى، سواء منه ما حدده الشارع وأمر به ، أو لم يحدده الشارع مقتصرا على المبادئ الكلية، والقواعد العامة لتحقيق معنى قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ (١) .

٢) **(وتقيم الصلاة)** أي : أن يؤدي المسلم الصلاة المفروضة كاملة تامة، مع المحافظة على أركانها، وشروطها، وخشوعها، وخضوعها، يقول الله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾(٢)، ويقول ﷻ : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (٣) .

٣) **(وتؤدي الزكاة المفروضة)** أي: وتخرج الزكاة التي فرضها الله تعالى، وألزم الأغنياء بإخراجها من أموالهم بشروط خاصة .

٤) **(وتصوم رمضان)** أي : وتصوم شهر رمضان الذي أنزل الله تعالى فيه القرآن الكريم، يقول ﷻ : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾(٤) .

فإن قيل : لم لم يذكر النبي ﷺ الحج مع الصلاة ، والزكاة، والصوم؟

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١٦٢ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٣٨ .

(٣) سورة النساء الآية : ١٠٣ .

(٤) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .

أقول : لم يكن شرع الله بعد، أو أنه ﷺ تركه للعلم به ، ووضوح أنه فرض على المستطيع وحده، وقد يتكرر هذا الحال في الدعوة والتعليم ، كما وقع في أحاديث رسول الله ﷺ .

ثم سأل جبريل عليه السلام عن الإحسان فقال له ﷺ : **(أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** أي : أن يعبد المسلم ربه بدقه واستغراق ، يشمل الباطن والظاهر حتى يخلو الفهم، والذكر، والعمل لله وحده، ويهيم العقل في مشاهدة الحق كأنه يراه بعينه ، ويعبد الله تعالى في إطار هذا الإدراك، وأن يستحضر إطلاع الله عليه، لأنه يعلم أحواله، ويسمع قوله ، ويشاهد عمله، **وشعور المسلم بربه في عبادته يقع على مقامين:-**

الأول : في قوله ﷺ : (أن تعبد الله كأنك تراه) .

الثاني : في قوله ﷺ : (فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

والمقام الأول : يصون عمل المسلم، ويظهره كأنه يتيقن من علم الله له ، وأنه معه، وأنه مطلع عليه في سره وعلنه، وذلك يصرفه عن المعاصي، ويحببه في الطاعات، ويزهده في المباحات، فإن الولد إذا وجد أباه ينظر إليه ويراقبه لا يخالف أمره ، ويطيعه، ويتجنب الأمور العادية المباحة خوف المخالفة حتى لو لم يكن أبوه معه .

والمقام الثاني : يبين أن كل عمل يقوم به الإنسان مدون عليه ، محاسب به، واذا ما تيقن المسلم من ذلك فإنه يحرص على اتقان العمل وتحسينه (١).

ليجزي عليه خيرا في الدنيا والآخرة، ولا يستبقي شيئا من الخضوع والإخلاص وحفظ القلب والجوارح، ومراعاة آداب العبادات ليقبل على الطاعة والاستسلام

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، ج١ ص ١٥٧ .

يقول الإمام النووي: المعنى أنك إنما تراعي الآداب المذكورة إذا كنت تراه ويراك لكونه يراك، لا لكونك تراه، فهو دائما يراك، فأحسن عبدته وان لم تراه .

وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين، وهو عمدة الصديقين، وبغية السالكين، وكنز العارفين، ودأب الصالحين، وهو من جوامع الكلم التي أوتيها ﷺ، وقد ندب أهل التحقيق إلى مجالسة الصالحين ليكون ذلك مانعا من التلبس بشيء من النقائص احتراما لهم، واستحياء منهم، فكيف بمن لا يزال الله مطلعا عليه في سره وعلانيته ؟ (١) .

ثم سأل جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ عن موعد قيام الساعة، فاطرق النبي ﷺ مليا، ثم قال له : **(ما المسئول عنها بأعلم من السائل)** ، أي أنا وأنت متساويان في عدم العلم بوقت وقوع يوم القيامة، وقد أطرق الرسول ﷺ مليا قبل الإجابة لينتبه الصحابة على الإجابة، لأنهم سألوا عنها كثيرا، وكانوا على شوق لمعرفتها، فتمهل الرسول ﷺ في الإجابة ليجمعوا اهتمامهم، ويعرفوا مطالبهم ، ويتركوا السؤال عن الساعة بعد ذلك .

وقد أكد رسول الله ﷺ في إجابته عدم علمه بموعد قيام الساعة، لأنها أحد الأمور الخمسة التي استأثر الله تعالى بعلمها، وهي التي جاءت في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ٣٤ ﴾ (٢) .

ثم قال ﷺ: **(وسأخبرك عن أشراطها)**، أي: وسأحدثك عن علاماتها وأماراتها.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص ٢٠٠ .

(٢) سورة لقمان الآية : ٣٤ .

وعلامات الساعة على نوعين :

علامات صغرى: وهي متنوعة، وقد ظهر كثير منها، ومنها رفع العلم، وظهور الجهل، وكثرة الزنا، وشرب الخمر، والجهر بالمعاصي ... إلخ .

وعلامات كبرى: وهي العلامات التي تظهر قبيل وقوع يوم القيامة، مثل : طوع الشمس من مغربها، ونزول عيس بن مريم عليه السلام، وظهور المسيح الدجال ، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وهذه لم تقع بعد .

وقد تحدث النبي ﷺ في الحديث عن بعض الأمارات الصغرى فذكر منها :-

١- **(إذا ولدت الأمة ربها)** والمعنى الراجح: أن يكثر العقوق في الأولاد، فيعاملوا أمهاتهم معاملة السيد لأمتهم بالإهانة، والسب، والضرب، والاستخدام .

٢- **(وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان)** أي إذا تفاخر أهل البادية رعاة الإبل والشياه بكثرة الأموال، ورفعة البنيان، فقد قربت الساعة .

والمقصود الإخبار عن تبدل الحال بأن يستولي أهل البادية على الأمر، ويتملكوا على البلاد بالقهر ، فتكثر أموالهم ، وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان، والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذا الزمان ، ويؤكد هذا قول النبي ﷺ :

- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع)** (١) .

---

(١) سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح، أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ ، حديث : ٢١٨٦.

- وعن أبي هريرة ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : (...، **إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**)(١) .

وقد جاءت الاية التي ذكرها رسول الله ﷺ مشتملة على أمور خمسة :

ثلاثة منها جاءت بصيغة الإثبات، وهي : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾.

واثنتان منها جاءت بصيغة النفي، هما : ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ﴾ .

وقد تنوعت صيغة الخبر في الآية للمبالغة والتعميم، إذ الدراية اكتساب علم الشيء بحيلة، فإذا انتفى الإدراك عن النفس مع كون الإدراك من مختصاتها كان عدم اطلاعها على علم ما لا حيلة لها فيه من باب أولى، فكان نفي الإدراك تأكيد لنفي الثلاثة الأول .

فإن قيل : الحديث يفيد الحصر في خمسة أمور، ولا حصر في الآية .

فكيف يكون الحصر في الآية ؟

أقول : جاء الحصر في الآية في تقديم الظرف﴿ عِندَهُۥ ﴾ وفي بيان أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن الغيب فأجابهم عنها، ومن المعلوم أن الحديث في الأمور العظيمة الشأن، الرفيعة القدر، يفيد الحصر على سبيل الكناية، وكأنه لا عظمة في غيرها ، وأن غيرها راجع إليها .

وبعد انتهاء الحديث ولى الرجل ولم ير أحد طريقه، فقال النبي ﷺ **(ردوه، فلم يروا شيئا)** ولم يعرفوا أين ذهب .

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة - حديث : ٦١٤٠.

فقال النبي ﷺ : **(هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم)**، فقد علم حقيقة السائل حين ذهب واختفى، واسناد التعليم إلى جبريل عليه السلام مجازي، لأن رسول الله ﷺ هو الذي أجاب، ووضح، وعلم، وأيضا فإن السؤال هو سبب الجواب، وقد قالوا : فهم السؤال نصف الإجابة .

وانما أسند الرسول ﷺ التعليم إلى جبريل عليه السلام، لأنه كان يسأل عن الأمور التي يحتاجها الناس، فهو ﷺ عالم بها، وما كان سؤال جبريل عليه السلام إلا لتعليم الناس، ولذلك كان يسأل عن الأمر، ويؤكد صدقه، وقد تعجب الصحابة من ذلك .

يقول القرطبي : إنما تعجب الصحابة من ذلك لأن ما جاء به النبي ﷺ لا يعرف إلا من جهته ﷺ ، وليس هذا السائل ممن عرف بلقاء النبي ﷺ قبل ذلك، ولا بالسماع منه ، ثم هو يسأل سؤال عارف بما يسأل عنه، لأنه يخبره بأنه صادق فيه ، فتعجبوا من ذلك تعجب المستبعد له ، وقال بعضهم لبعض كما في رواية **(قلنا : انظروا كيف يسأله وانظروا كيف يصدقه)** (١)

ـ د ـ

المعنى العام للحديث

في أخريات حياة النبي ﷺ رغب الصحابة في معرفة تحدد لهم عناصر الدين، وتشتمل على كافة جوانبه، فحقق الله تعالى لهم أملهم، وأرسل إلى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام في صورة رجل، وأخذ يسأل النبي ﷺ أمام أصحابه عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، والساعة، فأجابه ﷺ ، وعرفه

---

(١) مستخرج أبي عوانة – مبتدأ كتاب الأحكام، باب السنة في الداخل على الإمام إذا جلس للحكم أن يقف – حديث : ٥٢٠٣.

بالقضايا التي يحتاج إليها الصحابة ليعلموا دينهم، ويدركوا جوانبه النظرية والعملية، والتحسينية، ويخلصوا عبادتهم لله تعالى ، ليفوزوا بالجنة التي قرب مجيئها وقد أخفاها الله تعالى عن الناس ليكونوا على استعداد دائم لها .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في الحديث

يتضمن حديث الباب عددا من ركائز الدعوة والإيمان أهمها ما يلي :-

الركيزة الأولى
تحديد الصورة الإسلامية
في حياة الناس العملية

أنزل الله دينه، وكلف رسوله ﷺ بتبليغه للناس، ومكث رسول الله ﷺ يدعو له ثلاثا وعشرين سنة في تتابع، تتوافق فيه تعاليم الإسلام مع استعداد وطاقات المدعوين .

فبدأت الدعوة في مكة قبل الهجرة بنشر العقيدة الصحيحة، وتوضيح أركانها، وايراد الأدلة العديدة المثبتة لها ، وبيان المسار التاريخي للبشر مع العقيدة الدينية في أطر رسالات الله للناس .

فلما بدأت الهجرة إلى المدينة أخذت أحكام الشريعة في الظهور، وأخذ المسلمون يعيشون بالنظم الدينية التي نزلت أحكامها في المدينة، وتطور التنزيل واستمر حتى تم الدين، وكملت النعمة، وظهر الدين شاملا لكل جوانبه

وعند قرب نهاية البعثة المحمدية جاء جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ يسأله عن أمور تصور الإسلام كله بكافة عناصره النظرية والعملية، فقد روى ابن مندة بإسناده في حديث عمر رضي الله عنه **(أن رجلا في آخر عمر رسول الله ﷺ**

جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال : يا رسول الله أدنو منك ؟ ،..) (١) وسأله في قضايا الحديث المذكورة ، وآخر عمره ﷺ يحتمل أن يكون بعد حجة الوداع، فإنه آخر سفراته ﷺ، وكأنه جاء بعد إنزال جميع الأحكام لتقرير أمور الدين بعناصره كلها .

إن الدين يتكون من عدة عناصر :

العنصر الأول: التصديق بأمور تحتاج إلى التصديق اليقيني، وهي أركان العقيدة التي لابد منها للإسلام الذي لا وجود له إلا باستقرارها في العقل، والضمير، وعلى أساسها يتحدد المسار العملي، والخلقي للإنسان.

العنصر الثاني : إظهار الجوانب العملية التي يلتزم بها كل من صدق بالعنصر الأول، ويعكس الجانب العملي ليلتقي مع الجانب النظري ، فما دام قد آمن، وصدق، واستسلم لله تعالى فواجب عليه أن يعبد الله وحده ، ولا يتخذ شريكا له معه، ويخصه سبحانه بالعبادة المحددة وغير المحددة ، ويتحول الإنسان إلى عبودية خالصة لله تعالى .

العنصر الثالث : اتقان العمل والإخلاص لله رب العالمين ، وليعلم المسلم أن الله يراقبه ، ويحصي عليه عمله كله ، وسوف يحاسبه عليه .

العنصر الرابع: الإيمان بالغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ليعيش الإنسان في حدود الوسع والطاقة، ومن ذلك الإيمان بأن علم وقت قيام الساعة غيب لا يعلمه إلا الله تعالى .

هذه العناصر تكون دين الله تعالى بكماله، وتمامه، ولذلك قال النبي ﷺ: **(هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم)** ، فدل ذلك على أن دين الله تعالى هو

---

(١) الإيمان لابن منده – ذكر ما يدل على أن من الإيمان أن يؤمن العبد بأن، حديث : ١١

مجموع هذه العناصر .

وما يفعله العلماء والدعاة من تقسيم الدين إلى عناصر عديدة للحديث عن بعضها أحيانا دون غيره، فهو منهج تعليمي لتقيم الإسلام، وتعليم الناس.

ونظرا لتقديم الحديث جميع عناصر الإسلام سماه القرطبي " أم السنة " .

يقول القاضي عياض رحمه الله: اشتمل هذا الحديث على جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان ابتداء، وحالا، ومآلا، ومن أعمال الجوارح، ومن إخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال حتى عن علوم الشريعة كلها راجعة إليه ، ومتشعبة منه (١).

والحديث يقدم للدعاة وسيلة دعوية يمكن بها تعليم الناس، وتبليغ دعوة الله تعالى لهم، فهو يتضمن أصول الإسلام، ويفصل حقائقها، ويحدد مسار كل منها في الإسلام ، ودورها في إصلاح الحياة ، واستقامة الإنسان .

الركيزة الثانية
آداب العالم والمتعلم
في تحمل الحديث وروايته

لا يعيش الإنسان وحده، ودائما يحتاج لغيره، ويتعاون معه، وعن طريق هذا التعاون ينتشر العمل، ويستفيد الصغير من الكبير، ويتعلم الجاهل من العالم ، ويستمر الخير بين الناس .

والدعاة إلى الله تعالى هم أحوج الخلق إلى التعاون، ليتمكنوا من توجيه الناس ، وارشادهم، ونصحهم .

والحديث يجلي عددا من الآداب التي لابد منها للدعاة والمدعوين ليعلم الجميع آداب تلقي دين الله تعالى كما نزل من عند الله تعالى .

---

(١) فتح الباري ج١ ص٢٠٦ ، ٢٠٧ .

ومن آداب الداعية : ضرورة التواضع مع المدعوين، وشدهم إلى الحق بحسن الخلق، وعدم الغلظة، والتلطف في العمل، فهذا السائل حين مجيئه إلى رسول الله ﷺ دنا منه حتى لامس ركبتي رسول الله ﷺ ، ووضع يديه على ركبتي النبي ﷺ، فلم ينهه الرسول ﷺ عن ذلك، وانما رحب به، واستمع له ، وأجابه بما ينفعه .

ومن فطنة الداعية : أن يتخير الإجابة التي تفيد السائل في موضوع السؤال، فالرجل سأل عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، فترك الرسول ﷺ التعاريف اللغوية والاصطلاحية المتعلقة بحقيقة الماهية، وعرف كل منها بمتعلقاتها النظرية والعملية، لأن الصحابة بعدما آمنوا وأسلموا أخذوا يسألون عن متعلقات الإيمان، والإسلام، والإحسان، وهي الجوانب التي يحتاجون إليها ولما كان السؤال عن موعد قيام الساعة كانت الإجابة بأن ذلك من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، وزاد ﷺ في الإجابة الحديث عن شرائط الساعة، وعلاماته، ليستعد الناس حين يرونها، ويتوقعوا وقوعها في أي حين .

ومن آداب المعلم : التمهل في الإجابة، ليجول عقل السائل في تصورات عدة، وينبه للإجابة التي تحدد له الموضوع ، فلقد كان النبي ﷺ لا يعاجل الناس بالإجابة، وانما كان يترك فسحة بين السؤال والإجابة ليتنبه المستمعون، ويجمعوا أشتات الفكر والذهن .

ومن آداب الدعوة : قصد ما يفيد السائل، ولذلك أجاب ﷺ السائل بمتعلقات المسئول عنه، لأنه الأكثر فائدة للمستمعين .

ومن آداب المتعلم : أن الرجل استأذن من النبي ﷺ قبل الدخول والدنو فأذن له .

ومن آداب الدعوة : تجزئة السؤال، ليتم شيئا فشيئا، وانتظار الإجابة عن كل أمر بنفس الصورة ، وعلى هذا كانت الأسئلة والأجوبة في الحديث .

ومن الآداب: أن الرجل ظل في أسئلته ، وسماع الأجوبة بلا مقاطعة ولا اعتراض، بل كان يصدق بكل ما يسمع للإشارة إلى موافقة الإجابة للفطرة العقلية .

ومن حسن الدعوة : أن النقاش كله دار مع رغبات الناس، وحاجاتهم .

الركيزة الثالثة

الاستفهام منهج دعوي لدين الله تعالى

الدعوة إلى دين الله تعالى أمانة حملها الدعاة إلى الله تعالى، وقد أنزل الله الوحي تفهيما لدينه، وارشادا إلى طرق الدعوة إليه .

ومن وسائل الدعوة التي بينها حديث الباب: **وسيلة الاستفهام،** وهي أسلوب حواري يقوم بالسؤال والجواب حول موضوع ما، حيث يحدد السؤال موضوع الحوار، وتحدد الإجابة عناصر الموضوع التي تحتاج للكشف والبيان .

ويتعدد السؤال ، وتتعد صيغه ، فقد يكون السؤال للتقرير ، أو للإبتكار، أو للتعجب، أو للنفي، أو لغير ذلك .

وقد يكون عن الحقيقة والماهية، أو عن الجوهر، أو عن العرض ولذلك حسن الاستفادة به في الدعوة إلى الله تعالى .

إن السائل قد يسأل لحاجته إلى المعرفة، وقد يسأل في أمر ليعرفه الأخرون، وكان الصحابة – رضوان الله عليهم– يتمنون سائلا من الأعراب يقدم على رسول الله ﷺ ليسأله في أمر يتمنونه .

وفي العصر الحديث اهتم علماء الاتصال بهذا المنهج التعليمي لأهميته، فأكثروا من العمليات الحوارية .

وتوصل العلماء إلى علم عرف بعلم " **فن المناقشة** " له موضوعه، وقواعده، وصورته العملية تكون في اجتماع عدد من المدعوين في لقاء معد له، وسؤالهم في بعض القضايا الهامة، واجراء مناقشات حولها، وبذلك يعرفون الموضوع من كافة جوانبه، ويشتركون في التوصل إلى تصور كامل لموضع المناقشة ، واتخاذ قرار فيه .

إن منهج الاستفهام في الدعوة لا يقصي أحدا ، ويقدر كل فكر، ويعدل مسار أي عملية دعوية برضى المدعوين ، وادارة الدعاة، ورغبة الجميع في الوصول للحق في الموضوع المعروض للحوار .

ويحسن بالدعاة أن يستفيدوا بالحوار، والسؤال، والتمهيد بإشراك الجميع في إبداء رأيهم خلال الحوار، وفتح جوانب الموضوع من كافة احتمالاته خلال المناقشة .

وكثيرا ما دار الحديث بين رسول الله ﷺ وبين صحابته الكرام بهذا المنهج، وحديث الباب دليل على ذلك .

إن عقد المسابقات التعليمية والدعوية، وربطها بإجابات المشتركين فيها، وتوجيه الأسئلة نحو التعريف بدين الله تعالى يوقظ الهمم نحو البحث والمعرفة

والدعوة بالاستفهام له فنون كثيرة ، وصور شتى ، تلتقي كلها في فهم الموضوع ، وكشف خفاياه، والوصول إلى تصور يسلم به جميع المحاورين .

الركيزة الرابعة

جوانب الإيمان في الحديث

يوضح الحديث كثيرا من جوانب الإيمان ... أهمها : -

الجانب الأول: الخلوص في عبادة الله تعالى وحده، والتوجه الصادق لوجهه سبحانه في كل عمل، والإخلاص له في السر والعلن .

وقد فهم البعض من قوله ﷺ : **(فإنه يراك)** إمكانية أن يرى المسلم ربه بعينه في الدنيا، وهذا أمر مردود، لأن الله تعالى في الدنيا يرى بآثاره، وقدرته، ولذلك لما طلب موسى عليه السلام رؤية الله تعالى حين قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ ﴾ رد الله تعالى عليه بقوله ﷻ : ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾(١) ، أي إن رؤية الله تعالى في الدنيا تكون برؤية عجائب قدرته في خلقه، أما في الآخرة ، فإن المؤمنين يرون ربهم، يقول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣ ﴾(٢) ، ويقول ﷻ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ ﴾(٣)، يقول المفسرون الحسنى هي دخول الجنة، والزيادة هي رؤية الله تعالى .

والسعداء في الآخرة هم الذين يرون ربهم حين يتجلى عليهم وهم في جنات النعيم .

الجانب الثاني: الإيمان بوجود الملائكة، وأنهم يتشكلون بأشكال حسنة كما يريد الله تعالى لهم .

الجتانب الثالث : الإيمان بقيام الساعة، وبأن وقتها غيب لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، وأن المعاصي والفساد ستنتشر قبيل قيامها ، وقد جعل الله تعالى لها علامة تشير إلى قرب وقوعها .

إن هذه الجوانب جلية في الحديث ، والإيمان بها واجب ، فهي من أركان الإيمان وأساسياته .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٤٣ .

(٢) سورة القيامة الآيتين : ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) سورة يونس الآية : ٢٦ .

الجانب الرابع : الإيمان بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى على مختلف صوره ، وهذا الجانب ضرورة للإيمان ، لأنه يوضح محدودية الإنسان أمام علم الله الشامل، وعجزه وهو يعلم بعض الجزئيات دون بعضها التي لا يقدر عليها .

إن الإنسان لا يقدر على علم شيء غاب عنه زمانا، أومكانا، أو تصورا.

والإيمان بعلم الله المطلق يؤكد إيمان العبد بالله ﷻ ، وتسليمه الأمر لربه العظيم .

-و-

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يفيد الحديث بعض الفوائد الهامة ... منها :-

١) ضرورة ظهور العلماء للناس، والاستعداد للقائهم، والإجابة على أسئلتهم، ومحاوراتهم .

٢) حاجة نشر العلم، وتبليغ الإسلام إلى التواضع، والتسامح مع الناس، وعدم لومهم على تجاوزاتهم .

٣) ضرورة اهتمام الدعاة إلى الإسلام بإفادة السائل والمستمع .

٤) من الممكن تنظيم حوارات معينة يحتاج الناس إلى معرفتها ، وتعميم فائدتها .

٥) يستحب مجالسة الصالحين ، والعلماء، ففي مجالستهم علم نافع ، وخلق كريم، وسلوك سدسد .

٦) يحسن تفصيل القضايا الكلية، وتوضيحها للناس لشيوع الحاجة إليها .

٧) يجوز السؤال عن القضايا المعلومة تأكيدا لها، وبيانا لمن يسمعها لأول مرة .

٨) ضرورة التزام الأدب في السؤال وفي تلقي الإجابة .

٩) ضرورة تنظيم الإجابة، وتقيم الأهم فالمهم .

١٠) يحسن للعالم ان يتوقف عن الإجابة بما لا يعلمه،ومن قال : لا أدري فقد أفتى .

١١) الإسلام دين شامل يتكون من الإيمان، والإسلام، والإحسان، ويتناول أمور الدنيا، وأحوال الآخرة .

١٢) أهمية الاستفادة بالوسائل والأساليب التربوية في نشر الإسلام ، وتبليغ الدعوة .

١٣) المسلم حريص على العلم بالإسلام، وتطبيقه عمليا .

١٤) السؤال الحسن علم نافع لمن يسمعه، ويعلم إجابته .

١٥) الاهتمام بالعلم ضروري في كل الأحوال والأوقات .

ـ٢ـ

٣ ـ باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام وضرورة الرفق في عرض الإسلام

[٦]،(١) حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ

٤٦ **من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام.**

فقال رسول الله ﷺ: خمس صلوات في اليوم والليلة.

فقال: هل علي غيرها ؟

قال ﷺ: لا، إلا أن تطوع .

قال رسول الله ﷺ : وصيام رمضان .

قال: هل علي غيره ؟

قال ﷺ: لا إلا أن تطوع .

قال، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة .

قال هل علي غيرها ؟

قال لا إلا أن تطوع .

قال (الراوي) فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص

قال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق) (١)

ـأـ

موضوع حديث الباب

بين الحديث فرائض الإسلام المحددة، ومصير من يكتفي بالفرائض دون غيرها من السنن المباحة .

---

(١) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٣٤ باب الزكاة من الإسلام

-ب-
الدلالات اللغوية لحديث الابب

يقول طلحة ﷺ : **(جاء رجل إلى رسول الله ﷺ)** أي لم يذكر طلحة بن عبيد الله ﷺ اسم هذا الرجل في روايته، إلا أن القاضي عياض ﷺ ذكر أنه " **ضمام بن ثعلبة السعدي** ﷺ" ، اعتمادا على إيراد مسلم لقصة "ضمام" عقب هذا الحديث في صحيحه، فرأى القاضي عياض أن الرجل هو "ضمام"، وأن الحديثين تناولا قصة واحدة لرجل واحد .

(من أهل نجد) أي إن الرجل جاء إلى رسول الله ﷺ في المدينة المنورة من نجد.

ومعنى نجد: الأرض المرتفعة، وهي تشمل الأماكن الواقعة شرق جبال تهامة الممتدة شرقا من الحجاز حتى بلاد العراق غربا، ومن اليمن جنوبا حتى بلاد الشام شمالا .

(ثائر الرأس) أي منتفش شعر الرأس، متفرقه لبداوته، وعدم اهتمامه بترجيل رأسه كعادة أهل البادية .

وفي الحديث إشارة إلى أن الرجل جاء لغاية معينة لم يقصد سواها، فلم ينسق شعر رأسه، ولم يغير بداوته .

(يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول) أي نسمع صوته الشديد العالي المتكرر، ولا ندرك معناه لبعده وتكراره، فهو كدوي النحل يظهر صوتا، وله طنين، ولا يتضح له معنى .

(حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام) أي استمر الرجل على حاله ، ينادي من بعيد، ويعلي صوته، ويكرره، ولم يظهر له معنى حتى اقترب من رسول

الله ﷺ فبان سؤاله، وظهر معنى كلامه ، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فأجابه ﷺ عن سؤاله .

قال له ﷺ : **(خمس صلوات في اليوم والليلة)** ظاهر إجابة الرسول ﷺ مغايرة لسؤال الرجل، فليست الصلوات الخمس وحدها هي الإسلام، وسؤال الرجل عام يشمل السؤال عن المفهوم اللغوي، وعن الحقيقة والماهية، وعن متعلقات الإسلام المختلفة ، ويبدو أن الرجل كان يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنه جاء يسأل عن شريعة الإسلام ، فأجابه الرسول ﷺ عن ما سأل ، ففي رواية البخاري أن الرجل قال : **(يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة ؟...)** (١) ، وبذلك تكون الإجابة مساوية للسؤال .

(لا إلا أن تطوع) قال ذلك رسول الله ﷺ بعدما حدد له فرائض الصلاة والصوم والزكاة ، وسأل الرجل رسول الله ﷺ عن ماذا عليه غير الفرائض؟ والمعنى ليس عليك غيرها إلا إن تتطوع بغيرها .

ثم قال النبي ﷺ لأصحابه : **(أ ُفلح إن صدق)** أي فاز، وظفر ، ونال البغية إن صدق في قوله ، وحافظ على أداء الفرائض المذكورة ، وبذلك يكون تطابق القول، والفعل صدق عملي يحقق للرجل إن حافظ عليه .

-ج-
البيان التحليلي للحديث

مجيء الرجل إلى رسول الله ﷺ من بادية نجد لمعرفة تعاليم الإسلام دليل دخوله في الإسلام قبل ذلك، وشاهد على اهتمامه بمعرفة ما عليه بعد إسلامه، وقد ظهرت بداوة الرجل في مظهره، ومسلكه، فلقد كان منتقش الشعر

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الصوم، باب وجوب صوم رمضان - حديث : ١٨٠١.

الرأس، عليه أثر السفر ، وقد أخذ ينادي رسول الله ﷺ من بعيد، ويرفع صوته، ويكرره حتى خفى معناه على المسلمين ، وصار مثل دوي النحل صوتا يدوي بلا معنى ، فلما اقترب من رسول الله ﷺ ظهر أنه يسأل عن الإسلام ، ودلت إجابة النبي ﷺ له على أنه كان يسأل عن شرائع الإسلام العملية، فوضحها له رسول الله ﷺ واحدة واحدة ، وبين له رسول الله ﷺ أنه عليه المحافظة على أداء خمس صلوات في اليوم والليلة، وذكر له أنها هي الفرض، وليس عليه غيرها إلا إذا تطوع .

وبين له ﷺ أنه عليه صوم رمضان ما لم يتطوع بغيره، وأنه عليه أداء الزكاة المفروضة في الأموال بشروطها، ومقاديرها ما لم يتطوع بأكثر منها.

فانصرف الرجل من مجلس رسول الله ﷺ وهو يقسم بالله ويقول : " **والله لا أزيد على هذا ولا أنقص**" .

فقال النبي ﷺ : " **أفلح إن صدق** " : أي فاز واستحق الجنة إن صدق في قوله ، وحافظ على أداء ما فرض عليه من عبادات شرعية .

ونلاحظ ان الرجل لم يسأل عن الحج ، ولم يبين الرسول ﷺ له حكمه، بسبب أن الحج لم يكن شرع بعد ، أو أن الرسول ﷺ ذكره واختصره الرواة للعلم به ، وهو الأظهر .

يقول النووي في شرح صحيح مسلم : " واعلم انه لم يأتي بهذا الحديث ذكر الحج ، ففي أحاديث أخرى لم يذكر الصوم، وفي غيرها لم يذكر الزكاة، ... ويذكر سبب ويوضحه كما جاء في قول القاضي عياض رحمه الله (١) .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام ج١ ص١٦٧ .

يقول القاضي عياض رحمه الله: " ليس هذا باختلاف صادر عن رسول الله ﷺ، بل هو من تفاوت الرواة في الحفظ، واقتصار بعض الرواة على بعض دون بعض اكتفاء بما جاء به الثقات، وما كان اقتصار الراوي واهتمامه ببعض ما جاء به إلا لحاجة المسلمين إلى ما ذكره وأبرزه، وما ذكره الثقات ثابت لا يرد.

ألا ترى الوالد ينصح ولده في كل موقف لما هو في حاجة إليه، وقد كان النبي ﷺ ينصح كل سأل بما يناسبه مثل قوله ﷺ :

- **(لا تغضب)** (١) .
- **(قل ربي الله ثم استقم)** (٢).

وفي الحديث ملاحظات :

الملاحظة الأول : بيان حكم من تطوع بعبادة ما، وهل تجب عليه بمجرد التطوع، أم تبقى مسنونة له أن يفعلها أو يتركها ؟

قد اختلف العلماء والفقهاء في هذه المسألة :

فذهب الحنفية، والمالكية إلى أن الشروع في التطوع يوجب أدائها بدليل الاستثناء من النفي، وهو استثناء متصل يثبت الوجوب لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾(٣) .

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن التطوع بعبادة لا يوجبها بدليل أن النبيﷺ كان أحيانا ينوي صوم التطوع ثم يفطر ، وقد روى البخاري أن رسول الله ﷺ قد أمر جويرية بنت الحارس رضي الله عنها أن تفطر يوم الجمعة بعد أن شرعت فيه(١) .

---

(١)صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب - حديث : ٥٧٧٠.

(٢)صحيح ابن حبان - كتاب الحظر والإباحة، باب ما يكره من الكلام وما لا يكره، حديث : ٥٧٧٦.

(٣) سورة محمد الآية : ٣٣ .

فعن جويرية بنت الحارث ﵂ **(أن النبي ﷺ، دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فقال : " أصمت أمس ؟**

قالت : لا .

قال ﷺ : " تريدين أن تصومي غدا ؟

قالت : لا .

قال : " فأفطري) (٢)

الملاحظة الثانية: أثبت النبي ﷺ الفلاح للرجل إن حافظ على الفرائض ، ولم يتكلم الرسول ﷺ عن السنن، والمنهيات ، فكيف ذلك ؟

إن الرجل سأل عن شرائع الإسلام ، وهي شاملة للمأمورات والمنهيات، وقد اقتصر الحديث على جزء منها في هذا الحديث ، وبينت الروايات الأخرى سائر المأمورات والمنهيات.

وقد دل الحديث على أن المتمسك بالفرائض وان لم يفعل سواها ناج عند الله تعالى .

وليس من الأحاديث ما يفيد عدم زيادة الطاعة، ولم يذكر أن ارتكاب المنهيات لا شيء فيه، بل إن الأحاديث في جملتها تدعو إلى الزيادة في الطاعات على تنوعها، وكثرتها، وتحذر من المعاصي وارتكاب المنهيات، ويبدو أن الرجل حديث عهد بالإسلام، فأمره ﷺ بالفرائض حتى يتعمق الإيمان في قلبه، ويذوق حلاوته، وحين إذ سوف يسعى لزيادة الطاعات والفرار من الذنوب.

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص١٨٢ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة - حديث : ١٩٠٢

الملاحظة الثالثة: جاء في رواية لمسلم عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قوله ﷺ: **(أفلح وأبيه إن صدق)** (١)، وفي ذلك قسم بغير الله تعالى، فكيف ذلك ؟

فقد أجيب عن ذلك بأن الكلام جاء على عادة العرب في تأكيد الكلام وليست قسما .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

دل الحديث على أن المسلمين جعلوا رسول الله ﷺ مصدر معرفة دين الله تعالى، وكانوا يقصدونه لمعرفة الدين والوقوف على أحكامه، وهذا رجل جاء إلى رسول الله ﷺ من نجد، اهتم ببغيته التي جاء من أجلها، ولذلك أخذ يرفع صوته، ويكرره من بعيد، فأثار اهتمام رسول الله ﷺ والصحابة، فلما اقترب من رسول الله ﷺ ظهر ما يسأل عنه، وأدرك الرسول ﷺ أنه يسأل عن شرائعه الإسلام فأجابه عنها ، وعرفها الواجبات الشرعية التي تحقق له الفوز والفلاح، وقد استفاد الصحابة من أسئلة الرجل، وعلموا ما أوجب الله عليهم، وأن محافظتهم على أداء الواجبات يحقق لهم الفوز والفلاح، ودخول الجنة .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في الحديث

يتضمن الحديث عددا من ركائز الدعوة والإيمان ـ أهمها ما يلي :ـ

الركيزة الأولى

الرسول ﷺ أساس الدين ومصدر التلقي

أنزل المسلمون رسول الله ﷺ منزلته، فأحبوه، ووأطاعوه، واستقاموا على ما دعاهم إليه، ووجعلوا طاعتهم لرسول الله ﷺ طاعة لله تعالى.

---

(١) صحيح مسلم – كتاب الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام – حديث : ٣٧

يقول الله تعالى :

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ (١)
- ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٢)
- ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ (٣)

ولذلك اهتم الصحابة بملازمة رسول الله ﷺ ليأخذوا منه الدين كما أنزله الله تعالى، وكانوا يتناوبون على مجالسته حتى لا يفوتهم منه شيئا (٤) .

وحديث الباب دليل شاهد على فعل الصحابة مع رسول الله ﷺ فقد كانوا يلزمونه، ويأتون إليه ليسمعوا الوحي، ويتعلموا الإسلام عندما ينزل على رسول الله ﷺ وبعد أن انتقل الرسول ﷺ إلى ربه بقي الدين محفوظا في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وازداد المسلمون نشاطا في المحافظة على الإسلام بالمحافظة على مصادره، واحاطتها بالدراسة والعمل، حتى صارت في حياتهم منهجا عمليا شاملا لكل جوانب الحياة، وصارت هذه المصادر هي المدد الدائم للعلماء والدعاة وهم ينشرون دين الله تعالى بين الناس، وبقي رسول الله ﷺ هو مصدرهم في التلقي، والبيان، والتبليغ .

وقد لاحظ خصوم الإسلام أهمية القرآن الكريم والسنة النبوية في إحياء الدين، وحياة الناس فعمدوا إلى تشويه القرآن الكريم والسنة بالتأويل الكاذب، وادخال ما ليس منه فيه ، ولذلك وجب على المسلمين عموما، والعلماء

---

(١) سورة النساء الآية : ٥٩.

(٢) سورة النساء الآية : ٨٠.

(٣) سورة النساء الآية : ٦٤ .

(٤) انظر صحيح البخاري – كتاب العلم، باب التناوب في طلب العلم ج١ ص٢٨٤ ، حديث رقم : ٨٩

والدعاة خصوصا العمل الدءوب على صيانة المصادر الإسلامية، وابقاء الرسول ﷺ حيا معهم في أقوالهم، وأعمالهم، ورفض الدخيل، والشبه، والزيوف التي يوجهها أعداء الإسلام للدين، وردها بالتفصيل الدقيق، والحكمة الهادئة ليبقى الدين نقيا كما نزل من عند الله تعالى .

الركيزة الثانية
منهجية الدعوة إلى الله تعالى

يدل حديث الباب على منهج عملي في الدعوة إلى الله تعالى بدلالته على النقاط التالية : -

١- **الترحيب بالمتعلم:** فهذا البدوي القادم من نجد بأخلاق البادية من رفع الصوت، والمنادة من بعيد لم تكن سببا لانصراف الرسول ﷺ عنه، وانما جعلت الرسول ﷺ ينتظره حتى قرب منه، ورحب به، وعامله بخلق كريم، واستمع لسؤاله، وأجابه عما يسأل عنه في رحمة واضحة وتحديد صادق .

٢-**تجزئة الموضوع في السؤال والجواب حين الدعوة :** فقد بين الرسول ﷺ للرجل شعائر الإسلام العملية جزءا جزءا، وهي الصلوات الخمس، وانتظره حتى سأله عن الصوم، والزكاة، فعرفه بها مكتفيا بالفرائض اللازمة، وكان هم الرجل أن يعرف الواجب عليه، فلما عرفها انصرف وهو يأكد أنه سيلتزم بما سمع ولم يزيد عليها .

إن الرسول ﷺ لم يذكر للرجل المنهيات أو المندوبات، واكتفى بذكر الفرائض، لأنه ﷺ كان يعلم أن المحافظة على إقامة شعائر الإسلام

الإساسية يؤدي إلى ما عدها، وكان يعلم أن الرجل حديث عهد بالإسلام فلم يثقل عليه ، ويتركه ليزداد إيمانا ويقبل على الطاعات، والذي يشعر بلذة الطاعة يحرص على كل ما يحققها في حياته، فكل من يذوق الطاعة يعرف قيمة ما أكل ، ومن عرف القيمة رغب في المزيد، ولذلك كان من حسن الدعوة أن يركز الدعاة على قضايا جزئية ليصل بها إلى قضايا كلية، وأن يأخذوا المدعون باليسر والرفق، ويعرفوهم بالإسلام شيئا فشيئا مركزين على التصديق، والفهم، واظهار المنافع والمزايا .

٣- **تهيئة النفوس لطلب الطاعة** : فقد فتح الرسول ﷺ باب العمل للرجل بقوله ﷺ : **(إلا أن تتطوع)** ليعلم أن من الأعمال ما يتطوع به الإنسان، ويقبل به على الله تعالى، وهذا يجعل الرجل بعدما يألف العبادة وهو يؤدي الفرائض يبحث عن الطاعات ليقوم بها، وقد شرع الله تعالى للناس نوافل من نوع ما فرض عليهم.

الركيزة الثالثة
بيان طريق الفلاح والفوز

انصرف الرجل من مجلس رسول الله ﷺ بعدما بين التزامه بما وجب عليه من شريعة الإسلام، فقال النبي ﷺ لأصحابه الذين سمعوا حواره ﷺ مع الرجل: **(أفلح عن صدق)**، ومراده ﷺ بالفلاح تحقيق بغيته، وحصوله على ما يتمنى عند الله من دخول الجنة، والحياة مع الصالحين، ورؤية الله تعالى .

إن الرجل ربما لم يسمع مقالة النبي ﷺ الآخيرة، والصحابة هم الذين استمعوا له ، وفي هذا من الدلالة على أن الرسول ﷺ رغب في تعليم أصحابه الطريق إلى الجنة والقوز في الآخرة .

وبهذا البيان يعرف المسلم الطريق الى الخير وأساسه طاعة الله تعالى والالتزام بتعاليمه ومنهجه .

الركيز الرابعة
تعاون أفراد المجتمع الإسلامي على الحق

يبين الحديث توحيد أفراد المجتمع في الإسلام على غاية واحدة هي العمل لله تعالى، والسعي نحو الفوز بالجنة في الآخرة ، فها هو الرجل البدوي يتحمل مشقة السفر من أجل معرفة ما عليه من واجبات لله تعالى ، وهها هم الصحابة رضي الله عنهم شهود يسمعون ويتعلمون، وها هو الرسول ﷺ بينهم يعلمهم ، ويهديهم، ويبلغهم دين الله تعالى.

ينقل الرواة الحديث بصورته القولية والعملية، وهذه عملية تضع المسلم أمام صورة واقعية، ومشهد متحرك في الصدق، والأمانة، والإخلاص، وفي صورة المجتمع الإسلامي بسموه وعظمته، ... **وتكرار هذه الصورة** أمر مطلوب في حياة المسلمين، فكل من يشغله أمر لا يعرف حكمه عليه أن يلجأ إلى أولي الأمر من العلماء والدعاة، ليعرف الحكم على وجهه، ويتقن التطبيق من العلماء والدعاة، لأن العلماء ورثة الأنبياء، وقد أودع الله تعالى في قلوبهم العلم بالإسلام لدعوة الناس به، وايصال هديه إلى الناس أجمعين .

وعلى الجماعة المسلمة تنظيم المؤسسات الاجتماعية التي تمكن كل إنسان من معرفة الحقيقة، ليحسن القول والعمل، ويعرف الصراط المستقيم الموصل لخيري الدنيا والآخرة .

إن منظمات التنصير في العالم الحديث تعمل على تجهيل المسلمين، ومقاوامتهم تكون بالعلم، والعمل، والفهم، والتطبيق، **فلؤم العدو يحتاج إلى علم البصير**، واخلاصه، وصدقه، وتعاون الجميع على الحق ليفوزوا، ويفلحوا

-و-

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يستفاد من الحديث ما يلي :-

١) جواز وصف صاحب الخبر أو القصة بما كان عليه عند وقوع الخبر تأكيدا للصدق، وتصويرا للواقعه ، ليظهر الخبر مرتبطا بواقعه حتى لو كان في الصورة أمر غير مرغوب فيه .

٢) ضرورة تحمل المشاق للوصول إلى الأمور الهامة ، وكلما كبرت الأهمية كلما احتاجت إلى البذل، والسعي، والتعب .

٣) يحسن التعالم مع الإنسان بخلق كريم، ومحاولة فهم البيئة التي نشأ فيها ، فلربما نشأ في ظروف مغايرة تبدو غريبة في بيئات أخرى .

٤) يشير الحديث على اهتمام الإسلام بالعلم، والعلماء، وتشجع على الرحلة في طلب العلم، ومعرفة أحكام الإسلام ونقل الحديث، والوقوف على الواجبات التي لابد منها لكل مسلم .

٥) قيام المسلم بالفرائض وحدها بكمالها، وتمامها كاف في نجاته وفوزه عند الله تعالى، وما شرعت السنة إلا لجبر نقص، أو لتأكيد قربى، كما أنها تعود الانقياد والطاعة، وشأن المحبوب أن يتصل بمحبوبه ويرتبط به في كل حال .

٦) من الأفضل للدعاة إبراز ما عند المدعوين من محاسن دينه، ومعاشيه، تمهيدا لحثهم على الالتزام بما لم يلتزموا به من أمور الدين.

٧) من حق المسلم أن يتأكد من صدق كل خبر يصل إليه، وأن يعلم دليل ما يؤمر به حتى لا يقع في بدع لا دليل عليها، أو ينقاد لخيال يظنه حقا وهو ليس كذلك .

٨) ضرورة وجوب مرجعية دينية سليمة يرجع الناس إليها لمعرفة ما يجهلونه للوصول إلى الحكم الشرعي لما لا يعلمون حتى لا تنتشر الجهالة ، ويتولى الفتوى إناس لا يخافون الله تعالى ولا يقدرونه حق قدره .

٩) يحتاج السؤال إلى الوضوح، والدقة، وتقوم الإجابة على الإيجاز والتفصيل، فقد سأل الرجل عن الفرض اللازم، فعرفه ﷺ به ، وبين له جواز التطوع بأعمال من نوع المفروض لزيادة الأجر والمثوبة .

١٠) جواز الحلف بغير استحلاف، وقد أقسم الرجل على الاكتفاء بما يوافق الرسول ﷺ على قسمه، وانما أخبر بفلاحه إن صدق في قسمه

١١) يبين الحديث أركان الإسلام بصورة عامة .

١٢) يشير الحديث إلى النظام الإسلامي في الفتوى، فهناك دار الفتوى والمفتي، وموضوعات الفتوى وتلك جوانب لابد من العناية بها وتنظيمها تيسيرا على الناس، وضبطا لنشاطهم، وحياتهم على مفاهيم الإسلام الصحيحة .

-٣-

٥ - باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة وأن من تمسك بما أمر به دخل الجنة

[٧]،(١) ٥٩٨٣ حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ أن رجلا قال : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ؟

فقال القوم: ما له ؟... ماله ؟

فقال رسول الله ﷺ : أرب ما له .

فقال النبي ﷺ : تعبد الله، لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم.

(ثم قال ﷺ): ذرها .

قال (الراوي) كأنه كان على راحلته (١)

[٨]،(٢) ١٣٩٧ حديث أبي هريرة ﷺ أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة قال: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان .

قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا .

فلما ولى، قال النبي ﷺ من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا) (٢)

---

(١)أخرجه البخاري في: ٧٨ كتاب الأدب: ١٠ باب فضل صلة الرحم.

(٢)أخرجه البخاري في ٢٤ كتاب الزكاة: ١ باب وجوب الزكاة.

-أ-
موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مجيء رجل إلى رسول الله ﷺ ليعرف منه الأعمال التي توصله إلى الجنة، وتبعده عن النار، وكانت تلك هي غايته التي جاء يسأل عنها .

-ب-
الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

اشتمل الباب على حديثين جاء في أولهما **(أن رجلا قال)** ، وجاء في الثاني **(أن أعرابيا أتى النبي** ﷺ **)**، وقد عدهما الإمام البخاري روايتين لقصة واحدة، فجعل الحديث الثاني تفسيرا للحديث الأول، واستدل بذلك على أن الحديثين يتناولان الفرائض من الصلاة، والزكاة، فقد وردا في الحديث الأول بلا وصف، وجاءا في الحديث الثاني موصوفين، فوصفت الصلاة بالمكتوبة، والزكاة بالمفروضة .

وتبين الأحاديث أن رجلا من قيس، يقال له : " **ابن المنتفق**"

فعن المغيرة بن عبد الله اليشكري، عن أبيهمم، قال : **(انطلقت إلى الكوفة لأجلب بغالا، قال: فأتيت السوق ولم تقم، قال : قلت لصاحب لي: لو دخلنا المسجد وموضعه يومئذ في أصحاب التمر، فإذا فيه رجل من قيس يقال له: ابن المنتفق وهو يقول : وصف لي رسول الله** ﷺ **وحلي ، فطلبته بمنى فقيل لي : هو بعرفات ، فانتهيت إليه ، فزاحمت عليه ، فقيل لي : إليك عن طريق رسول الله** ﷺ **فقال : " دعوا الرجل أرب ما له)** (١) .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل - مسند الأنصار، من مسند القبائل - حديث ابن المنتفق، حديث : ٢٦٥٣٧

وقيل أن الرجل هو " لقيط بن جهرة ﷺ " وافد بني المنتفق .

(أن رجلا قال يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة) أي إن الرجل تصدى لناقة النبي ﷺ، وأخذ بخطامها ليظل قريبا من النبيﷺ حتى يسمع قوله ﷺ، ويدله على خير ثابت عند الله ﷻ إذا أداه وحافظ عليه دخل الجنة في الآخرة

وبين الحديث الثاني أن الرجل اشترط على نفسه، بقوله **(إذا عملته دخلت الجنة)** .

وقد اندهش الصحابة ﷺ من مجيء الرجل، وسألوا : **(ما له ؟ .. ماله ؟)** أي : أي حاجة له جاء يبحث عنها ؟ ... وقد أكدوا دهشتهم بتكرار تسائلهم .

فقال النبي ﷺ لهم : **(أرب ما له)** أي إن للرجل حاجة ماجاء يسأل عنها، و**(ما)** وصف لـ**(أرب)** ، والضمير في **(له)** يعود على الرجل .

وأخذ النبي ﷺ بعد رده على أصحابه يبين للرجل بعض الشرائع العملية ، وهي عبادة الله وحده، واقامة الصلاة، وأداء الزكاة ، وصلة الرحم .

فقال ﷺ : **(تعبد الله، لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم)** .

والمراد بالصلاة : الصلاة المكتوبة التي أمر الله تعالى بالمحافظة عليها ، وهي خمس في اليوم والليلة .

والمراد بالزكاة : الزكاة المفروضة على الأموال إذا بلغت نصابا، وقد تنوعت الإجابة على السؤال الواحد مراعاة لحال السائل، أو تبعا لظهور المسئول عنه أو خفائه .

وذو الرحم هم: الأقارب، والأهل الذين لهم قرابة وصلة، وهم أعم من المحارم، وصلتهم تكون بالإنفاق، أو بالسلام، أو بالزيارة، أو بالطاعة، أو بالدعاء ، أو بغير ذلك ، مما يعتبره العرف مودة وصلة .

ثم قال الرسول ﷺ في الحديث الأول للرجل بعد ان أجابه على سؤاله : **(ذرها)** أي : دع ناقتي لتتحرك بعد أن علمت الإجابة، وكان الرسول ﷺ على راحلته، ولم ينزل .

وقال بعض المحدثين : إن الرجل كان راكبا على راحلته التي جاء بها، فأمره الرسول ﷺ ن يتحرك بها .

قال الرجل : **(والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا)** أي لما سمع الرجل الإجابة من رسول الله ﷺ أقسم بالله الذي نفسه بيده أنه سيعمل بما بينه له رسول الله ﷺ بلا زيادة عليه .

(فلما ولى) أي: فلما ترك الرجل مجلس النبي ﷺ والصحابة، وذهب بعيدا عنهم ، قال ﷺ : **(من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا)** ، لأنه ﷺ علم من الوحي حال الرجل، فأخبر به، أو أنه ﷺ قدم شرطا لهذا الخبر بقوله ﷺ : إنه إن داوم على فعل ما بينته له دخل الجنة ، كما جاء في صحيح مسلم **(إن تمسك بما أمر به دخل الجنة)** (١) .

وحين ينظر الصحابة إلى هذا الرجل سيرون فيه اهتمامه بمعرفة دينه، واستسلامه لله تعالى، وتمسكه بما سمع من رسول الله ﷺ ، وتبراه من الابتداع ، وتلك كلها أمور يحتاج إليها المسلم ، وهو يعبد الله تعالى .

-ج-

البيان التحليلي لأحاديث الباب

توضح أحاديث الباب الجانب العملي للإيمان الذي يستحق صاحبه به الجنة ، وتبين مدى حرص الرجل المسلم على النظر، والإخلاص، والتزام

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان الذي يدخل به الجنة - حديث : ٤٠.

العمل الصالح الذي يحقق له السعادة، ويقربه من الله تعالى، وما كان للمسلمين إلا طريق واحد يعرفهم بالصراط المستقيم، ويدلهم على الأعمال التي تدخلهم الجنة، وهو رسول الله ﷺ .

فهذا الرجل البدوي يتحمل المشاق، ويأتي إلى رسول الله ﷺ من مكان بعيد، ويزاحم عليه حتى يصل إليه ، ويمسك بخطام ناقته ﷺ حتى يزداد قربا من رسول الله ﷺ ، ولا يفصله الزحام عن رسول الله ﷺ ، فلما وقف أمام النبي ﷺ أخذ يسأله عن عمل يدخله الجنة ويجنبه النار ، ... وهذا يدل على أن الرجل جاء فارغ البال، مستعدا لعمل ما يأمره به النبي ﷺ ، وقد تعجب الصحابة الكرام من سلوك الرجل وامساكه بخطام ناقة النبي ﷺ، وايقافها، وأخذ يسأل، فقال الصحابة في دهشة وعجب : ماذا بالرجل؟ وما الذي يجعله يفعل ما يفعل ؟ وملكت الدهشة جميع الحاضرين .

فقال النبي ﷺ : للرجل حاجة شغلته، فجهد من أجلها ، وجاء ليعرف طريقه فيها .

إنها حاجة هامة تستحق منه أن يسعى، وتوجب علينا أن نعرفها ، ونعرفه بها، إنه يرغب في الفوز بالجنة، ويطلب تحديد الطريق الذي يوصله إليها ، ويبعده عن النار، وهو بذلك رجل أريب، دقيق العقل ، محب للحق ، راج للفوز والفلاح .

وعرفه رسول الله ﷺ طريق الجنة، وهو :

١- **عبادة الله وحده** : وعبادة الله وحده تعني الخضوع لله تعالى، وطاعته في كل أمره ونهيه، والعبادة تشمل أعمال الإنسان كلها، وقد ذكر

النبي ﷺ معها الصلاة، والصوم، والزكاوة، وصلة الرحم، لأنها وغيرها تعد فروعا من العبادة الواجبة من باب ذكر الخاص بالعام .

والعبادة المفروضة تؤدي إلى ما بعدها من الطاعات التي تعد تأكيدا لها، وقوله ﷺ : **(لا تشرك به شيئا)** تأكيد للإخلاص في العبادة، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولا شبيه له سبحانه في الذات، والصفات، والأفعال .

٢- **إقامة الصلاة** : أي : ومن رأس الأعمال التي تدخل الجدنة إقامة الصلاة على وجهها الصحيح، مع المحافظة على شروطها، وأركانها، ومستحباتها مع الخشوع والخضوع ، والمراد بها الصلاة المفروضة التي فرضها الله تعالى على عباده في اليوم والليلة .

٣- **إيتاء الزكاة:** أي: ومن الأعمال التي تدخل الجنة أداء الزكاة المكتوبة المقررة على أموال المسلمين، لإخراجها في مصارفها، ومقاديرها المحددة، والمراد بالصلاة والزكاة ما فرض منهما، ولذلك قال النبي ﷺ : **(وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة)** والمكتوبة بمعنى المفروضة، ومغايرة الألفاظ مع اتحاد المعنى من البلاغة العربية .

٤- **صوم رمضان** : وهو الشهر الذي فرض الله تعالى صومه، وبارك فيه لأمته، وأحيا ليله بالقيام، والقرآن الكريم، وشغل نهاره بالصوم و الطاعة .

٥-**صلة الرحم** : أي : من أسباب دخول الجنة صلة الأقارب والأهل بالمال، والعمل، والتمني، والقول، والأرحام أعم من المحارم، لأنها تشمل أبناء الأعمام، وأبناء الخال، ومن له صلة قرابة .

وفي أحاديث الباب ملاحظات :

الملاحظة الأولى: اختلفت الأحاديث بالزيادة والنقصان في ذكر عوامل دخول الجنة تبعا لاختلاف حفظ الرواة، واجتهادهم، واهتماماتهم، ومراعاتهم للأحوال، وتخييرهم للمقال المناسب للمقام ، واكتفاء بعلم الأمر الذي تركه.

الملاحظة الثانية : لم يذكر الرسول ﷺ للسائل ضرورة الحج المفروض لدخول الجنة لمن استطاع سبيله ، لأن الرجل أدى فريضة الحج أمام رسول الله ﷺ فقد سأل الرجل الرسول ﷺ وهو واقف بعرفة، فلما علم الرسول ﷺ قيام الرجل بحجة الفريضة لم يذكرها له .

الملاحظة الثالثة: عبادة الله وحدة شاملة لكافة المأمورات ، وترك المنهيات، وقدد اقتصر رسول الله ﷺ على ذكر عبادة الله وحده بمعناها الشامل لتدل على الإسلام كله، وخص العبادات العملية بالذكر لأهميتها في إقامة الدين، واحياء المشاعر ، ولأن إقامتها دليل على ثبوت العقيدة ، وبرهان على يقين صاحبها ، واستسلامه لله رب العالمين.

الملاحظة الرابعة : بشر الرسول ﷺ هذا الرجل بدخول الجنة ، مع أنه ليس من العشرة المبشرين بالجنة ، لأن الحصر غير مقصود بالعدد، والمراد بيان أنهم عدد كثير .

الملاحظة الخامسة : ترك الطاعات جائز لكن المداومة على تركها يعد نقصا في دين تاركها .

يقول القرطبي : " من داوم على ترك السنن كان نقصا في دينه، لقوله ﷺ: **(من رغب عن سنتي فليس مني)** (١) ، وقد كان الصحابة واتباعهم يواظبون على السنن مواظبتهم على الفرائض، ولا يفرقون بينها لاغتنام ثوابها، وانما فرق الفقهاء بين الفرض والتطوع لما يترتب على ترك الفرض من عقوبة، ووجوب قضاء الفرض الفائت ، وعدم ضرورة ذلك في السنة .

وان قيل: لم لم يوضح رسول الله ﷺ ذلك للسائل حتى يعرف قدر الفرض والسنة في الثواب وعطاء الله تعالى ؟

أقول : يبدو أن الرجل السائل كان حديث عهد بالإسلام بدلالة أنه جاء يسأل عن مبادئ الأسلام الأولى ، فاكتفى ﷺ ببيان فعل ما وجب عليه حتى لا يصعب عليه الأمر ، وهذا فن في دعوة الناس لئلا يثقل ذلك عليهم الأمر فيملوا ابتداء، حتى إذا انشرحت صدورهم للفهم، واستعذبوا حلاوة الطاعة سهل عليهم فعل الطاعات التي سيجدون حكمها في أحاديث أخرى .

وان قيل : لم لم يذكر الرسول ﷺ المنهيات والمحرمات مع أن تركها ضروري لكمال الإسلام ؟

أقول : اكتفت أحاديث الباب ببيان أساسيات الدين العملية، أما السنن والمنهيات فقد فصلتها نصوص عديدة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وأعمال سلف الأمة .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

توضح أحاديث الباب منزلة رسول الله ﷺ بين أصحابه، وعند جميع أمته،

---

(١)صحيح البخاري - كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح - حديث : ٤٧٧٧ .

فهو ﷺ طريقهم إلى الله تعالى، وهو المبين لهم الصواب من الخطأ، وهو الذي يعرفهم بالحلال والحرام، فدين الله وحي الله إلى رسوله ﷺ ، ولذلك كان اتباع رسول الله ﷺ اتباعا لمنهج الله تعالى، وأن من يحب الله تعالى عليه أن يطيع رسوله ﷺ .

وقد اختار الله تعالى رسوله ﷺ ، وصنعه على نحو خاص، وخصه بالوحي، وأمره بتبليغ الدين للناس كما تلقاه من ربه .

لقد اتخذ المسلمون رسول الله ﷺ مصدرا لدينهم، فكانوا يأتون إليه من الأماكن البعيدة سائلين، ومتعلمين، وليس بينهم وبينه ساتر ولا حجاب .

لقد زاحم الرجل الحجاج يوم وقوفهم بعرفة حتى وصل إلى رسول الله ﷺ ، وأمسك بخطام فرسه، وسأله، وعلم من الرسول ﷺ دينه ، فانصرف وهو يعلن التزامه بما تعلم، ويخبر الرسول ﷺ أصحابه بأن هذا الرجل من أهل الجنة ، ليأخذوا مما رأوا دروسا وعبرا .

إن هذه الصورة العملية توضح الجهد والحركة في تعلم الإسلام، والعلم به

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من ركائز الدعوة والإيمان ... منها : -

الركيزة الأولى

الأعمال الصالحة ودخول الجنة

جاء رسول الله ﷺ بدين الله للناس، وعرفهم بما في الدين من عناء ومشقة، وما في الآخرة من حساب وجزاء، ودعاهم إلى الاستقامة وطاعة الله تعالى ، ومداومة العمل الصالح .

وجاءت الآيات والأحاديث تبين هذا المنهج القويم للناس.

يقول الله تعالى :

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ ﴾ (١)
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ٣٠ ﴾ (٢)
- ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ ﴾ (٣)
- ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨ ﴾ (٤) .

ولهذه الحقيقة جاء الرجل البدوي يسأل النبي ﷺ عن العمل الذي يدخله الجنة، وينجيه من النار، فدله النبي ﷺ على الأعمال المفروضة الناشئة عن اليقين والإيمان .

ويعيش المؤمنون الصالحون هذا الأمل، ويسألون ربهم أن يرحمهم بجنته، ويقدر لهم الفوز بالنعيم في الآخرة ، لأنهم يؤمنون أن الأمر كله بيد الله تعالى يفعل ما يشاء.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : **(سددوا وقاربوا ، وأبشروا ، فإنه لن يدخل الجنة أحدا عمله " .**

قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟

قال : " ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة) (٥).

---

(١) سورة الكهف الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة الكهف الآية : ٣٠ .

(٣) سورةالأنبياء الآية : ٩٤ .

(٤) سورة الزلزلة الآيتين : ٧، ٨ .

(٥) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله – حديث رقم : ٥١٤٩.

ويتيقنون - أيضا - بأن الله خالق كل شيء، وأن كل ما يقع في ملكه هو بقضائه وقدره .

والأمر في هذا الشأن بين واضح يؤكد حقيقة الفعل، ويحدد دقة الحساب والجزاء، فعلم الله تعالى محيط بخلقه منذ الأزل، وهو خبير بمكنونات النفوس، وميول القلوب، ولذا يقدر الله تعالى للنفس ماتتمنى، وما تريد، ويحقق لصاحبها الفعل المتفق مع هذه الميول، فالفعل فعل الله، وللإنسان في عمله الميل، والكسب، والأماني التي يكون عليها حسابه، وجزاءؤه .

ولذلك يبين الرسول ﷺ للرجل العمل الذي يدخله الجنة ليرغبه فيه، ويحببه إليه ، فإذا أسكنه الله تعالى قلبه، أقدره على عمله، وأعانه عليه .

إن الأمر كله لله ﷻ ، والمؤمن مستسلم لربه، وعليه اعتماده وتوكله، ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا .

الركيزة الثانية
دور الرسول ﷺ في الأمة

أنزل الصحابة الكرام رسول الله ﷺ منزلته فيهم، فهو ﷺ يبلغ ما أوحى الله إليه، ولذلك كانوا يقصدونه بالسؤال والتعلم، ويلتزمون بكل ما يخبرهم به ، فقوله الفصل، وتعليمه ومنهجه هو دين الله المنزل .

وقد استمر الصحابة على هذا السلوك حتى لقى الرسول ﷺ ربه، وأصبح عليهم أن يحافظوا على ميراث النبوة، ويلجأوا إلى القرآن الكريم، والى السنة النبوية لمعرفة دين الله تعالى ، واظهار المنهج المستقيم الذي ينجي الناس في الدنيا والآخرة .

ومقام رسول الله ﷺ العظيم يجب أن يبقى في قلوب المؤمنين والمؤمنات وهاجا، متجددا، يحيطه الحب والتقديس، ويثريه العلم والمعرفة، ويؤكده العمل،

والطاعة، والتطبيق .

إن رسول الله ﷺ موجود بين الناس كما كان في حياته، فقد حفظ الله تعالى للناس القرآن الكريم كما نزل على رسوله ﷺ ، وحفظ لهم السنة النبوية كما قالها رسول الله ﷺ أو فعلها، فمن أراد شيئا من الوحي فهو مجموع بين يديه، ومبين بتفصيل ، ومنسق، ومرتب .

ومن أراد معرفة رسول الله ﷺ في حياته، وخلقه، ومعاملاته فهذه المعرفة موجودة في المؤلفات الحديثة ، وكتب السيرة والشمائل .

ومن أراد يرى تأثير الإسلام في الناس، وتأثرهم به، فعنده مناقب الصحابة، وفضائل السلف الصالح الكريم .

إن الإسلام باق بصورته، وعلومه ، وحوادثه، وتاريخه كماكان في عهد رسول الله ﷺ وعصر السلف الصالح، ولن يتم للإسلام دوره وأثره إلا بيقظة المسلمين ، وعودتهم إلى دين الله تعالى .

والمسلمون اليوم في حاجة إلى الارتباط برسول الله ﷺ ، والعودة إلى حكمه في شؤونهم ، والبعد التام عن كل ما يخالف حكم الله تعالى .

ولا يصح للمسلم أن يوازن بين تعاليم الله تعالى ورسوله ﷺ، وتعاليم أخرى بدعوى الحرية، والعلمانية، فهذا ضلال مبين .

وعلى المسلمون أن يعلموا ويتيقنوا أن الإسلام علم وعمل، وفهم وتطبيق، ولن تنهض الأمة الإسلامية إلا بالإسلام .

ولا يصح أن يتناقض المسلم مع إسلامه، وليكن واضحا في عمله، ونشاطه، وسلوكه، وعقيدته، وليبرهن على هويته ليعلم من يعاشره الحقيقة، وهل هو مع الإسلام أو ضده .

وعمل الدعاة هو نشر الحق بين الناس، وتبليغ دين الله تعالى ، وجمع المدعوين على حب الله ورسوله ﷺ ، والاستقامة على الصراط المستقيم .

الركيزة الثالثة
منهجية الدعوة في الحديث

يستفاد من الحديث بعض الوسائل المفيدة في مجال الدعوة إلى الله تعالى ... وهي :-

١- **ضرورة الحسن في المعاملة والقول،** والتمسك بالعفو والتسامح، وعدم التصادم مع الناس، فهذا البدوي القادم على رسول الله ﷺ في يوم عرفه قد أوقف ناقة الرسول ﷺ، وأمسك بخطامها، ولم يعنفه أحد على ذلك، وانما وسعوا له الطريق حتى وصل إلى النبي ﷺ، وسأله وهم يستمعون، وعلم الجميع من استقبال الرسول ﷺ للرجل أن حسن المعاملة رسالة لحسن الخلق، وتوحيد الناس .

٢- **تجزئة السؤال والجواب** : فقد استمع رسول الله ﷺ للرجل، وأجابه عن كل سؤال على حدة، وهذا يسهل المعرفة ، ويمكن للسائل من توضيح ما يريد بيسر، ويؤكد له الجواب بلا خفاء .

٣- **الوضوح والجرأة** : فهذا الرجل سأل عما يريد، واستمع للإجابة في قوة وجرأة لا تعرف الخوف أو الضعف .

٤- **تبشير العاملين بالثواب الجزيل:** لأن ذلك يشجع على العمل الصالح والاستقامة على منهج الله تعالى .

-و-
لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى كثير من الفوائد ... منها : -

١) ضرورة التذكر الدائم لحقيقة الوجود، فقد خلق الله تعالى الدنيا، وجعلها دار عمل وسفر توصل إلى دار الجزاء والمقر، وتذكر هذا يؤدي إلى وضوح الغاية الحسنة، والأمل المنشود عند الله تعالى في جناته ، حيث الجزاء والمثوبة .

٢) الفوز بالجنة في الآخرة أمل المؤمنين في الدنيا، ولذلك تحمل الرجل المشاق ليعرف الطريق إلى الجنة، فلماعلمه أقسم على الالتزام به ، ليفوز بالنعيم، ويبتعد عن العذاب الأليم .

٣) يجوز للسائل أن يكرر سؤاله للتوضيح، وبخاصة في القضايا الغريبة

٤) كفل الإسلام للإنسان حرية التنقل، والحركة، والقول، وحدد له رقابة الله تعالى وهو في حريته ليعلم أنه ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[1]، فقد جاء الرجل من باديته ، ولما علم سؤاله عاد من حيث أتى .

٥) استحباب مصاحبة الصالحين، والتعامل معهم ، والنظر إليهم للتعلم منهم ، والاستفادة من هدوئهم، وخلقهم، وعلمهم .

٦) جواز تأكيد القول بالحلف من غير طلب، لأن الحلف يوضح ثبوت الخبر، وصدقه ، ويشد العزم على العمل في المستقبل .

---

[1] سورة ق الآية : ١٨ .

٧) يحسن بالدعاة أن يوضحوا للمدعوين طريق الفوز بالجنة كلما أمكن ذلك ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين .

٨) يشير الحديث إلى قوة الفطرة عند البدو، فلقد جاء الرجل، وتحمل المشاق من أجل الفوز بالجنة التي يتمناها، ويبحث عن الأعمال الموصلة ، فلما علمها اقسم على اتباعها ، وعدم ترك شيء منها .

٩) من الضرورة معاملة المدعوين معاملة لا تتعارض مع عاداتهم، والفهم، واتما نحاول التسامي بها، والاستفادة منها في إطار المنهج الديني .

١٠) يحتاج التوجيه إلى الصبر حتى تتحقق نتائجه في هدوء وأناة.

ـ٤ـ

٥ـ باب قول النبي ﷺ: بني الإسلام على خمس

[٩]،(١) ٨ **حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة والحج، وصوم رمضان**) (١) .

ـأـ

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب الدعائم الرئيسة التي يقوم عليها الإسلام، وهي شهادة التوحيد، واقامة الصلاة، وايتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

ـبـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبي ﷺ : **(بني الإسلام)** البنيان كيان مركب من لبنات متعددة حسية أو معنوية، وهذا يشير إلى أن الإسلام دين الله تعالى مكون من عناصر متعددة ترسم الطريق للمسلم في توجهه إلى الله تعالى، وتحدد له الصورة العملية التي يحيا بها في الدنيا، ويسعد بسببها في الآخرة .

(على خمس)، وفي بعض روايات الحديث **(على خمسة)** (٢)، وهما روايتان في الحديث، تجيزها اللغة إذا حذف المعدود، على أن نقدره بما

---

(١)أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٢ باب دعاؤكم إيمانكم، وللحديث رواية أخرى في صحيح البخاري تحت رقم : (٤٥١٥).

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس – حديث ٤٤ .

يناسب العدد، وعلى هذا يقدر المعدود بـ : خمس دعائم، أو خصال، أو قواعد ، أو خمسة أركان، أو أصول، أو أشياء .

وذكر العدد يفيد أن الإسلام بناء مكون من هذه الأركان الخمسة فقط.

وهنا يظهر تعارض في المعنى يحتاج لتوضيح، إذ كيف نقيم الإسلام على هذه الأركان وهو هذه الأركان، لأن معنى ذلك أن البناء يقوم على نفسه، ومن الضروري أن يكون المبنى غير المبنى عليه .

وأجيب على ذلك بأن (على) بمعنى **(من)** أي إن الإسلام مكون من هذه الأمور الخمسة، وأنه يجوز تسمية الجزء باسم الكل، وتسمية الكل باسم الجزء جائز على وجه المجاز .

ومثاله في حياة الناس الخيمة التي يقوم بناؤها على خمسة أعمدة، أحدها أوسط، والأربعة الباقية أركان توضع في محيطها، وتكون الخيمة قائمة بإقامة العمود الأوسط الذي لابد منه لإقامتها، وتكون الخيمة مسمى لمجموع الأعمدة أو لبعضها، فالخيمة بالنظر إلى المجموع شيء واحد، وبالنظر إلى أفراده أشياء متعددة، والعمود الأوسط أصل، والأركان تبع له تكمله، وتحسنه .

وأساس الإسلام شهادة **أن لا إله إلا الله،** ولا يصح شيء من أركان الإسلام إلا بوجود أصله، وأساسه، وبدون التوحيد لا يصح شيء بعدها، وبذلك يتكامل الدين ، ويظهر في الحياة شاملا لكل جوانب الإنسان .

وحذف فاعل **(بني)** لوضوحه وشهرته، وهو الله سبحانه وتعالى .

وفي قوله ﷺ : **(بني الإسلام على خمس) بيان بلاغي للمعنى بأوجه متعددة منها :-**

- **اشتمال الحديث على استعارة ترشيحية**، لأنه شبه الإسلام بمبنى له دعائم، ثم حذف المشبه به، وتنوسى التشبيه، ورمز للمشبه به بشيء من لوازمه، وهو البناء، وهذه استعارة بالكناية، وهي أقوى الأوجه، وأظهرها، وأكثرها بيانا للإسلام .
- **ويمكن توجيه الحديث إلى لون بياني آخر، هو الاستعارة التمثيلية** ، وهي تشبيه الإسلام ودعائمه الخمسة بخباء أقيم على خمسة أعمدة، فهذه صورة مركبة من عدة عناصر تشبه صورة أخرة مركبة من عدة عناصر يواجه كل عنصر عنصرا يقابله في الطرف الآخر .
- **ويمكن قصر الاستعارة في (بني)** بمعنى تشبيه ثبات الإسلام، واستقامته بدعائمه بالبناء، ثم استعارة البناء للاستقامة، واشتقى منه (**بني)** بمعنى استقام ... وهذه استعارة تصريحية تبعية .
- **(شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله)** الشهادة هي الإقرار القولي المعبر عن اليقين القلبي بتوحيد الله تعالى، وبرسالة محمد ﷺ، وهذا يعني تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به ، والعمل بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من عقيدة، وشريعة، وأخلاق .
- **(وإقام الصلاة)** إقامة الصلاة يعني المداومة على أداء الصلاة في أوقاتها بكمالها، وتمامها، وأركانها، وشروطها، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة .

- **(وإيتاء الزكاة)** أي إخراج جزء من المال بمقادير محددة حين يبلغ المال نصابا محددا في كل نوع من أنواع المال ، وايصاله لمستحقيه ومصارفه .
- **(والحج)** أي: وأداء الحج مرة واحدة في العمر لمن استطاع إليه سبيلا
- **(وصوم رمضان)** أي : وصوم شهر رمضان كل عام على المستطيع الخالي من الأعذار .

-جـ-
البيان التحليلي للحديث

يشبه النبي ﷺ في هذا الحديث الإسلام بالخباء المقام على خمسة دعائم متفاوتة في الأهمية، والقوة، واقامة البناء ، ففيها دعامة أساسية تتوسطه تقيم المبنى، وترفعه، وبقية الدعائم تكمله، وتكشف القوة والمتانة فيه، وتحصنه من المؤثرات، والتصدع والانهيار .

فدعامة الإسلام الأولى هي: شهادة التوحيد، ومظهرات الإسلام العبادة المشروعة، وأثر البناء تحقيق الأمن، ونشر السعادة .

وقد أورد مسلم طرقا عديدة للحديث، فقدم في بعضها الصوم على الحج، وقدم في بعضها الآخر الحج على الصوم، وسبب ذلك أن ابن عمر رضي الله عنهما – راوي الطرق الأربعة – سمع الحديث من رسول الله ﷺ مرتين ، مرة بتقديم الصوم، والثانية بتقديم الحج، فأوردهما كما سمعهما من رسول الله ﷺ متيقنا من حفظه وضبطه، ولذلك لما أنكر الصحابي على ابن عمر رضي الله عنهما تقديم

الصوم على الحج أكد له ابن عمر رضي الله عنهما ثبوت الرواية هكذا عن رسول الله ﷺ ، وأنه في كل مرة كان يروي ما سمعه من رسول الله ﷺ .

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :(**بني الإسلام على خمسة ، على أن يوحد الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان، والحج . فقال رجل : الحج ، وصيام رمضان.**

قال ابن عمر رضي الله عنهما : " لا ، صيام رمضان ، والحج " هكذا سمعته من رسول الله ﷺ) (١) .

وعبادات الإسلام المحددة منحصرة في هذه الأركان الخمسة، كما أن هذه العبادات الخمسة تتضمن العبادات كلها، ووجه ذلك : أن العبادات إما أن تكون قولية، واما أن تكون فعلية، والفعلية إما بالعمل أو بالترك، والعمل إما بالبدن، أو بالمال، أو بهما معا .

فالعبادة القولية تكون باللسان كالشهادة، **والعبادة الفعلية** تكون بالأداء البدني كالصلاة، أو بالترك كالصوم، وتكون بالمال كالزكاة، أو بالبدن والمال كالحج .

وقد جاء ترتيب العبادات في الحديث لحكمة تتصل بأهمية العبادة، أو بسبقها في التشريع:

فالتوحيد أصل العبادات، وأساس الإيمان ، فتعين تقديمه .

والصلاة عماد الدين، وقد شرعت على المسلمين قبل الهجرة فثنى بها .

والزكاة قرينة الصلاة، قد شرعت في العام الثاني بعد الهجرة ، فثلث بها .

ثم الصوم، وهو قمة الصدق، والإخلاص، والصفاء، ولذلك جاء رابعا .

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس - حديث : ٤٤ .

وأخرها الحج الذي شرع في سنة تسع من الهجرة، وقد بين الرسول ﷺ أهميته، وحذر من التهاون في أدائه .

وفي رواية تقديم الحج بيان لأهميته، وتوضيح للتغليظات الواردة في شأنه.

فإن قيل : في الحديث عموم يفيد أن الإسلام متحقق بهذه الأمور الخمسة ، فما حكم من نطق بالشهادتين فقط وترك سواها ؟

أقول : إن الإسلام يرتكز على النطق بالشهادتين، لقوله ﷺ : **(من شهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، حرم الله عليه النار)** (١) .

ولقوله ﷺ : **(ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)** (٢) .

إلا أن مقصود الحيث بيان كمال الإسلام وتمامه، وهو يكون بهذه الأمور الأربعة، فهي شعائره، ودلالة وجوده، وتركها يدل على عدم الطاعة والانقياد، وقد بين أبو بكر ﷺ أنها حق الشهادة الملازم لها .

وقد وجه بعض أهل العلم قوله ﷺ عن من نطق بالشهادتين بأن المراد عدم الخلود في النار(٣)، وأن العصاة وتاركي العبادات يعذبون بإهمالهم قبل أن يدخلو الجنة، وان كانوا مستحلين للمعصية والترك فهم مخلدون في النار لا يخرجون منها .

وان قيل : ما حكم من ترك شيئا من الدعائم الأربعة ؟

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة - حديث : ٦٧.

(٢) صحيح البخاري - كتاب اللباس، باب الثياب البيض - حديث : ٥٤٩٦.

(٣) سنن الترمذي ج٥ ص٢٣.

أقول: من ترك النطق بالشهادة بلا عذر قهري فقد كفر، ومن ترك أحد الدعائم الأربعة منكرا مشروعيتها، فهو كافر مرتد، وان تركها كسلا فهو عاص فاسق نرجو له الهداية، والمغفرة، وعفو الرحمن الرحيم .

وان قيل: هل أداء هذه الدعائم الخمسة مرة واحدة كاف ؟ ولم لم يوضح رسول الله ﷺ ذلك في الحديث ؟

أقول : جاء الحديث مجملا موضحا للبناء الإسلامي، وجاءت أدلة كثيرة تفصل في أحكام هذه الدعائم، وتشبيه الإسلام بالبناء يؤكد الرجوع إلى الأدلة التفصيلية التي يحتاجها البناء بعد إقامته، فلكل بناء حاجات لابد منها ليبقى نظيفا، جميلا، صالحا للإقامة والسكنى، وللإغراض والغايات التي أنشئ لها، ولذلك فسائر تعاليم الإسلام في القرآن الكريم والسنة النبوية أحكام تفصيلية لهذه المبادئ الكلية، ولا يصح رد حكم فرعي لعدم تفصيله في المبادئ الكلية

ـ د ـ
المعنى العام لحديث الباب

ـ هـ ـ
ركائز الدعوة و الإيمان في حديث الباب
يتضمن الحديث عددا من ركائز الدعوة والإيمان ـ أهمها : ـ
الركيزة الأولى
تكامل بنيان الإسلام

يشير الحديث إلى عناصر البناء الإسلامي، وتكاملها، وترابطها، وتعاونها في تنشئة الإنسان الصالح، والمجتمع الصالح، وأساس هذا البناء هو دعامته الرئيسية، وهي العقيدة الدينية الصحيحة التي تملأ العقل بالاقتناع، وتقيم

الضمير على الطهر، والنظافة، والمودة، والحب، وتؤكد المجال الذي يجب أن يعيش فيه الإنسان فهو عبد الله، ومخلوقه المكرم، والخليفة في الأرض، والمكلف بأن يعيش الدنيا، ويحركها إلى الله ﷻ بمنهجه كما بينه للعالمين رسول الله ﷺ ، وتحقيق العقيدة في حياة كل إنسان ضرورة للبناء الإسلامي كله ، ولابد منها مع كل العناصر .

وسائر العناصر بعد العقيدة ضرورية لكمال البناء، وتمامه، ومتانته لاشتماله على نشاط الإنسان من قول، وعمل يشمل النفس، وما تحتاج إليه من مال ومتاع في إطار الجماعة، وفي النشاط الاجتماعي كله .

إن الإسلام دين شامل لسائر قدرات الإنسان وطاقاته في إطار الفرد والجماعة، فهو دين كامل تام، يحدد الحديث عناصره الرئيسية، ويوضح الفقهاء جوانب الحسن والجمال فيه، ويظهر التاريخ الإسلامي النهضة الكبرى التي حققها الإسلام يوم أن حافظ المسلمون على دعائمه، وأكمل كافة عناصره، ومحاسنه.

لقد أوجد الإسلام مجتمعا متماسكا، متعاونا على الخير، قائما على المودة، والحب، والإخلاص، ينظم الحقوق والواجبات ، وياخذ القوي بيد الضعيف ، ويساعد الضعيف القوي في البناء ، والرفعة، والتقدم .

والمسلمون اليوم في حاجة شديدة إلى إحياء الإسلام كما نزل من عند الله تعالى في الضمير، والقول، والعمل، ومكارم الأخلاق، حتى يظهر الإسلام في عالم الواقع، وفي صور السلوك، ويتحقق في القلوب والجوارح بين الناس كماهو مقرر في دين الله تعالى .

يقول الله تعالى :

- ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ (١)
- ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾(٢)

ويقول النبي ﷺ :

- عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال : (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " وشبك بين أصابعه**)(٣) .
- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ أنه قال : (**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**)(٤) .

والأمل كبير في أن نعود للدين عودة حسنة لنصلح الدنيا، ونفوز في الآخرة

الركيزة الثانية
البيان في مجال الدعوة إلى الله تعالى

يقدم الحديث صورة بيانية لإظهار حقيقة الإسلام أمام العقلاء الفاهمين، ويستخدم ما عرفه علماء البلاغة بالاستعارة التي يمكن توجيه الحديث بها بطرق متعددة .

---

(١) سورة التوبةالآية : ٧١ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٢ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم - حديث : ٢٣٣٤.

(٤) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم - حديث : ٤٧٨٢.

فمن الممكن فهم الاستعارة في كلمة، أو حرف .

ويمكن فهمها في عدد من الكلمات المشتملة على مجموعة من العناصر ، واظهار كل عنصر بما يقابله في الصورة البيانية .

ويمكن فهمها في صورة واحدة من خلال بناء واحد له دعائمه .

وتتميز الاستعارة بالتجريد الذي ينقل الأمور الحسية أو المعنوية إلى صور معلومة أو حسية، وتقديمها للإنسان حقيقة واقعية، وبذلك تترك التشبيه ولا تحتاج إلى وجه شبه، وتكتفي بتقديم الصورة المجردة في صورة الحقيقة الواقعية، وتكتفي بذكر رمز يشير إلى هذه العملية البيانية .

إن الاستعارة تأخذ العقل إلى الحقيقة بينة جلية، وتبعد الذهن عن البحث في عمليات بلاغية قد يتوه خلال دروبها، وبحوثها .

إن التشبيه في البيان يحتاج إلى عمليات ذهنية تقربه من الحقيقة، وتدور حول حقيقة المشبه، والمشبه به ، وأداة التشبيه، ووجه الشبه .

أما الاستعارة فهي تقدم الحقيقة المستفادة بعد الانتهاء من عملية التشبيه الطويلة، والاكتفاء ببعض أجزائها .

وهذا أسلوب للدعوة نقدمه للدعاة استنباطا من الحديث، ليسيروا على خطته، ويستفيدوا به في دعوة الناس إلى الله تعالى .

الركيزة الثالثة

أهمية التنظيم والترتيب في الدعوة

يقدم الحديث خطة عملية للدعوة إلى الله تعالى، يشمل موضوع الدعوة، وطريقة دعوى الناس إليها، هذه الطريقة هي تقسيم الفكرة، وتقديمها للناس مجزأة، وتقديم الأهم على المهم .

وعلى الدعاة أن يقدموا العقيدة للناس، لأنها أساس الدين، وبتحقيقها ، وثبوتها تكون الطاعة، ويكون الاستسلام، وهذا هو سر بدء الدعوة بها في مكة المكرمة قبل الهجرة، وسر الاشتغال بها مدة طويلة في عمل الدعوة، فقد استغرقت الدعوة إلى العقيدة في مكة ثلاث عشرة سنة، لأنها تعني الاقتناع التام، والرضى المطلق، والتعريف الواضح لمقام الله تعالى في عقل المؤمن، وضميره.

إن العقيدة هي الوقود المحرك للجوارح، والدافع إلى النطق والتسليم، وليست العقيدة كلمة منطوقة فقط، واعلانا خاليا من الحياة، فهي شهادة بالحق، وهي تعبير صادق عما في القلب والضمير .

وبعد تحقيق العقيدة في الضمير يكون العمل، والطاعة، والالتزام، ويوضح الحديث ما يكون بعد الشهادة فيذكر الصلاة، ويوضح ضرورة إقامتها في أوقاتها، والمحافظة على أركانها، وشورطها، وخشوعها، وخضوعها، وقد فرضها الله تعالى على الناس قبل الهجرة ليلة الإسراء والمعراج، وبعد الهجرة شرعت الزكاة، ثم الصوم، ثم الحج ، فدل ذلك على أن الإسلام راعى طبيعة البشر، ورتب لهم أوامره، فشرع النظم، وبين لهم الحلال المشروع جزءا جزءا، ورتب لهم التشريع ليفهموا ويطبقوا بلا ملل ولا عنت .

وفي هذا التنسيق والترتيب درس للدعاة يهديهم إلى ضرورة تحديد موضوعهم، وتقديم الأهم على المهم، وبيان التكامل والترابط بين عناصر الدين كله .

ولا يصح في خطبة أو حديث أن يتكلم الدعاة عن الإسلام كله، وانما الأفضل تخير عنصر ملائم، وتقسيمه، وتناوله بالتحليل والتفصيل، والانتقال منه لغيره ، على أن تتكامل مواعظ الدعوة في تقديم الإسلام كله .

-و-

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يتضمن الحديث عددا من الفوائد -- منها :-

١) دعائم الإسلام هي أركانه العلمية .

٢) الإسلام يشبه البناء ، ولابد من إقامته ليظهر وتتحقق فوائده .

٣) التوحيد والنطق بالشهادتين أساس الدين كله .

ـ٥ـ

٧ـ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وتبليغه من لم يبلغه

[١٠]،(١) ٥٣ حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: من القوم أو من الوفد ؟

قالوا: ربيعة .

قال ﷺ: مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى .

فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع: أمرهم بالإيمان بالله وحده .

قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟

قالوا: الله ورسوله أعلم .

قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس .

ونهاهم عن أربع: عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت وربما قال المقير .

وقال: احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم) (١).

---

(١) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٤٠ باب أداء الخمس من الإيمان.

[١١]،(٢) ١٤٥٨ **حديث ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا ﷺ على اليمن قال (له): إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس)**(١).

[١٢]،(٣) ٢٤٤٨ **حديث ابن عباس ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا ﷺ إلى اليمن، فقال: اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب)** (٢).

-أ-
موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب قدوم الوفود على رسول الله ﷺ، وارساله ﷺ الدعاة إلى الأمم البعيدة للدعوة إلى الله تعالى، وتعريف الناس بأصول الدين، والشريعة .

-ب-
الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يتضمن الباب ثلاثة أحاديث، يدور أولها حول مجيء وفد عبد القيس الذي وفد على رسول الله ﷺ ليتعلم، ويعرف من وراؤه .

ويتضمن الحديث الثاني والثالث وصايا الرسول ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حينما أرسله ﷺ إلى اليمن قاضيا وداعيا، ليعلم أهل اليمن ، ويقضي بينهم .

---

(١)أخرجه البخاري في: ٢٤ كتاب الزكاة: ٤١ باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة.

(٢)أخرجه البخاري في: ٤٦ كتاب المظالم: ٩ باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم.

وقد أثرت دراسة الحديث الأول على حده، وبعده تأتي دراسة الحديث الثاني والثالث كما فعل الإمام النووي شارح مسلم، فقد قسم أحاديث هذا الباب إلى بابين :

مع الحديث الأول

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : **(إن وفد عبد القيس)** أتوا إلى رسول الله ﷺ ، والوفد هو الجماعة المختارة من القوم لتمثيلهم في المهمات، ولقاء غيرهم من القادة، والجماعات الأخرى، وغالبا ما يأتون من مكان بعيد، والوفد جمع على الصحيح، مفرده وافد .

و **(عبد القيس)** هو أبو القبيلة، واليه تنسب والمعنى وفد على النبي ﷺ وفد قبيلة عبد القيس .

(لما أتوا النبي ﷺ) أي : إن وفد القبيلة جاء إلى رسول الله ﷺ من شرق الجزيرة العربية، قاطعا المسافات الطويلة الى المدينة المنورة، وكان الوفد مكونا من أربعة عشر رجلا، بقيادة كبيرهم " **المنذر بن عائض**" المعروف "**بالأشج**"، لجرح كان في وجهه، وقد سمى صاحب التحرير في شرحه لحديث مسلم سبعة مع قائدهم ... وهم :

١- منقذ بن حبان رضي الله عنه .

٢- مزيدة بن مالك رضي الله عنه .

٣- عمرو بن مرحوم رضي الله عنه .

٤- الحارث بن شعيب رضي الله عنه .

٥- عبيدة بن همام رضي الله عنه .

٦- الحارث بن جندب رضي الله عنه .

٧-صحاري بن العباس ﷺ (١) .

والباقون ورد ذكرهم في كتب السنن الأخرى، فقد ذكر ابن سعد (عقبة ابن عروة ﷺ)، وذكر أبو داود (قيس بن النعمان العبدي ﷺ)، وذكر البزار (الجهم بن قثم ﷺ) ، وذكر أحمد في مسنده (الرستم العبدي ﷺ) ، وفي المعرفة لأبي نعيم (جويرية العبدي ﷺ) ، وذكر البخاري في الأدب (الزارع بن عامر العبدي ﷺ) (٢).

ويبدو من أحاديث أخرى أن الوفد كان يضم غير هؤلاء، إلا أن هؤلاء كانوا المقدمين فيهم ،والأخرين كانوا اتباعا لهم .

فسألهم النبي ﷺ، وقال لهم : **(من القوم ؟ أو من الوفد؟)** اللفظان بمعنى واحد، يفيد أن سؤال النبي ﷺ موجه إلى الوفد ليعرف القوم الذي يمثلهم هذا الوفد، وهذا الشك من الرواة لا من رسول الله ﷺ .

يقول ابن حجررحمه الله : " وأظنه شعبة، فقد صرح به قرة وغيره من الرواة بغير الشك) (٣) .

وايراد المحدثين لهذا الشك دليل على دقتهم في النقل، وحرصهم على نقل حديث رسول الله ﷺ كما سمعوه وتحملوه .

(قالوا: ربيعة) أي: قومنا هم قبيلة ربيعة، وربيعة هو الجد الرابع لعبد القيس، انتسبوا إليه تشرفا به، واستحضارا لأصالته، وبيانا لسبقهم في مكارم الأخلاق، لأن ربيعة هو ابن نزار بن معد بن عدنان بن إسماعيل عليه السلام ، فهم يلتقون مع

---

(١) فتح الباري بشرح صحصح البخاري ج١ ص ٢١٣، ٢١٤ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) فتح الباري ج١ ص ٢١٣ .

رسول الله ﷺ في نزار.

وقد عبر الوفد أنهم من قبيلة **(ربيعة)** من باب تسمية الكل باسم الجزء.

(قال ﷺ : مرحبا): أي صادفتم سعة في المكان، والقبول، والمودة، وهي كلمة يحيي بها العرب من يأتيهم، وقد يزيدون عليها (وأهلا وسهلا) ، أي : ولقيت أهلا يرحبون بك، ويسرا من المقام والتعامل .

(غير خزايا) أي: مرحبا بكم كراما بعيدين عن أي صغار، وذلة، واهانة، فقد أسلمتم طوعا من غير حرب أو سبي، أو هزيمة تؤذيكم، وتضركم، وتبقى في ذريتكم وتاريخكم .

(ولا ندامى) أي : ولن تندموا على إسلامكم مستقبلا، فسترون بسببه الخير في الدنيا والآخرة، وستنعمون في الدنيا بصلاح الحال، وفي الآخرة بحسن المصير والمآل .

وبهذا بين رسول الله ﷺ للوفد أنهم لن يروا صغارا في دينهم، وعاجل أمرهم، ولن يندموا في آخرتهم ، وعند حسابهم عند الله تعالى .

(فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام) الحرام مضافة على الشهر وهي من باب إضافة الشيء إلى نفسه، والمراد به **(الشهر الحرام)** وهو اسم جنس يشمل الأشهر الأربعة المحرمة، وهي أشهر "رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم" .

ويسمى شهر رجب بـ(رجب مضر)، لأن مضر كانت تخصه بمزيد التعظيم، مع تحريمهم القتال في الأشهر الثلاثة الأخرى، وكان العرب لا يؤخرونه عن وقته، ويسمونه بـ(رجب الفرد) ، لأنه ليس متصلا بغيره من الأشهر الحرم .

وقد سبقت قبيلة " عبد القيس" إلى الإسلام، فأقامت الصلاة في مسجد عبد القيس الذي أنشأوه بعد إسلامهم في " جوائي" ، وهي قرية شهيرة بالبحرين، وقد أقاموا في مسجدهم أول جمعة بعد أول جمعة صلاها الرسول ﷺ في المدينة، وبذلك سبقوا سائر القرى إلى الإسلام، وكانت قبيلة "ربيعة" تقيم شرق جزيرة العرب بالبحرين، وما والاها من أطراف العراق، وبينها وبين الحجاز كفار مضر الذين يمنعونهم من التواصل مع النبي ﷺ .

(وانا نأتيك من شقة بعيدة) أي : إنا نأتي إليك من مكان بعيد، وسفر شاق.

(وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر) أي : ونمر في مجيئنا على قوم كافرين يصدونا عنك، ولا نستطيع الوصول إليك إلا خلال الأشهر الحرم ، وبخاصة شهر رجب .

(فمرنا بأمر فصل) أي : دلناعلى ما نفعل، ومرنا بقول واضح بين محكم، لنلتزم به أثناء بعدنا عنك .

(نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة) أي : نعرف به قومنا الذين أرسلونا، وندخل جميعا بسبب عملنا الجنة جزاء العالمين إذا قبلها الله تعالى منا.

(وسألوه عن الأشربة) أي : سألوه ﷺ سؤال عاما، وخصوا السؤال عن الأشربة .

(فأمرهم بأربع) أي امرهم بأربع خصال .

(ونهاهم عن أربع) أي : ونهاهم عن خصال أربع أيضا .

(أمرهم بالإيمان بالله وحده) أي: أمرهم باليقين، والتصديق بالله الواحد الأحد، وأن يخلصوا له العبادة بأنواعها، ثم سألهم ﷺ عن الإيمان، فقال لهم: **(أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟)** ، وهذا السؤال حقيقي يقصد تعريفهم بأركان الإيمان المشروعة، والحث على التمسك بها، وأدائها على الوجه الصحيح .

(قالوا: الله ورسوله أعلم) أجاب الوفد أن العلم الحقيقي بالإيمان عند الله وحده، وعند رسوله ﷺ ، ولذلك جئنا للسؤال والمعرفة .

(قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس) فأمرهم ﷺ بالإيمان وبما يدل عليه، وعرفهم أنه النطق بالشهادتين، وذكر الصلاة، والزكاة، واعطاء الخمس من الغنيمة.

(ونهاهم عن أربع: عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت وربما قال المقير) أي أنه ﷺ نهاهم عن أربع حين سألوه عن الأشربة، وهذه الأربع مسميات للأواني التي يشربون فيها الخمر، والمراد ما يوضع فيها من باب المجاز الذي يذكر المحل، ويريد الحال فيه ... **وهذه الأربع هي :**

(١)**الحنتم** : وهي جرار الخمر المائلة للخضرة، المصنوعة من الطين والشعر، والدم، ولها أعناق في جوانبها، وكان العرب يشربون الخمر، ويستوردونه في هذه الأواني، ويحتفظون به فيها بعد جلبه من الطائف

(٢) **والدباء** : وهو الإناء المتخذ من القرع بعد تجفيفه .

(٣) **والنقير** : وهو النخلة تنقر وتجوف، وينتبذ فيها، وتعد وعاء للخمر .

(٤) **والمزفت:** وقيل: **المقير:** وهو الإناء الذي يطلى بعد صناعته بالزفت، أو بالقار .

وخص الحديث النهي عن هذه الأربع التي يستعملها العرب في حفظ الماء، ولأن الإسكار يسرع فيها، فربما شرب منها من لا يشعر بذلك، أما الشرب في غيرها فهو منهي عنه إذا تحقق السكر من الشرب فيها قياسا عليها .

(احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم) أي : احفظوا ما أمرتكم به، وما نهيتكم عنه، فهي دين الله تعالى الذي أدعوكم إليه، وبلغوه إلى من خلفكم من قبائلكم، فإن دين الله تعالى ينتشر بين الناس بالبلاغ، وأن يخبر كل مؤمن من وراءه بما علم .

ومن المقرر أن العلم بالدين، ومعرفة تعاليمه تعني العلم، والعمل، والالتزام، والتطبيق، والفهم والدعوة .

ـ جـ ـ

البيان التحليلي للحديث الأول

جاء وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ ليعلموا منه الإسلام وأحكامه بعدما دخلوا فيه، وسبب مجيئهم أن "منقذ بن حبان ﷺ" من بني غنم ابن وديعة أحد بطون قبيلة عبد القيس كان يتاجر بالملاحف، والتمر، يحضرها من هجر ليبيعها في المدينة، وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة مر بـ" منقذ" وهو جالس في متجره، فلما رأى النبي ﷺ نهض واقفا تقديرا لرسول الله ﷺ .

فقال النبي ﷺ : أمنقذ بن حبان ؟ كيف جميع هيئتك وقومك؟

ثم سأله ﷺ عن أشرافهم رجل، رجل، يسميهم بأسمائهم .

فتعجب "**منقذ**" من علم رسول الله ﷺ، واحاطته بأنساب العرب ، ورأى فيه الفطنة، والإعجاز، فأسلم ﷺ ، وتعلم الفاتحة، وسورة العلق .

وعند رجوع "**منقذ**" ﷺ إلى موطنه هجلا أرسل النبي ﷺ معه كتابا إلى جماعة عبد القيس يدعوهم إلى الإسلام، وهذا الكتاب من أوائل الكتب التي أرسلها النبي ﷺ إلى القبائل، وأول ظهور هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى .

رجع "**منقذ**" ﷺ **إلى قبيلته،** وخشى من إيصال الرسالة إليهم ، فكتمها عنهم ظنا منه عدم استجابة القوم، ونفورهم منه، وانتظر الظرف المناسب لسماع الحق، والاستجابة له، إلا أن امرأته لاحظت عليه أعمالا مكررة تراها ولا تعرف حقيقتها، رأته يغسل أطرافه، ويتجه نحو مكة كثيرا في اليوم والليلة، ويحني ظهره، ويضع جبهته على الأرض، ويقوم ويجلس .

وامرأة "**منقذ**" **هي** بنت " المنذر بن عائذ بن الحارث" المعروف بالأشج، وهي الكنية التي كناه الرسول ﷺ بها لأثر كان في وجهه، وكان "المنذر" مقدما في قومه، وكان يقرأ ويكتب، ويعرف شيئا عن أخبار الرسل والأنبياء.

ذهبت امرأة "**منقذ**" إلى أبيها وقصت عليه ما تشاهد من زوجها من تغيير في عمله وسلوكه التي تنكره عليه .

فذهب "**المنذر**" **إلى** "**منقذ**" ليعرف حقيقة ما أخبرته به ابنته عنه، وسأله، وكلمه، وعلم منه أنه أسلم ، ودخل في دين محمد ﷺ ، وبين له حقيقة العبادة، والاتصال بالله تعالى، فأسلم "المنذر"، وأخذ الكتاب من منقذ، ورجع به إلى قومه، فقرأه عليهم، ورغبهم في الإسلام ، فأسلموا جميعا، ورغبوا في القدوم إلى رسول الله ﷺ جميعا، ليأخذوا الدين منه، ولينهلوا من نور النبوة التي تمتع بها "منقذ" قبلهم (١) .

ولكن :

كيف لهم السفر إلى المدينة وهي بعيدة عنهم، وكفار مضر في طريقهم، يمنعونهم من الوصول إلى محمد ﷺ ؟

---

(١) انظر التعليق على فتح الباري ج١ ص٢١٤، ٢١٥ ..

تدبر القوم في الأمر، وقرروا اختيار وفد منهم يذهب إلى رسول الله ﷺ ، ويتلقى الخبر الصادق منه ﷺ، ليعود إليهم بما سمع وعلم، ورأوا أن أنسب الأوقات لسفر الوفد هو شهر رجب الحرام الذي يقف القتال فيه، وتعظمه مضر أكثر من الأشهر الحرم الأخرى.

قدم المنذر ﷺ على رأس الوفد ، فلما قرب مقدمهم من المدينة ، قام عمر ابن الخطاب ﷺ فاستقبالهم على أبواب المدينة، ووصل معهم إلى رسول الله ﷺ ، فسألوه ، وعلم منهم ما يريدون، ورحب بهم ﷺ، وبين أن مقامهم عند الله تعالى كبير، وأنهم لن يخسروا في الدنيا شيئا، ولن يندموا على عمل، فكل أعمالهم خير ومصلحة .

وقد قدم "**المنذر**" ووفده سلوكا في آداب الوفد واللقاء، وتعامل معهم رسول الله ﷺ معاملة تليق بأخلاق الدعاة إلى الله تعالى .

وفي الحديث أن الله امرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، لكن الملاحظ أن رسول الله ﷺ أمرهم بخمس وجعل هذا المعدود فروعا للإيمان حين سألهمﷺ : **(أتدرون ما الإيمان بالله وحده ؟)** فلما أجبوه بأن الله ورسوله أعلم به منهم ، عرفهم أن الإيمان هو هذا الذي يأمرهم به .

وأما كون ما أمرهم به خمسا، وليس أربعا أنه ﷺ ذكر لهم الأربع التي وعدهم بها، وزاد عليها خامسة، ولذلك بين المحدثون أن قوله ﷺ : **(وأن تعطوا من المغنم الخمس)** معطوف على قوله ﷺ : **(آمركم بأربع)** وبذلك يكون أداء الخامس مضافا إلى الأربع وليس واحد منها، وهذا التوجيه أولى من القول بأن النطق بالشهادة ليس من الأربع للعلم بها حين أسلموا، لأن قواعد اللغة تأبى هذا القول، فلزم التنبيه، والأمور الخمسة من الإيمان بالله تعالى .

وانما زادهم ﷺ الأمر الخامس، لأنهم كانوا أهل قتال وجهاد، وكانوا مجاورين لكفار هجر، فأراد ﷺ أن يعرفهم بحكم التصرف في الغنائم .

وفي معنى الحديث ملاحظات :

الملحوظة الأولى : سمي الشهر شهرا لشهرته، وقد اشتهرت الأشهر الحرم بين أشهر السنة، وعرف العلماء هذه الأشهر، فعرفوا رجب الشهر المحرم بوصفه بالمحرم، وتعريفه بالألف واللام ، وذكروا بقية الأشهر بأسمائها مجردة عن التعريف والإضافة .

ومن أدب المحدثين في عد الأشهر أن الكوفيين يقولون هي (المحرم ، ورجب وذو القعدة، وذو الحجة) لتكون في عام واحد، وأهل المدينة يعدونها ويقولون عنها (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب) ، والأولى استحسان عد أهل المدينة، لأنهم الأقرب إلى رسول الله ﷺ ، وعليه أكثر أهل التأويل .

الملحوظة الثانية: كل مسكر حرام، والحكم واقع على المسكر لا على أنيته، ولذلك تسأل العلماء عن سبب تحريم الأواني الأربع دون سواها، ولم لم يذكر الحديث تحريم المسكرات كلها ؟

والجواب على ذلك : أن سبب تحريم الأواني الأربع هو ما سبق ذكره ، وهو أن السكر يسرع إلى ما يوضع فيها، فربما شرب منها من لا يعرفها فيقع في الحرام وهو لا يدري، وبخاصة أن هذه الأواني صماء لا يعرف الناظر إليها ما فيها من تخمر وزبد، وأيضا فقد تعود العرب على اتخاذها لشرب الخمر، وأما بقية الأواني فاستعمالها غير محرم ، لأن السكر فيها يظهر، ويمكن للشارب أن يتجنبها .

وفي النهي عن هذه الأربع دون سواها مراعاة لحال المدعوين ، كالطبيب يعالج مريضه بما يناسبه، ولذلك اكتفى رسول الله ﷺ ببيان تحريم الأواني

التي يتخذونها للشراب ، لأنهم سألوا عن الأشربة المحرمة، فكانت إجابته ﷺ على قدر حاجتهم، وأسئلتهم .

الملحوظة الثالثة : يشير الحديث إلى أن من وسائل الدعوة إرسال الكتب إلى القبائل مع من يؤمن بها، واستقبال الوفود القادمة إلى المدينة للتعلم والمعرفة ، وهما وسيلتان هامتان في تبليغ الإسلام .

إن إرسال الرسائل يفيد في إيصال الإسلام إلى القبائل حيث هم، واستقبال الوفود يؤدي إلى تفهيم الإسلام لأولى الرأي، ليبلغوا من وراءهم من أبناء عشيرتهم وقبيلتهم .

إن دعوة المؤمنين لغيرهم واجب ديني ، ولذلك قال النبي ﷺ للوفد : **(احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم)** .

ووجود هذه الوسائل في هذا الحديث يشير إلى ارتباط الحديث بالذي ورد فيه، وبكتاب الإيمان الجامع لسائر أبوابه .

مع الحديث الثاني والثالث

وضع النووي المحدث شارح صحيح مسلم عنوانا لهذين الحديثين متفرعا من عنوان الباب السابق ، هو " باب الدعاء إلى الشهادة وشرائع الإسلام "

وقد أثرت المحافظة على تبويب "اللؤلؤ والمرجان" فلم أخص هذين الحديثين بباب مستقل، وانما جعلتهما فرعا ثانيا في إطار الباب كما هو في "**اللؤلؤ والمرجان**" .

ـ أ ـ
موضع الحديثين

يدور موضوع الحديثين حول قضايا الدعوة إلى الله تعالى، وكيفيتها، وترتيب القول فيها، وحسن التعامل مع الناس حين دعوتهم، والتواصل معهم.

-ب-
الدلالات اللغوية للحديثين الثاني والثالث

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : **(لما بعث)** رسول الله ﷺ **(معاذا رضي الله عنه على اليمن)** أي اختار رسول الله ﷺ الصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأرسله إلى اليمن واليا، وداعيا كما يبدو من وصايا رسول الله ﷺ ، والبعث يفيد الاختيار القائم على مراعاة الكفاءة، والقدرة على القيام بالمهمة المختار لها المبعوث، وقد أوصى النبي ﷺ معاذا بمهمته، وبين له المنهج الأمثل في قيامه بعمله على الوجه الصحيح .

وقال له : **(إنك تقدم على قوم أهل كتاب)** أي : عرف النبي ﷺ معاذا رضي الله عنه بأهل اليمن، وبين له أن منهم قوما من اليهود والنصارى، ليعلم خصائصهم، وطبيعتهم، ليدعوهم إلى الله تعالى بما يناسبهم، وأن يستفيد بالواقع الذي هم فيه كلما أمكن ذلك، فهم يعلمون شيئا عن التوحيد، والرسالة، والشريعة .

(فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله) أي : إبدأ بدعوة هؤلاء القوم إلى عبادة الله وحده لما لهذه القضية من أهمية في نفسها، واهمية مع أهل الكتاب، فهم على ذكر بالله تعالى ، إلا أنهم يذهبون إلى أن الله واحد يجمع ثلاثة أقانيم، ويتقربون إليه بوسائل بعيدة عن العبادة الصحيحة ، كاتخاذ الأحبار والرهبان أرباب من دون الله تعالى، ولذلك كان البدء بتصحيح العبادة عملا أساسيا في الدعوة، وركيزة لطاعة الله تعالى ، والانقياد لأوامره ، فهو الله الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، والاتصال به أمر يسير، فمن

قصده بنيته وصل إليه، ومن تقرب إليه أحبه، ومن أخلص له في عمله ، وحياته أعطاه ومنحه، ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ۝٩٠ ﴾(١).

والمقصود بالعبادة الإقرار اليقيني بوحدانية الله تعالى، والإشهاد على ذلك باللسان، والالتزام بالطاعة في العمل والسلوك .

(فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم) أي : إذا أدركوا يا معاذ حقيقة ما تدعوهم إليه، وآمنوا بالله تعالى، وخصوه وحده بالعبادة، فعرفهم أن الله تعالى فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة، وبذلك يقيمون العبادة العملية في حياتهم مع التصديق القلبي في باطنهم .

(فإذا فعلوا فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم) أي: إذا أدوا الصلاة وأقاموها، وحافظوا عليها ، فعرفهم بالزكاة التي فرضها الله تعالى على المسلمين، يدفعها الأغنياء من أموالهم، ويؤتونها لفقرائهم .

(فإذا أطاعوا بها فخذ منهم) أي : أذا أطاعوك في إيتاء الزكاة فخذها منهم لتوصلها إلى مستحقيهم من فقرائهم .

(وتوق كرائم أموال الناس) أي : ولا تأخذ المال النفيس ، وما يخصون به أنفسهم لما فيه من حسن، وكثرة عطاء، وفائدة ، لأن صاحب المال أولى بالمال النفيس المحبوب من غيره .

(اتق دعوة المظلوم) أي: تجنب الظلم والعدوان، وعدم إيصال الحق لأصحابه ، لأن الظلم ظلمات، ودعوة المظلوم مستجابة، وفي هذا إشارة إلى أن أخذ كرائم الأموال من الظلم .

---

(١) سورة هود الآية : ٩٠ .

(فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) أي: إن الله يسمع دعوة المظلوم، ويستجيب لها، ويقربها منه، فليس بين دعوة المظلوم وبين الله حجاب، يتقبلها الله تعالى من صاحبها، ويقول لها : وعزتي وجلال لأنصرنك ولو بعد حين ، يقول النبي ﷺ : **(ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السموات، فيقول الرب عز وجل : وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين)** (١) .

ـ جـ ـ

البيان التحليلي للحديث الثاني والثالث

يبين رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه في هذين الحديثين المنهج الأمثل لدعوة الناس إلى دين الله تعالى، **وأساس هذا المنهج ما يلي :**

أولا : أن يعرف الداعية المدعوين، طباعهم، وخصائصهم، ومذاهبهم، واتجاهاتهم العامة، وتقاليدهم، وعاداتهم، ولذلك عرف النبي ﷺ معاذ رضي الله عنه بأن من سيذهب إلى دعوتهم هم أهل كتاب، وعندهم علم بشيء من الألوهية والرسالة، وضرورة التعامل معهم في أطر منظمة يسمعون عنها، ومخاطبتهم بالحسنى لأخذهم باللين إلى الحق، وتصحيح مفاهيمهم في التوحيد والنبوة والرسالة .

وكان من الضروري تصحيح مفاهيمهم عن التوحيد، وعن عبادة الله وحده، انطلاقا من الأساسيات التي يؤمن بها ، وبيانا للصورة الصحيحة لدين الله التي يجب أن يستسلم له الجميع ، وفي هذا المجال يقول الله تعالى : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا

---

(١)صحيح ابن خزيمة،كتاب الصيام، باب ذكر استجابة الله ﷻ دعاء الصوام إلى فطرهم، حديث : ١٧٨٤.

بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾(١) .

ويقول ﷻ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٢) .

ثانيا : بيان أن الإسلام كيان واحد يعبر عن الإيمان، وهو مشتمل على عناصر عدة، وعلى الدعاة أن يبدأوا بالأهم ، لأنه أساس ينبني عليه غيره، ويرتبوا قضاياهم وفق تنسيق مخطط، ولا ينتقلوا من قضية إلى قضية إلا بعد الإيمان بالقضايا السابقة ، ولذلك نرى رسول الله ﷺ يحدد لمعاذ ﷺ هذا الترتيب، ويأمره بأن يبدأ بدعوتهم إلى عبادة الله تعالى، فهو الإله المختص بالعبادة وحده، ولا شريك له في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وتلك هي قضية الدين كله، ينبني عليها غيرها ، ولابد من معرفة المسلم بهذه القضية الأساسية في الإيمان ليتيقن منها، ويلتزم بها في أقواله، وأعماله، وأخلاقه بعد تفهيم العبادة ينتقل الدعاة إلى تعليم الصلاة، ثم إلى إيتاء الزكاة، ... وهكذا .

ثالثا : استعمل الحديث ألفاظا تدل على جوامع كلم رسول الله ﷺ، فنجده ﷺ يقول: **(فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله)**، وهذا يبين قضية الدعاة الأولى، وفي قوله ﷺ : **(تدعوهم)** صيغة تفيد استمرار الدعاة في الطلب، وعرض الدليل، ومناقشة الواقع حتى يتحقق الإيمان .

ونجده ﷺ يقول مع العبادة : **(فإذا عرفوا)** إشارة لحاجة المسلم إلى معرفة الله تعالى، ومعرفة حقوقه، ومعرفة ما يوحى به، ولذلك كانت المعرفة جزءا أساسيا من الاعتقاد واليقين ، لأن التصديق فرع عن التصور ، وبروز الآيات

---

(١) سورة العنكبوت الآية : ٤٦ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٦٤ .

والبراهين شرط في الإيمان والتصديق .

ونجده ﷺ يقول مع الصلاة: **(فأخبرهم)** لأن المسلم بإيمانه يحتاج في العمل إلى الإخبار الصادق عن النبي ﷺ، حيث يسوق الخبر الأمر والنهي من الله الذي آمن به المسلمون .

ويقول عن الصلاة (فإذا فعلوا) لبيان أن الصلاة تقوم على العمل، والمحافظة على حسن أداء الصلاة على وجهها المشروع.

يقول النبي ﷺ عن الزكاة : **(من أموالهم وترد على فقرائهم)** لبيان أن مال الزكاة حق للفقير ليس للمالك منه شيء، ولذلك يؤخذ المال من الأغنياء، ويرد على أصحابه الفقراء .

رابعا : ضرورة تكريم الإنسان، والمحافظة على حقوقه، ولذلك أمر رسول الله ﷺ معاذا ﷺ بالمحافظة لصاحب المال على ما يحبه من ماله، ويرى فيه النفاسة، والنمو، والبركة، فهو أولى به ، وهذا ملمح من رسول الله ﷺ يحدد ما في الإسلام من سمو في التشريع ، وعظمة في تقدير الحقوق والواجبات ، ودقة في المحافظة على حقوق الأغنياء والفقراء على السواء.

خامسا : في روايات المحدثين لعدد فرائض الإسلام المشروعة زيادة ونقص، تبعا لأهمية كل أمر مشروع، واكتفاء بإيرادها في أحاديث عديدة .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب وصايا رسول الله ﷺ حينما بعث معاذا ﷺ إلى اليمن قاضيا، وداعيا لله تعالى، وحدد له الموضوعات التي يدعو إليها، والمنهج الذي يتبعه في دعوة الناس إلى الله تعالى، ويأمرهم بعدم ظلم أحد ، وتجنب أخذ كرائم الأموال في الزكاة .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من ركائز الدعوة والإيمان -- وهي كما يلي :-

الركيزة الأولى

بيان أصول الإسلام

أقام الله تعالى دينه على العمل والمعرفة، وأنزل معه الآيات البينات، والحجج الواضحات لإقناع العقل، وارضاء الروح والعاطفة، وتشير أصول الإسلام إلى هذه الحقيقة، فالاعتقاد بوحدانية الله تعالى، والإقرار بصفاته ، وجلاله، وكماله يؤدي إلى تكوين روح هائمة، تسعى لترتبط ببارئها وموجدها، كما تحقق العواطف الشفافة، والوجدان النظيف، والطهارة القلبية التي يتجه بها العابد للخالق العظيم .

وان كانت العقيدة تهذب الروح والوجدان، فإن العبادات العملية تهذب الجوارح، وترتقي بالسلوك، وتنظم الجماعة، وتحقق التعاون الخير بين المؤمنين .

وقد بينت أحاديث الباب من أصول الإسلام ما يلي:-

١- **الإيمان بالله تعالى:** وقصر العبادة له سبحانه وتعالى، والتعبير عن الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله .

٢-**طاعة الله تعالى في كل أمر أمر به،** وترك كل نهي نهى عنه، وأن تكون حياة المسلم كلها لله رب العالمين .

٣-**الإيمان باليوم الآخر**، وبكل ما فيه من بعث، وحساب، وعقاب .

٤- **أداء العبادات المشروعة المحددة، على وجهها المشروع** مع المحافظة على أركانها، وشروطها، وسائر ما يتصل بها من أحكام وتنظيم .

الركيزة الثانية
صيانة حقوق الإنسان

خلق الله الإنسان، وأنعم عليه في نفسه، وفي سائر آلائه في الكون والحياة، ودعاه إلى عبادة الله وحده، وجعل من عبادته أن يترابط مع الناس، ويتعاون معهم على البر والتقوى، ومن الواضح الجلي جماعية العبادات المشروعة، وجمعها لسائر المؤمنين في وقت واحد، وفي مكان واحد، وفي مشاعر، وشعائر واحدة، وصبغ جميع المؤمنين بالتوجه لله تعالى .

وهذا التوحيد تكريما للإنسانية في مجموعها .

وقد امر النبي ﷺ معاذا رضي الله عنه بأن يدعو أهل اليمن بالحسنى، وأن يحافظ على خصوصيتهم، وأن يدخل إلى عقولهم مدخلا حسنا، فيعرفهم أن عيسى عليه السلام رسول الله، وأن الله واحد أحد، وأن الدعوة تعمل على تصحيح المفاهيم الحسنى للوصول إلى الحق بهدوء واقناع .

ومن تكريم الإسلام للناس: عدم إكراههم على قول ، أو فعل لا يرضون عنه، ولذلك اشترط الرسول ﷺ على معاذ رضي الله عنه أن لا ينتقل من أي قضية إلا بعد أن يعرف أهل اليمن حقيقتها، ويعملوا بما جاء فيها .

ومن تكريم الإسلام للناس : بيان الغايات المقصودة من العيادات، فالصلاة تصل المسلم بالله تعالى، والزكاة مال يؤخذ من الأغنياء، ويرد إلى الفقراء .

ومن هذا التكريم : عدم أخذ الأموال المحبوبة عند أصحابها، فقد تعلقت نفوسهم بها، ولا يصح أن يرونها في أيدي غيرهم ، ولذلك نهى النبي ﷺ عن أخذ كرائم الأموال في الزكاة .

ومن تكريم الإسلام للناس : نشر العدل، وصيانة الحقوق ، وترك الظلم، فالظلم ظلام وظلمات يوم القيامة، ودعوة المظلوم يستجيب الله تعالى لها ، وعلى المسلمين أن يتجنبوا كل ظلم قل أو كثر في النفس ، أو في القول ، أو في العمل .

وبهذا يحترم الإسلام لكل إنسان خصوصيته، ويمكنه من حرية الاختيار، وتصحيح المفاهيم العامة والخاصة، ونشر روح التعاون والمودة، وضمان كافة الحريات بما لا يتعارض مع العقل والشرع .

الركيزة الثالثة

تفهيم الإسلام ودور الإنسان معه

أنزل الله دينه للناس وحيا مسطورا في الكتب، ومحفوظا في الصدور، وبينه ﷺ من خلال أقواله وأفعاله، وترك للناس أمانة يحملونها لأنفسهم، ويوصلونها لغيرهم من خلال القول، والحركة، والمحافظة على الأمانة التي يحملونها .

وها هم عبد القيس يسعون إلى رسول الله ﷺ من أماكنهم البعيدة، ويقطعون الصحاري والفيافي من شرق الجزيرة إلى غربها لملاقاة رسول الله ﷺ ، وأخذ الإسلام منه كما نزل عليه من عند الله تعالى .

وها هو رسول الله ﷺ يرسل معاذا رضي الله عنه إلى اليمن ليدعو أهل اليمن إلى الله تعالى، ويقضي بينهم بحكم الله تعالى، ويعلمهم ما نزل من وحي الله تعالى.

إن الإسلام مجموعة من المفاهيم العقلية المستفادة من الوحي المنزل للعمل بها، والسير على منهجها، ولابد للفكرة من مخلصين لها يقتنعون بها ، ويحملونها لغيرهم في حركة دائبة ومستمرة .

لقد انتشر الإسلام بهذه الحركة فجاءت الوفود إلى رسول الله ﷺ، وأرسل ﷺ الدعاة الى الأقاليم المختلفة، وانتشر الإسلام بالحجة والبرهان، وتصديق الآيات المبهرة التي جعلها الله تعالى للناس .

والإسلام أمانة في أعناق المعاصرين، وعليهم أن يعيشوا به، ويعملوا له ، ولا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى .

إن الآباء مسئولون عن تعليم الإسلام لأهليهم، وأبنائهم، والعلماء كل في موقعه مسئول عن تفهيم حقيقة الإسلام لمن معهم وحولهم، ولا يصح مطلقا التلهي عن الإسلام بلعاعات الدنيا، وماديتها مهما بلغت وتضخمت، وسوف يلتقي كل إنسان بربه وهو يحاسبه ، ويجازيه بما يستحق من جنة أو نار .

وعلى كل مسلم أن يحدد موقفه من حقيقة الإسلام وعقيدته، وشيعته، ونظمه، وخلقه، ... وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، والأمر يومئذ لله.

الركيزة الرابعة
منهج تكوين المجتمع الإسلامي

توضح أحاديث الباب منهج الإسلام في معاملة الناس، وتشير إلى أساسيات تكوين المجتمع الإسلامي ، ... **وأهم هذه الأساسيات ما يلي :** -

أولا : المعاملةالحسنة للفرد والجماعة، وذلك بفهم واقعهم، واختيار طرق التعامل الحسن معهم، فلكل مجتمع توجهاته وحركته، والإسلام يتعامل معه بالرفق، واللين ، والحسنى .

ثانيا : الاهتمام بالتربية والتعليم لتكوين العقول، وتنشئة الناس على الحق، وتعريفهم بهذا الوجود، وصلته بما بعد الموت عند الله تعالى .

ثالثا : التمسك بالقيم والمبادئ الإنسانية، والارتقاء بها بما يفيد معالي الأمور، ومكارم الأخلاق .

رابعا : صيانة حق كل إنسان في اختيار الدين الذي يريد، وما دور الدعاة إلا الدعوة ، والتذكير ، يقول الله تعالى :

- ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (١)
- ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾(٢)
- ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾(٣)

وهذه الخطة طبقها المسلمون الأول، وتمكنوا بواسطتها من إنشاء دولة الإسلام الأولى بقادة مؤمنين، وجمهور صادق، ومصدر قوي هو القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

خامسا : التمسك التام بمكارم الأخلاق، وبالعدل التام، وترك الظلم بكل صوره وحالاته .

وهنا مسألة لابد منها، وهي ضرورة البيان حين الدعوة، وضرورة الاقتناع قبل الإيمان، حتى لا يكون الإيمان بالإسلام لعب للسفهاء، ومجالا للتآمر والمتآمرين، ولذلك وجب الاقتناع الحر، والرضى التام قبل الإيمان .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

(٢) سورة النور الآية : ٥٤.

(٣) سورة الغاشية الآيتين : ٢١، ٢٢ .

وواجب العلماء في هذا الأمر كبير، فالإسلام هو دين الحق والعدل، ولو وجد من يعرضه ، ويعرف به بين الناس لأمن به الجميع .

وقد عد الإسلام الكفر به خروجا عن الحق، ولعبا بالدين، ولذلك جعل الردة عنه هوى ولعبا ، وتمكين العبث، واظهار الحق في صورة الباطل .

ومن الواجب مناقشة من لديه شبهة، واستتابة من يرتد، وشرح الحق له، واقناعه بالإسلام زمنا لا ينتهي إلا بالموت .

وليسأل العاقل نفسه: هل ما يذهب المرتد إليه شيء معقول؟ ، أو هل ما ذهب إليه خير مما كفر به ؟ أم هو الخداع، والتآمر، واظهار الدين بغير حقيقته ؟

إن أعداء الإسلام يعملون ضده بكل إفكهم وأكاذيبهم ، ولا هم لهم إلا نشر الباطل، والضلال، والفساد ﴿ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝١٥ ﴾[١] .

-و-

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد -- منها :-

١) ضرورة وجود هيئة للرأي والمشورة، تجمع العلماء، والدعاة، وأولي الرأي، وأصحاب الخبرة في التوجيه والبناء، ليكونوا مقصد الباحثين عن الحق، والناشرين لحدود دين الله تعالى .

٢) وسائل الاتصال عديدة، منها الوفود الممثلة للجماعت الكبرى ، ومنها الكتب والرسائل، ومنها الدعاة الذين ينتشرون في الأرض للدعوة والإرشاد، والمسلمون هم أولى الخلق بالاستفادة بكافة وسائل الاتصال

---

(١) سورة القمر الآية : ١٥ .

٣) مراعاة الدقة في دعوة الناس، وعدم التصادم مع مشاعرهم، ومواريثهم، ولذلك عرف رسول الله ﷺ معاذا ﷺ بأن أهل اليمن أهل كتاب ، ولديهم علم بالألوهية والرسالة، وحاجتهم تتركز في تصحيح المفاهيم ، وتوضيح الفرق بين الألوهية والرسالة ، كما أنهم أصحاب مال ، ومن حقهم كرائم أموالهم، وتجنب الظلم المادي والمعنوي لأنه لا يفيد شيئا.

٤) ومن حسن الخطاب تقديم الاعتذار، وبيان سبب اللقاء كما فعل الوفد، فقد بينوا أنهم جاءوا في شهر رجب، وأنهم في حاجة إلى المعرفة ، ولا يمنعهم من المجيء الدائم إلى المدينة إلا كفار مكة الذين يترصدون بهم ، ويصدونهم عن الإسلام .

٥) من الأفضل للمتحاورين البدء بالتعارف، فقد سأل النبي ﷺ الوفد ممن هم ؟ فعلم أنهم من ربيعة .

٦) بدأ الإسلام بإيمان فرد واحد هو رسول الله ﷺ، وأخذ ينتشر شيئا فشيئا، وصار مسئولا عن تبليغه وايصاله للناس كل من آمن به ، ولذلك قال أعضاء الوفد لرسول الله ﷺ : " مرنا بأمر نخبر به من وراءنا"، فأخبرهم رسول الله ﷺ، ثم قال لهم : " **احفظوهن وأخبروا بهن من وراءاكم** " .

٧) من حسن قدر الإنسان أن يوفقه الله تعالى للطاعة، والاستقامة بلا عنت ولا تأخير ، وبلا مكث في الفساد والهوى، لأن هذا التوفيق ينقذ صاحبه من الندامة والخزي، ويحقق له الخير، ويرفع ذكره بين الناس.

٨) من المهم أن يرحب المسئول بمن يقدم عليه، وليطمئن ويأتي، ويعلم أنه مرحب به فيطمئن .

٩) جواز مدح الإنسان غيره من الناس بما هو فيه، إذا أمن فتنة الإعجاب والكبر .

١٠) التفصيل بعد الإجمال أمر مهم في الدعوة لما في الإجمال من ارتباط بالموضوع ، ولما في التفصيل من بيان لجزئيات الموضوع ، وفروعه العملية .

١١) تلوين الخبر في الخطاب له أهميته في التأثير، ففي الحديث أمر ، ونهي، وخبر، وانشاء، وفيه الاستفهام، وفيه الإجابة، وفيه التبشير، وفيه التحذير، وفي هذا دروس للدعاة .

-٦-

٨- الأمر بقتال الناس حتى يقولوا :
"لا إله إلا الله محمد رسول الله"

[١٣]،(١) حديث أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : لما توفي ١٣٩٩، ١٤٠٠ رسول الله ﷺ ، وكان أبو بكر رضي الله عنه ، وكفر من كفر من العرب. فقال عمر رضي الله عنه : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله ؟

فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.

قال عمر رضي الله عنه : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق) (١).

[١٤]،(٢) حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل ٢٩٤٦ الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسابه على الله) (٢)

[١٥]،(٣) حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل ٢٥ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني

---

(١) أخرجه البخاري في: ٢٤ كتاب الزكاة: ١ باب وجوب الزكاة .

(٢) أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد: ١٠٢ باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام والنبوة.

دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله) (١)

ـ أ ـ
موضوع أحاديث الباب

تدور أحايث الباب حول حكم من ارتد عن الإسلام، أو منع الزكاة مع إيمانه بسائر الأركان .

ـ ب ـ
الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يقول أبو هريرة ﷺ : **(لما توفي رسول الله ﷺ)** أي: حين جاء موعد أجل رسول الله ﷺ، وكان ذلك يوم الاثنين في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة .

(وكان أبو بكر ﷺ **)** أي : فلما ولي أبو بكر الصديق ﷺ الخلافة فـ**(كان)** هنا تامة بمعنى (ولى) ، وصار واليا للمسلمين .

(وكفر من كفر من العرب) أي : وكفر كثير من العرب، وارتدوا عن الإسلام ، ...

فمنهم من ارتد عن الدين كله، كبني تميم قوم سجاح، وغسان قبيلة جبلة، وفزارة، وغطفان، وبنو سعد، ... كل هؤلاء وغيرهم رجعوا عن الإسلام، وأنكروا شريعته ، ورجوعوا إلى ما كانوا عليه قبل الإسلام ، واتخذوا لأنفسهم من قومهم رسلا وأنبياء ، وزعموا أديانا وكتبا بلا سلطان ولا برهان .

ومنهم من ارتد عن بعض شرائع الإسلام، وتركوا الزكاة، وقالوا : كنا نؤديها لرسول الله ﷺ، ولن نؤديها لغيره ، وحافظوا على الصلاة لأنها في

---

(١)أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ١٧ باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم.

نظرهم خالصة لله تعالى، وردة هؤلاء ردة لغوية، لأنهم لم يخرجوا من الإسلام بالكلية .

ومنهم من كان يسلم أمره لشيخ قبيلته ، ويرجع إليه في تطبيق شريعة الله تعالى، فلما أمروهم بمنع الزكاة أطاعوهم .

وهكذا ظهر الكفر بين أغلب قبائل العرب، فتركوا الصلاة، ومنعوا أداء الزكاة، ولم يبق الإسلام كما تركه رسول الله ﷺ إلا في مكة والمدينة، والطائف، والبحرين .

ورأى أبو بكر ﷺ وهو الخليفة قتال المرتدين ليعيدهم إلى دين الله تعالى، فعارضه عمر بن الخطاب ﷺ ، وقال له : **(كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه)** أي : كيف تقاتل الناس يا أبا بكر، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله وحده، وينطقوا بالشهادة، فإن قالوها فقد حصنوا دماءهم وأموالهم، ووجب حفظ حقوقهم، وعدم مقاتلتهم .

(إلا بحقه) الاستثناء يفيد أن للشهادة حقوقا واجبة على من نطق بها، وهي حقوق تشمل الأقوال، والأعمال، والأحوال، وقد اعترض عمر ﷺ على قتال المرتدين مستدلا بظاهر الحديث، وبخاصة أنه لم يتذكر قوله ﷺ : **(إلا بحقه)**.

ولذلك ذكره أبو بكر ﷺ بالحديث، وعرفه بحق الشهادة، وهي من لوازمها، وهي في نفس الوقت حق الإسلام .

لم ير عمر ﷺ ما رأه أبو بكر ﷺ ، وسأله منكرا : قتال مانعي الزكاة؟ مستشهدا بقول رسول الله ﷺ ، وأخذ عمر ﷺ رأيه من أنهم نطقوا بالشهادة ، وما زالوا ينطقون بها .

(وحسابه على الله) أي: إن الله تعالى سيحاسب الناس على نياتهم، وسرائرهم في الآخرة، أما الحساب الدنيوي فهو قائم على الظاهر .

(فقال أبو بكر ﷺ : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) أي : أقسم أبو بكر ﷺ لعمر والصحابة ﷺ أنه سيقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة، فهما وغيرهما أركان من أركان الإسلام ، وعناصر من عناصره التي يلتزم بدلالاتها من نطق بها، وصدق بحقيقتها، وصار ملتزما بحقوقها ، وهذا هو حق الله تعالى على العباد ، وهو أساس فوز العباد بحقهم عند الله تعالى .

(فإن الزكاة حق المال) أي : إن حقوق الله تعالى في خلقه كله مقررة، وضرورة، وحق الله تعالى في المال هو دفع الزكاة وفق ما بينته شريعة الله تعالى .

وزاد مسلم في روايته للحديث قول أبي بكر ﷺ لعمر ﷺ **(عقالا)** لبيان أن أبو بكر ﷺ ذكر مقالته مرتين مرة بـ**(عناقا)**، ومرة بـ**(عقالا)** .

والعقال: هو الحبل الذي كانت تقيد به إبل الصدقة .

والعناق: هي الأنثى من ولد الماعز، وكانوا يخرجونها زكاة عند تعذر إخراج الكبيرة منها .

ورواية العناق تفيد أن الغنم الكبار إذا هلكت فإن الزكاة تؤخذ من صغارها وأنثاها إذا بلغت نصابا، ولا يسقط حق المال مهما قل إذا بلغ نصابا .

ورواية العقال : تفيد أن الحبل الذي كانوا يقيدون به إبل الصدقة حين إيتائها لرسول الله ﷺ لابد من دفعه مع الزكاة كما كانوا يفعلون .

وقسم أبي بكر ﷺ يعني ضرورة دفع الزكاة، وأنه سيقاتل من يمنع أي قدر منها، ولو كان حبلا، أو سلخة صغيرة .

(قال عمر ﷺ : فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر ﷺ فعرفت أنه الحق) أي : عقب عمر ﷺ على إصرار أبي بكر ﷺ على قتال المرتدين بأن الله تعالى شرح صدره، وهداه للحق، وبين له الحجة، فعلم عمر ﷺ أن ما ذهب إليه أبو بكر ﷺ هو الحق الذي أراده النبي ﷺ ، فسلم له، ورضي به، واشترك في قيادة حروب الردة مع أبي بكر ﷺ .

- جـ -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

في أخريات حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ارتد كثير من العرب، وصار المرتدون أصنافا .

فصنف ارتد عنا لدين : ونابذ الملة، وعاد إلى الكفر، وهم الذي عناهم أبو هريرة ﷺ بقوله: **(وكفر من كفر من العرب)** وهؤلاء قسمان :

قسم اتبع مسيلمة الكذاب من بني حذيفة وغيرهم، فقد صدقوا مسيلمة في دعواه ، ومعهم أصحاب الأسود العنسي، ومن استجاب لدعوته من أهل اليمن وغيرهم .

وهذا القسم كله أنكر نبوة محمد ﷺ، وادعى النبوة لغيره، وقد قاتلهم أبو بكر ﷺ، فقتل مسيلمة الكذاب باليمامة، وقتل العنسي بصنعاء، وانفضت جموعهم، وهلك أكثرهم .

وقسم أخر ارتد عن الإسلام، وأنكر الشرائع، وترك الصلاة، والزكاة، وغيرهما من أمور الدين، وعادوا إلى ما كانوا عليه في الجاهلية من عبادة الأصنام والأوثان بلا نبي كاذب، أو رسول مزعوم .

وهذان القسمان أفسدوا في الجزيرة العربية إفسادا كبيرا، وأغلقوا المساجد في ديارهم، ولم يبق في الجزيرة العربية إلا مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد عبد القيس في البحرين .

ومع الصنفين السابقين وجد صنف ثالث، وهم الذين استمروا على الإيمان بالله تعالى، إلا أنهم فرقوا بين الصلاة والزكاة، وهؤلاء هم أهل بغي لمنعهم الزكاة مع إقرارهم بمشروعيتها، وزعموا أنهم كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ خاصة .

ومن المانعين للزكاة من كان يريد إخراجها إلا ان رؤساءهم صدوهم، ومنعوهم من إخراجها، وهم " **بنو يربوع** " الذين جمعوا الزكاة، وأرادوا إرسالها إلى أبي بكر ﷺ فمنعهم " **مالك بن نويرة** " وردها عليهم، وفرقها بينهم .

والمانعون للزكاة هم الذين وقع بسببهم الخلاف بين أبي بكر وعمر ﷺ.

فقد ذهب عمر بن الخطاب ﷺ إلى أنه لا يجوز مقاتلة من نطق بتوحيد الله تعالى، وامتنع عن أداء الزكاة، اعتمادا على ظاهر الحديث .

فبين أبو بكر ﷺ أنه لا فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الصلاة حق النفس، والزكاة حق المال، فمن صلى عصم نفسه، ومن زكى عصم ماله ، والصلاة، والزكاة، وسائر الأركان حق الشهادة، فمن لم يصل قوتل على ترك الصلاة، ومن لم يزك أخذت الزكاة من ماله قهرا، فإن نصب لنا الحرب قاتلناه، ولذلك أقسم أبو بكر ﷺ أنهم لو منعوه عنزة صغيرة ، او حبلا كانوا يعطونه لرسول الله ﷺ لقاتلهم عليه .

وقد شرح الله تعالى صدر عمر بن الخطاب ﷺ فذهب إلى ما ذهب إليه أبو بكر ﷺ ، واشترك عمر ﷺ في قتال المرتدين مع أبو بكر ﷺ .

وفي معنى الأحاديث ملحوظات عدة، ... منها : -

الملحوظة الأولى : جاءت أحاديث الباب بقوله ﷺ : **(أمرت)** بصيغة المبني للمجهول، لظهور الفاعل وهو الله تعالى، وقد اصطلح المحدثون إلى أن الآمر يكون أعلى شأنا من المأمور، وهذا يدل على أن الآمر هو الله تعالى، فليس أحد من البشر أعلى من رسول الله ﷺ ، والآمر لرسول الله ﷺ هو ربه ومولاه سبحانه وتعالى .

ولذلك أجمع العلماء ، والفقهاء، والدعاة على أن الآمر للرسول ﷺ هو الله تعالى، والآمر للصحابة رضي الله عنهم هو رسول الله ﷺ ، والآمر للتابعي صحابي أو تابعي، ...

والخلاصة أن من اشتهر بطاعة رئيس إذا قال: **(أمرت)** فهم منه أن الآمر له هو ذلك الرئيس .

الملحوظة الثانية : قد يسأل سائل: لم وقع الاختلاف بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع أن قوله ﷺ : **(إلا بحق الإسلام)** ظاهر في الدلالة على قتال مانع الزكاة ؟

وكيف لم يذكر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أباه بهذا الحديث، فهو راويه، حتى لا يعترض على ما ذهب إليه أبو بكر رضي الله عنه ؟

والرأي في هذا أن ابن عمر رضي الله عنهما لم يكن حاضرا الحوار الذي دار بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أو أنه كان حاضرا ونسيه، أو أن عمر رضي الله عنه لم يستحضر الحديث فقد تخفى بعض الكلمات النبي ﷺ على أصحابه ، إلا أنه إذا ذكر تذكر، ولذلك لما ذكر أبو بكر رضي الله عنه الحديث لعمر رضي الله عنه شرح الله صدره ، ووافق أبا بكر رضي الله عنه فيما ذهب إليه .

وعلى هذا يظهر أن أبا بكر رضي الله عنه استدل على عمر بالنص، وأكده بقياس الزكاة بالصلاة .

كما يظهر صدق أبي بكر ﷺ في رواية الحديث ، فقد أقره الصحابة الحافظون له، ولم يعترض عليه أحد .

الملحوظة الثالثة : تسمية مانعي الزكاة فقط بالمرتدين تسمية لغوية، والحق أنهم بغاة تؤخذ الزكاة منهم قهرا، لأنهم مقرون بها ابتداء، أما إن أنكروا مشروعيتها فهم مرتدون حقيقة لإنكار أصل من أصول الإسلام .

الملحوظة الرابعة : قوله ﷺ : **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)** إشارة إلى مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله تعالى تسبقها مراحل عدة:

أولها : الدعوة إلى الإسلام ببراهينه، وحججه، ورد المزاعم الواهية عنه، ومناقشة غير المسلمين بالحسنى، وتلك المرحلة يوضحها قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(١) .

وقوله ﷻ : ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٢) .

وهذه المرحلة هي أساس الدعوة، ولن ينتقل الدعاة إلى المرحلة بعدها إلا بعد استنفاد كافة سبل الدعوة ، والنصح، والإرشاد .

فإذا لم تفد الدعوة والإرشاد ينتقل المسلمون إلى :

المرحلة الثانية : وهي أخذ الجزية من الذميين في إطار سلطان الدولة الإسلامية .

والجزية تعني قدرا ضئيلا من المال يدفعه الذمي مقابل حمايته، وتحقيق الأمن له في نفسه، وماله، وولده، وأهله، وسائر حاجاته مع إعفائه من الاشتراك العملي في تحقيق الأمن، والدفاع عن البلاد .

---

(١) سورة النحل الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٨٣ .

إن المسلم مكلف أن يدفع من ماله زكاة ، ونفقة، وكفارات تحمله مسئولية حماية الأمة، والاشتراك العملي في حفظ الأمن ، وتحقيق الأستقرار .

وهنا مسألة تحتاج لتوضيح تتصل بعدم اشتراك الذمي في أعمال الجيش، وحركات الأمن الداخلي، والخارجي، والأمر واضح، وهو أن أمن الدولة الإسلامية يقوم على جهود المخلصين لها، ولذلك حسن إبعاد غير المؤمنين بالإسلام عن هذه المسألة .

إن المنافق لا يصح أن يتولـة القيادة، وادارة الأمن لعدم صدقه في الإيمان، ومن باب أولى يحسن إبعاد غير المسلمين عن المهام الكبرى في الدولة الإسلامية، لأنه لا يؤمن جانبهم ، ودائما يتستر الضعفاء بستار الدين لينالوا منه، ولذلك حسن إبعاد أهل الذمة عن تولي المهام الكبرى، وعن الدفاع عن الدين الذي أبوا الإيمان به .

فإن أبى غير المسلمين دفع الجزية تكون :

المرحلة الثالثة: وهي القتال، وهي المرحلة التي تحدثت عنها أحاديث الباب.

وانما اقتصر الحديث على المرحلة الثالثة، لأن الأمر بأخذ الجزية جاء متأخرا، أو أن أحاديث الباب تكون من العام الذي خص منه البعض دون غيره، أو أنه من العام الذي أريد به الخاص، فالمراد بـ**(الناس)** المشركين الذين رفضوا الدعوة، وأبوا دفع الجزية، ويكون المعنى : اقتلوا المشركين من غير أهل الكتاب، ويدل على ذلك رواية النسائي الصريحة التي جاءت بلفظ **(أمرت أن أقاتل المشركين)** (١).

---

(١) السنن الصغرى - كتاب تحريم الدم، حديث : ٣٩٢٤.

وتتضمن أحاديث الباب مسألتين هما : -

المسألة الأولى
حكم مانع الزكاة

حكم مانع الزكاة يختتلف عن حكم منكر مشروعيتها، فمن أقر بها ولم يخرجها أجبر على دفعها، ولا يعد مرتدا، فقد تأول وأخطأ، ولذلك أمر الله تعالى رسوله ﷺ بقوله ﷻ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾(١) .

والأمر في الآية أمر لرسول الله ﷺ ، ولكل مسلم، وقد قاتل أبو بكر ﷺ مانعي الزكاة لأنهم انحازوا إلى المرتدين، وقاتلوا المسلمين .

ومن منع الزكاة بلا تأويل وعلم حكمها الصحيح، وبقى مصرا على المنع، فعلى المسلمين جهاده، لأنه منكر لها حينئذ.

وليس منع الكفر عنهم نفيه عن أمثالهم في زماننا، فقد استفاض في الناس العلم بالزكاة، وعلم أحكامها العام والخاص، ولا عذر لأحد في التأويل ، فقد صار حكم الزكاة أمرا معلوما من الدين بالضرورة، لابد من قهر مانعها على أداء الزكاة .

المسألة الثانية
اجتهاد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

غاب نص الحديث على عمر ﷺ ، فاستدل بالظاهر، وعارض أبا بكر ﷺ، فرد عليه أبو بكر ﷺ بالقياس تقوية للنص، وأصر أبو بكر ﷺ على ما ذهب إليه، فشرح الله تعالى له صدر عمر ﷺ بعدما علم بالحديث كاملا، واتفق

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٠٣ .

الجميع على قتال مانعي الزكاة، وبخاصة أنهم انضموا إلى المرتدين، وقاتلوا المسلمين .

ـ د ـ
المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ما دار بين أبي بكر وعمر ﷺ حول مانعي الزكاة بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فقد تمسك أبو بكر ﷺ بقتالهم، لأنهم انكروا حق المال، وانكروا الحقوق التي ألزمتهم بها كلمة التوحيد، وهو الالتزام بالدين كله، وناقش أبو بكر ﷺ عمر ﷺ، وبين له أن الزكاة حق المال، والصلاة حق البدن وهما وغيرهما من فرائض الشريعة التزاما بحقوق التوحيد، وقد أيد أبو بكر ﷺ رأيه بالدليل ، وشرح الله تعالى صدر عمر ﷺ لما ذهب إليه أبو بكر ﷺ، وقاتل المسلمين المرتدين ومانعي الزكاة، ونصرهم الله تعالى، وعاد الإسلام إلى مستقره في جزيرة العرب كما كان قبل وفاة النبي ﷺ .

ـ هـ ـ
ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب
تتضمن أحاديث الباب عددا من ركائز الدعوة والإيمان ـ أهمها : ـ
الركيزة الولى
بيان شجاعة أبي بكر ﷺ وحكمته
في إدارة شئون المسلمين

تدل أحاديث الباب على حكمة أبي بكر ﷺ، وسعة علمه، وشجاعته في إدارة شئون الدولة الإسلامية بعد وفاة رسول الله ﷺ ، فلقد فجع المسلمون في المدينة بوفاة رسول الله ﷺ ، وظن كثير منهم نهاية الدعوة الإسلامية حينما

رأوا ردة عرب الجزيرة جميعا، حيث لم يبق متمسكا بالإسلام إلا أهل المدينة، ومكة، والطائف .

بايع المسلمون أبا بكر ﷺ بالخلافة فوليها، ووجد الدولة أمام حال يحتاج إلى الحكمة، والشجاعة، ودقة القرار، فقد أمر الرسول ﷺ قبل وفاته بإعداد جيش أسامة ﷺ للذهاب إلى أقصى الشمال لمواجهة جيش الروم وأعوانهم، وارتد العرب، ونصح عمر ﷺ وغيره من الصحابة الكرام أبا بكر ﷺ بإيقاف جيش أسامة لحاجة المدينة إلى جنود الجيش يحمونها من المرتدين، كما نصحوه بعدم قتال المرتدين لكثرتهم، والاكتفاء بدعوتهم .

في هذا الحال ظهر أبو بكر ﷺ، وأدرك بحاسته الإيمانية أن ما أمر رسول الله ﷺ به لابد من نفاذه، فأصر ﷺ على إنفاذ الجيش بقيادة أسامة الشاب ، كما أصر على قتال المرتدين، وكان في رأيه نصر الله تعالى للمسلمين، فعاد جيش أسامة ﷺ منتصرا، وتم القضاء على الردة، وعادت الجزيرة إلى الإسلام كما كانت بتقدير الله تعالى، وبفضل شجاعة أبي بكر ﷺ ، وحكمته، ودقة رأيه، ... وعلم القاصي والداني من العرب، ومن الفرس، والرومان أن المسلمين قوة باعت نفسها لله تعالى، ولا تبغي إلا أن تكون كلمةالله هي العليا .

الركيزة الثانية
التزام المسلمين بالشورى

تشير أحاديث الباب إلى قيام شئون المسلمين على الشورى، وعدم الأخذ برأي الفرد ما لم يؤيده نص، فلقد بايع المسلمون أبا بكر ﷺ ، وعارضوه في ثلاثة أمور هي :

١- إنفاذ جيش أسامة ﷺ .

٢-رغبتهم في عزل أسامة ﷺ عن قيادة الجيش لصغره .

٣- عدم قتال مانعي الزكاة، والاكتفاء بتلفظهم بشهادة التوحيد .

ودار النقاش حول هذه القضايا الثلاثة، وكلف الصحابة عمر ﷺ بأن ينوب عنهم في محاورة الخليفة، فحاوره أبو بكر ﷺ وقدم صورة واضحة لالتزام المسلمين بالشورى ، ولم يسلم عمر ﷺ لأبي بكر ﷺ إلا بعد أن عرفه بحديث رسول الله ﷺ الذي ركز على حق كلمة التوحيد ، وظهر حسن رأي أبي بكر ﷺ ، وحسن استدلاله بسنة النبي ﷺ ، فشرح الله تعالى صدر عمر ﷺ ، وأطاعه الصحابة، وكان النصر معهم .

ومن المهم توضيح عملية الشورى التي عاشها المسلمون عند هذه الأزمة الخطيرة، **لقد تمسك أبو بكر** ﷺ برأيه ، لأن الدليل معه فمانعوا الزكاة لم يؤدوا حق المال الذي نص عليه الحديث، وبعث جيش أسامة تنفيذا لعمل رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، والإبقاء على قيادة أسامة ﷺ للجيش إنفاذا لأمر رسول الله ﷺ .

لقد انتصر المسلمون في خلافة أبي بكر ﷺ، وبقى عليهم أن يجعلوا الشورى أسلوبا أساسيا في حياتهم، ليكونوا مسلمين صادقين، وياتيهم نصر الله تعالى.

-و-

لمحات موجزة في فوائد الحديث

أهم الفوائد المستنبطة من أحاديث الباب ...هي : -

١) حق جميع المسلمين في إبداء الرأي في مهام الأمور، واختيار الشخص الذي ينوب عنهم في عرض الرأي الآخر، فقد اختار

الصحابة عمر بن الخطابﷺ لينقل رأيهم إلى أبي بكر ﷺ، مع التلطف ، وحسن الخلق.

٢) ضرورة الاجتهاد في النوازل، واشتراك المسلمين في عمل ما ينفع الأمة، ويخرجها من ملماتها وفق الأصول الدينية، والمبادئ الشرعية .

٣) يحتاج الحكم إلى الحسم حين الاختلاف فيه، وتأكيد حقيقته للناس بالمؤكدات البيانية كالقسم، واثبات الدليل، ومناقشة المعارض وتوضيح الطريق .

٤) الإسلام يصون للإنسان نفسه، وماله، وعرضه، وولده، ودينه، وبهذا يعيش الإنسان مكرما سيدا .

٥) لا مانع من خفاء بعض السنة على بعض أكابر الصحابة، والعبرة تذكير الثقات العدول بما خفي منها .

٦) الإسلام قائم على الظاهر والباطن، والعلم، والعمل، والحكم في الدنيا على الجانب الظاهري، وحساب الله تعالى في الآخرة قائم على الظاهر والباطن .

٧) شعائر الإسلام تحقق سعادة المجتمع، فالشهادة توجه لله تعالى، والصلاة عهد عملي معه، والزكاة تطهير وتعاون، والحج مؤتمر عالمي للمسلمين أجمعين، ودور الخلافة تفعيل ذلك .

٨) من حق المسلم على أخيه مراجعته في القضايا التي يفكر فيها ليحدث بينهما حوار يوصلهما إلى الحق الثابت بدليله ، فقد يغيب الدليل عن

أحد من المسلمين، ويعلمه من صاحبه .

٩) من الضروي التزام الأدب في الحوار والمناقشة، وقد رأينا ذلك في خلق أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حين تحاورهما .

١٠) جواز الحلف لتأكيد القصدوالعمل،ويحسن ذلك حين يتأكد الحالف من صدقه، ومخالفة غيره له بلا دليل .

١١) أهمية انفعال المسلمين بالقضايا الهامة، وعند النوازل الكبرى، لأن مستقبل الدين لهم جميعا، ولا يصح الصمت والسكوت عند المخاطر التي تهم الإسلام والمسلمين .

-٧-

٩ - باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله وصحة إسلام من أسلم وهو في مرض الموت قبل الغرغرة

[١٦]،(١) ١٣٦٠ حديث المسيب بن حزن ﷺ ، قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ ، فوجد عنده أبا جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة.

قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله، .

فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟

فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة حتى قال أبو طالب، آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله .

فقال رسول الله ﷺ : أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله تعالى فيه ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ ﴾ (١)(٢) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١٣.

(٢)أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ٨١ باب إذا قال المشرك عند الموت : " لا إله إلا الله" ، وللحديث روايات أخرى في صحيح البخاري في أرقام : (٣٨٨٤ ، ٤٦٧٥ ، ٤٧٧٢ ، ٦٦٨١)

ـ أ ـ
موضوع حديث الباب

يبين الحديث صحة إسلام من آمن في مرض الموت قبل الغرغرة، وأن من مات على الشرك فهو من أصحاب الجحيم، لا ينقذه شيء، ولا يصح الاستغفار له .

ـ ب ـ
الدلالات اللغوية لحديث الابب

يقول راوي الحديث: **(لما حضرت أبا طالب الوفاة)** أي : لما قربت وفاة أبي طالب، وجاءه المرض الذي توفي فيه، وفي الكلام حذف تقديره **(لما حضرت أبا طالب مقدمات الوفاة وعلاماتها)**، فهو مجاز بالحذف.

وأبو طالب هو عم النبي ﷺ الشقيق، كفله بعد جده عبد المطلب، وكان يحب محمدا ﷺ ، ويفضله على أبنائه، وقد قدم له الحماية بعد البعثة، واستمر على الكفر خوفا من معايرة المكيين له بترك دين أبائه .

توفي أو طالب بمكة قبل الهجرة، وكان عمر النبي ﷺ وقتها تسع وأربعون سنة، وثمانية أشهر، وأحد عشر يوما، قبل وفاة خديجة رضي الله عنها بثلاث أيام (١)، وقد سمى رسول الله ﷺ عام وفاتهما بـ " **عام الحزن** " .

ولا يصح أن يكون المراد بالوفاة التي حضرت أبا طالب معاينة الوفاة، والنزع، والغرغرة، لأن هذه الحالة لا ينفعمعها إيمان، لقول الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ (٢).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج١ ص ٢١٥ ، دار إحياء التراث .

(٢) سورة النساء الآية : ١٨ .

ولو كان المراد هذه الحالة ما صح حواره مع النبي ﷺ، ومع كفار مكة .

(جاءه رسول الله ﷺ) أي : أتاه رسول الله ﷺ ليعوده، ويدعوه إلى الله تعالى، أملا في أن يموت على الإسلام .

(فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة،) أي لما ذهب رسول الله ﷺ لعمه وجد عنده أبا جهل، وهو عمر بن هشام، وعبد الله ابن أبي أمية، وهما من زعماء الكفا في مكة .

ف**(قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: يا عم)** أي : نادى النبي ﷺ عمه بهذه المقولة، ليؤكد له حرصه على خيره، وحبه له، واخلاصه في نصحه، ودعوته.

(قل لا إله إلا الله) أي : اعلن الإسلام ، وادخل فيه بالتلفظ بكلمة التوحيد، فهي كناية عن الشهادة بفرعيها، لأنه لا يثبت حكم الإسلام إلا بهما .

(كلمة أشهد لك بها عند الله)، (كلمة) منصوبة لآنها بدل اشتمال لـ**(لا إله إلا الله)** ، ويجوز نصبهاعلى الاختصاص، أو رفعها على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي) ...

وشهادة رسول الله ﷺ للمؤمنين إثبات لحقهم عند ربهم عند الحساب، واعلاء لذكرهم في الدنيا، يقول الله ﷻ لرسوله ﷺ :﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ﴾ (١)، ويقول ﷻ :﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾(٢) ، ويقول ﷻ : ﴿ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(٣) .

---

(١) سورة النحل الآية : ٨٩.

(٢) سورةالأحزاب الآية : ٤٥ .

(٣) سورة البقرةالآية : ١٤٣ .

وكان ﷺ يقول عن شهداء أحد: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة)[١].

وقد رغب النبي ﷺ في إيمان عمه أبي طالب قبل موته ليشهد له، ويستريح قلبه، ويسعد لتحقيق إيمان عمه الذي نصره، وذب عنه، واستمر معاونا له .

(فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟) أي : خاف الرجلان أن يؤمن أبو طالب ، فذكراه بما كان عليه أبوه عبد المطلب، وانكروا عليه أن يتركه، ويرغب عنه، ويدخل في دين محمد ﷺ .

وقد زعما له أنهم على ملة، ودين، وهذا زعم باطل منهم، فليس الكفر ملة ودينا، وذكراه بعبد المطلب تحميسا له، وتركيزا على المعرة التي ستصيبه بين العرب إن ترك دين أبيه .

(فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه) أي : استمر النبي ﷺ يعرض على عمه دعوته، ويطلب منه الإيمان ليفوز بالجنة .

(ويعودان بتلك المقالة) أي : ولم يزل الرجلان الكافران يكرران على مسمع أبي طالب مقالتهما السابقة .

(حتى قال أبو طالب، آخر ما كلمهم، هو على ملة عبد المطلب) أي : حسم أبو طالب موقفه، وأعلن لرسول الله ﷺ وللكافرين أنه متمسك بما كان عليه أبوه عبد المطلب من الكفر .

(وأبى أن يقول لا إله إلا الله) أي : ورفض أبو طالب الإيمان، وأبى النطق بالشهادة.

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد - حديث : ١٢٩١.

(فقال رسول الله ﷺ : أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك) أي : طيب رسول الله ﷺ خاطر عمه بأن نبهه، وأقسم له بأنه سيستمر على طلب أن يغفر الله له ما لم ينهه الله تعالى عن الاستغفار ، وأخذ النبي ﷺ يستغفر لعمه إلى أن نهاه الله تعالى عنه بقوله ﷻ :﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ١١٣ ﴾، أي : ما صح، وما جاز أن يستغفر النبي ﷺ والذين أمنوا للمشركين مهما كانت قرابتهم بعدما تبين لهم أنهم من المشركين .

زاد مسلم في روايته (.. **وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ :** ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾) (١)(٢) .

فقد أجمع المفسرون على أن الآية نزلت في أبي طالب مع عمومها في غيره، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومعنى ﴿ مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ﴾ أي: من أحببته لقرابته، أو أحببت هدايته لقرابته، ... والله أعلم بمن قدر هدايتهم وايمانهم .

- جـ -

البيان التحليلي لحديث الباب

ولد النبي ﷺ ونشأ يتيما، فقد مات أبوه عبد الله وهو في بطن أمه، فكفله جده عبد المطلب، وبعد وفاته كفله عمه أبو طالب شقيق أبيه، فاعتنى به، وقربه منه، وكان يصطحبه في مهام الأمور، فنشأ ﷺ تحت رعايته مشأة

---

(١) سورة القصص الآية : ٥٦.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله - حديث : ٦٠.

عملية، رعى الغنم، وسافر للتجارة، وشاهد حلف الفضول، واشترك مع أعمامه في حرب الفجار، وخطب له عمه أبو طالب خديجة ﵂ ، وظل أبو طالب طوال حياته ردءا لرسول الله ﷺ ضد كفار قريش، وتحمل من أجله عنتهم وأذاهم، وصبر على تحالف القرشيين ضد بني هاشم والمطلب، إذ كانوا لا يبيعونهم شيئا، ولا يشترون منهم، ولا يزوجوهم، ولا ينكحون منهم، وحصروهم في الشعب ثلاثة أعوام حتى أكلوا ورق الشجر، وأصر القرشيين على المقاطعة ما لم يسلموا لهم محمد ﷺ .

واستمر أبو طالب في حماية محمد ﷺ ، وبذل كل شيء له، وتلك أعمال تشير إلى حبه لمحمد ﷺ ، وحرصه على الدفاع عنه .

ولذلك كان ﷺ حريصا على إيمان عمه أبي طالب، لينال جزاء ما قدم من عمل ، واستمر يدعوه إلى أن توفي ولم يكتب الله له الهداية .

والحديث يشير إلى المعركة الحامية الدائمة بين الحق والباطل، فها رسول الله ﷺ يذهب إلى عمه في مرضه الذي مات فيه، يزوره ويدعوه إلى الإيمان ، ويتلطف في الحديث معه، ويذكره بالقرابة ، ويتمنى أن يشهد له عند الله تعالى بالتوحيد ليفوز برضوان الله تعالى عليه .

إلا أن قادة الكفر أرسلوا أبا جهل ، وعبد الله بن أمية لينشطا في دعوة أبي طالب إلى التمسك بما كان عليه أبوه عبد المطلب، ويخوفنه من العار الذي سيلحق به ، وبذريته إن ترك ملة عبد المطلب .

وكانت إرادة الله تعالى أن يموت أبو طالب على الكفر، ويعلن تمسكه بمذهب عبد المطلب، وتلطف النبي ﷺ مع عمه، وعرفه أنه سيستغفر لهما ما لم ينهه الله عن ذلك، وقد نهاه الله تعالى عن ذلك كما بينت الآية .

ولا خلاف في موت أبي طالب على الكفر، فقد كان آخر حديثه **(هو على**

ملة عبد المطلب) ، وهذا يرد من قال : إنه كان مؤمنا بقلبه، لأن نطق اللسان دليل على ما في القلب، والحكم في الدنيا على الظاهر .

ويرد أيضا القول بأنه نطق بالشهادة ، لأن ما جاء في حديث الباب هو أخر ما قاله أبي طالب قبل وفاته، وما نزل في شأن أبي طالب دليل على أنه مات على الكفر .

ولا خلاف في إسلام من أعلن إسلامه صادقا، مخلصا قبل معاينته الموت، والنزع، والغرغرة، ثم مات بعد ذلك فالله غفور رحيم .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يشير حديث الباب إلى أن رسول الله ﷺ ذهب إلى عمه في مرض موته، وأخذ يدعوه إلى الدخول في الإسلام ، والنطق بالشهادتين في مواجهة دعاة الضلال ، الذين جاؤوا إلى أبي طالب لحثه على التمسك بما كان عليه أبوه عبد المطلب من شرك وضلال، وقد استمع أبو طالب لكل من حضر، وأعلن في النهاية تمسكه بملة عبد المطلب .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من ركائز الدعوة والإيمان ـ أهمها : ـ

الركيزة الأولى

الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل

جعل الله تعالى الناس في الدنيا فريقين... فريق يعرف الحق، ويتمسك به، ويدافع عنه، ويعمل على نشره بين الناس، وفريق آخر يعشق الباطل، ويرضى به، ويتعصب له.

فقد أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض ، وأهبط معه إبليس اللعين ليسعى كل في طريقه، واستمر الصراع في الدنيا بين الحق والباطل، يقول الله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾(١)، ويقول جل جلاله : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ (٢) .

ومع امتداد التارخ البشري نجد لكل من الشر والخير أنصارا، ومعاونين، وعندما قرب أجل أبي طالب حضر عنده رسول الله ﷺ يدعوه للحق، ويحثه على الإسلام، وينادية للدخول في معسكر المؤمنين الصادقين، وكما حضر عنده زعيما الكفر والضلال في مكة أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية يدعوانه للتمسك بدين أبيه عبد المطلب، ويزينون له عبادة الأصنام، ويخوفونه من العار الذي سيجلبه لبنيه وعشيرته .

أخذ رسول الله ﷺ يدعو عمه أبا طالب بالرفق والمودة، ويذكره بعمومته التي تؤكد إخلاصه، وتمني هدايته، وكرر له الطلب، واحاطه بالحب، ووعده بالاستغفار ما لم ينهه الله عن ذلك .

وأخذ زعماء الكفر والشرك يدعون أبا طالب إلى التمسك بعبادة آلهة الآباء وتقاليدهم، واستمر الصراع بين دعاة الباطل، ودعاة الحق إلى أن حسم أبو طالب موقفه وأعلن اختياره لدين أبيه.

وسوف يستمر هذا الصراع ما بقيت البشرية، وعلى الدعاة أن يعلموا هذه

---

(١) سورة الأنعام الآية : ١١٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٢٣ .

الحقيقة، ويستعدوا لها، فهم الحاملون لدعوة الحق، وعليهم نشر دين الله تعالى، وتبليغه للناس، ورد الباطل، ودحض مزاعمه، وشبهاته.

إن معرفة مصاعب الطريق سبيل لاجتيازه، لأنها تدعو المخلصين إلى الاستعداد لخوضه، واستحضار عوامل الفوز والغلب لينتصر الحق، ويهلك الباطل، كما كان يوم فتح مكة، وكما حدث في مواقف عديدة ، وكما نفهم من قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (١) .

إن طريق الدعوة ليس مفروشا بالورود، فهناك الضالون، والمنافقون، والمشركون، ومتعصبوا أهل الكتاب، وكلهم وأمثالهم يواجهون الدعوة بالخصومة والعداوة، ولذلك كانت حاجة الدعوة إلى عمل وتخطيط، وسعي كبير يشمل الدعوة ، والدعاة، والمدعوين، ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(٢) .

الركيزة الثانية
منهجية الدعوة في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب صورة عملية للدعوة إلى الله تعالى كما بينها رسول الله ﷺ ، وأهم ملامح الصورة ما يلي :

أولا: عرض الدعوة، وتبليغها للناس في علم رشيد، وتوجيه سديد لاتباع الصراط المستقيم ، فهذا هو رسول الله ﷺ لما رأى قرب وفاة عمه دعاه إلى الإسلام في حضرة زعماء الكفر ، ولم يمنعه مرض عمه ، ولم يصده حضور زعيمي الكفر في مكة، بل دعاه ذلك إلى الدعوة لينقذ عمه قبل وفاته وليستمع

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٨١ .

(٢) سورة يوسف الآية : ٢١ .

كفار مكة دعوته .

ثانيا : استعمال الأساليب الحسنة الرقيقة، حيث أخذ ﷺ ينادي: **(ياعم)** وهي من الألفاظ المقربة للقلوب، التي تساعد على الاستماع ، فلما عارضه كفار مكة لم يرد عليهم، واستمر في دعوة عمه بالحسنى .

ثالثا : استمرا الأمل ، فقد أخبر رسول الله ﷺ عمه بعد أن حدد موقفه بأنه سيطلب المغفرة له ما لم ينه عن لك ، وقد نهى الله ﷻ عن ذلك .

رابعا : الترغيب في الخير، حيث وجدناه ﷺ يقول لعمه : إنها كلمة تجعلني أشهد لك بها عند الحساب لتفوز بالجنة والرضوان .

خامسا : إعلاء صوت الحق، فها هو رسول الله ﷺ يعلن كلمة الحق عند عمه، ويكررها على مسامع من صناديد قريش بكل قوة وشجاعة، وذلك أمر يتضح حين نعلم أن هذا اللقاء كان قبل الهجرة إلى المدينة، وتلك ملامح في طريق الدعوة نضعها أمام الدعاة .

الركيزة الثالثة
أثر الكفر على العمل

جعل الله تعالى الإيمان شرطا لقبول العمل، ولذلك كانت الدعوة إلى أركان الإيمان مقدمة على الدعوة إلى الشريعة .

إن العقيدة الإيمانية تصنع الفرد المسلم، والأمة المؤمنة، أما الشريعة ، والنظم فهي نتاج الإيمان والاعتقاد .

إن المؤمن يرغب في عمل ما يرضى الله تعالى، ولذلك يبحث عن أحكام الأعمال، والأقوال التي يقوم بها دائما، وبذلك يوجد الفقه بعد العقيدة .

ولذلك كان من الضروري وجود الإيمان لقبول الأعمال، فها هو أبو طالب يعيش حياته ناصرا لرسول الله ﷺ ، متحملا عداوة قريش ،و لا فائدة له في

ذلك عند الله تعالى لأنه لم يؤمن ، وبذلك اتضح الأمر، وصار الإيمان ضرورة لقبول الأعمال، ... يقول الله تعالى عن الكافرين : ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[١] .

إن أعمال الخير التي يقوم بها غير المؤمنين ترفع ذكرهم في الدنيا، ولا شيء لهم عنها في الآخرة عند الله تعالى، والأولى بهم أن يؤمنوا بالله الذي خلقهم ، وهداهم للخير ، ليتمتعوا بعملهم ، ويفوزوا بجنات النعيم .

إن الكفر ضار بصاحبه، محبط لعمله، مانع من معرفة الحق والصواب، ولن يصل كافر إلى الحق ، فقد جمد فكره ، وجحد عقله، واتخذ إلهه هواه، وختم الله على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة ، لا يعرف الكافر حقوق الناس بعدما نسى حق الله تعالى، فمرتكب الكبيرة يقع فيما دونها، والجهل بالكليات يؤدي إلى الجهل بالفروع والجزئيات .

-و-

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يشير حديث الباب على عدد من الفوائد - منها :-

١) ضرورة تحسين الدعاة علاقاتهم بالناس، سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، ليتمكنوا من دعوتهم إلى الله بالحسنى .

٢) أهمية يقظة المؤمن لمواجهة أعداء الله في الأرض، لأنهم لا يهدؤون، ويبذلون كل جهدهم لتحقيق مآربهم الخبيثة .

٣) الحق حق بذاته، لا يتأثر بقرابة أو بمحسوبية ، وحساب الناس يكون بعملهم ، وسلوكهم .

---

[١] سورة الفرقان الآية : ٢٣ .

٤) يجب أن تتفتح العقول للنظر ، والتأمل بعيدا عن التعصب حتى نصل للصواب، لأن العصبية تمنع التفكير السليم، وتمنع العقل من الوصول للصواب .

٥) الهدى هدى الله تعالى، فمن أراد الله هدايته يسر له الصواب، وأخرجه من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان .

٦) ضرورة استمرار الأمل في الإيمان، وتوفيق الله تعالى، فباب التوبة مفتوح ما لم يقع النزع والغرغرة .

٧) ازرع جميلا ولو في غير موضعه، ... فلا يضيع جميل إينما وضع .

٨) ضرورة إسناد الفضل لذويه ، فذلك هو الصدق، وانكاره كذب غير جائز في شرع الله تعالى .

٩) جواز الحلف من غير استحلاف لإثبات حق، وتأكيد صواب .

١٠) الاستعداد لمشاق الدعوة ، فهي هدم للباطل، وابطال عمل المفسدسن

١١) من المهم أن يعرف الدعاة أباطيل خصومهم ليردوها بعلم ووعي .

-٨-

١٠- من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار

[١٧]،(١) ٣٤٣٥ حديث عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

وزاد أحد رجال السند : (من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء)(١).

[١٨]،(٢) ٩٥٦٧ حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، قال : بينا أنا رديف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا أخرة الرحل.

فقال: يا معاذ .

قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة .

ثم قال: يا معاذ .

قلت: لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة .

ثم قال: يا معاذ .

قلت: لبيك رسول الله وسعديك .

قال: هل تدري ما حق الله على عباده ؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

---

(١)أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٤٧ باب قوله: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ .

قال: حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، ثم سار ساعة .

ثم قال: يا معاذ بن جبل .

قلت: لبيك رسول الله وسعديك.

فقال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟

قلت الله ورسوله أعلم.

قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم) (١).

[١٩]،(٣) ٢٨٥٦ **حديث معاذ رضي الله عنه قال: كنت ردف النبيﷺ على حمار يقال له عفير .**

فقال ﷺ: يا معاذ هل تدري حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟

قلت الله ورسوله أعلم.

قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا .

فقلت يا رسول الله: أفلا أبشر به الناس .

قال: لا تبشرهم فيتكلوا) (٢)

[٢٠]،(٤) ١٢٨ **حديث أنس بن مالك ﷺ أن النبي صلى الله عليه وسلم ومعاذ رديفه على الرحل .**

---

(١)أخرجه البخاري في: ٧٧ كتاب اللباس: ١٠١ باب إرداف الرجل خلف الرجل .

(٢)أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد: ٤٦ باب اسم الفرس والحمار. وللحديث روايت أخرى عند البخاري في أرقام : (٥٩٦٧ ، ٦٢٦٧ ، ٦٥٠٠، ٧٣٧٣).

قال: يا معاذ بن جبل .

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك.

قال: يا معاذ .

قال: لبيك يا رسول الله وسعديك . ثلاثا .

قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار .

قال: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا .

قال: إذا يتكلوا وأخبر بها معاذ عند موته تأثما) (١)

ـ أ ـ
موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حقوق الله تعالى على العباد، وحقوق العباد على الله تعالى .

ـ ب ـ
الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يقول النبي ﷺ : **(من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه)** أي من أقر بوحدانية الله تعالى، وشهد بذلك، ونفى الألوهية عن غيره، وأتم شهادته بالإقرار بنبوة محمد ﷺ ، وشهد بذلك، وبأن عيسى عليه السلام عبد الله، خلقه بكلمة منه، وروح من لدنه، أرسلها إلى مريم البتول، فحملت

---

(١)أخرجه البخاري في: ٣ كتاب العلم: ٤٩ باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا،وللحدييث رواية اخرى عند البخاري برقم : ١٢٩ .

بلا زوج، وولدته مبرءا من العيوب، ثم أرسله الله تعالى إلى بني إسرائيل، ... وأقر بأن الجنة حق، والنار حق، وثبت على لوازم ما أقر به من قول وعمل أدخله الله الجنة .

وعناصر الحديث تدل على أن العبد يجب عليه ما يلي : -

١- أن يؤمن برسالة محمد ﷺ الذي ختم بها الرسالات .

٢-وأن يؤمن برسل الله السابقين ، ورسالاتهم بلا غلو ولا تقصير .

٣-وأن يؤمن بعيسى ابن مريم – عليهما السلام- الذي ولدته أمه بلا أب، فقد خلقه الله تعالى بكلمة وألقاها إلى مريم – عليها السلام-، ثم أرسله إلى قومه ببشريته التي عاش بها إلى أن رفعه الله تعالى إليه .

٤-وأن يؤمن باليوم الآخر، وما فيه من جنة ونار.

وهذا هو الإيمان الحق، البعيد عن الغلو، فقد خلق الله تعالى عيسى عليه السلام بكلمة منه هي " **كن**" وجعل في الجماد روحا بأمره، فنشأ عيسى عليه السلام حيا في بطن أمه بسبب هذه الروح، كما وضع ﷻ في الطين روحا فكان آدم عليه السلام .

وفي الإيمان بعبودية عيسى عليه السلام لله إقرار بالحق، ومنع لغلو النصارى الذي أخرجوه من العبودية ، وجعلوه إلها أو قربوه من الألوهية .

وأيضا فإن الإيمان بكون عيسى عليه السلام رسولا لبني إسرائيل رد على اليهود الذين أنكروا رسالته ونبوته، وقالوا فيه وفي أمه مالا يجوز .

وانما استحق من جمع كل هذه الخصال الجنة، لأنه جمع جوانب الإيمان ، وترك كل صور الكفر التي وقعت في الأمم السابقة من أهل الكتاب، وكفار العرب، والمشركين الذين رفعوا الرسل عن منزلتهم، ووصفوهم بما لا يليق بهم، ولم يؤمنوا بالرسل جميعا، ومعهم خاتمهم محمد ﷺ .

(والجنة حق، والنار حق) : أي ومن أمن بالله ورسوله، وبالأنبياء السابقين، وبعيسى عليه السلام، وصدق بالبعث بعد الموت، وعلم أن الجنة والنار حق واقع لا ريب فيه، وعمل لذلك دخل الجنة، واستحقها بعمله القائم على الطاعة، والإيمان، والإسلام، والإحسان، والعبودية القانتة لله تعالى .

(أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) أي : من أدى حق الإيمان وحافظ على عناصره المذكورة أجزاه الله تعالى على عمله بالجنة التي جعلها الله عز وجل للمتقين .

وفي زيادة الراوي **(من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء)** بيان لسعة رحمة الله، وترغيب للناس ليؤمنوا بعلم، وخلق، ويطيعوا ربهم بفهم وتطبيق .

وفي الحديث الثاني: يقول معاذ رضي الله عنه : **(بينا أنا رديف النبي** ﷺ **)** أي : حينما كنت راكبا خلف النبي ﷺ ، والردف والرديف بمعنى واحد، والمراد به الراكب خلف راكب آخر بإذنه، فالراكب الأول يكون في صدر الدابة، والرديف يكون خلفه بإذنه.

(ليس بيني وبينه إلا أخرة الرحل) أي : كنت شديد القرب من رسول الله ﷺ لا يغيب عني منه قول، أو فعل، وهذا توثيق للرواية ، وتنبيه على أن ما يرويه معاذ رضي الله عنه هو الحق والصواب .

والرحل خشبة صغيرة محشوة بالليف، توضع في مؤخرة سرج الدابة لتمهيد ظهرها للركوب، ويكون خلف الراكب في صدر الدابة .

وتسمى خشبة الإبل رحلا، وخشبة الفرس **سرجا،** وخشبة الحمار **إكفا،** وكان النبي ﷺ يركب حمارا يسمى بـ" عفير" ، ولذلك قال النووي : عن المعنى **(**قدر مؤخرة الرحل**)** الذي يعد للإبل(١) .

وقد جاء في الحديث أن الرسول ﷺ كان يركب على حمار يقال له **(عفير)** تصغير (عفر) ، مأخوذ من العفرة، وهو لون التراب في الصحراء، الملون بحمرة يخلطها بياض، وسمى الحديث مؤخرة برذعة الحمار رحلا إشارة لقوة الحمار وسرعته التي يشبه بها الإبل .

(فقال النبي ﷺ : يا معاذ بن جبل) أي ناداه ﷺ باسمه ليوقظه، وليسمعه الحديث، وليذهب الكلفة التي قد يشعر بها معاذ ﷺ مع رسول الله ﷺ .

(قلت: لبيك رسول الله وسعديك) أي قال معاذ ﷺ لرسول الله ﷺ : إجابة لك بعد إجابة، وفرحا بحديثك بعد فرح، لأن لبيك تثنية لبى أي أجاب ، وسعديك تثنية سعد بمعنى سر وفرح .

(ثم سار ساعة) أي : تحرك ركب رسول الله ﷺ قدرا من الزمن ليس يسيرا، بعد أن نادى معاذا، ومعاذ ﷺ ينتظر حديثا من المصطفى يفيده، وينفعه في الأمر الذي ناداه بسببه .

وتكرر النداء النبوي ثلاث مرات، وتكررت الإجابة، وتكرر الانتظار مرتين، وفي الثالثة قال ﷺ بعد النداء على معاذ ﷺ: **(هل تدري ما حق الله على عباده ؟)** أي : أتعلم يا معاذ حق الله تعالى على عباده الذي أوجبه عليهم بعد ان خلقهم، وأرسل إليهم رسله، وانزل لهم دينه، وحدد لهم الصراط المستقيمم ؟

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج١ ص٢٣١ .

وسؤال النبي ﷺ سؤال حقيقي ليعلم العباد ما وجب عليهم لله تعالى ، فهو ﷺ يقصد الأمة في شخص معاذ ﷺ .

قال صاحب التحرير : الحق ان كل موجود تحقق أو سيتحقق لا محالة هو خلق الله بلا تردد، فحق الله على العباد مستحق عليهم بوجودهم في هذا الوجود بلا تردد ولا توقف (١) .

(قلت) التاء تاء الفاعل، والمعنى أجاب معاذ ﷺ رسول الله ﷺ، وقال له : **(الله ورسوله أعلم)** أي إن الله تعالى هو الأعلم بحقيقة الواجب على عباده، واستعمل معاذ ﷺ صيغة التفضيل **(أعلم)** ليبين أن علمه دون علم الله تعالى، وحاجته أن يعرف حق الله تعالى الذي حدده سبحاته على عباده .

واجابة معاذ ﷺ لا تنفي علمه، وانما تشير إلى سعة علم الله تعالى ورسوله ﷺ ، وتدل على رغبته في أن يتعلم من الله ﷻ ورسوله ﷺ .

قال ﷺ : **(أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا)** أي حق الله تعالى على عباده أن يعبدوه وحده في إخلاص وصدق، ولا يتجهوا بعبادة ما إلى غيره ، ولا يشركوا معه آلهة أخرى .

(ثم سار) النبي ﷺ ومعاذ ردفه **(ساعة)** أي : مدة طويلة، والمعنى أنه ﷺ سكت مدة، ثم نادى معاذ ﷺ ، وقال له : **(يا معاذ بن جبل)** لإيقاظه وتنبيهه إلى ما سيقوله له ، ولإسقاط المهابة على نحو ما ذكرت .

(قلت: لبيك رسول الله وسعديك) أي : إجابة لك يا رسول الله بعد إجابة، وفرحا، وسرورا بحديثك بعد السرور والفرح بالسماع لك .

(فقال ﷺ : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه ؟) أي هل تعلم يا معاذ

---

(١) المرجع السابق ج١ ص ٢٣١ .

ما يستحقه العباد إذا أدوا حق الله تعالى عليهم ، وحافظوا على القيام به ؟

والمراد بحق العباد: الجزاء الذي أعده الله تعالى لهم على صنعهم، واخلاصهم ، وعطاء الكريم ، الغني ، المستغني يكون كثيرا ، واسعا، دائما لا ينقطع، ولا يضيق، ولا يقل .

(قلت: الله ورسوله أعلم) أي: الله تعالى، ورسوله ﷺ هما الأعلمان بالحقيقة الكاملة .

(قال ﷺ : حق العباد على الله أن لا يعذبهم) أي إذا أدى العباد حق الله تعالى، والتزموا بما وجب عليهم مخلصين صادقين فلن يعذبهم الله تعالى .

قال معاذ ﷺ لرسول الله ﷺ في الحديث: **(يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا)** أي : استأذن معاذ ﷺ رسول الله ﷺ في أن يبشر الناس بما سمعه منه، ويعرفهم بحقهم في دخول الجنة إذا عبدوا الله وحده .

فقال ﷺ لمعاذ ﷺ : **(لا تبشرهم فيتكلوا)** أي : لا تبين لهم ذلك فيعتمدوا على العبادة الواجبة ، ولا يكثروا من الأعمال الصالحة .

يروي البزار بسنده عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ أذن لمعاذ ﷺ في التبشير بالحديث .

فلقيه عمر بن الخطاب ﷺ فقال له : لا تعجل .

ثم دخل عمر ﷺ على النبي ﷺ ، وقال له : يانبي الله ، أنت أفضل رأيا، إن الناس إذا سمعوا ذلك اتكلوا عليها.

قال ﷺ : ردوه (أي ردوا معاذا)

فرده عمر ﷺ ، فقال له ﷺ : (لا تبشرهم)(١) .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص ٣٣٩ .

يذكر أنس بن مالك ﷺ وهو يروي الحديث أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يحدث معاذا ﷺ بالحديث، ويبدأ بتصوير ما كان عليه النبي ﷺ ومعاذ ﷺ ، ثم يقول : **(وأخبر بها معاذ عند موته تأثما)** أي يبين أنس ﷺ أن معاذا ﷺ أخبر بالحديث قبل موته خشية الوقوع في الإثم بسبب كتمان ما علم ، ونجاة من لعنة الله تعالى كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾(١)

ودل صنيع معاذ هذا على أن النهي عن التبشير كان على التنزيه لا على التحكيم، والا ما أخبر به أصلا ... وأنه عرف أن النهي مقيدا بالاتكال، فلما قويت العزائم ، وأمن من الاتكال أخبر به ﷺ .

ـ جـ ـ
البيان التحليل لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أهم القضايا في دين الله تعالى، وهي بيان حق الله تعالى على العباد، وحق العباد على الله تعالى إذا أدوا ما وجب عليهم .

والأحاديث تبين الصورة الحركية التي جاءت فيها هذه الأحاديث، وكلها توضح المؤكدات على صحة الأحاديث، ودقة نقل معاذ ﷺ لما سمعه من رسول الله ﷺ ، فلقد كان معاذا ﷺ رديفه ﷺ على حمار ، لا يفصله إلا قدر آخرة الرحل، فهو صحابي ثقة، وسماعة أكيد لقربه من رسول الله ﷺ ، وقد نداه النبي ﷺ ثلاثا باسمه لينبه على خطورة ما يسمع ، وكان من عادة النبي ﷺ أن يعيد الكلام ثلاثا ليفهمه السامع ، وقد بداه بالسؤال بعد النداء الثالث ليكون أدعى للفهم، والاستماع .

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٥٩.

وكان معاذ ﷺ سعيدا بوجوده مع رسول الله ﷺ ، وأعلن سعادته وسرعة استجابته، ووضح أن ما يعلمه لا يعد شيئا بجوار علم الله تعالى ورسوله ﷺ، وأنه يجب أن يعرف الإجابة من الله ومن رسوله ﷺ .

وقد عرفه الرسول ﷺ بحق الله على العباد، وحق العباد على الله تعالى.

وفي أحاديث الباب ملاحظات :

الملحوظة الأولى : جاء في الحديث الرابع قوله ﷺ : **(ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار)** احترازا من شهادة المنافق، فإنه يتلفظ بها، وقلبه خاو منها، والمعنى أن ينطق المؤمن بالشهادة لفظا، ويؤمن بها قلبه تصديقا، ويلتزم بها تطبيقا واستقامة وبذلك يدل قوله ﷺ : **(صدقا)** على أن أقوال المؤمن وأفعاله تتوافق مع ما في القلب، وتطابقه، وذلك بقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(١) أي حقق ما أورده قولا كما هو في قلبه يقينا ، وكما تحراه فعلا، وسلوكا، وخلقا .

الملحوظة الثانية : ظاهر الحديث يدل على أن من نطق بالشهادتين تحرم عليه النار مهما عمل من سيئات ، وهذا الظاهر غير صحيح، ولذا ذهب العلماء إلى أن المراد بالحرمة الحرمة المؤبدة، لأن الثابت عند علماء السنة أن عصاة المؤمنين يعذبون في النار، ثم يخرجون منها بعد الشفاعة، وانتهاء العقوبة، أو أن المؤمن لا يدخل النار التي أعدها الله للكفارين، أو أن النار لا تحرق جسده كله، لأنها لا تحرق مواضع السجود، ولسان الذكر، وأعضاء العبادة .

---

(١) سورة الزمر الآية : ٣٣ .

الملحوظة الثالثة : وردت عدة أحاديث تختلف ألفاظها، ويتحد معناها، منها قوله ﷺ :

- عن عثمان بن عفان ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله ، دخل الجنة)** (١).
- عن معاذ بن جبل ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)** (٢) .
- عن أنس بن مالك ﷺ قال : ذكر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل ﷺ : **(من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة)** (٣).
- **عن** أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : **(ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار)** (٤).

وهذه الأحاديث سردها مسلم في صحيحه ، وظاهرها يحتاج إلى تأويل معناها لبيان المراد من النطق بكلمة التوحيد، والتلفظ بها، وأداء حقها، والمحافظة على فرائضها، والالتزام بتعاليم الله تعالى التي أوحى بها، والموت على ذلك .

---

(١)صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة - حديث : ٦٣

(٢)المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الجنائز،حديث : ١٢٣٣

(٣)صحيح البخاري - كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم - حديث : ١٢٨

(٤)صحيح مسلم ،كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة - حديث : ٧٢

ومن اليسير أن ينزل كل حديث في منزلته ودلالاته، ويكون المعنى ما ذهب إليه أهل السنة من المحدثين والفقهاء، والمتكلمين من أن من مات على الإيمان، وتشهد مخلصا بالشهادتين فإنه يدخل الجنة، وتحرم عليه النار برحمة الله تعالى، وأن من خلط بين الطاعة والمعصية ، فأمره في مشيئة الله تعالى، لا يقطع في أمره لأول وهلة، بل يقطع بأنه سيدخل الجنة حالا إن غفر الله له ، أو مآلا بعد الانتهاء من عقوبته في النار .

الملحوظة الرابعة : في أحاديث الباب جاء أن **(حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا،)**، وجاء أن **(من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله،)** وهما بمعنى واحد وان اختلف مبناهما لشمول العبادة لكل أعمال الناس التي شرعها الله تعالى، وبينها للناس، ولأن الشهادة الصادقة تنبع من قلب متيقن، وتستتبع عملا مستقيما هو حقها ولازمها .

-د-
المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ان حق الله تعالى على العباد أن يعبدوه وحده بصدق واخلاص، عبادة تتجلى في إقرار القلب، ونطق اللسان، وموافقة الأعمال للأقوال، وتوضح أن رسول الله ﷺ اشتهر بالتواضع، والسماحة، وكان يعلم أصحابه رضوان الله عليهم وحي الله إليهم بلين ورفق، وتعامل حسن، وكان ﷺ يؤكد لأصحابه وقوع اليوم الآخر بما فيه من مشاهد، وأعمال، وكما عرفهم بحق الله تعالى عليهم عرفهم بحقهم على الله تعالى إن استقاموا على منهج الله تعالى .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من ركائز الدعوة والإيمان ـ أهمها :ـ

الركيزة الأولى

بيان وحدة الدين

بعث الله تعالى الرسل بدين واحد، وان اختلفت شرائعهم، ولذلك وجب على كل مؤمن أن يؤمن بالله وحده، وأنه لا شريك له، ويصدق برسل الله جميعا، وبما أنزل الله تعالى عليهم من الكتب، والرسالات، وبالملائكة، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره .

وقد بين الله تعالى للناس أن دين الرسل جميعا واحد، فقال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ (١) .

فدين الله واحد، وصى به الرسل أجمعين، فأساسه العقيدة، **والعقيدة تتصل** بقضايا ثابتة لا تتغير، ولا تختلف باختلاف الزمان والمكان والناس، وهي أساس الدين ، وبها كانت وحدته .

أما القضايا غير الثابتة التي تتغير تبعا للظروف، والأحوال، والزمان، والمكان، كالمعاملات، والنظم، وأحكام وأحوال الناس **فهي الشريعة** التي جعل الله تعالى لكل رسول شرعة ومنهاجا، ولذلك لم يكن عجبا أن يتغير حكم عمل من مكان إلى مكان، فقد كان للإمام الشافعي مذهب في العراق تغير حينما جاء إلى مصر، وظهر مذهبه الجديد فيها .

---

(١) سورة الشورى الآية : ١٣ .

وانما تقبل الشريعة هذا التغيير لقيامها على مبادئ كلية، وأسس عامة تحكم سائر فروع الشريعة .

وخص حديث الباب الإيمان بعيسى عليه السلام من بين سائر الرسل ليقطع الغلو فيه ، ويؤكد ضرورة الإيمان به رسولا من البشر ، اختاره الله تعالى لدعوة بني إسرائيل ، وهذا يرد على اليهود المنكرين لدعوة عيسى ومحمد – عليهما السلام – ويرد غلو النصارى في عيسى عليه السلام الذين رفعوا شأنه إلى مقام الألوهية ، يقول الله تعالى : ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْآيَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾(١)

ويقول ﷻ : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾(٢).

إن رسل الله جميعا عبيد لله تعالى، صنعهم الله ﷻ بإرادته وقدرته، وأحاطهم بالمعجزات، وخوارق العادات، ولذلك وجب الإيمان بهم على النحو الذي بينه الله تعالى .

والمسلم بين أصحاب العقائد جميعا هو الذي يجمع الإيمان بأركان الإيمان ، ولا يكذب برسول من رسل الله – عليهم السلام .

الركيزة الثانية
منهجية الدعوة في الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من أساسيات الدعوة إلى الله تعالى ... ومنها :

---

(١) سورة المائدة الآية : ٧٥ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٧٧ .

١-ضرورة إيقاظ وعي المدعوين، وجذبهم إلى قضايا الدعوة ليقبلوا على ما يقال، ويعوا ما يسمعون، فهذا هو رسول الله ﷺ ينبه معاذا رضي الله عنه بالنداء المتكرر مع الصمت بعد السؤال مدة غير يسيرة ليجمع كل الوعي ، وكل الانتباه ، وليزيل ﷺ الهيبة من معاذ رضي الله عنه التي كانت تمنعه من السؤال ، وتعجزه عن الاستماع، وبعد ذلك يكون السؤال الذي جعله يستحضر كل ما لديه .

٢-أهمية بدء الحديث بالسؤال ، ليجمع المستمع ذهنه ، ليعرف الإجابة إن كانت عنده، أو ليتأكدها من رسول الله ﷺ فعنده القول الفصل، وحينما تنتقل المعرفة بالاستفهام تصير جزءا من اهتمام الطرفين، لأنهما توصلا إليها بعد رغبة فيها .

٣-البدء بالقضايا الرئيسية الجامعة لفروع عديدة، لأن القضية الرئيسية أساس لغيرها، ولذلك كان البدء بها أولى، وأكثر توضيحا للفرعيات بعدها .

٤-استعمال الألفاظ الحسنة في الخطاب بمثل مناداة الإنسان باسمه، وتقدير عقله وفهمه، لأن السؤال يحتاج إلى هذا التقدير حين يقصد السائل أيصال أمر هام للمسئول، ودائما يحب الإنسان من يعامله بالحسنى، ويرغب في سماع النصائح المتصلة بحاجاته .

٥-تضمنت أحاديث الباب تكرار الدعوة إلى أصول الإيمان لما في التكرار من توضيح، وبيان، وتوجيه .

٦- التلطف في الحديث، وعدم البوح بما عند المتحدث ، والمتحدث إليه إلا بعد التمهيد ، وايجاد الطرف المناسب لما يقال ، فمع أن معاذا ﷺ كان يعلم شيئا إلا أنه أثر عدم الإجابة على سؤال رسول الله ﷺ ، وفضل أن يعلم الإجابة من الله ورسوله ﷺ ، فعند رسول الله ﷺ القول الفصل ، والحكم العدل، والدين المرتضى، ولذلك أكد معاذ ﷺ أن الله تعالى هو العلم ورسوله ﷺ ، فقرر بذلك علم الله المحيط، وعجز الإنسان عن أن يعلم كل شيء ، وضرورة تسليم المسلم بمراد الله تعالى .

الركيزة الثالثة
اهتمام الرسول ﷺ بالتبليغ

تبين أحاديث الباب اهتمام الرسول ﷺ بتبليغ ما أوحى الله إليه به للناس، والاستفادة بكل طرف وحال لهذا البلاغ .

وأحاديث الباب توضح هذا الاهتمام

فهو ﷺ يدعو إلى الله تعالى وهو مسافر راكب رحله، ولم تمنعه مشقة السفر أو عدم وجود عدد من الناس ، وانما أخذ ﷺ يعلم معاذا وحده وهو رديفه على الدابة ، لأن الإخلاص لله تعالى يقتضي بذل الجهد لتبليغ الدعوة ، وارشاد الناس في كل الحالات بقدر الإمكان .

والنبي ﷺ لا يكتفي بإسماع معاذ ﷺ قوله وانما يقدم لحديثه بالسؤال عن مدى علم معاذ ﷺ به، ويكرر السؤال لينتبه ذهنه، ويستحضر قواه العقلية

ليفهم قول النبي ﷺ له، ويصير مستعدا للسماع ، والفهم، وقد عبر معاذ رضي الله عنه عن ذلك بقوله : لبيك يا رسول الله وسعديك .

وقد ركز ﷺ في حديثه على أساسيات الإيمان ، وهي الإيمان بالله تعالى، وبرسله جميعا، وباليوم الآخر، وما فيه من جنة ونار، وحساب وجزاء.

وهو ﷺ **قد** اختص عيسى بن مريم عليه السلام بالذكر لما يدور حوله من لغط وتحريف، وقد خلقه بشرا سويا، وحملت به أمه بروح الله تعالى التي ألقاها إليها، وأوجده بـ(كن) فكان، ثم ولدته، وأرضعته، وأكلت معه، ورفعه الله إليه ، وجعله الله تعالى آية لبني إسرائيل حين كلمهم في المهد .

إن هذه الخوارق العديدة التي أحاطت بعيسى وأمه – عليهما السلام – أوقعت أتباعه في تصورات عقلية باطلة، فتصوروه أبنا حقيقيا لله تعالى ، وجعلوا الأبوة والنبوة ، والروح القدس أقانيم مستقلة تتجمع لتكون إلها ، مع أن كل منها جوهر مستقل ، وأحاطوه بالأساطير والأقوال التي لا دليل عليها من العقل، أو من الشرع .

إن خلق كل إنسان قدرة إلهية خارقة للعادة، لا تنفي عن الإنسان العبودية، وانما تؤكدها .

أليس في رؤية العين، وسماع الأذن، واحساس الروح، وعمل الإجهزة الباطنية قدرة خارقة ؟

وهذا هو السر في ذكر رسول الله ﷺ عيسى عليه السلام من بين سائر الرسل ، وبذلك حدد الإيمان برسالة عيسى عليه السلام مع الإيمان بمحمد ﷺ حتى يصح إيمان المؤمن بعيسى عليه السلام بعيدا عن مظان الكفر وتصوراته .

يقول الله تعالى :

- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

أَعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾(١)

- ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٞ مِّنْهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرٗا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ ﴾(٢)

الركيزة الرابعة

ضرورة الإيمان بسائر رسل الله – عليهم السلام –

يقوم الدين الإسلامي على الإيمان بسائر الرسل، بدءا بآدم عليه السلام ، وانتهاء بمحمد ﷺ، وهم خمس وعشرون رسولا جاء ذكرهم في القرآن الكريم ، مع الإيمان بأن لله تعالى رسلا آخرين لم يقص القرآن الكريم قصصهم .

وهذا الإيمان يقوم على أن الرسل جاؤوا بعقيدة واحدة، وكان كل منهم يدعو إلى تصديق من سبقه، ويمهد لمن يلحقه، ويأتي بعده، حتى جاء محمد ﷺ فصدق بهم جميعا ، وختمهم، وبين أنه لا نبي بعده .

وهذا الإيمان يقتضي الإيمان بالرسل جميعا، فمن أنكر واحدا منهم بعد مجيء محمد ﷺ فهو كافر بهم جميعا .

---

(١) سورة المائدة الآيتان: ٧٢، ٧٣ .

(٢) سورة النساء الآية : ١٧١ .

كما يقتضي المحافظة على بقاء العقيدة التي جاؤوا بها، فهي واحدة ، وقد جلاها، وفصلها، وأوضح حقيقتها محمد ﷺ ، كما يحتم اتباع شريعة محمد ﷺ ، وترك ما عداها، لأن الله تعالى خصها بالكمال والتمام .

ولذلك لا يصح إدعاء الإيمان لإنسان ينكر رسالة محمد ﷺ للعالم كله .

ولا يصح مساواة المسلم بغيره أمام الله تعالى، لأن المسلم يؤمن بسائر الرسل، وغيره ليس كذلك، والمسلم يتمسك بدين ثابت بالتواتر، إنه الدين الذي بلغه محمد ﷺ، وغيره على غير هذا، والمسلم بعيد عن العنصرية، والرهبانية، والطائفية، وغيره يخالفه .

إن أخلاق الإسلام تستوعب سائر الناس بحسنها، ومكارمها، وتؤكد على ضرورة معرفة الإديان لتبقى معلومة واضحة كما نزلت من عند الله تعالى .

والتمايز بين الحق والباطل ضرورة لينال كل جزاء سعيه عند ربه، والحكم على أي أمر ديني يحتاج إلى العلم، والفهم، والمعرفة .

-و-

لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى بعض الفوائد العامة -- منها :

١) إظهار الصورة الحسنة للمجتمع الإسلامي الأول، فها هو رسول الله ﷺ يكرم معاذا رضي الله عنه، ويحمله على مركب واحد، ويكلمه برفق، وها هو معاذ رضي الله عنه يرد عليه : لبيك وسعديك .

٢) الإسلام قائم على الحقوق والواجبات، وعلى المسلم أن يعرف ما عليه من واجبات ليؤديها، وما له من حقوق ليحصل عليها .

٣) الحقيقة المطلقة واحدة في الأمر الواحد، ولذلك وجب البحث عنها، وعدم التسليم لمن يشكك فيها، ويحتال على محوها .

٤) العاقل هو الذي يعيش في الدنيا وعمله للآخرة ، لأن ذلك لا يتم إلا بإيمانه بما جاء من عند الله الواحد الأحد .

٥) الصديق الأمين حريص على منفعة صاحبه، يدله على الخير، ويرشده إلى صراط الله المستقيم، والدعاة المخلصون هم الأمناء الصادقون ، وكل عملهم أخذ الناس إلى الله تعالى .

٦) اهتمام المسلم يكون بمنفعة أخيه بحبه لله، ويسعى في مصلحته ، ويتمنى له ما يتمناه لنفسه، ويستفيد بكل فرصة لنصحه ، ومساعدته ، وتوجيهه إلى الخير والمصلحة .

٧) لابد من قيام الحوار الجاد على الفهم التام ، والحرية الكاملة، والانتباه اليقظ لكل ما يقال .

٨) لابد للدعاة من التواصل مع المدعوين، والتقرب منهم، ومصاحبتهم في الحال والترحال، والوقوف على ظروفهم وأحوالهم .

٩) الاهتمام باختيار رواد الجماعة وأئمتهم، لأنهم القادة الذين ترضى الجماعة بهم .

١٠) حاجة القضايا الهامة إلى البيان والتكرار، حتى لا تبقى حجة للمخالفين

١١) ضرورة الاحترام والتقدير بين العامة والخاصة ليقوم التعاون بين الجميع في مودة ولين .

-٩-

١٢ـ شعب الإيمان ومنزلة الحياء في الإيمان

[٢١]،(١) **٩** **حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان) (١) .**

[٢٢]،(٢) **٢٤** **حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعه فإن الحياء من الإيمان) (٢)**

[٢٣]،(٣) **٦١١٧** **حديث عمران بن حصين رضي الله عنه ، قال : قال النبي ﷺ : الحياء لا يأتي إلا بخير) (٣)**

-أ-

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن خصال الإيمان كثيرة، والحياء خصلة هامة منها، وأنه لا يأتي إلا بخير .

-ب-

الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

يقول النبي ﷺ : **(الإيمان)** أي الإيمان الكامل الذي جاء به رسول الله ﷺ ، وهو الإسلام بعناصره كلها الشاملة للعقيدة، والشريعة، والأخلاق .

---

(١) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٣ باب أمور الإيمان .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ١٦ باب الحياء من الإيمان، وللحديث رواية أخرى عند البخاري تحت رقم (٦١١٨) .

(٣) أخرجه البخاري في: ٧٨ كتاب الأدب: ٧٧ باب الحياء .

(بضع وستون شعبة) هذا خبر للإيمان، ومعناه أن الإيمان الكامل مكون من بضع وستين شعبة، أي جزءا أو خصلة، أو قطعة .

والبضع هو القطعة، يقال : (الولد بضع من أبيه) أي قطعة منه، والبضع في العدد ما كان بين ثلاثة إلى تسعة، أو ما بين اثنين أو واحد إلى عشرة، أو سبعة، وهو الأظهر لقوله تعالى : ﴿ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ۝٤٢ ﴾(١)، وقوله ﷻ : ﴿ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ﴾(٢) ، فقد عاش يوسف عليه السلام في السجن سبع سنوات، وغلبت الروم بعد سبع سنوات .

وقد تعددت الرويات في تحديد عدد شعب الإيمان، حيث ذهب المقلون إلى أنها أربع وستون شعبة، وذهب المكثرون إلى أنها تسع وسبعون شعبة، وذهب البعض إلى أن المراد بذكر العدد الكثرة، وليس الحصر .

وقد اهتم المحدثون في بسط شعب الإيمان، وشرحها في مجلدات ضخمة، مثل شعب الإيمان للبيهقي، واجتهدوا في حصرها على خلاف بينهم.

يقول ابن حجر في الفتح: إن عدد الشعب تتفرع إلى أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن .

فأعمال القلب فيه المعتقدات، والنيات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة، هي الإيمان بالله، ويدخل فيه الإيمان بذات الله، وصفاته، وتوحيده، وبأنه ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله ، والقدر خيره وشره ، والإيمان بالله واليوم الآخر، كما يدخل فيه سؤال القبر، والبعث، والنشور، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والجنة،

---

(١) سورة يوسف الآية : ٤٢ .

(٢) سورة الروم الآيتين : ٣ ، ٤ .

والنار، ومحبة الله تعالى، والحب والبغض فيه ﷻ ،ومحبة النبي ﷺ ، واعتقاد تعظيمه .

ويدخل فيه: الصلاة على رسول الله ﷺ ، واتباع سنته، والإخلاص في طاعته .

ويدخل فيه : ترك الربا، وهجر النفاق، والتوبة، والخوف، والرجاء، والشكر، والوفاء، والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل، والرحمة، والتواضع .

ويدخل فيه : توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر والعجب، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب .

وأعمال اللسان تشتمل على سبع خصال، هي: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن الكريم، وتعلم العلم، وتعليمه، والدعاء، والذكر .

ويدخل في أعمال اللسان الاستغفار، واجتناب اللغو .

وأعمال البدن تشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها ما يختص بالأعيان، وهي خمسة عشر خصلة، هي : التطهير حسا، وحكما، ويدخل في أعمال البدن اجتناب النجاسات ، وستر العورة، والصلاة فرضا ونفلا، والزكاة كذلك، وفك الرقاب والجود.

ويدخل فيه : إطعام الطعام، واكرام الضيف، والصيام فرضا ونفلا، والحج والعمرة كذلك، والطواف والاعتكاف، والتماس ليلةالقدر ، والفرار بالدين .

ويدخل فيه: الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الإيمان، وأداء الكفارات .

ومنها ما يتعلق بالاتباع، وهي ست خصال : التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال، وبر الوالدين .

وفيه اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، وطاعة السادة، والرفق بالعبيد .

ومنها ما يتعلق بالعامة، وهي سبع عشرة خصلة ، منها القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولي الأمر، والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه قتلا الخوارج والبغاة، والمعاونة على البر .

ويدخل فيه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واقامة الحدود، والجهاد.

ومنه المرابطة، وأداء الأمانة .

ومنه أداء الخمس، والقرض مع وفائه، واكرام الجار، وحسن المعاملة، وفيه جمع المال من حله، وانفاق المال في حقه .

ومنه ترك التبذير والإسراف، ورد السلام، وتشميت العاطس، وكف الأذى عن الناس، واجتناب اللهو، واماطة الأذى عن الطريق .

فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعا وسبعين خصلة باعتبار إفراد ما ضم بعضه إلى بعض مما ذكر، والله أعلم (١).

وهذه الشعب ليست على درجة واحدة، فهي تعلو وتنزل لما ورد عن رسول الله ﷺ : **(الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)** (٢) .

(والحياء شعبة من الإيمان) أي إن خلق الحياء أحد شعب الإيمان، وخصه رسول الله ﷺ بالذكر لأهميته، ولحاجة سائر الشعب إليه، والحيي يخاف من فضيحة الدنيا والآخرة، فيحافظ على سائر الشعب .

---

(١) فتح الباري بشرح صحصح البخاري ج١ ص ١٠٥ .

(٢) صحيح مسلم – كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان – حديث : ٧٦

والحياء تغير وانكسار في الوجه يعتري الإنسان حين يخاف من فعل ما يعاب به، فيجتنب القبيح، ولا يقصر في حق من له حق، وحين يقدم على كبير أو سلطان مخافة أن يقصر في حق له .

والحياء نوعان: فطري، ومكتسب، والتخلق به واكتسابه يحتاج إلى علم، ونية، وممارسة، ودوافعه اتباع تعاليم الشرع التي تأمر المؤمنين بالتسامي بالحياء الغريزي، حتى يكتسبوا الحياء المشروع الذي يساعد على أداء الحقوق، والخوف من أي تقصير، واللوم من حدوث أمر معيب، والمحافظة على حقوق الآخرين .

وفي الحديث الثاني جاء : (أن رسول الله ﷺ مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء) أي : ينصحه ، ويعاتبه، ويقول له : دع الحياء فقد أضرك، ويبدو أن الرجل كان شديد الحياء، وكان حياؤه يمنعه من استيفاء حقه، فعاتبه أخوه على ذلك حتى لا تضيع حقوقه .

(فقال رسول الله ﷺ) للرجل الذي يحاول مع أخيه ترك الحياء **(دعه)** أي: اتركه على حيائه، فإنه يحقق أجرا ومثوبة، ويمكنه من المعاصي، ويبعده عن المعايب .

(فإن الحياء من الإيمان) أي : إن الحياء جزء من الإيمان، ولا يتم كمال الإيمان إلا به .

والحياء يدور مع الأحكام التكليفية، فإن كان مع شيء محرم فهو واجب، وان كان في مكروه ، فهو مندوب، وان كان في مباح فهو مباح، وان أدى إلى أمر مكروه أو حرام، فهو مكروه أو حرام .

وفي الحديث الثالث: يقول النبي ﷺ : **(الحياء لا يأتي إلا بخير)** أي : إن الحياء السليم يحقق الخير دائما، ولا يضر صاحبه أبدا.

والحياء المكتسب يحتاج إلى التعلم، والتربية، وتوجيه الأنظار إلى نعم الله تعالى المبثوثة في النفس، والكون ليخجل الحيي من المعاصي، ويترك الأعمال التي تجعله يضع النعم في غير موضعها، ولا يستفيد بها إيمانيا وهو يتمتع بها .

إن الخوف من الله تعالى ناشئ من إدراك الإنسان قدرة الله تعالى، والحياء ناشئ من القرب من الله ﷻ ، والرضى أثر الاستقامة على الدين .

ـ جـ ـ
البيان التحليلي لأحاديث الباب

الإسلام دين كامل تام، يجمع عناصر العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والمسلم مسئول عن دينه كله ، ولذلك كان خلق الحياء عند المؤمن من الصفات التي تحقق سلامة النفس، وطاعة الله تعالى، وعدم الجور، والعفو، والسماحة، لأن الحيي يعلم أن الله تعالى مطلع عليه، وعلى عمله، فيخشى أن يعصيه ، ويعيش بنعم الله وعطائه ، فيستحيي أن يضيع نعم الله ﷻ في المعاصي، وقد يترك الحيي بعض حقوقه طمعا في المثوبة ، وتعليما لغيره، وتصدقا بها على الآخرين .

إن الحياء خلق يجمع العفة والرقة، ولذلك لا يكون الحيي معتديا، وظالما أبدا، ولا يتعمد الوقوع في معاصي الله ، ولذلك بين رسول الله ﷺ أنه لا يأتي إلا بخير ، وما هو إلا تذلل وخشوع أمام عظمة الله وقدرته .

وليس من الحياء الانكسار الذي يظهره الإنسان أمام الطغاة، وليس هو التذلل في الطلب، وليس هو الخوف الذي يضيع الحقوق.

إن الحيي إنسان قوي أمام الطغاة، وتركه لبعض حقه أمام الضعفاء خلق يسمو به، ويرتقي بسببه في درجات المؤمنين .

ـ د ـ
المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الإسلام مكون من عدد من الأجزاء، وخلق الحياء جزء هام في دين الله تعالى، وتوضح أن خلق الحياء لا يأتي إلا بخير، وأن بعض الناس يتصورونه ضعفا واستكانة، وليس الأمر كذلك ، لأنه قوة خلقية شديدة النفع لصاحبها .

ـ هـ ـ
ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز الإيمانية ... أهمها : -

الركيزة الأولى
رعاية الرسول ﷺ لأمته

بعث الله تعالى رسوله ﷺ للناس ليبلغهم دينه، ويبين لهم تعاليم الله تعالى، فهو البيئة المرسلة، جاء للناس يتلو عليهم صحفا مطهرة، ولذلك عرف الله أمته بأن الإيمان قيم، وعمل، وسلوك ، وأخلاق يكمل بعضها بعضا، وتترابط معا لتصنع الإيمان بجماله وكماله .

وأحاديث الباب توضح أن أهم شعب الإيمان الحياء، لحاجة سائر الشعب إليه، فهو يتجلى في كل الأحوال تواضعا لله تعالى، وخجلا من المعاصي، وأملا في الفوز برضوان الله تعالى، وقد حرص رسول الله ﷺ على رعاية أخلاق المسلمين، فعرفهم بشعب الإيمان، وبين لهم أهمية الحياء، وأنه جزء من الإيمان ، وأنه لا يأتي إلا بخير .

وكان النبي ﷺ يطوف على الناس ليرى ويعلم ما هم فيه، ويصحح لهم أي خطإ، ويوجههم إلى الخلق الكريم .

الركيزة الثانية
الإسلام دين مكارم الأخلاق

إبراز أهمية الحياء في أعمال الإسلام شاهد وبرهان على قيام الإسلام على مكارم الأخلاق، لأن الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان خوفا من الوقوع فيما لا يجوز .

وأعمال الإسلام سواء كانت قلبية أو قولة، أو عملية يزينها الحياء، ويبعدها عن المخالفة والمعصية، ويجعل الإنسان الحيي يراجع نفسه في كل مواقفه أملا في البعد عن الخطأ، ورغبة في الوصول للصواب .

وقد اهتم رسول الله ﷺ بتنمية الحياء بين الناس، فعرفهم أنه لا يأتي إلا بخير، وأنه قوة لصاحبه، واتصال متين بالله تعالى .

-و-
لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

تتضمن أحاديث الباب عددا من الفوائد ... منها : -

١) ضرورة بيان القضايا الهامة التي يحتاجها المسلمون لتنظيم حياتهم، واظهار الأخلاق الحسنة في معاملاتهم .

٢) أهمية توجيهه من يقوم بأمر يتعارض مع دين الله تعالى لإعادته لحكم الله تعالى فلربما كان لا يدري خطأه .

٣) الإيمان يزيد وينقص بالعمل، والخلق، والإخلاص، والحياء جزء رئيس في الإيمان

٤) الحياء الشرعي خلق ديني كريم، وهو يختلف اختلافا كليا عن الضعف، والاستكانة، والخضوع للظلم، فذلك الضعف هو الذي لا يليق بمؤمن .

٥) يتنوع الحياء، ويشمل كل علاقات الإنسان مع الله تعالى، ومع الناس، وأعظم رادع عن المعاصي هو الحياء من الله تعالى (**أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر ، أو أمير جائر)** (١)

---

(١) أبي داود - كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي - حديث : ٣٨٠٢

ـ ١٠ ـ

١٤ ـ بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل

[٢٤]،(١) **حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلا سأل النبي ﷺ أي**
١٢ **الإسلام خير .**

قال النبي ﷺ : تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) (١) .

[٢٥]،(٢) **حديث أبي موسى رضي الله عنه ، قال : قالوا يا رسول الله أي**
١١١ **الإسلام أفضل .**

قال ﷺ: من سلم المسلمون من لسانه ويده) (٢) .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ما يجب على المسلمين الصادقين مع أنفسهم، ومع الناس جميعا، فقد أوجب الله تعالى عليهم التعامل بمكارم الأخلاق مع المسلمين ومع غيرهم، واظهار كرمهم المادي، وودهم الخلقي، ومعملاتهم الحسنة لسائر الناس، سواء عرفوهم، أو لم يعرفوهم، ولذلك يقول النبي ﷺ : **(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)** (٣) .

---

(١) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٦ باب إطعام الطعام من الإسلام، وللحديث روايات أخرى عند البخاري في أرقام : (٢٨، ٦٢٣٦) .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٥ باب أي الإسلام أفضل .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة - كتاب الفضائل، باب ما أعطى الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم - حديث : ٣١١٣٤

وقد جعل الله تعالى السلام تحية الإسلام عهدا للإيمان، يعلنه المسلم حين الالتقاء بغيره، حين يدعو له بالسلامة لتكون رحمة ومودة بعيدة عن أي إيذاء بالقول ، أو بالفعل، وخالية من كافة صور الضرر المادي والمعنوي .

-ب-
الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : **(أن رجلا)** لم ينص الحديث على اسم هذا الصحابي السائل، إلا أن بعض المحدثين ذكر أنه " أبا ذر " رضي الله عنه ، وروى ابن حبان أنه "هانئ بن يزيد" والد شريح رضي الله عنهما (١).

(سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير ؟) ، **(أي)** أداة استفهام، وقعت في موقع الرفع على الابتداء، و**(خير)** خبره، وقد دخلت **(أي)** على مفرد مع أنها لا تدخل إلا على جمع، ولذلك قدروا في الكلام هذا الجمع المحذوف، وهو **(ذو)** بمعنى صاحب، والمعنى : أي أعمال الإسلام خير ؟

ولذلك جاء الجواب في المفاضلة بين الخصال، والصفات، المتصلة بسلوك المسلمين، وبذلك يتطابق الجواب مع السؤال .

(خير) أي : أفضل وأحسن، وجاء اللفظ مختلفا في الحديثين ، فجاء مرة بلفظ **(خير)**، ومرة بلفظ **(أفضل)** للدلالة على أنهما حديثان برويتين مختلفتين، واللفظان من صيغ التفضيل، وانما حذف المفضل عليه للعلم به ، وتقديره **(من غيره)** .

قال ﷺ : **(تطعم الطعام)** الطعام اسم لكل ما يقتات به ، وأفاد التعبير بالإطعام بالفعل المضارع الاستمرار، وحذف المفعول لبيان شموله لكل محتاج

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص ١١٠ .

إليه، وتطعم أعم من تؤكل، لأن الإطعام يشمل الأكل والشرب، والتذوق، والتفكه، أما الأكل فإنه يعني مجرد الإشباع .

(وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف) أي : وتقول السلام ، وتلقيه على كل من تلقاه بلا تفرقة، سواء عرفته أو لم تعرفه، ولا تخص به أحدا تكبرا ، أو تصنعا تعظيما لشعائر الإسلام ، ومراعاة لحق الأخوة الإسلامية والإنسانية .

وجاء في الحديث الثاني قول أبي موسى ﷺ : **(قالوا يا رسول الله)** بصيغة الجمع ، مع أن القائل هو أبو موسى الأشعري ﷺ ، لأنه أراد نفسه ومن معه من الصحابة ، ومن المعلوم أن الراضي بالسؤال في حكم السائل، وقد صرح مسلم في رواية الحديث بأن القول هو قول أبي موسى ﷺ ، حيث جاء في حديث مسلم عن أبي موسى ﷺ، قال : **(قلت : يا رسول الله أي الإسلام أفضل ؟..)** (١) .

(من سلم المسلمون) أي : من نجا المسلمون من أذاه القولي، والعملي ، والفكري، وكافة ألوان الأذى .

(من لسانه ويده) أي إن المسلم الكامل من نجا المسلمون من أذى لسانه القولي، وأذى يده العملي، وهما أشهر صور الأذى، ويشملان غيرهما .

وانما خص اللسان بالذكر، لأنه الجارحة الرئيسية التي تنطق بالأقوال المؤذية، وتعبر عما في النفس، ويلحق بها الهمز، واللمز، والإشارة .

وخص اليد بالذكر، لأن معظم الأعمال تتم بها، ويلحق بها أذى سائر الجوارح .

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام - حديث : ٨٤

وقدم الحديث أذى اللسان على أذى اليد ، لأن أذى اللسان أكثر وقوعا، وأشد نكاية وألما، وأوسع ضررا ، فقد يؤذي اللسان أمة بكاملها بلفظ واحد .

ـ جـ ـ

البيان التحليلي لأحاديث الباب

من اهم شعب الإيمان، وأبرز خصال الإسلام إطعام الطعام، والقاء السلام، وتجنب الأذى بكافة صوره وأحواله، لأن ذلك يحقق المودة، والتآلف ، ويؤكد التعاون على البر والتقوى .

إن الإسلام دين يربط المسلم بمن حوله من الناس، وهو يلقي إليهم السلام، ويرد عليهم به، ويطعمهم، ويأكل معهم، وبذلك يعيش المسلم مع أهله وأقربائه، وسائر المسلمين، سمحا لينا، ويتعامل مع غير المسلمين خلقا ومعاملة حسنة .

ومن عظمة الإسلام أنه شرع أحكامه في إطار شريعته، فاشترط للطعام أن يكون حلالا ذا مصدر شرعي، ولذلك لا يصح الإطعام بشيء محرم ، ولا يجوز تقديم الإطعام للفساق والظلمة رجاء نفع دنيوي، أو للمباهاة والفخر مثل الموائد التي تقيمها بعض الهيئات ، اوالشخصيات للتعالي، والكبرياء، ويعلنون عنها في مناسبات معينة .

وقد شرع الإسلام إلقاء السلام ، وجعله تحية الإسلام يظهرها المسلم لأخيه حينما يقابله، أو يمر به لتحقيق ألفة معه، سواء أراد بها الخير، أو الدعاء، أو الأمان والمودة، وبذلك يعرف كل من يلتقي بمسلم روح الإسلام بإعلانه الصريح الذي يحمي الناس من أي شر، ويؤمنهم على أنفسهم ، وأموالهم، ودمائهم، ليروا في المسلم إنسانا محبا للخير لنفسه، وللجميع .

والقاء السلام يكون خبرا ودعاء، **فيفيد بخبريته** تحلي المؤمن بحب غيره، وحرصه على أمنه وسلامته، **ويفيد بدعائه** ود أخيه، لأنه يرجو له السلامة والأمان .

وفي أحاديث الباب ملحوظات :

الملحوظة الأولى: شرع الإسلام إطعام الطعام ، والقاء السلام، فهل شرع ذلك عام لسائر الناس، أم هو من العام المخصص ببعض الناس ؟

والذي تدل عليه النصوص الشرعية أن إطعام الطعام عام لسائر الناس مهما اختلفت مواطنهم، ومذاهبهم، ولربما كان الضيف الغريب أكثر حاجة للطعام والشراب ، وعسى أن يعلم غير المسلم من ذلك روح الإسلام الحنيف.

وأما إلقاء السلام فهو خاص بالمسلمين وحدهم، لأن السلام شعار إسلامي، لا يقر به غير المسلم، ولذلك نهى النبي ﷺ عن بدء أهل الكتاب بالسلام ، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **(لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام)** (١) .

وأخذ بعض العلماء بعموم إلقاء السلام، لأنه ادعى لتعريف غير المسلمين بالإسلام، والتآلف معهم في أداء حق الوطن، وقد أمر الله تعالى موسى وهارون – عليهما السلام – بأن يقولا لفروعون كلاما لينا، فقال تعالى : ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ (٢) ، **وهذا أولى،** لأنه يصنع مودة بين المسلمين وغيرهم، ويساعد على تعريف غير المسلمين بالإسلام عن طريق التواصل الاجتماعي، وابراز مكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام .

---

(١) صحيح مسلم – كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام، حديث : ٤١٢٤

(٢) سورة طه الآية : ٤٤ .

الملحوظة الثانية : وردت أحاديث عديدة تفيد أن أفضل الأعمال في الإسلام غير هذه الأعمال المذكورة في حديث الباب مثل الجهاد، والصلاة، في وقتها، وبر الوالدين ،. فهل في هذا تعارض وتناقض ؟

والجواب: أنه لا تعارض بين هذه الأحاديث وأحاديث الباب، لأن أحاديث الرسول ﷺ تخاطب الناس على اختلافهم، وكان ﷺ يجيب كل سائل بما يناسبه، وبما هو محتاج إليه، فلا تعارض بين الأحاديث ، وجملتها تدل على الإسلام كله، ويؤكد التحليل أنه ﷺ أول ما قدم المدينة رأى حاجة الناس إلى التآلف، والتعاون، والتلاحم، والتواد، فدعاهم إلى إطعام الطعام، وافشاء السلام، وتجنب الأذى .

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : **(لما ورد رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه ، وقيل قدم رسول الله ﷺ .**

فجئت في الناس لأنظر ، فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شيء سمعته يتكلم أن قال : " يا أيها الناس ، أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) (١) .

الملحوظة الثالثة : المسلم مكلف بالتعاون، وحسن المعاملة بكافة صورها وتنوعها، والمعاملة في جملتها أنواع كثيرة، مالية، وعملية، واحترازية، وقد جاءت أحاديث الباب شاملة لها جميعا، ورمزت لجميع صور حسن الخلق، وكان إطعام الطعام رمزا للتعاون المالي، وافشاء السلام رمزا للتعاون العملي، وتجنب الأذى رمزا للتعاون الاحترازي .

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الهجرة، حديث : ٤٢٢٥

الملحوظة الرابعة: المسلم مكلف بحسن الخلق، وعدم إيذاء أحد من الناس، وخص حديث الباب المسلمين بالذكر في تجنب الأذى، مراعاة لغالب العمل، وليس حصرا له .

الملحوظة الخامسة: لا تعارض بين الأذى واقامة العقوبات على المعتدين، لأن العقوبات عدل وجزاء يقوم به الوالي، فهي ليست أذى، ولكنها إصلاح وتهذيب .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مسئولية المسلم تجاه إخوانه ومجتمعه، وتعرف بدوره في إطار الجماعة، وتوضح أن عليه أن يكون إيجابيا ، ويبذل من ماله، وخلقه، ومعاملاته ما يقربهم إليه، وبذلك يعيش المجتمع متكاملا بروح الإسلام ومبادئه .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من ركائز الدعوة والإيمان ... أهمها : -

الركيزة الأولى

الرسول مصدر التعريف بالإسلام

تبين أحاديث الباب أن الرسول ﷺ هو مبلغ دين الله تعالى ، وهو المصدر المعلم للوحي المنزل، فقد نزل القرآن الكريم عليه، وبلغه للناس، وبينه لهم بسنته التي جاءت وحيا من الله تعالى ..... ولذلك فمنهج الإسلام قائم على اتباع رسول الله ﷺ ، وطاعته فيما أمر به أو نهى عنه.

وقد اهتم المسلمون بحفظ القرآن الكريم، والمحافظة عليه، وتدوين سنته ﷺ، وتأكيد سلامتها من التغيير والتبديل، حتى بقيت في أيدي الناس كما نقلت عن رسول الله ﷺ .

وبقى الإسلام في الناس ثابتا بثبوت مصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما : كتاب الله وسنتي)** (١) .

وقد وعى الصحابة الكرام والسلف الصالح أهمية اتباع الرسول ﷺ، فبقى فيهم الإسلام حيا متجددا ، قويا يصورونه بأعماله، ويقدمونه لغيرهم بسلوكهم، وأخلاقهم ، وكانوا ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٢) .

وأحاديث الباب توضح مجيء الصحابة إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن أي الصفات الإسلامية خير ... ، والإسلام كله خير، فرسول الله ﷺ سبيلهم إلى الله تعالى، وهم مأمورون بطاعته، وقد حققوا لأنفسهم الصلاح والفوز بهذا الاتباع .

إن وجود الرسول ﷺ في قيادة الأمة يعني عدة أمور :-

أولا : ضرورة وجود القائد العام الفاهم المخلص ، الذي يقود الناس بدين الله تعالى، ويحكمهم بمنهجه، ويقدم بعلمه المنهج الإسلامي الثابت بالدليل .

ثانيا : قيام كل عالم متخصص بخدمة المجتمع والناس بعلمه الذي تخصص فيه، فهو مرجع الناس في هذا التخصص، ومن هذا الباب مجيء

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب العلم، فأما حديث عبد الله بن نمير - حديث : ٢٨٨

(٢) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

الصحابة ﷺ للتلقي من رسول الله ﷺ ، والنقل منه، فهو المختص بالرسالة ، وهو مبلغها، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾(١) .

وتخصيص جماعة لتعلم الدين ، والقيام بالدعوة إليه ضرورة لازمة، يقول الله تعالى :﴿ * وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (٢) .

ثالثا : الدعاة إلى الله تعالى هم ورثة الأنبياء في العقيدة الدينية، ومن الواجب أن يعلموا الإسلام، ويعلموه، ويقودوا الناس إلى الله بمنهجه ﷻ ، ويكونوا هم أصحاب الرأي والفتوى في دين الله تعالى بعد أن تخصصوا ، وعلموا ، يقول الله ﷻ : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾(٣) .

رابعا: علوم الإسلام عديدة متنوعة لايقدر على استيعابها إنسان واحد ، ولذلك وجب تعاون العلماء في صورة هيئات، وجماعات، ومؤسسات لتناول الرأي والنظر، والوصول للصواب ، وايصاله للناس .

خامسا: لا يصح أن يتحول الناس جميعا إلى علماء بدين الله تعالى، وهم لا يعلمون منه إلا القليل، ويجب أن يوكل الأمر إلى المتخصص العالم .

وكما لا يصح أن يقوم المهندس بعمل الطبيب فإنه لا يجوز أن يفتي العامي في قضايا الإسلام ودقائق الدين .

إن العالم بالدين يحتاج إلى دراسات عديدة، ومعرفة دقيقة بالعلوم الإسلامية، ولا يمكن أن يدعيها من لا يعرفها .

---

(١) سورة النور الآية : ٥٤ .

(٢) سورةالتوبة الآية : ١٢٢ .

(٣) سورة النحل الآية : ٤٣ .

لقد سألت مرة شخصا يدعي العلم والمعرفة عن الفرق بين الحديث المقبول والحديث المردود، فقال : لا أعرف .

فقلت له : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾(١) .

وفي العصر الحديث نبتت نابتة في الناس تتحدث في الدين بجهل، وتكثر الجدل بلا برهان، وتخوض في مسائل الدين العميقة وهي لا تعلم شيئا منها، حتى وصل بهم الجهل إلى القول بأن الاهتمام بلذائذ الدنيا لا حد لها... وأن كل الأديان كلها تؤدي إلى الجنة ، وأن الدين لا صلة له بالسياسة، وأن كل صاحب دين على حق، فهو حر فيما يختار لنفسه .

وسبب هذا هو الجهل الذي عاشه المثقفون، والغزو الفكري الذي يقوم به أعداء الدين، لتجهيل الناس بحقائق الإسلام .

إن منتهى الأمل أن تستيقظ الأمة لترد ما يحيط بها، وما يراد لها، وتعلم انها حملت أمانة الإسلام ، ويجب أن تحيا بها، أو تموت عليها، وحاجتنا أن نحيي أمجاد الأمة الإسلامية في اتباع منهج الله تعالى ، والاستقامة عليه، ونبذ ما عداه، ... فإنه لا صلاح لآخر الأمة إلا بما صلح به أولها .

الركيزة الثانية

المسلمون ليسوا درجة واحدة

الإنسان مركب من جسد، وروح، وعقل، ووجدان ، وهو محتاج لإشباع عناصره التي تكونه .

وقد جاء الإسلام، وحدد الحدود، ووضع التشريع، ونظم النظم، وأمر بالاتباع والاستقامة على تعاليم الله تعالى .

---

(١) سورة النحل الآية : ٤٣ .

ولم يخلق الله ﷻ الناس على صورة واحدة، وانما جعلهم أشتاتا في سعيهم، وألوانا في أعمالهم، وسلوكهم، وعرفهم بذلك فقال لهم : ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾(١)

ولهذا اختلفت درجاتتهم عند الله تعالى، وتنوعت استحقاقاتهم في الجزاء، وقد جعل الله تعالى الجنة درجات، وجعل النار دركات لتتسع المنازل لسائر الناس

وقد بينت أحاديث الباب تفاوت المؤمنين، ووضحت أن الإيمان يزيد بكثرة الطاعات، وينقص بنقصها، ففي خصال المؤمنين فاضل ومفضول، وأفضل، وكل له درجته في ميزان الله تعالى، .. . **كما بينت أهم الأعمال التي ترفع منزلة صاحبها، وتزيد إيمانه، وقربه من الله تعالى، ... وهي : -**

١- **التقرب إلى الناس بالأقوال الحسنة،** ومبادرتهم بالسلام والأمن، والدعاء لهم ليعيشوا آمنين في الدنيا والآخرة، وذلك بإلقاء السلام على كل الناس .

٢-**التقرب إلى الناس بالأعمال الدالة على الكرم،** وحسن الخلق، وتقديم الطعام حين الحاجة إليه، ومن ذك إكرام الجار، والضيف، وعابر السبيل، وكل محتاج .

٣-**تجنب أذى الناس بالقول، أو بالفعل،** لأن المسلم خير كله، فهو لا يضر غيره، ولا يؤذيه بلسانه، أو بعمله ، أو بأي وسيلة أخرى ، ولا يفعل إلا الخير قولا وعملا، وبذلك يعيش المسلمون أمة واحدة في ظل تعاليم الله تعالى التي تنشر العدل، وتحقق دولة الخلق والاستقامة.

---

(١) سورة الليل الآية : ٤ .

٤- **تقدم أحاديث الباب الصورة المثالية للمجتمع الإسلامي** الذي يسارع كل فرد فيه إلى معاونة أخيه ، واعطائه ما يحتاج إليه ، وتجنب أذاه ، والإحسان إليه قولا وعملا ، ولذلك عاش عمر بن الخطاب ﷺ قاضيا لأبي بكر ﷺ عاما كاملا لم يعرض عليه أحد قضية، ولم يجد عمر ﷺ في خلافته محتاجا للزكاة في فترة من فترات خلافته .

-و-
لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

تتضمن أحاديث الباب عددا من الفوائد ... منها : -

١) بيان زيادة الإيمان ونقصه ، ففيه فاضل ومفضول، وأفضل .

٢) على المسلم أن يكون في خدمة أخيه ، وحاجته .

٣) الجيل الأول هو خير أجيال الأمة، حيث رأيناهم يبحثون عمن الأفضل ليقوما به .

٤) الإسلام دين شامل للماديات والمعنويات ، فكل شأن له في دين الله تعالى حكم وتشريع .

٥) الإنسانية كلها تعود لآدم عليه السلام ، ولذلك حسن من المسلم أن يتعامل مع كافة من يعاشرهم بالحسنى سواء عرفهم أو لم يعرفهم .

٦) الاتصال المادي بين الناس يكون بالقول وبالعمل، ولذلك جعل الإسلام تمامه وكماله في استقامة القول، واحسان العمل، (**ولمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**)

-١١-

١٥- بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان

[٢٦]،(١) ١٦ **حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) (١)**

-أ-

موضوع حديث الباب

يبين الحديث الخصال الرئيسية في الإيمان التي يجد بها المؤمن حلاوة الإيمان، ولذته، ويعيش مطمئنا بدينه وسلوكه .

-ب-

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبي ﷺ: **(ثلاث)** ثلاث مبتدأ خبره جملة الشرط، وجاز الابتداء بالنكرة المنونة، لأن التنوين عوض عن المضاف إليه المحذوف، وتقديره ثلاث خصال، أو ثلاث صفات ، ومن أنثها يقدر أنها (ثلاثة) أمور :

و**(من كن فيه وجد حلاوة الإيمان)** جملة شرطية خبر ل**(ثلاث)** وجملة الشرط جملة تامة، مكونة من مبتدأ هو أداة الشرط **(من)** ، ومن فعل الشرط وجوابه وهما خبر **(من)**، وجملة الشرط كلها خبر لـ**(ثلاث)**.

ومعنى **(كن فيه)** أي وجدن وتحققن في إنسان قام بهن .

(وجد حلاوة الإيمان) أي شعر بلذة الإيمان الطيبة التي يحس بها المتصف

---

(١) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٩ باب حلاوة الإيمان.

بهذه الخصال الثلاث، وبدونها لا يشعر المسلم بهذا الحسن والجمال ، وهذه الحلاوة .

والحديث يشبه المؤمن بمن يأكل العسل، ولا يشعر بهذه الحلاوة، إلا إذا اتصف بهذه الصفات، فإن فقدها أو بعضها لا يجد للإيمان حلاوة ، ومثاله في الإنسان أن المريض يرى الحلو مرا ولا يتذوق حلاوته، فإذا سلمت صحته رأى الحلو حلو على حقيقته، وحلاوة الإيمان لذة معنوية يعيشها العقل والضمير، وتنعكس على الحواس والجوارح، وتظهر سرورا وفرحا على صاحبها، أما العسل فهو طعام حسي يطعم ، ويقتات به ، ولذا تشبه الإيمان بالعسل مجازا بيانيا ، لأنه شبه لذة سكون الإيمان بحلاوة طعم العسل، ووضع الحلاوة محل الإيمان على سبيل الاستعارة التصريحية ، أو أنه شبه الإيمان بالعسل، ثم أضمر التشبيه، وعبر عنه بشيء من لوازم المشبه به ، وهي الحلاوة عن طريق الاستعارة التخيلية.

يقول محمد بن أبي جمرة ﷺ : إنما عبر بالحلاوة لأنها أقصى ما يحققه الإيمان في المؤمن الصادق، لأن المؤمن يشبه الشجرة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ (١) .

والكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة هي أصل الإيمان، وأغصانها أعمال الإيمان، والتزام المؤمن بالأوامر والنواهي، وورقها ما يهتم المؤمن به من الخير، وثمرتها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر تظهر بعد جني الثمار، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة، وبه تظهر حلاوتها (٢) .

---

(١) سورة إبراهيم الآية : ٢٤ .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص١١٧ .

والصفات الثلاثة هي :

الصفةالأولى : (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) الحب ميل قلبي يسعد الإنسان ويرضيه ، ويحسن له الأمور الحسية كالطعام والشراب، ومعاملة الآخرين، ويحببه في الجمال الخلقي المتصل بالوجود، ويرغبة في الأمور المعنوية، كحب العلم، والعلماء، والدين، والمذاهب .

وتعلق حب العبد بالله تعالى ورسوله ﷺ يعني اليقين بجلال الله ، والإخلاص في التعبد له، وطاعة رسول الله ﷺ بحيث يسمو هذا الحب على كل مشاعر الإنسان وأحاسيسه .

والمراد بالحب في الحديث الحب العقلي الذي يبديه العقل السليم ويؤيده، ويرضى به، وان كان هذا الرضى على خلاف هوى النفس، كالمريض يعاف الدواء بطبعه، فينفر عنه، ويميل إليه بمقتضى عقله، فيهوى تناوله، فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهي إلا بما فيه صلاح عاجل وخلاص آجل.

والعقل إذا أحب يميل بصاحبه نحو من يحب، ويرضى عن الائتمار بأمره، والتسليم لما يريده المحبوب، ويستمر مع الله تعالى بذلك الشعور حتى يصير هواه تبعا له، ويلتذ بذلك التذاذا عقليا .

إن الالتذاذ العقلي إدراك ما هو كمال وخير ، من حيث هو كذلك، وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة، فإنها أظهر اللذائذ المحسوسة .

وجاء في الحديث **(مما سواهما)** بـ" ما" الدالة على غير العاقل ليعم تميز حب المؤمن لله تعالى ورسوله ﷺ حب العاقل وغيره ، لأن الإنسان يحب العاقل وغيره ، يقول الله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ

وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ (١).

ولذلك وجب أن يكون حب المؤمن لله تعالى أقوى من حب ما عداه من كل موجود في الدنيا عاقلا أو غير واقع .

وجمع الحديث بين حب الله تعالى ، وحب رسوله ﷺ لبيان ضرورة وجودهما في الإيمان، وأن الحب المعتد به هو الحب الذي يجمعهما، ويربط بينهما ، وحب أحدهما دون الآخر ليس بشيء ، يوضح ذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (٢)

وقوله ﷻ : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾(٣) .

فقد أوضحت الآيات أن الاتباع الصحيح لرسول الله ﷺ مستقر بين حب العبد لله، وحب الله للعبد كما تبين الترابط بين طاعة الله تعالى ، وطاعة رسول الله ﷺ .

ومن هذا الترابط جاء قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾(٤) .

حيث أعادة الآية ﴿ أَطِيعُواْ ﴾ مع الرسول ولم تعيده مع أولي الأمر لبيان أن طاعة رسول الله ﷺ طاعة مستقلة ، فقد يأتي الوحي بحكم جديد يبينه رسول الله ﷺ ولم يأتي الأمر بالطاعة مع أولي الأمر مطلقا لالتزامهم بطاعة الله تعالى ورسوله ﷺ ، فطاعة الرسول ﷺ تكميل لطاعة الله تعالى .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٤ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٣١ .

(٣) سورة النساء الآية : ٨٠ .

(٤) سورة النساء الآية : ٥٩ .

الصفة الثانية : (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله) أي : أن يحب المؤمن أخاه المؤمن حبا خالصا لأجل الله وحده، وهذا الحب ناشئ من حب الله وحب رسوله، لأن الله جعل المؤمنين إخوة ، يقول الله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(١) ، فمن محبة الله ورسوله تأتي محبة أهل ملته، وبذلك لاتوجد حلاوة الإيمان إلا أن تكون خالصة لله تعالى، غير مشوبة بالأغراض الدنيوية، ولا الحدود البشرية، فإن من أحب لذلك انقطعت تلك المحبة عند انقطاع سببها.

الصفة الثالثة : (وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) أي : ومن الإيمان بغض الرجوع إلى الكفر ، فقد أنقذه الله تعالى منه كما يكره أن يلقى في النار رغم أنفه .

وهذه الكراهة توجد عند وجود سببها، فإذا ما دخل نور الإيمان إلى القلب، وملأوه تعلق صاحبه بمحاسن الإسلام، وكره مهاوي الكفر والضلال، ومقت الكفر مقته الوقوع في النار رغم أنفه .

و **(يعود)** تفيد معناه الظاهر إن كان المؤمن دخل في الإسلام بعد أن كان كافرا، فعليه أن لا يعود إلى ما كان عليه قبل الإيمان، وان كان المؤمن قد ولد لأبوين مسلمين، فعليه أن يستمر في الإيمان، ويصير مؤمنا في كل حالاته وحياته، وتكون **(يعود)** بمعنى (يصير) .

وانما جعل الله تعالى هذه الأمور الثلاثة عنوانا لكمال الإيمان، لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى ، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول ﷺ هو الذي يبين مراد ربه اقتضى

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٣ .

ذلك أن يتوجه بكليته نحوه فلا يحب إلا ما يحب، ولا يحب من يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد، وأوعد به حق يقيني، ويرى الموعود كالواقع ، فيرى في مجالس الذكر رياض الجنة، وفي العود إلى الكفر إلقاء في النار .

ـ جـ ـ

البيان التحليل لحديث الباب

الحديث أصل عظيم من أصول الإسلام، ودعوة ظاهرة لارتباط المسلم بدين الله تعالى بحب، وقوة، وأن يصل صدق الإيمان إلى حب الله تعالى ورسوله ﷺ أكبر مما عداهما، وأن يتضمن هذا طاعة المحبوب، والالتزام بما يأمر به، والبحث الدائم عن مواطأة مراد الله تعالى في الأعمال، والأقوال، والأحوال .

والمسلم يرى الله تعالى في كل خلقه، ونعمه، وآلائه، وهو سبحانه خالق الإنسان، والمنعم المتفضل عليه، وهو والرزاق، واليه يرجع الأمر كله.

ويرى المسلم في رسول الله ﷺ محاسن الظاهر والباطن، وصفات الجمال والكمال، وأنواع الفضائل والإحسان .

وحب الله ﷻ ورسوله ﷺ ينعكس في خلق المؤمن طاعة واستقامة، وحبا للمؤمنين ونصحا وارشادا لسائر الناس، ودعوتهم إلى الصراط المستقيم ، وكل شعر الإنسان بلذة الإيمان تمسك به ، وكره أن يتركه، لأن العاقل يحرص على ما ينفعه، وعلى كل حلال يتلذذ به ، ولن يجد ذلك في غير الإيمان .

وفي الحديث بعض الملحوظات :

الملحوظة الأولى: أثر حب الله تعالى ورسوله ﷺ يظهر في الالتزام بدين الله تعالى، وتطبيق شرعه، لأن الحب المادي المرتبط بذوات مادية كالتهاب

العواطف تخمد وتنتهي والتماسك الوجداني بذوات مخلوقة لا يتصور مع الله تعالى ورسوله ﷺ ، وانما المتصور والمشروع أن يتحول الحب إلى ارتباط قلبي ، وسلوك عملي، وخلق تحسيني في المعاملات، والسلوك يدوم بلا انقطاع ، وصدق من قال :

تعص الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ومن أقوال الصالحين: " صدق حب الله تعالى إفناء النفس في طاعته، وايثار رضاه على الهوى، والإصرار على طاعته في الفعل، والترك ولو كان فيه الهلاك، والمجاهد المحب لله ورسوله يقدم على الموت لتكون كلمة الله هي العليا .

والمجاهد يبيع نفسه لله تعالى لينال رضوان ربه ورضاه، يقول الله تعالى: ﴿ * إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾(١) .

الملحوظة الثانية: تجمع الخصال الثلاث المذكورة في الحديث كافة شعب الإيمان.

لأن الخصلة الأولى تجمع كل ما يتحلى به قلب المؤمن ، حيث حب الله تعالى ورسوله ﷺ، وما تفيض به من طاعة صادقة للمحبوب، وتقدير تام لأوامره وشرعه، ولا يبدو من سلوك المسلم إلا نتائج حبه، ونتاج الحب الطاعة والاستقامة على منهج الله تعالى .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١١ .

والخصلة الثانية : تعكس حب الله تعالى في حسن معاملة الناس، لأن حب المؤمن لأخيه يكون لوجه الله وحده، فيفعل كل ما أمر الله به، ويترك كل ما نهى عنه، ابتغاء وجه الله وحده.

والخصلة الثالثة: تعني ترك المنهيات كلها، لأنها تخالف أمر الله تعالى، وتوصل المتمسك بها إلى الضلال والفساد.

إن الحب الخالص يشمل حب الله تعالى وحب رسول الله ﷺ ، هو السبيل الخالص لرقي الإنسان، وتقدم الأمة ، وبيان ذلك أن محبة الله تعالى فرض أو ندب.

- **فالفرض** المحبة التي تبعث على امتثال أوامر الله تعالى، والانتهاه عن معاصيه، والرضى بما يقدره .

فمن وقع في معيصة من فعل محرم ، أو ترك واجب فسببه تقصيره في محبة الله تعالى، فقد قدم هوى نفسه على طاعة الله ﷻ، وقصر في الألتزام ، والتمسك بأمر الله ، وترك لازم الحب المفروض .

والتقصير تارة يكون مع الاسترسال في المباحات، والأستكثار منها لأنها تورث الغفلة المؤدية لترك الرجاء، فيقدم الغافل على المعصية وهو لا يدري، وتستمر الغفلة فيه فيقع في المعصية ، وهو عارف بها، وفي هذه الحالة لابد أن يسرع الغافل إلى الإقلاع مع الندم .

- **والمندوب يعني** مواظبة المؤمن على النوافل، وتجنب الوقوع في الشبهات، لتبرأ نفسه من إيرادة السوء ، وتضعه في حب الخير بصورة مطلقة في عواطفه ، وعمله، وسلوكه .

أما محبة الرسول ﷺ فهي على قسمين أيضا : ويزاد عليها أن لا يتلقى شيئا من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلا طريقته، ويرضى بما شرعه حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه في الجود، والإيثار، والحلم، والتواضع، وغيرها .

فمن جاهد نفيسه على محبة الله تعالى ، ومحبة الرسول ﷺ وجد حلاوة الإيمان (١).

وأيضا فإن هذه الصفات الثلاثة هي عنوان كمال الإيمان المنتج لتلك اللذة، والمحقق للحلاوة المرجوة ، لأنه لا يتم إيمان امرء حتى يتمكن في نفسه، ويتيقن من أن المنعم بالذات هو الله سبحانه وتعالى ، ولا مانح، ولا مانع سواه، وماعداه وسائط قدره ﷻ ، وليس لها في ذاتها إضرار ولا إنفاع وأن الرسول ﷺ هو العطوف الساعي في صلاح شأن المؤمن ، وذلك يقتضي أن يتوجه المؤمن بكليته نحو صاحب الفضل ، ولا يحب ما يحبه إلا لكونه وسطا بينه وبين الله تعالى، وأن يتيقن أن جملة ما أوعده الله به ووعده حق تيقنا يحيل الموعود كالواقع ، والاشتغال ما يؤل به إلى الشيء فيحسب مجالس الذكر رياض الجنة، وأكل مال اليتم أكل النار، والعود الى الكفر إلقاء في النار (٢) .

الملحوظة الثالثة : يدل حديث الباب على تكامل شخصية المؤمن مع نفسه، ومع ربه، ومع دينه، ومع الناس، لأنه يحدد الصورة المثلى للمؤمن في تعامله مع الله تعالى ، ومع رسوله ﷺ ، وفي تمسكه بدينه ، وفي تعاونه مع

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص١١٦

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١ ص١١٨ بتصرف يسير .

المؤمنين، ومع غيرهم من الناس، ونفوره من الكفر، وكراهيته له .

الملحوظة الرابعة: كراهية الكفر تقتضي كراهية دواعيه من المنهيات والمحرمات، ولهذا يكره المؤمن أي معصية ولو كانت صغيرة لأن الرضى بها يؤدي إلى ما عداها ، والإكثار من المعاصي والإصرار عليها يؤدي للكفر والجحود .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث أن للإيمان حلاوة ولذة يشعر بها المؤمنون المخلصون الذين وصلوا بإيمانهم إلى الإقرار بنعم الله تعالى ، ودور الرسول ﷺ معهم ، وأحبوهما أكثر مما سواهما من سائر الخلق، وأن ينبعث من حب الله ورسوله ﷺ حب المؤمنين بصدق واخلاص كما يترتب على الإيمان الخالص كراهية الكفر والمعاصي، ككراهية الإلقاء في االنار .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز الدعوية والإيمانية ... أهمها : -

الركيزة الأولى

أهمية التسامي بالعواطف الإنسانية

خلق الله الإنسان مكونا من عناصر عدة :

منها العنصر المادي: وهو الجسد الظاهر، المرئي في الإنسان.

ومنها العنصر الباطني: وهو الذي يعمل على بقاء الإنسان واستمرار حياته، وامداده بحاجته، وبه يحيا الجسد، وبحركته تتحقق الحياة، وهو الذي يعرف بالروح .

ومنها الطاقة العقلية : وهي قوة الإدراك والحكم في الإنسان، وهذه الطاقة تأخذ من المحسوس دليلا علي المعاني .

ومنها القوه الروحيه : التي تحقق الانسانيه في الانسان وتحرك فيه الأجهزه البطانيه التي تجعله يحلم ويتمني ويتعاطف .

ومنها القوه العاطفيه الوجدانيه : التي تجمع أمورا متعارضه كالحب والكراهيه، والميل والاعراض، والاقبال والادبار، وتأثيرها في صاحبها كبير.

وقد أنزل الله الإسلام لهدايه الانسان بالقدر الذي يناسبه وشرع له ما يرتقي بكافه عناصره والوصول بها الي مستوي حسن يشمل العمل والقول والخلق والسلوك حتي يعيش في الدنيا عبدا ربانيا لله العزيز الحكيم ويرجع في الآخره الي جنات النعيم .

وحدد حديث الباب طريق الفوز والهدي، وجعل كمال الايمان، والتمتع بحلاوته في أن يحب المسلم أخاه كحبه لنفسه مطيعا في ذلك تعاليم الله تعالي، وأمره في أن يكون حب المسلم لأخيه خاليا من أي غايه ماديه ، أو معنويه وخص الغايه في العبوديه الصادقه لله رب العالمين .

إن العبد حين يمتلئ قلبه بحب الله تعالى وحب رسوله ﷺ يجد نفسه مسوقا الي حب عباد الله القانتين وحين يتحرك المؤمن مع نفسه ومع الناس بهذا الحب يجد نفسه مبغضا لكل مالا يرضي الله إنسانا كان، أو خلقا ، أو سلوكا .

في إطار هذه العواطف النبيله ومع تكامل العناصر في الانسان يسعد المؤمن ويرتقي بالحب الشامل لله تعالى ورسوله ﷺ ، وحب المؤمنين، وحب كل عمل صالح كريم .. وبذلك يتجرد المؤمن لله وحده فيكره المعاصي وينكر المنكر ويبتعد عن كل مايعارض دين الله المستقيم ، ويحمد الله أن أنقذه من

الكفر ، ونجاه منه، ويكره العوده الي الكفر أو الوقوع فيه كما يكره أن يقذف في النار .

إن بناء الإسلام للعواطف والوجدانات ووضعهما في صفاء الحب وطهارته، خير بناء للانسان والجماعه لما لهما من تأثير كبير علي الأعمال والأقوال .

ومن المعلوم والمشاهد أن صلاح النفس أساس صلاح الانسان ، ولذلك وجدنا وسائل التربيه والتوجيه تهتم بتوجيه النفس بالمغريات الماديه التي ترغب الانسان في فعل الخيرات مثل تقديم الجوائز والمكافات.

وعلي الدعاه الاهتمام بهذا الجانب الحيوي في الانسان ، لأنه يحقق كمال الايمان باستشعار كمال صفات الله، ويحقق الصلاح بمعرفه الجزاء الحسن في الدنيا وفي الآخره .

وعلي الدعاه أن يوجههوا دعوتهم نحو ربط كافه العناصر في الانسان بمنهج الله ، والعمل علي اشباعها بما شرعه الله ﷻ ، وعدم الاصطدام بها حتي يتمكن من تنميتها ، وتوجيهها نحو الايمان الكامل ، والاستقامه علي الصراط المستقيم ، وفي قصص القرآن الكريم المنهج الأمثل المفيد في هذا الجانب الهام .

الركيزه الثانيه

ضروره البيان في الدعوه الي الله تعالي

يوضح حديث الباب ضروره تقريب المعني البعيد لعقل الانسان بالأسلوب الذي يناسبه ... فالانسان يتناول طعامه وشرابه ، ويشعر بحلاوه المطعوم ، ولذه مذاقه ، ولذلك ذكر الحديث أن للايمان حلاوه تشبه حلاوه العسل، وان اختلفت عنه في الجانب المادي ، فحلاوة الايمان لذه عقليه نفسيه تحقق

الفرح والسرور، وتسعد صاحبها باشراق الروح ، وتحقيق الأمن ، وتحيط المؤمن بجمال الاتصال بالله ، وتأخد الانسان الي هذا الرقي الروحي القائم علي سعادة غامره ترضي العقل والروح، وتشبع البدن وسائر الطاقات، وتحقق الغايات والرغبات التي يتمناها صاحبها توفيقا في الدنيا، ونعيما في الآخره .

يقول الله تعالي :﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾(١)

إن هذه الحلاوه الإيمانيه تحقق الأمور التي ذكرها الحديث ، وقد قربها الحديث للناس بهذا الأسلوب البياني الواضح الذي جعل حب الله ﷻ وحب رسوله ﷺ، وحب الناس سببا لتحقيق اللذه والمتعه الروحيه .

وأيضا فان الانسان يبغض كل مايؤذيه ، ويكره طرق الشر التي تضره ولذلك جعل الحديث نور الايمان والاحساس بجماله منطلقا لكراهيه العوده الي الكفر والمعاصي كراهييه الالقاء القسري في النار.

إن هذا التشبيه أسلوب بياني يقرب المعني للعقل ، فالإنسان يكره الوقوع في النار لايذائها ، وايلامها ، ولذلك دعا الحديث المسلمين الي كراهيه الكفر كما يكره أحدهم أن يقذف في النار .

إن الحديث استعمل ألوانا من البيان لتقريب المعني ، وهو منهج للدعاه ندعوهم للاستفاده منه في دعوتهم الناس .

الركيزه الثالثه

العمل الصالح أثر للعواطف الدينيه

يشير الحديث الي رقي عواطف الانسان – حبا وكراهيه – فيجعل الحب

---

(١) سوره هود، الايه ١٠٨

لله ورسوله والمؤمنين ، ويخص الكفر والمعاصي بالكراهيه والبغض ، وهذا يشير الي ضروره ارتباط العمل الصالح بالعواطف الدينيه ، وبذلك يتحول حب الله ﷻ وحب رسوله ﷺ الي طاعه دائمه ، واستقامه علي منهج الله تعالي وتصير الكراهيه سياجا يمنع الانسان من الوقوع في المعاصي والكفر .

والإسلام يعمل علي صناعه عواطف العقل بالنظر العقلي السليم، لأنه حين يوجه الإنسان لحب أخيه يوجهه لتحقيق مصالح معاشه ، وايجاد سبل الحياه التي لابد فيها من التآلف والتعاون لتحقيق الخير في الدنيا .

فقد خلق الله الانسان مدنيا بطبعه، وقدر له أن يعيش مع الناس بخلق الإسلام وأحكامه في المعاملات، يقول الله تعالي :﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ (١).

كما أن حب المؤمن لربه ﷻ ولرسوله ﷺ ناشئ من معرفه فضلهما ، فالله هو الخالق، وله الأمر كله ، واليه المرجع والمآب، والرسول ﷺ هو مبعوث الله للناس ، وقد بلغهم الهدي ، وأقرأهم القرآن الكريم ، وبينه لهم ، وبلغهم الإسلام بكافه عناصره ، وترك الناس بعد أن بين لهم الدين ، ووضحه لهم يقول الله تعالي :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾ (٢)

إن تنشيط الجانب العاطفي في الانسان عمل من أعمال الدعوة الهامة لما يترتب عليه من قول وعمل .

---

(١) سورة التوبة : الآية ٧١ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٣ .

وأيضا فإن الاهتمام بالعواطف الانسانيه وتقويتها بمنهج الله تعالي يبعدها عن المساوئ والضلالات التي يشجعها الشيطان وأعداء الله تعالي .

إن نجاح الانسان أو سقوطه يبدأ من داخله، وما الأعمال الظاهره الا ترجمه لما في القلب والضمير ... ولذلك صدق من قال :

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

وعلي الدعاه أن يدركوا ذلك ، ويهتموا به في الدعوه والإرشاد .

الركيزه الرابعة

الدعائم الراسخه للمجتمع الإسلامي

يشير حديث الباب إلي الصورة الشامخة للمجتمع الذي يقيمه الإسلام ، ويشيده علي قيمه وآدابه .

إن المجتمع الإسلامي ينهض علي الأسس التالية :

أولا : يقوم المجتمع الإسلامي علي طاعه الله ﷻ، والاستقامه علي منهجه، والالتزام بدين الله كما بلغه رسول الله ﷺ، وليس لهذا المجتمع مصدر في التوجيه أو التشريع أو التكوين إلا ما جاء من عند الله تعالي ، وبلغه رسول الله ﷺ ... وهذا الأساس هو الذي سار عليه المسلمون الأول ، وصنعوا به خير أمه أخرجت للناس .

وجد المسلمون الأول أنفسهم أمام نظم عند الفرس ، وعند الروم ، الا أنهم لم يلتفتوا الي شيء منها ، واكتفوا بما جاءهم به الله تعالى ورسوله ﷺ ، والقوا ماخالف ذلك خلف ظهورهم ، واستقاموا علي منهج الله بما احتوي من عقيدة، وشريعة، وخلق ... فملأوا استقامتهم بالحب ، والإخلاص، وآمنوا بأنهم أصحاب رسالة عظيمة تقوم علي نشر الأمان، وتحقيق السعادة، وتحقيق كرامة الانسان بمنهج الله ﷻ .

لقد قدم المسلمون الأول في حبهم لله ﷻ ورسوله ﷺ، وفي طاعتهم رسول الله ﷺ وفي تمسكهم الدقيق بالإسلام عقيدة، وشريعة، وخلقا صورا مثاليه خالدة صارت نماذج للإنسانيه في تقدمها ورقيها، وصنعوا المجتمع الإسلامي العظيم بصورة واقعية في عالم الناس .

لقد أحب المسلمون الله ورسوله حبا عمليا انعكس علي أقوالهم وأعمالهم وسائر نشاطهم وحياتهم .

ثانيا : يقوم المجتمع الإسلامي علي تماسك أفراده وترابطهم، وانتشار الحب بينهم، وكان المسلمون الأول يمثلون خير تطبيق لهذه الدعامة فتمني كل منهم لأخيه مايتمناه لنفسه، وأثره علي نفسه في حالات كثيرة ، ولذلك ساد بينهم الصدق ، وانتشرت الامانة وشعر الجميع بالمساواة ، والعزة ، والخضوع لله رب العالمين .

ثالثا : يقوم المجتمع الإسلامي علي طهارة الخلق والسلوك ، وذلك باعلاء قيم الخير والفضيلة ونبذ صور الضلال والمعاصي .

إن من الأماني العذاب أن يحيا المسلمون في إطار دينهم ، بعيدين عن ضلالات الفكر الغربي ، ومهازل البدع والفساد التي ينادي بها المرجفون المكذبون .

ولكن :

متي يتحقق هذا ؟

إن الأمر يتحتاج الي تعليم ، وارشاد ، ووعي ، وصدق .. وطاعه، وعمل، وتجرد من هوي الناس، وبعد عن الضلال ، واقبال صادق علي الحق ، ورجوع تام الي الله رب العالمين، وهو بإذن الله قريب .

-و-
لمحات موجزة في فوائد الحديث

يشير الحديث الي بعض الفوائد ..منها :-

١) قيام الإسلام علي العواطف النبيله، ذات المقصد الحسن، والنوايا الطيبه ، فالحب عند المؤمن متجه لله ﷻ ورسوله ﷺ لما لهم من فضل، وعطاء ، وللمؤمنين لما فيهم من تجرد وصفاء، وأما الكراهية فهي عند المؤمن خلق إيجابي يخص كل معارض لدين الله تعالي إنسانا كان ، أو عملا ، أو خلقا .

٢) المسلم لايعيش الدنيا وحيدا أبدا ، فهو مع الله ورسوله ذكرا وطاعه ، ومع المؤمنين حبا وموده ومع الكفر والكافرين براءه ومقتا .

٣) من طبائع الأمور أن يتبع المحبوب من أحبه حين يراه عاقلا حكيما ولذ يلزم المؤمن نفسه بطاعه الله ﷻ ورسوله ﷺ ويري كل مخالفة لهما خروجا عن هذه الطاعه .. كما أنه يلزم نفسه بحب كل من يحب الله ورسوله، وكل عمل، أوقول يسعي به لحب الله ورسوله ، وبصوره تلقائيه يجد نفسه كارها لكل مايغضب الله ورسوله ، ويبرأ من كل شعور يبعده عن الله ﷻ ورسوله ﷺ .

٤) الإحساس بالجمال واللذة تلمسه الجوارح ، وتشعر به الروح والعواطف ويسعد به الوجدان الراقي، ولاسبيل لتحقيق هذا كله الا بالإيمان واليقين.

٥) السعادة في حقيقتها أمر نفسي عقلي، تنشط القول والعمل، ومن الممكن تصوريها في رجل نائم يري النعيم والخير ونوال مايتمني، فعند يقظته يكون سعيدا وبجواره رجل آخر يري العذاب، والآلم، والقتل فإنه يختلف عن الرجل الأول اختلافا كليا .

٦) دين الله تعالي نظام متكامل للإنسان ينظم به حياته مع الله ﷻ ومع الناس، ويلقي بسببه الجزاء المناسب لعمله وسلوكه، وأسعد الناس من يتمسك بهذا النظام، ويسير عليه .

٧) يظهر في الحديث ضروره الولاء بين المؤمنين، حيث الحب بينهم، كما تظهر حقيقه البراء من كل معصيه وضلال ومن كل ما يؤدي الي الجحود والنكران .

٨) الحب ، والحب وحده هو طريق المؤمنين الصادقين الي الله تعالي ، والي الناس أجمعين .

-١٢-

١٦- وجوب محبة رسول الله ﷺ
أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين

[٢٧]،(١) **حديث أنس ﷺ قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)** (١)

١٥

-أ-
موضوع حديث الباب

يبين الحديث أن المؤمن لا يكمل إيمانه إلا إذا كان حبه لرسول الله ﷺ أكبر من حبه لنفسه، وولده، ووالده، والناس أجمعين .

-ب-
الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبي ﷺ : **(لا يؤمن أحدكم)** أي: لا يكمل إيمان أحدكم إلا إذا اتصف بما جاء في الحديث ، والخطاب في الحديث موجه للصحابة ، ويدخل معهم في الحكم غير المخاطبين من المسلمين في كل مكان، وعلى طول الزمن، كما يدخل في حكمهم النساء، فهم مكلفون كالرجال سواء كان اشتراكهم في حكم الرجال بالقياس ، فجميع المسلمون مكلفون رجالا ونساء، أو بالنص من باب أن ما جاء في الحديث عن الرجال وحدهم كان على وجه التغليب .

(حتى أكون أحب إليه) أحب بمعنى محبوب، لإفادة أن يكون الحب المختار متعلقا برسول الله ﷺ، ولا يراد به التفضيل بين أنواع الحب مطلقا

---

(١) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٨ باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان

وانما المراد التفضيل بين صور الحب المكتسب، ووصول المؤمن في حبه لله تعالى ورسوله ﷺ إلى درجة أعلى في الحب كله .

إن الحب الفطري الغريزي لا يمكن محوه من النفس كحب الولد، والوالد، والزوجة، والأهل والعشيرة .

أما الحب المكتسب وهو القائم على العوامل التي تدعو إليه وتحققه ، وذلك مثل حب أهل الفضل والنعمة، وأصحاب الخلق والعلم.

وأولى الخلق بهذا الحب هو رسول الله ﷺ ، فهو مبلغ الدين، وسبب الفوز في الدنيا، والنجاة في الآخرة، وحقه ﷺ أن يحيطه المسلمون بكافة أنواع الحب، يعظمونه، ويشفقون عليه، ويتقربون منه، وحب رسول الله ﷺ هو حب مكتسب بصدق الإيمان وعمق النظر، والإقرار بالفضل .

(من والده وولده والناس أجمعين)، وقد كثرت روايات الحديث في هذه الأمور، فبعضها يقدم الولد على الوالد (١) وبعضهما يذكر الأهل والمال (٢)

إلا أن رواية البخاري اكتفت بذكر الوالد أولا وبعده ذكرت الولد وبعدهما ذكرت الناس اجمعين .

فمن قدم الوالد علي الولد استشهد بأن حب الوالد عام لكل إنسان فما من إنسان إلا وله والد وقد لايكون له ولد، وأيضا فان الوالد مقدم في الزمان والإجلال، والرفعه، وفخر الانسان بأصله وأبيه غريزه إنسانيه ثابته .

وتلحق الوالدة بالوالد واكتفي الحديث بذكر الوالد لضرورة الوالدة معه فذكره ذكر لها .

---

(١) صحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، ومسند أحمد واخرون

(٢) سنن النسائي

ومن قدم الولد علل ذلك بمزيد الشفقه والحب، فشفقه الأب علي ولده أكبر من شفقته علي والده .

وخص الحديث بالذكر الوالد والولد، لانهما أعز علي العاقل من المال والأهل، وربما أعز عليه من نفسه، ولذلك لم يذكر الحديث النفس بعد ذكر الوالد والولد .

والمراد بـ (الناس) عموم الخلق ، فيشمل النفس، والولد، والوالد، والوالدة والأخوة، والأهل، والأقارب .... فهو تأكيد لضرورة حب النبي ﷺ أكثر من سائر الخلق من قبيل ذكر العام بعد الخاص .

وقيل : المراد بالمذكورين بيان أن حب الله ورسوله ﷺ يجب أن يكون أكبر من حب أي عزيز سواهما .

-جـ-

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث منزلة رسول الله ﷺ عند المؤمنين، ويحدد كمال الايمان بأن يكون حبه ﷺ أقوي من حب كل عزيز محبوب سواء كان إنسانا أو مادة أو معني أو أثرا .

إن هذا الحب الواجب لرسول الله ﷺ أساسه الفهم الدقيق، والوعي العاقل والمكافأه الواجبه له ﷺ فهو ﷺ مبلغ الإسلام وموصل القرآن الكريم، وهو الهادي الي سواء السبيل، ومنقذ الإنسان من ظلمات الجهل والكفر الي نور الحق والإيمان، وهو الذي رسم للناس طريق الفوز والفلاح في الدنيا وفي الآخرة، وأخرجهم ببلاغته من مهاوي الردي الي معالي الأمور ويكفي ما وصفه الله به في قوله تعالي : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾(١)

ولا يتعارض حب رسول الله ﷺ مع ما يجده الانسان من حب نفسه، وولده، ووالده فهذا حب جبلي غريزي فطري ، يجده الانسان في نفسه بلا سعي اليه، أما حب رسول الله ﷺ فهو حب اختياري مكتسب سببه صدق الايمان ، ومعرفه مقام رسول الله ﷺ والوقوف علي عصمته، وفضائله، ودوره في سعادة الناس ...

وقد يتوصل الإنسان بالتفكير العقلي الي حب يفوق حب الغريزة فحب الحياه فطرة، ومع ذلك يصل الانسان بالإيمان الي تفصيل الموت في الجهاد علي حب الحياة .

فعن أبو عقيل زهرة بن معبد ﷺ، أنه سمع جده عبد الله بن هشام ﷺ، يقول: **(كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي .**

فقال النبي ﷺ : " لا ، والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك" .

فقال له عمر ﷺ : فإنه الآن ، والله ، لأنت أحب إلي من نفسي .

فقال النبي ﷺ : " الآن يا عمر) (٢)

فحديث عمر بن الخطاب ﷺ أولا كان عن الحب الغريزي إلا أنه عدل عنه بعد أن عقل وفكر ، ورأي أن حب رسول الله ﷺ مقدم علي حب نفسه .

---

(١) سوره التوبة ، الآية ١٢٨

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأيمان والنذور، باب : كيف كانت يمين النبي ﷺ، حديث : ٦٢٦٨

وفي الحديث ملحوظات :

الأول : حب إجلال واعظام ؛ كحب الوالد والسلطان .

الثاني : حب شفقة ورحمة ؛ كحب الولد والضعفاء .

الثالث : حب مشاكلة واستحسان ؛ كحب سائر الناس .

وقد جمع رسول الله ﷺ أنواع الحب كله ، ولذلك لا يصح الإيمان إلا بحبه ﷺ، ومن الضروري تقديم حبه ﷺ علي حب جميع ماعداه وتفضيله عليهم (١).

وحجة القاضي عياض رحمه الله أن حب الله رسوله قائم علي معني التعظيم والإجلال الواجبين لله ورسوله، ولذلك كان هذا الحب شرطا لصحة الإيمان وتاكيدا علي أن حق رسول الله ﷺ أكد من حق الوالد، والولد، والناس أجمعين (٢).

الملحوظه الثانية: من لازم حبه ﷺ محبة الدين الذي جاء به، وبلغه للناس وتقديمه علي كل ماعداه من مذهب، أو ملة، أو توجه، ولذلك عد من فضل مذهبا علي الإسلام أو من قدم قانونا أو نظاما علي شريعة الإسلام غير مؤمن ... وذلك حكم يتعلق بمن يري أن الفكر العلماني المغاير لتعاليم الإسلام أولي بالاتباع من تعاليم الله تعالي ، وهذا في حكم الله يخرج صاحبه من الملة .

وقد زعم البعض أن تقديم حب الإسلام علي حب الوطن، وتقديم حب رسول الله ﷺ علي أي سلطان لا يجوز ... وهذا ضلال في التفكير ،

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج٢ ص١٥ .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ج٢ ص ١٥، ١٦ .

وفساد الحكم؛ لأن من كمال الإيمان أن يكون ما جاء به رسول الله ﷺ مقدم علي غيره ، وأن يكون حب الإسلام أكبر من حب الوطن ، وبخاصة أن حب الوطن جزء من حب الإسلام ، والايمان بالأمر الكلي لا يعارض الإيمان ببعض أفراده .

ولذلك جعل العلماء من علامة الإيمان أن يجد المسلم في نفسه أن حب الله تعالى ورسوله ﷺ في نفسه وعمله أكبر من حب غيرهما مطلقا .

الملحوظه الثالثة : يقول النووي رحمه الله : في الحديث تلميح الي قضية النفس الأمارة والنفس المطمئنة، لأن من رجح جانب المطمئنة كان حبه للنبي ﷺ راجحا ، ومن رجح جانب الأمارة كان حكمه بالعكس (١).

الملحوظه الرابعة: وفي هذا الحديث ايماء الي فضيلة التفكر، فإن الأحبية المذكورة تؤكد ضروره التفكر في المحبوب، وذلك أن محبوب الإنسان إما نفسه واما غيرها .

وأما حبه نفسه فهو : أن يريد دوام بقائها سالمة من الأفات ، وهذا هو حقيقة الحب المطلوب .

وأما حبه غيرها؛ فإنما هو بسبب تحصيل نفع ما علي وجوهه المختلفة حالا ومآلا ، فاذا تأمل النفع الحاصل له من جهه الرسول ﷺ الذي أخرجه من ظلمات الكفر الي نور الإيمان ، واما بالمباشره ، واما بالسبب علم أن رسول الله ﷺ سبب بقاء البقاء الأبدي في النعيم السرمدي ، وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات ، فاستحق رسول الله ﷺ بذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره ، لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج١ ص ١١٥.

منه أكثر من غيره ، ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه ، ولا شك أن حظ الصحابة ﷺ من هذا المعني أتم من غيرهم؛ لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم (١).

وبهذا ظهر أن قضية حب رسول الله ﷺ قائمة علي التفكير والتعقل الذي ميز الله به الإنسان عن سائر المخلوقات .

الملحوظه الخامسة : كل من آمن بالنبي ﷺ إيمانا صحيحا لا يخلو عن وجود شيء من تلك المحبة لديه، غير أن المؤمنين متفاوتون في هذا الحب ؛ فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفي ، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدني، فمن كان مستغرق في الشهوات، محجوبا في الغفلات في أكثر الأوقات كان حظه في حب رسول الله ﷺ قليلا، لكن الكثير منهم إذا ذكر النبي ﷺ اشتاق الي رؤيته، وصفت نيته ، وعاد الي صدق الايمان ، بحيث يؤثر حب رسول الله ﷺ علي أهله، وولده، وماله، ووالده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد مخبر ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه ، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ﷺ ورؤية مواضع اثاره علي جميع ماذكر لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات فليتجنب المؤمن عوامل الغفلة ، ويستعين بذكر الله تعالي ، والله المستعان .

ـ د ـ

المعني العام لحديث الباب

يبين الحديث أن المؤمن لن يجد حلاوة الإسلام في عقله وحياته ، إلا إذا اتصف بثلاث صفات هي :

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١ ص١١٦ .

(١) أن يحب الله تعالى ورسوله ﷺ أكبر من حبه لاي شيء سواهم .

(٢) أن يحب المسلم أخاه مثل حبه لنفسه بلا غاية طاعة لله تعالي .

(٣)أن يكره العودة الي الكفر، أو الوقوع فيه كما يكره أن يقذف في النار.

فاذا اتصف المسلم بهذه الصفات ، شعر بلذة الايمان وحلاوته، وسعد في الدنيا وفي الآخرة ، وأحاطته رعايه الله ووفيقه .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوه والايمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عده ركائز .... منها :-

الركيزة الاولي

التعلق بجلال الله وعظمته

الله هو خالق الوجود، وهو رب الناس أجمعين، والإقرار بكافه صفاته واجب ديني نابع من الفطرة والنظر السليم ، وحين يتأمل المرء في نفسه وفي الكون يعرف فضل الله تعالي الذي يفوق كل فضل ، فهو سبحانه خلق، وسوي، وقدر، فهدي .

وقصد هذا الفضل أن يحب صاحبه ويطاع، ولذلك بين الحديث ضرورة حب الله تعالي حبا لامثيل له ... وحين يفكرر العقل ، ويتأمل العقلاء في الوجود لعلم ما لله من حق ، فيعبده ، ويحبه حبا لا يكافئه حب وغيره ، والله الموفق .

الركيزه الثانيه

عظمة الرسول ﷺ عند المؤمنين

حب الشئ ناشئ من معرفه حقيقيه، واكتشاف فائدته ، ومعرفه أثره في تحقيق الخير والنجاة ، وحين نحيل النظر في ذات رسول الله ﷺ، وفي

وظيفته، وفي المنافع والفوائد التي حققها للناس، ندرك عظمته، وعلو مقامه وضرورة أن يعلو حبه علي حب أي عزيز غيره .

فرسول الله ﷺ ولد مبرءا من كل عيب ، فقد وضع الله تعالى فيه كل المحاسن الخلقيه والخليقه ، وجمع له من صفات الكمال ما ليس لغيره من الناس ، فأحبه أهل مكه جميعا ، وسموه الصادق الأمين ، عاش يسعي ويعمل، ويشارك أعمامه وأهل مكة معالي الأمور ، فاشترك في بناء الكعبة ، وكان سببا في منع الحرب بين القبائل ، وحضر حلف الفضول، وساهم مع أعمامه في حرب الفجار، ورعي الغنم ، وتاجر لخديجة رضي الله عنها، فاختارته زوجا لها ، لم يرم بريبه قط ، وكان صورة عمليه لكمال الخلق ، وكمال السلوك فمدحه المادحون ، وأحبه أهله أجمعون .

وقد اختاره الله تعالى رسولا الي الناس ، فأنزل عليه الوحي ، والقرآن ، والدين، وأمره بالتبليغ ، فبلغ الرساله ، وأدي الأمانه، ولم ينقل الي ربه إلا بعد أن كمل الدين ، وتمت النعمه ، ونزل قول الله تعالي :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (١) .

وعاش المسلمون بدين الله تعالي ، وعلموا أن رسول الله ﷺ هو مصدر الخير، والفوز، والفلاح لكل مسلم ، وللأمه كلها ، وتيقنوا أنه ﷺ أحق الناس بحب الناس ؛ فقد جاءهم بطرق تحقيق السعادة في الدنيا وفي الآخرة .

---

(١) سوره المائدة : الآية: ٣ .

لقد كان العرب يعيشون في جزيرتهم لا قيمة لهم ، ولا دور لهم في حركة الحياة ، وكانوا ينظرون الي الفرس والروم علي أنهم عظماء الدنيا، ولهم الفوز والغلبة، وكل ماعداهم رعاع، عبيد لا شأن لهم ، ولا قيمة لهم في هذا الوجود.

كان العرب كذلك ؛ فلما جاء الرسول ﷺ غير بدينه هذه الموازين ، وبعث في البشريه روح العدل والحق، وأعادهم الي أصولهم الأولي، وذكرهم بالله الذي خلقهم، وأكرمهم، ورفعهم الي درجه الإنسان الذي يعيش في الأرض خليفة لله تعالي .

ولم يمض وقت طويل حتي اعتدلت الموازين في الأرض، وعلا صوت الحق ، وسقطت دولتا الفرس والروم ، وظهر دين الله في العالمين .

لقد عرف محمد ﷺالعالم بدين الله الذي ختم الله به الأديان، والذي اختاره الله ﷻ للناس أجمعين .

إن دور الرسول ﷺ يؤكد عظمته، ويحتم حبه أكثر من حب أي عزيز لدي الإنسان .

إن رسول الله ﷺ وهو في رضوان الله تعالي تعرض عليه أعمال أمته وأمله هداية الخلق أجمعين ، وحب المؤمنين يجب أن يتحقق في قلوبهم ، وأخلاقهم وسلوكهم ... فهو ﷺ أعظم خلق الله أجمعين، ورسالته العالمية الخاتمه دليل وبرهان علي صدقه، وقربه من ربه ، ووجود وحي الله الذي نزل عليه بينا متمثلا في القرآن الكريم، والسنه النبوية آية داعية الي ضرورة اتصال القلب والعقل به ، والارتباط بآثاره وشمائله .

ويجب أن يتطابق الخلق والعمل مع الحب القلبي، فيكون خلق المؤمن مثل خلق رسول الله ﷺ وليس ذلك ببعيد فخلق رسول الله ﷺ معلوم ومفهوم

من القران الكريم ، سئلت السيدة عائشه رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت **(كان خلقه القرآن)** (١) .

وخلق المسلم يجب أن يكون امتدادا لخلق رسول لله ﷺ ، ويجب أن يكون العمل صورة من عمل رسول الله ﷺ .

إن من حب رسول الله ﷺ التمسك بالإسلام كله مع النفس ، ومع الناس وحماية الدين ، والتمسك بالسنه .

وآية الحب الطاعة، وكل من يدعي الحب ولا يطيع كاذب في دعواه، **فالمحب الذي لا يطيع حبيبه** كاذب في دعوي حبه .

والمحب الذي يخذل حبيبه، ويعارض منهجه ودعوته كاذب في حبه .

والمحب المضيع لهدي رسول الله ﷺ كاذب في حبه .

ولا ينفع في دعوي الحب الزعم ، والكذب، والنفاق ، والتطبيق العملي خير دليل علي الصدق أو الكذب .

ومهمة الدعاة التعريف بشمائل النبي ﷺ وصفاته، وخصائصه، وسيرته وتوضيح المنهج العلمي المحقق لصدق الحب ، وضرورة استقامة المسلم علي حب رسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا، وقولا ، وعملا ، ونيه وسلوكا .

إن منزلة رسول الله ﷺ عند كل مؤمن يجب أن تأخذ مجالها النظري والعملي ، وأن يعيش المؤمن في رحاب حب الرسول ﷺ.

ولا يقال أن وجود رسول الله ﷺ بذاته سبب رئيس في حبه وطاعته ، فلقد أحبه الصحابه أكثر من أنفسهم ، وكانو يتسابقون إلي طاعته ، ورؤيته ، والجلوس معه ، وهذا شأن لا يجده المسلمون المعاصرون .

---

(١) مسند أحمد بن حنبل – مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، حديث : ٢٤٠٤٥

لا يصح هذا القول لأن العلماء رووا كل شيء عن رسول الله ﷺ ووضحوا شمائله ، وبينوا كل شيء يتصل به ... ويمكن لكل مسلم أن يعرف صورة رسول الله ﷺ، وخلقه ، وكل ما يتصل به حتي كأنه يراه ، ويعيش معه ولذلك كان حبه ﷺ واجبا شرعيا يقوم به المسلمون المخلصون.

الركيزة الثالثة
دور المسلم في الحياة

خلق الله الخلق، وقضي لهم أن يختلفوا اختلافا بينا في صورهم، وألوانهم ولغاتهم ، ومذاهبهم ، وأديانهم، يقول الله تعالي :﴿ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾(١).

والمسلم بين سائر الطوائف متميز في عقيدته، وانسانيته ، فعقيدة المسلم قائمة علي عباده الله ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾(٢) .

هذه العقيده تجعل صاحبها من أشد الناس حبا لله ﷻ الذي خلقه ، وأكرمه وأحياه بالآئه ونعمه، ويضع المسلم حب رسول الله ﷺ من حب الله ﷻ ؛ ليكون حبهما أعلي من حب غيرهما .

والمسلم يحب المسلمين، فهم إخوته المشتركين معه في الدين ، المتعاونون معه علي البر والتقوي ، ولذلك فهو يحبهم إرضاء لله تعالي ﷻ ، ويحافظ علي كافه حقوقهم تطبيقا لشرع الله تعالى، وطاعة له سبحانه وتعالي، ويحافظ عليه ، ويدعوا الله ليحيا بالدين ، ويموت عليه ، ويبعث يوم القيامة في زمرة المؤمنين ويحشر مع النبين، والصدقين، والشهدء .

---

(١) سورة الليل الآية: ٤ .

(٢) سوره البينة الآية:٥

هذه هي حياه المسلم ، وهذا هو دوره في الحياة.

إن صلته بالله متينه، وحبه لرسول الله ﷺ قوي ، وحبه للمسلمين ثابت وكراهيته للكفر والكافرين بينة واضحة

-و-

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يتضمن الحديث عددا من الفوائد ...منها : -

١) ضرورة أن يعرف المسلم ما له من حقوق ، وما عليه من واجبات ؛ ليستقم بصورته الايجابية في الحياة .

٢) ضرورة أن يتحلي المسلم بالفضائل الدينية والاجتماعية ، والبعد عن الرذائل والمفاسد الخلقية .

٣) ميزان حب المسلم لأخيه أن يكون لله وحده ، فلا يزداد الحب بالبر ، ولا ينقص بالجفاء ، ولا يتوقف علي سبب مادي ، وليس له دعامة مادية إلا الإيمان والتقوي .

٤) العواطف الوجداية عند المسلم مرتبطه بحق الله تعالي ؛ فحب الله لذاته وحب الرسول ﷺ لوظيفته، وحب المؤمنين لاستقامتهم ، وكراهية الكفر لأنه يغصب الله ورسول ﷺ .

-١٣-

١٧- الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير

[٢٨]،(١) ١٣ **حديث أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (١) .**

-أ-

موضوع حديث الباب

يتناول الحديث العلاقة الودية التي يجب أن تكون بين سائر المؤمنين، وأن تقوم هذه العلاقات على أساس أن يحب المسلم أخاه حبه لنفسه .

-ب-

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبي ﷺ : (لا يؤمن أحدكم) أي: لا يكمل إيمان المسلم إلا بحبه لأخيه في الإسلام، سواء كان قريبا أو بعيدا، من أهله وجيرانه، أو من غيرهم

(حتى يحب لأخيه)، (يحب) فعل مضارع منصوب بـ**(أن)** المضمرة بعد **(حتى)** ، والتعبير بـ**(أخيه)** يشمل أخته على وجه التغليب .

(ما يحب لنفسه) من الخير كما جاء في روايات أخرى(٢) ، والخير المتصل بالحب يعم سائر الطاعات ، ومختلف المباحات الدنيوية والأخروية، وهذا يعني أن المؤمن يعمل الخير ويرجو أثره لنفسه، ويتمنى لأخيه المسلم ما يتمناه لنفسه عملا، وأثرا، وفائدة .

---

(١) أخرجه البخاري في: ٢ كتاب الإيمان: ٧ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

(٢) صحيح مسلم، وسنن النسائي، ومسند أحمد ،و غيرهم .

وحب المؤمن لأخيه يشمل ما يلي :-

١- **الميل إلى تحقيق الأمر المحبوب لأخيه،** والسعي إليه بحواسه، أو بفعله، أو بنصحه ودعوته .

٢- **تمني حصول الخير لأخيه** ، لينال مثل ما هو فيه ولا يلزم منه أن يتحقق، لأن المسلم لا يملك إلا التمني والرغبة، والأمر متعلق بقدرة الله تعالى، وعليه فبقاء الخير ، أو زيادته ، أو نقصه متصل بإرادة الله تعالى وقدرته، وليس بأماني المحبين ودعائهم ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾(١)، ويقول ﷻ : ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ (٢).

٣- **ليس معنى حب الخير للغير أن يكون هو نفس الخير الذي ناله المسلم بذاته،** لأن معنى ذلك أن يحرم المسلم نفسه منه، فقيام العرض الواحد، أو الجوهر الواحد بمحلين في وقت واحد محال، وانما المراد المماثلة والمشابهة في الخيرية والمنفعة .

٤- **هذا الحب متصل بالميل الاختياري القائم على العقل والتفكير،** لأنه مرتبط بأخوة الدين، ورعاية المصلحة، واختيار الخير المناسب لصاحبه، ولا صلة له بالحب الفطري الغريزي الذي يولد الإنسان به ، ولا يمكن إلغاؤه، وكل الممكن معه التسامي به ، وتعديل مساره وتوجهه .

---

(١) سورة القصص الآية : ٥٦ .

(٢) سورة هود الآية : ٨٨ .

ـ جـ ـ

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث ما يجب أن يتحلى به المسلم من حب أخيه المسلم، وتمني الخير له مثل ما يتمناه لنفسه، وليس المراد أن يتمنى لأخيه ما هو فيه ليأخذه منه، ويحرم نفسه، لأن هذا الإيثار أوسع دائرة من تمني الخير، ولم يحدث إلا بين المهاجرين والأنصار عند الهجرة إلى المدينة المنورة .

وغاية الحب أن يتواضع المؤمن ، ويحب لنفسه ولأخيه الخير، ويرضى بتقدير الله فيه ، ولا يتملكه الحقد والحسد إن حرم من خير قدره الله لأخيه ، فالمنافسة في الخير مشروعة، والنتائج بيد الله تعالى ، وعلى المؤمنين أن يتسابقوا ، ويتنافسوا في الخير ، ويرضوا بقدر الله تعالى .

وفي الحديث تسأولات :

السؤال الأول : حب المسلم لأخيه المسلم واجب شرعا، فما صلة هذا الحكم بحب إيمان غير المسلمين ؟

وجواب ذلك : أن على المسلم أن يحب إسلام غير المسلمين، ويجاهد في دين الله تعالى على ذلك، وهذا يعني أن حب الكافر مرتبط بإيمانه ابتداء، فإن آمن ودخل في دين الله تعالى عومل معاملة المسلمين، وان لم يؤمن فإنه قد اشتط في خلقه، وسلوكه، ومعاملاته ، فلا يستحق محبة المسلمين ، ويعامل معاملة حسنة مادام محافظا على عهد الذمة، وملتزما بما عليه المسلمون .

وقد ذكر بعض العلماء أن اشتراط هذا الحب في الإيمان لكماله، وتمامه، لأن المراد زيادة العناية بحب المسلمين بعضهم لبعض، لأنهم أولى به من

غيرهم ، وفي حبهم قوة للمحبين جميعا، ... ومعاملة الذمي منوطة بقوله تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧ ﴾(١) .

السؤال الثاني : إذا أحب المسلم لأخيه ما يحب لنفسه، فهل يكمل إيمانه وان قصر في صفات وخصال إيمانية أخرى ؟

الجواب : إن ربط الحب بكمال الإيمان قد ورد مورد المبالغة ، وأظهر شرطا رئيسيا لكمال الإيمان ، وذكر شرط من شروط الكمال لا يفيد في بقية الشروط، ورواية (**أخيه المسلم**)(٢) تشير إلى سائر حقوق المسلم على أخيه.

محبة الغير كالذات أمر شاق، فما معنى الحديث مع هذه المشقة ؟

والجواب : إن المعنى : لا يتم إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام مثل ما يحب لنفسه .

والقيام بذلك يحصل بأن يحب المسلم أخاه مثل ما يحب لنفسه من جهة لا يزاحمه فيها ، بحيث لا تنقص النعمة لأخيه شيئا من النعمة عليه، وذلك سهل على قلب المؤمن السليم، وانما يشق ذلك على القلب الدغل الحسود .

السؤال الرابع : المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فما موقفه من الأمور التي يبغضها ؟

والجواب : إن مفهوم المخالفة يفيد أن المؤمن يبغض لأخيه ما يبغضه لنفسه، وانما ترك الحديث البغض لأن الكلام في الحب يفيد النهي عن البغض، فتركه اكتفاء بدلالة المفهوم .

---

(١)سورة التوبة الآية : ٧ .

(٢)مسند أحمد بن حنبل - ومن مسند بني هاشم، مسند أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه - حديث : ١٣٣٦٤

السؤال الخامس : ظاهر الحديث يدل على المساواة بين الطرفين في الحب والأماني، وحقيقته تستلزم التفضيل وعدم المساواة، لأنه يتمنى لنفسه أولا ، وبعده يتمنى لغيره، فكيف نفهم ذلك ؟

إن كل واحد يحب أن يكون أفضل من غيره، فإذا أحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه لا يتغير حبه لذاته، ولا يصير من جملة المفضولين لأن المقصود الحث على التواضع، فلا يصح من المسلم أن يعمل لنفسه فقط، ولا يكون أنانيا، وعليه أن يتواضع ، ويحب المؤمنين ، ويتمنى لهم الخير كما يتمناه لنفسه ، وبذلك تتحقق الأفضلية في إطار المساواة الإنسانية ، وذلك مستفاد من قوله تعالى :﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (١) .

ولا يتم ذلك للمسلم إلا بترك الحسد ، والغل، والحقد ، والغش، وكلها خصال مذمومة ، والتمسك بحسن الخلق ، وكرم المعاملة ، وحب الخير للناس ، وكلها صفات محمودة .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث أن من تمام الإيمان وكماله عند المؤمن أن يحب الخير لأخيه كما يحبه لنفسه، وأن يرضى بقضاء الله تعالى في إيصال الخير للناس ، وان يتمنى سعادتهم ، ويسعى ليجمع المؤمنين على المودة، والحب، والتعاون ، وأن يجتهد لتحقيق المجتمع الصالح للناس أجمعين .

---

(١) سورة القصص الآية : ٨٣ .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ـ هي : ـ

بيان معالم الجماعة الصالحة

يشير الحديث إلى بيان صفات المسلم، وتجاوبه مع إخوانه المسلمين، لأنه يدعو المسلم إلى أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وبذلك تتطهر الجماعة من الحقد والكراهية، وتقوم على التماسك والترابط .

ويبدأ الحديث بنظافة القلوب لصالحها، لأنها سبب صلاح الجسد، والجوارح تخضع لتوجهات القلب وأمانيه، وقيادة الإنسان تأتي من داخله .

واذا أحب المسلم أخاه كنفسه علمه مما يعلم، وأعطاه مما لديه ، وعاونه حين الحاجة ، ونصره حين القتال والجهاد .

وبهذا تتحول الجماعة المسلمة إلى جماعة متحابة تجمعها الألفة والإخلاص، ووحدة المنبع والمصدر، ووحدة الحياة والعمل، ووحدة الغاية والمصير .

تعيش الجماعة هذا الحب بصورة قلبية وعملية في كافة جوانب الحياة حتى يمكن أن نسمي المسلمين (جماعة المحبين) وبهذا يتضاءل أي مجتمع أمامهم .

لقد طبق المسلمون هذا الحب في مجتمع المدينة، وقدموا للإنسانية صورة المجتمع الإسلامي وخصائصه، ... يصور الله تعالى الجماعة الأولى بقوله ﷻ : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[1] .

وبعد كل هذا يأتي من الناس من يدعي حبا يفوق حب المسلم لأخيه، والأمر ليس كذلك ، فالحب ليس كلاما وشعارا، ولكنه في الإسلام خلق وسلوك، وايمان، وعمل يراقبه الله ، ويحاسب عليه .

لقد جمع الإسلام جميع قيم الفضيلة ، وكل محاسن الإنسانية ، وجعلها فروعا تساهم في تكامل الشريعة ، وتحقيق دين الله تعالى .

ودور الدعاة تقديم قيم الإسلام، وفضائله للناس، والعمل على تحقيق مجتمع الحب ، والتعاون في أرض الله للناس أجمعين .

وتربية المسلم على الحب يجب أن تبدأ مبكرا ، وذلك بتنشئة الصغار على الحب، وتوجيههم إلى التعاون في الأعمال، والسعي لمساعدة الآخر ، والاستماع له ، والتعريف بأن الإنسان لم يخلق فردا، وانما جعل الله تعالى البشر جماعات وشعوبا ليتعارفوا ، ويتآلفوا .

إن تنشئة المسلم على حب أخيه تكون بزرع قيم الخير فيه في أيامه الأولى من خلال أمه وأبيه ، واخواته، ومع أصدقاء اللعب، والمرح ، ومع رواد المسجد القائمين لله تعالى .

وعلى المربين والدعاة وضع مناهج تربوية للصغار في المسجد، والمدرسة، والنادي، وخلال اللعب حتى يتحقق المجتمع المسلم السعيد ...

وصدق من قال :

- من شب على شيء شاب عليه .

---

[1] سورة الحشر الآيتين : ٩ ، ١٠ .

- وينشأ ناشئ الفتيان منا على ماكان عوده أبوه

-و-

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يتضمن الحديث عددا من الفوائد ... منها : -

١) ارتباط إيمان المؤمن بحب أخيه يعني نشر الحب في المجتمع كله .

٢) المسلم لا يعيش لنفسه فقط، وانما عليه أن يعيش لنفسه والآخرين، ينصحهم ويعاونهم، ويتمنى لهم الخير بكل صوره وألوانه .

٣) من كمال الإيمان أن يبغض المسلم لأخيه المسلم كل ما يبغضه لنفسه.

٤) أخلاق الإسلام تعم الرجال والنساء، ولا تخص نوعا من البشر، فكل ما شرع للرجال شرع للنساء ما لم يكن حكما خاصا لنوع ، أو ظهر الحكم مع التخصيص .

٥) إثارة النعرات الطائفية، واحياء العنصريات داخل المجتمع ليست من الإسلام في شيء .

٦) انقسام المسلمين إلى فرق مختلفة في العقيدة فتن مقصودة لإضعاف المسلمن والهائهم عن الحق والصواب .

٧) دعامة المجتمع المسلم الرئيسة هي الحب الصادق، ولذا كان التفرق والانقسام من عوامل صرف المسلمين عن دينهم .

٨) حياة المسلمين تحتاج إلى تفهم أحوال خصومهم ، ومؤامراتهم، وتجنب الفتن التي يعملون لإذكائها .

ـ١٤ـ

١٩ـ الحث على إكرام الجار والضيف

وقول الخير أو لزوم الصمت، وكون ذلك كله من الإيمان

[٢٩]،(١)
٦٠١٨ **حديث أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)** (١).

[٣٠]،(٢)
٦٠١٩ **حديث أبي شريح العدوي ﷺ ، قال: سمعت أذناي ، وأبصرت عيناي حين تكلم النبي ﷺ ، فقال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته.**

قال: وما جائزته يا رسول الله ؟

قال ﷺ : يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت) (٢)

ـأ ـ

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول حقوق الجار، والضيف، وضرورة قول الخير أو الصمت، وتجعل تلك الأعمال من كمال الإيمان وتمامه .

---

(١)أخرجه البخاري في: ٧٨ كتاب الأدب: ٣١ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره

(٢)أخرجه البخاري في: ٧٨ كتاب الأدب: ٣١ باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، وللحديث روايات أخرى في صحيح البخاري برقم : (٦١٣٥ ، ٦٤٧٦)

-ب-
الدلالات اللغوية في أحاديث الباب

الحديثان رواهما صحابيان جليلان سمعهما من رسول الله ﷺ ، كما قال أبو هريرة ﷺ في تحمله للحديث الأول، وكما ذكر شريح ﷺ في الحديث الثاني ، فقد أكد سماعه بقوله : **(سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي)** ، وهذا يوضح حرص الصحابة الكرام على رواية حديث رسول الله ﷺ كما سمعوه منه ﷺ على الوجه الذي كانوا عليه ليبقى في الناس كما قاله ﷺ

(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أي من يعلن إيمانه بالله تعالى، واليوم الآخر التزم بهذه الأمور الثلاثة، فإن كل منها شرط في كمال الإيمان .

وكررت الأحاديث هذا الشرط مع كل واحد من الثلاثة لإيقاظ المشاعر، وتهييج عوامل الطاعة في كل مرة لأهميتها مع كل منها .

وجمع الشرط الإيمان بالله تعالى مع الإيمان باليوم الآخر ليجمع مبدأ الإنسان وآخرته، وليذكره بأن الله تعالى هو الذي خلقه، ورزقه، وكلفه، وهو الذي سيعيده إليه ، ويحاسبه ، ويجازيه على ما كلفه به .

وقد جمع الحديثان ثلاثة أعمال تدل على كمال الإيمان، وقدم لكل منها بشرط الإيمان بالله واليوم الآخر ، لبيان أهمية كل منها، واستقلاله في صور الإيمان وهي : -

الصفة الأولى : (فلا يؤذ جاره) ، وردت الرواية بحف الياء من يؤذ على الجزم بلا الناهية ... كما وردت بعدم حذفها باعتبار أن لا نافية ، والمعنيان جائزان ، لأن النهي إنشاء معنى، والنفي خبر عنه .

وجاء النهي في الحديث الأول بعدم إيذاء الجار، وجاء الحديث الثاني بالأمر بإكرامه ، وهما معنيان متلازمان ، فقد جاء أحدهما بالإثبات، وجاء

الآخر بالنفي ليؤديا معنى واحد ، لأن عدم الإيذاء يؤدي إلى المعاملة بخلق كريم ، كما أن الإكرام يفضي إلى تجنب الإيذاء، وتحقيق الخلق الكريم ، ... وكلا المعنيين يؤديان إلى حقية واحدة، لأن الإكرام عطاء واحسان، وترك الأذى ترك للفحش والعدوان، وهذا وذاك حق الجار على جاره .

وقد جاء في حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده ، ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **(من أغلق بابه دون جاره مخافة على أهله وماله فليس ذاك بمؤمن ، وليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه ، أتدري ما حق الجار : إذا استعانك أعنته ، واذا استقرضك أقرضته ، واذا افتقر عدت عليه ، واذا مرض عدته ، واذا أصابه خير هنأته ، واذا أصابته مصيبة عزيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطيل عليه بالبناء تحجب عنه الريح إلا بإذنه ، ولا تؤذيه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها ، وان اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سرا ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، أتدرون ما حق الجار ، والذي نفسي بيده ما يبلغ حق الجار إلا قليلا ممن رحم الله)** (١)

واكرامك الجار يختلف حكمه باحتلاف الأشخاص والأحوال، وهو في كل أحكامه من مكارم الأخلاق .

الصفة الثانية : (فليكرم ضيفه) أي : فليعط لضيفه ما يستحقه ، ويحتاج إليه من طعام، ومسكن، وأنس، وترحيب، وقد بين الحديث الثاني أن إكرام الضيف جائزة له، وذلك في قوله ﷺ **(جائزته)** أي عطيته، ومنحته التي

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي - التاسع والثلاثون من شعب الإيمان، فصل فيما يقول العاطس في جواب التشميت ، حديث : ٩٢٠٤

يستحقها، وقد جاء الحديث برفع **(جائزته)** على الابتداء أو الخبر، أي إكرامه جائزته، ... أو جائزته إكرامه، ... ولذلك سأل الصحابي رسول الله ﷺ عنها.

(وما جائزته يا رسول الله ؟) أي : ما هي جائزته التي أكرمه الله تعالى بها، وأوجبها علينا، والمراد بالجائزة العطية التي أعطيها له، والمنحة التي منحها إياه، والهبة التي يستحقها بلا مقابل مني.

قال ﷺ : **(يوم وليلة)** أي حقه في البر ، والترحيب، والعطاء ، والكرم مدة يوم وليلة .

(والضيافة ثلاثة أيام) أي : إن حق الضيف ثلاثة أيام بلياليها .

يقول أبو عبيد : معنى ذلك أن يتحف المسلم ضيفه ، ويتكلف له في اليوم الأول بالبر، والإلطاف، والمؤانسة، ويقدم له في اليومين الآخرين ما حضر بلا تكلف ، ... وما زاد عن الثلاثة فهو صدقة ، لقوله ﷺ : **(فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه،)**.

الصفة الثالثة : (فليقل خيرا أو ليصمت) أي : على المسلم أن يحسن قوله أو يسكت، لأن القول إما خير ، واما شر، واما آيل إلى أحدهما، فللآيل حكم سببه ، فدخل في الخير كل مطلوب من القوال فرضا أو نفلا، وقد أذن الحديث به على اختلاف انواعه وألحق به كل ما يئول إلى الخير .

وما عدا ذلك من كلام فقد نهى الله تعالى عنه، ودعا إلى الصمت ، وجعل الصمت أولى وأفضل، ونهى عن كل ما هو شر ، وكل ما يئول إلى الشر فالسكوت خير منه، وبين أن الصمت خير من الشر .

وهذه الأعمال الثلاثة التي تضمنتها أحاديث الباب أشبعها العلماء تحليلا وتفصيلا، وهو ما سنوضحه بإذن الله تعالى في البيان التحليلي للأحاديث .

ـ جـ ـ
البيان التحليلي لأحاديث الباب

تتناول أحاديث الباب ثلاثة أمور ، تنطلق من صدق الإيمان بالله تعالى، والعمل لليوم الآخر، وهي أوامر هامة جعلها رسول الله ﷺ شرطا للإيمان بالله وباليوم الآخر، وصدر كل منها بالفاء ولام الأمر، لبيان ضرورة المسارعة في الطاعة، وتنفيذ هذه الأمور لأهميتها في ترابط المجتمع ، وتحقيق التعاون بين أعضائه، واعانة المحتاج، وتجنب عوامل الخصومة والفرقة، والالتزام بمكارم الأخلاق .

ولأهمية الأمور الثلاثة فصل العلماء في حقيقتها، وأحكامها على النحو التالي:-

ـ أولا ـ
حق الجار على جاره

دعا الله تعالى إلى المحافظة على الجار، والقيام بحقوقه ، فقال تعالى :

﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ﴾[1] .

والآية تشمل إكرام كافة الجيران، الجار المسلم القريب، والجار المسلم غير القريب، والجار غير المسلم، فلكل جار حقه .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله ﷺ : **(ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه)** [2].

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٦ .

(٢) صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب الوصاة بالجار - حديث : ٥٦٧٥

واسم الجار اسم عام يطلق على كل جار، وهذا يشمل سائر الجيران ، إلا أن الحقوق تختلف من جار لجار، فأعلى مراتبه حق الجار المسلم القريب، ويليه حق الجار المسلم الغريب، وأدناه حق الجار غير المسلم ، ولا عبرة بقرابة غير المسلم ، لأنها لا قيمة لها، يقول الله تعالى لنوح عليه السلام عن ولده : ﴿ يَنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾(١).

وكان الصحابة رضوان الله عليهم يحسنون إلى الجار غير المسلم، فقد ثبت أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أهدى من شاة ذبحها لجاره اليهودي ، **فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه ذبح شاة فقال : أهديتم لجاري اليهودي ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه)** (٢) .

ويتم إكرام الجار بالإحسان إليه حسب الطاقة مثل الإهداء ، والسلام، وطلاقة الوجه، وحسن المعاملة، ودعوته إلى الخير، ونصحه، وأمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر في حسن وأدب، والعمل على هدايته إلى الحق بالحكمة والحسنى إن بعد عنه .

ويمتد حد الجوار إلى سبعين بيتا من كافة جهات البيت، وقد جعل الإسلام إكرام الجار ، وتجنب أذاه من كمال الإيمان .

ـ ثانيا ـ
حق الضيف

الضيف الغريب هو القادم من مكان بعيد لحاجة له في المكان الذي قصده،

---

(١) سورة هودالآية : ٤٦ .

(٢) سنن أبي داود - كتاب الأدب، أبواب النوم - باب في حق الجوار، حديث : ٤٥٠٦

ووصل إليه، ولذلك كانت حاجته إلى الترحيب به ، واستقباله، وارشاده، وتقديم الطعام والشراب المناسب له .

وحق الضيف ثابت له في البدو والحضر ، فقد أدى التطور العمراني إلى تساوي البدو والحضر في المشقة، والسفر، والإقامة .

ومن حق الضيف الذي أوجبه الله تعالى على صاحب الدار: أن يتكلف له في اليوم الأول بالبر، والإلطاف، والمؤانسة ويقدم له ما حضر في اليومين التاليين، وذلك حقه، فقد جعله الله تعالى من علامات الإيمان، وأمر به في قوله ﷺ : **(فليكرم ضيفه)** ، وما زاد على الأيام الثلاثة فهو صدقة عليه يثاب على أدائها، ولا يعاقب على تركها .

ويرى البعض أن حق الضيف واجب على كل مسلم، ولذلك فرق رسول الله ﷺ بين الأيام الثلاثة، فجعلها حقا ، وجعل ما بعدها صدقة .

وذهب الجمهور إلى أن حق الضيف من آداب الإسلام، وسننه، لأن رسول الله ﷺ ذكر أن حق الضيف منحة وجائزة .

ـ ثالثا ـ

حفظ اللسان

اللسان هو آلة الكلام المعبرة عما في القلب، والمقاصد، والذلك كان اللسان عنوان صاحبه، فمن رزقه الله تعالى لسانا حصيفا ، لافظا ، واعيا علا شأنه ومقامة .

وقد اهتم الإسلام بتوجيه اللسان إلى ملازمة الصدق، وتجنب السفاهة ، والبعد عن صغائر الأمور، ودنايا الأقوال .

ودعا الإسلام إلى توجيه المسلم لما فيه الخير، والابتعاد عن كل سوء ، والأحاديث في هذا المجال عديدة ومتنوعة .

فقد اعتبر رسول الله ﷺ المسلم الكامل هو **(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)** (١) .

وأمر رسول الله ﷺ المسلم أن يكف لسانه عن أي سوء، ويمنعه من أي شر، وأن يحببه في كثرة الكلام الطيب حتى لا يموت قلبه .

ومن وصايا رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ عندما جاءه يسأله عن عمل يدخله الجن ويبعده عن النار أن يكف عنه لسانه ، فعن معاذ بن جبل ﷺ قال : **(كنت مع النبي ﷺ في سفر ، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير ، فقلت : يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني من النار .**

قال ﷺ : ... ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟

قلت : بلى .

فأخذ بلسانه، فقال : " تكف عليك هذا " .

قلت : يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟

قال ﷺ : " ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار ، إلا حصائد ألسنتهم ؟) (٢) .

وعن عقبة بن عامر ﷺ قال **(قلت : يا رسول الله ما النجاة ؟**

قال ﷺ : املك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك) (٣).

---

(١)صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده - حديث : ١٠

(٢)سنن ابن ماجه - كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة - حديث : ٣٩٧٠

(٣)سنن الترمذي الجامع الصحيح - الذبائح، أبواب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في حفظ اللسان، حديث : ٢٣٨٨

وأحكام الكلام والصمت تأخذ الأحكام الشرعية كلها :

فيكون الكلام واجبا، كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وشهادة الحق، والدعوة إلى الله تعالى .

ويكون مسنونا : كالذكر، والنصح، والتعليم .

ويكون محرما تحريما ظاهرا ، كالكذب، والغيبة، والنميمة ، والسخرية والاستهزاء، وما يشبه ذلك بشرط أن لا يؤدي إلى ضرر .

ويكون مكروها، وهو الكلام المباح المؤدي إلى شيء محرم، كالتقعر، والجدل، والمراء، والكلام فيما لا يفيد .

ويكون مباحا، وهو ما استوى طرفاه .

والصمت واجب عن الكلام الحرام والمكروه، وما لا فائدة فيه، وهو الذي عناه رسول الله ﷺ بقوله: **(أو ليصمت)** .

واختلاف العلماء ينصب على الكلام الذي استوى طرفاه .

يقول النووي رحمه الله : " إذا أراد الإنسان أن يتكلم فلينظر ، فإن كان ما يتكلم به خيرا يثاب عليه سواء كان واجبا أو مندوبا، فليتكلم، وان لم يظهر له أنه خير يثاب عليه فليمسك عنه- ولو كان مباحا - مخافة إنجراره إلى المكروه، أو المحرم، لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه(١).

ويقول أبو القاسم القشير رحمه الله : الصمت للسلامة هو الأصل والسكوت عند الحاجة إليه صفة الرجال، والنطق في موضعه من أشرف الخصال (٢) .

---

(١)شرح النووي على صحصح مسلم ج٢ ص١٩ .

(٢) المرجع السابق ج٢ ص٢٠ .

ويقول الفضل بن عياض رحمه الله : من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه (١)

وجماع الأدب في الكلام قوله ﷺ :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(... ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)** (٢) .
- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)** (٣).
- عن أبي هريرة رضي الله عنه **(أن رجلا قال للنبي ﷺ : أوصني . قال ﷺ : " لا تغضب " فردد مرارا ، قال : " لا تغضب)** (٤) .
- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : **(لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** (٥) .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حث الإسلام على المحافظة على حقوق الجار مطلقا، والقيام بحقوق الضيف، وتجنب القول السيئ الذي يعد السكوت عنه خيرا .

---

(١)المرجع السابق ج٢ ص٢٠

(٢)صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره - حديث : ٥٦٧٨

(٣)سنن ابن ماجه - كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة - حديث : ٣٩٧٣

(٤)صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب - حديث : ٥٧٧٠

(٥)صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب : من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه - حديث : ١٣

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز الإيمانية ... أهمها : ـ

الركيزة الأولى

دقة النقل عن رسول الله ﷺ

اهتم الصحابة رضي الله عنهم بالوحي المنزل على رسول الله ﷺ ، وعملوا على حفظه ، وصيانته، وقد بين لهم ﷺ المنهج الذي يتبعونه في المحافظة على قسمي الوحي، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه**) (١) .

فعلموا من ذلك أن المحافظة على القرآن الكريم تكون بحفظه في الصدور ، وكتابته في السطور، وفهمه بالألباب والعقول، ... والمحافظة على السنة النبوية تكون بحفظها في الصدور، ونقلها من رسول الله ﷺ إلى من بعدهم من المسلمين ... وبهذا المنهج ثبت الوحي، وظل في حياة المسلمين كما نزل من عند الله تعالى على رسوله ﷺ .

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم – يؤكدون درجة تحملهم للحديث بألفاظ توضح مدى صدقهم ، وقوة ضبطهم ، ودقة يقظتهم وهم يسمعون الحديث، وهم يروونه عن رسول الله ﷺ ، وذلك مثل قول شريح العدوي رضي الله عنه في الحديث : (**سمعت أذناي وأبصرت عيناي حين تكلم النبي** ﷺ)، لأن هذه كلمات تدل على دقة الضبط، والحفظ عن رسول الله ﷺ ، وتبين قرب شريح

---

(١) صحيح مسلم - كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم - حديث : ٥٤٣٦

ﷺ من رسول الله ﷺ ، واستعداده للتلقي، واتجاه عقله وكافة جوارحه لرسول الله ﷺ وهو يسمع الحديث منه .

لقد اهتم الصحابة الكرام بنقل كل ما أثر عن رسول الله ﷺ ، وكانوا يتناوبون مجالسته لنقل كل ما ينطق به ، لذلك تميز الوحي كله بالثبوت والثبات ، والتواتر عن رسول الله ﷺ جيلا بعد جيل .

أما القرآن الكريم الذي كتبه الصحابة عند نزوله فقد جمعه أبو بكر ﷺ في مكان واحد، وجمعه عثمان ابن عفان ﷺ في مصحف واحد، وبقى جمع عثمان ﷺ للقرآن الكريم هو الصورة الحقيقية للقرآن الذي نزل على النبي ﷺ

وحافظ المسلمون عليه مكتوبا ، ومحفوظا، ومفهوما، وظهرت العلوم العديدة للمحافظة على معناه، وعلى رسمه ، وعلى ضبطه، وعلى قراءته كما تلفظ به رسول الله ﷺ .

وبقيت السنة محفوظة ، ودونها المحدثون في نهاية القرن الهجري الأول، وأحاطها العلماء بالدراسات العديدة التي تحدد طرق تحمل الحديث، ورواته، وبيان ما لهم وما عليهم، واهتموا بأسانيد الأحاديث كما اهتموا بمتونها ، وظهرت علوم الدراية والرواية التي أبقت السنة كما نطق بها رسول الله ﷺ .

وكثر رواة الحديث عن رسول الله ﷺ كما في أحاديث الباب التي أوردها البخاري في أبواب عديدة ، وجمعها مسلم في هذا الباب .

إن علوم الحديث خير شاهد على دقة الضبط في نقل الحديث ، وعلى عدالة المسلمين وهم ينقلون عن رسول الله ﷺ .

وبعد كل ما بذله علماء الإسلام يظهر في الناس من يدعي العلم بالقرآن الكريم، أو بالسنة النبوية وهو لا يعلم شيئا، ويتصور ان السفسطة في الكلام منهج من مناهج الغلب، وابطال الحق .

إن مسئولية الدعاة الاهتمام بعلوم السنة، واظهار الجهد الذي بذله العلماء المخلصون للمحافظة على القرآن الكريم، وعلى السنة النبوية ، وابقائهما بين الناس كما نزلا من عند الله تعالى، واعلام المسلمين أن خير القرون هي القرون الأولى .

وعلى كل مسلم مخلص أن يتبع ولا يبتدع، وعلى من أراد خوض البحر فليتعلم السباحة، ويجيدها حتى لا يغرق بين أمواجه، وتأكله الحيتان .

إن الإسلام أمانة في أعناق المسلمين ، ومن حق الأمانة المحافظة عليها، ووضعها في موضعها المشروع ، ومراقبة الله تعالى في حملها، وأداء حقها، وليعلم كل إنسان أن الموت حق ثابت ، والآخرة وما فيها من جنة ونار حق لا ريب فيه ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾(١) .

الركيزة الثانية
صورة الإنسان المسلم الصحيح

تبين أحاديث الباب الصورة الصحيحة للإنسان المسلم في حياته الاجتماعية وهي تعتمد على الأسس التالية : -

الأساس الأول : ارتباط أعماله، وأقواله، وأخلاقه، وكافة حالاته بإيمانه وعقيدته، ولذلك جعل رسول الله ﷺ من كمال الإيمان مادعا إليه في الحديث من أعمال وأقوال .

الأساس الثاني: ضرورة الكمال الذاتي، وذلك بطهارة الظاهر والباطن معا ليكون العمل والكلام والنطق موافقا لما في القلب والضمير من خير وصلاح.

---

(١) سورة النور الآية : ٦٣ .

الأساس الثالث : التزام الصدق في القول، وملازمة الخير، وتجنب مزالق الهوى، لما للكلمة من أثر كبير ، ولما لها من دلالة على عقيدة صاحبها ... ولذلك كانت الكلمة الطيبة صدقة، وضرورتها للإيمان واضحة، والمسلم ملتزم بنطقها واسماعها لغيره ، والاستماع لها .

ومن المعلوم أن الإنسان الذي يعرف بطبيب الكلام ، وصدق الحديث يحبه الناس، لأنه لا يعتيد على أحد ، ولا يصيب بلسانه أحد .

الأساس الرابع : الإحسان إلى الجار من المسائل الهامة في كمال الإيمان، واظهار قيم الخير في الإنسان ، لأن الإنسان لا يعيش وحده ، وانما يكون مع غيره إنسانا إجتماعيا يأخذ ويعطي، ويألف، ويؤلف، ويشارك غيره ، ويتعاون مع الناس ، ... وأولى الناس بالإحسان، ومكارم الأخلاق أقربهم لإنسان نسبا، وسكنا، وعملا ، ... وقد حدد الشرع الحنيف لكل إنسان حقوقه ، وواجباته ، فجعل إكرام الجار حقا مشروعا يتحرك في إطاره الناس بصورة تكاملية، فأنت جاري، وأنا جارك ، وكلانا جار لغيرنا، وحينما يمتد الجوار إلى سبعين بيتا فإنه يشمل المجتمع كله فآخر الجيران يؤدي حق سبعين جارا آخر ، وهكذا يتسع الجوار، ويعم سائر الناس .

وحينما يشمل الجوار الجيران الثابتين، والجيران المتغيرين، كجار العمل، والطريق، والتعليم، وأداءالعباداة يظهر جليا أهمية حق الجار ، ودوره في صناعة المجتمع على الخلق الكريم ، والتعاون المثمر .

ولذلك كان من ضعف الإيمان ، وعلامة النفاق ما يظهر بين المسلمين من خصومات، وعداوات بين الجيران والأقارب ، وغيرهم ، وما نشاهده، وما نسمع عنه من نزاعات بين أبناء الأب الواحد ، في البيت الواحد ، بلا خوف من غضب الله تعالى، ولعن الملائكة والناس أجمعين .

الأساس الخامس : الاهتمام بالإنسان الضعيف والغريب، فقد يترك الإنسان موطنه ويبتعد عن أهله ، وجيرانه، ومعارفه، ويذهب إلى موطن آخر يحتاج فيه إلى عون ومساعدة، ولذلك جعل الله تعالى من حقوقه أن يهتم المسلمون به ضيفا ينزل عليهم ، ويحيطونه بالكرم، والمؤانسة ، والمساعدة ، ويجلسون معه يوما وليلة، ويتكلفون له خلالها ، فهذا حقه، ليعرف خلال هذا اليوم الموطن الذي حل فيه ، وكيفية الحركة والعمل خلاله ، وبعد ذلك يترك وحده مدة الضيافة حتى يكمل ثلاثة أيام ، ليصير بعدها إنسانا مع الناس له ما لهم ، وعليه ما عليهم حتى يرجع إلى بلده .

ومن محاسن الشريعة أن جعل الضيافة حقا لكل إنسان مهما كانت عقيدته ومذهبه .

إن إكرام الضيف يعد عرضا للإنسان بصورة عملية ، وعسى أن يكون في ذلك دعوة ، وتذكير بالإسلام .

ولئن كان الاهتمام بإكرام الضيف الغريب حق مشروع ، فإن الاهتمام بالضعيف والمحتاج أمر ثابت في شريعة الله تعالى .

بهذه الأسس يكمل إيمان المؤمن ، ويرتقي المجتمع إلى الخير والسلام .

وقد نظر الأئمة والعلماء إلى أحاديث الباب فرأوا فيها جماع الخير في الحياة الإنسانية ...

يقول الإمام الشافعي : " إذا أراد المسلم أن يتكلم فليفكر ، فإن ظهر أنه لا ضرر تكلم، وان ظهر له فيه ضرر ، أو شك فيه أمسك .

ويقول الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي يزيد : " جماع آداب الخير يتفرع من أربعة أحاديث هي :

- **(...ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)** [١]
- **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)** [٢].
- **(لا تغضب)** [٣] .
- **(لا يؤمن أحدكم ، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** [٤] .

-و-
لمحات موجزة في فوائد أحاديث الباب

تتضمن الأحاديث عددا من الفوائد ... منها : -

١) أحكام الله دين شامل لكل ما يقوم به الإنسان من فكر، وقول، وعمل.

٢) مساعدة الضعفاء مقدمة على معاونة الأقوياء .

٣) أولى الناس بالصلة الأقرب فالأقرب، فالآباء مقدمون على الأقارب ، والأقارب مقدمون على الجيران ، والجيران مقدمون على سائر الناس

٤) تحتاج الأقوال والأعمال إلى عقل مفكر يحدد ما فيه منفعة، ويوضح ما فيه ضرر ومفسدة، فالإنسان قد ميزه الله تعالى عن سائر الكائنات بعقله، فإن لم يعتمد الإنسان عليه صار كمن لا عقل له .

٥) من البلاغة تحديد المطلوب في كل مسألة ولو تعارضت المسائل كما جاء في الحديث **(فلا يؤذ جاره)** ، و**(فليكرم ضيفه)**.

٦) المسلمون أمة واحدة يجمعهم دين واحد، والدين دعوة إلى التآلف والتوحيد .

---

[١] صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره - حديث : ٥٦٧٨

[٢] سنن ابن ماجه - كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة - حديث : ٣٩٧٣

[٣] صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب - حديث : ٥٧٧٠

[٤] صحيح البخاري - كتاب الإيمان، باب : من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه - حديث : ١٣

ـ ١٥ ـ

٢١ـ تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه

[٣١]،(١) ٣٣٠٢ حديث عقبة بن عمرو أبي مسعود ﷺ قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: الإيمان يمان ههنا، ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر) (١) .

[٣٢]،(٢) ٤٣٩٠ حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : أتاكم أهل اليمن ، أضعف قلوبا، وأرق أفئدة، الفقه يمان، والحكمة يمانية) (٢)

[٣٣]،(٣) ٣٣٠١ حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : رأس الكفر نحو المشرق، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل، والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم) (٣)

[٣٤،(٤) ٣٤٩٩ حديث أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان، والحكمة يمانية) (٤) .

---

(١)أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب بدء الخلق: ١٥ باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال.، وللحديث رواياتت أخرى عند البخاري في أرقام : (٢٤٩٨ ، ٤٣٨٧ ، ٥٣٠٢)

(٢)أخرجه البخاري في: ٦٤ كتاب المغازي: ٧٤ باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن

(٣)أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب بدء الخلق: ١٥ باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال،وللحديث روايات أخرى عند البخاري في أرقام : (٣٤٨٨ ، ٤٣٨٩ ، ٤٣٩٠)

(٤)أخرجه البخاري في: ٦١ كتاب المناقب: ١ باب قول الله تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

ـ أ ـ
موضوع أحاديث الباب

يتضمن الباب أربعة أحاديث تبين رقة قلوب أهل اليمن، وحسن فهمهم، وصدق إيمانهم، وحكمتهم في التحليل والعمل، وربط هذه الصفات بخصائصهم البيئية والاجتماعية .

ـ ب ـ
الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يبين ابن مسعود ﷺ دقته وحرصه على رواية الحديث ، فيصف حالة النبي ﷺ عند قوله ، فيقول ﷺ : **(أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن)** أي كان رسول الله ﷺ في تبوك التي تقع شمال الجزيرة العربية ، وأشار إلى جهة اليمن التي تقع جنوب الجزيرة العربية، وحدثهم مع إشراته إلى الجنوب عن أوصاف وأمور تحدث في أهل هذه الجهة .

وقد فهم المحدثون من إشارة النبي ﷺ إلى جهة اليمن خصائص أهل هذه الجهة، **إلا أنهم ذهبوا في تحديد المقصود بالإشارة إلى آراء متعددة .**

فذهب بعض المحدثين إلى أن أصل الإيمان نشأ في مكة، حيث بدأ نزول الوحي فيها، وأهلها هم مقصد النبي ﷺ من إشارته، وبخاصة أن مكة من تهامة، وتهامة من اليمن، كما أن مكة تقع جنوب تبوك .

وقال بعضهم : المراد بالإشارة أهل مكة والمدينة معا، لأن هذا الحديث صدر من النبي ﷺ وهو بـ(تبوك) واشارته ﷺ تتجه إلى مكة والمدينة ، وهما أيضا من تهامة .

وقال بعضهم : المراد بالإشارة الأنصار، لأنهم يمانيون في الأصل وهم في تهامة، وهم انصار رسول الله ﷺ .

إلا أن الأولى أن يكون المراد بالقوم أهل اليمن المقيمون فيه، وهو الموطن الجغرافي الكائن في الجنوب، لقوله ﷺ في الحديث الرابع وفي غيره **(أتاكم أهل اليمن)**، و**(جاء أهل اليمن)** ، حيث خاطب الرسول ﷺ بذلك المهاجرين والأنصار وهما أهل مكة والمدينة ، فدل ذلك على أن الذين أتوا إليهم غيرهم، لأنه لا يتصور ان يأتي الإنسان لنفسه .

كما ان إشارة النبي ﷺ تدل على المكان الذي جاءوا منه ، وهو اليمن ....

وأيضا فإن النبي ﷺ وصف اهل اليمن في الأحاديث بصفات تفضي إلى الإيمان، وهي ضعف القلب، ورقة الفؤاد، ولين الجانب، وهذه صفات ظهرت فيهم حين أسرعوا إلى الدخول في الإسلام خاشعين خاضعين ، بلا تردد ولا ريب .

ويرجع سبب تنوع الآراء إلى ان اللغوة العربية تفيد أن اليمني هو من ينتسب إلى اليمن بالسكنى، أو بالقبيلة، أو بصلات القربى البعيدة مثل **(كلكم لآدم)** إلا أن اعتبار السكن والموطن أولى، فقد أشار النبي ﷺ بيده إليها، وربط النبي ﷺ طبيعة الإنسان ببيئته وعمله، فجعل أهل اليمن أهل الغنم .

ودل سبق أهل اليمن إلى الإسلام إلى ما دل عليه الحديث، فد روى البخاري أن أهل اليمن قبلوا البشرى التي لم يقبلها بنو تميم ، ودخلو في الإسلام مسرعين، فعن عمران بن حصين ﷺ، قال: **(جاء نفر من بني تميم إلى النبي ﷺ ، فقال : " يا بني تميم أبشروا " .**

قالوا : بشرتنا فأعطنا .

فتغير وجهه ﷺ، فجاءه أهل اليمن ، فقال : " يا أهل اليمن ، اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم " .

قالوا : قبلنا) (١)، فدخلوا في الإسلام مسرعين بلا تردد ولا خوف .

(فقال) أي قال النبي ﷺ وهو يشير إلى اليمن .

(الإيمان يمان ههنا) أي : إن الإيمان ثابت ومستقر في أهل هذه الجهة ، والمراد بالإيمان كماله، وقوته، وقد أخبر النبي ﷺ بقوة إيمان أهل اليمن ، ونسب الإيمان إليهم، ومعنى **(يمان)** يمني، فحذف ياء النسب وعوض عنها بالألف في **(يمان)** .

ونسبة الإيمان إلى اهل اليمن لا يؤدي إلى نفي الإيمان عن غيرهم ، فقد قال النبي ﷺ : **(... والإيمان في أهل الحجاز)**(٢).

(الفقه يمان) أي إن الفهم، والعلم بالأحكام العملية الشرعية الفرعية المستفادة من الأدلة التفصيلية يتميز به علماء أهل اليمن .

(والحكمة يمانية) والمراد بالحكمة القوة العقلية المانعة من الجهل، المتضمنة للعلم النافع، المصاحبة لإنارة البصر، وتهذيب النفس، وحسن الخلق، والسعي لمعالي الأمور .

يقول الإمام النووي : الحكمةعبارة عن العلم المتصف بالأحكام المشتملة على المعرفة بالله تبارك وتعالى، القائم على نفاذ البصيرة، وتهذيب النفس، وتحقيق الحق، والعمل به ، والصد عن اتباع الهوى والباطل (٣).

---

(١) صحيح البخاري - كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى : وهو الذي يبدأ - حديث : ٣٠٣٤

(٢) صحيح مسلم - كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه - حديث : ١٠٥

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج٢ ص٣٣ .

والحكمة في القول تشمل كل كلمة دعتت إلى مكرمة، أو أرشدت إلى خير ، أو نهت عن شر ، ومنها قوله ﷺ : **(إن من الشعر حكمة)** (١).

والحكمة في العمل سداد في الأداء، والتزام بكل ما هو نافع مشروع ، وهو من خصائص أهل اليمن .

وقد اتصف أهل اليمن بهذه الصفات لمسارعتهم إلى الإيمان ، وقبولهم بشرى النبي ﷺ ، ومجيئهم لرسول الله ﷺ ليعرفوا الحق منه، ويهتدوا بهدي الله تعالى .

وقد بينت أحاديث الباب عوامل اكتساب اليمنيين هذه الصفات ، ... وأهمها :

١- **ضعف قلوبهم ورقة أفئدتهم** ، لقوله ﷺ عنهم في الحديث : **(أضعف قلوبا، وأرق أفئدة)** ، أي إن قلوبهم خاشعة ورقيقة، وخالية من الكبر والتعالي، وقد ذهب البعض إلى أن الفؤاد والقلب بمعنى واحد ، ورقتهما وضعفهما بمعنى سرعة تأثرهما بالموعظة، وسرعة دخولهما في الإسلام ،و الاستجابة لدعوة رسول الله ﷺ بدلالة مجيئهم طائعين مستسلمين .

وذهب آخرون إلى ان الفؤاد اسم لقوة الإدراك الباطنية التي يدور فيها الشعور الخفي، والتصور الصامت، والقلب اسم للمدركات الخارجية التي تظهر الحواس، وبهذا يكون معنى ضعف القلوب سرعة

---

(١) صحيح البخاري - كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر وما يكره منه - حديث : ٥٧٩٨

انعطاف القلوب لما تسمع، وتقبلها للخير، فهي لا تماري ، ولا تتردد لضعفها ، وبساطتها، وتتفتح الأفئدة لقبول ما يأتيها من خارجها لصفائها، ورقتها، وعدم تكاثف الحجب حولها ... وبذلك يتكامل القلب والفؤاد في سرعة التصديق، والخلوص في الطاعة، والتعمق في العبودية لله رب العالمين .

ومن خصائص أهل اليمن تواضعهم ، وفضهم للجناح ، ولينهم في المعاملة ، وشفقتهم ورحمتهم بالآخرين .

٢- **إنهم أهل غنم،** لقوله ﷺ: **(والسكينة في أهل الغنم)** أي: جل أعمالهم رعي الغنم، وذلك أن رعي الغنم يعود صاحبه على الصبر، والتوكل، واليقظة، وتقدير المسئولية ، وتعود المساوأة، وحسن التعامل، ولذلك قدر الله تعالى لجميع الأنبياء رعي الغنم .

وقدد بينت أحاديث الباب تأثير الأعمال والبيئات في أصحابها، فقال ﷺ : **(ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر)** ، أي إن قسوة القلوب وغلظتها تكون في **(الفدادين)** ، وقد ضبط الشيباني الفدادين بالتخفيف جمع (فداد) بتشديد الدال الأولى دون الثانية، ومعناها أصحاب بقر الحرث (١)..

وذهب أبو عبيدة إلى تشديد الدالين **(الفدادين)** بمعنى المكثرين في امتلا الإبل ، والخيل، والبقر، والتكسب بها .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج٢ ص٣٤ .

وذهب اللغويون إلى أن (الفدادين) هم الذين يرفعون أصواتهم ، وقد سمو بذلك لعاداتهم في رفع الصوت ، وقسوتهم في المعاملة، وميلهم إلى الشدة والقسوة، فقد ألفوا ذلك وتعودوه ، وهم يرفعون أصواتهم في رعاية الإبل والخيل، والبقر لمنع جماحها، كما انهم يقسون عليها بالضرب والصوت حتى لا تفر منهم، وتؤدي عملها بسهولة، وقد أدى بهم هذا على الجفاء ، والقسوة، والشدة، ورفع الصوت، وبذلك يصير طبعهم متسقا مع عملهم ، وصار وصفهم بـ**(الفدادين)** اسما لهم .

وقد بين الحديث غلظ أهل الإبل بظهور الكفر بينهم، حيث كان كفر ربيعة ومضر وهم أبناء معد بن نزار بن عدنان ، وكانا أئمة الكفر في المشرق عند ظهور الإسلام .

وقد ذكر الحديث حال أهل الإبل بقوله ﷺ : **(والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر،)** فإن الفدادين هم المكثرون من الخيل والإبل ، وهذا يجعلهم قساة القلب، مغرورين بالمال، غلاظا في معاملاتهم وأخلاقهم ، فهم يرفعون أصواتهم عند الحوار والنداء .

وذكر حال أصحاب الغنم بقوله ﷺ : **(والسكينة في أهل الغنم)** ، أي جعل الله تعالى الصبر والهدوء ، والطمانينة ، وحسن الفهم ، وحب العمل في أصحاب الغنم ، لأنهم في رعيهم الغنم يتعلمون تحمل المسئولية، ويساوون بين جميع أفرادها ، ومعهم العصا التي يهشون بها بلا قسوة ، ويعلمون أن القطيع مهما كثر عدده له رائد واحد، وتلك صفات أهل اليمن حين مجيئهم إلى رسول الله ﷺ .

ولكن :

هل يستمر أهل اليمن على هذا الوصف في كل الأجيال ...؟

يرى كثير من العلماء أن وصف فريق من الناس بأمر يستمر لهم ماداموا متمسكين به ، فإن فارقوه إلى غيره وصفوا بالجديد ... وهذا هو الأولى، لأن القلوب تتقلب، والأحوال تتغير، والحكم لله العلي الكبير .

ـ جـ ـ

البيان التحليلي لأحاديث الباب

أحاديث الباب في جملتها تعطي صورة واقعية لمجتمع الجزير العربية في نهاية عصر النبوة ، فقد قاد النبي ﷺ جيش المسلمين في غزوة تبوك التي وقعت شمال الجزيرة العربية، وصور الواقع لأصحابها ، وعرفهم بمجيئ أهل اليمن مؤمنين مسلمين ، ووصفهنم بأنهم اهل سكينة ووقار ، وأصحاب أفئدة رقيق وقلوب لينة ، وأنهم يقبلون مؤمنين ليعلموا الدين والحكمة .

ووضح النبي ﷺ أن أهل المشرق قساة غلاظ، وبين أن الكفر يظهر بينهم ، وأن قرني الشيطان فيهم ، والمراد بالقرنين الجانبين ، أو الجماعتين ، وهما " ربيعة ومضر " .

وقد دلت الأحاديث على معجزة خبرية حيث جاءت الردة من قبل المشرق بعد وفاة النبي ﷺ ، ودلت الأحاديث على ان المسيح الدجال سيظهر من المشرق .

وقد أشارت الأحاديث إلى أعمال أهل اليمن ، وأهل الشرق لبيان تأثير الأعمال والأحوال في أصحابها .

وبينت الأحاديث دور القلوب في التصديق والإيمان، فكلما رق القلب ، واطمأن ، كلما سارع إلى الإيمان والهدى... وحينما يمتلئ القلب بالغرور والكبرياء ، والحقد، والحسد يكون الجحود والكفر .

وفي أحاديث الباب عدد من الملحوظات :

الملحوظة الأولى: الحديث وصف لواقع العرب وهم في جزيرتهم ، يعملون، وينشطون ، ودلت أحاديث التاريخ على صدق هذا الوصف مرتبطا بخصائصه ، وسببه ، ... وهذا يعني إمكانية استمرار هذا الوصف ما دامت خصائصه مستمرة في الوجود بين الناس، ولأن الوصف عمل مرتبط بظهوره ، وثبوته، وبزواله يزول وينعدم .

الملحوظة الثانية : اذا استقام فرد أو جماعة على عمل ما مدة طويلة ، أو تعلم علما خاصا وصف به، وقد وصف النبي ﷺ أهل اليمن ، وأهل المشرق بما قاموا به من عمل، ولا يلزم من ذلك نفي الوصف عن غيرهم ، حيث لا حصر في الحديث ، بل إن من المعقول أن يتغير الوصف حين يتغير عمل صاحبه ، ويثبت الوصف لكل من يتصف به .

الملحوظة الثالثة : الوصف في الحديث خاص لأهل اليمن، ويعم غيرهم من المتصفين بصفاتهم ممن عاصرهم الرسول ﷺ ، فقد بين ﷺ سبب وصفه، وربطه بقوم معينين، وهذا يجع الموصوفين جماعات خاصة ، ويلحق بهم من يتصف بما اتصفوا به .

-د-

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب صورة واقعية لمجتمع جزيرة العرب في أخريات عهد النبي ﷺ ، فقد بين ﷺ طباع أهل اليمن ، ورقة قلوبهم، ولين جانبهم ، ومسارعتهم إلى الإيمان والإخلاص ، وأنهم يزدادون تواضعا بعملهم في رعي الغنم .

كما بين ﷺ أن أهل المشرق في نجد وفارس قد غرهم الغنى ، وكثرة المال، وساء طبعهم بمصاحبتهم الخيل والإبل ، وقست قلوبهم فكفروا بالله تعالى ، وصاروا جندا للشيطان .

وقد تضمن الحديث إشارات إلى المستقبل ، فقد ظهر الكفر في المشرق بردة أهله بعد وفاة النبي ﷺ، وبظهور المسيح الدجال بينهم في آخر الزمان.

وفي الأحاديث دلالات إيمانية ، واشارات تربوية للبناء والدعوة .

ـ هـ ـ

ركائزالدعوة والإيمان في أحاديث الباب

تتضمن احاديث الباب عددا من ركائز الدعوة والإيمان -- أهمها : -

الركيزة الأولى

القلب أساس الإيمان والتقوى

القلب هو موطن الفهم والتصديق، وهو أساس التوجيه والقيادة، يقول النبي ﷺ : **(ألا وان في الجسد مضغة : إذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)** (١) .

فلما تميز اهل اليمن بلين القلب، وصفائه ، كان وصفهم بالحكمة ، والفقه، والإيمان .

وبسبب هذه الحقيقة كان اهتمام الإسلام بتطهير القلب، وبنائه على الصفاء والإخلاص لتسلم الروح ، وتصلح الأعمال .

وقد بين الإسلام طرقاعدة لبناء القلب ، وتكوين طهارته ، ومنها القيام بعمل يؤثر في النفس ، ويعودها على قيم معينة ، لأن خصائص العمل

---

(١) صحيح البخاري – كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه – حديث : ٥٢

تنعكس في الضمير ، وتتحول إلى قيم ومفاهيم تتسق مع العمل والسلوك ... **فرعي الغنم يؤدي إلى** التواضع ، وحماية الغير، وحب المساواة، وتكوين روح المسئولية ، وهدوء الطبع ، وخفض الصوت إذ يكفي من الراعي أن يهش بعصاه على غنمه لتعتدل في الرعي، ويستقيم القطيع وقد تماسك أفراده حول حاديه وراعيه .

إن الراعي مع غنمه يتعلم التوكل على الله تعالى ، فكم من غنم تغدوا خماصا وتروح بطانا من حيث لا يعلم الراعي ، فيسلم الأمر لله تعالى، ويعلم أن الله على كل شيء قدير .

إن تربية القلب على الطهارة ، وتوجيه العقل للتدبر في كون الله الفسيح ، والنظر في سائر آيات الله يهدي للحق، ويوصل إلى الحكمة والإيمان .

الركيزة الثانية
دلالة العمل على المقاصد

المسلم مسئول عن تحسين ظاهره ، وباطنه، وعليه أن يضعهما في مسار واحد ليكون الظاهر تعبيرا عما يكنه القلب والضمير ... ولئن كان المرء منقادا من قلبه فإن الظاهر شاهد عليه ، ولذلك كان الحكم في الدنيا على الظاهر المدرك ، أما الباطن الخفي فلا يعلمه إلا الله تعالى ، يقول النبي ﷺ : (**إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر**)(١).

ولذلك حسن من الإنسان أن يبرر جانبه الصالح الدال على مافي قلبه ليعرف أخاه أنه يحبه ، وينصحه، لأن ما في القلب لا يعرفه إلا الله تعالى ، ولا يدرك الآخر منه إلا ما ظهر أثره، وبانت شواهده، ومن شواهد القلب

---

(١) مسند الشافعي ج١ ص٢٣٣ .

المؤمن العمل الصالح، والدعوة إليه ، والمسارعة في الخيرات ، والولاية للمؤمنين... وان رابه أمر لجأ إلى الله تعالى يسأله المعونة والتوفيق .

إن الإنسان يشهد لأخيه بما يرى ، ولذلك حسن للمسلم أن يحسن عمله ، ليكون متطابقا مع قلبه وضميره ، وهذا الظهور يكثر الشهود الذين يشهدون في الدنيا والآخرة .

-و-
لمحات موجزة في فوائد الأحاديث

تتضمن أحاديث الباب بعددا من الفوائد ... منها :

١) ضرورة استعمال الوسائل المادية للإرشاد والتوجيه ، لأن الإدراك معها يكون بالحواس والعقل .

٢) من الأولى إثبات القائل صدقه في الأخبار التي يرويها ، وبخاصة في الأمور الهامة ... ومن البلاغة إيراد أدلة الصدق بطريقة مستورة.

٣) يذكر الإنسان بسبقه إلى الخير ، ويذم بقعوده عنه ، وتأخره في المجيء إليه ، يقول الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[1]

٤) تدل الأحاديث على تناقل الصفات الموروثة ، ولذلك حسن فهم الواقع الفطري، والترقي به في منهجية منظمة تحول الصفات الجبلية إلى ما يقاربها من صفات الخير والصلاح .

---

(١) سورة الحديد الآية : ١٠ .

٥) التزام الصدق ضرورة للدعاة وأولي الأمر فرسول الله ﷺ من مضر ومع ذلك ذم ما فيهم من صفات ، ومدح اليمينيين بما فيهم من صفات ، وهذا يفيد ظهور الحق، وترك التعصب .

٦) لا يجوز الحكم على جماعة ما بحكم مطلق، ففي كل جماعة ما يشذ عنها ، ومن الأولى ربط الحكم بالعمل ليدور معه وجودا وعدما .

٧) يتأثر الإنسان بعمله ، ويأخذ من بيئته صورة عمله وسلوكه، ولذا نجد طبيعة الطبيب تختلف عن طبيعة المهندس ورجل الأعمال، ونجد أستاذ الجامعة يختلف اختلافا كليا عن مدرس المرحلة الابتدائية .

٨) يعلو الإنسان بصفاته وسبلوكه، وكلما كرمت اخلاقه، وحسنت أعماله كلماعظمت إنسانيته ، وبقى ذكره ، وكان له عند الله تعالى مقام كريم

٩) أفحش الفحش الكفر بالله ، وأعظم الإعمال الإيمان بالله تعالى .

-١٧-

٢٢ - باب بيان أن الدين النصيحة

[٣٥]،(١) ٧٢٠٤ حديث جرير بن عبد الله ﷺ ، قال بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني فيما استطعت، والنصح لكل مسلم)(١)

-أ-

موضوع حديث الباب

يبين الحديث ما يجب على المسلم إزاء دينه، ويوضح المدى الذي يصح أن يعاهد عليه الإمام .

-ب-

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول جابر بن عبد الله ﷺ وهو يحي ما حدث بينه وبين رسول الله ﷺ : **(بايعت النبي ﷺ)** أي عاهدت رسول الله ﷺ على أمور معينة، وسميت المعاهدة مبايعة، لأن الصحابة كانوا يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام، والإيمان كما يفعل المتبايعان، ويجعلون عملهم وطاعتهم لنوال جزاء يستحقونه بعد أدائه ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾(٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في: ٩٣ كتاب الأحكام: ٤٣ باب كيف يبايع الإمام الناس

(٢) سورة التوبة الآية : ١١١ .

وكان رسول الله ﷺ يتعاهد من يأتيه من أصحابه على الأمر الذي يناسبه فبايع على الصلاة، وعلى الزكاة، وعلى الجهاد، وعلى الصبر، وعلى الهجرة، وعلى بيعة النساء .

وقد عاهد جرير ﷺ **(على السمع والطاعة)** أي عاهدت رسول الله ﷺ على أن أسمع تعاليم الإسلام، وأفهمها، وأطيع الله تعالى ورسوله ﷺ ، وأولي الأمر فيما يأمرون به، وينهون عنه، عملا بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾(١)، طمعا في كسب رضا الله تعالى والفوز بالجنة .

وقد بايع جرير ﷺ رسول الله ﷺ على السمع والطاعة بصورة مطلقة ليسمع كل القول، ويطيع كل أمر بعد أن يفهم معنى ما يسمع ، وحكم ما يقال ، ولم يقيد بيعته بقيد ما ، إلا أن شفقة رسول الله ﷺ بأصحابه ، وحبه لهم جعله يوجه جريرا إلى أن يقيدد عهده بالاستطاعة، فقد يمنعه مرض أو سفر ، أو هرم، أو أي شيء خارج عنه ، فلا يمكنه من السمع ، ويعجزه عن الطاعة .

يقول جرير ﷺ : **(فلقنني)** رسول الله ﷺ تقييد عهدي، **(فيما استطعت)** أي علمني رسول الله ﷺ عبارة أقولها بعد البيعة على السمع والطاعة، وأمرني أن أقيد السمع والطاعة بالاستطاعة تطبيقا لقوله ﷻ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾(٢)،وقوله ﷻ : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء الآية : ٥٩ .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٨٦ .

(٣) سورة الحج الآية : ٧٨ .

وما دام الله تعالى قد رفع الحرج عن العباد، وقيد التكليف بالوسع والطاقة، فمن الواجب أن يلتزم المسلم بمراد الله تعالى، ولذا قيد الرسول ﷺ العهد بالاستطاعة .

وقد وردت **(استطعت)** بضم التاء لتكون ضميرا للمتكلم ، يفيد أن جريرا رضي الله عنه يعني نفسه بقوله : **(استطعت)** ووردت بفتح التاء خطابا من رسول الله ﷺ لجرير رضي الله عنه .

(والنصح لكل مسلم) والنصح بالجر عطف على السمع والطاعة ، وهو توجيه المسلم أخاه إلى خير وفائدة .

والنصيحة كلمة جامعة تشمل توجيه المنصوح للخير والفوز .

يقول عنها الإمام النووي : " هي صرف المنصوح إلى الإيمان بالله تعالى، ونهيه عن الشرك ، ودعوته إلى التعبد التام لله تعالى، والقيام بطاعته، واجتناب معصيته ، والحب والبغض فيه ، وموالاة المؤمنين ، ومعادة العصاة والكافرين ، والاعتراف بنعم الله تعالى، وشكره عليها .

ومن أوليات نصح المسلم لأخيه : إرشاده لمصالحه، ومساعدته، وكف الأذى عنه، وتوجيهه إلى الخير ما استطاع المسلم إلى ذلك سبيلا، وأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، والرفق به ، وأن يحب له ما يحب لنفسه .

والنصيحة ضرورة لازمة لكل مسلم يقوم بها حين يأمن على نفسه ، ويشعر بجدواها على المنصوح .

وقوله ﷺ : **(والنصح لكل مسلم)** جملة معطوفة على قوله :**(والطاعة)** وما قبلها جملة معترضة .

- جـ -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث أهمية الاستماع للإمام، وطاعته فيما يأمر به أو ينهي عنه، ومبايعته على ذلك، وقد كان النبي ﷺ يعاهد أصحابه على القيام بما وجب عليهم كل بما يناسبه، وكان العهد يقوم على ضرورة الاستماع لصوت الحق ليفهم المسلم النص المشروع، ويطيعه، ويلتزم به على بينه ووضوح .

والحديث يبين شفقة النبي ﷺ على أمته، حيث أرشد جريرا رضي الله عنه إلى تقييد الاستماع والطاعة بالاستطاعة دفعا للحرج والمشقة، وتطبيقا للقاعدة الشرعية التي تقضي بأن التكليف على قدر الوسع والطاقة .

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم – يلتزمون بما وسعته طاقتهم مع رسول الله ﷺ ، وكان الرسول ﷺ لا يبايعهم إلا بتعاليم الله الثابتة التي أمر الله بها.

وكان النبي ﷺ يبايع أصحابه على الأمور الكلية الشاملة لكافة القضايا الفرعية ، فالأمر بالسمع يشمل كل مسموع أمرا أو نهيا، والأمر بالطاعة يشمل الأمر والنهي فعلا وتركا، وبين أحكام الفرض والمندوب والمكروه والحرام .

وكان الصحابة – رضوان الله عليهم – مثلا عالية في الطاعة والالتزام بما كان يأمرهم به رسول الله ﷺ ، فعن إبراهيم بن جرير البجلي ، عن أبيه رضي الله عنهما قال : **(غدا أبو عبد الله إلى الكناسة ليبتاع منها دابة ، وغدا مولى له فوقف في ناحية السوق ، فجعلت الدواب تمر عليه ، فمر به فرس فأعجبه ، فقال : لمولاه انطلق فاشتر ذلك الفرس .**

فانطلق مولاه ، فأعطى صاحبه به ثلاثمائة درهم ، فأبى صاحبه أن يبيعه فماكسه ، فأبى صاحبه أن يبيعه ، فقال : هل لك أن تنطلق إلى صاحب لنا ناحية السوق ؟

قال : لا أبالي فانطلقا إليه .

فقال له مولاه : أني أعطيت هذا بفرسه ثلاثمائة درهم فأبى ، وذكر أنه خير من ذلك .

قال صاحب الفرس : صدق أصلحك الله فترى ذلك ثمنا .

قال جرير: لا فرسك خير من ذلك تبيعه بخمسمئة حتى بلغ سبعمائة درهم أو ثمانمئة .

فلما أن ذهب الرجل أقبل على مولاه ، فقال له : ويحك انطلقت لتبتاع لي دابة ، فأعجبتني دابة رجل ، فأرسلتك تشتريها ، فجئت برجل من المسلمين يقوده وهو يقول : ما ترى ما ترى ، وقد " بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم) (١) .

ونلاحظ أن العهد في الحديث يتضمن أعمالا مترابطة متكاملة ، فهو يتناول السمع الفهم في حدود طاقته، والطاعة لما سمع في حدود الوسع ، وبذلك يكمل إيمان المؤمن ، ويتم النصح لكل مسلم سواء كان من الخاصة ، أو من العامة، من الرجال، أو من النساء، وبذلك تتضح شخصية المسلم الإيجابية ، ويتكامل المجتمع ، وينهض على الخير والصدق .

---

(١) المعجم الكبير للطبراني - باب الجيم، باب من اسمه جابر، حديث : ٢٣٤٣

ـ د ـ
المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث ما كان يحدث بين رسول الله ﷺ وبين أصحابه، فكان ﷺ يبلغهم الدعوة ، ويعرفهم بالإسلام ، ويعاهدهم على قضايا معينة يحتاجون إليها ، وفي الحديث بيان مبايعة جرير ﷺ على السمع والطاعة، والنصح لكل مسلم .

ـ هـ ـ
ركائز الدعوة و الإيمان في حديث الباب
يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ـ أهمها : ـ
الركيزة الأولى
شفقة النبي ﷺ على أمته

اختار الله تعالى محمدا ﷺ لدعوة الناس إلى الهداية والتقى، وبعثه للناس رسولا ﴿ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾(١) .

فأدى رسول الله ﷺ الأمانة، وبلغ الرسالة، وجاهد في الله حق الجهاد، وكان ﷺ شديد الحرص على مصلحة الناس وخيرهم، واستمر يدعوهم ، ويتودد إليهم بكل وسيلة ممكنة ، وصدق الله تعالى في وصف رسوله ﷺ في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨ ﴾(٢).

---

(١) سورة الأحزاب الآيتين : ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) سورة التوبة الآية : ١٢٨ .

دعا النبي ﷺ إلى مساعدة المحتاج، ومعونة الضعيف، وبر الآباء، والإحسان إلى الجار والضيف، والإحسان إلى اليتامى والمساكين، ونادى بالتعاون، وحث على أن يحب المسلم أخاه كنفسه، وأن يتآلف الجميع لتتكون منهم أمة آمنه مطمئنة ... وكان أعظم ما دعا إليه النبي ﷺ تكوين الإنسان الصالح، واخراج المجتمع الصالح ليكون الصلاح أساس البناء ، والقوة، والتقدم، ورفعة المسلمين أجمعين .

وعماد الصلاح الذي دعا الرسول ﷺ إليه هو الإيمان بالله تعالى خالق الوجود ورازقه، والمتصرف فيه بالإحياء والإماتة، على أن يكون هذا الإيمان أساس سائر الأقوال والأفعال، وبه يكون الصدق والتآلف، والتعاون على البر والتقوى .

وكان النبي ﷺ حريصا على تكليف الناس بما يستطيعون، وكان يعرف بدين الله الحق الخالي من الحرج والمشقة، ويفصل لهم الأحكام الهادية إلى سواء السبيل .

وحين نتأمل في حديث الباب نجد هذا الحرص من رسول الله ﷺ ، فلقد جاءه جرير رضي الله عنه يبايعه على السمع والطاعة بصورة مطلقة، فنبهه ﷺ على تقيد السمع والطاعة بالاستطاعة ، فقد يعجز الإنسان عنهما أو عن أحدهما ، وقد يعتريه ما يعتري الإنسان من النسيان ، والغفلة ، فلقنه النبي ﷺ أن يقول مع البيعة **(فيما استطعت)** ، فقالها جرير رضي الله عنه ، وبقيت في الناس شرعا يؤكد الرحمة ، ويشهد على شفقة رسول الله ﷺ .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : **(إن هذا الدين متين ، فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإن المنبت لا**

أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى) (١) .

وعلى الدعاة أن يجعلوا حياتهم كحياة رسول الله ﷺ ، ودعوتهم كدعوته ﷺ ، وأن يتعاملوا برفق وأناة، وأن يتمسكوا بالرحمة والمودة، والإحسان امتثالا لقول الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾(٢)، وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٢٣﴾ ﴾(٣)، وقوله ﷻ : ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾(٤) .

وليعلم الدعاة أن صناعة العقيدة في القلوب ، وتوجيه العباد إلى ربهم يحتاج إلى المثابرة والصبر، والتعامل مع طاقة الإنسان وقدرته ، وتقديم الإسلام بجماله ، وحسنه، وعظمته واليقظة في التوجيه والتفهيم ، وتصحيح ما يغيب عن المفاهيم ، وتحديد التوافق في الأمور المستطاعة .

الركيزة الثانية
إجابية المسلم في الإطار الاجتماعي

يهدف الإسلام إلى صناعة مجتمع متماسك، مترابط، يعمل الفرد فيه لخدمة الجماعة، وتنشط الجماعة للمحافظة على حقوق الفرد وكرامته، وبذلك تحول المجتمع على خلية عمل متكاملة يؤدي فيه كل فرد دوره مع المجتمع .

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب الصلاة، باب القصد في العبادة ، حديث : ٤٤٠٢

(٢)سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

(٣) سورة هود الآية : ١٢ .

(٤) سورةالغاشيةالآيتين ٢١ ، ٢٢ .

إن اليد الواحدة لا تصفق، ولا يمشي الإنسان برجل واحدة ، وحاجة الفرد لغيره أمر ضروري ، وحاجة المجتمع لجهد كل فرد فيه أمر لابد منه .

إن خلية النحل تتكون من الملكة، والحراس، والشغالة، والذكور، ولكل دوره وعمله ، واذا فقدت الخلية عنصرا منها عجزت عن أداء دورها في إخراج العسل، وكذلك المجتمع الإسلامي في جملته ، فلابد له من قائد عالم وفاهم ومن رجال يفهمون ، ويطيعون قائدهم في طاعة الله تعالى .

وحديث الباب بين في الدلالة على دور المسلم مع غيره من المسلمين في إطار المجتمع الذي يعيش فيه ، فقد بايع جرير ﷺ رسول الله ﷺ على العلم والعمل، وهي أمور ذاتية ، كما بايعه على النصح لكل مسلم .

وللعقل أن يتدبر هذا المجتمع ، ويتصوره وهو يلتزم بهذه البيعة ، فسوف يرى أفراده في طاعة دائمة، وتعلم مستمر، واستقامة على الحق الذي تعلموه وسمعوه، وسينطلقون بعد العلم والعمل إلى النصح والإرشاد .

إن النصح في حد ذاته تعليم للناصح قبل أن يفيد المنصوح، فالناصح بالصلاة يجب أن يحافظ على الصلاة ، والمنادي بالبر لابد أن يكون بارا ، والداعي إلى الحجاب، وستر العورة يبدأ بنفسه أولا لتكون دعوته أنجح، ونصحه أبلغ ، ولو تصورنا إنسانا يعظ بأمر ، ويعمل عكس ما يعظ به لرأينا ضرره أكثر من نفعه ، لأن من يسمع له سيتصوره كاذبا يخدعهم، لأنه لو كان صادقا لالتزم بما نصح به .

واذا حاول كل مسلم أن ينصح أخاه أينما وجده، ومهما كانت درجة قربه منه، فإن الأخوة ، والمحبة ، والصحبة ستنتشر في هذا المجتمع حتى يصير مجتمع الخيرين الأطهار، وحينئذ تتكرر الصورة الأولى للمجتمع الذي رباه رسول الله ﷺ ، وعنه يقول الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(١) .

إن الإسلام يدعو المسلمين إلى الإيجابية الصالحة المؤدية إلى النصح والتعاون، ولا يبيح لهم العزلة التي تبعدهم عن الناس، وتسهم في نشر الكراهية بين الناس، ولا يسمح الإسلام بها إلا إذا كان الاختلاط والتلاقي ضارا بالخلق، والسلوك، فعن أبي عمران بن حطان ﷺ قال: **(أتيت أبا ذر ﷺ فوجدته في المسجد مختبئا بكساء أسود وحده ، فقلت : يا أبا ذر، ما هذه الوحدة ؟**

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " الوحدة خير من جليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة، واملاء الخير خير من السكوت ، والسكوت خير من إملاء الشر) (٢) .

إن المجتمع الإسلامي يتميز بالتناصح ، يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾ (٣)، ومن هذه الآيات ندرك أهمية التناصح، والتواصي بالحق والصبر ، مع الإيمان والعمل الصالح ليكون المسلم بذلك من الناجين .

-و-

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يشير الحديث إلى عدد من الفوائد -- منها :-

١) الإسلام عهد بين الله تعالى والعباد .

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠ .

(٢)المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب معرفة الصحابة ﷺ، محنة أبي ذر ﷺ - حديث : ٥٤٣٩

(٣) سورة العصر .

٢) سمع العبد لتعاليم الدين يعني الإدراك، والفهم، والعمل، ولذلك قرن الحديث الطاعة بالسمع .

٣) الرسول ﷺ هو مبلغ الإسلام ، وهو الطريق إلى الله تعالى ، وهو أمل كل مسلم في الدنيا ، وفي الآخرة .

٤) لا حرج في دين الله تعالى ، ولن يكلف الله نفسا إلا وسعها، وقد جاء الإسلام لإسعاد الناس لا لشقائهم .

٥) التوجه إلى رسول الله ﷺ للعلم والسمع ، والطاعة مستمر وثابت ، فكل ما قاله ﷺ وما فعله ، وما كان عليه من حال وصفات مدون موجدود ، وثبوته يبين المنهج والمصير .

٦) للمعلم أن يعلم طلبته أمورا يحتاجون إليها ، وان لم يفكروا فيها .

٧) المسلمون إخوة ، ويجب أن ينتشر بينهم الود والإخاء ، والتعاون .

٨) اتحادد المؤمنين هو طريق النجاح والفوز للمسلمين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها .

٩) تقديم الإسلام الصورة الصالحة لكل أعمال المسلم جلت أو كبرت .

١٠)الإسلام دين المسساواة، فدعوته للناس جميعا ، وتكريمه للإنسان على أساس تدينه ، وتقواه .

-١٧-

٢٣ - بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله

[٣٦]،(١) ٥٥٧٨ **حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن.**

وزاد (أبو هريرة ﷺ) في رواية: ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن) (١)

-أ-

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن مرتكب الكبيرة بصورة مطلقة لن يكون مؤمنا كامل الإيمان حال ارتكابها .

-ب-

الدلالات اللغوية في حديث الباب

يقول النبي ﷺ : **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)** " لا" نافية لكمال الإيمان عن الزاني، فلا يكون الإنسان كامل الإيمان حال زناه ، ولا يصح أن يتجه النفي إلى فعل الزنا، لأنه حاصل قبل النفي ، فكان لزاما أن يتوجهه النفي إلى القيد وهو قوله ﷺ : **(وهو مؤمن)** أي: لا يكون كامل الإيمان حال كونه يزني، ويصح أن تكون الجملة خبرية، ومعناه االمؤمن الكامل لا يزني .

---

(١) أخرجه البخاري في: ٧٤ كتاب الأشربة: ١ باب قول الله تعالى: (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان)

و إنما جعل النفي أو الإخبار متصلا بكمال الإيمان لوجود نصوص قرآنية، وأحاديث نبوية تقتضي ذلك، لأن القول ينفي الإيمان بالكلية لهذا الحديث يعارض ما يلي :

- يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(١)، فقد دلت الآية على أن الله تعالى لا يغفر لمن يشرك به سبحانه ، ويغفر ما عدا ذلك ومنه مرتكب الكبيرة .
- وعن أبي ذر ﷺ، قال : قال رسول الله ﷺ : **(أتاني آت من ربي ، فأخبرني – أو قال : بشرني – أنه : من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة** " .

قلت : وان زنى وان سرق ؟

قال : " **وان زنى وان سرق)** (٢) ، وهذا صريح في أن الزاني لا يكفر.

- وحين بايع الصحابة ﷺ رسول الله ﷺ على أن لا يشركوا بالله تعالى ، ولا يزنوا، ولا يسرقوا ، ولا يعصوا الله تعالى ، قال هم ﷺ : **(فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه وان شاء عاقبه)** (٣) .

---

(١) سورة النساء الآية : ٤٨ .

(٢)صحيح البخاري – كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز – حديث : ١١٩٣

(٣) صحيح البخاري – كتاب الإيمان، باب : علامة الإيمان حب الأنصار – حديث : ١٨

فهذه النصوص تدل على أن ارتكاب الكبائر غير الشرك لا تكفر، ولا تطرد صاحبها من الإيمان، فالله تعالى يغفر كل ذنب ما عدا الشرك ، ومن نطق الشهادة دخل الجنة، وأمر المعاصي إلى الله تعالى، ولذلك كان من الضروري صرف النفي إلى كمال الإيمان منعا لتعارض الأحاديث .

(ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) أي : ولا يكون المؤمن كامل الإيمان حين يشرب الخمر، ولم يرد في الحديث فاعل الشرب، والمراد به شارب الخمر ، ولا يصح أن يراد به الزاني عطفا على الجملة الأولى حتى لا يصير تحريم الخمر خاصا بالزناة وحدهم، ويبقى عاما لكل شارب كما هو مراد الشارع .

وقد حذف فاعل **(يشرب)** للعلم به، ومسارعة لبيان العقوبة الزاجرة التي جعلها الله تعالى حدا للشارب .

وقد ورد تحريم شرب الخمر في قوله ﷺ : **(كل مسكر حرام)** (١)، إلا أن حديث الباب يتضمن مع التحريم الوعيد الشديد الذي يدل على قدر زائد على مجرد التحريم ، وهو نقص الإيمان .

(ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) أي : لا يكون كامل الإيمان من يسرق مال غيره .

ونفي كمال الإيمان في هذا الحديث أشد في شرب الخمر، فهي أم الخبائث، وضررها يمتد إلى القول، والعمل، والسلوك .

وجاء في حديث رسول الله ﷺ **(... فاجتنبوا الخمر ، فإنها لا تجتمع هي والإيمان أبدا إلا أوشك أحدهما أن يخرج صاحبه)** (١).

---

(١)صحيح البخاري - كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى - حديث : ٤٠٩٦

والأمر الرابع قوله ﷺ : **(ولا ينتهب نهبة ذات شرف)** أي : ولا يكون كامل الإيمان من يغتصب مالا جهرا وعنوة، له قدر وقيمة في نظر الناس .

(يرفع الناس إليه أبصارهم): أي ينظر إلى المال المنتهب مالكوه في حسرة، واحساس بالضعف، أمام جرأة المنتهب ووقاحته، والجملة بهذا المعنى حال لأصحاب المال حين ينظرون إلى المنتهب وهو يستولي على أموالهم .

ويجوز أن تكون الجملة صفة لـ**(نهبة)** أي : إن النهبة يستولي عليها الناهبون علانية وجهرا، وهم ينظرون إليها .

والفرق بين السرقة والنهبة أن السرقة تكون أخذ مال مصان في حرز وخفية، وعقوبة السارق الحد إذا بلغت نصابا ، بلا شبهة للسارق فيه ....

أما النهبة : فهي المال النفيس الذي يستولي عليه الناهب قسرا من صاحبه علانية ، وفيه حد الحرابة .

(وزاد في رواية) أي : زاد أبو هريرة ﷺ في رواية أخرى له عن هذه الثلاثة أمرا رابعا .

وهذا القول يوهم أن هذه الزيادة من قول أبي هريرة ﷺ ، وأنها مدرجة في الحديث ، إلا أن الإمام البخاري بين أن هذه الزيادة جاءت في حديث آخر ، بسند آخر رواه أبو هريرة ﷺ ، فالراوي واحد، والسند مختلف ، حيث جاء في الحديث الثاني : عن ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ﷺ، قال : قال النبي ﷺ : **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ، يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها**

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي - كتاب السرقة، باب ما جاء في تحريم الخمر، حديث : ١٦١٢٢

وهو مؤمن) (١).

- جـ -
البيان التحليلي لحديث الباب

يتناول حديث الباب حكم أربع من الكبائر المحرمة، وقد جاء الحديث بنفي الإيمان عن فاعل كل واحد منها .

وقد أدى هذا النفي إلى اختلاف العلماء في حقيقة هذا النفي، وجعلوه عناوانا لحكم مرتكب الكبير أيا كان .

فذهب أهل السنة إلى ان مرتكب الكبيرة لا ينتفي عنه الإيمان ، وانما المنتفى في الحديث هو كمال الإيمان وتمامه، ورأوا أن مرتكب الكبيرة لا يدرك نور الإيمان وحلاوته ، وان إصراره على فعل كبيرة ما قد يؤدي به إلى الكفر في النهاية، أو أنه يكفر ابتداء عند فعل المعصية إن استحلها ، وأنكر تحريمها مع ثبوت التحريم بالأدلة القطعية .

وقد أيدت النصوص التي سبق إيرادها في الدلالة اللغوية ما ذهب إليه أهل السنة .

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: " ومن أقوى ما يحمل على أن نفي الإيمان في الحديث مصروف إلى نفي الكمال والتمام : إيجاب الحد في الزنا على أنحاء مختلفة في حق المحصن الحر، وغير المحصن الحر، وفي غير الأحرار، وغير المحصنين من العبيد والإماء، لأنه لو كان الزنا نافيا للإيمان لتساوى الزناة كلهم في الحكم (٢) .

---

(١)صحيح البخاري - كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه - حديث : ٢٣٦٣

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج٢١ ص١٣٠ .

ومذهب أهل السنة يرد على سائر المذاهب التي خالفتهم، ...

فقد ذهبت المعتزلة إلى أن مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا، وليس كافرا، وهو في منزلة بينهما، وهو مخلد في النار.

وقد رد أهل السنةعلى المعتزلة بأن القول بمنزلة بين الإيمان والكفر لا دليل عليه، كما إن القول بخلود مرتكب الكبيرة في النار قول بكفره في الحقيقة وهذا لا يصح .

وذهب الخوارج إلى كفر مرتكب الكبيرة ، ورأوا خلوده في النار، وذهب المرجئة، والكرامية إلى أنه لا أثر للكبيرة على الإيمان، وقولهما معارض بأدلة أهل السنة التي سبق ذكرها .

ولا عبرة لمن ذهب إلى رد حديث الباب ، وادعى عدم صدوره من رسول الله ﷺ ، فقد اتفق عليه البخاري ومسلم ، ولا معارضة بينه وبين غيره من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية حتى نحتاج إلى تأويله ، والقول بكفر مرتكب الكبيرة ، أو جعله في منزلة بين الإيمان والكفر حيث لا دليل على هذا ، ولم تدل الشواهد على منزلة للإنسان غير منزلتي الإيمان والكفر ، لأن هذه المنزلة لا تفيد شيئا، ولا تكون سببا للقول بخلود صاحبها في النار مع الكافرين .

وقد ذهب العلماء إلى تأويلات عديدة لظاهر حديث الباب ليتفق مع الحقائق الدينية ، .... ومن هذه التأويلات :

(١) أن مرتكب الكبيرة (الزاني، أو السارق، أو الشارب ، أو المنتهب ، أو غيرهم) تنزع عنه بصيرة المؤمن ، ونور الله تعالى الذي يهديه للحق ، لأنه في حال تلبسه بالمعصية لا يدرك جلال من آمن به ،

ويهجر الحياء، يقول النبي ﷺ : (**من استحيى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى ، والبطن وما وعى ، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، ومن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء**)(١) .

(٢) أنه ينزع عنه وصف المدح الديني ، فلا يقال : هو مؤمن، بل يقال: هو زان، ما لم يتب، ويقال عنه : هو مؤمن لفظا واعتقادا لا عملا .

(٣) أن مرتكب الكبيرة لا يكون مؤمنا حال المعصية، فقد روى الحاكم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول : قال رسول الله ﷺ: (**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان، وكان كالظلة، فإذا انقلع منها رجع إليه الإيمان**)(٢) .

(٤) أن المراد بالإيمان الأمان والطمأنينة ، ونفي الإيمان عن مرتكب الكبيرة يعني نفي الأمان والخلق عنه، وهذا مقرر عقلا وشرعا .

(٥)أن المراد بالحديث الزجر والتخويف، والترهيب ، لأن الاستمرار في الكبيرة والإصرار عليها يؤدي إلى الكفر .

(٦) أن يراد بالحديث الإخبار عن أفعال المؤمنين ، والمعنى لا يزنين، ولا يشربن الخمر، ولا يسرقن، ولا ينهبن، والنون للتوكيد في الأفعال المذكورة .

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الرقاق، حديث : ٧٩٩١

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم - كتاب الإيمان، وأما حديث معمر - حديث : ٥٥

ويجب وضع هذه الكبائر في إطارها الشرعي ، فتقيد بشروطها، وتعاقب بعقوباتها الدنيوية الثابتة في دين الله تعالى، والأمر في الآخرة لله رب العالمين .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن مرتكب الكبيرة مثل الزاني، والسارق، وشارب الخمر ، والمنتهب لا يكون كامل الإيمان بسبب معصيته ، وهو معاقب عليها في الدنيا ، وأمره في الآخرة إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه، وان شاء عذبه على جرمه ومعصيته .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان في حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز أهمها ـ : ـ

الركيزة الأولى

طهارة المجتمع الإيماني

المجتمع المؤمن مجتمع طاهر نظيف، فهو يبني الفرد، ويقيم الجماعة، ويضع العوامل التي تكفل الصلاح والاستقامة، وأحاديث الباب تؤكد هذه الحقيقة ، فقد حرم الإسلام الخمر ، وجعل شره كبيرة من الكبائر التي تنقص الإيمان، وتعرض الشارب لنقص الدين، وتوقعه في عذاب الله تعالى، وقد حرم الإسلام الخمر صيانة للعقل، ومحافظة على الصحة ، وتحقيقا للإنسانية في الإنسان، لأن السكر يؤدي إلى الهذيان ، وفقدان المنطق، واهمال الواجب، والجهل بالحقوق .

واذا امتنع المسلم عن شرب الخمر وسائر المسكرات طاعة لله تعالى ، فإنه ينجو بطاعته من فساد الدنيا ، وعذاب الآخرة، ويسهم مساهمة إيجابية في رفعة الأمة، وعلو شأنها .

ولذلك يلاحظ أن أعداء الإسلام يعملون على هدم الأمة بنشر الخمر، وايجاد أنواع عديدة من مغيبات العقل، واشاعة الأكاذيب، وتلفيق الضلال واشاعته بين أفراد المجتمع ليضيع الحق، ويختفي الصراط المستقيم، وهذا شأن يحتاج من كل مسلم أن يحافظ على عقله ، وفكره، ويبتعد عن كل مسكر مادي أو معنوي، وأن يجتهد في معرفة الحق ، والوقوف على منهج الله تعالى من المصادر الصحيحة، ومن العلماء الثقات الذين يخافون الله تعالى ورسوله ﷺ ، ولا يعملون لسلطة أو جاه ليعيش بدين الله الحق بعيدا عن التزييف والأراجيف .

وتدعو أحاديث الباب إلى أن يصون المسلم عرض أخيه، وشرفه، وحرماته، ولذلك حرم الزنا ، وجعله من الكبائر التي تنقص الإيمان ، يقول النبي ﷺ : **(كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ، وماله ، وعرضه)** (١) .

وبهذا يكون المسلم في عون أخيه ينصحه، ويساعده، ولا يعتيد عليه في عرضه ، أو في ماله .

وليعلم المسلم أن مال الإنسان حبيب إلى نفسه، ولذا أوجب الإسلام على الناس أن لا يعتدوا على مال الغير بسرقة أو نهبة .

إن أحاديث الباب تشير إلى الجوانب المضيئة في مجتمع المؤمنين ، لأنهم بالإيمان يحافظون على أنفسهم ، وعلى غيرهم، ولا يرتكبون الكبائر ما

---

(١) صحيح مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم - حديث : ٤٧٥٥

ظهر منها وما بطن، ويعيشون في الدنيا بمنهج الله تعالى ، يطبقون شرعه ، ويحافظون على حدود الله تعالى ، ويعلمون ما ذكره الله لهم في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾(١)، وفي قوله ﷻ : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾(٢) .

إن مجتمع الإيمان يتكون من أفراد يخافون الله تعالى ، ويحافظون على حدوده، ويصنون حقوقه ، ويحرسون حقوق غيرهم ، ويتمسكون بشرع الله تعالى ومنهجه الذي وضعه للناس ، وبذلك يحققون الطهر والخير في الدنيا ، ويفوزون بالسلامة في الآخرة ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾(٣) .

الركيزة الثانية
الإيمان دعوة لتحقيق الخير والإصلاح

الإيمان هو الخير كله ، وهو منهج ينشر الإصلاح والصلاح بين الناس ، وبيان ذلك أن الإيمان يربط الإنسان بخالقه ، ويعرفه بنعمه وآلائه، ويوضح له عطاء الدنيا ، ويبصره بالمصير في الآخرة ، ولذلك أوجب الإسلام ضرورة الإيمان بالآخرة وما فيها من حساب وجزاء، وجنة ونار ليعيش الإنسان في

---

(١) سورة النساء الآية : ١٤ .

(٢) سورة الزمر الآية : ٩ .

(٣)سورة الإسراء الآيتين : ١٩ ، ٢٠ .

الدنيا على بينة من أمره، ويسلك الطريق إلى الغاية التي يرجوها في الآخرة عند ربه ، ولذلك تكرر في الأحاديث قوله ﷺ : **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر)**، مع ذكر كل كبيرة ليستحضر المسلم عند كل فعل نتيجته ، وليكون الإيمان دافعا إلى الخير ، ومانعا من ارتكاب المعاصي .

ولذلك كان من حسن إيمان المسلم أن يذكر الله كثيرا ، ويستغفره دائما ، ويعيش مع القرآن الكريم تاليا، وقارئا، ومتعلما لما في الذكر من دعوة إلى الخوف من الله تعالى، وضرورة طاعته، والامتثال لأمره ﷻ .

وحسن في الإسلام أن يكون لكل عمل نية ، وأن يجدد المسلم نية الخير عند كل أمر ، وأن يحول العادات، والأعمال بالنيات إلى عبادة وطاعة لله تعالى .

ومن حسن تعاليم الإسلام الدعوة إلى الذكر، والاستغفار، يقول الله تعالى:

- ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ (١)
- ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٣٥ ﴾ (٢)
- ﴿ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ ﴾ (٣) .

ومن تعاليم الإسلام أن يعيش المسلم العبودية لله وحده، وأن يعلنها عند كل حركة وسكون، وأن يجعل كل حياته لربه كما أمر الله تعالى رسوله ﷺ

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٥٢ .

(٢) سورة الأحزاب الآية : ٣٥ .

(٣) سورة نوح الآية : ١٠ .

في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾(١) .

إن العبودية الكاملة لله تعالى هي الحرية الكاملة، وهي المنقذة للإنسان من عبودية البشر والمادة ، والذين يأتمرون بأمر غيرهم عبيد لهم، أما المؤمن فهو عبد لله وحده الذي ﴿ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

وهكذا يقيم الإسلام الإيمان في حياة الناس ، ويحقق به الخير ، وينشر الأمن والسلام ، ويقرر الحرية والطمانينة ، والسلام .

-و-

لمحات موجزة في فوائد الحديث

يتضمن الحديث عددا من الفوائد -- منها :

١) يشرع الإسلام عوامل المحافظة على المقاصد الشرعية ، وهي حفظ للعقل، والنفس، والدين والعرض، والمال، ولذلك كان تحريمه للزنى وشرب الخمر ، والسرقة، والنهبة ، ونفي الإيمان الكامل عن من يقع في المعاصي عامة، وهذه الأربع بصورة خاصة .

٢) ارتكاب المعاصي منزلق على الكفر ، ولذلك كانت ضرورة الإقلاع عنها، والرجوع إلى الله تعالى .

٣) وضوح الفصل بين الإيمان والمعاصي، ليعيش المؤمن طاهرا نظيفا وان أصابه ضعف سارع بالتوبة ، والاستغفار .

٤) المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه .

---

(١) سورة الأنعام الاية : ١٦٢ .

ـ ١٨ ـ

٢٤ ـ باب بيان خصال المنافق

[٣٧] ، (١) / ٣٤ حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبي ﷺ قال : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا اؤتمن خان ، واذا حدث كذب ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر[١] .

[٣٨] ، (٢) / ٣٣ حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، واذا وعد أخلف ، واذا اؤتمن خان[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تتناول أحاديث الباب أهم صفات المنافق التى يتميز بها ، فإن جمعها كلها كان منافقا خالصا ، وان اتصف بواحدة منها كان منافقا بقدرها .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

أورد صاحب "اللؤلؤ والمرجان" **فى الباب حديثين ، فذكر فى الحديث الأول أربعا من خصال المنافقين ، وفى الحديث الثانى ذكر ثلاثا منها مع**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٢ كتاب الإيمان : ٢٤ باب علامة المنافق . وللحديث روايات أخرى عند البخارى في أرقام : (٢٤٥٩ ، ٣١٧٨) .

(٢) أخرجه البخاري في : ٢ كتاب الإيمان : ٢٤ باب علامة المنافق . وللحديث روايات أخرى عند البخارى في أرقام : (٢٦٨٢ ، ٢٧٤٩ ، ٦٠٩٥) .

اختلاف الحديثين فى ترتيب الخصال ، وبمجموع الحديثين تتضح خمس خصال للمنافق هى :

(١) خيانة الأمانة .

(٢) الكذب فى الحديث .

(٣) الغدر فى المعاهدة .

(٤) الفجور فى الخصومة .

(٥) مخالفة الوعد .

ودل عدم ترتيب الحديثين للخصال ، والاكتفاء بعدها مجردة على أن كل خصلة لها خطورتها ، وأنها مستقلة عن غيرها ، وأن لكل منها دلالة على جانب من جوانب المنافقين ، وأنه يمكن التخلص من كل واحدة منها على حدة وأن من الممكن اتصاف الإنسان ببعضها فقط ؛ كأن يكون المنافق صادقا وخائنا أو فاجرا فى نفس الوقت .

(أربع من كن فيه كان منافقا خالصا) **أربع مبتدأ خبره جملة الشرط المكونة من مبتدإ وخبر .**

والمراد : أربع صفات ، أو خصال من اتصف بهن ، وصرن خلقا له صار منافقا خالصا فى النفاق .

والنفاق **مخالفة الظاهر للباطن ، فإن كانت المخالفة فى الاعتقاد فهو نفاق الكفر ، وان كانت فى الأقوال ، والأعمال ، والفعل والترك فهو نفاق العمل .**

وهذه الخصال تحتاج إلى تحرير المراد منها لتتميز عن صفات تشبهها وليست من خصال النفاق .

(ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها)
أى : ومن اتصف بخصلة من الخصال المذكورة كان متصفا بالنفاق بهذه الخصلة على قدرها حتى يتركها ، ويقلع عن مساراتها .
وتفصيل القول فى هذه الخصال فيما يلى :

ـ أولا ـ

خيانة الأمانة

من خصال المنافق أنه (إذا اؤتمن خان) **أى أنه إذا تحمل أمانة ما لا يحافظ عليها ، ولا يؤديها على الوجه الذى يقتضيه تحملها .**

والأمانة : **معرفة الواجب ، والمحافظة عليه ، وأداؤه على وجهه المشروع ، وهى تكليف بما يمكن للإنسان أداؤه فى الماديات أو المعنويات ، وهى مقررة عليه ابتداء لتشمل تحمل الدين وبما يتحمل أثناء حياته ونشاطه للناس أو ما يقع فى معاملاته مع الناس .**

والإنسان يتحمل أمانات عدة ، فهو يحمل أمانة الدين بالتكليف وعليه أن يحافظ عليها ، وعلى أوامر الله ونواهيه ، ويحمل أمانة مع نفسه وأهله وولده ويتحمل عديدا من الأمانات مع الناس مادية كانت أو معنوية .

ولكل نوع من الأمانات منهج للمحافظة عليها ، وتجنب الخيانة فيها ... وبهذا تكون الأمانة شاملة لنشاط الإسلام كله سواء كانت فى العقيدة ، أو الخلق ، أو السلوك ، ومخالفة الواجب فى كل جانب خيانة له .

أما من تحمل أمرا ونسيه ، أو قصر في قيامه به لعجزه ، وعدم قدرته على أداء ما وجب عليه ، لا يعد خائنا لأنه لا عمد فيه .

ـ ثانيا ـ

الكذب فى الحديث

ومن خصال المنافق أنه (واذا حدث كذب) **أى : أنه إذا تكلم فى أمر كذب فيه متعمدا .**

والكذب مخالفة **الخبر للواقع ، وصيغة التضعيف** (حدث) **تفيد أنه اعتاد الكذب وكرره ، وأنه كلما تحدث كان كاذبا ؛ فصار الكذب صفة ملازمة له .**

ويراد بكذب المنافق أن يكون متعمدا قوله مع قصد الضرر ، واذاعة الشرور كنشر الإشاعات ، واذاعة الإفك ، والإساءة إلى المؤمنين الأطهار ...

أما من يكذب فى وصف نفسه ، ويدعى المعرفة ، وعلو الشأن والنسب ولا يريد الإساءة لغيره فليس هذا كذب النفاق .

وليس من كذب النفاق أيضا المبالغة فى الوصف والفخر ، ومدح الذات وان كان مخالفا للواقع ؛ لأنه لا يضر غيره .

وليس من النفاق أن يخبر الخبر كما علمه ؛ فإنه لا يعد كاذبا إن ظهرت مخالفة الخبر للواقع .

أما إن وصف نفسه بما ليس فيه ليخيف غيره أو ليخدعه ويغشه فهو من كذب النفاق المذموم .

إن الكلام وسيلة إلى المقاصد ، فكل مقصود محمود يمكن التوصل إليه بالصدق ، أو بالكذب ، فالاكتفاء بالصدق واجب ، والكذب حرام لأن

البعد عنه لا يضر ... وان كان التوصل إلى الغاية المحمودة غير ممكن إلا بالكذب كان الكذب مباحا عند بعض العلماء .

ويأخذ الكذب مع القصد الأحكام الشرعية المقررة ... فكما أن عصمة دم المسلم واجبة تكون الوسيلة إليه واجبة ، فإن تعينت الوسيلة فى الكذب صار الكذب واجبا ، ولذا أبيح الكذب فى إصلاح ذات البين ، إلا أنه ينبغى الاحتراز من الكذب ما أمكن .

والتعبير عن كذب المنافق بالشرط (إذا) لبيان أن حديثه كذب دائم ؛ فهو كلما تحدث تعمد الكذب الذي ينشر الباطل ويضر بالناس ، ولذلك صار الكاذب عدوا لدين الله تعالى ، وخصيما للمؤمنين .

ـ ثالثا ـ

الغدر فى المعاهدة

ومن خصال المنافق : (واذا عاهد غدر) أى : إن المنافق إذا عاهد مسلما أو غير مسلم ، فردا أو جماعة ، وحدد مع نفسه أو غيره حدود معاهدته لا يوفيها ، ويهملها ، ولا يلتزم بها ، ويفعل ما يعارضها .

ومن غدر المنافقين مخالفة ما عاهدوا الله عليه من الإيمان والتقوى والعمل الصالح .

وقد نهى الله عن الغدر ؛ فقال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[1] .

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٢٥ .

ـ رابعا ـ

الفجور فى الخصومة

ومن خصال المنافق : الفجور فى الخصومة لقوله ﷺ : (واذا خاصم فجر) **أى : أن المنافق إذا اختلف مع غيره ، ودار بينهما جدل ، وتمسك كل برأيه مال المنافق إلى العدوان والظلم ، وبالغ فى الرد ، وأكثر من المعاصى وحاد عن حدود الشريعة ، ولا يعرف شيئا عن التسامح ، ولا يحافظ على حقوق الآخرين .**

والمخاصمة أنواع فقد تكون لاستيفاء حق معلوم عند الغير ، والأولى عدم التسرع فى أخذ هذا الحق ، واللجوء إلى المعاملة الحسنة فى الاستيفاء ، فقد توقع المخاصمة صاحبها فى الكراهية والعداوة ، وضرر هذا أكبر من الحق المقصود ، فإن تعينت الخصومة لنيل الحقوق ، فعلى المسلم أن يكون لينا فى خصومته ، وعاقلا فى مطلبه ، ومحافظا على ما بينه وبين غيره من صفات حسنة .

وأما المخاصمة بغير علم **فهى مذمومة ؛ لأنها قائمة على الجهالة ، وعدم الإدراك ، ولا توصل إلى المطلوب .**

وأما المخاصمة للمغالبة ، **والحصول على حق الغير فهى عدوان ، وهى إحدى صفات المنافقين المذكورة .**

ومن أفجر الفجور ما يقع من ذوى السلطة حينما يقهرون معارضيهم ، ويغلبونهم بالقتل ، والضرب ، ومختلف صور الضرر ، وهؤلاء بفعلهم يكونون من المنافقين .

ـ خامسا ـ

خلـف الوعـد

من خصال المنافق مخالفة الوعد لقوله ﷺ : (واذا وعد أخلف**) ومعناه أن يعد غيره بقول أو بعمل ، وهو يعزم على مخالفته أثناء وعده واتفاقه ... أما إذا كان عازما على الوفاء ، ثم عرض له مانع منعه فإنه لا يعد مخالفا للوعد .**

والوعد الذى تعد مخالفته نفاقا هو الوعد فى الخير ، أما الوعد بالشر فمخالفته واجبة ... ولذلك قال العلماء : إن حكم مخالفة الوعد يختلف باختلاف الموعود به ، والأثر المترتب عليه .

وقد أمر الله بالوفاء بالوعود ، وحذر من المخالفة ؛ فقال تعالى : ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴾[1] ، **وقال سبحانه :** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾[2] ، **وقال سبحانه :** ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[3] .

وهذه الصفات المذكورة للمنافق تكون عنوانا عليه ، لأنها صفات مستمرة معه بدلالة سبقها بـ (إذا**) ، وايراد فعل الشرط بصيغة الماضى يؤكد تحققها ولقوله ﷺ فى الحديث الأول : (**كن فيه**) أى : عرف بها ، وصارت جزءا منه ، وأصبحت عنوانا له ، ولذلك قال ﷺ فى الحديث الثانى :**

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٣٤ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ١ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٩١ .

(آية المنافق) أى : علاماته وخصائصه ، وصفاته المستمرة ... أما من وقع فى هذه الصفات أو بعضها مرة أو مرات ثم أقلع عنها ، وتركها لا يعد منافقا.

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

نظر العلماء إلى الصفات والخصال التى تناولها الباب ، ورأوا أنها قد توجد فى المسلم المصدق الخالى من الشك والريب ، ولذلك أجمعوا على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وارتكب هذه الخصال أو بعضها ، لا يحكم عليه بكفر ، ولا يعد منافقا ، ولا يخلد فى النار .

وقد ذهب العلماء إلى أن معنى أحاديث الباب يفيد أن هذه الخصال هى خصال نفاق ، وصاحبها يشبه المنافقين ، لأن النفاق يفيد مخالفة الظاهر للباطن ، وهذا موجود فى كل من يتصف بهذه الخصال ... ويكون نفاقه فى حق من حدثه ، ووعده ، وائتمنه ، وخاصمه ، وعاهده من الناس ، لا أنه منافق فى عقيدته ؛ لأنه لم يبطن الكفر ، ويظهر الإسلام .

ومعنى قوله ﷺ : (كان منافقا خالصا) أى : صار شديد الشبه بالمنافقين لبعد هذه الخصال عن الاعتقاد الصحيح .

وسمى العلماء هذا النفاق بنفاق العمل تمييزا له عن نفاق العقيدة .

و "ال" فى قوله ﷺ : (آية المنافق) إما أن تكون للجنس فتشمل كل متصف بهذه الصفات فى كل وقت ، وفى كل عصر .

وأما أن تكون للعهد ؛ فتدل على أن المراد المنافقون فى زمن النبى ﷺ فلقد حدثوا وكذبوا ، واؤتمنوا وخانوا ، ووعدوا فاخلفوا ، وفجروا فى خصوماتهم ، وكانوا على هذه الصفات اعتقادا وعملا ، وعلى هذا كان رأى

سعيد بن جبير ، وعطاء بن أبي رباح ، واليه رجع الحسن البصرى رضوان الله عليهم ، وهو مروى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، وقد رواياه عن النبى ﷺ .

وحكى الخطابى أن الحديث ورد فى شخص بعينه[١] .

ومن مكارم الخلق أن لا ينادى مسلم صاحب هذه الصفات بها، ولا يواجهه بصريح القول ، فإن النبى ﷺ لم يفعل ذلك ، وانما كان يشير إلى هذه الصفات إشارة عامة ، وكان ﷺ يقول : (ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟)[٢] .

وفى أحاديث الباب ملحوظات :

الملحوظة الأولى : **وردت الصفات بأعداد متغايرة فى الأحاديث ؛ ففى حديث أنها ثلاث ، وفى آخر أنها أربع ، ولا منافاة فى ذلك ؛ لأن الشئ الواحد قد تكون له عدة علامات ، وكل علامة تظهر صفة ما ؛ فتتعدد صفات الشئ الواحد ، فقوله ﷺ :** (واذا عاهد غدر) **داخل فى قوله ﷺ :** (إذا اؤتمن خان) .

وذهب القرطبى إلى أن الصفات الثلاث التى جعلها الحديث الأول علامة المنافق هى أصول النفاق ؛ فذكرها النبى ﷺ أولا ، وما زاد عليها يرد إليها ، وعدها فى حديث آخر يؤكد النفاق فى صاحبها .

الملحوظة الثانية : **علامات النفاق كثيرة منها التملق للرؤساء ، ومحاولات أكل أموال الناس بالباطل ، ومحاولات التحلى بحسن الخلق مع**

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص٤٧ ، ٤٨ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الحج . باب استحباب النكاح ج٢ ص١٠٢٠ .

البراءة منها ... إلا أن أحاديث الباب توضح أسس النفاق فى أخلاق المنافق وأعماله وأقواله . فأشارت إلى نفاق الأعمال فى خيانة الأمانة ، والغدر فى المعاهدة ... وأشارت إلى نفاق النية بالخلف فى الوعد ، وذكرت نفاق القول بالكذب فى الكلام ، والفجور فى الخصومة .

وعلى هذا يتحدد مناط النفاق فى أقوال المنافق ، وأعماله ، وأخلاقه ، وتعد هذه الجوانب مناط رصد علامات المنافقين التى تحدث فى أموالهم ، وأعمالهم ، وأخلاقهم .

الملحوظة الثالثة: **الصفات الواردة فى الأحاديث تتصل بنفاق العمل ولا تعد نفاق اعتقاد ، إلا إذا اعتقد فاعلها حل ذلك ، وجعلها جزءا من الدين فيكذب على الله ، ويخون أمانة الدين ، ويخالف ما عاهد الله عليه ، ويبالغ فى خصومة المؤمنين ، ولا يفى بوعد قطعه على نفسه لله ولرسوله وللمؤمنين.**

لما سئل مالك ﷺ عن الكذب قال : أى نوع من الكذب ؟ ...[١] ، وانما أجاب مالك بالسؤال للإشارة إلى أن الكذاب قد يتحدث عن أمور خاصة به بعيدة عن الاعتقاد من غير قصد الإساءة إلى أحد ، وانما يضر الكذب إن تحدث الإنسان عن الأشياء بخلاف ما هى عليه قاصدا الكذب ... وقد سأل عمر بن الخطاب ﷺ حذيفة ﷺ وقال له : هل تعلم فى شئ من النفاق ؟[٢] فدل ذلك على ضرورة التمييز بين نفاق العمل ، وبين نفاق الاعتقاد ، وبين الكذب المقصود ، وبين الكذب غير المقصود .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١ ص١٥٩ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١ ص١٦٠ .

الملاحظة الرابعة : **الوقوع فى بعض الصفات زمنا عمدا أو بلا عمد ، لا يجعل صاحبها منافقا ؛ لأن التوبة والرجوع إلى الله ينفى أثر المعصية ، وقد جاء رجل إلى ابن المسيب رحمه الله وقال له : نغص هذا الحديث على عيشى ، لأنى لا أسلم منها ، أو من واحد منها .**

فقال ابن المسيب : قد أهمنى ما أهمك ، فسألت ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم فقالا : أهمنا ما أهمك ، فسألنا رسول الله ﷺ عن ذلك ، فعرفنا أن المقصود التشبه بالمنافق ، وأن الخلوص يعنى الخلوص فى الصفة لا فى النفاق[1] .

الملحوظة الخامسة : **تتلاقى صفات النفاق ، ويؤكد بعضها بعضا ، فمن كذب غدر ، ومن خان فجر ، ومن خاصم اعتدى وكذب ، ولذلك كان البعد عنها جميعا هو طريق الحق والاستقامة .**

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

بينت أحاديث الباب أن النفاق نوعان نفاق عمل ، ونفاق عقيدة ، ووضحت بعض علامات نفاق العمل ، وأشارت إلى خطورته على العقيدة والإيمان ، وقد شرح المحدثون مناط كل صفة من هذه الصفات .

---

(١) إكمال إكمال المعلم للأبى ج١ ص١٦٨ .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... هى :

خطورة النفاق على المجتمع

قامت الأمة الإسلامية على الحق ، ودعا رسول الله ﷺ إلى اعتماد الشريعة على القيم النبيلة والغايات الشريفة ، ومكارم الأخلاق ، وكان من أساسيات بنائها الإيمان بالله تعالى لتطهير الباطن بالعقيدة الصحيحة ، وتطهير العقل بالفهم الواعى ، وتطهير الظاهر بشريعة الله ، ونظم الإسلام الحنيف ، وتطهير العلاقات بالتمسك بالخلق الكريم .

وكان من أشد ما حاربه الإسلام وجود النفاق فى الفرد ، وفى الجماعة لأنه يظهر أمورا لا وجود لها ، ويخفى قضايا هى التى تحرك المنافقين .

وركزت أحاديث الباب على خصال النفاق وعلاماته لبيان عدة أمور :

أولا : **تعريف الناس بالمنافقين من خلال التعامل معهم . فقد يكون المرء منافقا كامل النفاق بجمعه كافة الخصال التى جاءت فى أحاديث رسول الله ﷺ أو يكون ناقصا فى النفاق بتمسكه ببعض صفات المنافقين.**

ثانيا : **تحذير المؤمنين من التعامل مع المنافق إذا اتضحت معالمه .**

ثالثا : **تخويف المؤمنين من الوقوع فى بعض خصال النفاق ليتوبوا عنها من قريب إذا وقعوا فى بعضها .**

رابعا : **تميز المجتمع المؤمن بصفاته العالية ، وأخلاقه الكريمة ، وسموه العظيم الذى تصله بالله تعالى .**

إن المجتمع المسلم مجتمع عظيم ، وهو محتاج دائما إلى الطهارة والعفة ونبذ أى نبات خبيث يظهر فيه ليبقى له صفاؤه وبهاؤه ، ويتم نبذ كل مخالف لدين الله تعالى والله ولى المتقين .

- و-

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تتضمن أحاديث الباب عدة فوائد ... منها :

(١) **المنافق إنسان دخل فى الإسلام وارتكب بعض المعاصى والكبائر ، فهو على إسلامه ناقصا وغير تام ، ووجب عليه الرجوع عن معاصيه بالتوبة والاستغفار .**

(٢) **لا يرضى المسلم لنفسه أن يكون منافقا ، ولذلك كان تحديد صفات المنافق ليتجنبها المسلمون الصادقون .**

(٣) **توضيح صفات النفاق بيان للمنهج الذى يسلكه المؤمنون بعيدا عن المتصفين بصفات المنافقين مع إبعاد المنافقين عن مراكز القيادة والتوجيه ، وعدم تمكينهم فى شئون المسلمين ؛ لأن ضررهم شديد ، ونفعهم قليل .**

(٤) **تفصيل صفات المنافقين دليل على خطورتهم لأنهم يتسترون بالإسلام ويخدعون المسلمين ... أما الكافر فهو معلوم ، ولذلك كانت خطورة المنافقين أشد وأكبر .**

ـ ١٩ ـ

٢٥ ـ باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر

[٣٩] ، (١) ٦١٠٤ حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : أيما رجل قال لأخيه : يا كافر ، فقد باء بها أحدهما[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين الحديث خطورة تكفير المسلم لأخيه ، وليس له دليل قاطع ، حتى لا يرجع إليه اتهامه .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (أيما رجل قال لأخيه : يا كافر) **أى : أى مسلم نسب أخاه إلى الكفر بصيغة صريحة أو كناية من صيغ الكفر كأن قال له :** (أنت كافر) **أو ناداه بهذه الصفة ، ويقع المسلم فى هذا الجرم بقوله الدال على اتهام أخيه ، ولا يؤاخذ بما يضمره فى نفسه ... إلا أن الأولى بالمسلم أن يطهر قلبه من اتهام غيره ولا يظن به السوء بلا دليل ، أو اعتقد ذلك عنه فى قلبه وعقله.**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٧٨ كتاب الأدب : ٧٣ باب من كفر أخاه بغير تأويل .

(فقد باء بها أحدهما) **أى قد رجع بهذه الصفة من قالها إن كان كاذبا ، أو المقولة له إن كان القائل صادقا .**

و (أى) اسم شرط مبتدأ ، وامرئ مضاف إليه ... وورد فى صحيح مسلم (كافر) **بدون حرف النداء على أنه خبر لمبتدإ محذوف تقديره** (هو كافر) **أو** (أنت كافر) **، وقوله ﷺ :** (باء بها أحدهما) **أى استحق أحدهما هذا الوصف ، ورجع به ، وقد دلت أحاديث الباب على ضرورة إقامة القائل حجة وبرهانا على قوله والا عد قاذفا ، وذلك فى قوله ﷺ :** (إن كان كما قال والا رجعت عليه)[1] **أى إن الكفر يعود على القائل إن كان مستحلا لتكفير أخيه بلا دليل ، أو أن المراد أن نقيصته التى أرادها لأخيه تعود عليه .**

- ج -
البيان التحليلي لحديث الباب

ذهب أهل السنة إلى أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة ، وانما يعاقب على معصيته قصاصا ، أو حدا ، أو تعزيرا ، وأمره فى الآخرة إلى الله تعالى ، ولذلك رأوا ضرورة تأويل ظاهر الحديث ؛ حتى لا يؤدى السب بالتكفير إلى تكفير القائل أو المقول له ، وقالوا : إن التكفير محمول على من يستحل التكفير ، ومن المعلوم أن كل مستحل للكبيرة كافر ...

أو أن الحديث **محمول على أصحاب المذاهب الذين كفروا صحابة النبى ﷺ الذين خالفوهم ...**

أو أن المراد به **التهديد حتى لا يؤول شأن المنافقين إلى الكفر ...**

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم ج١ ص٧٩ .

أو أن المراد **بالكفر كفر النعمة كما قال ﷺ عن النسوة** : يكفرن بالعشير[١] ...

أو أن المراد **أن من يسب غيره بالكفر فإنه يبوء بإثم قوله عن أخيه الذى كفره ، وبذلك يرجع إثم اتهامه عليه .**

وفى الحديث ملحوظات :

الملحوظة الأولى : **من يسب غيره بالكفر لا شيء عليه إن كان المقول له كافرا حقيقة أو فعلا، إلا أن الأولى بالمسلم أن يتجنب السباب والفسوق.**

الملحوظة الثانية : **شيوع السب بكلمات الكفر على الألسنة بلا قصد لمدلولها لا أثر لها ؛ لأنها صارت من قبيل الهزار والمداعبة ، ويعزر فاعل ذلك ، والأولى تجنبها ، ففى الأقوال النظيفة متسع للحديث .**

الملحوظة الثالثة : **الحديث يعم الرجال والنساء ، وظاهره محمول على التغليب .**

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث ضرورة صيانة اللسان من العدوان ، واتهام الآخرين ، ولذلك حذر الحديث من اتهام الغير ووسمه بالكفر ؛ لأنه لو لم يكن كذلك لباء القائل بإثم مقالته . يقول النبى ﷺ : (إن العبد إذا لعن شيئا ، صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ، ثم يهبط إلى الأرض فتأخذ يمنة ويسرة ، فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذى لعن إن كان أهلا ، والا رجعت إلى قائلها)[٢] .

---

(١) سنن أبى داود . باب في اللعن ج٤ ص٢٧٧ .

(٢) سنن أبى داود . كتاب الأدب . باب اللعن ج٤ ص٢٧٧ .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن الحديث ركيزة هامة ... هى :

تجنب سباب المسلم لأخيه

يدعو الحديث إلى تجنب سباب المسلم لأخيه ؛ لأن سبابه كقتله ، وهذا لا يجوز ، والواجب أن ينتشر بين الناس القول الطيب ، والمعاملة الحسنة ، وأن تكون الحياة الاجتماعية بين المسلمين مدرسة تعليمية تقوم على الحب والتقدير ، ونشر الدين بطريقة عملية تتضمن المنهج والسلوك ، والعلم والعمل .

وقد عمل رسول الله ﷺ على دعوة الناس إلى التوكل على الله ، والعفو والتسامح ، وادراك أن علم الله محيط ، وأن رحمته وسعت كل شيء ، وأنه سبحانه يدافع عن الذين آمنوا . يقول الله تعالى :

- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾[1] .
- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾[2] .

وورد أن رجلا أخذ يسب أبا بكر الصديق ﷺ فى حضرة النبى ﷺ ، وأبو بكر صامت ، فلما أكثر الرجل ، رد عليه أبو بكر ﷺ ، فقام النبى ﷺ مغضبا ، فتعلق به أبو بكر وقال : يا رسول الله يشتمنى وأسكت ، فلما رددت عليه مرة تغضب منى وتقوم ؟!

---

(١) سورة الحج ، الآية ٣٨ .

(٢) سورة محمد ، الآية ١١ .

فقال ﷺ : يا أبا بكر كان يشتمك وملك يرد عنك ، فلما رددت خرج الملك ودخل الشيطان[١] .

إن المسلم متصل بربه وعليه اعتماده وتوكله ، وهو ناصره ومعينه ، والواجب طاعته والالتزام بأمره ونهيه .

والمجتمع الإسلامى يجمع المؤمنين الصادقين ، المتحابين فى الله ، الذين صفت قلوبهم ، وتطهرت نفوسهم ، وتعلق كل مؤمن بربه وحده يرجو منه الخير لنفسه ، ولإخوانه أجمعين ... ولذلك يخلو المجتمع المسلم من الكراهية والعصيان ، والسباب .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير الحديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) المسلم أخو المسلم ، وواجب الأخوة يقضى بحبه ، ونصحه ، واعانته ، وتجنب العدوان عليه بقول أو بفعل .

(٢) ضرورة ابتعاد المسلم عن اتهام غيره بالسوء ، أو أن يظن به السوء من غير بينة ، فإن وجدت البينة فالأمر للقاضى والوالى لمدارسة الأمر واتخاذ ما يرون من حكم وقضاء .

(٣) من الخلق الكريم عدم المواجهة والعدوان على الغير ، والأولى فى النصح أن يكون من باب (ما بال أقوام يفعلون كذا ...) حتى لا يكون العلاج أكثر ضررا من المرض نفسه .

---

(١) شرح النووى ج٢ ص٥٠ .

(٤) النصيحة (ولو كانت حقا) على الملإ فضيحة ، والأولى أن تكون فى السر بعيدا عن الناس .

(٥) المسلم مسئول عن نفسه وعن غيره ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته .

(٦) المسئولية على أى عمل مقررة فى شرع الله ، والجزاء بها فى الآخرة مسألة حتمية ، وقد عرف الله عباده بذلك ليستقيموا ، ويحذروا ، ويعلموا على وجه اليقين ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ ﴾[1] .

---

(١) سورة الطور ، الآية ٧ ، ٨ .

ـ ٢٠ ـ

٢٦ ـ باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم

[٤٠] ، (١) ٣٥٠٨ حديث أبي ذر ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول : ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر ، ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار[١] .

[٤١] ، (٢) ٦٧٦٨ حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر[٢] .

[٤٢] ، (٣) ٦٧٦٦ حديث سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة رضى الله عنهما قال سعد : سمعت النبي ﷺ يقول : من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام .
فذكر (حديث سعد) لأبي بكرة ﷺ فقال : وأنا سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ[٣] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة المحافظة على الأنساب ، وتوضح العذاب الشديد لمن انتسب لغير أبيه ، وهو يعلم أباه الحقيقى ، ويعلم أن الذى يدعى الانتساب إليه ليس أباه جحودا لآبائه ، وعدوانا على الغرباء عنه .

---

(١) أخرجه البخاري فى : ٦١ كتاب المناقب : ٥ باب حدثنا أبو معمر . وللحديث رواية أخرى فى رقم (٦٠٤٥) عند البخارى .
(٢) أخرجه البخاري في : ٨٥ كتاب الفرائض : ٢٩ باب من ادعى إلى غير أبيه .
(٣) أخرجه البخاري في : ٨٥ كتاب الفرائض : ٢٩ باب من ادعى إلى غير أبيه .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يؤكد أبو ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (ليس من رجل ادعى لغير أبيه وهو يعلمه إلا كفر) **أى : أى رجل ينتسب لغير أبيه الحقيقى ، وهو يعلم أباه الحقيقى ، أو يعلم أن من ينتسب إليه ليس أباه ، فقد كفر ؛ بسبب كذبه فى دعواه .**

وقد دل قوله ﷺ فى الحديث : (وهو يعلمه) **على ضرورة علم المدعى بكذب ما ادعى ، والتأكد من انقطاعه عمن نسب نفسه إليه ، وهذا تقييد لابد منه ، لأن الإثم يترتب على العلم بحكم الفعل لا بمجرد الفعل ، فقد يكون الفعل عن جهل ، والجاهل بالحكم لا يؤاخذ على فعله .**

و (من) **فى قوله :** (ليس من رجل) **زائدة لتأكيد المعنى وبيان أنه ليس رجلا عادلا ...**

وبدء الكلام بالنفى وجعل اسم (ليس) **نكرة يفيد أن عموم الحكم للناس جميعا ، حتى لا يستثنى أحد منه .**

وهذا الحكم شامل للرجال والنساء ، واقتصاره على ذكر الرجال من باب التغليب ، ولأن الرجال يظهر فعلهم أمام الناس .

وقد انفردت رواية أبى ذر في البخارى عن سائر روايات الحديث الأخرى بزيادة "بالله" **بعد قوله :** (إلا كفر) **وتلك الزيادة خلاف الأولى ؛ لأن الأولى أن يكون الكفر بعيدا عن كفر العقيدة ، وأن يكون المراد به كفر النعمة والحرمان من المثوبة ، ويكون المقصود بإيراد كلمة** (كفر) **التغليظ والزجر ، لأن فاعل ذلك يشبه فعل من كفر ، وحتى لا نحتاج إلى التأويل**

الذى لابد منه حين ثبوت هذه الزيادة ، لأنها إن ثبتت فلابد من صرف الكفر بالله إلى كفر من استحل الانتساب لغير أبيه شرعا .

(ومن ادعى قوما ليس له فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار) **أى : ومن نسب نفسه إلى قوم وهو ليس منهم عامدا مختارا فقد أعد الله له عقابا أليما اختاره المدعى لنفسه ، ولذلك كان عليه أن يعلم أنه بإدعائه هذا قد اختار مكان جلوسه فى النار ؛ لما ارتكب من جرم كبير ، ومعنى** (فليتبوأ) **فليتخذ منزلا من النار ، والجملة دعاء أو خبر بمعنى : طلب من الله أن يدخله النار أو بيان لحاله فى الآخرة ، وهذا جزاؤه إن جوزى بعمله ، وقد يتوب ويقبل الله توبته ، ويعفو عنه .**

والشطر الثانى فى الحديث يغاير الشطر الأول ، وان تلاقيا فى حكم واحد ، لأن الشطر الثانى يفيد ادعاء الانتساب إلى قبيلة غير قبيلته من غير ذكر لأبيه الحقيقى . أما الشطر الأول فهو يعنى أنه يعلم أباه الحقيقى وينكر نسبته إليه ، ويدعى نسبته لأب آخر غير أبيه .

وفى الحديث الثانى يروى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (لا ترغبوا عن آبائكم) **أى : لا تميلوا إلى نسب غير نسبكم ، وتهجروا آباءكم وتنسبوا أنفسكم إلى غيرهم ؛ لأن فى ذلك إضاعة للحقوق وعدوانا على الغرباء .**

(فمن رغب عن أبيه فهو كفر) **أى : ومن نسب نفسه إلى غير أبيه عامدا محبا لذلك من أجل غايات مادية ، وكسب أمور ليس له فيها حق ... إن من يفعل ذلك فقد ارتكب جرما وظلما ، واستحق إثم الكافر ، فقد كذب على الله تعالى ؛ لأن رغبته فى الانتساب لغير أبيه يفيد بلسان الحال**

أنه يقول : خلقنى الله من ماء فلان ، وهو يعلم أنه ليس كذلك ؛ لأنه فى الحقيقة من ماء أبيه .

وأطلق الحديث اسم الكفر على هذا الإثم لتغليظه ، والزجر عنه ، وبيان أن من يفعله يستحق العذاب الأليم ، وذلك كما فى الحديث (فالجنة عليه حرام) **أى : قد حرم الله عليه الجنة ، ولن يدخلها ابتداء إلا بعد أن يستوفى عقوبته ، فهو تحريم مؤقت معلق بإرادة الله تعالى .**

وقد روى سعد بن أبى وقاص ﷺ الحديث الثالث بنفس ألفاظ الحديث الأول غير أن ألفاظهما ، وان اتحدا فى المعنى إلا أنهما تغايرا فى الحكم فقد قال رسول الله ﷺ فى الحديث الأول : (فليتبوأ مقعده من النار) **، وجاء فى الحديث الثالث :** (فالجنة عليه حرام) **فدل الحديث الأول على أن المدعى رضى لنفسه بالنار ، ودل الحديث الثالث على تحريم الجنة عليه .**

ولما روى حديث سعد ﷺ على أبى بكرة ﷺ قال : (وأنا سمعته أذناي ووعاه قلبي من رسول الله ﷺ) **فدل ذلك على أن الحديث مثبت بروايتين : أحدهما : رواية سعد ﷺ ، والثانية : رواية أبى بكرة ﷺ ، كما ذكرهما مسلم فى صحيحه .**

وجملة أحاديث الباب تفيد زجر من ادعى إلى غير الأب الحقيقى ، لأن النسب إذا ثبت فلا يصح تركه إلى غيره .

ولا يدخل فى الوعيد والتهديد من اشتهرت نسبته إلى غير أبيه من غير قصد منه كالمقداد بن الأسود ﷺ فليس الأسود **أباه ولكنه هو الذى تبناه .**

واسم أبيه الحقيقى عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهرائى ، **وكان أبوه حليف كندة فقيل له** : الكندى ، **ثم حالف المقداد الأسود بن عبد يغوث الزهرى فتبناه المقداد فقيل له : ابن الأسود .**

وانما المراد بالوعيد من تحول عن نسبته لأبيه إلى غير أبيه عالما بنسبه عامدا تغييره مختارا فى فعله .

ولا يقصد بالتهديد والوعيد من انتسب لغير أبيه فى الجاهلية ، فلقد كان العرب قبل الإسلام لا يستنكرون أن يتنبى الرجل ولد غيره ، وينسبه إليه حتى نزل قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِأَبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[١] ، **وقوله تعالى** : ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾[٢] **وبذلك وجب نسبة الولد إلى أبيه ، وحرم النسب إلى غيره .**

فإن قيل : **ما معنى قوله ﷺ** : (ابن أخت القوم منهم أو من أنفسهم)[٣] **على ضوء ما جاء فى أحاديث الباب ؟**

أقول : **إن المراد بقوله ﷺ** : (ابن أخت القوم منهم أو من أنفسهم) **أى أنه منهم فى المعاونة ، والانتصار ، والبر ، والشفقة ، والمودة ونحو ذلك وليس المراد أنه منهم ، أو معهم فى الميراث والنسب .**

فإن قيل : **فلم خص ابن الأخت بالذكر دون بقية الأقارب وفيهم ما فيهم من التعاطف والمودة ؟**

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٤ .

(٣) صحيح البخارى . كتاب الفرائض . باب مولى القوم من أنفسهم ج٨ ص١٥٥ .

أقول : **خص أبناء الأخت بالذكر إبطالا لعادة جاهلية هى عدم الالتفات إلى أولاد البنات فضلا عن أولاد الأخوات حتى كان قائلهم يقول :**

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا ∴ بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فأراد ﷺ بقوله التحريض على الألفة والمودة بين الأقارب جميعا .

وفى الحديث مسائل :

المسألة الأولى : **من ادعى لغير أبيه لينجو من مهلكة ؛ كأن يبين لظالم أنه ابن فلان المعروف ؛ حتى لا يتعرض له مؤقتا ، فهذا لا شيء فيه ولا يتناوله الوعيد .**

المسألة الثانية : **ومن نسب نفسه لغير أبيه لينال منفعة ، فهو كاذب فى نسبه ، ويدخل هذا الانتساب تحت الوعيد .**

المسألة الثالثة : **ولد الزنا إن نسب نفسه لأبيه الزانى ، فوعيده خفيف ؛ لأنه أبوه لغة ، وقد نطق غلام جريح وقال : أبى فلان الراعى . بلا حرج.**

المسألة الرابعة : **ادعاء الوالد ابنا له أمر مختلف فيه : فقد ذهب بعض العلماء إلى دخول الوالد تحت الوعيد ؛ لأنه وضع نسبا فى غير موضعه ، وخالف الحقيقة ... وذهب آخرون إلى أنه لا يدخل تحت الوعيد ؛ لأن نسبة الولد إلى غير أبيه عقوق ، والعقوق كبيرة من الكبائر ، وكان لبعض الصالحين ربيب وكان يناديه : يا ولدى ! فجرحه العلماء بذلك ؛ لعدم الدقة فى ندائه .**

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تحرم أحاديث الباب ما كانت الجاهلية تبيحه من نسبة الأبناء إلى من يتبناهم ، وهذا أمر اهتم به الإسلام ليبقى المجتمع المسلم محدد المعالم ، واضح النسب ، ووصل الأمر فى هذا الشأن أن أمر الله رسوله ﷺ بالزواج من زينب بنت جحش رضى الله عنها بعدما كانت زوجا لزيد بن حارثة ﷺ الذى تبناه رسول الله ﷺ ؛ ليهدم ما كانت الجاهلية تفعله مع التبني ، إذ كانوا ينسبون الولد إلى من يتبناه ، ويحرمون زواج الرجل من زوجات من تبناه إذا طلقهن .

وتدل الأحاديث على ضرورة أن يتمسك الإنسان بما هو فيه ، ويرضى بما قسم الله له ، ويترك ما ليس له فى كافة جوانب الحياة ، كما تدل على أنه لا توارث إلا بالنسب .

وتبين جواز استعمال الأسلوب الزاجر والتخويف فى دعوة الناس إلى الله تعالى ، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة أن ينتسب الإنسان إلى أبيه ، وأن يعلم عدم جواز انتسابه لغير أبيه الذى يعلمه ... كما تبين أن العمل المؤاخذ عليه صاحبه هو العمل القائم على العلم والقصد ، وأن الإنسان لا يؤاخذ

بعمل غيره إلا إذا رضى به ، وأنه لا توارث إلا بالقرابة النسبية كما فى شريعة الله تعالى .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

أهمية سلامة النسب

يولى الإسلام سلامة النسب أهمية خاصة ؛ لما له من أثر كبير على الفرد ، وعلى الجماعة .

حيث يتميز كل إنسان بذاته ، ونسبه إلى أبيه وقبيلته ، وتسلم الأعراض من العدوان ، وتحدد الحقوق ، وتطبق شريعة الإسلام فى المجتمع الذى يصنعه الله تعالى .

إن الإسلام أقام نظامه على النسب الواضح المعروف ، حتى صار لكل إنسان محارمه ، وأقاربه ، وجيرانه ، وقبيلته ، وسيرته ، ويعلم من يحل له الزواج منهن ، ومن يحرمن عليه ، ومن تجب عليه النفقة لهم ، ومن يعوله ، ومن يواليه ، ومن يعقل عنه ... إلخ .

إن هذا المجتمع المنظم بشريعة الله يقوم على نظم ثابتة أساسها الأسرة والقبيلة ، والأهل والأقارب ، ولذلك جاء تشريع الإسلام بتحديد دور كل فرد مع الجماعة ، ودور كل جماعة مع أفرادها .

إن تحديد المسئولية يحتاج إلى معرفة الكيان الفردى والمجتمعى للناس ؛ ليعلم كل واحد حقه وواجبه ، ودوره المسئول عنه ، وبهذا ينهض المجتمع ويتقدم ... ويحرص كل مسلم على حقوق قومه وأهله فى حمية جادة ، واخلاص أمين صادق .

والقريب بقومه وأهله عامل رئيس فى استمرار حيوية العمل ، والإنتاج والتربية والتوجيه ...

لقد حاول الشيوعيون تحقيق شيوع المرأة بين الرجال ، وعدم نسبة الولد لأب معين ليكون ابنا لوطنه ، لقد حاولوا ذلك ولكنهم فشلوا فشلا ذريعا وسقطت الشيوعية بسبب تعنتها وضلالها ، وبقيت حقيقة الفطرة للناس ؛ وهى نسبة الولد لأبيه ، وشفقة الآباء على أبنائهم ، وتأكدت أهمية النسب فى حياة الناس .

الركيزة الثانية

العلم بالحكم يقى من الخطأ

شرع الله ضرورة التمسك بالنسب الحقيقى ، وحرم انتساب الرجل إلى غير أبيه ، وعد ذلك جرما عظيما يأثم فاعله ، ويعاقب بما يعاقب به الكافرون.

وقد بين الحديث أن الإنسان يستحق عقوبة الفعل إن كان يعلم ما فى فعله من إثم . أما إذا كان يجهل الحكم ، فإن معذور بفعله ... ولذلك وجب تبليغ الدعوة على وجهها الصحيح للناس حتى لا يكون لهم عذر فى جهلهم ، وعدم علمهم بالحكم إزاء ما يفعلون .

وعلى الإنسان أن يتجنب العصبية ، ويلجأ إلى عقله ليهتدى به إلى الصواب ، ويرى الحق من خلال فطرته التى جبلت على غريزة البنوة ، والوالدية ... وعليه أن يسعى إلى أهل العلم ليعلم منهم الحق ، ويصل إلى الصراط المستقيم .

الركيزة الثالثة
أسلوب الترغيب والترهيب
فى الدعوة إلى اللّه تعالى

تبين أحاديث الباب أسلوبا هاما مؤثرا فى مجال الدعوة إلى الله تعالى ، ذلك هو أسلوب الترغيب والترهيب الذى يقوم على تحديد الفعل ، وبيان الحكم وتوضيح الآثار المترتبة عليه فى الدنيا والآخرة ، وترغب على الفعل وتزينه وتخوف من المخالفة ، والوقوع فى المعاصى .

والشأن فى الأحاديث وان كان خاصا فى ادعاء النسب إلى غير الآباء ، فإنه عام فى كل عمل غير مشروع .

إن من يخالف شرع الله، ويدعى النسب إلى غير أبيه، وهو عالم بنسبه الحقيقى مستحق للعقوبة المذكورة ، وهى اعتباره كافرا بالنعم ، مستحقا ما يستحقه الكافر من ضنك المعاش وعذاب الآخرة ، ويعيش فى الدنيا منبوذا عن جماعته وعشيرته ، ومعذبا عند الله يوم القيامة ، وليعلم هذا المدعى أنه اختار لنفسه منزلته فى نار جهنم ، فلقد حرم الله عليه الجنة .

إن الإنسان العاقل يعمل للنجاة ويرجو الفوز ، ولذلك كان أسلوب الترغيب والترهيب ذا تأثير عظيم فى السلوك القويم ، والالتزام بشرع الله الحنيف ...

وهو أسلوب يحتاجه الدعاة فى عملهم، ونصحهم ، وارشاداتهم.

الركيزة الرابعة

دقة النقل عن رسول الله ﷺ

تتميز السنة النبوية بالنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ ، ولذلك تتعدد أحاديث الباب الواحد ، يرويها راو واحد ، أو عدد من الرواة تبعا لسماعهم من رسول الله ﷺ .

وقد تميز الرواة بالثقة ، والعدالة ، والضبط ، فهم أصحاب النبى ﷺ زكاهم الله ورسوله ، وأكدوا هذه التزكية بأقوالهم وأعمالهم ، فهذا أبو بكرة ﷺ يبين أنه سمع الحديث من رسول الله ﷺ وعلم معناه ، وأتقن حكمه ، فأسند السمع إلى الأذن ، وأسند الوعى إلى القلب فى قوله : (وأنا سمعته أذناي ووعاه قلبي) **وهو فى هذا كغيره من الصحابة الرواة لم يرو عن رسول الله ﷺ إلا ما سمعه بنفسه ، ووعاه بعقله ، ومن هنا كانت روايته للحديث ، وكانت منزلة الصحابة فى الثقة ، والعدالة والضبط ، وبيان درجة التحمل ، ولذلك جعلوا لكل كلمة دلالة لغوية ظهرت فى رواياتهم مثل : حدثنى ، و : حدثنا ، و : سمعت ، و : سمعنا و : إن ، و : عن .**

وقد زاد مسلم فى روايته (كلاهما يقول : وأنا سمعته أذناي ووعاه قلبي) **يقصد سعدا وأبا بكرة رضى الله عنهما اللذين رويا حديثا مشتركا .**

لقد علم الصحابة ، ومن بعدهم بأن الوحى هو دين الله تعالى ، ولذلك نقلوه لمن بعدهم أداء للأمانة ، وحفظا لدين الله تعالى .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

يستفاد من أحاديث الباب ما يلى :

(١) تأكيد الخبر يحتاج إلى إظهار عوامل صدقه ، فكل رواة أحاديث الباب يؤكدون أنهم سمعوا الحديث بآذانهم ، وأن رسول الله ﷺ قاله وقد وعته عقولهم وأفهامهم .

(٢) الحكم الشرعى عام لكل صغيرة وكبيرة فى الحياة ، ويحتاج لمن يفهمه ، ويعيش به .

(٣) من البيان تنوع أساليب الخطاب ، وطرق البيان بين خبر وانشاء ، وتشبيه ؛ لأن ذلك أدعى للفهم ، والإسرع فى العمل والتطبيق .

(٤) أحكام الشريعة واقعية فهى لا تدور فى الخيال ، ولا تجرى خلف السراب ، وانما توجد مع الحدث ، وتقضى فى الجوانب العملية ، ولذلك قالوا : الفقه يوجده المجتمع المؤمن صاحب العقيدة الراسخة ، وهذه القضايا التى تناولتها الأحاديث كانت موجودة بين الناس ، وسيستمر وجودها ، ولذلك وجدت أحكامها .

(٥) الفقه التخيلى ثراء عقلى ، وتصوره لأمور لا وجود لها ... ومن الأولى الاكتفاء بأحكام الواقع، فالإنسان هو الإنسان، والأحداث مكررة

(٦) تحريم كل دعوى باطلة فى العلم ، والتعلم ، والنسب ، والحال ، والصلاح ، والنعمة ، والولاء ... وغير ذلك ، ويزداد التحريم بزيادة المفسدة المترتبة على الدعوة الباطلة .

ـ ٢١ ـ

٢٧ ـ باب بيان قول النبي ﷺ
سباب المسلم فسوق وقتاله كفر

[٤٣] ، (١) ٤٨ حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر[1] .

ـ أ ـ
موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب وجوب محافظة المسلم على حق أخيه ، وحسن معاملته والابتعاد عن سبابه وقتاله ، لأن إساءة المسلم لأخيه تؤدى به إلى الفسق .

ـ ب ـ
الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبى ﷺ : (سباب المسلم فسوق) **سباب بكسر السين ، وفتح الباء ومدها بالألف : مصدر ، فعله سب يسب سبا وسبابا ، والسب معناه الشتم والتكلم فى الإنسان بما يعيبه فى عرضه ، أو سلوكه ، أو قوله ، وخلقه .**

---

(١) أخرجه البخاري في : كتاب الإيمان : ٣٦ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، وانظر رواية البخارى للحديث في أرقام : (٦٠٤٤ ، ٧٠٧٦) .

والسباب أشد من السب ؛ لأنه يذكر معايب غيره الموجودة فيه ويزيد عليها معايب ليست فيه ... أما السب فهو ذكر المعايب الموجودة فى صاحبها .

واضافة السباب إلى المسلم من باب إضافة المصدر إلى فاعله أو مفعوله ليكون المراد قائل السباب أو المقول له ، ففى الحالتين يكون السباب فسقا ، ويمكن أن يراد به الطرفين معا من باب المفاعلة ... ويكون فعل الطرفين فسقا وهذا يعنى أن أحدهما بدأ بالسب ، واعتدى الثانى عليه ، فوقع كل منهما فى الفسق ... وبهذا التصور لا يتعارض هذا الحديث مع قوله ﷺ : (المستبان ما قالا فعلى البادي منهما ما لم يعتد المظلوم)[١] **أى أن البادئ هو الفاسق ما لم يرد عليه الآخر ؛ لأنه برده عليه صار فاسقا مثل من سبه ابتداء .**

والفسق **خروج عن طاعة الله ورسوله ، وهو أشد من المعصية ؛ لقوله تعالى :** ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ ﴾[٢] **ففى الآية تنزل فى ذكر المعاصى من الأعلى إلى الأدنى .**

والمسلم والمؤمن فى هذا الحكم سواء ، وقد دل الحديث على تعظيم حق المسلم على أخيه .

وفيه الحكم بالفسق على من سب أخاه بغير حق ...

وفيه بيان إجماع الأمة على تحريم سب المسلم بغير حق ...

---

(١) سنن أبى داود . كتاب الأدب . باب المستبان ج٤ ص٢٧٤ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ٧ .

وفيه بيان ارتباط العمل والسلوك بالإيمان ، خلافا للمرجئة الذين ذهبوا إلى أن الإيمان إقرار فقط ولا صلة له بالأقوال والأعمال .

(وقتاله كفر) **القتال أشد ضررا من السباب ، لأن السباب إظهار للمعايب بالقول ، والقتال ضرب بالسيف والسنان الذى قد يؤدى إلى الموت ، كما تسمى المشادة العنيفة والمدافعة : قتالا ، ولذلك بالغ الحديث فى عقوبة المقاتل ، وعبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق ، وهو الكفر .**

فإن قيل : **كيف ينكر المسلم على أخيه ما يراه منكرا ؟**

أقول : **إنكار المنكر يكون بالأسلوب الحسن ، والرفق واللين فى الدعوة والطلب ، ولذلك كان التدرج فى الإنكار حتى لا يؤدى الانكار إلى منكر آخر مثله أو أشد منه .**

ولم يرد الحديث حقيقة الكفر المخرج عن الملة ، وانما أطلق عليه اسم الكفر مبالغة في التحذير معتمدا على ما تقرر من القواعد مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]

وقد أول العلماء هذا الكفر بأنه يكون للمستحل للقتل ، أو أنه من كفر الأخوة والنعمة ، أو أنه يأثم كإثم من كفر ، أو أن مآل من يستمر على هذا الخلق الكفر ، أو أن المراد بـ (كفر) المعنى اللغوي وهو التغطية ، لأن حق المسلم على المسلم أن يعينه ، وينصره ، ويكف عنه أذاه ، فلما قاتله كان كأنه غطى هذا الحق .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

ثم إن ذلك الحكم محمول على من فعله بغير تأويل ، أما من تأول القتال ورأى له سببا مشروعا ، فالأمر يحتاج من الوالى أن يقدره بقدره ، ويقف على حقيقته ، وصحة تأويله .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يقيم الإسلام مجتمعه على الحب والمودة ، وعلى أن يشعر كل فرد بأخوته لأخيه ، وأن يحب له ما يحبه لنفسه ، وأن يتجنب كل مسلم لعن غيره واظهار معايبه ، والتعدى عليه بالقول أو بالفعل ، ولهذا حدد الإسلام الأعمال والأحكام ، والمسئولية ، والجزاء .

وفى الحديث رمزية واضحة هى نهى المسلم عن التعدى على أخيه المسلم من ثلاث طرق :

أولاها : **تناول الحديث للأقوال والأفعال ؛ فعن الأقوال كان النهى عن السباب ، وعن الأفعال كان النهى عن القتال .**

ثانيها : **بيان العقوبة الشديدة لسباب المسلم ، ومقاتلته .**

ثالثها : **إيراد الحديث بصيغة الخبر الذى يفيد الإنشاء للدلالة على ثبات الحكم وتأكيده .**

وقد اهتم رسول الله ﷺ بدعوة الناس إلى التمسك بالخلق القويم ، وكان إذا رأى فى أحدهم منقصة ، نصحه ، وأرشده إلى تركها ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم أسرع الناس إلى الطاعة والاستقامة ، ولذلك خلا مجتمع المؤمنين من السباب والفسوق ، والعدوان .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

يبين الحديث أن المسلم أخو المسلم؛ يعينه ، ويحفظه ، ويدافع عنه، ولا يسبه ، ولا يقاتله حتى لا يكون خارجا عن طاعة الله تعالى ، ولا مستحقا عقوبة الكافرين .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن الحديث ركيزة هامة ... هى :

تماسك الأمة المسلمة

يتعامل الإسلام مع الفطرة النقية ؛ فقد خلق الله الإنسان بدوافع فطرية ، وغرائز كامنة ، فأقرها ، ونظم سلوكها ، وأشبعها بالحلال المشروع ، وأحاطها بالقيم العالية ، وسما بها إلى الحياة الإنسانية الراقية .

فشرع الزواج ، ورزق الآباء بالأبناء ، وملأ الكون بخلق الله ، وجعل الخلق شعوبا وقبائل لتتعارف وتتعاون ، فى إطار تميز كل فريق بذاته ونسبه ... وتكونت القبيلة من بطون ، وتكون كل بطن من أسر ، وتكونت كل أسرة من أفراد ، وبذلك يتصل الفرد بغيره بأخوة النسب ، أو بأخوة الأصل والإنسانية ، أو بأخوة الدين ... وهكذا .

وجمعت الحمية الفطرية أفراد الأسرة لتقوم بدورها فى حماية حقوق الأسرة ، والمحافظة على الجماعة الكبيرة ... ويجب أن تمتد هذه الحمية

لتشمل كل تجمع بشرى بمسمياته المختلفة مثل الوطن ، والأمة ، والعالم كله .

إن الحمية للأسرة ، والالتزام بحقوقها ضرورة لصيانة الحقوق فى المجتمع كله ، وحماية للوطن فى جملته ... وحماية للأمة فى بقائها ، وقيامها بدورها ؛ لأن فقدان هذه الحمية يجعل الفرد بلا هوية ، ويحول الأفراد إلى أجساد تتحرك بلا هدف من غير حماس فى العمل وبلا جدية فى الأداء .

إن فقدان الحمية يؤدى إلى الضياع للفرد والجماعة ، ويعزل المسلم عن سائر الناس .

ولقد حاولت الشيوعية إيجاد مجتمع بعيد عن التماسك الأسرى بواسطة شيوع المرأة والمال ، إلا أنها لم تتمكن من ذلك ، واصطدمت مع الفطرة الإنسانية فانهارت وعادت إلى نظام الأسرة والاقتصاد الحر .

ودل ذلك على حسن ما شرعه الإسلام من ضرورة المحافظة على الأخوة بين المسلمين والمحافظة على الحقوق والواجبات .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير الحديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) حياة المسلم سلام كلها فكلامه حسن ، وفعله حسن فهو بعيد عن الفحش والتفحش ؛ لا يسب أخاه ولا يقاتله .

(٢) إيراد الإنشاء فى صيغة الخبر من الوسائل البليغة فى الدعوة إلى الله تعالى .

(٣) يحقق الخلق الكريم ما لا يحققه العدوان القولى أو العملى ، ولذلك دعا الله إلى ذلك فقال تعالى : ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[١] **ودعا إلى العمل الصالح قرين دعوته للإيمان .**

(٤) انتشار الخلق الكريم ، والأعمال الحسنة هى الطريق لصلاح الفرد والجماعة .

(٥) المسلم الصادق طاهر اللسان ، نظيف اليد . يسلم المسلمون من لسانه ويده .

(٦) يسمو الإسلام بأتباعه ويبعدهم عن السباب والفسوق ، والقتال ، والضلال .

(٧) يصون الإسلام الأعراض ، والنفوس وكافة الحقوق .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٨٣ .

ـ ٢٢ ـ

٢٨ ـ باب لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض

[٤٤] ، (١) / ١٢١ حديث جرير ﷺ أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع : استنصت الناس .
فقال : لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض[١] .

[٤٥] ، (٢) / ٦١٦٦ حديث ابن عمر رضى الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : ويلكم . أو ويحكم . لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة توحد الأمة الإسلامية ، وتجنب التخاصم والعداوة بين بنيها .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يحدد جرير ﷺ زمن ومكان سماعه للحديث فيبين أنه وقع فى حجة الوداع ، عند العقبة ، يوم النحر ، حيث أمره النبى ﷺ أن يجمع الناس

---

(١) أخرجه البخاري في : ٣ كتاب العلم : ٤٣ باب الإنصات للعلماء ، وانظر الحديث في الأرقام التالية (٤٤٠٥ ، ٦٨٦٩ ، ٧٠٨٠) عند البخارى .

(٢) أخرجه البخاري في : ٧٨ كتاب الأدب : ٩٥ باب ما جاء في قول الرجل : ويلك ، وليس للحديث رواية أخرى في صحيح البخارى .

وقال له ﷺ : (استنصت الناس) **أى أن النبى ﷺ أمر جريرا ﷺ أن يطلب من الناس الإنصات ليسمعوا مقالته ﷺ ؛ لأهميتها ، ولضرورة الإنصات للفهم والعلم** والإنصات **يختلف عن السكوت ؛ لأنه يعنى السكوت ، والفهم ، والإدراك ، فقد يسمع الإنسان ولا يفهم ، وهو ساكت ، أما الإنصات فهو ملازم للفهم ؛ فالإنصات أعم من السماع .**

وقد وقع التفريق بين الإنصات والاستماع في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ ﴾[1] **فقد دلت الآية على أن معناهما مختلف ، فالسكوت يحصل ممن يستمع وممن لا يستمع ، كأن يفكر الساكت في أمر آخر ، وكذلك الاستماع فقد يتم مع السكوت ويكون معه كلام آخر يشتغل المستمع به ، ولا يفهم ما يسمع ، أما الإنصات فهو يعنى الاستماع ، والفهم ، والإدراك .**

وقد قال سفيان الثوري وغيره : أول العلم الاستماع ، ثم الإنصات ، ثم الحفظ ، ثم العمل ، ثم النشر .

وعن علي بن المديني أنه قال لابن عيينة : أخبرني معتمر بن سليمان عن كهمس عن مطرف قال : الإنصات من العينين .

فقال له ابن عيينة : وما يدرينى كيف ذلك ؟

قال : إذا حدثت رجلا فلم ينظر إليك لم يكن منصتا[2] .

(لا ترجعوا بعدي كفارا**) أى : لا تعودوا كفارا بعدي ، وهذا خطاب من النبى ﷺ لأصحابه قاله لهم يوم النحر بمنى فى حجة الوداع التى ودع فيها رسول الله ﷺ المسلمين ، وأوصاهم أن يبلغ الشاهد منهم الغائب ، وأراد**

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٤ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٢ ص٣٢٦ .

النبى ﷺ بوصيته تلك أن يحافظ المسلمون على ما بينهم من حب ، وتعاون ، وتناصر ، وأن لا يعودوا إلى ما كانوا عليه فى الجاهلية من تحارب وقتال لأتفه الأسباب ، ولغير هدف وغاية .

والمراد بقوله ﷺ : (بعدي**) أحد معنيين :**

أولهما : **أن يكون المراد : بعد تركك لمقامي هذا ؛ أى : لا تخلفوني فى أنفسكم بغير الذى أمرتكم به حينما تتركون مقامكم معي .**

ثانيهما : **أن يكون المراد : لا ترجعوا بعد موتي كفارا ، وكأنه ﷺ علم من ربه أن هذا لن يتحقق فى حياته ، فنهاهم من وقوعه بعد مماته .**

ولا مانع من إرادة المعنيين ، لأن صحابة النبى ﷺ مأمورون باتباعه ﷺ فى حياته سواء كانوا فى حضرته أو بعيدا عنه ، كما أنهم مأمورون وسائر أفراد الأمة بملازمة تعاليم رسول الله ﷺ على الزمن كله ... ولا تعارض بينهما .

(يضرب بعضكم رقاب بعض**) أى : لا تعودوا بعدي أعداء متقاتلين ، يقتل بعضكم بعضا ، ويضربه على رقبته ؛ حتى لا تكونوا كفارا بفعلكم ، والضرب على الرقبة كناية عن القتل ، وشدة الضرر .**

وقد تأول علماء أهل السنة معنى "كفارا" **ليتوافق المعنى مع مذهبهم فى أن الكبيرة لا تكفر ، فذهبوا إلى أن المعنى واحد من عدة احتمالات هى:**

(١) لا تستتروا بالسلاح فى مواجهة بعضكم بعضا ، لأن أصل الكفر التغطية والستر .

(٢) أو لا تشبهوا الكفار فى معاملاتهم فإن بعضهم يضرب البعض الآخر ؛ فهى كقوله تعالى : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ

ﷺ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ تُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[١] **فقد نزلت فى الأنصار حين حاول بعضهم نقض السلام مع البعض الآخر ، بسبب سعى اليهود بينهم بالفساد .**

(٣) أو لا تجحدوا حق إخوانكم فتضربوهم ، لأن الكفر هو الجحود ، ويكون المعنى لا تجحدوا ما علمتم من حرمة دمائكم فى خطبة الوداع التى قال فيها ﷺ : (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا)[٢] .

(٤) أو لا تكفروا بنعمة الله عليكم فقد ألف الله بين قلوبكم ، وأصبحتم بنعمته إخوانا ، فلا ترجعوا بعد ذلك أعداء متقاتلين .

وذهب بعض آخر من المحدثين **إلى أن المراد بالخطاب فى الحديث الذين ارتدوا بعد رسول الله ﷺ ، وكفروا حقيقة ، وعلى هذا لا يحتاج الحديث إلى تأويل ، ويكون المعنى : لا تتركوا الإسلام بعد موتى ، وهذا تضييق للمعنى ، وتوجيه الخطاب إلى مجموعة خاصة ، والأولى تعميم الخطاب لتشمل النصيحة سائر المسلمين ، ويتحدد المعنى بحال كل فريق .**

وقد روى أغلب المحدثين (يضرب) **بضم الباء على أنها مع ما بعدها جملة حالية للصحابة داخلة فى إطار نهى النبى ﷺ أصحابه أن يعودوا إلى الشجار ، والتنازع كما كانوا قبل الإسلام .**

وذهب البعض على رواية (يضرب) **بالجزم إلى أنها جواب شرط محذوف تقديره : (فإن ترجعوا يضرب بعضكم رقاب بعض) وبذلك يتحول**

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الحج . باب الخطبة أيام منى ج٨ ص٥١ ، ٥٢ .

النهى إلى نفى . والمعنى لا يضرب بعضكم رقاب بعض إن رجعتم إلى الكفر وبذلك ينصرف النهى إلى غير المنهى عنه لفظا ، ويبقى معنى النهى على ما هو عليه .

والنهى فى الحديث يدور حول أمر يمكن حدوثه فى نفسه ، وان كان

مستحيلا بغيره فقد حرمت الشريعة الإسلامية أن يقاتل المسلم أخاه ، وأحالته بينهم ، إلا أن وقوعه حال ضعف المسلمين ، وكثرة معاصيهم أمر ممكن ، وقد حدث كثيرا على امتداد التاريخ .

وجاء فى الحديث الثانى أن رسول الله ﷺ قال : (ويلكم أو ويحكم) **وظاهر هذه الكلمات الدعاء بالويل والهلاك والثبور ، إلا أن استعمالها شاع بين العرب للترحم والتعجب . يقول سيبويه :** ويل **تقال لمن وقع فى هلاك ،** وويح **تقال لمن أشرف عليه ، ويستعملهما العرب للترحم**[1] .

ويقول الهروى : ويح **لمن وقع فى هلكة لا يستحقها فيترحم عليه ،** وويل **لمن وقع فى** هلكة **يستحقها فلا يترحم عليه .**

وشك البخاري فى الرواية جعله يورد اللفظين ليؤكد أن معنيهما واحد ، وأنه لا مانع من وضع أحدهما مكان الآخر وأنه يوردهما بيانا للأمانة فى النقل والتحمل .

وكلمة (ويحكم) **تفيد التعجب أو الذم ، والسياق يحدد المعنى المراد منها والسياق يبين إن كانت الكلمة للتعجب أو الذم .**

وأصل الكلمة (وي) أضيفت إليها الحاء واللام قبل ضمير الجماعة لتسهيل النطق ، وتوضيح المعنى .

---

(١) إكمال إكمال المعلم ج١ ص١٧٨ ، ١٧٩ .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تدور أحاديث الباب مع طبيعة الإنسان ، وخصائصه ، فمعه نفسه الأمارة بالسوء ، ومعه شهواته التى تغلبه أحيانا ، وتنسيه ما وجب عليه ، وتعيده إلى العصبية البغيضة ، والعنصرية الظالمة ، وبخاصة أن خصوم الإسلام يعملون على إحياء ما بلى من عادات جاهلية قديمة .

وتعد أحاديث الباب من كليات الإسلام ومبادئه العامة ، فلقد ورد الحديث فى خطاب رسول الله الجامع الذى نصح فيه رسول أمته فى حجة الوداع ، ودعاهم إلى ضرورة التماسك ، والتعاون ، والمحافظة على حقوق الأخوة التى حددها الله تعالى فى وحيه المنزل على رسول الله ﷺ ، ولأهمية الموضوع طلب النبى ﷺ من جرير ﷺ أن يطلب من الصحابة الاستماع والإنصات لقوله ﷺ ، والانتباه إلى نصحه ﷺ : ليدركوا معناه ، ويعوا تعاليم الله لهم . فقد يسمع الإنسان أمرا وهو مشغول بغيره ، وقد يستمع ولا يفهم ، ولذلك كان طلب النبى ﷺ أن ينصتوا .

ويأتى الحديث فى إطار الخطبة الجامعة التى خطبها رسول الله ﷺ أصحابه فى يوم النحر عند العقبة ؛ إذ قال لهم بعد أن جمعهم جرير ﷺ :

أيها الناس : أتدرون أى يوم هذا ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : أليس يوم النحر ؟

قالوا : بلى .

قال : أى شهر هذا ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : أليس بالبلد الحرام ؟

قالوا : بلى .

قال ﷺ : فإن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد ثم قال ﷺ : لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض[١] .

وقد حذرهم النبى ﷺ من التنازع ، والتحارب ، والتقاتل لتستمر وحدتهم ، ويعز شأنهم ، وينتصروا لعقيدتهم ودينهم . يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[٢] . **ويقول النبى ﷺ :** (والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه)[٣] ... **والله الموفق** .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة تمسك كل مسلم بحب أخيه ، فلا ينازعه ولا يقاتله حتى لا يقع فى الإثم ، ويشبه الكافرين .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الحج . باب الخطبة أيام منى ج٨ ص٥١ ، ٥٢ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية ٤٦ .

(٣) صحيح مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة .. باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ج٤ ص٢٠٧٤ .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

أهمية وحدة الأمة

يربى الإسلام أمته على قيم الخير ، ويأمرها بمكارم الأخلاق ، ويدعو سائر المسلمين إلى التماسك ، والتعاون ، والاتحاد ، والتعارف ، ويحث كل مسلم على أن يكون فى نصرة أخيه ، ومساعدته . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[١] **، ويقول سبحانه :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾[٢] **ويقول سبحانه :** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[٣] **، ويقول النبى ﷺ :** (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[٤] **، ويقول ﷺ :** (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٥] .

إن تعاليم الإسلام موجهة إلى الجماعة ليقيمها كل فرد فى جماعته ، وذلك لصناعة مجتمع ، متحد فى الفكر والشعور ، متحد فى الأهداف والغايات ، متحد فى الحركة ، والعمل ، والنشاط ، وبذلك تتحقق الوحدة فى الضمير قبل أن تظهر فى العمل والسلوك .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٩٢ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٣) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٤) صحيح البخارى . كتاب الصلاة . باب تشبيك الأصابع في المسجد ج١ ص١٠٣ .

(٥) صحيح البخارى . كتاب الإيمان . باب من الإيمان أن يحب لأخيه ج١ ص١٢ .

إن أحداث التاريخ تؤكد أثر الاتحاد فى النجاح والاستقرار ، والوصول إلى الآمال ، وتحقيق الغايات ، وما تحققت للمسلمين قوة ودولة إلا بعد أن تلاقى المهاجرون والأنصار ، واتحدوا فى أخوة جادة ، صنعت منهم خير أمة أخرجت للناس ، وأعانهم الله لصدقهم ، فنشروا الحق والعدل بين الناس أجمعين .

والمسلمون فى العصر الحديث فى أمس الحاجة إلى بناء قوى متين يعتمد على تعاليم الإسلام ، ويحقق وحدة الأمة ، ويهجر ما وضعه أعداؤهم من خطط لئيمة لتدميرهم ، وهزيمتهم .

إن حال المسلمين اليوم بئيس ، ووضعهم مؤلم ، فالشقاق والنفاق منتشر بينهم ، حتى عادى المسلم أخاه وجيرانه ، والعاملين معه ... ووصل الأمر فى أوطان المسلمين إلى التشرذم ، والصراع ، والقتال .

لقد غفل المسلمون عن مخططات الصهيونية ، والصليبيين حتى صاروا لعبة فى أيديهم ، وأضحوكة بين الناس .

هل يتصور عاقل واع أن يتحول مسلم ما نصيرا لليهود الذين احتلوا أرض المسلمين ، واستولوا على بيت المقدس ؟ ...

وهل كان يتوقع أحد أن ينادى مسلم برفع رايات الكفر والإلحاد بين جماعات المسلمين ؟ ...

وهل كان يتصور أحد أن يعمل مسلم على قتل أخيه المسلم بمسمى الإسلام ؟ ...

لو اتبع المسلمون الحق ، وطبقوا نصح رسول الله ﷺ لهم لعاشوا أعزة أقوياء ، يصونون حقوقهم ، ويحمون دينهم ، ويعتزون بقيم الخير والفضيلة ، وينشرونها بين الناس .

ومن كل ما مضى ، وما هو حاضر ، وما سيأتى ندرك عظمة النصيحة النبوية الواردة فى أحاديث الباب (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) .

إن قتال المسلم للمسلم عودة إلى الجاهلية ، وانتكاسة عن الحق ، والأمل أن يستيقظ الضمير الإسلامى ، وينهض المسلمون ، ويعودوا إلى مجدهم التليد ويسترجعوا عزهم الضائع ، ويتحدوا صادقين ؛ لنصير كما كنا ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] .

الركيزة الثانية

دروس فى منهجية الدعوة إلى الله تعالى

تدعو أحاديث الباب المسلمين إلى الوحدة ، والمودة ، والتماسك ، وتقدم دروسا منهجية فى الدعوة إلى الله تعالى ... وأهمها :

(أ) **الاستفادة من الظروف الممكنة للدعوة إلى الله تعالى ، فلقد خطب رسول الله ﷺ المسلمين يوم اجتماعهم عند العقبة فى يوم عيد النحر عام حجة الوداع حيث الظروف مهيأة ، والنفوس خاشعة ، والحجيج متجهون إلى الله تعالى ، وهم يعلنون التلبية والطاعة ، ويظهرون العبودية القانتة لربهم .**

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

يقف رسول الله ﷺ فى هذا الجمع الحاشد ، يعرفهم بوصاياه ونصائحه الهامة ؛ حتى يستقيموا عليها ، ويحققوا نصر الله فى أقوالهم ، وأعمالهم ومختلف أنشطتهم .

(ب) **تهيئة الناس لاستماع النصيحة ، وفهمها للعمل بها ، ولذلك طلب ﷺ من جرير ﷺ أن يطلب من الناس الإنصات لرسول الله ﷺ ليسمعوا ، ويعوا ، ويعملوا ... فلقد كانوا جمعا غفيرا فى منى ، وكان إنصاتهم ضروريا لتصل مواعظ رسول الله ﷺ إليهم جميعا ويدركوا معانيها .**

(ج) **توجيه الخطاب إلى الجميع ، وتوجيهه إلى كل فرد ، وتخويفهم من المصير المحزن إذا خالفوا رسول الله ﷺ فى هذا الأمر الهام .**

(د) **تكليف المسلمين بمسئوليتهم عن دين الله على أن يعلموا غيرهم ما علموه ، ويبلغوا الآخرين ما رأوه وشاهدوه ، ولذلك قال لهم ﷺ عقب موعظته :** (ليبلغ الشاهد منكم الغائب) **وبذلك تصل النصيحة النبوية إلى سائر الناس ، ويقوم كل مسلم بمسئوليته عن دين الله تعالى ، وهذه قضية يجب أن يعيشها كل مسلم ، لأن الله كلف الإنسان بدينه ، وجعله أمانة يتحملها ، ورزقه العقل ، والإدراك ، وامكانية التخطيط ، والقيادة .**

وهذا ما يميزه عن سائر المخلوقات على ضخامتها ليتحمل الأمانة الدينية ، ويقوم بالمسئولية عن الإسلام الذى آمن به .

يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[1]

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ .

فالأمانة هى تحمل دين الله تعالى ، وأساس تحملها الطاقات والملكات والقدرات التى خص الله الإنسان بها دون سواه ، وعليه أن ينهض بهذه الأمانة ، ويحافظ عليها ، ولا يترك للشيطان سبيلا عليه حتى لا يدفعه إلى الظلم والجهل .

(هـ) التحذير الشديد من انتكاسة المسلمين عن الحق ، وبعدهم عن طريق الله تعالى ، وتحولهم إلى أعداء متقاتلين يضرب بعضهم رقاب بعض ، لأن هذا العداء يشبههم بالكافرين ، ويجعلهم مستحقين لعقوبات الله تعالى .

إن مخططات أعداء الإسلام تعمل على إيقاع الحرب والقتال بين المسلمين عن طريق الجهل بالإسلام ، ونشر حرية الخلاعة والهوى واللعب بين المسلمين ، وايجاد عادات ضارة ، وسلوكيات فاسدة بين الأفراد ، ومتابعة الإفساد ، وتسويقه بواسطة إعلام موجه ، وعملاء لهم يغرونهم بالمال والسلطان ، واللذائذ ، والشهوات .

وقد تمكنوا من ذلك إلى حد بعيد ... ويكفى تأمل حال أى بلد إسلامى لنرى تبعيته ، وخضوعه لغير تعاليم دين الله تعالى .

إن الأمة اليوم تحكم بغير شرع الله ، ويسيطر عليها أناس لا يعرفون شيئا عن دين الله ... ويكفى ما نرى من ارتفاع شأن الفاسدين والمفسدين.

إن تخويف المسلمين من عمل السوء منهج فى الدعوة إلى الله تعالى يجب الاهتمام به ... ويجب أن يتمكن العلماء والدعاة المخلصون من تبليغ الناس دين الله تعالى ، وازاحة المفسدين عن طريق الدعوة والبلاغ .

الركيزة الثالثة

حيوية مواعظ النبى ﷺ

أحاديث الباب قالها رسول الله ﷺ فى حجة الوداع ، وكان المسلمون يومذاك على قلب رجل واحد ، منتصرين بالحق ، وقد تطهرت الجزيرة من غير المسلمين ، ولم يعد فيها دين آخر غير الإسلام .

فى هذا الجو الملىء بالانتصار والتمكين يحذر رسول الله ﷺ أصحابه ، وأمته من الانكسار ، والهزيمة عن طريق التفرق ، والتقاتل ، والتخاصم الذى وقع بين المسلمين بعد ذلك ... فظهر بذلك حسن العلاج الذى وضعه الرسول ﷺ كما هو فى أحاديث الباب .

وحين يكبر الانقسام ، ويتسع الخرق ، وتقع الأمة فى حبائل العداوة يظهر رسول الله ﷺ بمواعظه تلك منبها ، ومرشدا ومحددا طريق الخلاص والفوز ، ويؤكد حيوية الحديث ، وصلاحية تعاليم الله تعالى للناس جميعا فى كل زمان ومكان .

ألا ...

يا ليت قومى يعلمون ، وليتذكر أولو الألباب .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تتضمن أحاديث الباب عددا من الفوائد ... منها :

(١) المسلمون فى كل مكان وزمان ملتزمون بما عاهدوا عليه الله ورسوله ، لأن نكوص العهد كفر بنعمة الإسلام يستحق فاعله عقوبة الكافرين

(٢) عموم الخطاب فى الحديث يفيد توجه الخطاب إلى كل مسلم ومسلمة

(٣) ضرورة الاستفادة بالظروف والمناسبات الخاصة للنصح والإرشاد فكلما كانت العوامل مساعدة كان الوعظ أبلغ وأنجح .

(٤) من الضرورى مناسبة العقوبة للجريمة ليكون التحذير بالعقوبة رادعا . يقول الله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾[١] .

(٥) من المهم تحديد القواعد والأسس المنظمة لأى عمل قبل البدء ؛ ليعلم كل فرد فيه مسئوليته .

(٦) كل مسلم مسئول عن حق أخيه ، يعاونه فى الحصول عليه ، وينصره إن احتاج لنصير أو معين .

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

ـ ٢٣ ـ

٣٠ ـ باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء

[٤٦] ، (١) ٨٤٦ حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ ، قال : صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة ، فلما انصرف (من صلاته) أقبل على الناس .

فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يدور موضوع حديث الباب حول بعض الأخطاء التى يقع فيها المسلمون مثل نسبة الخلق والقدرة إلى غير الله تعالى ، وضرورة الحذر فى هذه المواقف .

---

(١) أخرجه البخاري في : ١٠ كتاب الأذان : ١٥٦ باب يستقبل الإمام الناس إذا سلّم ، وانظر الحديث في الأرقام التالية : (١٠٣٨ ، ٤١٤٧ ، ٧٥٠٢) .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول زيد بن خالد ﷺ راوى الحديث : (صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية) **أى : صلى رسول الله ﷺ الصبح إماما بنا طاعة لله تعالى وفى هذا القدر من الحديث مجاز فى اللام فهى بمعنى الباء ، لأن الصلاة لا تكون إلا لله تعالى ، وحدد الراوى الصلاة بأنها صلاة الصبح ، وحدد المكان بأنه الحديبية ، والمعنى أن رسول الله ﷺ صلى الصبح بأصحابه إماما في الحديبية وهم ينتظرون دخول مكة لأداء العمرة .**

و (الحديبية) **سهل يقع غرب مكة ، ويبعد عنها بعشرة أميال ، يقع أغلبه في الحرم ، وأقله في الحل ، وهو تصغير (حدب) سمى باسم شجرة حدباء كانت فيه ، وتسميته إشارة إلى صورته الجغرافية فهو على شكل رجل ينحني وتشدد ياؤه الثانية أو تخفف على قراءتين للعرب[١] ، وقد نزل ﷺ فيه مع أصحابه حينما جاء من المدينة إلى مكة قاصدا العمرة ، وقد ساق الهدى أمامه فمنعه أهل مكة من دخولها ، وتصالحوا معه على أن يرجع إلى المدينة عامه هذا ، ويأتى العام القادم لأداء العمرة ، وقد أدى النبى ﷺ وأصحابه عمرة القضاء فى العام القادم ... والى الحديبية ينسب الصلح الذى تم فيها بين رسول الله ﷺ وأهل مكة .**

(على إثر سماء كانت من الليلة) **أى : عقب مطر نزل عليهم ليلا ، وكانوا فى أشد الحاجة إليه بالحديبية فسقاهم وطهرهم ، وأكرمهم الله به .**

---

(١) ومثل ذلك في التخفيف والتشديد راء (الجعرانة) وياء (المسيب) .

و (إثر) **تنطق بهمزة مكسورة ، وثاء ساكنة ، أو بفتح الهمزة والثاء معا ، وتسمية المطر بالسماء مجاز ، علاقته : المحلية والحالية .**

فى هذا الوقت والحالة هكذا كان الصحابة على ذكر تام بنعم الله تعالى ، يرجون رحمته ، نصحهم رسول الله ﷺ ولقنهم درسا فى الإيمان ، والتسليم بقدر الله تعالى .

(فلما انصرف أقبل على الناس) **أى : لما انتهى ﷺ من صلاته ، وذهب لغيرها ، أو ترك مكانه الذى كان يصلى فيه** ... والأولى الأول **لأن من فقه الإمام أن يغير جلسته عقب صلاته ، ويتجه للناس ليعلم القادم أنه انتهى من صلاته .**

(فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟) **أى : قال ﷺ عقب إقباله على أصحابه مباشرة ، وسألهم للتنبيه ، وجذب اهتمامهم ليلتفتوا إلى ما سيقوله لهم وليعلموا شيئا من الدين ... سألهم : هل تعلمون شيئا مما قال ربكم عنكم فى هذه الليلة ؟**

(قالوا : الله ورسوله أعلم) **أجاب الصحابة رسول الله ﷺ بأنهم لا يدرون شيئا عن قول الله تعالى الذى سألهم عنه رسول الله ﷺ ... فعلم الغيب لله ، ورسول الله أعلم منهم بما يوحى الله به .**

فبين لهم رسول الله ﷺ أن الله تعالى (قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) **أى : قال لهم ﷺ ما قاله الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه : صار من عبادى بسبب نزول المطر مؤمن بي ، وكافر بي .**

واضافة العباد هنا إلى ضمير الله إضافة عموم ، تشمل الناس جميعا بدليل أن منهم المؤمن والكافر ، وعموم الناس يشمل هذا وذاك فالكل عبيد

لله تعالى بخلاف قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾[1] **لأن الإضافة فى الآية** إضافة مخصوصة **بعباد مخصوصين تعبدوا لله ، وأخلصوا فى الاستقامة والطاعة ، فشرفهم الله بالإضافة إليه تشريفا لهم ، وتقديرا لإخلاصهم واستقامتهم .**

(فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب) **أى : من فتح الله صدره ، وأنار عقله وبصيرته ، وأقر بالحق ، وشهد به ، وبين أن الله هو منزل المطر ، ومجرى السحاب فقد أعلن بذلك إيمانه بالله تعالى ، وأظهر أن الكواكب لا أثر لها فى نزول المطر فهى خلق من خلق الله تدور فى فلكها الذى قدره الله لها ، وتؤثر فى الكون بأمره سبحانه وتعالى .**

والنوء : **نجم يطلع من المشرق ويسقط فى المغرب ، وعدد الأنواء ثمانية وعشرون نجما ، وهى منازل القمر التى تستغرق العام كله ، لأن كل نوء يمكث فى فلكه ثلاثة عشر يوما ... وكان العرب قبل الإسلام يعتقدون أن طلوع النوء أو سقوطه سبب لنزول المطر ، وحدوث تغيرات بيئية ، فلما جاء الإسلام أبطل ذلك الاعتقاد ، وبين أن فاعل كل شىء هو الله الخالق العظيم .**

(وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب) **أى : أما من قال : أمطرنا بالنوء والنجم فقد كفر بالله ، وآمن بالكوكب الذى جعل له إيجادا وخلقا .**

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٤٢ .

وبذلك بين رسول الله ﷺ أن من ادعى قدرة وخلقا لغير الله تعالى ، فقد كفر به سبحانه ، وآمن بما أثبت له قدرة وايجادا .

وفى الحديث عدد من الملحوظات :

الملحوظة الأولى : **الحديث يبين أن من اعتقد قدرة الكواكب فى إنزال المطر ، فهو خارج عن الملة ؛ لإيمانه بوجود قادر على الفعل غير الله تعالى سواء عبر عن كفره بقوله ، أو اعتقده ولم يصرح به .**

يقول الشافعى ﷺ : من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، على ما كان بعض أهل الشرك يقولونه ، ويعنون به إضافة المطر إلى النوء ، فذلك هو الكفر ؛ لأن النوء وقت ، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئا[1] .

الملحوظة الثانية : **من قال : مطرنا بنوء كذا ، يقصد وقت النوء وزمنه ، لا أنه هو الفاعل ، فلا شىء عليه ، لأنه لم يقصد ظاهر اللفظ ، والمستحب للقائل أن يستعمل ألفاظا غير موهمة لغير المعنى المقصود ، وفى اللغة مجال واسع للتعبير الصحيح .**

الملحوظة الثالثة : **ضرورة تنبيه الناس إلى كل أمر يتعلق بعقيدتهم ليعلموا ما يقويها ويصونها ، ويبتعدوا عن كل ما يضعفها ، أو يضيعها من الأقوال والأفعال .**

الملحوظة الرابعة : **يتضمن الحديث فى شطره الأخير حديثا قدسيا هو قوله تعالى** : (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال : مطرنا

---

(١) انظر شرح النووى بشرح صحيح مسلم ج٢ ص٦٠ .

بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا ، فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)[١] .

والفرق بين الحديث النبوي والحديث القدسى **أن الحديث القدسى ينسب إلى الله تعالى برواية النبى ﷺ ، ولفظه ومعناه من عند الله تعالى إلا أنه لا يتعبد بتلاوته فى الصلاة . أما الحديث النبوي فمعناه من عند الله ، ولفظه من عند رسول الله ، ولا يتعبد بتلاوته فى الصلاة .**

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

عاش العرب قبل الإسلام فى جزيرتهم الصحراوية عيشة البدو ، يسكنون الخيام ، ويرحلون حيث الكلأ والمرعى ، ويسترشدون بالكواكب والنجوم ، ويرون فيها قدره وقوة ، وكانوا يحتاجون إلى المطر فى باديتهم الواسعة ، وصحراواتهم المجدبة ، ولذلك ربطوا مجيء المطر بالنوء والكوكب ، حتى اعتقدوا فى الكوكب قدرة تغيثهم ، وتنزل المطر عليهم ... فلما جاء الإسلام عرف الناس أن كل ما يحدث فى الكون من خلق الله تعالى ، وأن كل موجود ما عدا الله حادث خلقه الله تعالى .

فلما جاء الصبح ليلة الحديبية ، وكان المطر قد نزل ليلا رغب ﷺ أن يعرف الناس بفضل الله تعالى ، وأراد أن يبين لهم مواطن الإيمان الصحيح ، ويحذرهم مما كان الجاهليون يرونه فى القدرة والإيجاد للنوء والكوكب حتى

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الأذان . باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ج١ ص١٦٩ .

يلتزموا بأصول الإيمان الصحيح ، وينسبوا كل حادث موجود لخالقه ، وهو الله رب العالمين فصلى بهم صلاة الصبح ، وأقبل عليهم ، وسألهم وهم يعيشون نعمة نزول المطر ، ليقروا بفضل الله ، ويتعلموا كيفية التعامل مع قدرة الله تعالى ، ويتركوا ما كان الجاهليون يعتقدونه ، ويقولون به .

إن مقالة الرسول تربية وتعليم ، وتوضيح لأحكام الإيمان ، فلقد قال النبى ﷺ قوله هذا لصحابته المؤمنين بيانا لهم ، وتوضيحا للأمة من بعدهم حتى لا يقعوا فى الشرك وهم لا يعلمون .

لقد بين الرسول ﷺ أن فاعل كل شيء هو الله ، ولا يصح نسبة فعل ما إلى قدرة غير قدرة الله تعالى ، فالله سبحانه وتعالى : ﴿ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١] **وهو سبحانه :** ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[٢] **و** ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[٣] **و** ﴿ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[٤] .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث أن الله خالق كل شيء ، وأن من يزعم خلقا لغير الله مصدقا لزعمه فهو كافر ، خارج عن الملة، مخلد فى النار، كما يبين الحديث بعض طرق الدعوة إلى الله تعالى ، وكيفية تنبيه العقل البشرى وايقاظه من غفلته

---

(١) سورة الصافات ، الآية ٩٦ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٠٢ .
(٣) سورة الروم ، الآية ٤ .
(٤) سورة القصص ، الآية ٨٨ .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى
بيان أن الخلق كله لله تعالى

الله خالق كل شيء ، وهو على كل شيء قدير ، تلك هى العقيدة الخالصة التى يجب أن تستقر فى ضمير كل مسلم ، وتظهر فى أقواله وأعماله ، وبذلك يتخلص المسلم من عادات الجاهلية ، وتخرصها ، وظنونها ، ويعود بكليته لله تعالى ، وهذا الاعتقاد الواجب لله تعالى يحقق الفوائد التالية :

(١) تسليم الأمر لله ، والرضا بالقضاء والقدر ، فلله فى كل أمر حكم ، وله فى كل فعل حكمة ، وتسليم الأمر للعليم يريح النفس ، ويهدئ الضمير ، لأن الإيمان بأن الخلق كله لله ، وهو العليم الحكيم يحقق الرضى والتسليم .

(٢) وقوف الإنسان عند حدود عبوديته ، فهو مخلوق لله تعالى ، وطاقته أن يعبد ربه ، ويفكر فى طاعته ، ويدعو خالقه لما يريد ويتمنى فى ثقة بأن الله يسمع دعاءه ، ويعلم حاجته ، ويعطيه ما ليس يدركه ، وهذا شأن يمكنه من العمل الهادئ ، وعدم التأثر بالنتائج . يقول الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ

مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[١] .

ولهذا كان من حسن مواقف إبراهيم عليه السلام حين جاءه الملك يسأله حين قذفوه فى النار ، وقال له : ألك حاجة ؟

حينذاك أجاب إبراهيم عليه السلام الملك وقال له : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فعلمه بحالى يغنى عن سؤالى[٢] .

فقال الله للنار : ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[٣] .

إن اليقين بأن الله خالق الهمة فى الضمير ، واللفظة على اللسان ، والفعل فى الجوارح ، والوجود كله متى كان ... وأين يكون ... وكيفما يكون كل ذلك دافع إلى ملازمة المصدر القوى ، والحرص على طاعته ليحقق للمؤمن ما يتمنى ، ويجعل ما يريده ويرجوه واقعا ، وليس ذلك على الله ببعيد

إن الصدق فى الطاعة هو المنهج الصحيح لتحقيق الآمال ، وأساس هذا الصدق التسليم المطلق بأن الله خالق كل شيء . يقول الله تعالى فى الحديث القدسى : (وما زال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وان سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه)[٤] .

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) التنوير في إسقاط التدبير ص٦٥ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٦٩ .

(٤) صحيح البخارى . كتاب الرقاق . باب التواضع ج٨ ص١٠٥ .

وان أقواما غرتهم الأمانى ، فتصوروا لمخلوق حادث قدرة ، فضلوا وأضلوا ، وكم فى الكون والوجود من أعاجيب تؤكد أن الله على كل شيء قدير ، وأن الأمر كله بيده يقول للشيء : كن ، فيكون .

إن المخلوقات جنود لله تحكمها قدرة الله ، وتسيرها إرادته ، وليس لعاقل من عمله إلا الميل والكسب .

وحينما ينظر العاقل لتاريخ ذاته ، لوجد نفسه قد قام بعمل لم يكن يرغبه وكان فيه فلاحه ، وفوزه ! ... وكم من عمل عجز عن فعله ، وكان يتمناه ، وكان فيه الضياع والخسران لو قام به ...!

إن الله خلق الموت والحياة ، والدنيا والآخرة ، وأجرى السحاب ، وطير الطير ، ووزع الموجودات فى الكون كله على أنحاء شتى ، وعلى أوجه متعددة ... ولا يمكن لعالم أو عاقل أن يدعى لبشر صنع شيء فى هذا الوجود المخلوق ، وليس لهم إلا الوصف ، وفهم مسارات الوجود ، والواجب عليهم تقرير قدرة الله تعالى فى كل مخلوق ، ليعرف العاقل قدرة الله من خلال النظر فى التساؤلات التالية :

- **من خلق الذكر والأنثى ؟**
- **ومن رفع السماء بلا عمد ؟**
- **ومن وضع الشفاء فى العسل ؟**
- **ومن خلق الورود مختلفة الألوان والأشكال والصور ؟**
- **ومن هدى الطيور لأعشاشها ؟**
- **ومن علم الأسماك والحيتان العودة لمواطن نموها وبيضها ؟**

كل ذلك وغيره كثير هو فعل الله ، يقدره بعلمه وحكمته ، وهو على شىء قدير .

الركيزة الثانية
من منهجية الدعوة إلى الله تعالى

يشير حديث الباب إلى ملامح لابد منها فى منهج الدعوة إلى الله تعالى ... منها :

(١) الاستفادة بما يخلق الله للناس فى الدعوة ، **فلقد كان القوم فى الحديبية فى حاجة إلى الماء ، يغتسلون منه ، ويشربون ، ويسقون إبلهم وهديهم ، فلما أغاثهم الله تعالى بالماء ، وأنزل لهم المطر ، أتاهم رسول الله ﷺ يذكرهم بفضل الله عليهم ، ويبين أن الله أغاثهم بالمطر ، وفى ذلك بيان لفضل الله وعطائه ليتعظ الناس ويمتنوا صلتهم بربهم العظيم .**

(٢) تصوير الواقع وبيان القول الذى يحسن قوله عند ظهور نعم الله تعالى ، **فلقد علق المسلمون على نزول المطر كعادتهم من قبل ، فأتاهم رسول الله ﷺ ، وعرفهم بهذا الواقع ، وبين لهم أن الله منزل المطر ، ومجرى السحاب ، وبين ضرورة الإقرار بذلك فى الأقوال والأعمال ، ووضح لهم المنهج الصحيح فى أهمية إسناد الخلق كله لله .**

(٣) تحرير الصواب من الخطأ ، **بين رسول الله ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم ما يصح من فعل وقول ، وعرفهم أن نسبة الخلق إلى غير الله أمر لا يجوز ، فمن قال : أمطرنا بالنوء ، معتقدا ذلك ، فهو كافر**

، ومن قاله يقصد زمن ظهوره فقد ارتكب إثما بقوله إلا أنه لا يكفر ، والأولى له أن يتحرى بقوله وفعله الحق والصواب .

(٤) ضرورة تناسب المشاعر مع الحقيقة ، **وهذه قضية ضرورية ، فالمشاعر إعلان ظاهر عن المجتمع والإيمان مثل الأذان فهو يدل على الصلاة ، والمسجد فإنه يدل على وجود المسلمين ، ومن هنا وجب أن تكون المشاعر القولية والعملية مرتبطة بالحقيقة الدينية ، ولهذا كانت ضرورة نسبة الخلق لله وحده ، ونفى القدرة عن جميع ما عدا الله تعالى .**

(٥) إعلان العبودية التامة لله تعالى ، **وذلك يكون بتحقيق قدرة المعبود وحده فى تصديق القلب ، وأقوال اللسان ، وعمل الجوارح ، والتوجه إليه وحده فى كل حركة وسكون . يقول الله تعالى :** ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣ ﴾[1] .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير الحديث إلى عديد من الفوائد ... منها :

(١) الله مطلع على عباده ، يعينهم حين الحاجة ، ويجيب المضطر إذا دعاه .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٦٢ .

(٢) ضرورة الاستفادة من الأحداث الطارئة ، والظروف العجيبة . خيرا أو شرا . فى التذكير بقدرة الله ، ودعوة الناس إلى الإيمان .

(٣) المسارعة فى التوجيه أولى من البطء والتأخير ؛ لأن طرق الحديد وهو ساخن أولى من تأخيره ؛ لأن فى التأخير غفلة ونسيان .

(٤) اختيار الألفاظ الدقيقة المعبرة عن الحقيقة أولى من الألفاظ الموهمة للحقيقة وغيرها ؛ لأنها لا تعبر عن المقصود ، ولربما وجهها معاند لما يفيد خصومته .

(٥) الوصول إلى الحق عن طريق الحوار والشورى أفضل من إملائها ، لأن التشاور يفعل المشاركة والإقناع .

(٦) يعيش العبد بين مخافتين ، بين ماض قد مضى لا يدرى ما الله قاض فيه ؟! وبين آت لا يدرى ما الله فاعل به ؟!! وكل ما عليه أن يصدق فى التوكل ، ويخلص فى الطاعة والاستسلام .

(٧) ضرورة الحذر فى الأقوال والأفعال حتى لا تأخذه الغفلة إلى الخطأ ، وتوقعه فيما لا يجوز .

(٨) من المهم الاكتفاء بالكلمات الواضحة الدلالة ، لأن استعمال الكلمات الموهمة لعدة معان تحتاج إلى التفصيل ، وبيان المقصود .

ـ ٢٤ ـ

٣١ ـ باب بيان الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان

[٤٧] ، (١) ١٧ حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار[١] .

[٤٨] ، (٢) ٣٧٨٤ حديث البراء ﷺ قال : قال النبي ﷺ : الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة حب الأنصار لقيامهم بنصرة رسول الله ﷺ وصيانة دين الله تعالى وحمايته ، كما توضح أن الحكم على إيمان المسلم يكون بمقدار حبه للأنصار ، فقد جعل الله هذا الحب علامة الإيمان ، وسببا لحب الله تعالى للمؤمنين .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (آية الإيمان حب الأنصار) **أى : علامة صدق الإيمان عند المسلم حبه للأنصار ، الذى يجعله يجلهم ، ويوقرهم ، ويعظم عملهم فى نصرة دين الله تعالى .**

---

(١) أخرجه البخاري في : كتاب الإيمان : ١٠ باب علامة الإيمان حب الأنصار ، وانظر الحديث في رقم (٣٧٨٤) .

(٢) أخرجه البخاري في : ٦٣ كتاب مناقب الأنصار : ٤ باب حب الأنصار .

والأنصار هم قبيلتا الأوس والخزرج ، الأخوان الشقيقان لأبيهما الحارث بن ثعلبة ، ولأمهما قيلة بنت كاهل من بنى عذرة ، وهم يمنيون من ولد قحطان ، لا من ولد إسماعيل عليه السلام .

وقد ظهرت تسميتهم بالأنصار بعد هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة فقد بايعوا رسول الله ﷺ فى العقبة على الحماية والنصرة ، وأوقفوا القتال بينهم واستعدوا لاستقبال إخوانهم المهاجرين ، ودخلوا فى الإسلام صادقين ، وآخى الرسول بينهم وبين المهاجرين ، واتخذوا الرسول ﷺ قائدا ورائدا ، ونصروا رسول الله ودينه ، فسماهم الله بالأنصار ، وزرع فى قلوبهم الإيمان . يقول الله سبحانه فيهم : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] .

وقد صار مسمى الأنصار خاصا بهم ، وأطلقه الإسلام عليهم ، وعلى أولادهم ، وحلفائهم ، ومواليهم .

وقد تميز الأنصار بهذه المنقبة العظمى دون غيرهم من القبائل بسبب إيواء النبي ﷺ ومن معه ، والقيام بأمرهم ، ومواساتهم بأنفسهم ، وأموالهم ، وايثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم ، وتحملهم معاداة جميع الفرق الموجودة من عرب وعجم .

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ .

إن العداوة تجر إلى البغض ، ثم كان ما اختصوا به مما ذكر موجبا للحسد ، والحسد يجر البغض أيضا ، فلهذا جاء التحذير من بغضهم **والترغيب في حبهم ، حتى جعل الله ذلك الحب آية الإيمان ، تنويها بعظيم فضلهم ، وتنبيها على كريم فعلهم ، وبيان أن كل من شاركهم في نصر رسول الله والإسلام يصير مشاركا لهم في الفضل المذكور ؛ كل بقسطه .**

والحكم على من يحبهم بالإيمان حكم على فعلهم ، وفعل من يحبهم ، فمن أحبهم فقد أحبهم لإيمانهم ونصرتهم لرسول الله والإسلام ، ولذلك كان حبهم علامة إيمان المحب ، ولا يدخل فى هذا الحب من أحبهم لقرابة ، أو لذواتهم كما أنهم لا يستحقون هذا الحب إن خالفوا ما هم فيه من إيمان ونصرة .

(وآية النفاق بغض الأنصار) **أى : وكما أن علامة الإيمان حب الأنصار فإن علامة النفاق بغض الأنصار ، بسبب ما قاموا به من نصرة لدين الله تعالى ، ولذلك كان من تكرار القول أن يبين الرسول ﷺ أن الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق ، وذلك فى حديث البراء ﷺ الذى قال فيه رسول الله ﷺ :** (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق) **وذلك لظهور ما لهم من السابقة والمنزلة من رسول الله ﷺ ومن الإسلام .**

(فمن أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله) **أى : وقد أعد الله جزاء حسنا لمن أحب الأنصار فأحبه ، وأعد عقوبة مناسبة لمن أبغضهم فأبغضه وعذبه .**

وحب الله معونة وتوفيق ، وغضبه حرمان وشقاء .

فإن قيل : **هل حب الأنصار يغنى عن حب رسول الله ﷺ وحب غيرهم من المؤمنين ؟**

أقول : **حب الأنصار يكون لحبهم لرسول الله وللمؤمنين ، ولذلك كان حبهم لا يغنى عن حب من كان سببا لحبهم ، وبخاصة أن الحديث خوطب به من يحب الله ورسوله والمؤمنين .**

وان قيل : **وهل كل من أبغض الأنصار يكون منافقا ، وان كان له سبب خاص به ؟**

أقول : **إن النفاق محمول على تقييد البغض باتصاف الأنصار بنصرتهم لرسول الله ﷺ ، أما إن كان البغض بسبب غير ذلك فلا نفاق فيه ، وهو مقدر بقدره ، يوضح ذلك قوله ﷺ :** (من أحب الأنصار فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم)[1] **... وحب الله للأنصار مرتبط بنصرتهم لله ورسوله واخلاصهم وصدقهم فى طاعة الله ، والاستسلام له ، فلو خالفوا ذلك فإن الله لا يحبهم ، وبالتالى لا يحبهم المؤمنون .**

وان قيل : **هل المطلوب حب الأنصار جميعا فردا فردا أم حب مجموعهم ؟**

أقول : **المطلوب حب مجموعهم لدينهم وصلاحهم ، وحبهم فردا فردا ماداموا فى إخلاصهم وصدقهم ، ولا يضر مع ذلك حدوث خلاف مع بعضهم والأولى انتهاء الخلاف بالقضاء على سببه .**

وان قيل : **لم جاء ذكر الأنصار دون ذكر المهاجرين ، وقد تركوا ديارهم وأموالهم وأهاليهم من أجل دين الله تعالى ؟**

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢ ص٧٩٢ .

أقول : **جاء ذكر المهاجرين ، وضرورة حبهم فى قوله تعالى :** ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾[١] ، **وفى قوله سبحانه :** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾[٢] **والصادقون هم المهاجرون ، وفى قوله ﷺ :** (احفظوني في أصحابي فمن حفظني فيهم كان عليه من الله حافظ)[٣] .

وقد خص الرسول ﷺ الأنصار بالذكر فى الحديث ؛ لأن المنافقين كانوا يتربصون بهم بعد الهجرة ؛ لأنهم سبب قهرهم فى المدينة ، ولذلك اهتم الرسول بهم ، وجعلهم سبب الإيمان ، وجعل حبهم علامة الإيمان ... وقد أراد النبى ﷺ بتخصيص الأنصار بهذا الحب أن يتذكر الناس دورهم مع الإسلام ، ولا ينسونه مع الأيام ، وبخاصة بعدما يحظى المهاجرون بالخلافة ، وتتولى قريش ولاية الأمة ... يؤيد هذا قول النبى ﷺ للأنصار : (فإنكم سترون بعدي أثرة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[٤] .

يروى البخارى أن أبا بكر والعباس رضى الله عنهما مرا بمجلس من مجالس الأنصار ، وهم يبكون فى مرض رسول الله ﷺ الأخير .

فقالا لهما : ما يبكيكم ؟

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٨ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١١٩ .

(٣) تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة لأبى نعيم ج١ ص٣٧٤ .

(٤) صحيح البخارى . كتاب الجزية . باب ما أقطع النبى ﷺ من البحرين ج٤ ص٩٨ .

قالوا : ذكرنا مجلس النبى ﷺ منا ، فخشينا أن يموت من مرضه فنفقد مجلسه.

فدخل العباس على النبى ﷺ فأخبره بذلك .

فخرج النبى ﷺ ، وقد عصب على رأسه حاشية برد ، وصعد المنبر فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال : أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعيبتي ، وقد قضوا الذى عليهم ، وبقى الذى لهم .

أيها الناس . إن الناس يكثرون ويقل الأنصار ، حتى يكونوا كالملح فى الطعام ، فمن ولى منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه ، فليقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم[١] .

وبعد ذلك لقى رسول الله ربه ، ولم يخطب الناس بعد هذا الموقف .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول مقام الأنصار عند الله ، ومنزلتهم بين الصالحين فقد سماهم الله باسم الأنصار ، وخصهم به ، لأنهم بايعوا رسول الله ، ونصروه ، واستقبلوه فى مدينتهم ، وأنزلوه فى حياتهم منزلة خاصة ، فأحبوه أكثر من حبهم لأنفسهم ، ومن أعز ما لديهم ، واستسلموا لأمره ، حتى قال قائلهم لرسول الله ﷺ يوم بدر : (افعل ما شئت فلو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك)[٢] هؤلاء الأنصار استقبلوا إخوانهم المهاجرين ، وأشركوهم فيما يملكون ، حتى فى أخص ما تتعلق به قلوبهم وعواطفهم ، وآثروهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المناقب . باب قول النبى ﷺ : اقبلوا من محسنهم ج٥ ص٣٥ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٣٩٢ .

يستحق هؤلاء الأنصار من سائر المسلمين أن يذكروهم بالخير ، ويخصوهم بالحب ، ويسألوا لهم المغفرة والرحمة ، وبذلك يتحقق حبهم فى الأمة المسلمة ، ويحقق هذا الحب ما يلى :

(١) تقدير ذوى الفضل على ما قاموا به من فضل ، رفعا لشأنهم وتقديرا لدورهم ، وشكرا لهم على ما قدموا من أعمال أفادت المسلمين فى ماضيهم وحاضرهم .

إن الفكر البشري ينادي بتخليد ذكرى الزعماء الذين قدموا أعمالا وطنية لأممهم ، وليس أقل منهم ما قدمه الأنصار لدين الله تعالى ، وللأمة الإسلامية كلها .

(٢) إحياء الصورة المثالية الحية أمام ناشئة الأمة الإسلامية وبنيها ؛ لتكون طريقا ومنهجا وقدوة للمسلمين على الزمن كله .

(٣) بيان حق المسلم على أخيه فى النصرة ، والدعاء ، لأن الجميع أصحاب دين واحد ، وعلى توجه واحد ، وعلى نظرة واحدة تتمسك بحق الله والعباد ، رجاء أن تكون حياة المسلمين بعد عصر الأنصار وفق قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

ومن حسن دين الله تعالى أن بين سبب حب الأنصار ودوافعه ، وهو نصرهم لدين الله ، وخدمتهم لله ورسوله ، والتى جعلتهم أنصار الله ورسوله

---

(١) سورة الحشر ، الآية ١٠ .

. فعن عيلان بن جرير ﷺ قال : قلت لأنس : أرأيت اسم الأنصار ، أكنتم تسمون به ، أم سماهم الله به ؟

قال : بل سمانا الله به[١] .

ويقول النبى ﷺ : لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار[٢] .

ومن هنا ...

يجب على كل مسلم أن يمتثل فى حياته حياة أنصار رسول الله ﷺ ، فلقد تركوا ما كان لديهم من ألوان الشرك ، وصور الكفر بالله ، ودخلوا فى الإسلام صادقين ، وعلموا دينهم ، وعملوا به ، وكانوا خير جند لله فى الأرض .

وظاهر الحديث يفيد حصر الحب للأنصار ، وذلك غير مراد فهو حصر غير حقيقى ، قصد به المبالغة فى حبهم ، وقد جعل الله حب الأنصار علامة الإيمان ؛ ليكون الإيمان حين وجود هذا الحب ، ولا يدل غياب الأنصار أو غياب حبهم على عدم الإيمان ، فهو كالخاصة تطرد ، ولا تنعكس ، وغايته أن لا يقع حب الأنصار إلا لمؤمن ، وليس فيه نفى الإيمان عمن لم يقع منه ذلك ، بل فيه أن غير المؤمن لا يحبهم ، وليس مسمى "الأنصار" لمن كان يسكن المدينة ولم يؤمن ، أو لمن نافق من الأوس والخزرج ، وانما يكون المسمى لمن كان نصيرا لله ورسوله ،

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المناقب . باب مناقب الأنصار ج٥ ص٣٠ .

(٢) مسند الشافعى . كتاب المناقب ج٢ ص١٩٩ .

ولذلك كان أهل الكتاب فى المدينة أعداء لرسول الله ﷺ وللإسلام والمسلمين ... وكان المنافقون فى صف أعداء الله تعالى .

ومن الممكن وجود أنصار لله فى أرض الله كلها ، ووجود خصوم لله فى مدينة رسول الله ، ولذلك يرتبط الحب بالإخلاص والنصرة ، ويكون البغض ضروريا لمن يحاد الله ورسوله .

إن ظاهرة أنصار المدينة حركة تاريخية وقعت فى أرض الواقع وصنعت أمة صالحة تأتمر بأمر الله ... ويجب أن تبقى هذه الحركة أساسا لأمة الإسلام فى نهضتها وتقدمها .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن حب الأنصار واجب إيمانى ، وهو علامة على إيمان المسلم ، وتوضح أن من أحبهم يحبه الله تعالى ، ومن أبغضهم يبغضه الله تعالى ، وأن أهل الحق فى الأمة يجب أن يألف بعضهم بعضا .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن الأحاديث عددا من الركائز الإيمانية والدعوية ... أهمها :

الركيزة الأولى

حياة الأنصار العملية ودورها فى التشريع

أحسن الإمام مالك ﷺ صنعا حين جعل عمل أهل المدينة مصدرا من مصادر التشريع فى مذهبه ، وسبب ذلك أنه نظر فى عمل أهل المدينة

فوجدهم يتمسكون بما تعلموه من رسول الله ﷺ حتى صار عملهم موافقا لحكم الله تعالى .

لقد ملأ الأنصار حياتهم بالإسلام الذى أخذوه من رسول الله ﷺ فحفظوا القرآن الكريم ، ونقلوا السنة ، واستنبطوا الأحكام الشرعية من مصادرها ، ولم يخلطوا علمهم بشيء من تعاليم الفرس أو الروم ، وألقوا هذه التعاليم خلف ظهورهم بعدما جاءهم رسول الله ﷺ ونزل فيهم حكم الله تعالى .

إن الأنصار نقلوا الإسلام عن رسول الله نظريا وعمليا ، وكانوا من خير قرون المسلمين ، وفضلهم الله بصحبة رسول الله ﷺ ونصره ، واستقباله والمشاركة فى إيجاد الأمة المسلمة فى المدينة ، وكانوا رضوان الله عليهم أنجما مشرقة تنير الحياة ، وتهدى إلى الصراط المستقيم .

وقد أكرم الله الأنصار بدينه ، وبحب رسول الله ﷺ ، فطهر مدينتهم من غير المسلمين ، وأبعد عنهم المنافقين ، ولذلك كانت وصية رسول الله ﷺ بحبهم .

إن حب الأنصار يعنى حب صفاتهم ، وأعمالهم ، والتشبه بهم ، فهم الدعوة العملية ، والمنهج الصحيح المتحرك بين الناس .

ولذلك كان حبهم ، وحب عملهم ، والتشبه به دليل إيمان المؤمن ، كما أن كراهيتهم ، وكراهية عملهم دليل على النفاق .

إن صفات الأنصار تمثل ظاهرة اجتماعية يجب أن يضعها المسلمون قدوة لهم ، ويسيرون على منهجها ، ويحبونها فى حياتهم العامة والخاصة ... وفى عالم اليوم نجد الأمم تقيم لبنيها قدوة ، وتدعوهم

إلى اتباع منهجها ، وعملها ... وليس ببعيد أن نجعل الأنصار بما ثبت عنهم قدوة للمسلمين أجمعين .

إن رسول الله هو قدوة المسلمين ، وسبيلهم إلى الله . يقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] **ولا مانع من الناحية العملية والاجتماعية اتخاذ صحابة النبى ﷺ من المهاجرين والأنصار أسوة وقدوة على منهج رسول الله ﷺ . يقول النبى ﷺ : (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)**[2] .

وفى هذا تقدير للعاملين ، ورفع لشأن المؤمنين الصادقين .

الركيزة الثانية

مسئولية الإنسان عن ميوله وعمله

تبين أحاديث الباب أن الإنسان مسئول عن عمله ، وقد أثبت أهل السنة للإنسان ميلا نحو العمل الذى يرغبه ، ونفورا من العمل الذى لا يريده ، وبهذا الميل ، وهذا النفور يحاسب الإنسان ، ويجازى عليه خيرا أو شرا وسموا هذا بـ (الكسب) الذى يجزى الإنسان به .

ولذلك جعل الله الميل القلبى سببا لحب الله أو بغضه ، وحذر من بغض الأبصار ، وكراهية عملهم ... ودعا إلى حبهم ، وحب عملهم لنوال حب الله وتوفيقه .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(٢) جامع بيان العلم وفضله ج٢ ص٩٢٥ .

وواجب المسلم فى كل زمان ومكان أن ينصر دين الله تعالى ، وأن يسلك فى حياته المسلك الذى اتبعه الأنصار فى رفعة الإسلام ، ونصر رسول الله ، واقامة الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة .

ومنهج الأنصار منهج عملى واقعى يقوم على الصدق والإخلاص فى الإيمان، والتمسك بمنهج الله تعالى، واقامة الدولة بقيادة رسول الله ﷺ.

ومن اليسير إقامة دولة الإسلام فى أرض الله إلا أنها تحتاج لرجال كالأنصار ، يؤمنون بالله ، ويطبقون الإسلام فى حياتهم وعملهم .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تدل أحاديث الباب على عدد من الفوائد ... منها :

(١) ضرورة تقدير أصحاب الفضل ، وتعريف الناس بفضلهم ليدوم حبهم وتوقيرهم فى حياة الناس وعلى امتداد الزمن حتى يكونوا أسوة بغيرهم .

(٢) أساس حب المسلم لأخيه الحب القلبى الخالص ، الخالى من النفاق ، لأن إخلاص القلب ينعكس على كل أعمال الإنسان ، وصدق رسول الله ﷺ فى قوله : (ألا وان في الجسد مضغة : إذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)[١] .

(٣) طاعة الله فى حب الصالحين واجب شرعى .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الإيمان . باب فضل من استبرأ لدينه ج١ ص٢٠ .

(٤) قلوب العباد بين يدى الله تعالى يوجهها حبا أو بغضا لمن يشاء من عباده ، ويضع فيها ما يستحقه أصحابها .

(٥) الجزاء الحسن قضاء مقرر للصالحين من الناس .

(٦) على المسلم أن يتعرض لرحمة الله تعالى فى أعماله وأقواله عسى أن ينال منها قدرا يسعده فى الدنيا وفى الآخرة .

ـ ٢٥ ـ

٣٢ ـ باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات

[٤٩] ، (١) حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء .

٣٠٤ فقال : يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار .

فقلن : وبم يا رسول الله ؟

قال : تكثرن اللعن ، وتكفرن العشير ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن .

قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟

قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟

قلن : بلى .

قال : فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟

قلن : بلى .

قال : فذلك من نقصان دينها[١] .

---

(١) أخرجه البخاري في : كتاب الحيض : ٦ باب ترك الحائض الصوم ، وانظر الحديث في الأرقام التالية كما في صحيح البخارى : (١٤٦٢ ، ١٩٥١ ، ٢٦٥٨) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين الحديث أن نقصان الإيمان يكون بنقصان الطاعات سواء كان النقص بسبب فى التكليف ، أو بسبب تقصير فى طبيعة المكلفين .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول أبو سعيد الخدرى ﷺ : (خرج رسول الله ﷺ في أضحى أو فطر) **أى : خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فى يوم عيد الأضحى أو فى عيد الفطر . شك من الراوى . إلى المصلى ، فوعظ الناس ، وأمرهم بالصدقة فقال : أيها الناس تصدقوا فمر على النساء ، وكان قد وعدهم بإفرادهم بالموعظة فأنجز وعده بعدما وعظ الرجال ، وأمرهم بالصدقة قبل النساء .**

وحديث الباب يكتفي ببيان عظة رسول الله ﷺ للنساء فقال لهم : (يا معشر النساء) **المعشر : كل جماعة أمرهم واحد من الرجال ، أو من النساء إلا أنه إذا أطلق ينصرف إلى الرجال وحدهم ، ولذلك قيده رسول الله ﷺ بالإضافة إلى النساء .**

(تصدقن) **أى : أخرجن من أموالكن وحليكن صدقة زائدة عن الزكاة ليثيبكم الله ثوابا يعوض الآثام التى ترتكبنها .**

(فإني أريتكن أكثر أهل النار) **أى : أكثرن من الصدقة لتنجون من عذاب جهنم ، فقد أراني الله ليلة الإسراء والمعراج أن أكثر أهل النار من النساء ، وقد تنجيكم الصدقات من النار .**

(فقلن : وبم يا رسول الله) ؟ ... **أى : قال النسوة : وبم يكون عذابنا ؟ وما سبب دخول أكثرنا النار ؟**

والجملة استفهامية ، وحذفت الألف من (وبم) **للتخفيف ، والواو للاستئناف ، والباء للتعليل .**

(قال) ﷺ : (تكثرن اللعن) **أى : قال ﷺ للنساء : إنكن تكثرن السب والشتم عند الخصومة والغضب ، ويستولى الانفعال عليكن .**

(وتكفرن العشير) **أى : وتجحدن حق الزوج المعاشر لكن ، وتنكرن إحسانه إليكن ، تقول المرأة لزوجها عند أى إساءة : ما رأيت خيرا قط ومسمى** "العشير" **يعم كل من تخالطه المرأة إلا أن المراد هنا الزوج .**

يبين ﷺ سبب نكران النسوة للعشير بقوله ﷺ : (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن) **أى : ما رأيت أكثر ضررا منكن للرجال ، فمع أنكن ناقصات عقل ودين فأنتن سبب لإذهاب عقل الرجل الحازم حتى يفعل أو يقول ما لا ينبغى فعله أو قوله ... ويكون ذلك بإثارة عواطفه بفعلكن ، أو تهييج شعوره بالعويل والبكاء ، أو بإيقاع الرجل للدفاع عنكن شهامة مع خطإكن .**

والمرأة تشارك الرجل فيما هى سبب فيه ، وتزيد عليه أنها السبب ، ويمكنها الاستمرار فى حيلها ولؤمها للإيقاع بالرجل .

وانما قيد الحديث الرجل بالحازم ، وهو : الضابط لأمره الذى تذهب المرأة عقله ، وتوقعه فى الخطأ ؛ مبالغة فى وصفهن بأنهن أسباب فتنتهم ، وبيان أنهن مع غير الحازم أكثر ضررا وأذى .

ولما علم النسوة نقصان عقلهن ودينهن بما قاله رسول الله ﷺ عنهن ، ولما سلمن بما ذكره رسول الله ﷺ من إكثارهن اللعن ، وكفران العشير ، واذهاب عقل الرجل الحازم ، سألن رسول الله ﷺ عن علامة نقصان عقلهن ودينهن فقلن : (وما نقصان ديننا وعقلنا) ؟ ... **أى : ما دليل نقص عقولنا وديننا ؟ وانما سألوا عن السبب بعدما بين لهن رسول الله مظاهر النقص فى أخلاقهن ، وسلوكهن مع الرجال .**

(قال) ﷺ (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل) ؟ ... **أى : إن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد ؛ لقوله تعالى فى آية المداينة :** ﴿ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ ﴾[1] .

(قلن : بلى) ... **أى : نعم هذا أمر واقع ... لأن "بلى" إجابة سؤال منفى ، فهى إثبات للمسئول عنه .**

(قال) ﷺ (فذلك من نقصان عقلها) **أى : هذا هو دليل نقصان العقل .**

وقد سأل النسوة رسول الله ﷺ عن السبب ظنا منهن أنه سبب يعم الرجال والنساء ، أو أنه لا يوجد عند بعضهم .

فأجابهم ﷺ بألطف كلام ، من غير تعنيف ولا لوم ، وخاطبهم على قدر عقولهن ، واستند ﷺ فى رده عليهن على قوله تعالى : ﴿ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[2] **فهذا دليل ثابت يعم كل النساء ، وفيه**

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ .

وفيه تأكيد ضمنى على نقص عقولهن ، لأن الاستظهار بدليل آخر مؤذن بنقصان العقل ، وقلة الضبط ، ولذا كانت حاجتهن إلى الدليل والإثبات .

وقد جاءت كلمة (ذلك) **بكسر الكاف على أنه خطاب للمرأة السائلة ، وبفتحها على أنه خطاب للجميع .**

ثم قال ﷺ : (أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم) **؟ ... أى : إذا حاضت المرأة يرفع الله عنها الصلاة ولا تقضيها ، ويرفع عنها الصوم وتقضيه .**

(قلن : بلى) **أى : أجاب النسوة بأن ذلك هو حكم الشارع والواقع العملى للمرأة .**

(قال) ﷺ (فذلك من نقصان دينها) **أى : إن هذا من نقصان أعمالها الدينية التى أسقطها الله عنها .**

وفى الحديث دلالة على واقعية الإسلام المثالية حيث وصف رسول الله ﷺ لأتباعه حقيقتهم ، وأرشدهم إلى اتباع المنهج الذى يصلح شأنهم فى حدود الواقع الممكن .

وليس معنى الحديث إثبات كمال الرجل ، ورفعته عن المرأة فكثيرا ما وعظ رسول الله ﷺ الرجال وأمرهم ، ونهاهم ، وبين لهم مزالق الهوى ، ونزغات الشيطان ، ولذلك كان الكمال والنقص فى الرجال والنساء أمرا نسبيا قائم على حسن الاتباع ، والاستقامة على منهج الله تعالى .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

عاش رسول الله ﷺ بين أصحابه يعرفهم بدين الله تعالى ، ويرشدهم إلى الحق ، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم .

وكان ﷺ فى إرشاده قدوة للدعاة ، ورائدا للأئمة والعلماء ، وأسوة لسائر الناس ، ولذلك وجدناه ﷺ لا يدع فرصة ، أو ظرفا إلا ويدعو ويرشد .

ففى يوم العيد حيث يجتمع الناس للسرور والتهانى يخرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه يهنئهم بالعيد ، ويعظهم بما هم فى حاجة إليه .

ولم يقصد الرسول واحدا من أصحابه بعينه ، وانما وعظ الرجال وحدهم وحثهم على الصدقة والطاعة ، ووعظ النساء مجتمعات ، ونادى معاشر النسوة حتى لا يخص واحدة بعينها .

إن يوم العيد فرصة للمسلمين ليشكروا الله على ما وفقهم من عبادة الصوم ، وقيام رمضان ، وعلى قيام العشر الأواخر من رمضان ، وعلى أداء فريضة الحج ، وعلى العبادة فى العشر الأول من ذى الحجة ... ولهذا المعنى يجتمع المسلمون فى العيد ، ويهنئ بعضهم بعضا ... وكان الرسول ناصحا مخلصا لأمته ، فلما رآهم مجتمعين كانت نصيحته ﷺ للصحابة ، وللصحابيات فى يوم العيد .

وفى عظة رسول الله ﷺ للنسوة عدة مسائل :

المسألة الأولى : **يبين الحديث الواقع الفطرى الذى عليه الناس . ففى حديثه ﷺ للنسوة يوضح السبب فى أنهن أكثر أهل النار ، وذلك لما يظهر**

منهن من كثرة اللعن ، والشتم إذا اعتدى عليهن ، أو شعرن بظلم لهن ، ولا يقابلن العدوان بمثله ، كما أنهن يكفرن بالعشير ، إذ يحسن الزوج إلى زوجته الدهر كله ، فإذا ظهر منه قصور قالت له : ما رأيت منك خيرا قط ، **ويربط الرسول ﷺ هذا الواقع بنتائجه ويوضح طرق علاجه .**

وأما آثاره **فإنه يؤدى بالمرأة إلى عذاب النار ، فقد رأى النبى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج أن أكثر أهل النار من النساء لهذا السبب ، ولذلك حذرهم ﷺ من هذه العقوبة ، ووضح لهم طرق علاج ما بهن من عيب وقال لهن : (**تصدقن ولو من حليكن**) للتكفير عن ما يقعن فيه من معصية.**

المسألة الثانية : **يحدد الحديث العيوب التى تقع فيها المرأة حتى تتجنبها وتتركها ، وتتخلص من السب والشتم ، وتحسن إلى الزوج ، وتقوم بحقه ، وما يجب عليها له ، حتى لا تنكر له معروفا قدمه لها ، وتكون عونا له ، ولا تؤذيه فى ولده وشرفه ، ولا تبدى زينة أمام غيره ، ولا تخضع بقول ، ولا تختلط بالرجال إلا عند الضرورة ، وفى حدود شرع الله تعالى .**

المسألة الثالثة : **يوضح الحديث ضرورة التعامل مع الواقع المخلوق كما خلقه الله تعالى ، فقد خلق الله الخلق مكونا من أجناس كثيرة ، وأنواع شتى ، وجعل لكل نوع عمله وخصائصه ، ولكل جنس دوره ، وحياته ، ووظيفته ، وغاية الاستقامة أن يقوم كل مخلوق بدوره ، ويؤدى وظيفته التى هداه الله إليها ، فكل شئ موزون ، وكل خلق مقدر ، ومعلوم .**

فقد خلق الله كل شيء من زوجين ، وخص كل زوج بخصائصه كما هو بين فى النبات ، والحيوان ، والناس ، وسائر الكائنات ... وصار من

العدل أن يقر كل مخلوق بخصائصه ، ويقوم بدوره ، ويتكامل مع الوجود الكبير الذى خلقه الله تعالى ، وقدر له شأنه ، وهداه لما خلق له .

ومن ذلك أن الله خلق كلا من الرجل بخصائصه ، ومكنه من وظيفته وعمله ، وأكرمه بتحديد حقوقه وواجباته حتى لا يبغى نوع على نوع ، ولا يعتدى جنس على جنس ، ويسعد كل مخلوق بما خلق له .

ومن خصائص المرأة غلبة العاطفة ، وسرعة التأثر والانفعال ، وحب الدفاع عن النفس ، واظهار القوة ، ومن خصائصها أن الله جعلها زوجة وأما تحمل ، وتلد ، وتربى ... ولهذه الخصائص جعل الله شهادتها نصف شهادة الرجل ، ورفع عنها الصلاة والصوم أثناء الحيض والنفاس رعاية لحقيقتها ، وتناسبا مع طبيعتها العاطفية والأنثوية .

ولذلك كان تشريع الله فى الشهادة والحيض تشريع حكيم يراعى خصائص النساء .

المسألة الرابعة : **تسمية رسول الله ﷺ حال المرأة بـ** (نقصان العقل والدين) **لا يقصد به نقصان منزلتها عن منزلة الرجل ، وانما يقصد به نقصان التكليف فقط ، فالمرأة مكرمة مثل الرجل . يقول الله تعالى :** ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1] **، ويقول سبحانه :** ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[2] .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩٥ .

ويقول ﷺ : (إنما النساء شقائق الرجال)[١] .

وقد أمر الله الرجال بمراعاة طبيعة المرأة حين معاملتها . يقول النبى ﷺ : (استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع ، وان أعوج شيء فى الضلع أعلاة ، إن ذهبت تقيمه كسرته ، وان تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيرا)[٢] .

وعلى هذا فليس المراد بالنقصان نقصان المنزلة والمكانة ، واما المراد نقص التكليف مثل تخفيف الصلاة على المسافر ، واسقاط الزكاة عن الفقير ، وربط الحج بالاستطاعة ... وهكذا .

فإن قيل : **نقص العبادة يختلف عن التخفيف ؟**

أقول : **نعم يختلف النقص عن التخفيف إلا أن مؤداهما واحد ، وهو رفع شيء من التكليف عن المكلف مع المحافظة على كرامة الإنسان وعزته .**

المسألة الخامسة : **إظهار رسول الله ﷺ ما فى المرأة من معايب لا يعنى خلو الرجال منها ، فقد تكون المعايب فى الرجال إلا أنها فى النساء أظهر ، ولأن العظة كانت للنساء ، وكان ذكرهن وحدهن هو المناسب للموعظة ، وفى أحاديث رسول الله ﷺ نهى للناس (رجالا ونساء) عن الشتم ، والسب ، واللعن ، والجحود ، وانكار المعروف .**

---

(١) سنن الترمذى . كتاب أبواب الطهارة .. باب فيمن يستيقظ فيرى بللاً ولا يذكر ج١ ص١٨٩ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب النكاح . باب الوصاة بالنساء ج٧ ص٢٦ .

المسألة السادسة : **العظة فى الحديث موجهة إلى جميع النسوة لا إلى امرأة بعينها ، وهذا من أدب الدعوة إلى الله تعالى .**

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث طبيعة المرأة وعاداتها ، وينهاها عن الخلق السيئ ، ويعرفها بواقعها الفطري لترضى به ، وترضى بما شرع الله لها .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

تكريم الإسلام للمرأة

كرم الإسلام الإنسان بصورة عامة سواء كان رجلا أو امرأة فقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1] **فقد خصت الآية بالتكريم بنى آدم جميعا ... وحديث الباب يدل على تكريم الإسلام للمرأة من عدة أوجه :**

أولا : **اهتمام النبى ﷺ بشأن النساء ، فلقد أتى إليهن فى يوم العيد ، وخصهم بالموعظة والنصح ، مما يدل على هذا الاهتمام حيث خصهم بالإرشاد المناسب لهن كما يخص الرجال بما يناسبهم .**

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .

ثانيا : **إرشاد النسوة إلى طريق الفوز والفلاح ، والتخلص من المعايب التى يقع فيها الإنسان غالبا رجلا كان أو امرأة ، وهذا دليل الصدق معهن ، ولذلك قالوا : صديقك من صدقك لا من صدقك .**

وقد أرشدهم النبى ﷺ إلى طريق التغلب على ما بهن من عيوب خلقية فقال ﷺ لهن : تصدقن ، فإن الصدقة تذهب الخطيئة ، وتعوض النقص .

ثالثا : **استعمال الصدق معهن ، إذ خاطبهم رسول الله ﷺ بالحقيقة الفطرية التى يتصفن بها ، فعرفهن بأنهن سريعات الغضب والانفعال ، يملن إلى العنف والسب فى رد ما يتصورونه عدوانا عليهن ، وينسين الفضل الذى رأينه قبل غضبهن ، ويغلبن الرجل بعواطفهن ، ولؤمهن ، وحيلهن .**

ومن المعلوم أن معرفة الحقيقة أساس العلاج ، والطبيب لا يمكنه وصف الدواء إلا بعد معرفة المرض ، ولكل داء دواء ، يعرفه من أراد الله له أن يعرف ، ويجهله من قضى الله عليه بالجهل .

رابعا : **إظهار سماحة التشريع الإسلامى مع المرأة حين يترفق بها فى حيضها ونفاسها ، وحين تقوم بالشهادة ، وهذا تكريم كبير يراعى قدرات المرأة وطاقتها ، فلو لم يشرع الله لهن ما شرع لكلفن بما لا يطقن ، ولعجزن عن القيام بما كلفن به ، وفى هذا عذاب أليم .**

ولا يصح أن يفهم البعض أن تشريع الإسلام للمرأة فى الشهادة ، وخلال الحيض والنفاس ينقص كرامة المرأة ، والواجب فهمه على أنه تكريم

لها ، لأن معاملة الأمر على قدره عدل وتكريم ، وتكليف الإنسان بما لا يطيق ظلم وجور ، واثبات التقصير فيما لا قدرة للإنسان عليه .

إن تخفيف الصلاة على المسافر ، والإذن للمريض والمسافر بالإفطار ، واعفاء غير المستطيع من الحج تكريم ، وعدل ، وتحقيق للمساواة فى حكم الله تعالى حيث يكلف كل إنسان بما يناسبه ، وبما يطيق .

والخلاصة تأكيد تكريم الإسلام للمرأة ... وعلى الدعاة بيان هذه الحقيقة واظهارها للناس أجمعين .

الركيزة الثانية
أضواء للدعاة إلى الله تعالى

يقدم الحديث عددا من اللمحات المضيئة للدعاة إلى الله تعالى ليستفيدوا بها فى تكوينهم ، وفى طرق عرضهم لقضايا الإسلام ، ومخاطبة المدعوين .

فمن اللمحات الشخصية للدعاة نجد ما يلى :

(١) **ضرورة بذل الجهد والطاقة فى الدعوة إلى الله تعالى ، فهذا رسول الله ﷺ يخرج إلى الناس فى يوم العيد ناصحا وواعظا ، مع أن يوم العيد هو يوم الفرح والسرور ، والبهجة والحبور ، وقد رأى ﷺ أن اجتماع النسوة فرصة دعوية فخرج إليهن ينصحهن ، ويوجههن لما يصلح دنياهم وأخراهم ، ولم يركن ﷺ للراحة والجلوس مع أمهات المؤمنين ، وانما خرج إلى النسوة يدعوهم وينصحهم .**

(٢) **أهمية معرفة الدعاة بواقع المدعوين ، والوقوف على خصائصهم وأوصافهم ، واخبارهم بما هم عليه ليشهدوا على أنفسهم ، ويطيعوا**

النصائح التى تصلح شأنهم ... فهذا رسول الله ﷺ يبين للنسوة حالهن مع الزوج ، ويوضح لهن أخلاقهن ، وسوء معاملاتهن مع الرجال ، ويشرح لهن طرق الفوز والفلاح ، وذلك بالتصدق ، والإقلاع عن المعايب بقدر الإمكان .

(٣) ضرورة علم الدعاة لفهم الدين ، وتعريف كل بما يخصه ، وبيان ملاءمة الحكم الشرعى للعمل البشرى ، وذلك أيسر طرق الإقناع . فقد أقر النسوة بحكم الله ، ورضين به ؛ لأنه هو الواقع الموافق لفطرتهن ، وطباعهن .

وأما بالنسبة للمنهج **فى عرض قضايا الإسلام فقد ظهر ما يلى :**

أولا : **ضرورة تحديد المشكلة ، وتقديم العلاج المناسب لها .**

ثانيا : **عدم مصادمة المدعوين بالخطاب المباشر ، والأولى أن يكون الخطاب عاما للمدعوين ، ولا يخص واحدا بعينه مثل قوله ﷺ :** (يا معشر النساء) **، ومثل قوله :** (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا) .

ثالثا : **التركيز على الموضوع الذى يدور النصح حوله لعلم المدعوين به وتسليمهم بحدوثه ، وهذا أول العلاج الناجح ، فلقد أظهر النبى ﷺ للنسوة معايبهن من كثرة اللعن ، والكفر بالعشير ، والأخذ بعقل الرجل ، ولذلك وجب عليهن الإقلاع عن هذه العيوب لتحقيق الفوز والنجاة .**

رابعا : **بيان خطورة الفرد فى حد ذاته ؛ لأن العلاج الناجح يبدأ بالعلاج الفردى ، ويعم الآخرين بعد ذلك ، وقد بين رسول الله ﷺ للنسوة خطورة كل واحدة منهن على الرجل ، وتأثيرها على عواطفه وعقله .**

خامسا : **تلوين الخطاب فى الدعوة إلى الله تعالى كما هو واضح من خطاب رسول الله ﷺ مع النسوة . فقد بدأ معهن بالخطاب المباشر ،**

وأمرهن بالصدقة ، وبين لهن أنهن أكثر أهل النار فلما سألنه ﷺ عن السبب أجابهم .

وأخذ الحديث شكل حوار ، فيه تسأل النسوة ، وفيه يجيب رسول الله ﷺ وأخيرا يدلل لهن على مقالته بأحكام الله تعالى .

إن تلوين الخطاب فن فى الدعوة إلى الله تعالى لإيقاظ المشاعر ، وتجديد الشعور ، وتحقيق المشاركة بين الدعاة والمدعوين .

سادسا : **قيام النصح على المودة والقرب ليسمع المنصوح ما يقال له ، ولذلك لما سأل النسوة رسول الله عن المراد بنقصان عقلهن ودينهن ، أجابهم ﷺ وعرفهم أن هذا النقص ناتج من فطرتهن ، وطبيعتهن التى خلقهن الله عليها ، وهذا تكريم لهن .**

الركيزة الثالثة

ارتباط الجزاء فى الآخرة بأعمال الدنيا

يشير حديث الباب إلى قضية هامة ، وهى أن الدنيا دار تكليف وعمل ، وأن الآخرة دار حساب وجزاء ، ودور الدعاة بيان هذه الحقيقة ودعوة الناس إلى تحسين العمل فى الدنيا لينالوا الجزاء الحسن يوم القيامة ؛ لما فى هذا الربط من تأثير فى الاستماع والطاعة .

وعلى الدعاة أن يوضحوا للمدعوين اشتمال العمل الصالح على عدة جوانب ، تشمل العقيدة الصحيحة ، والعمل المتقن المشروع ، والأخلاق الكريمة ، وحسن التعامل مع الناس ، والعمل على إصلاح النفس والجماعة ، والرضا بما قضى الله به ، واليقين بأن كل شيء موزون ، وأن الله قدر وخلق وحكم وهدى .

إن المدنية الحديثة تعادى الفطرة ، وتخدع المرأة وهى تمنيها بالمساواة التامة مع الرجل ... ولا أدرى كيف تتحقق هذه المساواة المطلقة بين الرجال والنساء ، مع اليقين بأن لكل جنس خصائصه ، ولكل نوع مزاياه ، وليس من التكريم أن توضع المرأة فى موضع الرجل ، أو يوضع الرجل في موضع المرأة .

إن من التكريم الحق للجميع وضع كل مخلوق فى موضعه ، وتكليفه بما قدر له فى إطار خلقته وطبيعته .

إن الطبيب والمهندس العامل والفلاح وغيرهم أناس مكرمون ، ولكل منهم وظيفته التى هيأه الله لها .

فلم تعليق كرامة المرأة على مساواتها بالرجل بصورة مطلقة ؟!!

إن تكريم المرأة ثابت مع زوجها ، وفى أمومتها ، وفى تحقيق دورها فى بناء مجتمع صالح ... وتكريم الرجل موجود فى قوامته وقيامه بدوره فى حماية الأسرة ، وتحقيق ما تحتاج إليه ، ولذلك وجب التسليم بما شرعه الله تعالى للرجل والمرأة . ففى شريعة الله العدل والتكريم .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير حديث الباب إلى بعض الفوائد ... منها :

(١) ضرورة اختيار الظرف المناسب للعظة حتى تأتى ثمارها .

(٢) نصح الإنسان بما فيه ليقلع عنه إن كان سوءا ، أو يزيد عليه إن كان خيرا .

(٣) من الأفضل اشتمال النصيحة على المعايب وطرق علاجها ، وكيفية التخلص منها .

(٤) من المهم تحديد موضوع النصيحة حتى لا تذهب العقول فى تصورها كل مذهب .

(٥) من الشجاعة الأدبية مناقشة المشاكل الشخصية لمعرفة الحقيقة ، واظهار الصواب .

(٦) حسن معاملة النبى ﷺ للنساء ، وحسن معاشرته لهن فقد بين لهن أن نقص دينهم وعقلهن بسبب فطرتهن التى جعلها الله لهن ، وأكرمهم بها .

(٧) فى الحديث ضرورة معرفة طبيعة المرأة لإحسان معاملتها ، وتجنب ألاعيب الخبيثات منهن .

(٨) بيان خطورة اختلاط المرأة بغير محارمها .

(٩) بيان واقعية الشريعة الإسلامية ومناسبة أحكامها لواقع الناس .

(١٠) من المهم معاشرة الدعاة للناس ، ومداومة نصحهم وارشادهم .

(١١) خص الحديث إنكار إحسان الزوج بمسمى الكفر من بين أنواع الذنوب لبديعة دقيقة وهو قوله ﷺ : (لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها)[١] .

---

(١) شرح النووى على مسلم ج٢ ص٦٦ .

فقرن حق الزوج على زوجته بحق الله تعالى فإذا كفرت المرأة بحق زوجها كان ذلك دليلا على تهاونها فى حق الله ، فلذلك يطلق عليها الكفر لكنه كفر لا يخرج من الملة[١] .

(١٢) اللعن من المعاصى الشديدة القبح ، وليس فيه أنه كبيرة ، والنبى ﷺ قال للنسوة : (تكثرن اللعن) **والصغيرة إذا كثرت تنقلب إلى كبيرة ، وقد اتفق العلماء على تحريم اللعن ، فلا يجوز لعن أحد بعينه ، ومسلما كان أو كافرا ، أو دابة ، إلا من علمنا بنص شرعى أنه مات على الكفر ، أو سيموت عليه كلعن أبى جهل وابليس ، وأما اللعن بالوصف فليس بحرام كلعن المنافق ، وآكل الربا[٢] .**

(١٣) يجوز مراجعة المتعلم للعالم ، والتابع للمتبوع .

(١٤) من الضرورى توجيه أصحاب الولايات وكبراء الناس رعاياهم ، وتحذيرهم من المخالفات ، وتحريضهم على الطاعات .

---

(١) سنن الترمذى . كتاب أبواب الرضاع . باب ما جاء في حق الزوج على المرأة ج٣ ص٤٥٧ .

(٢) شرح النووى على مسلم ج٢ ص٦٧ .

ـ ٢٦ ـ

٣٤ ـ باب بيان كون الإيمان باللّه تعالى أفضل الأعمال وتفضيل بعض الأعمال على بعض

[٥٠] ، (١) ٢٦ حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل : أي العمل أفضل ؟

فقال : إيمان بالله ورسوله .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : الجهاد في سبيل الله .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : حج مبرور[١] .

[٥١] ، (٢) ٢٥١٨ حديث أبي ذر ﷺ ، قال : سألت النبي ﷺ : أي العمل أفضل ؟

قال : إيمان بالله ، وجهاد في سبيله .

قلت : فأي الرقاب أفضل ؟

قال : أغلاها ثمنا وأنفسها عند أهلها .

قلت : فإن لم أفعل ؟

قال : تعين صانعا أو تصنع ◌ لأخرق .

قال : فإن لم أفعل ؟

---

(١) أخرجه البخاري في : ٢ كتاب الإيمان : ١٨ باب من قال : إن الإيمان هو العمل ، وانظر رواية الحديث عند البخارى في رقم (١٥١٩) .

قال : تدع الناس من الشر فإنها صدقة تصدق بها على نفسك[١] .

[٥٢] ، (٣) حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال سألت النبى ﷺ أي العمل أحب إلى الله ؟

٥٨١

قال : الصلاة على وقتها .

قال : ثم أي ؟

قال : ثم بر الوالدين .

قال : ثم أي ؟

قال : الجهاد في سبيل الله .

قال : حدثني (الرسول ﷺ) بهن ، ولو استزدته لزادني[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أفضل الأعمال التى يقوم بها المسلم ، وتوضح كيف يكتسب المؤمن من الأعمال الحسنة ما يفيده فى الدنيا والآخرة ، وتبدأ بإرشاده إلى الأعمال الأكثر نفعا ثم الأقل فالأقل ... وهكذا .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٤٩ كتاب العتق : ٢ باب أي الرقاب أفضل ، وليس للحديث رواية أخرى في البخارى .

(٢) أخرجه البخاري في : ٩ كتاب مواقيت الصلاة : ٥ باب فضل الصلاة لوقتها ، وانظر رواية البخارى للحديث في أرقام : (٢٨٧٢ ، ٥٩٧٠ ، ٧٥٣٤) .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول أبو هريرة ﷺ : (سئل) النبى ﷺ (أي العمل أفضل) بالبناء بالمجهول فى الحديث الأول ، وجاء الحديث الثانى أن السائل هو أبو ذر ﷺ فقد سأل أبو ذر ﷺ رسول الله ﷺ عن أفضل العمل ليلتزم به ، ويحرص على أدائه كسائر الصحابة ، فقد كانوا رضوان الله عليهم يحرصون على المعرفة والعمل بما يعرفون .

ودل السؤال على أن الأعمال الصالحة يتفاضل بعضها عن بعض ، وجاءت أجوبة النبى ﷺ فى الأحاديث الثلاثة تبين أن الأعمال الفاضلة جزء من الإيمان وان تفاوتت فى القدر والأفضلية .

وقد بينت الأحاديث الثلاثة عددا من الأعمال الفاضلة ... وهى :

(١) (إيمان بالله ورسوله) **ومعناها التصديق بأن الله واحد لا شريك له ، وأنه المستحق للعبادة دون سواه ، وأن محمدا رسول الله ﷺ بلغ الدين ، وأدى الأمانة ، وأن طاعة الله ورسوله واجبة مع اليقين بأركان الإيمان كلها ، والإقرار بها ، والعمل بمقتضاها .**

(٢) (الجهاد في سبيل الله) **وقد جاء الجهاد نكرة ومعرفة ، فأفاد أن المراد به بذل الجهد والطاقة فى طاعة الله ، والاستسلام لأمره ونهيه ، ... كما يفيد قتال أعداء الله تعالى الذين يعملون على إطفاء نور الله فى الأرض بكل ما يقدرون عليه ، ... وبذلك يكون الجهاد شاملا وكاملا ؛ لأن التنكير يفيد عموم الجهاد ، والتعريف يفيد كماله .**

وكل هذا يؤكد أهمية الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى ، وتعبيد الوجود لخالقه ، واخلاص النية فى بذل الجهد المشروع .

(٣) (حج مبرور) **وهو الحج المقبول الذى لم يخالطه إثم ولا رياء ، وقد أداه صاحبه بصدق واخلاص بلا رفث ولا فسوق ، ولا جدال .**

وعلامة قبول الحج أن صاحبه يزداد خيرا بعده ، ويقبل على الطاعة ، وينفر من المعاصى .

(٤) (الصلاة على وقتها) **أى : أداء الصلاة كاملة تامة مع المحافظة على شروطها ، وأركانها ، وأوقاتها ، فلا تترك الصلاة ، ولا تؤخر عن وقتها .**

(٥) (بر الوالدين) **أى : المحافظة على حقوق الوالدين ، والقيام بما لهم من حقوق . يقول الله تعالى :** ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[1] .

ومن حقوق الوالدين برهما ، والإحسان إليهما ، والخضوع لهما ، واكرام صديقهما ، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما ، وطاعتهما فيما يأمران به ، وأخذ إذنهما فى الجهاد والسفر .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٢٣ ، ٢٤ .

(٦) (عتق الرقبة) **أى : تحرير عبد من رقه ، وعتق الرقبة كناية عن تخليص عبد من العبودية ليكون حرا ، ويحسن تخير الرقاب الأغلى ثمنا ، والأنفس عند أصحابها فإن لم تكن الرقاب مملوكة له فليقم بشرائها ، وعتقها كما فعل أبو بكر** ﷺ .

(٧) (تعين صانعا أو تصنع ◌ لأخرق) **أى تساعد العامل المجد الذى يحسن صنعته ، ويتقن عمله فإن كان عاجزا وهو الأخرق فإن العمل الأفضل مساعدته ومعونته فى عمله وصنعته .**

(٨) البعد عن ضرر الناس والحاق الشرور بهم ، **وهذا بين فى قوله** ﷺ : (تدع الناس من الشر فإنها صدقة) ، **وهذا عمل يثاب عليه صاحبه إذا نوى بفعله نفع الناس ببعده عن الشرور ، والضرر .**

هذه هى جملة الأعمال التى تناولتها أحاديث الباب ، وقد أحاطها علماء الحديث بعدد من المباحث ... أهمها :

المبحث الأول
صلة الإيمان بالعمل

سأل أبو ذر ﷺ **رسول الله** ﷺ **عن أى العمل أفضل ؟ ... فأجابه** ﷺ **بأن أفضل الأعمال الإيمان بالله ورسوله ، كما فى الحديث الأول ، وبأنه الإيمان بالله تعالى ، والجهاد فى سبيله كما فى الحديث الثانى ، وقد أخذ أبو ذر** ﷺ **يسأل عن الأفضل فى كل نوع من الطاعة . فسأل عن الأفضل فى العمل ، وفى عتق الرقاب ، وفى مساعدة الناس ، وعند عجزه عن العمل ... فبين له** ﷺ **أن الإيمان يشمل الأعمال الباطنة ، والأقوال الظاهرة ،**

والأعمال التطبيقية إيجابا أو سلبا ، فأفاد الجواب أن الإيمان يشمل عمل القلب ، وقول اللسان ، وعمل الجوارح . وترك أذى الناس ، وجلب الخير لهم بقدر طاقته .

وقد جاء ذكر الإيمان نكرة ، والجهاد معرفة لما فى التنكير والتعريف من معان عدة ، فالتنكير يفيد التعظيم والكمال ، والتعريف يفيد العهد والتخصيص . يقول الكرمانى : الإيمان واحد لا يتكرر ، وتنوينه يفيد وجوده بحقيقته الواحدة عند كثيرين ، والجهاد يتكرر ، وتكريره يفيد ما عهد منه من أعمال عدة متنوعة عند القيام بها فى إحدى صوره المشروعة كما هو مقتضى فى سبيل الله[1] .

المبحث الثانى

اختلاف ترتيب الأعمال فى الأحاديث

اختلفت الأحاديث الثلاثة فى عدد الأعمال الفاضلة وفى ترتيبها . ففى الحديث الأول **جاء ذكر الجهاد بعد الإيمان** ، وفى الحديث الثانى **لم يذكر الجهاد ، وذكر العتق ، والسلامة من الشرور واعانة الصانع والصناعة للأخرق** ، وفى الحديث الثالث **بدأ بالصلاة ، ثم بر الوالدين ، ثم الجهاد ، وهذا الاختلاف لا يدل على تعارض أو نسخ ، وانما يقصد به مجرد العد ، ويكون المعنى مع كل واحدة تقدير (من) التبعيضية ليصير المعنى** (من الأعمال الفاضلة كذا ، أو من خيرها كذا ، أو من خيركم من فعل كذا) **فحذف الحديث** (من) **كما يقال : فلان أعقل الناس ، والمراد من أعقلهم ، لأن الحكم بالأفضلية المطلقة يحتاج إلى دليل من الشرع أو من العقل ،**

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١ ص١٤٢ .

وهو غير موجود وغير ممكن ... ومن ذلك قوله ﷺ : (خيركم خيركم لأهله)[١] **ولا يصير الخير لأهله أخير الناس فقد يفضله كثير ولذلك كان المعنى** (من خيركم) .

وقد اختلف جوابه ﷺ مع اتحاد السؤال مراعاة لمقتضى الحال ، والإجابة بما هو أنفع للسائل ، وبما يناسبه ... فإن كان السائل ذا نجدة فالجهاد فى حقه أفضل ... وان كان له والدان يعتمدان عليه ، فلو خرج للجهاد لضاعا فالبر فى حقها أفضل ، ومن ذلك ما روى أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الجهاد ... فقال له ﷺ : ألك والدان ؟

قال الرجل : نعم .

فقال ﷺ : ففيهما فجاهد[٢] .

وان كانت السائلة امرأة تسأل عن الجهاد ، وليس الجهاد مناسبا لها فإن الأفضل لها أن ترشد لعمل يناسبها ... فعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ، نرى الجهاد أفضل العمل ، أفلا نجاهد ؟ قال ﷺ : لا ، لكن أفضل الجهاد حج مبرور[٣] .

وقد تدور الإجابة مع حال المخاطبين والسائلين فى مجموعهم ، فقد ورد عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : حجة لمن لم يحج أفضل من أربعين غزوة ، وغزوة لمن حج أفضل من أربعين حجة[٤] .

---

(١) سنن ابن ماجه . كتاب النكاح . باب حسن معاشرة النساء ج١ ص٦٣٦ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الجهاد والسير . باب الجهاد بإذن الأبوين ج٤ ص٥٩ .

(٣) صحيح البخارى . كتاب الحج . باب فضل الحج المبرور ج٢ ص١٣٣ .

(٤) سنن سعيد بن منصور . كتاب الجهاد . باب ما جاء في الغزو بعد الحج ج٢ ص١٦٨ .

وقد تراعى الإجابة ما هو مناسب للزمان والأحداث ، فقد تجتاح النوازل إقليما ما ، وحينئذ يكون أفضل الأعمال التصدق والمعونة ، وقد يجتاح العدو بلدا إسلاميا ، وحينئذ يكون الجهاد أفضل الأعمال .

وبذلك تكون أفضلية الأعمال نسبية تختلف باختلاف الحال ، وظروف الجماعة ، وأحداث الزمان ، وحاجات المكان ... ولهذا السبب قدم الحديث الأول الجهاد على الحج لأهمية الجهاد فى حماية الدين مع أن الجهاد ليس بركن ... ولم تذكر الأحاديث الأخرى الحج لنفس السبب ، ويمكن القول أن الحديث قدم الجهاد ؛ لأن المقصود به الجهاد فى حالة فرضيته العينية ، وبخاصة أن المسلمين فى صدر الإسلام كانوا فى حاجة إلى إظهار الجهاد ، ومحاربة أعداء الله ، ولذلك يكون الجهاد أولى بالتقديم والتحريض .

فإن قيل : **لم جاء الحديث بصورة حوارية حيث عد الحديث الأول الأعمال الفاضلة واحدة بعد الأخرى بعد السؤال بـ** "ثم ماذا" **؟ ...**

وجاء الحديث الثانى إجابة لأسئلة عن أفضل الأعمال فى جوانب مختلفة ...

وجاء الحديث الثالث بعد أفضل الأعمال واحدة بعد الأخرى باستعمال "ثم" الدالة على الترتيب والتراخى مثل الحديث الأول ؟

أقول : **جاء الحديث الأول إجابة عن أفضل الأعمال مراعاة لحال السائل ، وجاء الحديث الثانى موضحا أفضل الأعمال فى كل جانب سأل عنه أبو ذر ﷺ ، وجاء الحديث الثالث مثل الحديث الأول إجابة عن السائل الذى طلب معرفة الأفضل واحدة بعد الأخرى ، ولذا ختمه الراوى بأنه لو زاد فى السؤال لزادت الإجابة .**

ويلاحظ أن استعمال "ثم" فى السؤال تفيد الترتيب فى الذكر ، واجابة السؤال ، وليس ترتيبا فى المنزلة والأفضلية .

وعلى هذا :

فإن أفضلية عمل ما لا يفيد عدم أفضلية غيره ، وذكر عمل ما لا يعنى إبطال غيره على ورود "ثم" للترتيب الذكرى فى قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾[1] **فقد دلت الآيات على أن "ثم" تفيد الترتيب فى الذكر والقول ، لا فى الرتبة والمنزلة ؛ لأن الإيمان أسبق من هذه الأعمال .**

وقد استعمل العرب "ثم" للترتيب فى الذكر فقط مثل قول الشاعر :

قل لمن ساد ثم ساد أبوه ∴ ثم قد ساد قبل ذلك جده

المبحث الثالث

مفارقة بين العتق والأضحية

يبين الحديث الثانى أن من الأعمال الفاضلة أن يعتق المسلم رقبة يملكها أو يشتريها ويعتقها ، وعليه أن يختار أنفسها عند القوم ، وأغلاها ثمنا ، وبذلك يمكن تصور اختيار رقبة للعتق يبلغ ثمنها ضعف رقبتين أخريين لفضلها عند الناس ، وارتفاع ثمنها عنهما .

---

(١) سورة البلد ، الآيات ١٢ . ١٧ .

وقد قارن الفقهاء بين العتق وبين الأضحية من ناحية القيمة والثمن فذهبوا إلى أن الأضحية تختلف عن العتق ، ورأوا أن على المضحى أن يختار الأضحية الثمينة وان كانت واحدة ، وعلى المعتق أن يختار عددا من الرقاب مع قلة القيمة ؛ لأن المقصود من الأضحية اللحم . واللحم السمين أوفر ، وأطيب ... أما المقصود من العتق فهو تكميل حال شخص ، وتخليصه من ذل الرق ، وتخليص عدد أولى من تخليص فرد واحد .

وعلى أساس هذه المقارنة يفهم الحديث على أنه إن قصد عتق رقبة واحدة فعليه أن يختار أنفسها وأفضلها ... وان قصد الثمن الذى يدفعه فليتخير عددا من الرقاب ؛ لأنها أنفس له وأكرم .

وذهب البعض إلى أن هذه المفارقة نسبية تختلف باختلاف حال المعتق والمعتق ، وواقع المجتمع .

المبحث الرابع

جواز المفاضلة بين الأعمال دون الأحكام

سأل أبو ذر ﷺ عن أى الأعمال أفضل ؟ **... فدل ذلك على أن الأعمال يفضل بعضها بعضا ، ويزيد قبح بعضها عن بعض ، إلا أن الإيمان يفضلها جميعا ، فهو أساس قبول أى عمل ، وشرفه يتعلق بشرف متعلقه ، وهو اليقين بجلال الله وكماله ، والتسليم المطلق لقدرة الله والإيمان بسائر أركان الإيمان كما بلغها رسول الله** ﷺ **... ولذلك كان القول بزيادة الإيمان كله فى جملته أو نقصه أولى من القول بأن بعض الإيمان أفضل من بعض ؛ لأن الإيمان لا يتجزأ ، وكافة عناصره يكمل بعضها بعضا .**

وقد بين الفقهاء أنه لا يصح التفضيل فى الأحكام الفقهية ، فلا يقال أوجب ، وأفرض ، وأحل ، وأحرم ، وأكره ، لأن أفعل التفضيل لا يكون إلا فى عمل يقبل الزيادة أو النقص ، وهذه الأحكام مرتبطة بالفعل التكليفى لا تقبل زيادة أو نقصا ، فلا يقال فرض جدا ، وحرام كثير وهكذا[١] وانما التفاضل مرتبط بالعمل بما يتميز به من صدق ، واخلاص ، وزيادة ونقص.

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث أن الأعمال يفضل بعضها بعضا بطريقة نسبية . فقد يفضل العمل فى حال نفسه فى حالة أخرى ، ومع شخص أو جماعة دون غيرهما ، وتوضح أن أفضل أعمال المؤمن القلبية هو الإيمان بالله تعالى .

وتشير تعدد إجابة النبى ﷺ واختلافها إلى نسبية الأفضلية مثل قوله ﷺ حين سئل عن أى الإسلام خير ؟ ... قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف[٢] .

ولما سأل أبو موسى الأشعرى ، وابن عمرو رضى الله عنهم رسول الله ﷺ عن أى المسلمين خير ؟ أجاب ﷺ بقوله : (من سلم المسلمون من لسانه ويده)[٣] ، **وقوله ﷺ :** (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[١] ، **وقوله ﷺ :** (خيركم خيركم لأهله)[٢] .

---

(١) إكمال اكمال المعلم ج١ ص١٩٠ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الإيمان . باب إطعام الطعام من الإسلام ج١ ص١٢ .

(٣) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب بيان تفاضل الإسلام ، وأى أموره ج١ ص٦٥ .

وقد دلت هذه الأحاديث على ما دل عليه الباب من أن اختلاف الخيرية تابع للأحوال والأشخاص ، أو أن أفعل التفضيل على غير بابه ولا تفيد إلا الوصف .

إن الصحابة رضوان الله عليهم ألفوا من الرسول ﷺ قربا وحبا ، وآمنوا بأن الله يوحى إليه بما يكمل الدين، وبما يصلح شأن الحياة والناس.

وقد دخل الصحابة فى دين الله صادقين ، واجتهدوا فى الاستفادة بنور الصحبة فأخذوا يسألون عن أفضل الأعمال فى كل جانب من جوانب الحياة .

وقد دلت أحاديث الباب على أن أفضل الأعمال هو الإيمان بالله تعالى ، واليقين بأنه واحد لا شريك له ، متصف بكل كمال يليق به ، وله الأمر كله فى الدنيا ، وفى الآخرة ، وهو على كل شيء قدير .

وقد كان ﷺ رءوفا بالمسلمين ، حريصا عليهم ، فبين لهم أساس العقيدة ، ووضح لهم أهمية الجهاد فى سبيل الله لتكون كلمة الله هى العليا ، ودلهم على منهج تطهير النفس والمال بأداء حج مبرور ، خال من الرياء ، والآثام ، والمعاصى .

ولما سأل الصحابة عن أفضل عبد يقومون بعتقه ، عرفهم باختيار العبد المميز بعقله وعمله ، المحبوب عند أهله لإعلاء ذوى الفضل ، والتقرب لجماعته وقومه .

---

(١) صحيح البخارى. كتاب. فضائل القرآن. .. باب. خيركم من تعلم القرآن. وعلمه ج٦ ص١٩٢ .

(٢) سنن الترمذى . كتاب أبواب المناقب . باب فى فضل أزواج النبى ﷺ ج٥ ص٧٠٩ .

ولما سأل الصحابة رضوان الله عليهم عن أهم الأعمال الاجتماعية التى يقومون بها ، عرفهم ﷺ بأنها مساعدة الصناع المهرة ليزدادوا مهارة ، ودقة وينفعوا الناس بالتقدم فى الصناعة ، فإن لم يجدوا صانعا ماهرا فعليهم أن يساعدوا الضعيف العاجز لإعانته ومساعدته ، فإن لم يستطيعوا مساعدة الأخرق فليكفوا أذاهم عن الناس .

وفى موقف آخر يبين رسول الله لأصحابه أحب الأعمال إلى الله بعدما سألوه ﷺ عنها ، ويوضح لهم أن أحب الأعمال إلى الله إقامة الصلاة فى وقتها والمحافظة على أركانها ، وشروطها ، وتحقيق الخشوع والخضوع فى أدائها كما بين لهم ﷺ ضرورة بر الوالدين ، والجهاد فى سبيل الله تعالى .

وكان ﷺ عارفا بدين الله ، حافظا للوحى فأجابهم عن كل ما سألوا عنه بلا ملل ولا ضجر ، وتوقف ابن مسعود ﷺ عن السؤال شفقة على رسول الله ومخافة أن يتعبه بالأسئلة الكثيرة ، وبين ذلك وهو يقول : لو استزدت فى السؤال لزادنى ﷺ فى الإجابة .

ويظهر من حوار الصحابة لرسول الله ﷺ أنه كان يجيب كلا منهم بما يناسبه من عمل ، وبما يناسب المجتمع كله من مواقف ، وليست الخيرية والأفضلية منحصرة بما جاء فى أحاديث الباب فهى كثيرة معلومة من آيات القرآن الكريم ، وأحاديث رسول الله ﷺ ، وجرى الذكر تبعا للمقام والأحوال .

وتدل أحاديث الباب على انتشار المودة والحب بين رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، إذ كان ﷺ يجيبهم فيما سألوا عنه ، ولا يزيدهم ، وكانوا

رضوان الله عليهم يعلمون ذلك من رسول الله ﷺ فتوقفوا عن السؤال خوفا من تعب رسول الله ﷺ .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن أصحاب النبى ﷺ كانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن كل ما يحتاجون إليه ، وكان ﷺ يجيبهم بما يناسبهم ، ولا يثقل عليهم ، وفى هذا الإطار عرفهم ﷺ بأفضل الأعمال على الإطلاق وهو الإيمان بالله تعالى ، وبين لهم بعد ذلك أحب الأعمال إلى الله ، وأنفعها للمسلمين أجمعين .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

دور الرسول ﷺ في الأمة

اختار الله رسوله من الناس ، وأنزل عليه الوحى ، وكلفه بالدعوة والبلاغ يقول الله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾[1] ويقول سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[2] .

---

(١) سورة القصص ، الآية ٦٨ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٧٥ .

وقد قام الرسول ﷺ بالدعوة خير قيام ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وترك المسلمين وهم على دين جلى واضح ، قائم على المحجة البيضاء .

ولذلك كان الرسول ﷺ موئل الصحابة فى معرفة ما يعن لهم ، وكان ﷺ يجيبهم فى كل ما يسألون عنه .

وكان الرسول ﷺ فى حياته مصدر المعرفة الحقة لأصحابه ، فلم يغب عنهم حكم ، ولم يجهلوا أمرا يحتاجون إليه لإصلاح أنفسهم ، واصلاح الحياة كلها .

وهذا الدور لرسول الله ﷺ مستمر إلى يوم القيامة بصورة أجلى وأوضح ، فلئن كان ﷺ حيا بين أصحابه ، يمدهم بنوره ، ويصلحهم بوحى الله المنزل عليه ، فإن المسلمين اليوم يتمتعون بدور رسول الله معهم أكثر ، فلقد تضمنت كتب السنة ، ومؤلفات السيرة ، ومراجع الشمائل والصفات كل شيء عن رسول الله ، فتعرف بأحواله ، وصفاته الخلقية ، والخلقية ، وتقدم خصائصه الذاتية ، وكمالاته البشرية ، وتفصل منهج معاملاته مع زوجاته ، وأهله ، وخدمه ، وأصحابه ، وتشرح كيفية نومه ويقظته ، ومشيه ، وسكونه وتعرف بما يرضيه ، وبما يغضبه ، ولم يبق الرسول ﷺ مجهولا فى أى جانب من جوانب حياته الشخصية ، ورسالته ، ونصائحه .

ولذلك :

فواجب الناس أن يتخذوا من الرسول قدوة لهم ، وأن يعودوا لسيرته فى كل أمور حياتهم .

ولئن بحثنا عن السبب فى إخراج الرسول لخير أمة ظهرت للناس ، والعجز عن إخراجها اليوم مع وجود العوامل البناءة ؟

لئن بحثنا عن السبب فإننا سنجده فى الناس ، فهم يعلمون ولا يعملون ، ويعيشون مع الإسلام كرافد ثقافى يتساوى مع روافد الثقافات الأخرى ، ويهملون تعاليم الإسلام فى الحكم والسياسة ، ويقدمون عليها فى بعض الأحيان ثقافة العرى والضلال ... ويقارنون بين حكم الله وحكم الناس كأنهما أمران متساويان .

ولهذا يظهر أن السبب فى التخلف هو الناس أنفسهم .

إن صحابة رسول الله ﷺ لم يأخذوا من نظم الفرس أو الروم (مع وجودها ، ومعرفتهم إياها) شيئا ، وانما ألقوها خلف ظهورهم ، ورضوا بحكم الله ورسوله .

ولذلك :

تحددت سبل الفلاح التى اتبعها الصحابة ، فى اتخاذ الرسول ﷺ مرجعهم الوحيد ، ومصدر معرفتهم وعلومهم ، واكتفوا بما سمعوا وعلموا منه ﷺ .

والدعاة هم ورثة النبوة ، وعليهم تفهيم الناس ليعودوا إلى دين الله تعالى ويستقيموا على الطريق القويم .

الركيزة الثانية

أهمية العلم فى الحياة الإسلامية

قام الإسلام على العلم ، وبه كانت حياته واستمراره ، لأنه مجموعة من المعارف والمفاهيم المحتاجة إلى العمل والتطبيق ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالعلم والمعرفة .

لقد دعا الإسلام إلى العلم فى حد ذاته والى العلم بالدين على وجه خاص وفضل العلماء ، وجعلهم موطن السؤال والدعوة ، فهم يعلمون الإسلام وأحكامه من المصادر الدينية الصحيحة ، ويقدمونه فى دعوتهم إلى الناس بالحكمة الدقيقة ، والحسن فى الموعظة والجدل .

ولولا العلم ما انتشر الإسلام ، ولذلك وجدنا المسلمين يأتون رسول الله ليسمعوا قوله ، ويفهموا إجابته عن سائر ما يسألون .

وأحاديث الباب تدل على ضرورة العلم والتعليم ، لأن الجهل مدعاة للضلال ، وجهل الدعاة سبب لانصراف الناس عن دين الله تعالى .

والواجب تخير الدعاة المتصفين بالعلم ، وحسن الفهم ، والحكمة فى الخطاب والدعوة ، فهم ورثة النبوة ، وحملة رسالة الله للناس ، والواجب عليهم إيصال الإسلام للناس على وجهه الصحيح ، المحرك للعقل ، المثير للوجدان المصاحب للخير ، ونشر الأمن ، وتحقيق السعادة .

وعلى الدعاة تحمل المشاق فهم على ثغر خطير من ثغور الإسلام ، وخصوم الإسلام كثيرون ، وبفلاح الدعاة يتحقق الفوز والنصر بإذن الله تعالى .

الركيزة الثالثة
دور الاستفهام والحوار
فى الدعوة إلى اللّه تعالى

الاستفهام فن هام من فنون الدعوة إلى الله تعالى ؛ لما يمثله من منهجية تحدد الطريق ، ومن أسلوب يظهر جمال الخطاب والمناقشة .

إن الاستفهام منهج دعوى يوضح ثقة السائل فيمن يسأله ، واطمئنانه إلى علمه ومعرفته ، ويظهر الجوانب التى يريدها السائل ، ويوضح الخفايا الغائبة عن المتحاورين ، ولولا هذه الفوائد ما تحمل أحد مشقة السؤال وانتظار الإجابة وهو منهج يمكن الداعية من اختيار أسئلته لتوجيه الحوار نحو المعانى التى يريد إظهارها ، والدعوة إليها فى صبر وأناة ، واستعراض للآراء حتى لا يفاجئ السائل المسئول بمراده ، ويتحول الحوار إلى إملاء وتلقين .

والاستفهام فى جملته يحقق تعاونا مشتركا بين السائل والمجيب ، ويرمز إلى منهج شورى فى حياة المسلمين .

ومن محاسن الاستفهام أنه يجزئ الموضوع ، ويوضح الحكم فى كل جزئية قبل الانتقال لغيرها ، وفى نفس الوقت يمكن الطرفين من تدارك ما قد يفوتهما .

وأسلوب الاستفهام قائم على الإيجاز ، ومن المعلوم أن البلاغة هى الإيجاز فى الحقيقة ، وخير الكلام ما قل ودل ، واللمحة المفيدة خير من الإطالة المملة .

والاستفهام أنواع كثيرة فقد يكون لمعرفة الحقيقة ، وقد يكون للإنكار ، وقد يكون للتعجب ... أو لغير ذلك ، ولهذا حسن استعماله فى الدعوة لتحقيق الغرض الذى يحقق للدين البلاغ والانتشار .

لقد توصل العلماء المعاصرون إلى أهمية المناقشة فى الأمور كلها ، فظهرت المجامع ، والمؤسسات ، ونظمت الهيئات والنقابات ، وتكون العديد من التجمعات البشرية التى توصل للحق بعد الحوار والمناقشة .

إن الجامعات والكليات، ومراكز البحوث لها مجالسها الجامعة لعلمائها الذين يجتمعون بصفة دورية لمناقشة قضاياهم ، واتخاذ القرارات المناسبة لمؤسساتهم ، ومجامعهم .

ومن إيجابيات الحوار تجزئة السؤال ، وتجزئة الإجابة ، وتخير المنهج الأمثل فى الانتقال من جزئية إلى أخرى كأن يبدأ بالسؤال عن القضايا الأهم ، وبعدها ينزل إلى المهم ... وقد يكون السؤال بالعكس .

ومن إيجابيات الحوار أيضا أنه يولد قضايا جديدة تظهر مع السؤال ، أو مع الإجابة ، وبذلك يتسع موضوع الحوار والمناقشة .

والدعاة الموفقون يستفيدون بالسؤال، ويحيطون إجابتهم بأمور دعوية خالصة ، وأوضح مثال على هذه الحقيقة ما فعله يوسف عليه السلام حين سأله الفتيان اللذان دخلا معه فى السجن ، وطلبا منه أن يعبر لهما ما رأيا بعدما رأوا فيه علما، ورفقا ، وحسن معاملة ، فأمهلهم فى التعبير ، وعرفهم بالله تعالى، ثم وجههم إلى ضرورة عبادته ثم عبر الرؤيا لهم بعد ذلك[١] .

إن الاستفهام والحوار فن أصيل من أصول الدعوة ، وأحاديث الباب تقدم هذا المنهج من خلال عرضها أسئلة الصحابة لرسول الله ﷺ ، وأجابته ﷺ لهم .

---

(١) تضمنت الآيات من ٣٦ . ٤١ من سورة يوسف قصة هذا الحوار .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) الرسول ﷺ هو مستقبل الوحى ، ومبلغ الدين ، والواجب اتخاذه مصدر الدين كله ، والعودة إلى منهجه لنكون من أتباعه حقا .

(٢) الإيمان بالله تعالى هو أساس الدين ، وبه تتحقق أركان العقيدة ، وتتضح الأحكام ، ويتحدد الخلق ، ولذلك فهو أفضل الأعمال .

(٣) قيمة العمل تكون بمقاصده ونواياه ، ولذلك قيد الجهاد بأنه فى سبيل الله وقيد الحج بالمبرور .

(٤) من أدب المتعلم والسائل عدم الإكثار فى السؤال والطلب شفقة على المعلم والمسئول .

(٥) أعلى طرق التفهيم إفادة تجزئة الموضوع ، وعدم الانتقال إلى جزئية أخرى إلا بعد تفهيم الجزء الأول .

(٦) من براعة الدعاة والمعلمين التمهيد للموضوع ، وتحفيز المستمع إليه ليقبل المستمع إليه للرغبة فيه .

(٧) تلوين البيان ، والموضوع ، فهذه أحاديث الباب تتناول موضوعا واحدا ومع ذلك تغاير أسلوب العرض . ففى الحديث الأول يكون التنزل من الأفضل إلى الأقل منه ... وفى الحديث الثانى تتعلق الأفضلية بكل نوع على حدة ، وفى الحديث الثالث يكون العد والتنزل فى أعمال أخرى .

(٨) من جملة أحاديث الباب يتضح أن الإسلام عقيدة وشريعة ، وخلق .

(٩) من المهم حسن المراجعة والسؤال ، وضرورة صبر المفتى ، والداعى والمعلم على من يسأله ، ويدعوه ، ويعلمه فقد تكثر مسائله ، وقد يبطئ الفهم والاستيعاب .

(١٠) من المستحسن صبر المفتى والمعلم على من يفتيه أو يعلمه ، واحتمال كثرة مسائله ، وتقريراته .

(١١) من الجائز الاخبار عن احتمال حدوث أمور فى المستقبل باستعمال (لو) لقول ابن مسعود : لو استزده لزادنى .

(١٢) من الضرورى شفقة الصغير على الكثير حتى لا يثقل عليه بكثرة الطلب والسؤال .

ـ ٢٧ ـ

٣٥ ـ باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها قبحا بعده

[٥٣] ، (١) حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ :

٤٤٧٧ أي الذنب أعظم عند الله ؟

قال ﷺ : أن تجعل لله ندا وهو خلقك .

قلت : إن ذلك لعظيم .

قلت : ثم أي ؟

قال ﷺ : وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك .

قلت : ثم أي ؟

قال ﷺ : أن تزاني حليلة جارك[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أقبح الذنوب التى يقع فيها الإنسان ، وأكبرها عبادة غير الله تعالى ، واتخاذ شريك لله مع أنه سبحانه هو الخالق وحده ، ولا حول ولا قوة لغيره ، ويوضح الحديث ذنوبا أخرى قد يقع فيها المسلم تقل منزلتها عن الشرك ، ويعاقب الله عليها عقوبة مؤلمة .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير ، تفسير سورة البقرة : ٣ باب قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ . وانظر الحديث في أرقام : (٤٧٦١ ، ٦٠٠١ ، ٦٨١١ ، ٦٨٦١ ، ٧٥٢٠ ، ٧٥٣٢) عند البخارى .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

(قال) **عبد الله بن مسعود** ﷺ (سألت النبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله) **السائل هو عبد الله بن مسعود** ﷺ **راوى الحديث فقد سأل النبى** ﷺ **عن أى الذنوب أشد عقوبة عند الله تعالى ، وأكثر جرما فى ذاتها ؟**

وانما كان سؤاله ﷺ **لتوضيح الأمر لنفسه ولسائر الناس .**

(قال) ﷺ (أن تجعل لله ندا وهو خلقك) **أى إن أعظم الذنوب والآثام أن تتخذ مع الله إلها آخر تعبده ، وتعتقد ألوهيته وقدرته .**

والخطاب وان كان ردا على ابن مسعود ﷺ **إلا أنه غير مقصود به وحده ، والمقصود بالحديث جميع المكلفين .**

والمعنى المراد من السؤال بيان أن أعظم الذنوب أن يجعل الإنسان لله شريكا فى الألوهية ويعبده .

والند **هو النظير المساوى ، وهو أخص من المثيل . فالند هو المشارك فى الجوهر ، والمثيل هو المشارك فى أى شيء . فالند مثل ، وليس كل مثل ندا ... والند يناقض الضد ، لأن الضد يقابل الضد الآخر ، وهما الشيئان المختلفان ، اللذان لا يجتمعان فى شيء واحد ... ففارق الضد الند وتعارضا .**

والحديث يفيد ضرورة نسبة الأفعال كلها لله تعالى سواء كانت خيرا أو شرا ، وقيام المخلوقين بها يشبه عمل الآلة التى يحركها صاحبها بعد أن هيأها لدورها ، فنسبة المخلوق لله تعالى خلق وايجاد ، وللعباد كسب ، وميل ، ونسبة شيء من الخلق لغير الله شرك بالله تعالى ، واثبات لألوهية

خالق آخر وهذا لا يصح لأن الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[١] **، وقد أمر الله تعالى بتوحيده ، وقصر العبادة له فقال تعالى :** ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[٢] **ونهى عن اتخاذ الشريك ، وبين عقوبة الشرك فى الدنيا والآخرة فقال تعالى :**

- ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣] .
- ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٤] .
- ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾[٥] .

ويشير حديث الباب إلى قبح وضلال اتخاذ ند لله تعالى فى قوله ﷺ : (وهو خلقك) أى : كيف يجعل الإنسان مخلوقا ندا لله الخالق ؟ وكيف يتساوى الخالق والمخلوق ، والقديم والحادث ، والقادر والعاجز ؟

إن الله واحد لا شريك له ، وهو الفاعل لكل موجود حادث فى الماضى والحاضر والمستقبل .

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١١ .
(٢) سورة الزمر ، الآية ٦٦ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٢ .
(٤) سورة الزمر ، الآية ٦٥ .
(٥) سورة الفرقان ، الآية ٦٨ ، ٦٩ .

(قلت : إن ذلك لعظيم) **أى : قال ابن مسعود ﷺ إن اتخاذ ند لله أمر كبير الإثم ، شديد العقوبة فهو كفر بين ، وجحود كبير ، وأكد قوله بـ (إن) واسمية الجملة ، ودخول لام التوكيد على الخبر ليؤكد براءته من هذا الشرك.**

ثم (قلت : ثم أي) **؟ أى : قال ابن مسعود ﷺ أى ذنب يلى الشرك فى الإثم والعقوبة ؟ ... و** "أي" **تنطق منونة للعوض عن المضاف إليه ، وتقديره : أى ذنب أكبر بعد الشرك ، و** "ثم" **ليست للترتيب فى الزمان ؛ لعدم ملازمة الذنوب الأخرى المذكورة بالضرورة للشرك فقد توجد دونه ، وقد يوجد الشرك دونها ، وليست للترتيب الرتبى ؛ لأن شرطه كون المعطوف أعظم من المعطوف عليه إثباتا للترقى فى الرتبة ، وليس الشأن كذلك ، وانما المقصود الترتيب فى الذكر والخبر .**

وقيل : **إن** "ثم" **تفيد الترتيب فى الرتبة نحو الأدنى ، لأن الترتيب كما يكون تصاعديا يكون تنازليا ، وبذلك يصح المعنى ، ويفيد الرتيب التنازلى كما تقول نجح الطلاب ؛ الأول ممتاز ثم الثانى بتقدير جيد وهكذا .**

أجاب ﷺ عبد الله بقوله : (وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك) **أى : يلى الشرك فى الإثم والعقوبة أن تقتل ولدك مخافة الفقر ، أو لمجرد البخل ؛ لمنافاة ذلك للاعتقاد الصحيح ، فقد بين الله تعالى أنه هو الرزاق ، ونهى عن قتل الولد ، والبخل بقوله تعالى :** ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[1] **أى : لا تقتلوا أولادكم مخافة الفقر ، وبقوله**

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٥١ .

تعالى:﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾[1] **وتمنعها من النفقة ، والعطاء ، وغل اليد كناية عن الشح والبخل .**

ومعنى (تخاف أن يطعم معك) **أى : لا ترغب أن يأكل معك من طعامك ويشاركك بعض النفقة ، إيثارا من الأب لنفسه على ولده عند عدم ما يكفى ، أو لكونه بخيلا ممسكا ، وهذه إشارة إلى ما كانت الجاهلية تفعله مع البنات ، وهن من الأولاد .**

(قلت : ثم أي) **؟ أى : قال ابن مسعود** ﷺ **: ثم أى الذنوب يلى ذلك فى كبر الذنب والإثم ؟**

(قال) ﷺ (أن تزاني حليلة جارك) **أى : تزنى بزوجة جارك ، وسميت الزوجة بالحليلة ؛ لأنها تحل لزوجها ، يأتيها متى يشاء ، وهى معه فى عشرته .**

و (تزاني) **تفيد المفاعلة التى تفيد رضا زوجة الجار بمشاركة جارها فى الجرم الذى يجعلها آثمة هى الأخرى .**

والزنا فعل محرم ، ويجب البعد عنه وعن دواعيه ؛ لأن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴾[2] **والآية تبين فحش الزنا وسوء عاقبته ، ولذلك تنهى عن فعله ، وعن الاقتراب من دواعيه ، وهو مع زوجة الجار أشد جرما ،**

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٢٩ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٣٢ .

وأعظم ذنبا ، وأكثر عقوبة ، لأن الجار يتوقع من جاره الذب عنه ، وحمايته وصيانة حرمته ، ولذلك فهو يأمن بوائقه ، ويطمئن إليه .

وقد أمر الله الجار بالإحسان إلى جاره واكرامه ، فإذا قابل الجار هذا كله بالزنا بامرأته ، وافسادها عليه ، واستغل تمكنه منها على وجه لا يتمكن غيره منها كان فى غاية القبح والشناعة .

والحديث يفيد أن أعظم الذنوب على الإطلاق هو الشرك بالله تعالى ، ولذلك عقب ابن مسعود ﷺ على قول النبى ﷺ عن الشرك بقوله : (إن ذلك لعظيم) فأكده بـ (إن) واسمية الجملة ، ودخول لام التوكيد على الخبر إعلانا لصدق إيمانه ، واظهار تيقنه من أن الشرك أعظم الذنوب وأقبحها .

ويذهب جمهور الفقهاء إلى أن قتل النفس بغير حق يلى الشرك فى الإثم ، وأن بقية المعاصى بعد ذلك هى من الكبائر ، وان قيل عنها : إنها أكبر الكبائر .

وقد تجمع الكبيرة من الأمور ما يضاعف إثمها ، ويرفع قبحها وذلك كالقتل فهو كبيرة ومعصية إلا أن قتل الولد أشد لخلوه من الرحمة ، ومناقضته للفطرة .

ومثل الزنا فهو كبيرة محرمة إلا أن زنا حليلة الجار أشد جرما ، وأشنع إثما لما سبق ذكره .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

اهتم الصحابة رضوان الله عليهم بمعرفة مسائل الدين ليزدادوا بها إيمانا وطاعة ، كما اهتموا بمعرفة المعاصى ليبتعدوا عنها ، وينجوا من

آثامها وعذابها ، ولذلك كان سؤال ابن مسعود ﷺ رسول الله ﷺ عن أعظم الذنوب ، وأكبرها إثما ، وأقبحها جرما ليعلم الناس دينهم ، وما يلزمهم معه.

وأحاديث الباب تبين صبر النبى ﷺ ، وحبه فى تفهيم أصحابه ، ولذلك كان يجيبهم ، سؤالا ، سؤالا ، بلا ملل ولا ضجر ، وكان يسعده أن يرى فيهم حب المعرفة ، ودقة السؤال ، والإحاطة بالإجابة ، وسرعة الطاعة.

والحديث بيان لأفحش الذنوب ، وأعظمها ، وأشدها عقوبة ، وهو الشرك بالله تعالى ، وادعاء وجود إله آخر ، مع مناقضة هذا الشرك للبرهان والدليل ، فالله إله واحد ، وهو الخالق لكل مخلوق ، والموجد لكل موجود ، وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، ومع إقرار الإنسان بوحدة الربوبية لإيمانه بأن الله هو الخالق ، الرزاق ، والمحيي ، والمميت ، والمعطى والمانع ، وكل شيء بيده ... ومع توحيد الإنسان لله فى ربوبيته يشرك فى ألوهيته ، ويعبد آلهة أخرى ، ويجحد آلاء الله ، ونعمه ، وعطاياه ، ويرى كذبا أن بعض الخلق يوجد ويخلق .

والشرك بالله لا يساويه ذنب آخر ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] **، وبعده تأتى سائر الكبائر ، إلا أن بعضها يعظم غيره فى الإثم لعوامل وأعراض تحيط به .**

وأحاديث الباب تبين أن الخالق لكل شيء هو الله وحده ، وأنه لا يجوز أن يعبد غيره ، وليس للإنسان من فعله إلا الكسب، وفى ذلك رد على الذين يجعلون للإنسان خلقا وهم "المعتزلة" **، وعلى الذين يجردونه من الكسب والميل وهم** "المرجئة" .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

وقد اكتفى الباب بهذه المراتب الثلاث للكبائر ؛ لبيان تنوع الكبائر فى الجرم ، والمنزلة، ولتوضيح أن أكبر الكبائر الشرك بالله تعالى ، وبعدها تأتى سائر الكبائر .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الشرك بالله أعظم الجرائم ، وأن الله إله واحد ، وأن العبادة لا تصح إلا إذا كانت خالصة لوجهه سبحانه وتعالى ، وتوضح أن من الكبائر كراهية الأبناء ، وعدم الإنفاق عليهم ، ... ومن الكبائر الزنا ، وهتك أعراض الناس .

ويوضح الحديث أن الكبائر تكبر وتفحش إذا ارتكبت تحت عوامل تؤثر فى شناعتها ، وضخامتها ، مثل قتل الأبناء خوف الفقر ، مع ما لابنه من حقوق ورعاية ، ومثله الزنا بحليلة الجار مع ما للجار من حقوق .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

أهمية النظر والتدبر فى خلق الله تعالى

الكون مخلوق لله تعالى ، فكل ما فيه من أرض وسماء ، وسهول وجبال وبرية وحضر ، وانسان وحيوان ، وزرع ونبات ، وطير وهوام ، وجراثيم وحشرات ... كل ذلك وغيره من خلق الله تعالى .

وتوحيد الله تعالى ، وقصر العبادة له مرتب على ضرورة الإيمان به سبحانه وتعالى .

ولا يتحقق الإيمان إلا بالنظر والتأمل ، لأن سائر المخلوقات حادثة ، ولابد لها من محدث ، ويستحيل أن يكون هذا المحدث واحدا من هذا الكون الحادث ، ولذلك يؤدى النظر والتفكير السليم إلى ضرورة الإيمان بالله تعالى ، وصدق من قال :

تأمل فى جمال الكون ... إلى آثار ما صنع
وانظر ... المليك
عيون من لجيز شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

ومن قال :

وفى كل شيء له ... تدل على أنه
آية ... القادر

ولذلك تعجب النبى ﷺ من رجل أشرك فى الألوهية ، واتخذ مع الله شريكا يعبده ، مع علمه بأن الله هو الخالق ، وهو رب العالمين .

وقد ربط النبى ﷺ بين الشرك ، وبين التصديق بالخلق ؛ لبيان أن من يفعل ذلك يرتكب إثما وزورا لكفره بالله تعالى ، ومعارضته لمسلمات العقل ، والبرهان .

لقد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا موجودا ... وعليه أن يؤمن بمن أوجده ، ويعبده حق العبادة .

الركيزة الثانية

مقاومة الشذوذ الاجتماعى فى الناس

خلق الله الإنسان مفطورا على حب الخير ، والتعاون مع الناس ، والتآلف فى إطار مجتمع بشرى يجمع الأهل والأقارب والأبناء والجيران ... وغيرهم .

لقد جبل الإنسان على حب الولد ، وايثاره على نفسه ، وتقديم كل ما يمكنه له ، كما جبل على التعاون مع جيرانه ، ومعاملتهم بالحسنى ، ولذلك حارب الإسلام شذوذ الإنسان اجتماعيا ، فقد يضل بعض الناس ، ويعارضون الفطرة ، ويسعون فى هدمها ، كرجل يقتل ولده حتى لا يأكل معه مخافة الفقر أو حبا للشح والبخل ، كما كان الجاهليون يفعلون مع بناتهم ، ولذلك أمرهم الله تعالى بعدم قتل الأبناء فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[1] .

ومن هذا الشذوذ الاجتماعى عدوان الرجل على حرمة جاره ، والزنا بامرأته مستغلا ما بين الجيران من تعارف وتعاون ، وبدل القيام بواجبه تجاه جاره يقوم بالعدوان على زوجته وعرضه ، وهذا شذوذ كبير ، فقد حرم الله الزنا مطلقا ، ونهى عن القرب منه فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2] **وجاء حديث الباب لبيان أن الزنا بزوجة الجار من أقبح الذنوب .**

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٣١ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٣٢ .

إن حديث الباب يبين قيام تعاليم الإسلام على الفطرة النقية ، وعلى توجهات العقل السليم ، وعلى الخلق المستقيم ، وهى فى جملتها تحقق توازنا شاملا للإنسان فى حياته الفردية ، وللمجتمع فى نشاطه العام .

إن الإنسان الفرد يعبد ربه وحده فيرضى عقله وروحه ، ويعطى ولده فيرضى فطرته وقلبه ، ويحافظ على جاره فيرضى أخوته ... وبتحقق هذا الرضا ينتشر الأمن ، وتستقر الحقوق ، ويتآلف الجميع .

إن الإسلام يبنى مجتمعه على العفة والطهر ، وعلى إيجابيات الفطرة ، وأساسها الإيمان بالله تعالى ، وتوجيه هذه الأسس لبناء المجتمع الصالح ، والإنسان المستقيم .

إن الوالد مسئول عن ولده يربيه ، وينشئه ، وينفق عليه حتى يصير مسئولا مكلفا ، والمسلم مسئول عن جاره يتعاون معه ، ويحمى له عرضه ، وماله ، ويسعى فى ذمته وحاجاته ... ولذلك جاء حديث الباب فى محاربة الشذوذ الاجتماعى الذى يعارض الفطرة، ولا يسلم به الشرع والدين.

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير حديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) الرسول ﷺ هو موئل السؤال والطلب ، وهو مرجع المسلمين إلى يوم القيامة .

(٢) ضرورة نظرة الإنسان إلى نفسه ، والى ما يجب عليه ليصل إلى ما يراد منه .

(٣) دعوة الإسلام قائمة على الخلق الرفيع ، والتفكير الواعى ، ولذلك جرم الإسلام قتل الولد ، والزنا بزوجة الجار .

(٤) وضوح اتفاق أحكام الإسلام مع العقل السليم ، والفطرة النقية .

(٥) الإيمان بالله حقا وصدقا يستتبع كافة أركان الإسلام وأحكامه .

(٦) الجريمة الواحدة يتغير فحشها بقدر الحالة التى تقع فيها .

(٧) من المهم إنكار المنكر ، وبيان علة الإنكار لإظهار درجة إنكار المنكر .

(٨) الاصرار على الصغائر يحولها إلى كبائر .

ـ ٢٨ ـ

٣٦ ـ باب بيان الكبائر وأكبرها

[٥٤] ، (١) ٢٦٥٤ حديث أبي بكرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ ... (قالها ﷺ) ثلاثا .

قالوا : بلى يا رسول الله .

قال ﷺ : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وجلس وكان متكئا .

فقال : ألا وقول الزور .

قال (أبو بكرة) : فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت[١] .

[٥٥] ، (٢) ٢٦٥٣ حديث أنس ﷺ قال : سئل رسول الله ﷺ عن الكبائر قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وشهادة الزور[٢] .

[٥٦] ، (٣) ٢٧٦٦ حديث أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : اجتنبوا السبع الموبقات .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٢ كتاب الشهادات : ١٠ باب ما قيل في شهادة الزور . وانظر ورود الحديث عند البخارى في أرقام : (٥٩٧٦ ، ٦٢٧٣ ، ٦٢٧٤ ، ٦٩١٩) .

(٢) أخرجه البخاري في : ٥٢ كتاب الشهادات : ١٠ باب ما قيل في شهادة الزور . وانظر ورود الحديث عند البخارى في الأرقام : (٥٩٧٧ ، ٦٦٨٧) .

قالوا : يا رسول الله وما هن ؟

قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات[١] .

[٥٧] ، (٤) ٥٩٧٣ حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه .

قيل : يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه ؟

قال : يسب الرجل أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عددا من الكبائر التى يجب تجنبها ، والابتعاد عنها ، سواء كانت فى الاعتقاد ، أو الأعمال ، أو الأخلاق .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٥ كتاب الوصايا : ٢٣ باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا ﴾ . وانظر ورود الحديث في أرقام : (٧٥٦٤ ، ٦٨٥٧) .

(٢) أخرجه البخاري في : ٧٨ كتاب الأدب : ٤ باب لا يسب الرجل والديه ، ولم يرد الحديث في باب آخر .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا) "ألا" حرف تحضيض وتنبيه يسوقه القائل فى مقدمة قوله للتنبيه على أهمية وشرف ما يقول ، وقد نبه الرسول ﷺ أصحابه بهذا الحرف وهو يخبرهم بأكبر الكبائر لينتبهوا ، ويعلموا خطورة الكبائر ، وأكبرها .

والكبائر جمع كبيرة ، والمراد بها كل عمل فاحش يستحق صاحبه اللعن والطرد من رحمة الله تعالى ، أو ما يعاقب فاعلها فى الدنيا بالقصاص والحد أو ما يعده الناس جرما فاحشا ، أو هو كل معصية يراها الناس أكبر من غيرها عرفا ، أو ما يخرج صاحبه من الملة بالكلية .

وقد بين النبى ﷺ أهمية سؤاله بعدة أمور بيانية هى :

(١) بدأها بحرف التنبيه والتحضيض (ألا) بفتح الهمزة ، وتخفيف اللام للتنبيه ، والإشارة إلى أهمية ما بعدها ، وهى فى الأصل مركبة من همزة الاستفهام ، و (لا) النافية ، وهى فى جملتها تفيد الاستفهام كما تفيد التنبيه والظاهر أنها فى الحديث المذكور للاستفهام خاصة ، لأن الصحابة رضوان الله عليهم أجابوا ، وقالوا : بلى يا رسول الله ، أى : نعم ، وقولهم : "بلى" يفيد الإثبات ، لأنه جواب لسؤال منفى ، ونفى النفى إثبات .

(٢) تكرار السؤال ثلاث مرات لبيان أهميته ، واظهار الحاجة إلى معرفته .

(٣) إيراد كلمه (أنبئكم) فى السؤال ، وهو لفظ ينبئ بخطورة ما يتناوله لتعلق النبأ بالأخبار الهامة ، المتصلة بالقضايا الخطيرة ، والقضايا القديمة ذات التأثير القوى ، وبين النبأ والخبر اختلاف كبير .

(٤) استعمال صيغة السؤال فى الحوار والمناقشة لبيان أن موضوع الحوار مجمع على أهميته ، والجميع محتاج إلى معرفة أحكامه وحكمته .

وقد دلت إجابة الصحابة لرسول الله على رغبتهم فى معرفة الإجابة عن هذا الموضوع الهام ، حيث نادوا الرسول ، وطلبوا منه أن ينبئهم بأكبر الكبائر ، وذلك فى قولهم : (بلى يا رسول الله) **أى : أنبئنا يا رسول الله بأكبر الكبائر ، فأنت أعلم بها منا ، والوحى يخبرك بها .**

فعدها لهم رسول الله ﷺ كما جاءت فى أحاديث الباب وغيرها ، وكررها لأصحابه تأكيدا لهم على خطورتها .

(قال) ﷺ (الإشراك بالله وعقوق الوالدين) **أى إن من أكبر الكبائر الشرك بالله ... ويراد بالإشراك ، مطلق الكفر ، وسماه الرسول ﷺ بالشرك لغلبته في بلاد العرب .**

ومن المعلوم أن الكفر فى دلالته اللغوية غير الشرك ، لأن الكفر تعطيل مطلق للألوهية ، والشرك إثبات لها مع التقييد كما كان العرب يفعلون .

(وجلس) ﷺ (وكان متكئا) **أى غير الرسول ﷺ من هيئته فاعتدل وجلس وكان متكئا على جنبه معتمدا على ذراعه فوق أريكته ، وهذا التغيير بيان لخطورة كبيرة قول الزور ، ثم قال ﷺ بعد اعتداله :** (ألا وقول الزور) **وسبب هذا الاهتمام أن النطق الكاذب أسهل ورودا على اللسان من الفعل ،**

ولا يهتم المشرك بالكذب كثيرا ، لتصوره أنه أقوال مرسلة ، لا ضرر من ورائها .

فإن قيل : **لم كان هذا الاهتمام مع قول الزور دون الشرك وعقوق الوالدين ؟**

أقول : **إن الشرك فى حد ذاته تأباه الفطرة ، ويرفضه القلب والعقل ، وعقوق الوالدين ينصرف عنه الطبع السليم ، وأصول الخلقة ، ولذلك اكتفى الحديث بذكرهما ... أما قول الزور فمعه يتساهل المنافقون ، وضعاف الإيمان ، ولذلك كان الاهتمام به أشد .**

وأيضا **فالحوامل على الزور كثيرة كالعداوة ، والحسد ، وحب الغلبة وقهر الخصوم ولذلك كانت الحاجة شديدة إلى الاهتمام بتعظيمه أمام فاعليه ، وليس ذلك لعظمته بالنسبة إلى ما ذكر معه فى الحديث من الإشراك وعقوق الوالدين .**

وأيضا **فإن مفسدة الزور متعدية إلى غير قائله بخلاف الشرك فإن مفسدته قاصرة على المشرك وحده غالبا .**

وأيضا **فإن عقوق الوالدين معرة بين الناس ، والشرك جحود منكر ... أما قول الزور فقد لا يعلمه كثير من الناس .**

وقد ورد فى الحديث الأول قوله ﷺ : (ألا وقول الزور) ... وورد فى الحديث الثانى : (وشهادة الزور) لبيان خطورة الزور وتوضيح أنه يشمل الكذب فى الشهادات والأقوال .

وقد جمعت الآيات القرآنية هذه الكبائر فى قوله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[1] **، وفى قوله سبحانه :** ﴿ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾[2] .

وفى الحديث الثالث أمر النبى ﷺ بترك المهلكات السبعة ، والبعد عنها لما فيها من أذى ، وما يتبعها من ضرر ، وعددها لهم بعدما طلبوا معرفتها .

وقد أخذت أحاديث الباب فى إيراد الكبائر واحدة بعد الأخرى ، ونلاحظ معها ما يلى :

أولا : **بدأ الحديث الأول والثانى والثالث بذكر الشرك بالله لأنه أكبر الكبائر ، ولم يشر إليه الحديث الرابع لتعلقه بكبيرة واحدة وكل ذلك أوجه للقول جاءت مراعية للمقام .**

ثانيا : **تظهر الأحاديث أن بعضها كان سؤالا من رسول الله لينبئهم بالإجابة مثل الحديث الأول ، أو أن أحد الصحابة سأل رسول الله ﷺ عن الكبائر فأجابهم كما فى الحديث الثانى ، أو أن الرسول ﷺ لما أمرهم بتجنب الموبقات السبعة طلب الصحابة رضوان الله عليهم من الرسول أن يبينها لهم مثل الحديث الثالث ، أو أنها جاءت قولا مجردا مسوقا من النبى ﷺ لأصحابه مثل الحديث الرابع ، وفى تراكيب الأحاديث اللغوية إعجاز بلاغى لأنه يؤدى المعنى الواحد بأساليب مختلفة .**

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٢٣ .

(٢) سورة الحج ، الآية ٣٠ .

ثالثا : **جملة الأحاديث تبين أهم الكبائر والموبقات التى تضر إيمان المؤمن ، ويستحق فاعلها العقوبة فى الدنيا وفى الآخرة ، وأكبرها على الإطلاق هو الكفر بالله ، واشراك غيره معه فى الألوهية والأسماء والصفات . وتفصيل الكبائر المذكورة فيما يلى :**

(١) الشرك بالله :

والمراد بالشرك بالله اتخاذ العبد المخلوق إلها ، وجعله شريكا لله فى الخلق والإيجاد والإبداع ، وهذا أمر يخرج من الملة ، ويحكم على صاحبه بالكفر ، والشرك يشمل منكر الألوهية ، ومنكر الرسالة ، والمنكر لأى ركن من أركان العقيدة ، وليس أعظم من الكفر ذنب آخر ... والشرك بالله عمل ينافى الدليل العقلى والشرعى ، لأن الخالق هو الموجد ، ولابد أن يكون واحدا ولا يصح تصور أن يكون المخلوق خالقا ، لأن الشيء لا يوجد نفسه ، وتصور أمر واحد فاعل ومنفعلا فى وقت واحد لا يجوز ، كما يجب التسليم بأن الخالق هو الله والعاجز المحتاج لا يكون إلها أبدا ، وتأمل الوجود فى تنوعه ، وتجدده ، وتكامله ووحدة مساره يؤكد أن صانعه قادر حكيم ، متقن ، وهو الله تعالى .

والنصوص الشرعية توضح أن الله إله واحد . يقول الله تعالى : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾[1] **وتبين الآيات صفاته سبحانه وتعالى فهو السميع العليم ، البصير ، القادر ، الحى ، الباقى ، الكبير ، المتعال سبحانه وتعالى عما يشركون ... يقول الله تعالى :** ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦٣ .

عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[1] **وآيات القرآن الكريم كلها تثبت التوحيد المطلق لله تعالى ، وتنفى ما عداه ، وتوضح أن تعدد الآلهة يؤدى إلى التضارب ، والفساد ، وتحقق العدم . يقول الله تعالى :** ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2] ، **وقال الله تعالى :** ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[3]

والكفر بالله يحدث بإنكار ركن من أركان العقيدة أو بإنكار الشريعة ومناقضة دين الله عمدا وقصدا ، وانما ذكر الحديث الشرك بالله لغلبته عند الكفار ، وظهوره بينهم .

(٢) عقوق الوالدين :

العقوق مأخوذ من العق ، وهو القطع ، والمراد به صدور أذى من الولد يتأذى به والداه ، أو أحدهما من قول أو فعل ، أو عدم طاعتهما فى الأمور المشروعة ، أو سبهما ، أو نهرهما ، أو قطع رحمهما .

إن طاعة الوالدين فى المباحات واجبة ، وفى المندوبات وفروض الكفاية مستحبة ، ولذلك كانت معصيتهما فى المباحات والمندوبات عقوقا يدور بين التحريم والكراهة .

ومن عقوق الوالدين رفع الصوت عليهما ، ونهرهما ، والتعالى عليها ، وعدم الدعاء لهما ، وعدم تذكر فضلهما ، ... فكل ذلك عقوق نهى الله

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥٥ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٥١ .

عنه فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾[1] **ففى الآية نهى عن صور من عقوق الوالدين ، لأن مخالفة واحد من هذه المنهيات ، أو المأمور بها يؤذى الوالدين أذى كبيرا .**

(٣) شهادة الزور :

دارت روايات الأحاديث حول الزور فى الشهادة والأقوال العامة ... وأصل الزور **تحسين الشيء ، ووصفه بخلاف صفته التى هو عليها ، حتى يخيل لمن سمع الزور أن الشيء بخلاف ما هو عليه ، فهو قائم على مخالفة الواقع ، والإخبار عنه على خلاف ما هو عليه .**

والزور كذب **فى القول وفى العمل فيشمل كل قول باطل مخالف للحقيقة كما يشمل كل فعل على خلاف ما يقتضيه واقعه ...**

ويضاف الزور إلى الشهادة فيختص فى الأقضية والدعاوى ...

وقد يضاف إلى الفعل فيثبت عملا لم يقع ، أو ينفى عملا قد وقع ، ومنه قولهم : (هذا لابس ثوب الزور) .

ومن شهادة الزور أن يشهد عمدا بوقوع ما لم يعلم وقوعه ، حتى لو كان قد وقع بلا علم له به ، أو أن يشهد بعدم وقوع أمر علم وقوعه .

والزور **فى جملته من أكبر الكبائر المنهى عنها ، وجاءت الروايات بأن شهادة الزور ، أو قول الزور من أكبر الكبائر .**

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٢٣ ، ٢٤ .

وانما كانت شهادة الزور من الكبائر لأنه يتوصل بها إلى إتلاف النفس وضياع المال ، وتحريم الحلال ، وتحليل الحرام ، وليس بعد الشرك أعظم منها .

وقد بينت الأحاديث اهتمام النبى ﷺ ببيان خطورة الزور باعتداله عند بيانها ، وكان متكئا ، وتكراره لها حتى أشفق عليه الصحابة رضوان الله عليهم وتمنوا أن يسكت ﷺ راحة له من التعب .

ويرجع سبب اهتمام الرسول ﷺ بتقبيح شهادة الزور سهولة حدوثها ، والتهاون بها مع شدة ضررها ، وقبح آثارها ، واتساع دائرة ضررها لأنها تلحق بالشاهد وغيره من الناس .

وشهادة الزور كبيرة من الكبائر بلا فرق فى أن تكون من فقير أو غنى أو من صغير أو كبير ، أو لصالحهم أو عليهم ... لأن الاعتبار يعود إلى الكذب فى حد ذاته مرتبطا بما يتعلق به ، وبالأثر الذى يحدثه .

(٤) قتل النفس :

المراد بقتل النفس إزهاق الروح بغير حق ، كالقتل المباشر ، أو التسبب فيه أو المعاونة عليه ، أو الرضى به ، وقد حرم الله قتل النفس بغير حق ، وجعل فاعله قاتلا للناس جميعا ، فقال تعالى : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1] .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٣٢ .

وقد دلت أحاديث الباب على أن قتل النفس بغير حق جريمة قبيحة ، وكبيرة محرمة ، لا يصح حدوثها بين المؤمنين الصادقين .

(٥) السحر :

وهو علم يقوم على التخييل ، والظن ، والمخادعة ، وارهاب الجوارح ، وتهيئة الناظر لتصديق ما لم يقع ، وتوقع ما لم يحدث ، وهو علم له قواعده ، وأسسه ، ولا يصح الاشتغال بالسحر لعموم ضرره ، وقد أجاز بعض العلماء تعلمه للبعض ليدفعوا ضرره ، ويحدوا من خطورته .

وقد اختلف العلماء فى حقيقة السحر ، فذهب البعض إلى أنه تخييل لا حقيقة له ، قائم على السرعة والمخادعة لقوله تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[1] .

وذهب الجمهور **إلى أن للسحر حقيقة ، وهو علم له منهجه ، وطريقته غير أنه لا يحيل حقيقة إلى غيرها ، وقالوا : لا يصح إنكار السحر بالكلية لقوله تعالى :** ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ

---

(١) سورة طه ، الآية ٦٦ .

﴿ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾[١] **وقد تناول القرآن الكريم قصة فرعون وسحرته ، وما حدث منهم مع موسى وهارون عليهما السلام فى يوم الزينة .**

يروى البخارى أن رجلا من بنى زريق يقال له لبيد بن الأعصم سحر رسول الله ﷺ حتى كان يخيل إليه أنه صنع شيئا ولم يصنعه[٢] .

والسحر والكرامة والمعجزة والاستدراج من خوارق العادات إلا أن بينهما فروقا جوهرية .

فالسحر يكون بمعاناة أقوال وأفعال وحركات يتمكن بها الساحر من فعل ما يريده .

أما الكرامة فإنها لا تحتاج لذلك ، وهى خارقة للعادة يجريها الله على يد رجل صالح تكريما له ، بلا تحد ، ولا ادعاء للنبوة .

وأما الاستدراج فهو خارق للعادة يظهره الله على يد مدعى الألوهية تصديقا لدعوته استدراجا له كما يحدث مع المسيح الدجال .

والمعجزة أمر خارق للعادة يظهرها الله على يد النبى تصديقا له ، وتمتاز بالتحدى المثبت لدعوى النبوة ...

وأيضا فإن السحر يكون على يد فاسق ... والمعجزة تظهر على يد مدعى النبوة ... والكرامة تظهر لرجل صالح .

ومن الضرورى العلم بأن كثيرا مما يطلق عليه السحر اليوم شعوذة ، ودجل ، يقوم على الخديعة ، وسرعة الحركة ، ولذلك يقول القرطبى : السحر حيل صناعية ، يتوصل إليها بالاكتساب غير أنها لدقتها لا يكتشفها

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٠٢ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الجزية . باب هل يعفى عن الذمى إذا سحر ج٤ ص١٠١ .

إلا آحاد الناس ، ولذلك يعظمها من لا يعرفها . يقول الله عنها : ﴿ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[١] **فى نظر من يراها ويشاهدها .**

يقول أبو بكر الرازى : إن الذى ظنه موسى سحرا كان خيالا لقوله تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[٢] **فسعيها خيال لا حقيقة له .**

وعمل السحر حرام ، وقد عده النبى ﷺ من الموبقات ، وهو من الكبائر بالإجماع ، ومنه ما يكون كفرا ، ومنه ما يكون معصية إلا إذا تعلمه البعض لمعرفة طرق الوقاية منه .

(٦) أكل الربا :

والربا أكل مال الناس بالباطل ، كأن تقرض مالا ، أو تقترضه مع زيادة فى رده ، فذلك هو الربا الذى حرمه الله تعالى فى قوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣]، **ويقول ﷻ :** ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾[٤] ، **ويقول ﷻ:** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٥] ، **ويقول ﷻ:** ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾[٦] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١١٦ .
(٢) سورة طه ، الآية ٦٦ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٣٠ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٢٧٥ .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٧٨ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٧٦ .

ويقول النبى ﷺ :

- **(الذهب بالذهب مثلا بمثل ، والفضة بالفضة مثلا بمثل ، والتمر بالتمر مثلا بمثل ، والبر بالبر مثلا بمثل ، والملح بالملح مثلا بمثل ، والشعير بالشعير مثلا بمثل ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى)**[١] .
- **(لعن الله آكل الربا ، وموكله ، وكاتبه ، وشاهده)**[٢] .
- **(كل قرض جر منفعة، فهو ربا)**[٣] .

والربا محرم بجميع أنواعه ، وقد جعله رسول الله فى أحاديث الباب من أكبر الكبائر .

(٧) أكل مال اليتيم :

اليتيم هو من فقد أحد أبويه ، وهو دون البلوغ ، وأكل ماله يكون بأخذه والاستيلاء عليه بأى وجه من الوجوه بلا حق للآخذ فيه ، وسمى أخذ مال اليتيم بالأكل لأنه الغالب فى أخذه ، وقد أمر الله بالعناية باليتامى ، وتربيتهم ، والمحافظة على أموالهم حتى يبلغوا راشدين . يقول الله تعالى : ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾[٤] .

---

(١) سنن الترمذى . كتاب أبواب البيوع باب ما جاء أن الحنطة بالحنطة مثلا بمثل ج٣ ص٥٣٢

(٢) مسند أحمد . مسند عبد الله بن مسعود ج٦ ص٢٧٠ .

(٣) مصنف ابن أبى شيبة ج٤ ص٣٢٧ .

(٤) سورة النساء ، الآية ٦ .

ولا خلاف بين العلماء فى أن أكل مال اليتيم كبيرة من الكبائر ، قل المال أو كثر ... وانما الخلاف فى أجرة ولى اليتيم ، القائم على ماله ، وهل له أن يأكل منه أو لا ؟

وظاهر الحديث يشير إلى عدم الأكل من مال اليتيم مطلقا .

ويذهب جمهور الفقهاء إلى أن لولى اليتيم أن يأكل من مال اليتيم بقدر عمله ، وعند الحاجة إليه بشرط أن لا يكون ذهبا أو فضة .

والأولى **جواز أن يأخذ الولى أجر المثل على عمله لأن القول بحرماته من الأجرة يؤدى إلى عدم العثور على ولى لليتيم ، يقوم بالعمل له من غير أجرة .**

(٨) التولى يوم الزحف :

والمراد بالتولى يوم الزحف الهرب والفرار من قتال العدو يوم القتال وساعة الحرب ، أو عند الدخول فى أرض العدو والتأهب للقتال .

(٩) قذف المحصنات المؤمنات الغافلات :

والمراد بقذف المحصنات ، المؤمنات ، الغافلات اتهامهن بالزنا من غير بينة شرعية مع أنهن معروفات بالإحصان ، والإيمان ، والغفلة .

وللإحصان **معان عدة فى دين الله ولغة العرب منها العفة ، والإسلام ، والنكاح ، والتزويج ، والحرية ، والمراد منه فى الحديث الحرية والعفة .**

والمراد بالإيمان دخولهن فى الإسلام ، والتزامهن بتعاليم الله تعالى .

والمراد بالغفلة **بعدهن عن الفواحش ، وعدم معرفتهن بها ، أو بمن يقذفهن بها .**

ورمى المرأة بغير الزنا كالسرقة وغيرها من المعاصى لا يعد قذفا لها للأوصاف التى جاءت فى الحديث ، فهى تدل على أن القذف اتهامهن بالزنا ، وقد شرع الله حدا للقذف .

(١٠) لعن الرجل والديه :

لعن الرجل أباه أو أمه من أكبر الكبائر ، وقد خصه الحديث الرابع بالذكر ، وجعله عملا ممقوتا مذموما ، فلعن الولد والده الذى جعله الله سببا فى إيجاده ، وراعيا له فى صغره ، ونشأته ، وعند مولده من أكبر الكبائر ، ولذلك سأل الصحابة رضوان الله عليهم عن كيفية هذا الفعل القبيح من الرجل وقالوا : وكيف يلعن الرجل والديه ؟

قال ﷺ : (يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه) **أى إن سب الرجل أحد أبوى غيره يجعله يرد عليه بسب أبيه أو بسب أمه ، وبذلك يكون الولد سببا لشتم أبيه وشتم أمه .**

والتعبير يشمل الرجل والمرأة أيضا ، وحديثه عن الرجل جرى مجرى الغالب .

وفى أحاديث الباب عدد من الملحوظات :

الملحوظة الأولى : **تنوعت أساليب النبى ﷺ فى ذكر أكبر الكبائر لأن تنوع الأساليب يؤكد المعنى ، ويوضح المقصود ، ومن المعلوم أن من البيان عرض المعنى الواحد بأساليب مختلفة لإظهار المعنى ، وتأكيده ، وايصاله إلى عقل المستمع ، وروحه ، ووجدانه ، ولذلك رأينا رسول الله ﷺ يقدم لحديثه بما يوقظ عقول أصحابه ، ويثير خواطرهم ، وينبههم إلى عدد من الكبائر ، ويسألهم لينبههم ... وحين ينتبهون يبين لهم ، وهم مستعدون للإنصات .**

ومرة أخرى يجيبهم على سؤالهم عن الكبائر بأجوبة مباشرة فقد استعدوا سلفا .

ومرة ثالثة يبين لهم الموبقات المهلكة التى يجب تركها .

وفى الحديث الرابع يبين لهم قبح سب الوالدين مباشرة ، أو يسبب وواسطة .

وهذا تنوع فى الأسلوب يكرر المعنى ، ويوضح المطلوب بأسلوب بليغ خال من الملل والسآمة .

الملحوظة الثانية : **لم تنحصر الكبائر فى العدد المذكور فى أحاديث الباب ، فقد ورد ذكر غيرها فى أحاديث رسول الله ﷺ مثل :**

- **اليمين الفاجرة .**
- **الإلحاد فى الحرم .**
- **فراق الجماعة .**
- **الغيبة والنميمة .**
- **النهبة .**
- **عدم الاستبراء من البول .**
- **منع فضل الماء .**

ومن هذا ندرك أن حديث رسول الله ﷺ عن معاص بعينها كانت لدواع تستدعيها وتحتمها ، وذكرها لا يغنى عن غيرها[1] .

الملحوظة الثالثة : **قد تحيط بعض الأعراض بالكبيرة ، فتضخمها وترفع إثمها مثل شتم الله ، وسب رسوله ، ومحاربة المسلمين لصرفهم عن دينهم ، والكذب عليهم للقضاء عليهم ، وهزيمتهم فهذا أكبر إثما وجرما من**

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص٨٤ .

الشرك وحده ، ويدل على أن الكبيرة الواحدة تأخذ صورا عدة ، وأن العدد فى الحديث لا يفيد الحصر .

وقد بين الرسول ﷺ لأصحابه وأمته ما احتاجوا إليه حسب المقام .

ومن السهل أن يقاس على الكبائر المذكورة الكبائر الأخرى التى لم تذكر وقد سئل ابن عباس ﷺ عن الكبائر أسبع هى ؟

فقال : هى إلى سبعين ، والى سبعمائة أقرب[1] .

ومعنى الحديث على هذا يحتم تقدير(من) الدالة على التبغيض قبل الكبائر ليشير إلى أن من الكبائر **المهلكة هذه السبع .**

الملحوظة الرابعة : **اختص الحديث الرابع بذكر كبيرة سب أحد الوالدين ولعنه ، وذلك بأن يكون سببا فى لعنهما بلعن غيره ، وهذا يدل على قبح هذه الكبيرة ، لأنها لما كانت كبيرة بالتسبب ، فمباشرتها أقبح وأعظم .**

الملحوظة الخامسة : **اتفقت الأحاديث الثلاثة على أن أعظم الذنوب وأكبر الكبائر الشرك بالله تعالى لأنه يخرج من الملة ، ويكون سببا لغيره ... وما بعده يتلوه فى المعصية ولا يكفر صاحبها إلا إذا كان مستحلا لها .**

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول تحذير المسلمين من المعاصى ، وبخاصة ما كبر منها ، وقد تحدث العلماء والفقهاء عن الكبيرة ، واختلفوا فى تعريفها اختلافا كبيرا حتى قال بعضهم : لقد بقيت الكبيرة غير محددة وغير

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص٨٤ .

معلومة ليتجنب المسلم معصية الله تعالى مطلقا كإخفاء ساعة الإجابة يوم الجمعة ، وليلة القدر فى رمضان .

وقد وضع العلماء قيودا عديدة للكبيرة ، وسأشير إليها استبيانا لخصائصها نقلا من كلام السلف الصالح وهم يعرفون الكبيرة .

وقد اختلف السلف فى تعريف الكبيرة فذهب الجمهور **إلى أن من الذنوب كبائر وصغائر لقوله تعالى :** ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا ﴾(١) **، ولقوله تعالى :** ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾(٢) **فقد بينت الآيات أن المعاصى تنقسم إلى صغائر وكبائر .**

وذهب فريق من العلماء **إلى أن الذنوب كلها كبيرة ، فقد نهى الله عنها كلها ، وما نهى الله عنه يكون كبيرا ، واستدلوا بأن كل مخالفة لله تعالى تعد فى جلاله كبيرة أمامه ، ورأوا أن المعاصي كلها كبائر وانما يقال لبعضها صغيرة بالإضافة إلى ما هو أكبر منها ، كما يقال القبلة المحرمة صغيرة بإضافتها إلى الزنا وكلها كبائر ... وقالوا : ولا ذنب عندنا يغفر باجتناب ذنب آخر ، بل كل ذلك كبيرة يعاقب عليه فاعله فى الدنيا ، وأمره فى الآخرة تحت مشيئة الله تعالى ، يغفر له أو يعذبه ما لم يكفر لقوله تعالى :** ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(٣)

---

(١) سورة النساء ، الآية ٣١ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ٣٧ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

وأجابوا عن الآيات التي احتج أهل القول الأول بها وهي قوله تعالى : ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾[١] **أن المراد بالكبائر الشرك .**

وقد قال الفراء : من قرأ كبائر بالجمع فالمراد بها كبيرة واحدة هى الشرك وقد يأتي لفظ الجمع والمراد به الواحد كقوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[٢] **ولم يرسل الله إليهم غير نوح عليه السلام .**

يقول إمام الحرمين رحمه الله : أن كل ذنب يعصى الله به كبيرة ، فرب شيء يعد صغيرة بالإضافة إلى الأقران ، ولو كان في حق الملك لكان كبيرة ، والرب أعظم من عصي ، فكل ذنب بالإضافة إلى مخالفته عظيم ، ولكن الذنوب وان عظمت فهي متفاوتة في رتبها .

ويقول النووي : قد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة إلى القول الأول .

وظن بعض الناس أن الخلاف لفظي فقال : التحقيق أن للكبيرة اعتبارين فبالنسبة إلى مقايسة بعضها لبعض فهي تختلف قطعا ، وبالنسبة إلى الآمر الناهي فكلها كبائر له .

والتحقيق أن الخلاف معنوي ، وجرى الأخذ بظاهر الآية ، وبالحديث الدال على أن الصغائر تكفر باجتناب الكبائر كما تقدم ، والله أعلم[٣] **.**

ومن ضوابط الكبيرة عند العلماء أقوالهم :

---

(١) سورة النساء ، الآية ٣١ .

(٢) سورة الشعراء ، الآية ١٠٥ .

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٢٢ ص١٨٧ ، ١٨٨ .

- **الكبيرة كل ذنب ختمه الله بنار ، أو غضب ، أو لعنة ، أو عذاب .**
- **الكبيرة ما وجب فيها الحد ، وتوجه إليها الوعيد .**
- **الكبيرة ما ظهر فسادها وعظم خطرها .**
- **الكبيرة كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة ديانته ، ويوصف فاعلها بالفسق .**
- **الكبيرة كل محرم لعينه ، منهى عنه لمعنى فى نفسه .**
- **الكبيرة كل ذنب نص على كبره ، أو عظمه ، وتوعد الله عليه بالعقاب وشدد الشرع النكير عليه[١] .**

إن المسلم الذى قويت عبوديته لله تعالى يستصغر الطاعة التى يعبد بها ربه ، ويتمنى المزيد ، ويستعظم المعصية ، وان صغرت تعظيما لحق ربه ، وخوفا من العذاب الأليم .

وقد بينت أحاديث الباب أن المعاصى قد تعظم أو تصغر بقدر فسادها وضررها ، وظهور قبح وفجور فاعلها ، ولذلك تتفاوت الكبيرة الواحدة ، وتتعدد صورها ، وتختلف فى آثارها ونتائجها ... فالاستهانة بالرسل وتكذيب واحد منهم من أكبر الكبائر مع أن الشرع لم يصرح به ، ولذلك لو مكن رجل رجلا من الزنا ، أو ساعده على قتل فمفسدة ذلك أكبر من غيره ، وعلى هذا تتفاوت الكبائر ، وكل واحدة تقدر بقدرها .

ويؤكد هذا التفاوت وجود صغائر وكبائر وهو ما يؤيد رأى الجمهور .

ـ د ـ

---

(١) انظر شرح النووى لصحيح مسلم ج٢ ص٨٦ .

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن المعاصى تنقسم إلى قسمين صغائر وكبائر ، وأن الله حذر من المعاصى ، وأمر بتجنبها كبيرة كانت أو صغيرة .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

دروس فى منهج الدعوة إلى الله تعالى

تقدم أحاديث الباب عددا من الدروس والعبر فى مجالات الدعوة إلى الله تعالى يستفيد منها المسلمون فى إيجاد الداعية الكفء ، ويستخدمها الدعاة فى عرض قضاياهم ، وقضايا دينهم .

فبالنسبة للدعاة **نجد ضرورة علمهم الدقيق بالموضوع ، وطريقة عرضه على الناس ، فهذا هو النبى ﷺ يعرف أكبر الكبائر ، وهو الشرك بالله ويعلم الكبائر الأخرى ، وخطورتها على الفرد وعلى الجماعة ... ويعلم كذلك تنوعها واشتمالها على الأعمال الذاتية والجماعية ، والقولية والعملية .**

وبالنسبة لطرق الدعوة **نجد أن رسول الله ﷺ استعمل وسيلة الاستفهام وطريقة الحركة المعبرة المؤكدة للقول ، وطريقة الأمر الصريح المبين للمهلكات ، فلقد سأل رسول الله ﷺ أصحابه وقال لهم : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ وكان متكئا فجلس وهو يذكر كبيرة الزور ، وأخبر عن السبع الموبقات المهلكات .**

وبالنسبة لأسلوب الدعوة **فإن الدعاة محتاجون إلى استخدام الألفاظ الواضحة ، ذات الدلالة المباشرة على المعنى ، البعيدة عن الغموض ، التى تقصد المعنى مباشرة فقد استعمل رسول الله الألفاظ ذات الدلالة القوية حين قال لهم :** (ألا أنبئكم) **فأتى ﷺ بأداة التحضيض** (ألا) **وأتى بفعل** (أنبأ) **الدال على الحدث الهام ذى التأثير الكبير والخطير ، والموغل فى القدم ، وكرر ﷺ السؤال ثلاث مرات لبيان أهميته ، وخطورة محتواه ، وايقاظ عقول المستمعين .**

وظهر من حسن الأسلوب أن بدأ النبى ﷺ بالأهم ، وذكر بعده الأقل فى الأهمية لما فى ذلك من يسر الاستجابة فمن آمن بالأهم سهل عليه أن يؤمن بما هو أقل منه ، ومن هذا الباب بدء الدعوة بالعقيدة قبل الشريعة ، وبالإيمان قبل السلوك .

وبالنسبة للمدعوين **فإنه ﷺ عرفهم بالكبائر ، ولم يتهم أحدهم بشيء منها ، ولذلك أشفقوا عليه ﷺ ، وخافوا عليه من التعب .**

وكان من حلاوة الأسلوب توضيح الكبيرة فى كلمات موجزة ، وتسميتها بما ينفر منها مثل :

الإشراك بالله ، **فهو أمر تأباه العقول السليمة ، ومعرفة الله الخالق تحتم عدم الإشراك معه .**

وعقوق الوالدين ، **ترفضه الفطرة ، وتأباه الحياة الاجتماعية ، وتستقبحه .**

وقول الزور ، **أمر يكرهه الناس لأنه كذب وعدوان ومخالفة للواقع وضرره كبير .**

وهكذا جاءت كلمات أحاديث الباب معبرة عن المعنى المقصود فى الأحاديث .

ومن حسن الأسلوب **أن الصحابة لما استبعدوا أن يسب الرجل أباه وأمه عرفهم رسول الله ﷺ بأن الرجل قد يكون سببا فى سب أبيه وأمه ، وذلك يسب أب الغير وأمه فيرد عليه بسب أبيه وأمه .**

ومن حسن الأسلوب **وصف الفعل بما يقبحه مثل قول النبى ﷺ :** (اجتنبوا السبع الموبقات) **أى المهلكات ، ووصف المؤمنات بالمحصنات الغافلات .**

وهكذا تقدم الأحاديث منهجا فى الدعوة إلى الله تعالى يحسن للدعاة أن يستفيدوا به ، ويسيروا على هديه وطريقته .

الركيزة الثانية
دعائم المجتمع المسلم

يقيم الإسلام مجتمعه على أسس متينة راسخة من الصلاح والتقى ، ولذلك حذر رسول الله ﷺ من ارتكاب كبيرة من الكبائر .

ويؤول تحذير النبى ﷺ من ارتكاب الكبائر إلى إيجاد مجتمع إيمانى يتميز بالخصائص التالية :

الخاصية الأولى : **خلوص العبودية لله تعالى عن طريق هجر الشرك ولوازمه ، والتمسك بطاعة الله تعالى فى صدق واخلاص ، ومن المعروف أن الإيمان بالله تعالى يستلزم الإيمان بكافة أركان الإيمان التى دعا الرسول ﷺ إليها ، والقيام بجميع الأعمال الصالحة ، والتخلق بمكارم الأخلاق**

الخاصية الثانية : **تقوية روابط الأبناء بأبنائهم عن طريق دعوة الأبناء ببر آبائهم ، وبذلك توجد أسرة مؤمنة تعيش بشرع الله تعالى ، وتتماسك بهديه وتكون لبنة فاعلة فى المجتمع بعد ذلك .**

الخاصية الثالثة : **رعاية الضعفاء عن طريق حماية اليتامى ، والمحافظة على أموالهم ، وتجنب قتل النفس بغير حق .**

الخاصية الرابعة : **المحافظة على طهارة المجتمع ... وذلك يتم بحفظ العرض والشرف ، وتجنب قذف المؤمنات ، المحصنات ، الغافلات .**

الخاصية الخامسة : **المساهمة فى بناء المجتمع الصالح ، وذلك يكون بملازمة الصدق ، وتجنب الزور ، وعدم أكل الربا ، والصمود فى الجهاد ، وعدم التولى أمام الأعداء .**

الخاصية السادسة : **الرضا التام بحكم الله تعالى ، وبكل ما يقدره ، ويأمر به ، وبهذه الخصائص يتكون المجتمع المسلم ، ويسعد كل فرد فيه.**

ومهمة الدعاة العمل على إظهار الدعائم الإسلامية، ومنهجيتها العملية فى إيجاد المسلم الصالح، وانشاء المجتمع المستقيم، واخراج الأمة الخيرة العادلة .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير الأحاديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) ضرورة تناسب الأسلوب للموضوع ، ولذلك استعمل رسول الله ﷺ مسمى النبأ على ما عرضه على أصحابه لأن النبأ يتعلق بالخبر الهام ، الشديد التأثير ، والمفاجئ .

(٢) تتفاوت الكبائر ، وأكبرها الشرك بالله تعالى كما تتفاوت الطاعات وأكبرها الإيمان بالله تعالى .

(٣) ضرورة انفعال الدعاة بدعوتهم ليبلغوها للناس فى قوة وحماس ، وبكافة الوسائل القولية ، والعملية ، والحركية .

(٤) يبين الحديث سمو خلق أصحاب النبى ﷺ ، وحسن معاملتهم ، ورقى سلوكهم مع بعضهم ، ومع رسول الله ﷺ .

(٥) الإنسان المسلم يتحمل نتيجة عمله ، وكل ما يؤدى إليه .

(٦) يحتاج الأمر الهام إلى تكرار التنبيه عليه .

(٧) من الجائز وصف الفعل بما ينفر منه قبل تعريفه ، وتحديد مفاسده .

ـ ٢٩ ـ

٣٧ ـ باب من مات لا يشرك باللّه شيئا دخل الجنة

[٥٨] ، (١) ١٢٣٨ حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ من مات يشرك بالله شيئا دخل النار .
وقلت أنا (أى ابن مسعود) : من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة[١] .

[٥٩] ، (٢) ١٢٣٧ حديث أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : أتاني آت من ربي فأخبرني ، أو قال : بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة .
قلت : وان زنى وان سرق ؟!
قال : وان زنى وان سرق[٢] .

[٦٠] ، (٣) ٥٨٢٧ حديث أبي ذر ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ .
فقال : ما من عبد قال لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة .
قلت : وان زنى وان سرق ؟!
قال : وان زنى وان سرق .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٢٣ كتاب الجنائز : ١ باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله . وانظر أرقام : (٤٤٩٧ ، ٦٦٨٣) عند البخارى .

(٢) أخرجه البخاري في: ٢٣ كتاب الجنائز: ١ باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله . وانظر روايات الحديث في الأرقام : (١٤٠٨ ، ٢٣٨٨ ، ٥٨٢٧ ، ٦٢٦٨ ، ٦٤٤٣ ، ٦٤٤٤ ، ٧٤٨٧) عند البخارى .

قلت : وان زنى وان سرق ؟!

قال : وان زنى وان سرق .

قلت : وان زنى وان سرق ؟!

قال : وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي ذر .

وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال : وان رغم أنف أبي ذر[١] .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ، وأن من مات مشركا دخل النار ، وأن ما عدا الشرك من المعاصى قد يغفر الله لصاحبها .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

قال ﷺ : (من مات يشرك بالله شيئا دخل النار) **أى إن من مات على الشرك ، وآمن بإله آخر مع الله مهما كان شأنه يدخل النار ويخلد فيها ، ويحرم نفسه من جنات النعيم .**

وأطلق الحديث على الإله الآخر مسمى (شيئا) **لبيان أن الإله الذى يتخذه المشركون يكون إنسانا ، أو حجرا ، أو شجرا ، أو طيرا ، أو ذبابة ، أو أى شيء من خلق الله تعالى .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٧٧ كتاب اللباس : ٢٤ باب الثياب البيض ، وليس للحديث رواية أخرى في البخارى .

(وقلت أنا) **أى قال عبد الله بن مسعود ﷺ لما سمع مقالة النبى ﷺ** (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة) **... وهكذا رفع ابن مسعود الشطر الأول إلى رسول الله ﷺ ، وأوقف الشطر الآخر وأسنده إلى نفسه ، وذلك بين فى قوله ﷺ : قال النبى كذا ، وقلت أنا كذا .**

وقد اتفقت رواية الصحيحين على أن الوعيد هو المرفوع ، والوعد هو الموقوف ، وهذا ما يقتضيه العقل ، لأن جانب الوعيد ثابت بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾[1] **وجاءت السنة موافقة لما جاء فى القرآن الكريم بلا حاجة لاستنباط ، بخلاف جانب الوعد فإنه لا يصح حمله على ظاهره إذ يجوز ارتكاب بعض المعاصى مع عدم الشرك ... وجاءت بعض روايات الحديث عن ابن مسعود ﷺ ترفع الحديثين لرسول الله ﷺ ، وكأن ابن مسعود ﷺ سمع القولين لكنه فى وقت روايته المذكورة حفظ أحد القولين فذكره مرفوعا ، ونسى الآخر فذكره موقوفا .**

ويقول النبى ﷺ : (أتاني آت من ربي) **وقد سمى رسول الله ﷺ فى بعض روايات الحديث هذا الذى آتاه ، وذكر أنه (جبريل عليه السلام) فقد أرسله ربه بوحى الله إليه .**

وذكر إتيانه هنا مع أنه يأتى لرسول الله ﷺ فى كل حالات الوحى وصوره لبيان أهمية الموضوع الذى جاء به هنا ، فقد تكلف جبريل عليه السلام المشقة فى الإتيان بالخبر ، وايصاله لرسول الله ﷺ ليبلغه للناس .

(قال) ﷺ (فأخبرني ، أو قال بشرني) **أى أتانى جبريل عليه السلام ، وأخبرنى خبرا أبشر به أمتى ، وكل موحد آمن بالله تعالى .**

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

ويبدو أن هذه البشرى التى أتى بها جبريل عليه السلام كانت فى المنام لما رواه أبو ذر رضي الله عنه أنه أتى النبى ﷺ وعليه ثوب أبيض ، وهو نائم ، قال : ثم أتيته وقد استيقظ كما ورد فى الحديث الثالث فقد بشرنى بـ (أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة) **أى من مات من أمة محمد ﷺ ، وقد شهد بأن الله إله واحد لا شريك له ، ومات على ذلك دخل الجنة ، والمراد بالأمة** أمة الإجابة ، **وتشمل من بلغهم الإسلام ، ودخلوا فيه ، وآمنوا بالله وحده ، ولم يشركوا به شيئا .**

وقد اكتفى الحديث بعدم الشرك لدلالته على التوحيد بالضرورة ، وظهوره فى عمل المؤمن ، ومن المعلوم أن الجلى أكثر وضوحا من الخفى ، ونفى الشرك يستلزم إثبات التوحيد ، وعدم اتخاذ شريك لله فى الألوهية ، إلا أنه عنى به الإيمان الشرعى بعناصره كلها كما جرى العرف بذلك .

وقيل : إن المراد بالأمة أمة الدعوة لأن الحديث عنها يشمل من سيدخل الجنة ، ومن سيدخل النار .

(قلت) **أى قال أبو ذر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ :** (وان زنى وان سرق) **؟ ... أى قال أبو ذر رضي الله عنه ذلك سائلا ومتعجبا من دخول المسلم الجنة لعدم شركه مع أنه يكون قد زنى ، وقد سرق ، وارتكب كثيرا من المعاصى الكبيرة .**

وقد استبعد أبو ذر ذلك لتذكره قوله ﷺ : (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن)[1] **فقد دل هذا الحديث على نفى الإيمان عن الزانى والسارق ومرتكب الكبيرة .**

---

(١) صحيح البخارى. كتاب المظالم والغصب . باب النهبى بغير إذن صاحبه ج٣ ص١٣٦ .

وكان حذر أبى ذر ﷺ وسؤاله مخافة اتكال بعض الجهلة على بشرى رسول الله ﷺ والإقدام على الموبقات .

ولا يؤخذ هذا الحذر على ظاهره واطلاقه لأن القواعد استقرت على أن حقوق الآدميين لا تسقط بالموت ، ولكن لا يلزم من عدم سقوطها أن لا يتكفل الله بها عمن يريد أن يدخله الجنة ، ومن ثم رد ﷺ على أبي ذر استبعاده ، وقال له : (وان زنى وان سرق) .

ويحتمل أن يكون المراد بقوله دخل الجنة أي صار إليها إما ابتداء من أول الحال ، واما بعد أن ينال ما يستحقه من العذاب نسأل الله العفو والعافية .

وفي هذا الحديث دلالة على أن من قال لا إله إلا الله ينتفع بها يوما من الدهر ، ويدخل الجنة بعد أن يجازى على معاصيه فى النار .

والحكمة فى اقتصار أبى ذر على الزنا والسرقة الإشارة إلى جنس حق الله ، وحق العباد .

وقد كرر أبو ذر ﷺ تعجبه أربع مرات فرد عليه رسول الله بما قاله له فى المرة الأولى ثلاث مرات ، وفى المرة الرابعة زاد (رغم أنف أبي ذر) **أى سيدخله الله الجنة ، وان زنى وان سرق بحذف جواب الشرط ، وتقديره سيدخل الجنة ، وان زنى وان سرق .**

وفى قول أبى ذر ﷺ : (وان زنى وان سرق) **سؤال محذوف تقديره (هل يدخل الجنة وان زنى ، وان سرق) ؟ أو (أيدخل الجنة وان زنى ، وان سرق) ؟**

ومعنى (رغم أنف أبي ذر) **الصق الله أنف أبى ذر بالتراب وأذله ، وأوقع الأمر مخالفا لما يريد ، ولما يكره .**

وظل أبو ذر ﷺ يكرر قول النبى ﷺ : (رغم أنف أبي ذر) كلما حدث بهذا الحديث بيانا لرحمة الله ، وتأكيدا لسعة فضله ، واقرارا بإيمانه ، وحبه لتعاليم الله تعالى .

وفى معنى حديث الباب يقول النبى ﷺ :

- **(من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[١] .**
- **(ما من عبد قال : لا إله إلا الله ، ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة)[٢]**
- **حديث رسول الله لأبى هريرة ﷺ : (فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه فبشره بالجنة)[٣] .**

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

يتركب الإنسان من طاقات وملكات متنوعة ، يتناغم كل منها مع غيره فى مساق واحد ، ولا تتعارض وتتناقض فى اتجاهات متعددة مع أنها تجمع بين الطمأنينة والخوف ، وبين حب الخير وكراهية السوء ، وفى باطن الإنسان رجاء وأمل ، وخوف ويأس .

وصورة الإنسان الفرد هى صورة المجتمع الكبير ... ولذا جاءت النصوص الدينية بوضع شرائع متلائمة مع الإنسان فى وحدته ، وفى إطار الجماعة ، ومبينة نتائج كل عمل يقوم به الإنسان فى المسار الذى يختاره ، وموضحة الآثار المترتبة على كل عمل يقوم به الناس . يقول الله تعالى

---

(١) سنن أبى داود . كتاب الجنائز . باب في التلقين ج٣ ص١٩٠ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب اللباس . باب الثياب البيض ج٧ ص١٤٩ .

(٣) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب من لقى الله بالإيمان ج١ ص٥٩ .

: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[١] **ويقول سبحانه** : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[٢]

وحتى يتوافق الإسلام مع خصائص الإنسان جاءت نصوصه تدعو إلى الأمل ، وتبشر بالفلاح والفوز ، وتوضح النتائج السيئة للعمل السيئ . يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣] **، ويقول سبحانه** : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٤] **، ويقول سبحانه فى الحديث القدسى** : (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، ولا أبالي ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة)[٥] .

إن الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة عبده ورجوعه إليه ، وتخلصه من الذنوب والآثام التى وقع فيها . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾[٦] **، ويقول النبى ﷺ** : (لله أفرح بتوبة عبده من

---

(١) سورة الزلزلة ، الآية ٧ ، ٨ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٣٠ .
(٣) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .
(٤) سورة النساء ، الآية ١١٠ .
(٥) سنن الترمذى . كتاب أبواب الدعوات . باب .... ج٥ ص٥٤٨ .
(٦) سورة الفرقان ، الآية ٧١ .

رجل نزل منزلا وبه مهلكة ، ومعه راحلته ، عليها طعامه وشرابه ، فوضع رأسه فنام نومة ، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته ، حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله ، قال : أرجع إلى مكاني ، فرجع فنام نومة ، ثم رفع رأسه ، فإذا راحلته عنده)[١] .

وأحاديث الباب تندرج فى إطار الأمل والرجاء الذى أحاط الله الإنسان به وسهل له فيه سبل الفوز بالجنة ، حتى أن أبا ذر ﷺ دفعه حبه للخير ، وخوفه من سهولة ارتكاب المعاصى أن يتعجب من يسر دخول الجنة ، فتساءل (وان زنى وان سرق) **؟ ... فرد عليه النبى مؤكدا تحقق دخول الجنة عاجلا أو آجلا لكل من شهد بالتوحيد ، ومات على هذه الشهادة ، وان زنى ، وان سرق ما دام قد مات على الإيمان بالله الواحد الأحد .**

إن المؤمن حين يتصور نعيم الجنة وما فيها يتمناها ، ويعيش فى نسماتها ورياضها ، ويعمل لها ، ويسعى لها سعيها ، ويخاف من أن يحرم منها .

إن المسلم حين يعيش هذه الحقائق وهو فى الحياة الدنيا ... يكره المعاصى، ويراها عقبة سوداء فى طريق الخير والفوز ، فيأباها ، ويرفضها ويبتعد عنها ، وان وقع فى شيء منها يرجع عنه ، ويتوب إلى ربه ، ولعل ذلك هو المنهج الذى عناه رسول الله ﷺ فى إجابته لأبى ذر ﷺ .

إن الله غفور رحيم ، وهو سبحانه : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[٢] .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الدعوات . باب التوبة ج٨ ص٦٨ .

(٢) سورة غافر ، الآية ٣ .

إن الإسلام يعمل على إخراج المسلم من حالة اليأس والقنوط ، ويبعده عن ظلمات الجهل والمعاصى ، وينقله إلى أنوار الإسلام ، واشراقات طاعة الله رب العالمين .

إن توحيد الله تعالى هو مفتاح الجنة ، وكل مفتاح له رسم ، وأسنان ، ورسم التوحيد عدم الشرك بالله تعالى ، وأسنانه طاعة الله ، واتباع منهجه ، ولن يفتح الباب إلا بمفتاح له أسنان ورسوم .

ولا يتصور عاقل سقوط الحساب فى الآخرة ، وضياع حقوق العباد ، فإن الميزان حق ، والحساب حق ، وحقوق العباد لا تضيع ، والله غفور رحيم ... ودخول الجنة معلق بإرادة الله تعالى ، وقد قدره سبحانه للموحدين عاجلا أو آجلا فلا يغترن عاص بسعة مغفرة الله ، ولا ييأسن راج من دقة العرض والحساب .

يقول النووى : ومذهب أهل السنة بأجمعهم أن أهل المعاصى تحت مشيئة الله يوم القيامة إن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة ، وان شاء عذبهم بمعاصيهم ثم يدخلهم الجنة بعد ذلك .

إن الله سبحانه وتعالى يقتص لأصحاب الحقوق عند الحساب ، ويطهر القلوب قبل دخول الجنة ، ويجمع أهل الجنة على سرر متقابلة ، يجمعهم الحب ، ويوحدهم الود والصفاء . يقول الله تعالى : ﴿ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا

وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وفى الباب منهج للدعوة عظيم سأبينه فى الركائز بمشيئة الله تعالى .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب سعة رحمة الله تعالى ، وتوضح أن من مات على الإيمان الشرعى ، ولم يشرك بالله شيئا دخل الجنة عاجلا أو آجلا ، مهما ارتكب من المعاصى لأن الله يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن السيئات .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

تحريم الجنة على المشركين

نزل الإسلام من عند الله تعالى ، واضح المعالم ، محكم التكاليف ميسر الفهم ، سهل الأداء والعمل ، ولذا وجب على المكلف أن يعلم دينه ، ويعرف الطريق الذى يسلكه .

إن العلم بدين الله سهل ، والجهل به لا يجوز ... لأنه واضح بالفعل أو بالقوة فهو فى ذاته واضح ، والعلم به سهل ميسر . يقول الله تعالى :

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٤٣ .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[١] ، **ويقول النبى ﷺ :** (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك)[٢] .

وقد ضل كثير من الناس واتخذوا لأنفسهم آلهة أخرى ، وأشركوها فى التأليه والطاعة ، وقد قدر الله لهؤلاء عدم دخول الجنة لأنهم أصروا على الكفر رغم سنوح دليل التوحيد ، وظهور حججه وبراهينه .

وقد بين الحديث الأول أن من مات مشركا لا يدخل الجنة أبدا . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٣]

وفى الآية حسم قاطع بعدم دخول الجنة للمشركين لا آجلا ولا عاجلا .

وحد الشرك يجب أن يعرف حتى لا يختلط بغيره مثل الكفر بالله ؛ لأن الكفر تعطيل مطلق لقدرة الله تعالى وعدم الإقرار بوجوده بعدما غطى الكفر القلب وسوده ، وأخرج صاحبه من دائرة الإقرار بوجود الله . أما الشرك فهو تعطيل جزئى ، لأنه يقر بوجود الله ، ويقر بوجود آلهة أخرى معه تشاركه فى الإيجاد والإعدام ... ومآل الكفر والشرك واحد .

وأمام الدعاة نصوص عديدة فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية تثبت التوحيد ، وتنفى ما عداه ، وواجب الدعاة الاهتمام بإثبات التوحيد لأنه أصل الدين كله .

---

(١) سورة القمر ، الآية ١٧ .

(٢) سنن ابن ماجه . كتاب. افتتاح المكتاب. في الإيمان. .. باب. اتباع سنة الخلفاء. الراشدين ج١ ص١٦ .

(٣) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

الركيزة الثانية

الكبيرة لا تنفى الإيمان

ذهب الخوارج إلى أن مرتكب الكبيرة كافر لا ملة له ، وقتاله واجب لردته ، وخروجه عن طاعة الإمام .

وقد خالف جمهور الفقهاء ما ذهب إليه الخوارج ، ورأوا أن الكبيرة لا تخرج من الملة ، وأن مرتكبها يعاقب فى الدنيا بمعصية ، وأمره فى الآخرة إلى الله إن شاء عذبه ، وان شاء عفا عنه ، وهذا هو الأولى والأوفق .

ويجب على الدعاة تمييز هذا الأمر حتى لا يتهم ضال غيره بما ليس فيه وحتى لا نحكم على مسلم بشيء لا يستحقه .

ولهذا يؤكد رسول الله ﷺ دخول الرجل الجنة وأن عمل كبيرة كالزنا والسرقة ورد تعجب أبى ذر ﷺ من ذلك ، وأكد له دخول أصحاب التوحيد الجنة آجلا بعد أن يستوفوا عقوبتهم ، وقد يدخلونها عاجلا إن عفا الله عنهم ، والله غفور رحيم .

الركيزة الثالثة

منهجية الدعوة فى الحديث

تبين أحاديث الباب منهج التبشير بالجنة ، والتخويف من النار ، وهو ما يعرف بالترغيب والترهيب ، ومن ذلك تأكيد دخول الموحد الجنة ، وان زنى ، وان سرق .

ومن مناهج الدعوة **نجد اهتمام النبى ﷺ بثيابه التى يقابل بها الناس نظيفا فى الظاهر كما هو نظيف فى الباطن . فقد لبس النبى ﷺ الثوب الأبيض ، وكان ﷺ يهتم بثوبه ، ومظهره حين استقبال الوفود .**

ومن مناهج الدعوة **الإشارة إلى الكل بصورة عامة من غير أن يحدد شخصا بعينه لبيان سعة رحمه الله تعالى ، ولدعوة الناس إلى المسارعة فى الطريق الموصل للجنة .**

ومن مناهج الدعوة **البدء بالمبادئ الكلية ، وترك التفاصيل الجزئية لما بعد الإيمان بالكليات ، وذلك مثل قوله ﷺ :** (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) **فإن إعلان التوحيد يقتضى الإيمان بسائر الأركان ، والالتزام بسائر الطاعات .**

ومن مناهج الدعوة **التكرار لتأكيد أن مرتكب الكبيرة ليس كافرا ، وبيان أنه سيدخل الجنة عاجلا أو آجلا بحكم الله تعالى رغم أنف المخالفين .**

وعلى الدعاة الاستفادة بهذه القضايا الدعوية الهامة ، لأنها تمثل أيسر الطرق لإيصال الدعوة ونجاح الدعاة .

الركيزة الرابعة

حياة المؤمن بين هوى النفس وحكم الله تعالى

المؤمن عبد لله تعالى ، يرضى بكل حكم قضى الله به وقدره ، فالله هو العليم الخبير ، وحكمه هو الحكم لا راد لقضائه ، وهو على كل شيء قدير .

إن المؤمن يكبح جماح نفسه ، ويردها عن شططها ، ولا يرضى لهواه أن يقوده بعيدا عن منهج الله تعالى .

هذا هو أبو ذر ﷺ يتمنى دوام عقوبة العصاة لينزجر الناس ، ولا يستسهلوا الوقوع فى المعاصى ، ولذلك كرر السؤال فى قوله : (أيدخل العاصى الجنة وان زنى وان سرق) ؟ ... **ويرد النبى ﷺ عليه ، ويعرفه أنه سيدخل الجنة ، وان سرق وان زنى رغم ما يتمنى أبو ذر ﷺ ، ويدعو عليه بالخسران إن استمر على رؤيته وأمانيه .**

وهنا يتجلى إيمان أبى ذر ﷺ فيكرر مقالة النبى ﷺ ، ويؤكد رضاه بما قاله ﷺ ، ويدعو على نفسه إن لم يلتزم بما بينه رسول الله ﷺ .

والخلاصة **أن المؤمن عبد رجاع إلى الله تعالى ، يجعل هواه دائما تبعا لحكم الله تعالى .**

إن حياة المؤمن اتباع للمنهج الذى آمن به ، ومن المسلمات العقلية أن الأعمال والأخلاق الظاهرة تكون انعكاسا أمينا لما فى القلب من إيمان واعتقاد .

فمن آمن بالله تعالى يجب عليه أن يلتزم بلوازم التوحيد وهو طاعة الله فيما شرع وأمر ، وتجنب ما نهى الله عنه ، وأمر بتركه .

والله مطلع على ظاهر الإنسان وباطنه ، ولذا وجب على المؤمن أن يتيقن من أنه يتعامل مع العليم الخبير ، الذى ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[1] **وهو سبحانه :** ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[2] .

---

(١) سورة طه ، الآية ٧ .

(٢) سورة غافر ، الآية ١٩ .

ومن هنا :

وجب على الدعاة استمرار الدعوة إلى التوحيد ، ولوازمه لأن التوحيد هو أساس البناء ، ومصدر المعرفة .

ومن الإيمان بالله تكون الشريعة والنظم ، وحسن الأخلاق والسلوك .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) شهادة التوحيد أساس الإسلام فمن نطق بها مستقيما فاهما معناها ، ومدلولاتها مؤديا كافة حقوقها وجبت له الجنة .

(٢) أهمية التبشير ، ونشر الأمل فى نجاح الدعوة إلى الله تعالى .

(٣) يجوز مراجعة المعلم فيما يوجه المتعلمين إليه .

(٤) يستحب التهيؤ للقيام بالدعوة ليكون الداعية حسنا فى ملبسه ، وعمله ، ونظمه .

(٥) سعة رحمة الله تعالى لكل موحد شهد بوحدانية الله تعالى .

(٦) حاجة الدين إلى الفهم ، والعلم ، والعمل .

ـ ٣٠ ـ

٣٩ ـ باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا اللّه

[٦١] ، (١) ٤٠١٩ حديث المقداد بن الأسود ﷺ (هو المقداد بن عمرو الكندي) أنه قال لرسول الله ﷺ : أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار ، فاقتتلنا ، فضرب إحدى يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة .

فقال : أسلمت لله ، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها ؟

فقال رسول الله ﷺ : لا تقتله .

فقال : يا رسول الله إنه قطع إحدى يدي ، ثم قال ذلك بعد ما قطعها .

فقال رسول الله ﷺ : لا تقتله ، فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وانك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال[١] .

[٦١] ، (٢) ٤٢٦٩ حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ، ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم ، فلما غشيناه .

قال : لا إله إلا الله ، فكف الأنصاري عنه ، وطعنته برمحي حتى قتلته ؛ فلما قدمنا ، بلغ النبي ﷺ .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٤ كتاب المغازي : ١٢ باب حدثني خليفة . وانظر الحديث في رقم (٦٨٦٥) عند البخارى .

فقال : يا أسامة أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله ؟

قلت : كان متعوذا .

يقول أسامة ﷺ : فما زال (رسول الله) يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[١] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول عصمة دم من قال لا إله إلا الله ، وحرمة قتله ما دام قد نطق بها .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

(المقداد بن الأسود هو المقداد بن عمرو الكندي) **بدأ الحديث الأول بالتعريف بالراوى لبيان أنه ليس ابنا للأسود كما يدل عليه اسمه الذى اشتهر به واسمه الحقيقى هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة ، تبناه فى الجاهلية الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ، فنسب إليه ، واشتهر بهذه النسبة ، ولذلك تكتب (ابن) بالألف مع (ابن) لأن شرط حذف الألف فى لغة العرب أن تقع (ابن) بين علمين تناسل أولهما من الثانى .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٤ كتاب المغازي : ٤٥ باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات من جهينة . وانظر الحديث في رقم (٦٨٧٢) عند البخارى .

والمقداد من أوائل سبعة أسلموا فى مكة ، وله مواقف مشهورة مع رسول الله ﷺ قبل الهجرة ، وبعدها فى بدر وغيرها من الغزوات .

وتميز المقداد ﷺ بعقلية فذة ، وكان دائما يفكر فى أمور لا يتوقعها كثير من أصحاب رسول الله ﷺ .

عاش المقداد مع قوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإن قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) **وتصور أمرا فجاء وسأل الرسول ﷺ عنه .**

(قال) **المقداد** (لرسول الله ﷺ : أرأيت إن لقيت رجلا من الكفار ، فاقتتلنا) **؟ ... أى أخبرنى يا رسول الله عن العمل الذى أقوم به إذا قاتلنى رجل كافر يريد قتلى لعدائه للإسلام والمسلمين ، وأريد قتله لكفره وفساده** (فضرب إحدى يدي بالسيف) **واستطاع هذا الكافر أن يضربنى بسيفه ، ويقطع إحدى يدى** (ثم لاذ مني بشجرة) **أى فر إلى شجرة قريبة ، واختفى وراءها واعتصم خلفها حتى لا أراه ، فذهبت إليه لأقتله جزاء كفره ، وعقوبة له على قطع يدى ، فلما اقتربت منه ، وكدت أظفر به أعلن إسلامه ، وشهد أن الله واحد لا شريك له ، وقال :** (أسلمت لله) **أى دخلت فى الإسلام.**

(أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها) **؟ ... أى أأقتله يا رسول الله اقتصاصا معه بعد أن أعلن إسلامه بلسانه ؟**

(فقال رسول الله ﷺ : لا تقتله) **أى بادره رسول الله ، ونهاه عن قتله .**

(فقال) **المقداد ابن الأسود** ﷺ (إنه قطع إحدى يدي ثم قال ذلك بعد ما قطعها) **أى أنه قطع يدى ، وقصد قتلى ، وفر منى فظفرت به لم لا أقتله وقد يكون إعلانه الإسلام ظاهرا فقط قصد أن أتركه ؟**

(فقال) ﷺ (لا تقتله) **أى لا تقتله فقد صار مسلما بإعلانه ، والإسلام يجب ما قبله .**

يقول ﷺ : (فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ، وانك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال) **أى إن قتلته تكون قد قتلت مسلما يماثلك قبل بدء القتال ، وتصير آثما بقتله كما كان هو آثما بكفره قبل القتال .**

يقول الخطابي : معناه أن الكافر مباح الدم بحكم الدين قبل أن يسلم فإذا أسلم صار مصان الدم كالمسلم ، فإن قتله المسلم عمدا بعد إسلامه صار دمه مباحا بحق القصاص كالكافر بحق الدين ، وحاصله اتحاد المنزلتين مع اختلاف المأخذ ، فالأول أنه مثلك في صون الدم ، والثاني أنك مثله في الهدر .

ونقل ابن التين عن الداودي قال : معناه أنك صرت قاتلا كما كان هو قاتلا ، والمراد بيان أن كلا منهما قاتل ، ولم يرد أنه صار كافرا بقتله إياه ، أي إنك بقصدك قتله عمدا آثم كما كان هو بقصده لقتلك آثما ، فأنتما في حالة واحدة من العصيان .

وقيل : **إن المعنى أنت عنده حلال الدم بعد أن أسلم ، وصرت مثله حلال الدم كما كان عندك قبل ذلك .**

وقيل : **معناه أنه مغفور له بشهادة التوحيد كما أنك مغفور لك بشهود بدر**[١] .

وفى الحديث الثانى **يقول أسامة بن زيد رضى الله عنهما** : (بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة من جهينة) **والحرقة بضم الحاء وفتح الراء والقاف بطن من جهينة سموا بهذا الاسم لوقعة كانت لهم مع مرة بن عوف بن سعد فأحرقهم بالسهام وأكثر القتل فيهم .**

(فصبحنا القوم) **أى هجمنا عليهم فى الصباح فجأة قبل أن يشعروا بنا**

(فهزمناهم) **أى فقاتلناهم ، وانتصرنا عليهم .**

(ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم) **لم يعرف البخارى اسم الأنصارى ، وجاء عند عبد البر أن الرجل هو** مرداس بن عمرو الفدكى ﷺ .

(فلما غشيناه) **أى فلما لحقنا به ، وصرنا على رأسه وكدنا أن نقتله .**

(قال لا إله إلا الله) **أى فلما لحقنا بالرجل واقتربنا من قتله أعلن إسلامه ونطق بالشهادة .**

(فكف الأنصاري عنه) **أى تركه الأنصارى ، وأبى قتله لإسلامه .**

(وطعنته برمحي حتى قتلته) **أى أن أسامة طعنه برمحه بعد أن ضربه عدة طعنات بسيفه ، فلما لم يقتله بالسيف أجهز عليه بالرمح وقتله .**

يقول أسامة ﷺ (فلما قدمنا) **إلى المدينة** (بلغ) **ذاك الخبر** (النبي ﷺ) **من أسامة ، وذلك أن أسامة** ﷺ **وجد فى نفسه من هذا القتل شيئا ، فذكره للنبى** ﷺ .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص١٠٦ .

(فقال) **النبى ﷺ لأسامة** (أقتلته بعدما قال لا إله إلا الله) **؟ ... أى سأل النبى ﷺ أسامة منكرا عليه قتله الرجل : أقتلته بعد أن تشهد ، وأعلن إسلامه ؟**

(قلت) **يا رسول الله** (كان متعوذا) **أى إنه يا رسول الله أعلن الشهادة خوفا من السلاح ، ليتجنب القتل ، ولينقذ نفسه من الموت الذى أحاط به ، ولم يكن فى تشهده هذا صادقا بقلبه .**

وأخذ النبى ﷺ ينكر على أسامة قتل الرجل ، واستمر أسامة فى اعتذاره وظنه كذب الرجل فى إعلان إسلامه .

وفى رواية الأعمش قال له ﷺ : (أفلا شققت عن قلبه ؟ حتى تعلم أقالها) **بقلبه** (أم لا) **؟ ... أى إنك يا أسامة كلفت بالعمل بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، وحكمك عليه مرتبط بنطق لسانه ، أما قلبه فليس لك طريق إليه ، والى ما فيه ، والعلم بما فيه لله وحده فأنكر ﷺ على أسامة ترك العمل بما ظهر على اللسان، فقال له : أفلا شققت عن قلبه لتنظر هل كانت الشهادة مستقرة فيه حين قالها ، وعند نطق لسانه بها أم لا ؟ ...**

وانكار النبى ﷺ ومقالته لأسامة تؤكد عجز الإنسان عن معرفة ما فى القلب ، وعليه أن يكتفى بما يظهر فى اللسان والجوارح .

يقول أسامة ﷺ (فما زال) **النبى ﷺ** (يكررها) **أى يكرر قوله منكرا ما فعلت** (حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم) **أى تمنيت أن كان إسلامى فى تلك الساعة فقط حتى لا أتحمل وزر عمل عملته قبل ذلك اليوم ، لأن الإسلام يجب ما قبله ، وقد تمنى أسامة هذا بعدما رأى إنكار رسول الله ﷺ عليه خوفا من عقوبة يستحقها ، ولم يندم على إسلامه قبل ذلك**

فقد سعد به ، وأطاع الله به كثيرا ، وانما تعلق تمنيه بالخلوص من الذنوب التى يكون قد وقع فيها خطأ .

فإن قيل : **ما حجة أسامة ﷺ فى قتل الرجل بعد تشهده ؟**

أقول : **إن أسامة ﷺ تصور أن الرجل قالها لينجو من القتل الذى وجده يحيط به حين رأى أسامة وصاحبه على رأسه ، واستند أسامة ﷺ فى اجتهاده وفعلته على ظاهر قوله تعالى :** ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[1] **وقد أنكر النبى ﷺ على أسامة اجتهاده فى قتل الرجل ، ولم يقتص منه ، ولم يلزمه بالدية ، وشدد فى إنكاره حتى يعلم أسامة والمسلمون معه حكم الله تعالى فى مثل هذا الموقف .**

وقد التزم أسامة ﷺ بتوجيهات النبى ﷺ ، وكانت هذه القصة سببا فى أن يحلف أسامة أن لا يقاتل مسلما بعد ذلك ، ولذلك تخلف عن معركتى الجمل وصفين مع أنه كان يرى الحق مع علي ﷺ ... وكان سعد بن أبى وقاص ﷺ يقول : لا أقاتل مسلما حتى يقاتله أسامة ﷺ[2] .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

ما أعظم رحمة الله بعباده ، وما أكرمه معهم بأفضاله ونعمه ، فلقد خلقهم ورزقهم ، ودعاهم إلى الخير ، وأرسل لهم رسله لإخراجهم من

---

(١) سورة غافر ، الآية ٨٥ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص١٠٤ .

الظلمات إلى النور ، وعز عليه أن يتركهم يقعون فى ظلمات الباطل ، ومتاهات الفحشاء والمنكر فوعدهم بالإحسان إليهم إن رجعوا عن سوءاتهم ، وتابوا إليه ، وعادوا إلى صراط الله المستقيم .

فلو عاش الناس الكفر كله ، وطغوا فى البلاد ، وأكثروا فيها الفساد ، ثم عادوا إلى الله بكلمة التوحيد ، ونطقوا بالشهادة فإن الله يعصم دماءهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، ومعاملتهم معاملة المسلمين المخلصين .

إن حكم الله تعالى يقوم على لفظ منهم ، ولو قالوه فى أحرج حالاتهم ، وقد يكبر هذا الحكم عند أناس يخافون من نفاق أعدائهم ، ويتصورون إعلانهم الإسلام هروبا من المؤاخذة ، وخوفا من القتل ... ومن هؤلاء الصحابى المقداد ابن الأسود ﷺ الذى تعجب من هذا الحكم ، فأخذ يسأل عنه رسول الله ﷺ ويعرض عليه أمرا حدث له ، وهو اقتتاله مع رجل كافر ، تمكن فيه الكافر من قطع إحدى يديه ، وهرب فلما أدركه مختبئا خلف شجرة أعلن إسلامه ، فهل يتركه المقداد ، ولا يقتله بمجرد تلفظه بشهادة التوحيد ، فلما نهاه النبى ﷺ عن قتله راجعه فقال له النبى ﷺ لا تقتله حتى لا تكون مثله ... وظاهر السياق يوضح وقوع هذه الحادثة عمليا إلا أن الحافظ ابن حجر ﷺ نفى وقوعها وبين أن السؤال كان افتراضيا للعمل بالحكم لو وقع هذا الفعل .

وليست مراجعة المقداد ﷺ لرسول الله ﷺ كراهية للحكم ، بل للتعجب والاستغراب لما كان يتصوره فى نفاق الرجل ، وحتى لا يستغل أحد التلفظ بكلمة التوحيد ليفر من سيوف المسلمين ، ويفر من القتل الذى يستحقه .

وقد رد النبى ﷺ على أسامة ﷺ بضرورة التعامل مع القائل بما ينطق به حتى لا يكون المسلم بعد قتله مثله قبل أن يقتل ، وقد سبق بيان المراد بهذه المماثلة فى الدلالات اللغوية .

وفى الحديث الثانى ينكر النبى ﷺ على أسامة ﷺ قتل الرجل بعد تشهده ولم يلزمه بالدية والكفارة لأنه قتله بعد اجتهاد ، وانما أنكر عليه تركه الاحتياط ، وكان الأحوط عدم قتله .

وقد اشتد إنكار النبى ﷺ على أسامة ﷺ وعلى المقداد ﷺ بعدم قتل الرجل تعليما للناس ، وبيانا بأن الحكم يكون على الظاهر ، والله يتولى السرائر .

إن رحمة الله بالناس بالغة ، ولذلك كان الأخذ بالأسباب الظاهرة وسيلة لنشر الإسلام ، وعسى أن يتمكن الإيمان من القلوب بعد ذلك .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ضرورة الحكم على الإيمان بالظاهر ما لم يظهر دليل على عكسه .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن الأحاديث عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

فروق بين حكم الله وحكم العقل

شتان بين علم الخالق، ومعرفة المخلوق ، فعلم الله محيط بالغيب كله

فى الزمان ، والمكان ، والأحداث ... وفى كل حال ، أما الإنسان فإنه يعلم بحواسه ، وعقله ، ولذلك كثر خطؤه ، فالعين ترى السراب ماء ، وتتصور المادة صورا محسوسة كمن يرى شجرة بالليل يظنها إنسانا ، وهى ليست كذلك ، وقد تتشابه الأصوات والأعمال فى التصور ، وهى ليست متشابهة فى الحقيقة ، ويشعر المريض أن الحلو مر ولا مرارة فيه .

والإنسان محدود بحدود المادة ، ولذلك كان حكمه نابعا من الحياة المادية التى يلمسها ، ويراها .

أما الله فهو العليم بالغيب ماضيا وحاضرا ومستقبلا ، ولذلك كان حكم الله هو العدل ، وهو الصراط المستقيم .

إن الله يرشد المخلوق نحو غايات لا يعلمها إلا هو ، وقد دلت الشواهد على دقة العلم الإلهي ، واحاطته بكل شيء ، ورحمته فى كل أمره ونهيه .

ومن هنا :

وجب على الإنسان أن يعرف نفسه ، ويعيش مع الأسباب وطرق العلم الممكنة له ، فمصدر معارفه الحواس ، والعقل ، وبهما يرى بعض الحاضر ، وشيئا من الماضى . أما علم المستقبل ، ومعرفة حقائق كل موجود فى الماضى والحاضر والمستقبل ، فى الدنيا وفى الآخرة فهو لله وحده ، يعرف الإنسان شيئا منها بالوحى والإلهام ، ويكرمه بما لا يمكنه تصوره .

ولذلك يجب أن يعيش الإنسان فى حدود طاقاته فيحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر ، ويهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

ودور الدعاة فى إظهار هذه الحقائق أساس فى الدعوة إلى الله تعالى.

الركيزة الثانية
عظمة القيادة المحمدية

توضح أحاديث الباب عظمة القيادة المحمدية فى إدارته شئون الأمة ، والحكم العادل بين الناس ... وذلك أمر بارز فى أعماله ﷺ فقد كان ﷺ يسوس شئون الناس ، ويرسل الجيوش ، ويشرف على سائر الأعمال ، ولم يفرق رسول الله ﷺ بين طوائف الناس ، فكان يرسل المهاجرين والأنصار معا للغزو والقتال ، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يرجعون إلى قائدهم رسول الله ﷺ ليبين لهم حكم ما فعلوا ، وحكم ما لم يفعلوا ، وكانوا يرون الخير كله فى تعاليم رسول الله ﷺ فهو ﷺ وحى الله إليهم : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1] **... وكان ﷺ حاسما فى حكمه ، يبينه ويفصله ، ويناقش أصحابه فيما يقول لهم .**

وأحاديث الباب تشير إلى حكم رسول الله ﷺ فى فعل أسامة ﷺ بوضوح تام ، وتفصيل متقن ، فلقد سأل المقداد ﷺ رسول الله ﷺ بعدما قتل رجلا كافرا قطع يده ، وفر أمامه ، ولاذ بشجرة ، وأعلن إسلامه ، والسيف على رقبته ، فأجابه ﷺ بعدم صحة قتله بعد أن أعلن إسلامه ، ونطق بشهادة الحق وأخبره ﷺ بأن قتل الرجل بعد أن أعلن الإسلام ، وأظهر التوحيد لا يجوز لأن حكم الإنسان يقوم على الظاهر ولا يتعداه ، والله يتولى السرائر .

---

(١) سورة النجم ، الآية ٣ ، ٤ .

فلما جاء أسامة ﷺ بنفس السؤال كرر النبى ﷺ إجابته ، وتساءل هلى شققت عن قلبه لتقف على ما فيه من صدق أو كذب ؟

إن رسول الله ﷺ لم يجامل أصحابه ، ولم يترك البرهنة على حكمه ، وانما أجاب بدقة ، وبرهن على إجابته بوضوح ، وأنكر على المقداد وأسامة ، وسأل أسامة سؤالا ليعرف الخطأ فى اجتهاده ، وهذا من صفات حزمه ودقته .

إن قيادة رسول الله ﷺ للأمة منهج عملى ، أثبت أهميته ، وأخرج للناس خير أمة ظهرت على أرض الله تعالى .

إنها قيادة تعتمد على الوحى المنزل الثابت فى الكتاب والسنة ، وتناقش الإنسان فيما له وما عليه ، وتنشط العقل ليعيش فى حدود طاقاته وقدراته ليعلم ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[1] .

والواجب إظهار حكم الله تعالى بوضوح ، وتقديم أدلة صدقه بإيجاز ودقة ، وهذه إحدى خصائص القيادة المحمدية .

والأمل فى الدعاة أن يهتدوا بهدى رسول الله ﷺ فى البلاغ والدعوة ، ومعالجة قضاياهم بمنهج الله تعالى .

---

(١) سورة الطلاق ، الآية ١٢ .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير الأحاديث إلى بعض الفوائد ... منها :

(١) **الأحكام الشرعية تنبنى على الأعمال الظاهرة ، وعلم ما خفى عند الله وحده .**

(٢) **للوالى أن يحاسب من يوليهم أمرا فى كل أعمالهم ليصحح خطأهم ، وينمى صوابهم .**

(٣) **الإقدام على سفك الدم والقتل جريمة كبرى لا يصح الإقدام عليها إلا بثبوت الأدلة الشرعية التى تجيزها ، وأمر الفصل فيها إلى القضاة والولاة .**

(٤) **حقائق الأعمال تنبع من المقاصد القلبية ، ولذلك كان الحكم الصادق على الأعمال لمن يعلم مقاصد القلوب ... ومن عجز عن هذا عليه أن يطيع من يعلم ، وهو الله تعالى .**

(٥) **تحتاج المواقف الجادة إلى الحزم والتمسك به ، وقد رأينا فى أحاديث الباب أن رسول الله ﷺ رفض قبول عذر المقداد وأسامة رضى الله عنهما فى القتل ، وكرر موقفه الثابت .**

(٦) **على العلماء والدعاة وذوى الرأى بين الناس أن يهبوا لتسكين الفتن ، ووعظ الناس بالحق والبرهان لتحقيق الأمن والسلامة للجميع .**

(٧) **الواجب الرجوع إلى أهل الفتوى لمعرفة حكم الشرع فى الأعمال ، وبخاصة مادق منها .**

ـ ٣١ ـ

٤٠ ـ باب قول النبي ﷺ
من حمل علينا السلاح فليس منا

[٦٣] ، (١) حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : من حمل علينا السلاح فليس منا[١] .
٧٠٧٠

[٦٤] ، (٢) حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : من حمل علينا السلاح فليس منا[٢] .
٧٠٧١

ـ أ ـ
موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حرمة قتل المسلم أخاه المسلم ، وتشدد على منع القتال بين المسلمين .

ـ ب ـ
الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (من حمل علينا السلاح فليس منا) **أى من حمل السلاح من المسلمين على المسلمين فليس من المسلمين ، وحديثا الباب رويا بصيغة واحدة ، يؤكد كل منهما الآخر .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٩٢ كتاب الفتن : ٧ باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا ، ولم يرد الحديث برواية أخرى عند البخارى .

(٢) أخرجه البخاري في : ٩٢ كتاب الفتن : ٧ باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا ، ولا رواية للحديث في باب آخر عند البخارى .

و(نا) فى (علينا) و(منا) ضمير جماعة المتكلمين ، يقصد به رسول الله ﷺ جماعة المسلمين المتمسكين بالحق ، المتبعين لدين الله تعالى ، وصراطه المستقيم ، وقد جعل رسول الله ﷺ نفسه واحدا منهم ، وهذا يدل على أن جماعة المسلمين ليست من البغاة المعتدين الظالمين .

والمراد بالسلاح أى آله تؤدى إلى القتل ، وحمله كناية عن القتل به ، أو تصريح للقتال به .

وقد حرم الله على كل مسلم أن يحمل السلاح على المسلمين بغير حق لما فى ذلك من تخويفهم ، وادخال الرعب عليهم ، وحرمانهم من الأمن الذى أكرمهم الله به .

ومعنى (فليس منا) أى ليس على طريقتنا أو منهجنا ، لأن حق المسلم على أخيه أن يعينه ، وينصره ، ويقاتل دونه ، لا أن يخيفه ، ويرعبه ، ويحمل السلاح عليه لإرادة قتاله ، أو لقتله بغير حق ، أو حجة .

ومن المعلوم أن من استحل قتال المسلمين فهو خارج عن ملة الإسلام فقد استحل ما حرم الله ، إلا أنه لا يكفر بمجرد حمل السلاح ، وانما بمباشرة القتال أو المناداة به .

وقد توقف كثير من السلف فى تأويل الحديث ، وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يكره قول من يفسره بليس على هدينا ، ويقول : بئس هذا القول ، ويأمر بالإمساك عن تأويله ليكون أبلغ فى الزجر والتخويف لما

يوهمه من بعد فاعل ذلك عن الإسلام ، وعدم اندراجه تحت لواء المسلمين[١] .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

ميز الله الإنسان عن كل مخلوقاته بالفهم ، والإدراك ، ورزقه العقل ليعرف به ويهتدى ، ويصل بالتفكير المنطقى إلى إنسانية تليق بالبشر .

وعرف الله الناس بأنهم جميعا من أب واحد ، وأم واحدة ، وأنهم جميعا لآدم عليه السلام ، ومن مقتضيات هذه الحقيقة أن يتعامل الإنسان مع أخيه ، ويعاونه وينصحه ، ولا يعاديه ، ولا يخاصمه ، وان خالفه فى الرأى ، ويحاوره بالدليل ، ويجادله بالحسنى .

وقصد الإسلام أن يصنع من الناس جميعا أمة واحدة ، تؤمن بالله وحده وتسير على شريعة واحدة ، وتتمسك بمنهج الله الذى سترجع إليه .

إن الإسلام يقدم بتعاليمه أسس مجتمع طاهر نظيف يقوم على ما يلى :

أولا : **الاجتماع على الصواب الذى يصون الحقوق ، ويحدد الواجبات بصورة خالية من المجاملة والتحيز ، ولذلك كان الرسول واحدا من الناس حين قوله :** (منا) ، (علينا) .

ثانيا : **جمع الناس على عقيدة واحدة ، ومنهج واحد فى السلوك والأخلاق.**

---

(١) فتح البارى ج٢٧ ص٢٧ .

ثالثا : **نشر التعاون ، والتآلف ، والتناصح داخل المجتمع .**

ومن هنا :

لا يصح أن يقتل المسلم أخاه أو يقاتله ، وما وقع بين المسلمين من قتال فى القرن الأول قائم على اجتهاد سوغ لهم القيام به ، والحكم فيه لله العليم الخبير ، والأولى عدم الخوض فيه **حتى لا نحكم على أحد من الصحابة بعقل بشرى وقد زكاهم الله ورسوله ، ولا نسلم بأقوال لا يمكن التأكد منها ، والشأن العام أن القتال الذى وقع بين الصحابة كان فتنة أودت بحياة كثير من المسلمين وقد نهى ﷺ عن قتال المسلم لأخيه فى أقواله ﷺ :**

- **(لا يشير أحدكم على أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدرى ، لعل الشيطان ينزغ فى يده فيقع فى حفرة من النار)**[١] .
- **(من أشار إلى أخيه بحديدة لعنته الملائكة)**[٢] .
- **مر رسول الله ﷺ على قوم يتعاطون سيفا مسلولا ، فقال رسول الله ﷺ : (لعن الله من فعل هذا ، أو ليس قد نهيت عن هذا ؟ ... إذا سل أحدكم سيفا ينظر إليه فأراد أن يناوله أخاه فليغمده ثم يناوله إياه)**[٣]

وأحسن المواقف أن يترك المسلم مجال الصراع الذى يقع بين المسلمين وأن يكف عن المشاركة فى القتال الذى نتج عن الفتن والتآمر

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الفتن . باب قول النبى ﷺ : منحمل علينا السلاح ج٩ ص٤٩ .
(٢) سنن الترمذى . كتاب أبواب الفتن . باب ما جاء في إشارة المسلم إلى أخيه ج٤ ص٤٦٣ .
(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٤ ص٣٢٣ .

على المسلمين يقول النبى ﷺ : (ستكون فتنة ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، من تشرف لها تستشرفه ، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به)[١] .

وقد وجب على كل مسلم عدم الطعن على أحد من أصحابه ﷺ لأن الله ورسوله وصيانا بهم ، وقد دخلت الزيوف والأكاذيب فى أحداث التاريخ ، وبخاصة فيما يتصل بأخبار صحابه رسول الله ﷺ ، والأولى عدم الخوض فى هذه الفتن ، وعدم الاجتهاد فى اكتشاف أسبابها ، وترك الأمر لله تعالى.

لقد نجح المتآمرون فى إيقاع المسلمين فى الاقتتال والتضارب ، ونجحوا فى إطفاء خططهم ، وأعمالهم ، وحققوا كثيرا مما عملوا له ... وجدير بعقلاء المسلمين أن يبدأوا حياتهم متمسكين بدين الله تعالى ، حذرين من دسائس أعداء الدين لتنهض الأمة مرة أخرى .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تدل أحاديث الباب على أن حمل المسلم السلاح على إخوانه لقتالهم أو قتلهم كبيرة محرمة ، وأن من يفعل ذلك فهو بعيد عن هدى الله تعالى ، وعن نظام الحياة الإسلامية ، وعن كمال الإيمان وتمامه .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المناقب . باب علامات النبوة في الإسلام ج٤ ص١٩٨ .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تشير أحاديث الباب إلى ركيزة هامة ... هى :

ضرورة تحقيق الأمن
فى المجتمع الإسلامى

المؤمنون يد واحدة ، وهم إخوة يسعى كل منهم فى خدمة الآخرين ، ومن ضرورات هذه الأخوة أن يعرف المسلم حقوق إخواته ، ويعمل على صيانتها ، وحفظها ، ويكون دعما لسائر أفراد المجتمع المسلم ، وأن لا يرفع سلاحه على مسلم أبدا ، وأن يوجه السلاح إلى غير المسلمين فقط حين يكون الجهاد والدفاع عن الإسلام .

إن المجتمع الإسلامى الصحيح مجتمع متماسك ، متآزر ، لا يبغى فيه أحد على غيره ، ولا يضيع خلاله حق ، ولا يقصر مسلم فى نصح أخيه بالحق ، وحسن الخلق ، وكرم الأخلاق . يقول الله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾[1] .

وحديث الباب يشير إلى فتن مظلمة يتحول فيها المسلم إلى قتال أخيه ، ويتمسك بما يرى ، ويؤمن بأنه وحده على الحق ، وغيره على ضلال .

وقد دل واقع المسلمين فى العصر الحديث على انقلاب المفهوم الصحيح للإسلام ، وصار كثير من المسلمين يقتل بعضهم بعضا تحت

---

(١) سورة العصر .

شعارات بعيدة عن دين الله تعالى ، وبمسميات تخالف ما دعا إليه الحديث الشريف .

إن الأمة الإسلامية تحولت إلى شراذم متناثره ، يعادى بعضها بعضا ، ويقتل فيها المسلم أخاه ، ويتهمه بما ليس فيه ، وصار للنفاق ، ولدعاة العرى والمعصية صوت وقوة ، وأصبح المسلمون كاليتامى فى مأدبة اللئام ، وأخذ أعداؤهم يعملون للتخلص منهم .

ولذلك :

كانت الحاجة ماسة لفهم حديث الباب والعمل به حتى لا يستمر العداء والقتال بين المسلمين ، وتتوحد الأمة المسلمة على الحق مرة أخرى ، وتعود لأمجادها ، وقوتها ، وعظمتها .

وعلى الدعاة :

أن ينشروا الحب بين الناس ، ويعملوا على وحدة المسلمين ، وتحديد معالم الصراط المستقيم ، وتوضيح حدود الله تعالى فى كافة جوانب الحياة لتصان الحقوق ، وتتحقق الواجبات ، وليس ذلك ببعيد .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير الأحاديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) واجب المسلمين أن يكونوا يدا واحدة على من سواهم بالحق والعدل .

(٢) يحرم على المسلم القيام بأى عمل يؤدى إلى وقوع القتال بين المسلمين لأن ما يؤدى إلى الحرام حرام مثله .

(٣) بين جلب المصلحة ، ودرء المفسدة تشابك ، والعاقل من يجمع بينهما فى دقة وحكمة ليحقق المصلحة ، ويتجنب المفسدة .

(٤) للشر جنوده من الإنس والجن ، وهم يعملون له فى دأب واصرار ، وواجب المسلم أن يتحاشاهم بذكر الله ، وطاعته ، والاستعاذة بالله منهم وتجنب دسائسهم وتآمرهم ، والتوكل الدائم على الله تعالى .

(٥) الأمة الإسلامية أمة واحدة لا يجوز أن يخرج عليها بنوها ، وليس فيها حكم يخالف شرع الله تعالى .

ـ ٣٢ ـ

٤١ ـ باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية

[٦٥] ، (١) ١٢٩٤ حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال النبي ﷺ ليس منا من ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية[١] .

[٦٦] ، (٢) ١٢٩٦ حديث أبي موسى ﷺ وجع أبو موسى وجعا شديدا فغشي عليه ، ورأسه في حجر امرأة من أهله ، فلم يستطع أن يرد عليها شيئا ؛ فلما أفاق قال : أنا بريء ممن برئ رسول الله ﷺ منه إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حرمة أعمال كان يقوم الجاهليون بها عند موت أحدهم مثل ضرب الخدود ، وشق الجيوب ، والعويل ، والدعاء بدعوى الجاهلية .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٢٣ كتاب الجنائز ٣٩ باب ليس منا من ضرب الخدود ، وانظر روايات الحديث عند البخارى في الأرقام التالية : (١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ٢٥١٩) .

(٢) أخرجه البخاري في : ٢٣ كتاب الجنائز : ٣٨ باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة ، وليس للحديث روايات أخرى عند البخارى .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (ليس منا) (نا) **ضمير يبين أن المتكلم هو رسول الله ﷺ وهو ضمير يعود إلى صحابة رسول الله ﷺ وهو معهم . ومعناه أن فاعل ما تضمنه الحديث من أعمال جاهلية ليس واحدا من جماعة المسلمين ، وهذا يفيد أحد معنيين :**

أولاهما : **إخراج القائل من الدين ، واعلان كفره إن كان مستحلا لهذه الأفعال ، لأنه حينئذ يكون قد استحل أمرا محرما بدليل قطعى ، وحكم بغير حكم الله تعالى .**

ثانيهما : **أن هذا القائل ليس على منهج المسلمين السوى ، ويحل هجره ومقاطعته حتى يقلع عن معاصيه ، فقد أهمل أحد فروع الدين ، وأساء إلى إيمانه ، ... وقد نفى الحديث الإيمان عن فاعل هذه المعاصى للردع والزجر كما يقول الوالد لولده ، وهو يعاتبه** (لست منى ، ولست منك) **والمعنى لست على طريقتى ، ونظامى ، ومنهجى .**

والنفى المذكور بأحد المعنيين يدور حول فعل أمور ثلاثة مجتمعة ، أو متفرقة ، أو بوقوع بعضها فقط ... وهى :

(١) (من ضرب الخدود) **الخدود جمع خد ، وهو جانب الوجه ، والإنسان له خدان فقط ، ولذلك جاز اعتبار الاثنين جمعا .**

وضرب الخد لطمه على سبيل الهلع والجزع عند المصيبة ، وصورته أن يضرب الإنسان خد نفسه ، لأن ضرب خد غيره ليس مقصودا من الحديث .

وضرب أى جزء فى الوجه داخل فى حكم ضرب الخد لأن التعبير بالخد جرى مجرى الضرب الغالب .

(٢) (وشق الجيوب) **الجيوب جمع جيب ، وهو فتحة الثوب التى تدخل منه الرأس ، وشقه يعنى إكمال قطعه من الأمام حتى يصل إلى آخره ، أو لزيادته عما هو عليه ، وكان العرب قبل الإسلام يشقون ثيابهم عند المصيبة هلعا وجزعا .**

(٣) (ودعا بدعوى الجاهلية) **أى رفع صوته ، وصاح عند المصيبة بالنياح والندب ، والدعاء بالويل والثبور ، وقال ما كان أهل الجاهلية يقولونه عند المصيبة .**

وجاء فى الحديث الثانى أن راويه أبا موسى الأشعرى ﷺ (وجع وجعا) **أى مرض مرضا شديدا** (فغشي عليه) **أى أغمى عليه حتى أصبح لا يعى ما يقال حوله من شدة المرض .**

(ورأسه في حجر امرأة من أهله) **أى أن رأسه وقت إغمائه وضعت فى حجر امرأة من أهله ، وهى زوجته ، واسمها** صفية بنت دومة **رضى الله عنها وتكنى بأم عبد الله ، وقد حدث ذلك حين كان أبو موسى** ﷺ **واليا على البصرة من قبل الخليفة عمر بن الخطاب** ﷺ .

وجاء فى صحيح مسلم أنها صاحت ، وعلا صوتها حين أغمى على أبى موسى ﷺ (فلم يستطع أن يرد عليها شيئا) **أى أن أبا موسى** ﷺ **لم يستطع أن يمنعها عن الصياح ورفع الصوت لما حدث له من إغماء .**

(فلما أفاق) **أبو موسى ﷺ من الإغماءة** (قال) **لزوجته ولمن حوله** (أنا بريء ممن برئ رسول الله ﷺ) **أى أنا برئ من أى شيء تبرأ منه رسول الله ﷺ ، وأصل البراءة الانفصال والابتعاد ، والمراد من البراءة هنا الابتعاد عن الإثم والمعصية .**

ولم يوجه أبو موسى ﷺ البراءة إلى فعل زوجته مباشرة تقديرا لحنوها عليه ، ورفقا فى تعليمها وتوجيهها ، وارشادا لسائر المسلمين ليعلموا من جهل حكما بالحسنى واللين .

ولعل تلك الأسباب هى التى جعلت الإمام البخارى يصور الحالة التى كان عليها أبو موسى ﷺ ودور زوجته معه، وطريقته في النصح والتوجيه.

وحدد أبو موسى ﷺ الأفعال التى تبرأ منها رسول الله ﷺ فقال : (إن رسول الله ﷺ برئ من الصالقة والحالقة والشاقة) .

والصالقة **هى الحالة التى ترفع المرأة فيها صوتها جزعا وهلعا عند المصيبة ، وتنطق الصالقة بالصاد والسين ، ومنها قوله تعالى :** ﴿ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[1] **والمعنى فى اللفظين واحد .**

والحالقة **هى التى تحلق شعرها عند المصيبة .**

والشاقة **هى التى تشق جيبها عند المصيبة .**

وقد نصح أبو موسى ﷺ زوجته بعد إفاقته فيما بينه وبينها كما جاء فى بعض رواية الحديث إذ قال لها : ألم أعظك وأعلمك أن النبى ﷺ لعن

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ١٩ .

الصائحة ، والحالقة ، والشاقة جيبها ؟ ... يا هذه إنى برىء من عاقبة صياحك . إنى برىء مما تبرأ منه النبى ﷺ .

ألا قد بلغت اللهم فاشهد .

وقد انزجرت امرأة أبى موسى ﷺ ، وشفى أبو موسى ﷺ من مرضه ، وعاش بعده زمنا طويلا رضى الله تعالى عنه وأرضاه .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث البيان تحريم ما كان الناس يفعلونه قبل الإسلام عندما تقع بهم مصيبة ويلم بهم حدث ، فلقد كان الهلع والفزع يستولى عليهم ، ويعلو صوتهم صياحا ، ونياحا ، ودعاء بالويل والثبور .

فلما جاء الإسلام حرم ذلك لدلالته على عدم التسليم للقدر ، والاعتراض على ما قضى الله به ، وعرف الناس أن الواجب هو الإيمان المطلق بالله ، واليقين بأنه فاعل كل شيء وأنه لا يقع فى ملك الله إلا ما يريد ، وأن الواجب الملازم للإيمان الصحيح هو الرضا والتسليم بما يقضى الله به ، فهو سبحانه الذى خلق الموت والحياة ، وهو الذى يعطى ويأخذ ، واليه يرجع الأمر كله .

وفى هذا البيان عدد من المسائل :

المسألة الأولى

تأثير فعل الجاهلية على الميت

دعا النبى ﷺ المسلمين إلى التبرؤ من أفعال الجاهليين عند وقوع مصيبة فيهم ، وأوجب على كل مسلم أن ينصح أهله وينهاهم عن فعل

المنكر ، ويأمرهم بضرورة بعدهم عن المنكر حتى لا يتعذب الميت بفعلهم ، إن لم ينصحهم بالحق ، ويعرفهم بتعاليم الله تعالى فكل إنسان مسئول عن أهله يقول ﷺ : (خيركم خيركم لأهله)[١] .

وقد وردت نصوص عديدة تبين أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، ومن ذلك :

- **يقول النبى ﷺ :** (إن الميت ليعذب ببكاء أهله)[٢] .
- **وعن المغيرة ﷺ أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :** (من ينح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة)[٣] .
- **ولما طعن عمر بن الخطاب ﷺ قال لابنته حفصة رضى الله عنها : مهلا يا بنية ، ألم تعلمى أن رسول الله ﷺ قال :** (إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه)[٤] .

وأنكر البعض تعذيب الميت ببكاء أهله ، وأولوا الأحاديث باختصاصها بمن وصى بالنياحة عليه ، وبمن أهمل فى نصح أهله فى هذا الموضوع لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[٥] .

---

(١) سنن ابن ماجه . كتاب النكاح . باب حسن معاشرة النساء ج١ ص٦٣٦ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الكسوف . باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه ج٢ ص٦٣٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد . مسند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ج٩ ص٢٠١ .

(٤) صحيح البخارى . كتاب الجنائز .. باب قول النبى ﷺ : يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه ج٢ ص٧٩ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية ١٦٤ .

المسألة الثانية

حكم البكاء بلا صوت

أجاز الفقهاء البكاء بلا صوت عند المصيبة لقوله ﷺ : (إن الله لا يعذب بدمع العين ، ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا وأشار إلى لسانه)[١] لسانه)[١] ، ولقوله ﷺ عند وفاة ابنه إبراهيم : (إن العين تدمع ، والقلب يحزن ، وانا لفراقك يا إبراهيم لمحزنون)[٢] .

المسألة الثالثة

عدم انحصار فعل الجاهلية

فيما ورد فى الأحاديث المذكورة

وردت رواية للحديث بـ (أو) بدل الواو فى الحديث الأول ، وهذا يفيد أن كل فعل من الأفعال المذكورة كاف فى الحكم بعدم كمال إيمان فاعله .

ويبدو أن إيراد الحديث الأول للأفعال الثلاثة ليس حصرا لها ، لأن أفعال الجاهلية كانت كثيرة ، وشائعة ، والحديث الثانى يؤكد عدم الحصر فقد جاء بـ (الحالقة) التى لم تذكر فى الحديث الأول ... وهناك أفعال تقع اليوم يمكن إلحاقها بهذه الأفعال الثلاثة ، مثل دهان الوجه بالسواد واللون الأزرق ، وخنق الرقبة بالثياب ، والإمساك بطرفى الثوب بين اليدين ، والولولة ، والتجمع خلف الميت فى دوائر باكية ، ورفع التراب على الرأس ، وتحريم الطعام الطيب ، وترك الفراش الوثير وغير ذلك من الأعمال التي

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الكسوف . باب البكاء على الميت ج٢ ص٦٣٦ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الجنائز . باب قول النبى ﷺ : إنا بك لمحزونون ج٢ ص٨٣ .

تدل على الضجر، وعدم الرضا بالقضاء والقدر، وتثبت أعمالا لا دليل عليها

وبهذه الأفعال وغيرها تكون المخالفة لشرع الله تعالى ، ويحكم على فاعلها بما يستحقه فى دين الله تعالى .

إن من الجاهلية تعاون النسوة فى البكاء والصياح ، والنوح ، واعتبار ذلك تكريما للميت وهو فى الحقيقة عذاب له إن لم يكن نهاهم عنه أو قصر فى تعليمهم شرع الله تعالى .

إن الخروج عن أحكام الله أمر مرفوض فى شريعة الله ، يجب التخلص منه .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حرمة النياحة ، والصياح ، وشق الثياب ، والندب والدعاء بالويل والثبور ، وتبين براءة النبى من هذه الأفعال لتعارضها مع الإيمان بالقضاء والقدر ، ودلالتها على عدم التسليم لله تعالى .

وقد تبرأ أبو موسى ﷺ مما تبرأ منه رسول الله ﷺ .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

ضرورة الإيمان بالقضاء والقدر

يهتم الإسلام بإيجاد مجتمع صالح ، مستقيم فى عقيدته ، وعمله . متجرد من شوائب الشرك ، وآثار الضلال ، ولذلك نهى رسول الله عما كان

الجاهليون يفعلونه عند المصيبة من أفعال تظهر الهلع والجزع ، وتؤكد عدم تسليم الأمر لله ، وعدم الإيمان بقضاء الله وقدره .

إن مجتمع المسلمين يجب أن يصطبغ بصبغة الله ، وأن يسير على منهج الله ، وأن يأخذ عقيدته الإيمانية ، وأعماله الشرعية ، وأخلاقه الكريمة من تعاليم الله ، وسلوك رسوله الأمين ﷺ .

إن المجتمع الإسلامى يقوم على الحق ، ويعلى مشاعر الدين ، ويتخلص من آثار الجاهلية ورواسبها ليكون مثالا عمليا للإيمان والمؤمنين ، ولا يتم له ذلك إلا بقاعدة صلبة معتمدة على الإيمان الصحيح .

إن واجب المؤمن أن يسلم الأمر لله ، ويرضى بحكمه ، ويعلم أن كل محدث يحدث يكون بأمر الله تعالى ، ويتجنب التأفف والضجر عند حدوث أمر لا يرضيه ، وليحفظ الله فى الرخاء والشدة ، وليطع رسول الله ﷺ فى نصيحته التى وعظ بها ابن عباس رضى الله عنهما حين قال له : يا غلام ، إنى أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف[١] .

ومن حلاوة الإسلام :

---

(١)- سنن الترمذى - كتاب- أبواب- صفة القيامة والرقائق والورع- عن رسول- الله ﷺ ج٤ ص٨٤ . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

إنه ﷺ جعل تحقيق الأمل في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معا غاية كل نشاط إسلامى .

ودعا ﷺ الإسلام إلى الحرص على الفوز بالجنة كما حث على النصر في الدنيا .

وحدد ﷺ الطريق بالإيمان الصادق ، والعمل الصالح ... وبهذا يستمر الإنسان في السعادة الحقيقية التي تخالط الضمير والسلوك ، وتعيش مع الظاهر والباطن ، فإن فاتته هذه السعادة في الدنيا فعليه أن يعمل لتحقيقها في الآخرة ، وهي هناك أحلى ، وأجمل ، وأدوم ، ويعلم أن الصدق يجب أن يظهر فى كافة جوانب الحياة .

الركيزة الثانية
أهمية القدوة فى حياة الناس

الإنسان مخلوق مدنى بطبعه ، يؤثر ويتأثر ، ويأخذ ويعطى ، ولذلك كانت حاجته إلى مثال يحتذيه ، ويتعلم منه .

ورسول الله ﷺ هو أسوة المسلمين وقائدهم . يقول الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1] **، ويقول النبى ﷺ : (خذوا عنى مناسككم)**[2] **، ويقول ﷺ : (صلوا كما رأيتمونى أصلى)**[3] **.**

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ .

(٢) مسند الإمام أحمد . مسند عبد الله بن مسعود ج٧ ص١٦٨ .

(٣) صحيح ابن حبان ج٤ ص٥٤٣ .

وهذا هو أبو موسى الأشعرى يسير على خطى رسول الله ﷺ ويتبرأ مما تبرأ منه ﷺ .

إن الأمم الحديثة تصنع لبنيها بطلا قوميا ، وتحيطه بهالة من الأخبار والأعمال ليتخذه أبناء الشعب رائدا لهم ، يلتفون حوله ، ويحيطونه بالحب ، ويفعلون ما يفعله ، ويطيعونه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه ، وأسوة المسلمين دائما هو رسول الله ﷺ الذى عصمه ربه عن الدنايا ، ووفقه لما يحب ويرضى ، ويسر له الأمر كله حتى صار صورة عملية للإسلام المنزل ، وبذلك أصبح للمسلمين طريقا عمليا ، وطريقا نظريا ، فمن رغب أن يرى الإسلام مطبقا فليقف على حياة رسول الله ، ومن رغب فى معرفة صفات وخصائص رسول الله فليقرأ القرآن الكريم .

إن رسول الله ﷺ نور يستضاء به ، ووحى يقدم الإسلام بصورته النظرية والعملية ، والاحتذاء به ﷺ واجب ، وعلى المسلمين أن يعلموا سيرة رسول الله ﷺ ، وينزلوه فى حياتهم المنزلة الواجبة ليسعدوا بها فى الدنيا وفى الآخرة .

الركيزة الثالثة
حسن التعامل بين الزوجين

يقدم الحديث الثانى صورة مثالية فى الحياة الزوجية ، حيث نجد أبا موسى ﷺ عند مرضه تحنو عليه زوجته ، وتضمه إلى صدرها ، وتضع رأسه فى حجرها ، وهذا من حنوها وحبها له ، ولما أخذها الهلع ، والجزع رفعت صوتها بما نهى الله عنه ، فلما أفاق أبو موسى ﷺ أخذ ينصح

زوجته بصورة فيها الحنان الزوجى ، والمعاملة الحسنة ... لقد ظهر بين الزوجين حسن التعامل ، وكرم الصحبة فيما يلى :

أولا : **اهتمام الزوجة بزوجها ، ورعايتها له إذا ألم به أمر ، أو نزل به مرض فهى شريكته ، وأقرب الناس إليه .**

ثانيا : **رعاية الزوج لزوجته فى رفق ولين ، ينصحها ، ويعلمها ما غاب عنها فى لين ورحمة ، مع بعد عن القسوة والشدة .**

ثالثا : **إقامة الأسرة على تعاليم الإسلام ، وتحقيق مسارها على منهج الله تعالى .**

إن حسن التعامل بين الزوجين يديم الحياة الطيبة ، ويسعد جميع أعضائها .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تتضمن أحاديث الباب عددا من الفوائد ... منها :

(١) **ضرورة المحافظة على الحقيقة ، وتطهيرها من أى شبهة تلحق بها .**

(٢) **اليقين بأن أعداء الإسلام يعملون على إلحاق غير الإسلام به ، ولذلك وجب كشف محاولة خصوم الإسلام ضد الإسلام والمسلمين .**

(٣) **يستحب فى الدعوة والتعليم كشف الزيوف الدخيلة على الإسلام ، وبيان ما فيها من مخالفة للإسلام ليسهل التخلص منها كحال الطبيب حين يحدد الداء وسببه قبل معالجته والقضاء عليه .**

(٤) توضيح مسئولية الإنسان عن أهله وبنيه لأن تقصيره فيه محسوب عليه ومعذب به .

(٥) وسط الشوك يتولد الورد فمع صياح زوجة أبى موسى وجد الحنان والحب ، والواجب تنمية الخير ، والقضاء على الشر بالرفق واللين .

(٦) أهمية بيان أدلة الأحكام الشرعية فى القضايا الهامة ، وقد أحسن أبو موسى ﷺ صنعا حين نصح زوجته ، وبين لها أنه على منهج رسول الله ﷺ .

ـ ٣٣ ـ

٤٣ ـ باب بيان غلظ تحريم النميمة

[٦٧] ، (١) حديث حذيفة ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول :
٦٠٥٦ لا يدخل الجنة قتات[1] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن النميمة محرمة لما لها من آثار ضارة على صاحبها ، وعلى المجتمع ، وعلى الناس أجمعين .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (لا يدخل الجنة قتات) **أى لا يدخل القتات الجنة ابتداء وانما يعاقب بسوء عمله قبل أن يدخلها ...** والقتات **هو النمام الذى يمشى بين الناس بالنميمة وينقل الحديث بينهم .**

وجاء الحديث بـ (قتات) **نكرة ليعم كل من يقوم بهذا العمل رجلا كان أم امرأة ، صغر أم كبر .**

والنميمة **فى جملتها نقل كلام الناس بعضهم لبعض بقصد الإفساد بينهم لأن نقل الحديث بين الناس يفسد العلاقة ، ويوغر الصدر ، وينشئ الحقد والكراهية ، ولذلك يقول النبى ﷺ : (لا يبلغني أحد من أصحابي عن**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٧٨ كتاب الأدب : ٥٠ باب ما يكره من النميمة ، ولم ترد للحديث رواية أخرى عند البخارى .

أحد شيئا ، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر)[١] ويدعو ﷺ إلى عدم الاغترار بالنمام لأنه يقصد الإساءة لمن نقل عنه ، ولمن نقل له ، وهو بخلقه هذا يدور بين الناس بسوئه .

وقد اهتم علماء الإسلام ببيان المراد بالنميمة ، وتوضيح موقف الإسلام منها .

يقول الإمام الغزالى : اعلم أن النميمة تطلق فى الأكثر على نقل قول الغير إلى المقول فيه كأن يخبره بأن فلانا يقول فيك كذا ، ويتكلم عنك بكذا ، ويسمى فاعل ذلك بـ (القتات) ، وحد النميمة **كشف ما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه ، أو المنقول إليه ، أو غيرهما ، وتكون النميمة بالقول ، وبالكتابة ، وبالرمز ، وبالإيماء ، وبالهمز واللمز ... وتكون فى المحاسن والمعايب ما دام فيها أذى للمقول له ، فلو رأى النمام شخصا يخفى ماله ، ولا يحب أن يعرفه الناس فأفشى سر غناه ويسره كان نماما[٢] .**

والفرق بين القتات والنمام **أن النمام يحضر القصة ، ويسمع الخبر ، ويعلم ما وقع أمام الناس ، ولا يخفى عليه أحد شيئا ، وينقل ما علمه أو سمعه إلى المقول فيه أو عنه . والقتات يتسمع الخبر من حيث لا يعلم به أحد ، ثم ينقل ما سمعه فى خفاء وجهالة .**

فالقتات يقوم بعمل سرى ، يحيطه بالخفاء والستر ، ولا يعلمه الناس.

ومؤدى القتات والنمام واحد إلا أن خطورة القتات أفحش ، لأنه جاسوس يتخفى عن الناس ، ويسترق السمع ، ويتعمد الأذى ، والحذر منه

---

(١) سنن أبى داود . كتاب الأدب . باب في رفع الحديث من المجلس ج٤ ص٢٦٥ .
(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ج١ ص١١٢ ، ١١٣ .

يحتاج إلى تعاون المسلمين والتنبيه عليهم ، والتعريف به . أما النمام فإنه معلوم للجميع ، والحذر منه أمر يسير .

وقد ورد فى أحاديث أخرى قصة توضح خطورة القتات ، وسبب ورود ذلك الحديث أن حذيفة ﷺ كان جالسا فى مسجد الكوفة يتدارس مع أصحابه أمورهم ، فدخل عليهم رجل عرف بين القوم بالتجسس ، ونقل أخبار الناس للحاكم ، فنظر بعضهم إلى بعض ، ثم نظروا إلى حذيفة الذى لم يكن يعلم حقيقة الرجل ، وأسروا إليه بخبره ... ولما جاء الرجل رفع حذيفة ﷺ صوته ليعظ الرجل ، وينصحه بأسلوب لطيف غير جارح من باب قوله ﷺ : (ما بال أقوام يقولون كذا ... أو يفعلون كذا)[1] .

وتختلف الغيبة عن النميمة فى أن النميمة هى نقل قول الشخص بغير رضاه إلى شخص آخر بما يسيئه بقصد الإفساد بينهما ، والغيبة هى ذكر الرجل فى غيبته بما لا يرضيه قولا أو وصفا أو حالا .

فتضمنت النميمة قصد الإفساد فى حضرة المقول له وغيبة المنقول منه بينما الغيبة تكون فى غيبة المقول عنه ، ولا تقصد الإفساد غالبا .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

النميمة من الكبائر التى حرمها الإسلام ، ونهى عنها ، وتوعد فاعلها بعذاب شديد وبين سوء القائم بها فى الدنيا وفى الآخرة ، فلقد مر النبى ﷺ

---

(١) انظر قصة الحديث في روايات مسلم لأحاديث الباب ج١ ص١١٣ .

بقبرين من قبور المدينة فنظر إليهما ﷺ وقال : (إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة)[١] ، **وقد نهى الله تعالى عن الإصغاء للنمام ، وأمر برد كلامه ، وضرورة معرفة الحق فى أخباره . يقول الله تعالى :** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[٢] .

وجاء حديث الباب ليبين أن النمام لا يدخل الجنة أبدا إذا كان مستحلا للنميمة ، لأنه بذلك استحل كبيرة ، ومستحل الكبيرة التى ثبتت حرمتها بالدليل القطعى كافر بالإجماع ... أو يراد أنه لا يدخل الجنة ابتداء ، وانما يدخلها بعد عذابه على نمه وافساده ، ولا يدخلها دخول المؤمنين الصادقين.

ولتطهير المجتمع الإسلامى من خطورة النميمة وجب على من بلغته نميمة ما أن يتعامل معها بما يرضى الله على النحو التالى :

الأول : **على من بلغته نميمة أن لا يصدقها ، وأن يتثبت من حقيقتها فى هدوء وأناة لقوله تعالى :** ﴿ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ **فقد سمى الله النمام فاسقا ، والفاسق هو البالغ فى الكذب والفجور حدا كبيرا ، وقد دلت الآية على أن النمام فاسق كذاب ، لا يصدقه أحد ، ويجب التثبت من كل قول أو خبر ينطق به .**

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الوضوء . باب ما جاء في غسل البول ج١ ص٥٣ .
(٢) سورة الحجرات ، الآية ٦ .

الثانى : **على من بلغته نميمة أن ينهى النمام عن فعله ، وينصحه ، ويقبح فعله حتى لا يعود لمثله مرة أخرى ، وهذا من نصح المسلم لأخيه ، فهو واجب عليه لقوله ﷺ** : (الدين النصيحة قلنا : لمن ؟ قال : لله ، ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم)[١] .

الثالث : **على من بلغته نميمة أن يبغض النمام ، ويبغض عمله ، ويظهر له ذلك البعض ليردعه ويزجره ، لأن الله يبغضه ، ومن أبغضه الله أبغضه الناس ، ووجب على المؤمنين أن يبغضوه .**

الرابع : **على من بلغته نميمة أن لا يظن بأخيه الغائب السوء ، فربما كان النمام كاذبا ، وربما كان قصد القائل غير ما نقله التمام ، وربما سقط الخبر لو سكت عنه النمام ولم ينقله .**

الخامس : **على من بلغته نميمة أن لا يعيد حكاية ما بلغه حتى لا يكون هو الآخر نماما .**

السادس : **على من بلغته نميمة أن يتغافل عن النمام ويهمله ، ولا يتحدث عنه ، ولا يتبعه بالتجسس وسوء الظن حتى لا يقع فى كبائر أخرى .**

السابع : **أن يعرف الناس بخطورة النمام ، وضرورة الحذر منه .**

فإن قيل : **هل نقل خبر يؤدى إلى مصلحة شرعية يكون نما ؟**

أقول : **لا نم فى نقل خبر يؤدى إلى مصلحة شرعية ، وذلك كأن يخبر إنسان إنسانا بأن غيره يريد الفتك به ، أو بأهله ، أو بماله ليحذره ... ويتجنبه أو يخبر الوالى بأن إنسانا يفعل كذا ، أو يسعى إلى مفسدة وضرر يؤذى المسلمين أو بعضهم لردعه ورده ...**

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب بيان أن الدين النصيحة ج١ ص٧٤ .

وبمراعاة المصلحة الشرعية يأخذ نقل الخبر الأحكام التكليفية فقد يكون واجبا ... وقد يكون مستحبا وقد يكون مكروها أو محرما .

إن عالم اليوم المليء بالمؤامرات والأكاذيب يحتاج إلى معرفة ما يعده الخصم ، ولذلك كانت ضرورة البحث عن مكنونات الخصوم منعا لمفاجآتهم ، ومكرهم .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن النم للإفساد محرم شرعا يخرج فاعله من الملة إن استحله ، ويؤخر دخوله الجنة إن لم يستحله .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

تطهير المجتمع من الفساد

المؤمنون إخوة متحابون ، يجمعهم التعاون والتآلف والتلاحم ، وهم يد على من سواهم .

وقد أقام الإسلام مجتمعه على أسس أخلاقية راقية ، وعلى قيم ومبادئ سامية ... منها :

(١) التأكيد على أن جميع البشر يرجعون لأب واحد ، وعليهم جميعا أن يتعارفوا ، ويتآلفوا ، ويتحدوا .

(٢) إقامة الحياة بين الناس على أساس تحديد الحقوق ، وتنظيم الواجبات ، وتوضيح جوانب المسئولية ، وما يتصل بها من جزاء فى الدنيا وجزاء فى الآخرة .

(٣) تحريم المفاسد القولية التى تقع بين الناس مثل سوء الظن ، والهمز واللمز ، والغيبة ، والنميمة ... الخ .

(٤) تحريم الأعمال الضارة التى تقع بغير حق كالضرب ، والغش والتجسس .

(٥) التكليف بأفضل الأعمال ، وأحسنها بين الناس لنشر الفضائل ، والمحاسن فى المجتمع كله .

وبمثل هذه التوجيهات يتكون الإنسان الصالح ، ويوجد المجتمع الطيب السعيد .

الركيزة الثانية

ضرورة الحذر من كيد الخصوم

يحدد الإسلام المسار الصحيح للأمة المسلمة ، ويضع أمامها معالم سائر الأمم الأخرى ، ليتعاملوا بحذر ، ويستعدوا لمواجهة أى عمل ضار يقوم الأعداء به ، فأمر بإعداد العدة ، ومعاملة الخصوم بما يناسبهم ، ولذلك أجاز معرفة أخبارهم ، ومكائدهم .

إن خصوم الإسلام يعملون لهدم الإسلام ، والقضاء على المسلمين ، ولذلك أمر الله المسلمين بإعداد العدة ، وضرورة الاستعداد لرد طغيان

الخصوم فقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1] **وأجاز البحث عن أخبارهم ، ومن ذلك ما حدث فى بدر فقد أرسل ﷺ بعض أصحابه لمعرفة عدد القوم ، ورجالاته ، وفى غزوة الأحزاب كانت ضرورة التخذيل لتحقيق النصر ... ولهذا كان البحث عن أسرار العدو أمر مشروع بعيد عن الغيبة والنميمة .**

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

تتضمن أحاديث الباب عددا من الفوائد ... منها :

(١) من المهم حماية المجتمع من أمراض بعض بنيه مثل النمام والقتات ، والمغتاب .

(٢) الإيمان بالآخرة طريق لإصلاح الدنيا .

(٣) تحذير المسلمين من الفاسدين الموجودين بينهم .

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .

ـ ٣٤ ـ

٤٤ ـ باب بيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم

[٦٨] ، (١) ٢٣٥٨

حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم .

رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل

ورجل بايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها رضي ، وان لم يعطه منها سخط .

ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال : والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا ، فصدقه رجل ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٤٢ كتاب المساقاة : ٥ باب إثم من منع ابن السبيل من الماء ، وانظر روايات الحديث عند البخارى في الأرقام التالية : (٢٣٦٩ ، ٢٦٧٢ ، ٧٢١٢ ، ٧٤٤٦) .

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول صور لأناس يعصون ربهم بمنع الماء عن ابن السبيل ، ومبايعة الإمام لتحقيق مصالحهم الدنيوية ، والكذب فى الحلف لترويج السلعة ، ويبين أن الله يعاقب هؤلاء بعذاب أليم ، فلا ينظر إليهم يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبى ﷺ : (ثلاثة) أى ثلاثة أنواع أو أصناف من الناس تميز كل صنف منهم بعمل كبيرة عصى الله فيها ، واستحقوا بسببها غضب الله وعقوبته ، ولذلك يجازيهم الله بما يلى :

(١) (لا ينظر الله إليهم يوم القيامة) أى لا يرحمهم الله ولا يحسن إليهم .

والنظر فى الحديث أمر يليق بجلاله الله وكماله ، لأن حقيقة النظر تكون بتقليب حدقة العين فى المنظور ، والله منزه عن ذلك ، ولذلك وجب فهم نظر الله إلى عباده بما يناسب عظمته ، وللإنسان الرحمة والإحسان حين ينظر الله إليه .

ومن المعلوم أن العاقل إذا نظر إلى متواضع رحمه ، واذا نظر إلى متكبر مقته .

وعدم نظر الله إليهم يفيد إعراضه عنهم ، وحرمانهم من الخيرات فلا يسمعهم إلا ما يضرهم ، ولا يريهم إلا ما يؤذيهم ويسيء إليهم واذا طلبوا أمرا قيل لهم ما حكاه الله فى قوله تعالى : ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[1] .

إن الإنسان فى يوم القيامة يرى الهول المفزع فى الحشر الجامع ، وأمله أن يرحمه الله تعالى ، ويحسن إليه إلا أن الله يحرم هذه الأصناف من رحمته فلا ينظر إليهم .

(٢) (ولا يزكيهم) **أى ولا يطهرهم من الذنوب ، ولا يثنى عليهم ، ولا يغفر لهم .**

إن التزكية تطهير من الذنوب وخلوص من الآثام ، ولذلك لا يزكى الله الأصناف المذكورة .

(٣) (ولهم عذاب أليم) **أى ويوقع الله بهم ما يستحقون من عذاب ، والعذاب كل ما يشق على الإنسان ، ويتعبه ، وقد وصف بالأليم لشدته وقسوته .**

وقد بدأ الحديث بذكر الجزاء والعقاب قبل توضيح الأعمال التى تستحق هذا العقاب لبيان خطورة هذه المعاصى على فاعلها ، وللتحذير من الوقوع فيها .

وهذه الأعمال مرتبطة بأناس يقوم كل منهم بعمل واحد منها أو بأكثر من عمل ... وهم :

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ١٠٨ .

النوع الأول : (رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل) **أى وجود رجل فى طريق المارة وسط الفلاة ، ومعه ماء فاضل عنه ، لا يعطيه لعابر محتاج إليه وقد طلبه منه ، وهذا الفعل حرام فعله لأنه يدل على القسوة والغلظة ، والواجب بذل الماء الفاضل لمن يحتاجه حتى أن صاحبه يثاب على بذله للماشية ، ويحرم عليه منعه عنها حتى قال ﷺ :** (عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعا ، فدخلت فيها النار فقال ﷺ : لا أنت أطعمتيها ولا سقتيها حين حبستيها ، ولا أنت أرسلتيها ، فأكلت من خشاش الأرض)[١] . وان رجلا دخل الجنة لسقيه كلبا كان يلهث من العطش[٢] **فإن صح ذلك مع الحيوان ، فوجوبه أوضح مع الإنسان المحترم الذى انقطعت به السبل ، وهو بعيد عن موطنه .**

ويقاس على ابن السبيل كل محتاج لهذا الماء الفاضل عن صاحبه مع عجزه عن الحصول على غيره .

فإن قيل : **وهل يعطى المسلم ما له الفاضل عنه للمرتد والغازى ؟**

أقول : **لا يجوز للمسلم أن يعطى فضل مائه للمرتد ولا للمحارب إذا أصرا على الكفر والقتال ، لأن إعطاء الماء حينئذ يكون معونة على محاربة المسلمين .**

النوع الثانى : (ورجل بايع إمامه لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها رضي ، وان لم يعطه منها سخط) **أى من أنواع المعذبين الذين أبغضهم الله تعالى رجل بايع إماما لدنيا يريدها ، بلا نظر إلى حماية الدين ، وصيانة**

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المساقاة . باب فضل سقى الماء ج٣ ص١١٢ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب المساقاة . باب فضل سقى الماء ج٣ ص١١١ بمعناه .

المعاش ، وانما قصد مصلحة نفسه فقط ، ولذلك يرضى عن الإمام بقدر نواله منه ، فإن أعطاه الإمام ما يريد من الدنيا رضى عنه ، وان لم يعطه ما يريد تضجر وسخط ، وجريمة هذا المبايع تظهر من وجوه :

الوجه الأول : **أنه غش الإمام ، ومن لازم غش الإمام غش الرعية لما فيه من إثارة الفتنة ، ونشر الاضطراب ، والقعود عن مصالح الناس .**

الوجه الثانى : **مخالفة الله فى بيعته ، لأن التكليف الشرعى أن يبايع المسلم إمامه على طاعة الله ، والتزام منهج الله فى إصلاح الدنيا والآخرة .**

الوجه الثالث : **فى مبايعة الإمام على غير دين الله تعالى ضياع الدين ، وافساد للحياة ، وانحراف بالسلطة إلى الفساد ، وضياع للعدل ، وسقوط التعاون ، واضعاف للدولة وسط الصراعات العديدة التى يعيشها عالم اليوم حيث كثرة العملاء ، والدخلاء ، والمنافقين .**

النوع الثالث : (ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال : والله الذي لا إله غيره لقد أعطيت بها كذا وكذا ، فصدقه رجل ثم قرأ هذه الآية : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾) **أى ومن أنواع المعذبين رجل حلف كذبا على سلعته ، ليبيعها بأكثر من ثمنها وادعى أن ثمنها بلغ كذا وكذا ، فسمعه رجل وصدقه ، فاشترى السلعة بمثل ما ادعى صاحبها ، وبذلك يكون الرجل قد دلس على سلعته بيمينه الكاذب ، واشترى بعهد الله وبيمينه شيئا قليلا ، وهذا يوقعه فى الإثم الذى أشارت إليه الآية ، حيث لا كرامة لهم عند الله ، ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم .**

واليمين الفاجرة **محرمة فى كل وقت ، وبيع السلعة بالكذب والتدليس** لا يجوز مطلقا **وفى أى وقت** ، واختصاص الحديث **لها بوقت العصر لشرفه بسبب اجتماع ملائكة الليل والنهار فيه ، وهو وقت ختام الأعمال ، والأمور بخواتيمها ، فغلظت العقوبة فيه حتى لا يتجرأ عليها العصاة ، لأن من تجرأ عليها فى هذا الوقت اعتاد المعصية فى غيرها ... وكان السلف الصالح يخصون وقت العصر بالحلف والعمل الصالح .**

ويشير الحديث إلى مكرمة نبوية لأن التجار يعقدون لبيع بضاعاتهم أسواقا يقيمونها بعد العصر وفيها ما فيها من الأيمان الكاذبة .

إن المنفق سلعته باليمين الفاجرة يرتكب عددا من الكبائر هى :

(١) الحلف الكاذب .

(٢) التغرير بالمسلم .

(٣) أخذ المال بغير حق .

(٤) الاستخفاف بحق الله .

ومن المعلوم أن الإكثار من الحلف الصادق منهى عنه فكيف به إذا كان كاذبا ؟!

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

يدور حديث الباب حول صور من أصناف الناس تتصف بالأنانية ، وحب الذات ، ولا تساهم فى تماسك المجتمع وتقدمه ؛ لأن منهم من يمنع فضل الماء على ابن السبيل المحتاج إليه ، ومنهم من يبايع إمامه

لأغراض شخصية ومنهم من يكذب ليبيع سلعته ويحلف على بلوغها ثمنا لم تصل إليه ليغش بها المشترون .

وهذه الأنواع التى خصها الحديث بالذكر تشير لغيرها ، فمانع الطعام الذى لا حاجة له فيه عن المحتاجين إليه ، وبخل الغنى وشحه وحرمانه الفقراء والمساكين ، وعدم الإنفاق فى سبيل الله ، كل هؤلاء ومن يماثلهم مثل مانع الماء الفاضل عن ابن السبيل ... والساعى إلى السلطة بغير حق ، والوالى المستغل حاجة الناس ، والإمام الكذوب الذى يعد ولا يوفى لا يختلف عن المبايع لأجل الدنيا ... والكاذب فى شرائه وتعاملاته وأخذه وعطائه لا يختلف عن المنفق سلعته بالحلف الكاذب .

وبمراجعة أحاديث الباب فى صحيح مسلم نجد أن رسول الله ﷺ ذكر صورا عدة لأناس لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ، ولا يكلمهم ، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ... ومنهم :

(١) المسبل إزاره : **وهو الذى يرخى إزاره إلى الأرض كبرا وخيلاء ، والإزار هو الثوب الذى يربط فى الوسط ويغطى نصف الجسم الأسفل وكان الإزار غالب لباس العرب ، وكان من عادتهم إسبال الإزار ، وارخاؤه على الأرض للدلالة على الكبر وعلو الشأن والمقام .**

(٢) الشيخ الزانى : **وهو الذى بلغ سن الشيخوخة الذى يبدأ من سن الخمسين فإذا ارتكب الشيخ جريمة الزنا مع إمكانه البعد عنه ، وعدم حاجته إليه فإنه يعاند الله ، ويستخف بحقه ، ويقصد معصيته إن الشيخ يكمل عقله ، وتتم معرفته ، وتضعف أسباب الجماع والشهوة**

عنده حتى أنه ليدع ما أحل له منه ، فإذا ارتكب ما حرم عليه تضاعفت عقوبته ، ولذا عد زنا الشيخ جرما كبيرا .

(٣) الملك الكذاب : **وهو صاحب السلطان والحكم ، فهو فى قوة تخشاه رعيته بسببها ، فهو لا يحتاج لمداهنة ، ومصانعة حتى يبالغ فى الكذب ويخدع الناس ، ويشبهه كل من له ولاية على غيره كالوالد على بنيه ، والزوج مع زوجته .**

(٤) العائل المستكبر : **والعائل هو الفقير المحتاج للمال واذا وصف بالكبر كان تكبره لغير سبب أو دعامة ... فقد جرت عادة الناس أن يدفع المال أصحابه إلى الفخر ، والخيلاء ، والتكبر ، والارتفاع عن القرناء لكونه غالبا فيها ، أما هذا العائل فإنه يتكبر لغير سبب ولا علة .**

(٥) المنان الذى لا يعطى شيئا إلا منه : **وهو الذى يعطى النعمة ويعددها ، ويقررها بكثرة على من أخذها ، وهى من الأعمال المنهى عنها فى قوله تعالى :** ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[١] .

وعلى هذا :

لا يفيد الحصر العدد ، ومن المعلوم أن الحصر بعدد لا ينفى ما زاد عليه وكل ما زاد عليه له حكمه بدليله .

وفى بيان الحديث عدد من المسائل :

المسألة الأولى: **المنفق سلعته باليمين الكاذبة صورة عامة تشمل البيع والشراء، وكافة الأحوال التى يأكل فيها الإنسان مال غيره باليمين الفاجرة .**

---

(١) سورة المدثر ، الآية ٦ .

المسألة الثانية : **سبب الحكم لا يؤدى إلى دوران الحكم مع اختلاف سببه لأن السبب غير العلة فالمبالغة فى زنا الشيخ لضعف الشهوة لديه لا يسقط مع شيخ لم تنكسر حده شهوته ، وكذب الملك قد يكون لمداهنه المفسدين ، واستكبار العائل قد يكون لإظهار عزة النفس والتصدى للظلمة والمفسدين**

المسألة الثالثة : **يلحق بالشيخ ، والملك ، والعائل من شركهم فى المعنى ، فالغنى السارق يشبه الفقير المتكبر ، والملك الغافل يشبه الملك الكاذب ، والفقير المستكين يشبه المتكبر فى الإثم .**

المسألة الرابعة : **تدل الأعمال المحرمة المذكورة على عظم أضدادها ، وعلى عظم المثوبة التى يستحقونها فمن أعطى ماله للمحتاجين ، ومن بايع الإمام لله ، ومن حلف صادقا على سلعته ... له ثوابه الجزيل ، وفاز برضوان ربه على قدر نيته ، وقصده فى عمله وسلوكه .**

المسألة الخامسة : **كل صنف يشمل الرجال والنساء إذا اتصفوا بالعمل وقاموا به ، وجاء ذكر الرجل فى الحديث جريا على الغالب .**

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يوضح حديث الباب أصناف الناس الذين يسيئون إلى أنفسهم والى غيرهم ويعد منهم أصنافا موجودة وسط الناس ، ليتجنب المسلمون أن يكونوا منهم ، أو يتعاونوا معهم .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

إيجابية المسلم مع الجماعة

لا يستحق الحياة من عاش لنفسه فقط ، وانما خلق الإنسان ليعين نفسه ، ويساعده غيره ، ويساهم فى بناء الأمة ، ونصرة الإسلام ، ويتجنب الأنانية ، وحب الذات ، ولذلك حذر رسول الله ﷺ المسلمين من معاص قد يقع الإنسان فيها ، تدور حول حبه لذاته ، ومعاملاته مع الناس ، والانكفاء على النفس ، واهمال ما وجب عليه إزاء دينه ، وأمته .

ويحدد حديث الباب بطريق المفهوم ما يجب عليه ، وأهم هذا الواجب ما يلى :

أولا : **يجب مبايعة الإمام واختياره على أساس ما شرع الله تعالى فقد أوجب الله نصب الإمام لحراسة الدين ، وصيانة الدنيا ، وعلى كل مسلم أن يبايع إمامه على هذه الحقيقة ، ليعمل على تنظيم المعاش ، وحماية الدين ، ونشره ، وايصاله للناس أجمعين ، ولذلك لا يصح بيعة إمام يخالف شرع الله تعالى ، ويجمع حوله الفساق المشهورين بالكذب والأعمال المنكرة ، ولا يجوز لمسلم أن يبايع إماما على معصية فإن فعلها فهو عاص لربه ، وله عذاب أليم .**

ثانيا : **يجب الصدق فى التعامل مع الناس ، وعدم اللجوء إلى الكذب والأيمان الفاجرة فى البيع والشراء ، وسائر المعاملات .**

وأخطر الكذب ما يقوم به الكذابون ممن لهم صلة بصناعة الرأى العام ، لأنهم يساهمون فى إضاعة الأمة ، ومحاربة دين الله تعالى .

ثالثا : **يجب مساعدة الناس ، وبخاصة المحتاجين منهم عند الحاجات الضرورية ، يقول النبى ﷺ :** (من كان عنده فضل ظهر، فليعد به على من لا ظهر له)[1] .

إن المسلم مسئول عن كلامه ، وفعله ، وعليه أن يبذل الخير من نفسه لنفسه ، ولغيره ، ولأمته ، وللناس أجمعين .

إن هذه الجماعية الإيجابية هى الإسلام فى الحقيقة ، وهى الغاية الكبرى التى يجب أن يعيها كل مسلم ، ويعلمها وهو يعبد ربه ، وهو يسعى لآخرته ، وهو ينصر دينه وأمته .

الركيزة الثانية

الربط الوثيق بين عمل الدنيا وجزاء الآخرة

يوجد الإنسان فى الدنيا ، ويكثر نشاطه وعمله ، ويشتد عوده ، وتظهر قوته ، ويتنوع مسعاه وغاياته .

فمن الناس **من يتلهى بالحياة الدنيا ، وينشغل بمفاتنها ، ويعيش فيها كأنها هى الحياة وحدها ، لا يفكر فى الآخرة ، ولا يذكرها حين يقول ويفعل.**

ومن الناس **من يذكر الآخرة إلا أنه يفصلها عن أعمال الدنيا ، فينهمك فى لعب الدنيا ومتاعها ، وينشغل بشهواتها وملذاتها ، ولا يذكر الله إلا قليلا فإذا مات انتبه بعد فوات العمل .**

---

(١) سنن أبى داود . كتاب الزكاة . باب في حقوق المال ج٢ ص١٢٥ .

ومنهم من علم الحقيقة ، **وآمن بأن أعمال الدنيا مقدمة للجزاء فى الآخرة ، ولذلك يسخر دنياه لأخراه ، ويقدم من أعمال الدنيا ما يراه مثوبة ونعيما عند ربه ... ويستقيم على الصالحات فى الدنيا ليسعد فى الآخرة بجنات النعيم .**

وهذا الصنف الأخير هو الذى أنار الله بصيرته ، وهداه لعبادته ، وجعل الجنة فى عقله ، وفكره فهو دائما يعمل لها ، ويبذل لها سعيه ، ويرجو فى خلواته ، وصلواته ومناجاته ، ودعائه الفوز فى الآخرة ، ويعلم أنه هو الفوز الحقيقى .

إن هذا المؤمن يستفيد بحديث الباب ، ولذلك فكل عمله طاعة لربه ، ورجاء وأمل فى اكتساب جنته ورضوانه .

الركيزة الثالثة
تنوع العقوبة بتنوع الجرم

يشير حديث الباب إلى قاعدة أساسية فى العقوبة وهى تقدير الجزاء بتقدير الجريمة ، فالماء يبذله صاحبه للناس ويعطيه لمن يحتاج إليه أكثر ثوابا وأجرا ... وبيعة الإمام واجبة ، وتخير الإمام حين البيعة أكثر مثوبة عند الله تعالى لأن به يكون الدين أو لا يكون ، واليمين الفاجرة محرمة إلا أنها بعد العصر أكثر حرمة ، وفى هذا دلالة على أن العقوبة والجزاء والمسئولية تقدر بقدرها .

وعلى هذا يحتاج المسلم فى كل عمل أن يختار أحسنه أملا فى المثوبة الطيبة ، والأجر الجزيل .

- و -

لمحات موجزة من فوائد الحديث

يتضمن حديث الباب عددا من الفوائد ... منها :

(١) خلوص المؤمن التام لله تعالى يحتاج إلى تجرد مطلق فى الطاعة والاستقامة .

(٢) تقدم الأمة يقوم على اختيار إمام كفء يخلص لله فى عمله ، والأمة مسئولة فى اختيارها له ، وفى مبايعته .

(٣) العقوبة فى الإسلام مكافئة للجريمة .

(٤) ضرورة تكافل الأمة ، وتعاونها على البر والتقوى .

(٥) اهتمام المسلم بحق أخيه ، ومعاونته فى حاجاته .

(٦) من الضرورى تجنب الغش والتدليس بين المسلمين .

(٧) من أخطر أمراض المجتمع انتشار الكذب بين الناس .

ـ ٣٥ ـ

٤٥ ـ باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة

[٦٩] ، (١) ٥٧٧٨ حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا .

ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا .

ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا[١] .

[٧٠] ، (٢) ٦٠٤٧ حديث ثابت بن الضحاك ﷺ ، وكان من أصحاب الشجرة ، أن رسول الله ﷺ قال : من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال ، وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك ، ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة ، ومن لعن مؤمنا فهو كقتله ، ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٧٦ كتاب الطب : ٥٦ باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه ، وليس للحديث روايات أخرى في صحيح البخارى .

(٢) أخرجه البخاري في : ٧٨ كتاب الأدب : ٤٤ باب ما ينهى من السباب واللعن ، وليس للحديث روايات أخرى في صحيح البخارى .

[٧١] ، (٣) ٣٠٦٢ حديث أبي هريرة ﷺ قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر ، فقال لرجل ممن يدعي الإسلام : هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة .

فقيل : يا رسول الله الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قد قاتل اليوم قتالا شديدا ، وقد مات .

فقال ﷺ : إلى النار .

قال (الراوى) : فكاد بعض الناس أن يرتاب ؛ فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمت ، ولكن به جراحا شديدا ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح فقتل نفسه : فأخبر النبي ﷺ بذلك .

فقال ﷺ : الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله ، ثم أمر بلالا ﷺ فنادى في الناس : إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر[١] .

[٧٢] ، (٤) ٢٨٩٨ حديث سهل بن سعد الساعدي ﷺ أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٦ كتاب الجهاد : ١٨٢ باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر ، وانظر روايات الحديث في صحيح البخارى في الأرقام التالية : (٤٢٠٣ ، ٤٢٠٤ ، ٦٦٠٦) .

رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه .

فقالوا : ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان .

فقال رسول الله ﷺ : أما إنه من أهل النار .

فقال رجل من القوم : أنا صاحبه .

قال (سهل رضي الله عنه) فخرج معه كلما وقف وقف معه ، واذا أسرع أسرع معه .

قال (سهل رضي الله عنه) : فجرح الرجل جرحا شديدا ، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض ، وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على نفسه فقتل نفسه فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله .

قال ﷺ : وما ذاك ؟

قال (الرجل) : الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك .

فقلت (أى الرجل الذى خرج فى طلبه) : أنا لكم به فخرجت في طلبه ، ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه في الأرض ، وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك : إن الرجل ليعمل عمل

أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة[١] .

[٧٣] ، (٥) / ٣٤٦٣ حديث جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكينا فحز بها يده ، فما رقأ الدم حتى مات .

قال الله تعالى : بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة[٢] .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عددا من الكبائر المحرمة التى يقتل فيها الإنسان نفسه ، وتوضح أن عقوبة من قتل نفسه الخلود فى النار .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يتضمن الباب عددا من الأحاديث ، وسأقوم ببيان دلالاتها اللغوية حسب ورودها فى الباب .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٦ كتاب الجهاد : ٧٧ باب لا يقول فلان شهيد ، وانظر روايات الحديث في صحيح البخارى في الأرقام التالية : (٤٢٠٢ ، ٤٢٠٧ ، ٦٤٩٢ ، ٦٦٠٧) .

(٢) أخرجه البخاري في : ٦٠ كتاب الأنبياء : ٥٠ باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، وليس للحديث روايات أخرى في البخارى .

ففى الحديث الأول **يذكر النبى ﷺ ثلاث صور لمن يقتل فيها نفسه متعمدا ، ويبين ﷺ عقوبة كل منها كما أوحى الله إليه به** ... وهى :

(١) (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا) **أى من أسقط نفسه من جبل إلى الأرض متعمدا ليقتل نفسه فإن الله يعاقبه فى الآخرة بمثل ما ارتضاه لنفسه فى الدنيا ، ويلقيه فى العذاب الأليم ، ويمكث فيه ما شاء الله له أن يمكث جزاء وفاقا على ما اقترفت يداه .**

ودل على تعمد التردى قوله ﷺ فى الحديث : (فقتل نفسه) **، ويقاس عليه من يلقى نفسه من فوق منزل عال ، أو من طائرة مرتفعة ، أو يلقى نفسه فى بحر عميق .**

والتعمد شرط فى هذا الحكم لأن الذى يتردى رغم أنفه ، أو يتردى وهو يحاول تحقيق منفعة لنفسه أو لغيره فهو بنيته يحاسبه الله عليها ، ويجزيه بها .

(٢) (ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) **أى ومن شرب سما يقصد قتل نفسه به فإن الله يدخله النار بعد الحساب على الصورة التى قتل نفسه بها ، حيث يعذب فى النار ومعه سمه فى يده يشرب منه طيله مدة عذابه .**

ومعنى (تحسى سما) **أى شربه على مهل شيئا فشيئا ، وتجرعه على مضض ، والعمد فيه شرط للجزاء ، فمن شرب السم وهو لا يدرى ، أو شرب جزءا يسيرا منه للدواء والشفاء لا يكون قاتلا لنفسه .**

(٣) (ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) **أى ومن طعن نفسه بحديدة ليقتل نفسه متعمدا فإن الله يدخله النار، وحديدته فى يده يطعن بها بطنه، ويكون الطعن جزءا من عذابه فى النار التى يمكث فيها ما شاء الله أن يمكث .**

إن الذى يقتل نفسه بإحدى هذه الصور وما يماثلها يعلن عدم رضاه بقدر الله وقضائه ، ويؤكد يأسه من رحمة الله تعالى .

والقتل بالحديدة يأخذ صورا عديدة كالقتل بالسكين ، أو بالسيف ، أو بالمطرقة ، أو بأى آلة حديدية .

وفى الحديث الثانى **يروى الصحابى ثابت بن الضحاك ﷺ وهو أحد الذين بايعوا رسول الله ﷺ فى الحديبية تحت الشجرة ، أن رسول الله ﷺ حذر أصحابه وأمته من عدد من الكبائر التى لا تصح من المسلم** ... وهى:

(١) (من حلف على ملة غير الإسلام فهو كما قال) **أى من أقسم على ملة غير ملة الإسلام ، كأن يقسم باليهودية أو بالنصرانية أو بغيرهما من الملل أو النحل ، أو يعلق فعله أو عدم فعله على ملة غير الإسلام ، كأن يقول : إن فعلت كذا ، أو إن لم أفعله فأنا يهودى ، أو نصرانى ، فهو آثم بما أقسم عليه، وسبب ذلك أن الحلف يفيد تعظيم المقسم به، ولا عظمة إلا لله تعالى، فمن حلف بملة غير دين الإسلام فهو آثم ، ولذلك أوجب الشارع أن يكون الحلف باسم الله أو بصفة من صفاته سبحانه، يقول النبى ﷺ :** (من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)[١]

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الشهادات . باب كيف يستحلف ج٣ ص١٨٠ .

(٢) (وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملك) **أى إن الإنسان المسلم إذا نذر مالا بعينه لا يملكه فليس عليه الوفاء بنذره هذا ، لأنه ليس مالكا له فى الحال ولا فى المآل ... وان تعلق نذره بملك شيء غير معين فإنه يلزمه حين تتحقق ملكيته له .**

واختلف الفقهاء فى وجوب الكفارة على من نذر شيئا لا يملكه وسيأتى ذلك فى تحليل أحاديث الباب .

(٣) (ومن قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة) **أى ومن تعمد قتل نفسه بشيء من الأشياء القاتلة غالبا كالتردية من الجبل ، أو تحسى السم ، أو الطعن بحديدة قاتلة ، فإن الله يعذبه فى النار بما قتل نفسه به كما جاء فى الحديث الأول .**

(٤) (ومن لعن مؤمنا فهو كقتله ، ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقتله) **أى من سب مؤمنا ولعنه ، وهو لا يستحق ذلك فهو حرام بالإجماع ، وهو كبيرة من الكبائر لا يصح أن يقع فيها مسلم ضد أخيه ، وان كان اللعن ردا على عدوان فهو مكروه .**

ويجوز لعن المتصف بالمعصية من غير تعيين كلعن الظالمين المفسدين لأن فيه زجرا وردعا للعصاة . يقول الله تعالى : ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾[1] والأولى **دعوة العصاة إلى الاستقامة ، وطاعة الله تعالى .**

---

(١) سورة النساء ، الآية ١٤٨ .

والحديث يفيد حرمة عرض المؤمن ، فلا يصح لعنه أو قذفه لأنه بالإيمان صان نفسه وعرضه ، وقد قال ﷺ : (كل المسلم على المسلم حرام دمه ، وماله ، وعرضه)[١] .

وأما الأحاديث الثلاثة **الباقية فى الباب فإنها تتناول صورة تطبيقية لرجل قتل نفسه ، وكان الصحابة يظنونه رجلا صادق الإيمان ، وأنه مات شهيدا فى المعركة ، فلما أخبرهم النبى ﷺ بأنه من أهل النار كاد بعضهم أن يرتاب ... فتتبع بعضهم الرجل ، ورأى أنه قد قتل نفسه ، فعلموا صدق رسول الله ﷺ ، وأنه ﷺ أخبرهم بشيء من الغيب الذى علمه من الوحى .**

والدلالات اللغوية فى الأحاديث الثلاثة هى :

(شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر) **الراوى هو أبو هريرة ﷺ وفيه يبين حضوره غزوة "خيبر" وحضوره إياها مع رسول الله ﷺ وكانت فى شهر الله المحرم سنة سبع من الهجرة ، وخيبر مدينة كبيرة سكنها يهود بنو قينقاع ، وبنو النضير ، وأقاموا بها حصونا ومزارع ، وملأوا حصونهم بالسلاح والعتاد ، والطعام والشراب ، وتقع خيبر شمال المدينة جهة الشام ، وتبعد عنها بمائة وخمسة وخمسين كيلو مترا .**

ومقصود أبى هريرة ﷺ من حضوره الغزوة حضوره توزيع الغنائم ، لأنه لم يحضر الغزوة بعينها ، وانما أسلم وقتها ، وجاء إلى المدينة ، ولحق برسول الله حين عودته من (خيبر) فى وادى القرى القريب من مكة .

---

(١) صحيح مسلم . كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم ظلم المسلم ج٤ ص١٩٨٦ .

(فقال) ﷺ (لرجل) **واللام فى** (لرجل) **بمعنى (عن) أى عن رجل ، كقوله تعالى :** ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ ﴾[1] **أو بمعنى (فى) أى فى شأنه كقوله تعالى :** ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[2] **، ووجب تأويل معنى اللام لأن الرسول ﷺ لم يخاطب الرجل ، وانما أخبر أصحابه عنه وفى شأنه .**

والرجل هو (قزمان الظفرى) وكان من الذين تخلفوا عن غزوة "أحد" فلما عيره المسلمون خرج يوم "خيبر" حمية ، وكان فى الصف الأول وقاتل قتالا شديدا ، حتى رمى بسهم فجرحه .

(يدعي الإسلام) **أى إن الرجل لم يكن صادقا فى إسلامه ، وهذا من قول أبى هريرة ﷺ لأن صفته قامت على الادعاء .**

(هذا من أهل النار) **أى قال رسول الله ﷺ عنه : هذا الرجل الموجود معكم فى الصفوف الأولى من أهل النار .**

(فلما حضر القتال قاتل الرجل قتالا شديدا فأصابته جراحة) **أى إن هذا الرجل قاتل قتالا قويا عندما بدأ القتال ، فرمى بسهم وأصيب بجراحة .**

(فقيل يا رسول الله الذي قلت إنه من أهل النار فإنه قد قاتل اليوم قتالا شديدا، وقد مات) **أى ذكر بعض الصحابة لرسول الله ﷺ أن الرجل الذى أخبرهم بأنه من أهل النار قد مات بعد أن قاتل قتالا شديدا . فكيف يكون من أهل النار ؟**

---

(١) سورة الأحقاف ، الآية ١١ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٤٧ .

(فقال ﷺ : إلى النار) **أى إن مصير هذا الرجل النار ، وأكد لهم ما أخبر الله به وهو ما أخبرهم به قبل ذلك .**

(قال) **أبو هريرة** ﷺ (فكاد بعض الناس أن يرتاب) **أى قرب بعض الصحابة من الشك فى قول رسول الله** ﷺ **، لأن فعل (كاد) يدل على مقاربة حدوث الفعل مع عدم وقوعه لعدم تقدم النفى عليه ، وسبب الشك ظنهم صدق الرجل فى القتال ، حتى عدوه شهيدا .**

(فبينما هم على ذلك إذ قيل إنه) **أى الرجل** (لم يمت ولكن به جراحا شديدا) **أى وبينما البعض فى حالة التعجب ، والاقتراب من الشك فى خبر رسول الله** ﷺ **جاءهم من أخبرهم من الصحابة ، وهو أكثم بن أبى الجون** ﷺ **بأن الرجل لم يمت ، فتركوا حالتهم ، وبعدوا عن الشك والريب ، لأن أمر الرجل لم يتضح ، فهو حى يئن من شدة الجراح التى أصابته ، وانتظروا ما يحدث له .**

(فلما كان من الليل لم يصبر) **الرجل** (على الجراح فقتل نفسه) **بأن أهوى بيده إلى كنانته ، فاستخرج منها أسهما ونحر بها نفسه .**

(فأخبر النبي ﷺ بذلك) **أى أخبر الصحابة رسول الله أن الرجل قتل نفسه** (فقال) **رسول الله** ﷺ (الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله) **أى صدق وحى الله ، وثبت صدق ما أخبرت القوم به ، فأنا رسول الله ، ولن يخذلنى الله تعالى ، ولن يوحى إلى إلا بالحق والصدق ... وانما شهد الرسول لنفسه ، ليعلم الناس هذه الشهادة ، وليظهر لهم المعجزة فيما أخبرهم به عن الله تعالى العليم الخبير ، وليعرفهم أن المعجزة دليل صدقه ، وهى داعيتهم إلى التصديق والإيمان برسول الله** ﷺ **وبالإسلام كله .**

(ثم أمر) **رسول الله ﷺ** (بلالا فنادى في الناس) **أى أمر رسول الله ﷺ بلابا ليؤذن فى الناس ، ويناديهم ليخبرهم أحكام الله فى عباده ودينه ، وقد أخبرهم ﷺ بحكمين :**

أولاهما : (إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة) **أى لا يدخل الجنة ابتداء إلا مسلم أسلم أمره لله ، والتزم بدينه القويم ، واستقام على المنهج الحق ، وعلم أن كل نفس تجزى بما تستحقه .**

ثانيهما : **أن الله يؤيد دينه بجنود من عنده ، يسوقهم لنصرته حتى أن الرجل العاصى المرتكب للكبائر ينصر الإسلام ويؤيده كما حدث من الرجل الذى قتل نفسه ، فللنصر مصدر واحد ، ووقته لا يعلمه إلا الله تعالى . يقول سبحانه :** ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[1] .

وفى حديث سهل بن سعد الساعدى ﷺ أن المسلمين والمشركين اقتتلوا اقتتالا شديدا ، فلما انتهى القتال ، مال كل فريق إلى عسكره ، وكان فى معسكر رسول الله ﷺ رجل قاتل قتالا شديدا (لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه) **أى إنه كان شديد الملاحظة ، وشجاعا لم يترك أحدا من المشركين إلا قتله بسيفه ، ولم يتمكن أحد من المشركين الإفلات من سيفه .**

(فقالوا) **أى الصحابة** (ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان) **أى ما أغنى أحد منا غناءه ، ولا كفى كفايته ، وانما قالوا ذلك للشجاعة النادرة التى أبداها الرجل حتى فاق كل من كان معه فى المعركة .**

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ١٠ .

(فقال رسول الله ﷺ : أما إنه من أهل النار) **أى أخبرهم النبى ﷺ الخبر مرة أخرى وأكد لهم أنه من أهل النار ، ونبههم بقوله :** (أما) **ليعلموا فى النهاية صدق رسول الله ﷺ .**

(فقال رجل من القوم : أنا صاحبه) **أى قال أحد الصحابة معلقا على قول رسول الله ﷺ وهو الصحابى أكثم بن أبى الجون الخزاعى ﷺ أنا أكفيكم أمر هذا الرجل ، دعونى اتبعه ، وألازمه ، وأصاحبه في العلن والخفاء حتى أعرف السبب الذى به صار من أهل النار ، فإن عمله في الظاهر حسن ، وقد أخبر النبى ﷺ أنه من أهل النار ، فلابد له من سبب عجيب ، وأنا صاحبه ، ومعاشره ، وسوف اتصفح حياته ، وأعماله .**

(فخرج معه كلما وقف وقف معه ، واذا أسرع أسرع معه؛ قال فجرح الرجل جرحا شديدا) **أى خرج أكثم ﷺ مع الرجل ولازمه ملازمة تامة ... وبعد فترة جاء أكثم بن أبى الجون ﷺ إلى رسول الله ﷺ ، وقال له :** أشهد أنك رسول الله .

قال ﷺ : وما ذاك ؟

قال أكثم : صدق حديثك يا رسول الله ، إن الرجل الذى قلت عنه إنه من أهل النار أصابته جراحة شديدة فلم يصبر عليها ، واستعجل الموت ، فلما جاء الليل أخرج سهما من كنانته ، وحاول أن ينحر بها نفسه ، فلما لم يساعده السهم ، ولم يقض عليه ، طعن نفسه بالسيف ، وذلك بأن أحضر سيفه (فوضع نصل سيفه بالأرض ، وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على نفسه فقتل نفسه ، وخرج السيف من ظهره بين كتفيه) **وبذلك قتل الرجل نفسه فقال ﷺ :** (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) **أى إن**

ظاهر العمل لا يدل على حقيقته ، والذى يدل على حقيقة العمل هو نية صاحبه وقصده . يقول النبى ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات) وحكم الله يشمل الظاهر والباطن معا ، وان الناس يحكمون بظاهر الأعمال ، ولا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى ، فحكم الله على العبد يشمل الظاهر والباطن ، والعبرة فى الأعمال بخواتيمها ، وجاءت روايات الحديث توضح أن رسول الله ﷺ أمر بلالا ، وابن الخطاب ، وابن عوف رضوان الله عليهم ليؤذنوا فى الناس ، ويعرفوهم بهذه الحقيقة لأنها من الدعوة التى يجب إبلاغها للناس.

إن الحقيقة يعلمها الله وحده ، ولذا وجب الرضا بحكم الله تعالى ، والتمسك بمنهجه فهو العزيز الحكيم ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[1] .

وحديث جندب ﷺ يوجز قصة الرجل ، ويزيد عليها قوله تعالى : (بادرني عبدي بنفسه ، حرمت عليه الجنة) **أى استعجل الموت وسبقنى كما هو الظاهر ، وجاء إلى فاستحق النار ، والحرمان من الجنة .**

وأحاديث الباب تتضمن عددا من القضايا تحتاج إلى توضيح وبيان ... وهى :

القضية الأولى
قتل الإنسان نفسه

إن الله هو مالك الملك ، وهب الإنسان الحياة ، وكلفه بالعمل المشروع فيها ، وبين له أن الدنيا دار ابتلاء واختبار ، لا تخلص لصاحبها

---

(١) سورة غافر ، الآية ١٩ .

فحلوها يلازم المر ، كما يلازم الورد الشوك ، والصعود قائم على المشقة ، والسيل حرب للمكان العالى ، وقد نظم الله أمور الحياة ، وشرع لها أحكام الخير وأحكام الشر ، وأكد لعموم خلقه قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[١] .

وفى خضم الحياة الدنيا حدد الله الآجال ، وقدر لكل مخلوق آجله ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٢] .

والمؤمنون بالله يتخذون من الدنيا ممرا يسعون فيه للقرار فى الآخرة ، ويستسلمون للقضاء والقدر ، ويرضون بما حل بهم فهو حكم الله ، وقضاؤه وقدره ، فيصبرون على البلاء ، ويرضون بالقضاء ، ويحولون الشقاء إلى نعيم ، ويرون خير الله وفضله فى كل ما يحل بهم .

وان أناسا يصيبهم الجزع ، وينسون ربهم ، ولا يرضون بقضائه ، ويفزعون من الآلام التى تحل بهم فيلجأون إلى قتل أنفسهم ، ويقدمون على الانتحار اعتراضا على قدر الله ، وسخطا من قضائه .

وهنا سؤال لابد منه وهو : **هل يموت المنتحر قبل أجله ؟**

أقول : **إن المقتول ميت بأجله ، والله يعلم موعد الموت ، وصورته ، وحالة الميت معه ، ولم يطلع أحدا من الناس ، وأما الإنسان اليائس فقد يفكر فى قتل نفسه ، وهو لا يعلم ما قدر له ، ويطلع الله على ما بنفسه من ميل ، وحب للموت فى الوقت الذى قدره الله له فيموت ظانا أنه قتل نفسه ، فيموت بقدرة الله ، ويستحق العقوبة لعصيانه ، ومحاولة مخالفة**

---

(١) سورة الزلزلة ، الآية ٧ ، ٨ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٣٤ .

قدر الله تعالى ... يقول القاضى أبو بكر ﷺ : قضاء الله مطلق فى علمه ، وهو عند الناس مقيد بصفته ، فالمطلق يمضى على وجهه المقدر بلا صارف يصرفه ، والمقيد يتأثر بقيده كما يريد الله تعالى ، ومثاله : أن يتصور الإنسان أنه يعيش عشرين سنة إن قتل نفسه ، وثلاثين سنة إن لم يقتل نفسه ... هذا فى علم المخلوق حيث التقييد والتغيير أما علم الله فإنه مطلق محدد الوقوع يعلم منذ الأزل أن الإنسان يموت فى لحظة معينة عند العشرين أو الثلاثين أو غيرها لا تتخلف أبدا ...

ونظير ذلك الواجب الذى يخير فيه العبد ليفعل ما يختار ويريد ، وموقف العبد منه معلوم الوقوع عند الله منذ الأزل .

وعلى ذلك :

فإن المنتحر وقاتل نفسه لا يقدم موتا ، ولا يؤخر أجلا ، وكل ما يفعله هو ميله ، وكسبه ، وقصده ، وأطلق الله على عمله المبادرة لوجود صورتها والفعل كله لله تعالى .

القضية الثانية

جزاء من قتل نفسه

أوردت أحاديث الباب جزاء من يقتل نفسه بألفاظ قوية التأثير ، واضحة الدلالة مثل قوله ﷺ :

- (فهو فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) .
- (حرمت عليه الجنة) .

وظاهر هذا يفيد أن قاتل نفسه مخلد فى النار مع أنه من الموحدين . وقد أجاب ابن حجر على ذلك فى فتح البارى من أوجه عدة ... هى :

أحدها : **أنه يخلد فى النار إن استحل ذلك الفعل عند قتل نفسه فقد صار كافرا .**

وثانيها : **أنه كان كافرا في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره .**

وثالثها : **أن المراد أن الجنة حرمت عليه في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون ، أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون في النار ثم يخرجون .**

ورابعها : **أن المراد جنة معينة كالفردوس مثلا .**

وخامسها : **أن ذلك ورد على سبيل التغليظ والتخويف وظاهره غير مراد .**

وسادسها : **أن التقدير حرمت عليه الجنة إن شئت استمرار ذلك .**

وسابعها : **قال النووي يحتمل أن يكون ذلك شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها**[١] .

وخلاصة ما ذهب إليه ابن حجر إثبات أن الموحدين لا يخلدون فى النار .

القضية الثالثة

ضرورة تعظيم المسلم لدينه

الدين عقيدة ، وعمل ، وسلوك ، وبدون هذه العناصر لا يتم دين ، ولا يكمل إيمان .

ولابد للعقيدة الدينية أن تملأ الضمير قناعة ورضى ، وتظهر فى عظمة تليق بها ، لأنها تتصل بالله العظيم الخالق لكل موجود ، صاحب

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٦ ص٢٧٧ .

الأمر كله ، وهو العزيز الحكم ، وحين يمتلئ الجانب الباطنى فى الإنسان بالعقيدة الدينية يصير الإنسان سعيدا بدينه ، مقدرا لربه واسلامه ، ولذلك كان حال المسلمين الأول ينطق يقول قائلهم :

ومالى إلا آل أحمد ومالى إلا مذهب الحق
∴
شيعة مذهب

ويقول آخر :

أبى الإسلام لا أب لى
∴ إذا افتخروا ببكر أو تميم
سواه

ومن هنا :

يعيش المسلم معظما لربه ، معتزا بدينه ، مطيعا لرسول الله ﷺ شاكرا نعم الله عليه أن هداه للإيمان .

وبهذا التصور الإيماني لا يجوز لمؤمن أن يحلف علي يمين بغير ملة الاسلام لأن العظمة لله وحده ، ولدين الإسلام ورسوله ... ولا يصح أن يحقر غيره ، ويتهمه ببعده عن الإسلام بغير بينة وبرهان .

ومن المسلمين أناس غلب عليهم النفاق ، فتراهم يساوون بين ما هو إسلامي وما هو غير إسلامي ، وينصرفون عن دين الله لهوا ولعبا وميلا للمنكرات ، وهذه أخلاق وأعمال بعيدة عن الإسلام يبرأ منها المسلمون الصادقون .

إن المقارنة بين ما هو من صنع الله وبين ما يفعله بشر عبث لا يليق بالعقلاء لأنه يعنى المساواة بين الخالق والمخلوق ، ويبين أن فكر الإنسان المحدود يعدل شرع الله الحكيم .

ولذلك يكون المعظم لملة غير الاسلام آثما لارتكابه كبيرة محرمة حتى قال بعض المحدثين : إن اعتقد تعظيم ملة أخرى غير الإسلام فهو كافر مخلد فى النار .

يقول النووى : إن الحالف لابد أن يكون معظما لما حلف به ، فإن كان معظما للملة التى حلف بها بقلبه فهو كاذب فى ذلك ، وان كان غير معظم لها فهو كاذب فى الصورة الظاهرة وحدها[١] .

القضية الرابعة

المحافظة على حقوق الآخرين

المؤمن أخو المؤمن يحبه ، وينصره ، وينصحه ، ويتعاون معه فى تحقيق الخير لنفسه وللجماعة كلها .

ومن هنا :

لا يصح لمسلم أن يسب أخاه ، أو يلعنه ، لأن لعنه حرام إن لم يستحقه ومكروه إن استحقه ، والأولى ملازمة القول الحسن ، والخلق الكريم . يقول النبى ﷺ : (لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم)[٢] **ولذلك سارع النبى ﷺ إلى توضيح الحقيقة للناس ليعلموا ضرورة تصحيح النية ، وتطهيرها ، وملازمة الصدق فى القول والعمل ، والإخلاص التام فى الظاهر والباطن .**

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص١٢٥ .

(٢) مسند أحمد . مسند عبد الله بن مسعود ﷺ ج٧ ص٢٣٢ .

القضية الخامسة

التكليف فى حدود الوسع والطاقة

لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، وما شرع الله حرجا على عباده قط ، ولذلك عفى الناذر من الوفاء بنذر لا يستطيع الوفاء به إن كان قد عينه ... أما إن نذر أمرا غير معين فإن النذر يلزمه حين يملك المال الذى يوفى به نذره .

وواجب على المسلم أن يعرف طاقات نفسه ، وأن يعيش بإمكاناته فقط ولا يتكلف مشقة أو شططا فى أمر ما .

إن تعاليم الإسلام كلها راعت قدرات الإنسان ، ولذلك كانت الرخص ، وكان التخفيف ، وتلك رحمة من الله تعالى .

القضية السادسة

ورود الحديث القدسي في إطار حديث نبوي

يشتمل الحديث الخامس على حديث قدسي ، وهو قول الله تعالى : (بادرني عبدي بنفسه ، حرمت عليه الجنة) **، وقد أسنده الرسول ﷺ إلى ربه فظهر بذلك أنه حديث قدسي من كلام الله تعالى لا يتعبد به فى الصلاة ، وتأكد ورود بعض الأحاديث القدسية فى إطار الأحاديث النبوية .**

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عددا من القيم الدينية التى تظهر عظمة الإسلام ، وتحدد معالمه الراقية ... وأهمها :

أولا : تعظيم قيمة الحياة الدنيا :

وجود الإنسان هبة إلهية تحتاج إلى الرعاية ، والتوجيه ، وتنادى بضرورة أن يتمتع الإنسان فى الدنيا بما خلق الله له فيها وفق منهج الله وشريعته ، وضرورة تسليم الأمر لله ، والرضا بالقضاء والقدر . واليقين بأن الله خالق كل شيء . يقول الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] **وبهذا اليقين يطمئن المؤمن فى الدنيا فى سائر حالاته وأحواله .**

يقول النبي ﷺ : (عجبا لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذاك إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، فكان خيرا له ، وان أصابته ضراء ، صبر كان خيرا له)[2] .

وبهذا المنهج تتحول الدنيا إلى فرصة كبرى ، يتزود المسلم فيها بالخيرات ويترقى خلالها فى درجات القرب من الله تعالى ، وكلما نزلت به مصيبة لجأ لربه ، واستغاث به ، وصبر واحتسب ، وأمل فى عطاء الله ، وجنته .

إن الدنيا فرصة المؤمن ، وعليه أن لا يضيعها باللهو والعبث ، والبعد عن ذكر الله ، والانغماس فى شهوات الدنيا ومغارمها ...

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الزهد والرقائق . باب المؤمن أمره كله خير ج٤ ص٢٢٩٥ .

وليعلم المؤمن أن متاع الدنيا قليل ، وأن متاعها مشوب بالدس ، والخداع ، وأن الشيطان عدو لئيم ، لا يكل عن إفساده .

وعلى المسلم أن يعلم الطريق المستقيم ، ويستمر فى صعوده خلاله حتى يصل لله تعالى ويصير صورة عملية فى خلقه وعمله لوحى الله المنزل.

ولذلك حذر الله تعالى عباده من اليأس ، والقنوط ، والجزع ، وأنذر اليائسين الذين يقتلون أنفسهم بعذاب أليم ، وخير للإنسان فى الدنيا أن يعمل لخير آخرته .

إن الحياة الدنيا يجب أن توضع فى موضعها الصحيح لينال فيها المؤمن ما يريد ويتمنى ، ويجعلها سلم الصعود إلى نعيم الآخرة .

ثانيا : ضرورة الصدق مع الله تعالى :

خلق الله الإنسان مكونا من باطن وظاهر ، وكلفه بتطهير باطنه وظاهره جميعا ، وعرفه باطلاعه على كل أفعاله وخواطره . فقال سبحانه : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾[1] **، ويقول سبحانه :** ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2] .

ولذلك وجب على المسلم أن يلتزم بحكم الله تعالى ظاهرا وباطنا ، ويجعل عمله الظاهر ملائما لباطنه الخفى ، لأن المخالفة بغير عذر تعنى النفاق ... ولذلك دلت قصة الرجل الذى قتل نفسه بعد أن قاتل المشركين

---

(١) سورة غافر ، الآية ١٩ .

(٢) سورة الحشر ، الآية ٢٢ .

قتالا شديدا على ضرورة الإيمان القلبى الموافق للعمل الظاهر حين قتال الأعداء ، فقد ثبت نفاق الرجل فى قتاله ، وظهر أن باطنه مخالف لظاهره ، ولذلك كان من أهل النار .

وهنا ملاحظة **أشار إليها المحدثون وهى أن الرجل فى حديث أبى هريرة ﷺ الذى رواه البخارى قتل نفسه بأن** (أهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه)[١] ... **وأنه فى حديث سهل ﷺ قتل نفسه بتحامله على ذبابة سيفه ... وأيضا فقد تغاير قول النبى ﷺ حكما على الحادثة . ففى حديث أبى هريرة ﷺ يقول النبى ﷺ :** (أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وأن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)[٢] ... **وفى حديث سهل ﷺ يقول النبى ﷺ :** (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة ، فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وان الرجل ليعمل عمل أهل النار ، فيما يبدو للناس ، وهو من أهل الجنة)[٣] .

ولهذا عد بعض المحدثين الروايتين حديثين لرسول الله ، رواهما أبو هريرة وسهل رضى الله عنهما .

ويذهب المحققون إلا أن الروايتين لحديث واحد ، ويجمعون بين الروايتين باحتمال أن يكون الرجل قد نحر نفسه بأسهمه ، فلما لم تزهق روحه أجهز على نفسه بأن تحامل على سيفه ... أو بأن الرسول ﷺ أخبر

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المغازى . باب غزوة خيبر ج٥ ص١٣٢ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ج١ ص١٠٥ .

(٣) صحيح البخارى . كتاب الجهاد والسير . باب لا يقال فلان شهيد ج٤ ص٣٧ .

عن قصة واحدة وروى كل صحابى جانبا منها ، فهما حديثان لقصة واحدة.

ثالثا : ضرورة التوازن بين الخلق والسلوك :

تفيد أحاديث الباب ضرورة أن يتوازن الإنسان فى خلقه وسلوكه مع نفسه ، ومع غيره من الناس ، فلا يقوم بنذر شيء لا يملكه ، ولا يقدر عليه ، ولا يؤذى غيره بسب ولعن ... ويلتزم بمكارم الأخلاق .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عددا من السلوكيات التى لا يصح أن يفعلها مسلم ... وهى :

(١) أنه لا يجوز أن يقتل المسلم نفسه بحديدة ، أو بسم ، أو بالتردى من مرتفع عال ... أو بغير ذلك متعمدا .

(٢) أن لا ينذر المسلم مالا لا يملكه .

(٣) أن لا يسب المسلم غيره ولا يلعنه ، ولا يعتدى على حرمة غيره من المؤمنين .

(٤) أن يسأل الله السلامة فى دينه إلى آخر لحظة من عمره .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

ضرورة تسليم الأمر لقدر الله تعالى

خلق الله الخلق ، وقدر لكل مخلوق عمله ، ورزقه ، وأجله ، وشقيا أو سعيدا فى الدنيا وفى الآخرة ، ونزل الوحى لتأكيد هذه الحقيقة ، وصار واجبا على كل مؤمن بالله تعالى أن يستسلم لخالقه ، ويطيعه فيما أمر ونهى .

وخير الناس من يسعد بالرضى ، ويستقيم فى الطاعة والانقياد . فقد أنار الله عقولهم ، وبصرهم بالحقيقة الثابتة ، وهى أن كل شيء بيد الله تعالى يصرفه كيف يشاء .

إن الإنسان بإيمانه يجب أن يعلم قدر نفسه ، وقدر خالقه ، وينظر ، ويتأمل في كل ما يرى ، ويسمع ، ويدرك ... ومن ذلك رؤيته للأصحاء والمرضى ، والأغنياء والفقراء ، والعباقرة والبله ، والموفق والمضطرب بلا دخل للإنسان فى تقدير أمر لنفسه ... وبهذا النظر يرى العاقل التنوع الكبير فى الموجودات ليتيقن أن تلك إرادة الله فى المخلوقات .

لو ملك الإنسان القدرة لوضع نفسه فى أعلى صورها ، ولاختار لنفسه أعظم مقام ... إلا أنه لا يملك ذلك .

- **هل يملك الإنسان المال ليكون غنيا ؟**
- **وهل يملك السلطة ليكون ملكا ؟**

- **وهل يملك القوة ليبقى منتصرا ؟**
- **وهل يملك مسارات الحياة ليختار لنفسه طريقا ؟**
- **وهل يعلم قبل العمل نتائجه ؟**
- **وهل يستطيع علم غيب بعيد عنه ؟**
- **وهل يعلم أجله ، ويمكنه إطالته ؟**
- **وهل يعلم شيئا مما غاب عنه حاضرا وماضيا ومستقبلا ؟**

إنه لا يملك أى شيء من هذا ، ولذلك وجب عليه أن يستسلم للملك العظيم علام الغيوب .

لقد عاش النبى ﷺ حياة التعب وهو بالطائف ، ولذلك خاطب ربه وقال : (اللهم أشكو إليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، ويا رب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى من تكلنى ، إلى عدو يتجهمنى ، أو إلى قريب ملكته أمرى ، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالى)[1] .

إن الإيمان الحق يؤدى إلى ضرورة التسليم الحق ، والرضا بكل ما يقدره الله تعالى ، واليقين بأن ما وقع هو فعل الله الذى لابد من وقوعه.

وحين يقدر الله أمرا يقضى به ، ويحققه ، فإذا جاء الأجل تحقق الموت وفق إرادة الله .

يجتمع الأطباء والأهل حول المحتضر عاجزين عن عمل أى أمر له ، والأمر بيد الله تعالى ، لا يملك الناس للمحتضر شيئا . يقول الله تعالى :

---

(١) المنظومة الجابية في السيرة النبوية وشرحها ص٣٦٥ .

﴿ فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1] .

وتقع الأحداث ، ويموت من يموت بالضرب ، أو بالحرق ، أو بالغرق ، ويبرز المنافقون فى محاولة لربط الأجل بالأحداث ، ويتناسون أن ﴿ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾[2] .

ولذلك :

يظلم الإنسان نفسه حين يتمرد على قضاء الله ، ويتصور لنفسه قدرة ، ويصاب بالجزع والهلع ، ويقتل نفسه ... إنه لن يقدم ولن يؤخر شيئا من عمره .

والواجب عليه أن يؤمن بقدرة الله ، ويرضى بما قسم الله له ، ويعمل بمنهج الله ، ويستقيم على تعاليم الدين ، ويعلم أن الأقلام قد رفعت ، وتقدير الله ثابت منذ الأزل ، وأنه لن يقع فى ملك الله إلا ما أراد ، ولله وحده الحول والقوة ، وهو على كل شيء قدير .

الركيزة الثانية
من مناهج الدعوة فى الأحاديث

تبين أحاديث الباب عددا من أساسيات الإيمان ، والدعوة إلى الله تعالى ... ومنها :

(١) الإيمان بما يجب لرسول الله من صفات تليق به ، وأساسها الصدق والأمانة ، والتبليغ ، والفطانة ، فهو ﷺ ﴿ مَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ

---

(١) سورة الواقعة ، الآيات ٨٣ . ٨٧ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ٣٨ .

هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝﴾[1] وما يخبر به من الغيب معجزة له تؤكد صدقه وفطنته ، وأن كل ما أخبر به حق ، وصدق ، يجب الثقة فيه ، والعمل بمقتضاه وان خالف ظاهره المصلحة .

(٢) تحديد قضايا الدعوة وغيرها تحديدا دقيقا لتكون جلية أمام المكلفين ، فلقد بين الرسول للناس أن الأمور تحتاج إلى توافق الظاهر والباطن ، وأن الباطن لا يعلمه إلا الله تعالى .

(٣) ضرورة تحرى الحق ، والتثبت منه ، فلقد اتبع أحد الصحابة الرجل حتى علم خبره ، وعلم صدق رسول الله ﷺ ، ولم يمنعه الرسول ﷺ من ذلك .

(٤) ضرورة أن يعرف المسئولون عن الناس خبر أعدائهم حتى لا يفاجأوا بعدوان مخادع ، أو بمكر لئيم ، ولا مانع من استخدام وسائل العصر فى كشف أسرار العدو .

(٥) لا مانع من أن يزكى الإنسان نفسه إن كان فى ذلك نفع وفائدة للناس .

(٦) من فن الدعوة ربط المسئولية بالجزاء ، وتوضيح ما للعمل الدنيوى من مثوبة أو عقاب فى الآخرة .

(٧) من فن الدعوة عدم المواجهة الصريحة للعصاة ، وضرورة دعوتهم بالحسنى ، فلقد وقف الصحابة على رجل قتل نفسه ، ومع ذلك عده الرسول فى صنف شامل له ولغيره ولم يحدد اسمه ، وحذر المسلمين من أن يكونوا من الأصناف التى حرم الله فعلها .

---

(١) سورة النجم ، الآية ٣ ، ٤ .

الركيزة الثالثة
المقتول ميت بأجله

قد يتصور البعض أن من يقتل نفسه أو يقتله غيره يموت قبل آجله ، وهذا تصور باطل ، فالله هو مالك الحياة والموت ، وقد حدد لكل أجل سببا ووقتا ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾[1] .

والله يقدر قتل من يقتل نفسه ، أو يقتله الغير ، ويعلم وقته ، وكافة أحواله ، ولا يمكن لمخلوق أن يفر مما قدر له .

وقد غيب الله عن الإنسان أجله ، وجعله من المعلومات التى استأثر بها . يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[2] .

ولذلك :

يجب أن يستسلم كل مخلوق لقدر الله ، ولا يقول لو كان كذا لكان كذا ... لأنه لا يدرى كذا أو كذا .

إن الإيمان بالله واجب ، والاستسلام لقدره أساس الإيمان .

قد ينجو الإنسان من غرق سفينة فى البحر، ويموت من شربة ماء...وقد ينجو من حادثة كبيرة ، ويموت بسقوطه على درجة سلم صغير.

إن الذى يقتل نفسه ينقذ قدرة الله فى نفسه ويموت عند أجله ، ويعاقبه الله على كسبه وميله الذى تمناه بسبب هلعه وجزعه .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ٣٤ .

(٢) سورة لقمان ، الآية ٣٤ .

إن الإيمان بهذه الحقيقة واجب، وهو الإيمان الذى يجعل المسلم يعيش بدين الله ، ويعمل لمرضاته ، ويستقيم على الطريق بلا حرص على الحياة، ولا خوف من الموت ويستسلم لقدر الله يأتيه متى شاء ؟ ... وكيف شاء ؟

فقد جعل الله لكل شيء قدرا . ... لقد شرع الله الجهاد ، وفيه القتل والموت ، والهلاك ، ومع ذلك لا يموت كل المجاهدين ، ولا يحيا جميع المجاهدين ، ولن ينال الشهادة إلا من قدر الله له الموت ، وقد مات خالد بن الوليد ﷺ على فراش الموت فى بيته ، وجسمه كله طعن رماح ، وضرب سيوف ولكنه مات بالطريقة والوقت ، والمكان الذى قدره الله له .

إن المؤمن لا يخاف إلا من الله ، وعليه أن يطيعه ، ويستقيم على أمره والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تتضمن أحاديث الباب عددا من الفوائد ... منها :

(١) **الرضا بالقضاء والقدر أساس الإيمان .**

(٢) **الإنسان مسئول عن نفسه ، وعن البحث عن مصالحه ، وأى إهمال يعاقبه الله عليه .**

(٣) **لا يكلف نفسا إلا وسعها ، فمن عجز عن نذر لا يؤديه .**

(٤) **ينصر الله دينه بكل بر وفاجر .**

(٥) **علم الرسول ببعض الغيب معجزة ثابته له ﷺ .**

(٦) **يستحب للقادة الإعلان عن فضائل العمل ليكونوا قدوة لغيرهم .**

(٧) **يجدر بذل الجهد للوصول للحقيقة ما دام ذلك ممكنا .**

(٨) **من المهم إعمال العقل للوصول للحق والصواب .**

ـ ٣٦ ـ

٤٦ ـ باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون

[٧٤] ، (١) ٤٢٣٤ حديث أبي هريرة ﷺ قال : افتتحنا خيبر ولم نغنم ذهبا ولا فضة ، إنما غنمنا البقر ، والإبل ، والمتاع والحوائط ، ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له مدعم ، أهداه له أحد بني الضباب ؛ فبينما هو (أى العبد) يحط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر حتى أصاب ذلك العبد فقال الناس : هنيئا له الشهادة .

فقال رسول الله ﷺ : بلى والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا .

فجاء رجل ، حين سمع ذلك من النبي ﷺ ، بشراك أو بشراكين .

فقال : هذا شيء كنت أصبته .

فقال رسول الله ﷺ : شراك أو شراكان من نار[١] .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٤ كتاب المغازى : ٣٨ باب غزوة خيبر .

- أ -

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن الله يحاسب الإنسان على كل جناية قام بها ، وعلى أى سرقة أخذها من المغنم أو غيره بلا شبهة له فيها .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول أبو هريرة ﷺ : (افتتحنا خيبر) أى فتحنا خيبر ، واستولينا على حصونها ، وغنمنا منها ما شاء الله أن نغنمه ، وهذه هى رواية أبى هريرة ﷺ مع أنه لم يشترك فى الفتح فقد جاء مهاجرا إلى المدينة ، ورسول الله ﷺ بخيبر ، فذهب إليه والتقى بالجيش بـ "وادى القرى" القريب من مكة بعد عودته من خيبر ، وأشركه رسول الله ﷺ فى الغنيمة برضا المجاهدين ، وحضر توزيع الغنائم وأخذ نصيبه منها ، ومعنى (افتتحنا خيبر) أى أن الله فتح للمسلمين خيبر .

(ولم نغنم ذهبا ولا فضة) أى لم يكن فى الغنيمة ذهب ولا فضة ، وهما أصل المال ، وأساس النقد ، وبهما يقوم سائر ما يملكه الناس .

(إنما غنمنا البقر والإبل والمتاع والحوائط) أى غنمنا من يهود خيبر أنعاما ، وأمتعة ، وبساتين ، وهى أموال منقولة وغير منقولة .

وظاهر الحديث يفيد أن البقر والإبل والمتاع والحوائط ليست مالا ، والصحيح أنها مال له قيمة مقومة بالذهب والفضة ، ولكل طائفة من الناس اهتمام بنوع معين من المال يذكر بها ، وتشتهر به .

فإن قيل مال الحضرى فالمراد به الذهب والفضة والعقار .

وان قيل مال البدوى فالمراد به البقر والغنم .

وان قيل مال الصناع فالمراد به ما يصنعون .

وان قيل مال الزراع فهى الحقول والبساتين والحبوب والثمار ... الخ .

وذهب البعض إلى أن المراد بالبقر ، والإبل ، والمتاع ، والحوائط الأموال التى غنمها المسلمون من اليهود فى خيبر ، وليس فيها النقود المصنوعة من الذهب والفضة .

(ثم انصرفنا مع رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ومعه عبد له يقال له مدعم) **أى انصرفنا من خيبر عائدين إلى المدينة المنورة حتى وصلنا إلى وادى القرى القريبة من مكة ، ومع النبى ﷺ عبد يسمى** (مدعم) **بكسر الميم وسكون الدال ، وفتح العين .**

(أهداه له أحد بني الضباب) **أى أهداه له رجل من بنى الضباب بكسر الضاد المشددة وفتح الباء الممدودة بالألف ، وهو رفاعة بن زيد أحد بنى الضبيب ﷺ وفد إلى رسول الله قبل خيبر ، وأعلن إسلامه ، وعاد إلى قومه فعقدوا له ، وأسلموا معه .**

(فبينما هو يحط رحل رسول الله ﷺ) **أى عندما أخذ العبد ينزل مركب ناقة النبى ﷺ ، ويحطه عن الناقة ، والمركب هو الوسادة التى توضع على ظهر البعير لتيسير الركوب .**

(جاءه سهم عائر) **أى أصابه سهم طائش لا يعرف مرسله ، وهو يهم بحط رحل ناقة النبى ﷺ ، فقد أخذ اليهود فى رمى أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم على غير تهيئة .**

(حتى أصاب ذلك العبد) **أى أصاب السهم العبد فقتله .**

(فقال الناس : هنيئا له الشهادة) **أى قال الناس : لقد فاز العبد بالشهادة وسعد بها ، فهنيئا له الجنة .**

(فقال رسول الله ﷺ : بلى والذي نفسي بيده إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا) **أى أقسم رسول الله بربه مالك النفوس كلها ، وعرفهم بأن الشملة التى أخذها الرجل من الغنائم كانت قبل القسمة ، وقد سرقها منها ، فهى غلول يعذب بها ، وبسبب هذه الشملة المغلولة سيعذب فى نار جهنم .**

والشملة رداء يلفه الرجل حول رقبته لتقيه الحر فى الصيف والبرد فى الشتاء ، أو هى رداء يشبه العباءة يلفها صاحبها حول جسده من البرد .

واشتغال الشملة بالنار يفيد أحد معينين :

أولاهما : **أن الشملة تبقى مشتعلة بالنار حوله على وجه الحقيقة .**

ثانيهما : **أن سرقة الشملة من الغنائم قبل القسمة كانت سببا لعذابه فى نار جهنم فاشتعالها مجاز علاقته السببية .**

(فجاء رجل ، حين سمع ذلك من النبي ﷺ ، بشراك أو بشراكين) **أى جاء رجل آخر بشراك أو شراكين كان قد أخذهما من المغنم حين سمع قول النبى ﷺ ليتخلص منهما ، ويتوب عن أخذهما .**

والشراك سير من الجلد يوضع أعلى النعل ، ويحيط بأصبع القدم ، وجاء هذا الرجل بالشراك تخلصا منها حتى لا يعذب بها .

(فقال) **الرجل** (هذا شيء كنت أصبته) **أى هذه الشراك أخذتها من الغنيمة قبل القسمة ، وأخشى أن أعذب بها ، وأنا أعيدها حتى لا أعذب بها فى الآخرة .**

(فقال رسول الله ﷺ : شراك أو شراكان من نار) **أى هذا شراك أو هذان شراكان كانا سيدخلانك النار إن لم تردهما ، مع قلة قيمتهما ، وبساطة نفعهما .**

والحديث يحرم الغلول قل أو كثر .

ولكن :

ما هو الغلول ؟

الغلول هو الخيانة والأخذ من الغنيمة ، وقيل الغلول هو الخيانة والأخذ من أى مال آخر ولو كان هو الغنيمة .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث ما حدث مع رسول الله ﷺ فى غزوة (خيبر) فقد لحق به أبو هريرة ﷺ وأخذ سهمه من الغنائم بعد أن رضى المجاهدون بذلك ... كما يبين أن النبى ﷺ قبل هدية الناس ، وأخذ عبده (مدعما) **من ابن الضبيب ... كما يبين أن هذا العبد لم ينفعه قربه من رسول الله ﷺ بعدما ساء عمله .**

ويوضح الحديث أن الدخول فى الإسلام يلزم المسلم بالطاعة المطلقة لله تعالى ، والتجرد التام من كل معصية ، ويؤكد علم الله تعالى بعمل الإنسان كله ، ويبين أن كل ما يفعله الإنسان ثابت مكتوب ، وجزاؤه مقرر معلوم .

وقد أخبر النبى ﷺ أصحابه بما أراه الله تعالى من أمور غابت عن أصحابه وقتها ، ولما رأوها فى الواقع ازداد إيمانهم ، وأكدوا شهادتهم بصدق رسول الله ﷺ .

ويبين الحديث أن خيانة الإمام ، والأخذ من المال العام بلا سبب جرم كبير ، وظلم وعدوان ... والمسلم الحق يتبرأ من هذا الفعل ليقى نفسه من عذاب النار .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث أن الله مطلع على عمل عباده ، لا تخفى عليه خافية ، وسوف يحاسب الله كل إنسان بما قدم وأخر ، وأن من الكبائر المنكرة الغلول والسرقة ، وخيانة الأمانة ، وأخذ مال المسلمين بلا حق .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

ضرورة الحذر فى التعامل مع الله

العبد المؤمن إنسان هداه الله للحق ، وأنار بصيرته ، وعرف مقام ربه فعاش فى حدود بشريته ، واستسلم لربه العزيز الحكيم ، المقدر لكل أمر ، الموجد لكل موجود .

إن حقيقة العبودية ، ومقام الألوهية أمران مختلفان اختلافا كليا ، والعاقل يدرك ذلك ، ويعيش فى إطاره ولا يتعداه .

إن مقام الألوهية عظيم ، فهو الخالق لكل أمر ، العليم بكل حال لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء ، يقدر العدم والوجود بدءا ، وانتهاء ، لا يغيب عن علمه شيء ، وبيده الأمر كله فى الدنيا والآخرة .

أما العبد فهو الإنسان الذى خلقه الله تعالى ولم يكن مذكورا ، فأكرمه بالطاقات فى تفاوت واضح بين الناس ، لا يقدر قدرها ، ولا يعلم حقيقتها إلا من خلقها وهو الله سبحانه .

هذا الإنسان محدود العلم والإدراك يعرف ما يحسه ويعقله فى حدود ذاته ، ويغيب عنه ما فوق طاقته من غيب فى الماضى ، والحاضر والمستقبل ولذلك رضى الله منه أن يحكم بالظاهر ، والعليم بالأسرار والبواطن هو الذى يحكم بها وهو الله رب العالمين .

وحديث الباب يجلى هذه الحقيقة فإن أصحاب النبى ﷺ حكموا بشهادة الرجل ، وهنأوه بالجنة لموته فى المعركة ، وهذا حكمهم على ظاهر ما رأوا ... وأراد رسول الله ﷺ أن يخبرهم بما فوق مدركاتهم فعرفهم بأنه سيعذب فى النار بسبب شملة كان يتلفع بها أخذها من الغنائم قبل القسمة ولم يدر به أحد ، فلما علم الصحابة ذلك وقفوا عند حدود بشريتهم ، وآمنوا بعلم الله المحيط .

وقد زادهم النبى ﷺ خبرا بعلم الله تعالى فعرفهم أن الرجل يعذب فى النار بهذه الشملة التى غلها .

إن العبد المؤمن وقاف عند حكم الله تعالى ، راض بحكمه ... ولذلك يسعد بشرع الله ، ويلتزم بتعاليم دينه ، ويوقن بأن الخير كله فى دين الله تعالى .

ودور الدعاة تعميق معرفة المدعوين بمقام ربهم الكريم ليؤمنوا باقتناع ورضى ، ويستقيموا على نهج الله المستقيم .

الركيزة الثانية

صدق الصحابة مع دين الله تعالى

أصحاب النبى ﷺ هم قادة الأمة الخيرة أسلموا بصدق ، واتبعوا بإخلاص ولم يكن لديهم أدنى ريب فى الاستسلام والانقياد لتعاليم الله تعالى ... لقد صدقوا رسول الله ﷺ فى كل ما أخبرهم به ، وتيقنوا بمصير الرجل الذى غل من الغنيمة ... حتى أسرع رجل آخر ، وأعاد إلى المغانم شراكا أو شراكين كان قد أخذهما من الغنيمة .

إن الإيمان يعنى اليقين التام بكل ما جاء من عند الله ، وبكل ما أخبر به رسول الله ﷺ .

وليس من الإيمان التردد فى حكم الله تعالى ، وموازنته بحكم غيره من البشر ، لأن الموازنة تعنى المساواة بين الأمرين ، وهذا ضلال مبين .

وليس من الإيمان إسناد أى فعل لمخلوق ، فالله خالق كل شيء ولا حول لمخلوق أمام حول الله وقوته .

وليس من الإيمان الجزع والهلع عند وقوع مصيبة ضارة ، أو السرور والفرح عند وقوع أمر طيب ، لأن كل شىء موزون ، ولا يقع فى الكون إلا ما يريده الله تعالى ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[1] .

---

(١) سورة الحديد ، الآية ٢٣ .

لا يصح لمؤمن أن يتحسر على أمر فاته . يقول ﷺ : (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير ، إحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وان أصابك شيء ، فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان)[١] .

ما أعظم إيمان الصحابة ! وما أحسن صدقهم واخلاصهم لله رب العالمين !

الركيزة الثالثة
من فنون الدعوة إلى اللّه تعالى

حين ننظر فى حديث الباب نجده يقدم دروسا وعبرا مفيدة للدعوة والدعاة ... ومنها :

أولا : **يعرف بالله تعالى ، ويبين أنه سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية يعلم الجهر وما يخفى ، وحكمه شامل للظاهر والباطن معا .**

ثانيا : **يوضح الحديث عدل الله المطلق فى تحديد المسئولية ، وتقدير الجزاء ، ودقة العدل الإلهى يأتى من علم الله المحيط وارادته الشاملة .**

ثالثا : **يوضح الحديث حسن معاملة رسول الله ﷺ لأصحابه ، وقربه منهم ، فلقد كان ﷺ يعلم حديثهم ، ويشاركهم الرأى ، وكان يقرن حديثه معهم بالدليل والبرهان ، فلم يعط أبا هريرة من الغنيمة شيئا إلا برضا المجاهدين ، وكان يوضح لمن يتوب الفوز الذى حققه بتوبته ، والعقاب الذى كان سيناله لو أصر على معصيته .**

---

(١) صحيح مسلم . كتاب القدر . باب في الأمر بالقوة وترك العجز ج٤ ص٢٠٥٢ .

رابعا : **يؤكد الحديث دور الترهيب فى الدعوة إلى الله تعالى كما يظهر من فعله ﷺ مع الصحابى الذى رد الشراك أو الشراكين مخافة أن يكبه الله فى النار ، فلقد عرفه النبى ﷺ أنه نجا من عذاب أليم كان سيلم به لو لم يرد ما أخذ .**

خامسا : **ربط الغنيمة بالجهاد ، وعدم أخذ شيء قبل القسمة حتى لا يقع الآخذ فى شيء من الغلول .**

الركيزة الرابعة
أصحاب الجنة هم المؤمنون

الجنة عظيمة ، عظيم حالها ، عظيم كل ما فيها ، عظيم من يدخلها فهى النعيم الدائم ، والمتعة المستمرة ، كثر خطابها ، وقل من يستحقها .

إن الله عرف المسلمين وغيرهم بشروط من يدخلها ، وأساسها الإيمان بالله وحده ، والاستقامة على منهجه ، والاستسلام المطلق لقضائه وقدره .

وقضى سبحانه وتعالى أن لا يدخلها إلا الأتقياء الانقياء الذين صفت قلوبهم من كل السوء ، وبرئت أفعالهم من أى عصيان ، وصاروا عبيدا لله رب العالمين .

وحديث الباب يبين أن إنسانا دخل فى النار لغله شملة من الغنائم قبل القسمة ﴿ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[1] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٦١ .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يدل حديث الباب على عدد من الفوائد ... منها :

(١) علم الله محيط بأعمال الإنسان كلها سرا كانت أو جهرا .

(٢) عقوبة الأخذ من مال الغنيمة مقررة حتى لو كانت شيئا يسيرا ، وقد أجمع العلماء على أن الغلول من الكبائر التى تحرم الغال من ثواب الشهادة لو مات فى المعركة .

(٣) جواز الحلف بغير ضرورة لتأكيد الخبر ، وتذكير الناس بقدرة الله تعالى ، فلقد أقسم النبى ﷺ بقوله : (والذى نفس محمد بيده) .

(٤) لا يؤاخذ الجاهل بالحكم على فعله إذا تيقن أن لا شيء عليه ، أو بلغه الحكم على غير وجهه .

(٥) مسئولية الدعاة فى تعريف الناس بأحكام الله هامة حتى يعبد المؤمنون الله عن علم ... ويتم السؤال بعد المعرفة .

(٦) ضرورة التفصيل لإظهار علة الحكم ليقتنع المستمع بما يقال له .

(٧) حاجة الإنسان إلى العظة والنصح ، وأعظم النصح التأمل فى واقع الناس ، وما يقع لهم لاتباع الحق ، وتجنب الباطل السيئ .

ـ ٣٧ ـ

٥١ ـ باب هل يؤاخذ الله بأعمال الجاهلية

[٧٥] ، (١) ٦٩٢١ حديث ابن مسعود ﷺ قال : قال رجل يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية ؟

قال ﷺ : من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول صلة المسلم بأعمال الكفر التى عملها قبل أن يسلم ، ويوضح أن الإسلام يجب ما قبله ، وأن سوءات الجاهلية تلتقى مع من عاد إلى الكفر مرة ثانية .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول ابن مسعود ﷺ : (قال رجل) أى قال صحابى من أصحاب النبى ﷺ لرسول الله ﷺ سائلا ولم يحدد الراوي اسم هذا الصحابى ، وجاء فى صحيح مسلم أن السائلين كانوا جمعا من المسلمين دخلوا فى الإسلام حديثا ، وخافوا من سيئات ارتكبوها فى الجاهلية قبل إسلامهم ، فأرسلوا واحدا

---

(١) أخرجه البخاري في : ٨٨ كتاب استتابة المرتدين : ١ باب إثم من أشرك بالله .

منهم يسأل رسول الله ﷺ عن أعمالهم السيئة التى قاموا بها قبل إسلامهم ، وهل سيؤاخذهم الله عليها ، ويعاقبهم بها ؟ أم لا ؟ ... ولم يبين مسلم فى صحيحه اسم الرجل أيضا .

قال الرجل : (يا رسول الله أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية) ؟ ...**أى أيعاقبنا الله تعالى بأعمالنا السيئة التى عملناها قبل أن ندخل فى الإسلام ونتبعك ؟**

(قال) ﷺ **لهم ولمن وراءهم :** (من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر) **أى من أحسن فى الإسلام بعد إيمانه ، وحافظ على تعاليم الله تعالى ظاهرا وباطنا ، واستقام على منهج الله تعالى لن يؤاخذه الله بالأعمال السيئة التى عملها قبل إسلامه ، لأن الإسلام يجب ما قبله ، وقد أحسن الرجل فى إسلامه ، واستقام على صراط الله .**

ومعنى الإحسان فى الإسلام **الإخلاص التام ، والصدق الشامل فى العبادة والتقوى والعمل والسلوك ، ومراقبة الله تعالى ... فلقد سئل ﷺ عن الإحسان فقال ﷺ :** (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[1] **وعلى هذا يقطع الإسلام ما قبله ...**

أما من أساء فى الإسلام ، وعاد إلى الكفر فإنه يؤاخذ بعمله الذى أداه وهو كافر قبل الإسلام ، كما يعاقب على عمله بعد عودته إلى الكفر ، لأنه بعودته إلى الكفر ألغى فترة إسلامه لعدم صدقه فيها ، وحق عقابه على ما سبقها ، وبما وقع بعدها ، وصار كمن لم يسلم أصلا .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب تفسير القرآن . باب قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ ج٦ ص١١٥ .

ويدل ظاهر الحديث على أن من عمل خيرا قبل إسلامه ثم استمر فيه بعد إسلامه يجزى به ، لأنه كان عملا صالحا أعانه على سلوكه الصالح بعد الإسلام وحدد له المنهج العام ، ويسره له ، وهذا من عظيم فضل الله على عباده بما فطرهم عليه ، لأن عمل الخير قبل الإسلام مختلف فى توجهه عن مثله بعد الإسلام ، ومع ذلك ألحقه الله به تفضلا منه سبحانه ، والله ذو الفضل العظيم .

ولما كان الإسلام يجب ما قبله ، وينقل صاحبه المسلم من حياة مادية بعيدة إلى حياة جديدة قائمة على العبودية لله وحده ، والاستسلام لأمره وحكمه ، والتتبع التام لمنهجه ، وتعاليمه ... وكان الإسلام فاصلا للإنسان عن حياته السابقة إلا أن فضل الله واسع ، ورحمته بالمحسنين كبيرة ، ولذلك قضى لهم بثواب ما عملوا من صالحات قبل أن يسلموا .

ولا يقال إن الإسلام يعد توبة للكافر عن كفره ، تدفع إلى الندم على المعاصى السابقة ، وتؤكد عدم العودة إليها ، فإن عاد إليها لم يكن تائبا ، وبذلك يعاقبه الله بذنوبه كلها قبل التوبة وبعدها .

لا يصح هذا القول **لأن التوبة خاصة بالمسلمين وحدهم ، والمسلم بإسلامه يصير كيوم ولدته أمه ، لا صلة له بالمعاصى السابقة ، فإن عاد لمعصية ما ، وبقى على الإيمان عوقب بها وحدها ، أما إذا رجع إلى الكفر ، وأشرك بالله إلها آخر عوقب بكفره كله ، وعد إسلامه نفاقا لا صدق فيه ، وبذلك تتعلق التوبة بالمعاصى وحدها ، أما الإيمان فهو بعث شامل للمؤمن يتصل بكل عناصره وعمله ، فالتوبة تعنى الندم على أفعال معينة مع التمسك بغيرها ، أما الإيمان فإنه يشمل كل أعمال الإنسان .**

والإسلام الصحيح يضع صاحبه فى حياة جديدة فى كافة نواحيها ، فمن أحسن فى الإسلام مات عليه ، ومن أساء مات على إساءته ، والمؤمن سيدخل الجنة عاجلا أو آجلا ... أما الكافر فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار ، وبئس المصير .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يشير حديث الباب إلى أن الإسلام يصنع من المسلم إنسانا جديدا يتميز بصفاء العقيدة ، وكمال الشريعة ، ومكارم الأخلاق ، ويقطع المسلم عن كل ما كان قبله .

وقد اهتم الصحابة بمعرفة دينهم ، وأثر أعمالهم ومعاصيهم قبل أن يكونوا مسلمين ، ولذلك جاءوا لرسول الله ﷺ يأخذون منه الرأى الحق ، والحقيقة التى قضى الله بها ، وخصوا رسول الله بالسؤال لأنه طريقهم إلى الله تعالى ، وهو ﷺ الذى يبلغهم الوحى والدين .

وكان ﷺ رءوفا بهم ، مشفقا عليهم فبين لهم أن التمسك بالإسلام ، والالتزام بتعاليمه هو طريق المحسنين الذى ينجيهم الله به من معاصيهم التى ارتكبوها قبل أن يسلموا ، وبين لهم الحق حتى لا يعودوا إلى الكفر مرة أخرى ، وتنزل عقوبة الله على أعمالهم التى قاموا بها قبل إسلامهم كما يعاقبهم عليها بعد عودتهم إلى الكفر مرة أخرى .

إن خلوص المسلم من جاهليته ، وايمانه بالله تعالى يعنى ترك كل عمل يخالف الإسلام . أما أداء جزء من الإسلام ، ومخالفة أجزاء أخرى

فهو نفاق يخرج صاحبه من الإسلام ، ويعيده إلى الكفر إن أصر على معاصيه واستحلها ...

إن فريقا من المسلمين يعلنون الإسلام بألسنتهم ، ويهجرون تعاليمه فى أقوالهم وأفعالهم ، ويتحولون إلى عون ونصير لأعداء الله المحاربين لدينه وأمته ... هذا الفريق أشد قربا للكفر من الإيمان ، وهو على خطر كبير ، والأولى له أن يصدق فى إيمانه ، ويخلص فى عمله . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[1] .

نسأل الله تعالى أن يهديهم للطريق المستقيم ، وأن يكونوا عونا للإسلام والمسلمين .

فإن قيل : **هل يعاقب المسلم بعد إسلامه عن معاصيه قبل الإسلام إن فعل مثلها بعد إسلامه وهو متمسك بتوحيد الله تعالى ؟**

أقول : **إن كان المسلم صادقا فى عقيدته فإنه لا يعاقب بما فعل قبل إسلامه ، وان وقع فى مثلها ، لأن الإسلام يجب ما قبله ، ومعاصيه بعد الإسلام يعاقب بها فى الدنيا إن تعلقت بحقوق الناس ، وأما تعلقها بحقوق الله فهى كما يريد الله تعالى ، فقد يغفرها له ، ويوفقه ليتوب عنها ، ويهديه إلى سواء السبيل ، أو يعاقبه بها إن شاء ، والله يفعل ما يريد .**

---

(١) سورة البينة ، الآية ٥ .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب إن الإسلام يجب ما قبله ، وأن الإنسان بعد دخوله فى الإسلام دخولا خاليا من النفاق والشك لا يؤاخذ بما سبق إسلامه من أعمال سيئة ، فإن رجع عن الإسلام ، وعاد إلى الكفر يعاقبه الله بسائر معاصيه التى قام بها قبل الإسلام ، والتى رجع إليها بعد ردته عن الإسلام ، لأن كفره بعد الإيمان يوضح أن إسلامه كان نفاقا لا أثر له .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز الإيمانية والدعوية ... أهمها :

الركيزة الأولى

الرسول ﷺ مبلغ دين الله تعالى

لم يكن الرسول ﷺ شخصا عاديا من الناس ، وانما اختاره الله ، واصطفاه ليكون رسوله إلى العالمين ، ولذلك ميزه بصفاء الفهم ، وطهارة النفس ، وحسن الإخلاص والعمل ، وخصه بنزول الوحى ، وعلمه دينه ، ووجهه نحو المنهج الأمثل للدعوة إليه .

لقد كان رسول أمينا فى رسالته ، صادقا فى بلاغه ، حاذقا فى فهم رسالته ، شجاعا فى مواجهة الناس ودعوتهم إلى الله تعالى ... وكان المسلمون يأتون إليه ، ويسألونه ، ويتعلمون منه ... ولذلك وجب أن تستمر هذه المنزلة لرسول الله فى عقول المسلمين وعواطفهم ، فلقد أرسله

الله ﴿ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾[1] ، **وكان ﷺ شديد الحب للناس ، يسعى لهديهم ، ويتألم لضلالهم ، وكان أحب الناس إليه أقربهم إلى الله وأتقاهم له . يقول الله تعالى معرفا به** ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾[2] .

ولقد أدى الرسول أماناته ، وبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وترك الناس على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يخفى منها شيء عن عقول الناس .

والدعاة من بعد رسول الله ﷺ يسيرون على خطاه ، ويسلكون مسلكه وينهجون نهجه فى النصح والبلاغ ، فهو قدوتهم ، وأسوتهم على الزمن كله ، والعقلاء على خطاه يسيرون .

الركيزة الثانية
ضرورة الخلوص من أعمال الجاهلية

يصنع الإسلام من يدخل فيه صناعة خاصة ، وينقله من عالم المادة إلى حياة العقل والروح ، ويخلصه من عبادة الناس والخضوع لهم إلى كرامه الإنسان وخشوعه لخالقه القدير ، ويرفعه إلى حرية العبودية لله وحده ، ويكرمه بوضعه فى الكرامة والمجد الذى أعده الله له .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

لقد شعر الصحابة بهذه النقلة العظيمة ، وعملوا على الاستمرار فى رحاب ربهم العظيم ... وقد شغلهم ما كان منهم فى جاهليتهم ، وخافوا من عقوبته ، ولذلك جاءوا يسألون رسول الله ﷺ عن كفارة له ... تنقذهم من سوءات الجاهلية إن قدر الله حسابهم عليها ، فعرفهم رسول الله ﷺ أن من أسلم وحسن إسلامه لا يحاسبه الله بما عمل من سوء قبل الإسلام ، وأن من أساء بعد الإسلام يعاقبه الله بما عمل من سوء فى جاهليته واسلامه .

وفى هذا البيان منهج تربوى واضح لأن الإسلام يقوم على الصدق والإخلاص ولا ينفعه إلا اتفاق الظاهر والباطن فى الطاعة والاستقامة .

ومن لوازم الإسلام العبودية التامة لله رب العالمين ... ولذلك لا يصح الجمع بين الطاعة والمخالفة ، ولا يلتقى العوج والاستقامة معا ، ولا يجوز الاكتفاء بجزء من الإسلام دون سواه .

إن أعمال الجاهلية الباطلة تتنافى تنافيا كليا مع دين الله تعالى ، ولا يصح الإقرار بها أو بجزء منها فى الإسلام ... وما فى أعمال الجاهلية من خير يجب رده لأن التوجه فيه لغير الله تعالى ... أما الإسلام فإنه يقدر الأعمال بالنوايا ، ويجعل المقاصد العقلية أساس الحركات العملية ، وبذلك يجمع عناصر الإنسان فى إطار واحد .

ومسئولية الدعاة أخذ الناس إلى الله تعالى ، وتخليصهم من غبش الجاهلية وسوءاتها .

الركيزة الثالثة

الاستفهام والدعوة

يتضمن حديث الباب طريقة واضحة للتعريف بدين الله تعالى ، وهى طريقة السؤال والجواب ، وهى الطريقة المعروفة فى العصر الحديث بالإفتاء

حيث تقوم لجان الفتوى باستماع الأسئلة ، والاستفسار عن أى قضية يرغبون فى معرفة حكم الله فيها ليتمسكوا بها ، ويسعدوا بالعمل على أساسها .

وهذه الطريقة تفيد ما يلى :

(١) تحدد للسائل القضايا التى يعرف حكمها ، والقضايا التى لا يعرف حكمها ليسأل عنها ، ويعرف دينه كله .

(٢) تؤكد المشاركة بين السائل والمجيب فى تداول الأفكار للوصول للحق فى صورة تعاون بينهما يأمر الله به .

(٣) تمحو الأعذار عن أى معتذر بعدم علمه ، لأن باب السؤال مفتوح ، وتقصير السائل مؤاخذ به ، وعليه أن يسأل عما لا يعلمه قطعا لاعتذاره

(٤) تشجع العلماء على زيادة التعلم ليتمكنوا من الإجابة على أى سؤال يوجه إليهم .

(٥) تؤكد الروح الجماعية التى يقوم عليها الإسلام لصناعة مجتمع المؤمنين فالكل مسئول عن الفهم والتفهيم ... والكل مسئول عن نشر العلم بالإسلام ، والاستقامة على منهجه .

وعلى الدعاة أن يستعدوا لإفادة السائلين ... وعليهم أن يعلموا أن عدم الإجابة يصرف الناس عنهم ، ويضعهم فى وضع يضر الدعوة ، ولا يفيد .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير الحديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) **اتخاذ المسلمين رسول الله ﷺ أسوة وقدوة ، فهو مبلغ الإسلام وامامهم فى الطريق إلى الله تعالى ، ولذلك كانوا يسألونه فى كل أمر يعن لهم .**

(٢) **التزام الصدق فى السؤال لأنه يؤدى إلى وضوح الإجابة .**

(٣) **التفصيل فى الإجابة يفيد المدعوين ، ويجمع كافة الاحتمالات ، ولذلك فصل رسول الله ﷺ لمن سأله عن المؤاخذة على أعمال الجاهلية فقال له : إن كان كذا كان كذا ، وان كان كذا كان كذا ، فوضح الحكم فى جميع الاحتمالات .**

(٤) **ضرورة استعمال الأسلوب الحسن فى الحوار وتوجيهه لتحقيق فائدة عامة ، فقد جاء السائل يسأل عن المؤاخذة على أعماله فى الجاهلية قبل الإسلام ، فأجاب رسول الله ﷺ بإجابة عامة تفيد السائل وغيره ، ولا تلحق بالسائل أى إساءة أو ضرر .**

ـ ٣٨ ـ

٥٢ ـ باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج

[٧٦] ، (١) ٤٨١٠ حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا ، وزنوا وأكثروا فأتوا محمدا ﷺ فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة ؛ فنزل قول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ ونزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يدور الحديث حول بيان أن الإسلام يجب ما قبله، وأن من دخل في

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير : ٣٩ سورة الزمر .

الإسلام صادقا مخلصا يرفع الله عنه ما سبق من عمل غير صالح، ويبين الحديث أن التوبة المقبولة تبدل السيئات وتحولها إلى حسنات ، والله عفو غفور .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول ابن عباس رضى الله عنهما : (إن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا ، وزنوا وأكثروا) **أى أن جماعة من المشركين رغبوا فى الإسلام ، وتذكروا معاصيهم فى الجاهلية وكثرتها ، ومنها عبادة الأصنام ، والإشراك بالله ، وقتل النفس ، والزنا ، وهالهم من أمرها كثرتها ، واستمرارهم فيها طوال حياتهم ، وظنوا أنهم إن عوقبوا بما كانوا فيه فلن يستفيدوا من الإسلام شيئا ، فأرسلوا من يمثلهم إلى رسول الله ﷺ يسأله عن هذه القضية ليعلموا مصيرهم ، ويختاروا لأنفسهم .**

(فأتوا محمدا ﷺ فقالوا) **أى : أتى رسولهم إلى النبى ﷺ فقالوا بلسانه وهذا الرسول هو** (وحشى بن حرب) **قاتل عم النبى ﷺ .**

قال (وحشى) **لرسول الله ﷺ :** (إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة) **أى : إنك يا محمد تدعونا إلى دين عظيم ، نرى حسنه ، وجماله ، وفضائله إلا أن الذى يمنعنا من اتباعك هو عملنا الذى عشنا فيه ، فقد عبدنا الأصنام ، وأشركنا مع الله آلهة أخرى ، وأكثرنا القتل ، وأكثرنا الزنا ، فهل تدلنا على كفارة نؤديها عن هذه الأعمال التى كنا فيها لندخل فى الإسلام وقد تخلصنا من عواقب هذه الأعمال .**

(فنزل قول الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [١] ، ونزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢]) **أى : أنزل الله فيهم قرآنا يوضح لهم أن الإسلام يجب ما قبله ، وأن الله يقبل التوبة الصادقة ، ويعفو عن التائبين ، وأن رحمة الله واسعة لسائر عباده ، وتوضح الآيات للمسرفين فى المعاصى أن عليهم أن يثقوا فى عفو الله ، وأنه سبحانه وتعالى** : ﴿ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ **وأمر الله رسوله أن يبلغ الكافرين بغفرانه الشامل لكل أعمالهم بشرط أن لا يعودوا إليها ، وذلك فى قوله تعالى** : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[٣] .

يقول ثوبان ﷺ : سمعت النبي ﷺ يقول: (ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤] .

---

(١) سورة الفرقان ، الآيات ٦٨ . ٧٠ .
(٢) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية ٣٨ .
(٤) سورة الزمر ، الآية ٥٣ .

فقال رجل : يا رسول الله ، ومن أشرك ؟

فسكت النبي ﷺ ثم قال : ألا ومن أشرك ، ألا ومن أشرك ، ألا ومن أشرك)[1] .

إن رفع المؤاخذة عما فعله المشرك قبل إسلامه حكمة عظيمة جعلت العقلاء من المشركين يتخلصون من شركهم ، ومعاصيهم ليبدأوا مع الإسلام حياة جديدة مليئة بالصدق ، والإخلاص ، فى الاعتقاد ، والعمل ، والخلق ، آمنين من مؤاخذتهم عن معاصى كفرهم وعملهم قبل الإسلام .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب أن الإسلام يجب ما قبله ، وأن المشرك إذا دخل فى الإسلام لا يؤاخذ بشركه ومعاصيه ... وقد أدت هذه السماحة إلى دخول كثير من المشركين فى الإسلام ، وقاموا بأعمال جليلة معه ، ونشطوا فى الدعوة إليه ، فلقد أسلم "وحشى" **بعد لقائه برسول الله ﷺ وحسن إسلامه ، وأبلى بلاء حسنا ، وقتل مسيلمة الكذاب فى حرب الردة .**

يذهب جمهور العلماء إلى أن الكافر إذا أسلم لا يعاقب على معاصيه قبل الإسلام ، وبينوا أن الآيات تجعل مغفرة الله عامة لجميع الذنوب كبيرها وصغيرها سواء تعلقت بحق الآدميين أو بحق الله تعالى .

أما بخصوص معصية **المسلم فالمشهور عند أهل السنة أن الذنوب كلها تغفر بالتوبة ، وأن الله يغفر لمن شاء من عباده ، ولو مات على غير**

---

(١) مسند الرويانى ج١ ص٤٢٣ .

توبة ، أما حقوق الآدميين فلابد من أدائها قبل التوبة ، وللتائب رد الحق لصاحبه أو محاللته منه .

نعم :

في سعة فضل الله ما يمكن أن يعوض صاحب الحق عن حقه ، ولا يعذب العاصي بذلك ، ويرشد إليه عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1] .

وقد شذ عن رأى الجمهور جماعة من الفقهاء ؛ فذكروا أن الكافر بعد إسلامه معاقب على معاصيه المتعلقة بحقوق الناس ، لأن حقوق العباد لا تسقط والأولى ما ذهب إليه الجمهور .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب اهتمام المسلمين بمعرفة عاقبة كفرهم ، ومعاصيهم التى وقعوا فيها قبل الإسلام ، وأنهم جاءوا لرسول الله ﷺ ليكفروا عن هذه المعاصى ، ويدخلوا فى الإسلام ، وقد تخلصوا من آثامهم وجرائمهم ، فعرفهم رسول الله ﷺ بحالهم عند الله تعالى ورضاه عنهم ، وعن أمثالهم إن دخلوا فى الإسلام صادقين ، وأنه سبحانه عفو غفور يرفع عنهم كافة آثامهم التى وقعوا فيها قبل الإسلام .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٨ .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

بيان رحمة الله تعالى

عمل الإنسان مختلف ، وسعيه متعدد ، وهو إما كافر واما مؤمن ، وقد شرع الله لكل موقف حكما ، وجعل لكل آن وحال قدرا ، وعلم الصحابة ذلك قبل إيمانهم ، ورجوا لأنفسهم العمل الطيب ، والجزاء الحسن ، وخافوا من أعمالهم ومعاصيهم فجاءوا إلى رسول الله ﷺ ، وبينوا له ما يشغل بالهم ، وهو أنهم علموا الإسلام ، ووقفوا على الدين ، وتيقنوا من صدق رسول الله ﷺ ، وحسن الإسلام ، وروعة كل ما فيه إلا أن ما يؤرق بالهم هو عملهم فى الجاهلية فقد ضلوا ضلال بعيدا ، وأشركوا بالله تعالى ، وأكثروا من الزنا ، والقتل ، وعملوا المنكرات ، وتمنوا أن يرشدهم رسول الله ﷺ إلى كفارات تخلصهم من معاصيهم وضلالهم ليدخلوا فى الإسلام وقد تخلصوا من آثار هذه الأعمال .

وهنا تجلت رحمة الله بهم ، وبسائر خلقه فأنزل قرآنا على رسوله يوضح لهم ، ولسائر المسلمين أنه سبحانه وتعالى يغفر لهم ما سلف قبل أن يكونوا مسلمين ، وأن الله يقبل منهم توبتهم ، وأن الإسلام يجب ما قبله ، وأنه سبحانه يغفر لهم ما سبق من كفر وقتل وفاحشة ، وأنه سبحانه

يبدل سيئاتهم حسنات ، وأمر رسوله ﷺ بأن يناديهم بإيمانهم ، ويؤكد لهم سعة رحمة الله تعالى ، وغفرانه لعباده فهو الغفور الرحيم .

ودخل الصحابة فى الإسلام وقد خلعوا أنفسهم من ظلمات الجاهلية ، وأرجاسها ، وحمدوا الله أن هداهم للحق ، ووفقهم للخير ، وخلصهم مما كانوا فيه .

وأنزل الله الآيات لتبقى شاهدا حيا أمام كل مسلم ، ودافعا قويا للإيمان والتوبة ، ودعوة مستمرة للهداية والتقوى ، وضرورة التخلص من الذنوب ، والعودة إلى الله تعالى .

إن الإنسان ليس ملكا ، فهو يجمع الخير والشر ، وقد يقع فى ذنب وخطيئة ، وعليه أن يتيقن بأن رحمة الله واسعة ، وأن ما وقع فيه من ذنب ليس هو نهاية أمره وحاله ، وأن الله يقبل التوبة من عباده ، ويعفو عن السيئات ، ويغفر الذنوب جميعا .

إن الله سبحانه وتعالى رب رحيم غفور ، خلق عباده ، وعلم أعمالهم واطلع على خواطرهم ، ووساوسهم ، وقدر فيهم ضعفهم ، وأحب منهم التوبة والرجوع إليه .

إن الأمل فى فضل الله كبير ، وهو الغفور الرحيم .

الركيزة الثانية

فن الدعوة إلى الله تعالى

حين نتأمل فى حديث الباب نأخذ منه عبرا فى مجال الدعوة إلى الله تعالى ... ومنها :

(١) ضرورة الصدق فى الحوار والمناقشة ، فهؤلاء الصحابة صدقوا مع رسول الله قبل إسلامهم ، وبينوا له حالهم على حقيقته ، ولم يدعو سبقا فى الخير ، وبعدا عن كل سوء ... وصدقهم رسول الله ﷺ فلم يسارع إلى إرضائهم ، وانما تركهم لحكم الله تعالى فأنزل الله لهم حكمه فى أعمالهم السابقة ، وفى أعمال الناس جميعا ، وعلموا تفاصيله من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية وتيقنوا أن الله يغفر لهم ما كانوا فيه .

(٢) استعمال الألفاظ الطيبة التى يقوم بها السائل بتقديمها قبل طلبه ، وحاجته ، فلقد بدأ هؤلاء الصحابة بذكر رأيهم فى الإسلام والدعوة ، وأقروا بما فيه من حسن وهداية ، وبينوا أنهم يتمنون الإسلام ويتمنون الخلاص من الذنوب التى كانوا فيها فى الجاهلية ، فنطقوا بالحق ، وعرضوا ما يشغلهم بصدق .

(٣) أهمية الإجابة المقنعة . فقد رد عليهم رسول الله ﷺ بأنه لا يجيبهم من عند نفسه ، وانما يبلغهم ما أوحى الله إليه به ، وقرأ عليهم ما نزل من قرآن كريم ، فعلموا أن الله غفور رحيم ، وعاشوا فى فضله وكرمه ، ودخلوا الإسلام صادقين .

(٤) يبين الحديث قيام الدعوة غلى التأمل فى الخير ، وفتح باب الرجاء والفوز ، وامكانية تخلص العبد من أعمال وقع فيها حالة ضعفه ، والاستعانة بعظمة الله ، وفضله ، والله ذو الفضل العظيم .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يدل الحديث على كثير من الفوائد ... منها :

(١) تبرئة النفس من الآثام والذنوب أمل يتمناه العقلاء ، والسعى إليه واجب

(٢) ضرورة الصدق والوضوح للوصول للمراد ، فلقد جاء الصحابة إلى رسول الله ﷺ يسألونه عن أعمالهم فى الجاهلية وتكلموا عنها بصدق ، فلقد أكثروا من القتل ، والزنا ، وعبادة الأصنام ، فعلم رسول الله ﷺ حالهم ، ونزل القرآن الكريم يبرئ ساحتهم من أعمال الجاهلية .

(٣) أهمية التقديم للحديث والطلب بكلام حسن ليصنع قربى مع الطرف الثانى ، فلقد بدأ الصحابة بقولهم : إن ما تدعونا إليه لحسن ، ولكنا نسأل عن أعمالنا السيئة التى كنا فيها قبل الإسلام .

(٤) يبين أن الله مطلع على عباده ، وهو رحيم بهم ، فلما صدق هؤلاء القوم رسول الله ﷺ نزل القرآن الكريم ليطمئنهم ، ويبعدهم عن الخوف عن أعمالهم السابقة .

(٥) الإسلام يهدم ما قبله ، واسلام الكافر يجب سائر الأعمال السابقة .

(٦) ثبوت توقير الصحابة لرسول الله ﷺ فلقد كانوا يأتون إليه ليسمعوا وحى الله إليه ، ويسألونه لمعرفة حكم الله فى أعمالهم وأحوالهم .

(٧) الدعاة مصباح النور للناس وهم يسيرون على خطى رسول الله ﷺ فى الدعاء والنصح ، وتعليم أحكام الله تعالى .

ـ ٣٩ ـ

٤٩ ـ باب حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده

[٧٧] ، (١) حديث حكيم بن حزام ﷺ ، قال : قلت يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو عتاقة ، وصلة رحم ، فهل فيها من أجر ؟

١٤٣٦ فقال النبي ﷺ : أسلمت على ما سلف من خير[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب حكم الأعمال الحسنة التى كان يعملها الكافر قبل إسلامه ، ويوضح أنه ينتفع بها .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

(حكيم بن حزام) ﷺ **راوى الحديث ، صحابى جليل ، ولد داخل الكعبة وأسلم عام الفتح ، ومات سنة أربع وخمسين من الهجرة ، تميز بفعل الخير فى الجاهلية ، فقد أعتق مائة رقبة ، وحمل على مائة بعير ، ووصل رحمه ، وأكسب المعدوم ، وأقرى الضيف ، وأعان على نوائب الدهر .**

(قال) **حكيم** ﷺ : (قلت يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة ، أو عتاقة ، أو صلة رحم ، فهل فيها من أجر) **أى : أخبرنى يا رسول الله عن أعمالى الصالحة التى كنت أتعبد بها فى الجاهلية**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٢٤ كتاب الزكاة : ٢٤ باب من تصدق في الشرك ثم أسلم .

، واتقرب بها للآلهة فهى أعمال خير للناس ، ولكنى توجهت بها للأصنام التى كنا نعبدها ، ... فلقد كنت أتصدق بمالى للمحتاجين ، وأعتق العبيد ، وأصل الرحم : فهل يا رسول الله أثاب عليها بعد أن أسلمت ؟

والتحنث **هو التعبد وهو أن يعمل عملا يخرج به من الحنث وهو الإثم** ، ويعرفه البعض **بأنه التبرر ؛ أى : فعل البر والطاعة .**

(فقال النبي ﷺ : أسلمت على ما سلف من خير) **أى : إنك أسلمت على قبول ما سلف لك من خير ، أى : إن ما تقدم لك من عمل الخير فهو لك .**

وقد استدل القائلون على إثابة الكافر على عمله الصالح أثناء الكفر أيضا بقوله ﷺ : (إذا أسلم الكافر ، فحسن إسلامه ، كتب الله له كل حسنة زلفها ، ومحا عنه كل سيئة زلفها)[1] **ومعنى زلفها أى سبق فعلها ، وهذا يعنى أن لله تعالى يتفضل على عباده بما يشاء ، لا اعتراض لأحد عليه ، وأن للكافر فى أعماله الصالحة السابقة التى قام بها قبل الإسلام نفعا وفائدة .**

ويذهب بعض العلماء إلى أن الكافر لا يثاب على عمله الصالح فى الكفر ، وأن ظاهر اللفظ مخالف لما تقتضيه الأصول ، لأن الكافر لا يصح منه التقرب إلى الله ، فلا يثاب على ما تقرب به وهو كافر ، ومن المعلوم أن شرط التقرب المقبول أن يكون المتقرب عارفا بالمتقرب إليه ، والكافر حين عمله لم يكن يعرف الله ، ولمن يكن مؤمنا به فلا قيمة لتقربه .

ويذهب الفقهاء إلى أنه لا تصح من الكافر عبادة ، ولو أسلم لا يعتد بها .

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص١٤١ .

وقد أول هؤلاء العلماء **الحديث على أوجه عدة تفيد كيفية استفادته بأعماله السابقة على إسلامه :**

منها **أن يكون المعنى أنك بفعلك ذلك اكتسبت طباعا جميلة فانتفعت بتلك الطباع في الإسلام ، وكأن تلك الأعمال الصالحة قد مهدت لك وأعانتك على فعل الخير .**

ومنها **أنك اكتسبت بذلك ثناء جميلا عند الناس فهو باق لك في الإسلام**

ومنها **أنك ببركة فعل الخير هديت إلى الإسلام لأن المبادئ عنوان الغايات .**

ومنها **أنك بتلك الأفعال رزقت الرزق الواسع ، وتفتح عقلك للصواب .**

يقول ابن الجوزي : إن النبي ﷺ ورى عن جوابه لأن السائل سأل هل لي فيها من أجر ؟

فقال له ﷺ : أسلمت على ما سلف من خير[١] ... أى ثبت خيرك الذى قمت به قبل الإسلام ، وبقى معك بعد الإسلام ، فالعتق ، والبر ، والإعانة أعمال خيرة ، ولم يبين له الأجر ، وانما أشار إلى الذكر ، وكأنه ﷺ يقول له : إنك فعلت الخير ، والخير يمدح به فاعله ، ويجازى عليه في الدنيا وقد تحقق لك ذلك .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث قضية اختلف فيها العلماء والمحدثون والفقهاء ، وهى مدى استفادة الكافر بعمله الصالح الذى فعله قبل الإسلام .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٧ ص٥٤ .

فذهب فريق من العلماء إلى أن الكافر يثاب بعد إسلامه بعمله الصالح الذى عمله أثناء كفره قبل إسلامه أخذا بظاهر الحديث . فقد أجاب رسول الله ﷺ على سؤال حكيم ﷺ بأنه أسلم على الخير الذى كان يعمله ، وكأنه اشترط لنفسه ، وقال للنبى ﷺ : أسلمت على أن أجد لنفسى أثرا لعملى .

وذهب جمهور العلماء إلى أن رسول الله ﷺ لم يجب على سؤال حكيم إجابة قاطعة ، وانما بين له أن له من عمله السابق خيرا بصورة عامة ... فأولوا الحديث ورأوا أنه يدل على خير يناله الكافر بعد إسلامه فى الدنيا مثل حسن الذكر بين الناس ، أو تعود فعل الخير بعد الإسلام ، أو الاهتداء به إلى طريق الخير ، وسعة الرزق ، ومنه قوله ﷺ : (خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا)[1] **، ... ويستند هؤلاء العلماء إلى ما فى الحديث من تورية .**

إن كثيرا من غير المؤمنين يصنعون خيرا للناس مثل صناعة الدواء ، واختراع الأجهزة ، وابتكار النظريات المفيدة فى الصناعة ، والزراعة ، والطب ، والاتصال ، والنهضة ... فكل هؤلاء وأمثالهم يثابون بأعمالهم فى الدنيا ، وان استمروا فى الكفر والضلال . أما أمر الآخرة فإن الأعمال مرتبطة بنواياها ، والكافر لم ينو فى عمله عند أدائه طاعة الله تعالى ، ولذلك كان القول بتأويل ظاهر الحديث هو الأولى ...

---

(١) صحيح البخارى . كتاب أحاديث الأنبياء . باب ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ ﴾ ج٤ ص١٤٧ .

ونلاحظ أن حكيم بن حزام ﷺ بعد سماعه الحديث من رسول الله ﷺ كرر الأعمال الخيرة الصالحة مرة أخرى بعد إسلامه فأعتق مائة رقبة ، وحمل على مائة ناقة ، واستمر فى صلة الرحم ، ومساعدة المحتاج ، والإعانة على نوائب الدهر ، وكأنه أول معنى الحديث ، واستدرك ما فاته .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب استقرار الغريزة الفطرية فى الإنسان ، وأن ما جبل على الخير يستمر بطبعه الغريزى بصورة عامة ولو تغيرت عقيدته ، ويبين أن الإسلام ينقل الخير السابق فى الجاهلية إلى مستوى جديد مشروع ، ويفيد المسلمين بالأعمال الصالحة أجرا فى الدنيا ، وثوابا فى الآخرة .

إن الكافرين يأخذون أجورهم فى الدنيا حيث الذكر ، وتعود عمل الخير والوصول إلى رضا الناس ، وتقوية فطرتهم إلا أن عدم ارتباط أعمالهم الصالحة بالإيمان يحرمهم من ثواب الآخرة ، فإذا أسلموا وتركوا الشرك والكفر استفادوا بما عملوا من عمل صالح قبل الإسلام فى حسن التوجه ، والمسارعة إلى الخير ، وسعة الرزق ، وهذا فضل من الله عظيم .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

تسامى الإسلام بأعمال الخير

لا يخلو الإنسان من عمل مستقيم ، فمعاشه يحتم عليه أن يتعاون مع الناس ، ويتأثر بهم ، ويأخذ منهم ، ويعطيهم ... كما يهتدى بعقله

لأمور تسهل له حاجاته ، مثل معرفة المرض ، واكتشاف الدواء ، والسيطرة على المخلوقات الضارة ... وجاء الإسلام وحياة الناس تسير فى طريقها الموجود فى الجاهلية فصبغها الإسلام بصبغته ، وكساها برونقه ، ووجهها نحو الغايات الرفيعة ، وعدل مسارها لتصير عبودية لله رب العالمين .

فالتحنث فى الجاهلية كان للأصنام فحوله الإسلام إلى عبادة الله المستحق للعبادة وحده ... والشجاعة البشرية كانت عند العرب أياما وقتالا فصيرها الإسلام جهادا فى سبيل الله ، وجعل الكرم إنفاقا وتصدقا .

وهكذا :

حول الإسلام طاقات الخير فى الإنسان إلى عبادة يتقرب بها الناس إلى ربهم ، وبهذا لا يصطدم الإسلام بطباع الناس وأخلاقهم ، وانما يسمو بالطبع ويجعل لكل عمل منطلقا ، وغاية ، لينبع من نية صادقة ، ويسير فى خط مرسوم يحقق المثوبة ، ويربط الإنسان بالله تعالى .

ومن أسس الشريعة المقررة أن الأعمال تتحول بالنية إلى عبادات ، وهذا ما فعله الإسلام بالإنسان ، فقد طهر باطنه ، وقلبه ، وزرع فيه الإيمان وجعل له موجها وحكما لأعمال الجوارح ، وقول اللسان وأكد ما قاله ﷺ : (وانما لكل امرئ ما نوى)[١] .

لقد استفاد الإسلام من طاقات الإنسان ، وملكاته ، وجعلها فى طاعة الله تعالى ... لقد تعود العرب على الكرم ، والشجاعة ، ونصرة القبيلة ، وطاعة شيخها فجاء الإسلام ودعا إلى أن تكون هذه الخصائص فى طاعة

---

(١) صحيح البخارى . المقدمة . باب بدء الوحى ج١ ص٦ .

الله تعالى فلما آمن القوم صاروا خير جند لله فى الأرض ، وأطاعوا الله ورسوله وأولى الأمر منهم ، وحولوا ذاكرتهم الحافظة إلى حفظ القرآن الكريم ، والمحافظة على السنة النبوية ، وبذلك جعلوا ماضيهم فى خدمة حاضرهم ومستقبلهم .

إن الإنسان لا ينفصل كليا عن ماضيه ، ولكنه يعدله ، ويرتقى به ... وعلماء التربية ينادون بدراسة الملامح الشخصية لكل إنسان لتوجيهه نحو ما يناسب خصائصه .

وحديث الباب يشير إلى أن الإنسان يستفيد من ماضيه لحاضره ومستقبله ، ولذلك نوصى الدعاة بدراسة الواقع ، وفهم اتجاهات المدعوين ، والوقوف على الظواهر الاجتماعية السائدة ، ووضع خطة عملية إسلامية لمواجهة الواقع ، والرقى به ، والاستفادة بالخصائص الذاتية ، وتوجيهها لتفيد صاحبها ، وتحوله إلى عنصر فعال فى خدمة الإسلام والمسلمين .

ومن هنا :

نؤكد على ضرورة الدراسات الإنسانية للاستفادة بها فى حركة المجتمع والناس ، والنهوض بالدعوة إلى الله تعالى .

الركيزة الثانية
الترغيب بالخير أولى

من طرق الدعوة إلى الله تعالى الترغيب والترهيب ، وهذا يعنى الترغيب فى الخير ببيان محاسن الطاعة ، وآثارها ، والتخويف من الأعمال السيئة بإظهار ضررها ، وتوضيح العقوبة التى أعدها الله للضالين المكذبين

وقد اختلف العلماء بأى من الترغيب والترهيب يبدأ الدعاة ؟ ...

والحق فى هذا الجانب هو المغايرة فى الحديث ليناسب المدعو ، فلكل مقام مقال ، ولكل حدث حديث .

فإن كان المدعو من العقلاء الفاهمين فإن الأفضل لهم تفصيل جوانب قضية الدعوة ، وايراد أدلتها ، واثبات أثارها فى صناعة الخير والجمال فى الحياة ، فإن هذا التفصيل كاف للعقلاء الفاهمين ، والعلماء الدارسين .

وان كان المدعو من عامة الناس ، وعنده ميل إلى الخير ، وهدوء فى الطبع ، واستعداد لسماع الدعوة ، والتجاوب مع الدعاة فإن هذا الإنسان يستفيد بالترغيب المنظم ، ويسارع إلى الطاعة ، وخير له أن يعلم الجزاء الجميل الذى سيكون له فى الدنيا والآخرة .

وان كان الإنسان من المغرورين المتكبرين الذين يزعمون فهم كل شيء وأنهم أعلم من غيرهم ، وبان منهم الكبر والتعالى فإن الأنسب لهؤلاء هو تخويفهم من عقوبة الله التى يستحقونها فى الدنيا ، وفى الآخرة ... وأمثال هؤلاء الناس مكذبو الرسل السابقين فقد أهلكهم الله تعالى ، وأبقى قصصهم نذيرا للطغاة والبغاة على طول الزمن .

وننبه :

إلى أن الترغيب والترهيب فن فى الدعوة إلى الله تعالى ، يحتاج إلى اختيار مرتب ، فلا يبدأ الدعاة به ، ولا يكثرون منه ، وعليهم أن يجعلوه تاليا للأدلة ، والبراهين لإثبات الموضوع .

ويمكن أن يأتى ذكر الترغيب والترهيب فى إطار قصة ثابتة لتكون العبرة فيه عملية .

ولا يصح الترهيب بفشل أحد من الأحياء ، والجائز هو إيراد قصص الناجحين للترغيب .

وحديث الباب واضح فى ترغيب رسول الله ﷺ لمن سأله ، فهو ﷺ لم ينف استفادتهم بأعمال الماضى ، ولم يؤكد لهم الفائدة ، وانما ورى وأشار إلى أنهم يستفيدون بها عمليا فى الدنيا ، فمن شب على شيء شاب عليه ، و (خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا) .

وواجب الدعاة أن يعلموا قبل أن يعملوا ... وأن يخططوا لأقوالهم قبل التحدث بها .

ومن الممكن الاستفادة بالترغيب والترهيب خلال دروس السيرة والتاريخ وقصص القرآن الكريم ، واسقاطها على واقع المدعوين .

إن القرآن الكريم ، والسنة النبوية باقيان مع الناس ، لتأكيد الهدى ، وصناعة النجاح ، ونشر دين الله تعالى ... ومنهما يؤخذ الدين ، وتؤخذ أساليب الدعوة إليه ؛ عسى أن يتذكر أولو الألباب .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يدل حديث الباب على بعض الفوائد ... منها :

(١) استعداد الولاة للإجابة على أسئلة الناس ، وتعريفهم الأحكام التى يرغبون معرفتها ، وذلك يحتاج إلى علم دقيق بالإسلام ، واطلاع شامل على حاجات المدعوين ، وفطنة تمكن الولاة والدعاة من توجيه الحكم نحو العمل الذى يناسبه .

(٢) جواز التقرب إلى المذنبين لدعوتهم إلى الحق ، وتعريفهم بدين الله تعالى ، فقد نزل الدين لصناعة الحياة ، واسعاد الناس وتحديد الصراط المستقيم ... وان لا فما فائدة نزوله ؟ ...

(٣) يلزم للدعاة أن يعدوا للحوار العدة ، ويستعدوا لتوجهاته ، ومسالكه ، ولا يصح ترك الحوار ليقوم على المصادفة ، وفى لسان العرب طرق شتى للوصول إلى المراد بلفظ جميل ، وأسلوب حسن ، وفى علوم البلاغة طرق عديدة للتعبير عن المعنى ، وتوصيلها إلى المستمعين

(٤) الإسلام لا يعارض الفطرة التى خلق الله الناس بها ، ولكنه ينميها ، ويسمو بها إلى ما يرضى الله تعالى .

ـ ٤٠ ـ

٥٤ ـ باب صدق الإيمان وإخلاصه

[٧٨] ، (١) ٣٤٢٩ حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ شق ذلك على المسلمين .

فقالوا : يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه ؟

قال ﷺ : ليس ذلك ، إنما هو الشرك ؛ ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿ يَـٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[1] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن المراد بالظلم فى قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ **الشرك بالله تعالى ، وأن سائر المعاصى بعد ذلك ليست هى الظلم المراد فى الآية .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٠ كتاب الأنبياء : ١ باب قول الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَـٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ** ﴾ .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ : (لما نزلت) الآية ؛ أى : عندما نزل قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ ، شق ذلك على المسلمين) **أى صعب ذلك على أصحاب النبى ﷺ ، وتألمت نفوسهم لنزول الآية ؛ لأنهم فهموا أن المراد بالظلم معناه العام ، وهو وضع الشىء فى غير موضعه ، ومخالفة الشرع فى أى صور من صور المخالفة ، صغيرة كانت أو كبيرة ، مرتبطة بالعمل ، أو بالاعتقاد ، أو بالأخلاق ، فشق عليهم ذلك ؛ لأن كل واحد من الصحابة ومن سائر الناس قد يقع فى خطإ ما ، والعصمة لرسول الله وحده من البشر .**

(فقالوا) **أى : قال الصحابة لرسول الله ﷺ :** (يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه) **؟ ... أى : أى واحد منا ، ومن سائر المسلمين يمكنه تجنب المخالفات الشرعية على إطلاقها صغيرة كانت أو كبيرة ؟**

والاستفهام إنكار منهم لما فهموه من ظاهر الآية .

يقول الخطابى : إنما شق ذلك على الصحابة ، لأن معنى الظلم العام هو الافتيات على حقوق الناس ومعاملتهم بغير ما أمر الله به ، وكلهم ظلموا أنفسهم بارتكاب شيء من المعاصى ، أيا كانت هذه المعاصى[1] **.**

وظاهر اللفظ يفيد عموم الظلم فيشمل الصغائر والكبائر من المعاصى.

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص١٤٣ .

فإن قيل : **لم لم يفهم الصحابة معنى الظلم كما دلت عليه الآية ؟**

أقول : **إن الصحابة كانوا يرون شناعة الشرك ، ولم يسموه ظلما ، وكانوا يرون الشرك كفرا ، ويسمونه به ، ويرون بقية المعاصى ظلما ، فلما نزلت الآية فهموا معناها بفهمهم العام .**

(قال) **رسول الله ﷺ لهم** : (ليس ذلك) **أى : ليس المراد بالظلم فى الآية معناه العام كما فهمتم بل هو مقيد ، ويخص ظلما معينا .**

(إنما هو الشرك) **أى : المراد بالظلم فى الآية الشرك بالله تعالى .**

(ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾) **أى : إن المراد بالظلم الشرك بالله تعالى .**

واستدل رسول الله ﷺ على تقييد الظلم بقول الله تعالى على لسان لقمان عليه السلام وهو يعظ ولده ، فقد عرفه بأن الشرك ظلم كبير ، فمن آمن بغير الله تعالى فهو من الظالمين .

وبهذا البيان اطمأن الصحابة ، وعلموا أن لهم الأمن والهداية ؛ لأنهم برءاء من الشرك والكفر بالله تعالى ، وأنهم مقبلون على الله ، راغبون فى التوبة ، والتخلص من أى إثم وقعوا فيه .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب صدق إيمان الصحابة رضوان الله عليهم ، وحرصهم على طاعة الله وارضائه وهو يأمرهم بطاعته والانتهاء عن ما نهى عنه فى واقعية وفهم للفطرة البشرية .

إن الإنسان ليس ملاكا ، وانما هو آدمى تتجاذبه عوامل الخير ، وعوامل الشر ، ومعه نفسه الأمارة بالسوء ونفسه المطمئنة ، ومعه شيطانه وغرائزه وفيه ميله للخير ، وحسن الخلق ، ولذلك أقر الصحابة بوقوعهم فى المعاصى ، وسألوا رسول الله ﷺ ليخبرهم عن واحد من الناس لم يظلم نفسه بإحدى صور الظلم العام .

وقد أقبل الصحابة على رسول الله ﷺ منزعجين من فهمهم لقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ **فقد تصوروا أنهم لن يتمتعوا بالأمن والهداية أبدا ؛ لأن وقوعهم فى المعاصى أمر وارد لكل إنسان ، حيث لا عصمة لواحد منهم .**

وهنا بين رسول الله ﷺ لهم أن المعنى الذى فهموه من الآية ليس هو المراد ، وانما المراد بالظلم ظلم خاص وهو الشرك بالله ، واستدل لهم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ **فهدأت نفوسهم ، واطمأنت قلوبهم ، وعاشوا فى رحمة الله آمنين .**

والحديث يبين شفقة رسول الله بأمته ، وذلك بسرعة تفهيمهم لما شغلهم مستدلا بكلام الله تعالى ... كما توضح لجوء الصحابة إلى رسول الله حين شغلهم أمر ، كما يؤكد حقيقة مطلقة ، وهو أن الله لن يكلف نفسا إلا وسعها ، والله غفور رحيم ، وأنه سبحانه خلق الحسنات والسيئات ، وأن الحساب شامل لهما ، والجزاء مترتب عليهما . يقول الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨

فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝ ﴾[1] .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب رحمة الله بعباده، وتكليفهم بما يطيقون، وأنه سبحانه لن يكلفهم بما ليس فى وسعهم، ويوضح ضرورة العلم بدين الله تعالى ، وضرورة اللجوء إلى العلماء ، وأولى الرأى لفهم الدين على وجهه الصحيح .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى
وضوح الطريق إلى الله تعالى

خلق الله الناس ، وجعل لهم فى الأرض معاشا وسكنا ، وأرسل لهم الرسل ، وعاملهم بوسعهم وطاقتهم ، وقضى بمثوبتهم على الطاعة ، ومعاقبتهم على المعاصى ... وأمرهم بتجنب الظلم ، فلكل أمر مستقر ، ولكل فعل حكم ، ولكل حدث حديث .

ومن المعلوم أن الظلم هو وضع الشيء فى غير موضعه ، ومخالفة أوامر الله تعالى ، والخروج عن تعاليم الإسلام فى أى أمر من الأمور ، ولذلك فهو متنوع ومتعدد يشمل الصغائر والكبائر جميعا ، وقد درج الصحابة رضوان الله عليهم على تسمية الشرك كفرا ، وتسمية ما عداه من

---

(١) سورة القارعة ، الآيات ٦ . ١١ .

المعاصى ظلما ، فلما نزل قول الله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[١] **خافوا على أنفسهم لأنهم ظنوا أن المراد بالظلم أى معصية صغرت أو كبرت ، فتألمت نفوسهم ؛ لأنهم رأوا وقوع كل منهم فى المعاصى ، وعدم خلو أحدهم منها .**

هنا عرفهم رسول الله ﷺ الطريق إلى الله ، وهو أن المراد بالظلم فى الآية الشرك فهو أظلم الظلم ، وأعظمه ... وعرفهم أن الإنسان بصورة عامة غير معصوم من الخطإ ، وأن الله عليم بعباده ، ولقد عرفهم النبى ﷺ طريقة الرجوع إلى الله ، وتنقية النفس من شوائب الضعف ، ونزغات الشيطان ، وذلك بالرجوع إلى الله ، والتوبة النصوح .

إن الطريق إلى الله تعالى يكون بالتزام الطاعة ، والاستسلام لله تعالى ، والتذكر الدائم له سبحانه ، وعدم اليأس من حالات الضعف التى تدفع الإنسان إلى المعاصى ، وليقوى أملهم فى الله فإن الله يحب من عباده التوابين ... يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴾[٢] **، ويقول سبحانه :** ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ ﴾[٣] **... ويقول النبى ﷺ :** (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)[٤] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٢٢ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٧٠ .

(٤) سنن الترمذى . كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق . باب .... ج٤ ص٦٥٩ .

ومهمة الدعاة توضيح الطريق إلى الله لتحقيقه فى حياة وأعمال الناس :

- ليعلموا أن الإسلام علم وعمل ، وهداية وسلوك ، والمسلم ملتزم بهذا ، وعازم على تحقيق الإسلام فى نفسه قولا وعملا .
- وأن الحقوق مصانة ، وحفظها واجب سواء كانت لله أو للناس .
- وأن لكل خطإ عقوبة ، ولكل ظلم جزاء وباب التوبة مفتوح ، والله يغفر الذنوب جميعا .
- وأن عفو الله ورحمته شاملة لكل تقصير ما عدا الشرك به سبحانه .

الركيزة الثانية

مسئولية الآباء فى التربية

يوضح حديث الباب ما كان من لقمان عليه السلام مع ابنه ؛ حيث حرص الأب على تربية ابنه ، وعظته ، وتوجيهه التوجيه السليم ، فلقد نهاه عن الشرك بالله ، وأمره بتحسين العمل والخلق ، وبذلك وضع لقمان أسس تربية الأبناء ، وتوجيه الآباء نحو واجبهم التربوى ، وتنشئة أبنائهم على الخلق الكريم ، وحسن المعاملة ، والإيمان بالله تعالى .

وجاء القرآن الكريم بيانا لنصيحة لقمان عليه السلام وداعيا لاتباعها فهى من وحى الله والهاماته لرسله وللناس ... وبعث محمد ﷺ بها ليبلغها للناس ، وليكونوا بها خير أمة أخرجت للناس .

إن الأبوة تعنى المسئولية ، والبنوة تحتاج إلى الرعاية ، ولا يتحمل رعاية الصغير إلا أبواه ، فهما يتحملان المشاق من أجله ، ويتعب الأب ويسعى لكسب ما تحتاجه أسرته ، وتعيش الأم ألم الحمل والولادة والإرضاع من أجل هذا الوليد .

لا أتصور إنسانا يتحمل المشاق التى يتحملها الوالدان من أجل ولدهما ، ولا أتصور ابنا ينشأ صالحا من غير توجيه أو رعاية .

إن الله وضع فى قلوب الآباء والأمهات من الرحمة والحنو على الولد ما يجعلهما يصبران على أى أذى يلحق بهما من أجله ... إنهما مستعدان للجوع من أجل إشباعه ، وللتعب من أجل راحته ، وللغربة والشقاء من أجل تهيئة جو طيب لسعادته ، ويسره .

وللتربية فى الإسلام منهج كامل ، نسأل الله تعالى أن يوفق الآباء له ليتمكنوا من القيام بمسئوليتهم ، ويعينهم فى إيجاد المجتمع الخير للناس أجمعين .

ومسئولية الدعاة هو توجيه الآباء إلى مسئوليتهم نحو أبنائهم ، وتربيتهم ، وزرع الإيمان فى قلوبهم ليتعودوا من صغرهم على طاعة الله ، وأداء الواجب ، والمحافظة على الحقوق .

إن الولد أمانة فى عنق أبويه ، فهو كالشمعة القابلة للنقش والصياغة ، ونهضة الأمم تتم بنهضة بنيها ، ولذلك وجب على كل وسائل التربية والتوجيه أن يقوم بدورها فى التربية على ضوء برنامج منظم لتحقيق الإصلاح للفرد والجماعة .

الركيزة الثالثة

الإنسان والفطرة

خلق الله الإنسان بفطرة سوية ، وعلى نهج مستقيم ، ومكنه من طاقاته وملكاته شيئا فشيئا ، فهو يخرج من بطن أمه لا يدرك شيئا ، ومع امتداد عمره تظهر مكونات شخصيته بعد ذلك . يقول الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ

أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[١] .

إن الفطرة مركوزة فى الجنين وهو فى بطن أمه ، ولولا المؤثرات الخارجية لبقى على فطرته ، واستمر على صلاح وتقى ، إلا أنه يتأثر بوالديه وبكافة عناصر البيئة التى ينشأ فيها ... يقول النبى ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه**)**[٢] **... ومع تأثير العوامل الخارجية فى الصغير تبقى معه ملامح فطرته .**

لقد فطر الله النفس البشرية على أن تتأثر بغيرها ، وتؤثر فيه ، وعلى استعداد لقبول الخير والشر ، وعلى أحوال شتى من الضعف والقوة فهى فى ضعفها تنقاد للوساوس ، وتخضع للشهوات ، وترضى بما يزين لها من منكرات ... وهى فى قوتها تصمد أمام الباطل ، وتقاوم الظلم والعدوان ، وتقبل الموت من أجل الحق ، وتعلم أن الحياة عقيدة وجهاد ، ولذلك قدر الله تنمية الفطرة ففتح أمامها باب التوبة ، وخوفها من العذاب ، وأطمعها فى الرحمة والمغفرة ، ودخول الجنة .

وحديث الباب أحد علامات قدر الله مع فطرة الإنسان ، لأن كل إنسان تعتريه لحظات ضعف كما تأتيه لحظات قوة ، ولذلك جعل الله التوبة بابا يلجه المذنبون ، ويتطهر به الآثمون مما وقعوا فيه .

---

(١) سورة النحل ، الآية ٧٨ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الجنائز . باب ما قيل في أولاد المشركين ج١ ص١٠٠ .

إن الله خلق الإنسان ، وهو يعلم ما توسوس به نفسه ، ويعلم ما معه وما حوله من شياطين الإنس والجن ، ويعلم أن المنكرات شديدة التأثير فى النفس الأمارة بالسوء ولذلك فتح الطريق للتخلص من المعاصى التى يقع فيها الإنسان فى حالات ضعفه ، وتلك رحمة من الله تعالى بعباده .

إن الحسنات يذهبن السيئات ، والتوبة الصادقة ترفع المعصية ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما ، والفضل كله لله رب العالمين .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يستفاد من الحديث ما يلى :

(١) الظلم درجات متفاوتة ، وأعظم الظلم الشرك بالله تعالى ، ومسمى الظلم يعم الصغائر والكبائر .

(٢) النكرة فى سياق النفى تعم ، لأن الصحابة فهموا من تنكير الظلم فى قوله تعالى : ﴿ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾ **يشمل أى ظلم يقع منهم على عمومه ، ومن المعلوم أن العام يبقى على عمومه حتى يخصص بدليل يماثله أو بدليل أقوى منه ، ولذلك بين لهم رسول الله ﷺ أن هذا العموم مخصص بقوله تعالى :** ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ **فعلموا أن المراد بالظلم فى الآية الشرك بالله تعالى ، ومما يدل على بقاء العام على عمومه حتى يخصص أن رسول الله ﷺ لم يخطئهم فى فهمهم ، وانما ذكر لهم دليل التخصيص .**

(٣) الخاص يحدد العام ، والمبين يوضح المجمل ، والمقيد يفصل المطلق

(٤) جواز تأخير البيان إلى وقت الحاجة إليه ، فقد دلت الآية على أن البيان والتقييد يمكن تأخيره إلى وقت الحاجة إليه ، وهو أولى فى تحقيق الفائدة ؛ لأن المحتاج لأمر يسعى إليه ، ويكون مستعدا لقبوله ، ولذلك بين رسول الله ﷺ أن المراد بالظلم الشرك حين احتاج الصحابة إليه فسعدوا به .

(٥) تحقيق الأمن قد يكون فى الدنيا إذا تجنب صاحبه المعاصى ، وتاب عنها وقد يتحقق فى الآخرة بعد أن ينال العاصى عقوبة معاصيه فى الدنيا ، وفى الآخرة .

(٦) الشرك والمعاصى ظلم ، ويجب التفريق بينهما فالشرك ظلم لا غفران معه ، ويخلد صاحبه فى النار ، وسائر المعاصى بعدها على أمل مغفرة الله لصاحبها ، ولا تخلد فى النار ، ولذلك حسن تقسيم الظلم إلى شرك ، ومعصية ، ولا يسمى أحدهما باسم الآخر .

(٧) القرآن يفسر بعضه بعضا ، وأعلى درجات العلم بكتاب الله ما دلت عليه الآيات ، لأن القائل يعلم مكنون حديثه ، ومراده من كلامه فإن فسره فهو الحق ، وهو المراد .

(٨) حكم الله هو الحكم ، ووحيه شرع لدين الله تعالى .

(٩) تأكيد ارتباط الصحابة رضوان الله عليهم بحكم الله تعالى ، ورضاهم به فلقد تألموا أولا لصعوبة التكليف إذا بقى الظلم على عمومه ، وسعدوا به بعد أن بين رسول الله لهم أنه ظلم مخصوص ، وهو الشرك الذين برأهم الله تعالى منه .

(١٠) ضرورة حماية حق المسلم فى الحوار والمناقشة للوصول للحق كما فعل الصحابة مع رسول الله ﷺ ، فقد جادلوه بالحسنى ، وبحثوا عن الاقتناع والرضى حتى وجدوه .

ـ ٤١ ـ

٥٦ ـ باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر

[٧٩] ، (١) ٥٢٦٩ حديث أبي هريرة ﷺ ، عن النبي ﷺ قال : إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين الحديث أن رحمة الله تعالى بعباده واسعة ، وشاملة ، ولذلك يتجاوز للمؤمن عن حديث النفس وخواطرها ما لم تستقر الخاطرة فى القلب ، وتتحول إلى احتمال ، ومنهج للعمل والسلوك .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبى ﷺ : (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها) **أى : إن الله تعالى لا يؤاخذ الإنسان بحديث النفس ، وخواطرها مادام حديثها كامنا فيها ولم يخرج إلى العلن ، ويراه ويسمعه الناس .**

وحديث النفس **هو مجموعة الهواجس التى تتردد فى القلب ، والضمير وتجعل صاحبها يفكر فى أمور عدة ، ومراتبها أربع هى :**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٨ كتاب الطلاق : ١١ باب الطلاق في الإغلاق .

المرتبة الأولى : مرتبة الأحلام ، **وهى مرحلة الأمنيات التى يتمناها الإنسان فى نفسه مع تصور بعد حدوثها ، كتمنيات الفقير المحتاج أن يكون غنيا ، وكتمنيات عبد ضعيف فى أن يتزوج ملكة فى الجمال والغنى .**

إن تحقيق هذه الأحلام مستحيل عقلا ، وواقع فعلا . فكم من الناس من نشأ ضعيفا فقيرا ، وإذا بمعونة الله توفقه للعلم والغنى ، وتحقيق الحلم ، ولذلك كانت هذه المرحلة وكان تعلقها بالأحلام البعيدة عن التحقيق .

المرتبة الثانية : مرتبة الخواطر ، **وهى مرحلة تتحول فيها الأمانى إلى صورة نفسية محددة ، يمكن الوصول إليها بعد جهد وعمل ، وفى هذه المرحلة يبتعد العقل عن المستحيلات ويفكر فى المسائل الممكنة ، وينشط فى تصورها .**

المرتبة الثالثة : مرحلة الاحتمال ، **وهى مرحلة التردد والتفكير فى طرق تحصيل الأمنية مع تصور إمكانية التحقيق ، وفيها إقبال وتوقف ، وقصد وترك ، واحساس بالقرب والبعد معا .**

المرتبة الرابعة : مرحلة الهم ، **وهى مرحلة التركيز الجاد على تحقيق الأمنية بلا توقف ، وبذل الجهد الفكرى لتحقيقها ، والرغبة فى تحصيل الأمنية**

المرتبة الخامسة : مرحلة العمل والتحصيل ، **وهى المرحلة التى يكون فيها العمل لتحقيق الأمانى برغبة ، واقدام ، وقصد ، وتخطيط .**

والمراتب الثلاث الأولى لا يؤاخذ الله الإنسان عليها ؛ لأنها لا تتعدى الخواطر التى تدور فى النفس ، ولا يشعر بها إلا صاحبها ، ولها صوتها الذى لا يمكن لصاحبها التحرز منها .

أما المرتبة الرابعة **فهى معفو عنها ما لم تتحول إلى عمل وتطبيق فإن تحولت إلى عمل وعزم ، انتقلت إلى المرحلة الخامسة وهى التى يحاسب الله الناس عليها .**

استدل القائلون بالمؤاخذة على الهم والعزم والعمل بقوله تعالى :

- ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾(١) .
- ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾(٢) .
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٣) .
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾(٤) .

وبقوله ﷺ : (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٢٥ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٣٥ .
(٣) سورة النور ، الآية ١٩ .
(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٢ .

فقلت (أى أبو بكر ﷺ) : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟

قال ﷺ : إنه كان حريصا على قتل صاحبه)[١] .

وذهب العلماء إلى أن سيئة الهم غير سيئة العزم ؛ فسيئة الهم تبقى فى إطار ضيق لا يدرى بها أحد ، ويمكن تجاوزها ... أما مرحلة العزم فهى مرحلة العمل والتنفيذ وعليها يكون الحساب والجزاء .

واستدل القائلون بالعفو عن المراتب الأولى بحديث الباب لدلالته على عدم مؤاخذة النفس عن خواطرها ، وأمانيها ما لم تخرج إلى العلن قولا كالغيبة ، والنميمة ، والكذب ، وقول السوء ، أو عملا بالجوارح كالزنا والسرقة ، والقتل ، والعدوان .

فإن قيل : **هل يؤاخذ الإنسان بحديثه الذى يمدح به نفسه ؟**

أقول : **لا تدخل حكاية الرجل عن نفسه فى الكلام الذى يؤاخذ به ، لأن الحكاية عن النفس لا تسىء لأحد ، أما القول الذى يؤاخذ صاحبه به فهو الكلام الضار، كالشتم والسب والعدوان والغيبة والنميمة ... إلخ. أما إن مدح نفسه ليغش غيره، أو يدلس عليه، أو ليشهد له زورا فإنه يؤاخذ بذلك**

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

يبين حديث الباب رحمة الله بعباده ، وتكريمه لهم ، ومعرفته بطبائعهم وضعفهم فلم يؤاخذهم بحديث النفس ، وانما عفا عنهم مادام الحديث قاصرا على داخلة المتكلم ، أو مادحا نفسه بلا أدنى ضرر لأحد .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الإيمان . باب ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ ج١ ص١٥ .

وأكرمهم الله تعالى بما تفضل عليهم فقدر الحسنة بعشر أمثالها ، وقدر السيئة بمثلها فقط ، وبما قضى به فى جعل التوقف عن الهم بالسيئة حسنة ، وأن مجرد الهم بالحسنة حسنة ولو لم يفعلها صاحبها .

إن هذه المعانى تجعل المسلمين المستقيمين خير أمة للناس ، لأن كل فرد فيها يتحرز من إيذاء غيره ، ولا يسىء لأحد ، وانما يحب غيره كنفسه ، ويسلم الجميع من لسانه ويده .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن الله لا يؤاخذ النفس على ما تحدث به نفسها ، ويحذرها فى أعمال السوء التى تضر وتؤذى إذا نطق بها اللسان ، أو ظهرت بها الجوارح .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن الحديث ركيزة هامة ... هى :

حياة الإنسان
بين يدى الخالق سبحانه وتعالى

الله خالق الناس ، وهو عليم بهم ، ومحيط بخواطرهم ، وأمانيهم الباطنة قبل أن تخرج للعمل والسلوك .

وقد قدر الله للإنسان أن يتكون من جسد ملموس ، وجوارح مدركة ، ومن عقل يفهم دلالات الحواس ومعانيها ، ويستنبط منها غيرها ، ويتجرد فى تصورات لها صلة بالمحسوس غير أنها بعيدة عنها .

ومن عواطف ترتبط بالوجدان والروح ، وتهيم فى عالم غائب عنها زمانا ومكانا .

من خلال هذه العناصر يعمل الإنسان ، ويتكلم ، ويسعى ، ويدرك ، ويتصور ، ويهيم مخترقا الزمان ، والمكان ... كما يمكنه أن يتخيل ، ويظن ... وهو فى كل حالاته يتمنى ويحلم ، ويعمل ويرجو ، ويتجول فى عالم خيالى فيه الأحلام ، والأمانى ، والظنون ، والوساوس .

ينتقل الإنسان بتصوراته من الأرض إلى السماء ، ومن عالم المعقول إلى عالم اللا معقول ، ومن مكونات المادة إلى سبحات الروح والوجدان .

ولو يؤاخذ الله الناس بأعمالهم ، وبخواطرهم ، وأحلامهم ما خلص أحدهم إلى الخير ، ولاستحقوا جميعا غضب الله تعالى ، وعذابه الأليم .

إن الإنسان بين يدى الله تعالى يعلم كل ما يقوم به من ماديات محسوسة أو معنويات معقولة ، أو صور متخيلة ، ويملك الخالق عباده ، ويقدر لهم ما يميلون إليه ، وييسر لهم ما يرجون وفق إرادته وحكمته . يقول الله تعالى : ﴿ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[1] .

إن الله خالق الإنسان وهو عليم به وهو سبحانه المقدر لما يناسبه ، ولذلك ابتلاه ، واختبره لإظهار ما هو فيه بأمور يقدر عليها ، ويستطيع أن يتمناها ، ويعمل لها ... وتلك رحمة من الله تعالى فلم يؤاخذ الإنسان بخواطره النفسية ، وأمانيه القلبية مادامت بعيدة عن العزم والتصميم ، وجعل مؤاخذته على العزم والعمل الذى يراه الناس ، ويتعاملون به .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٤٩ .

ومن تمام رحمة الله تعالى **أن جعل الحكم بين الناس على الأعمال الظاهرة ، والقضايا المعلومة ، وبذلك ينجو الإنسان من المعاقبة على ما لا يقدر عليه ... والله بعباده رحيم ، وهو العزيز الحكيم .**

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يؤخذ من الحديث بعض الفوائد ... منها :

(١) الله رحيم بعباده ، ولذلك كلفهم بالمستطاع الممكن ، وقضى بعدم مؤاخذتهم بغير الممكن .

(٢) فى الحديث خصوصية للأمة الإسلامية ؛ فقد تجاوز الله لهذه الأمة عن حديث النفس ، وخواطر الضمير ، وانما قضى بمحاسبتها على أعمالها الظاهرة المتصلة بالناس كما هو ظاهر الحديث .

(٣) رسول الله ﷺ هو مبعوث الله للناس ، وهو مصدر البشرى والفلاح للأمة الإسلامية .

(٤) يدل الحديث على أن الملائكة تحصى خواطر الإنسان ، وأمانيه ، وأقواله ، وأعماله بأمر الله تعالى ، والله يفعل ما يشاء .

(٥) يستحب للمسلم أن يملأ قلبه بذكر الله تعالى ، ويستمر على الذكر والاستغفار ليترك الأفكار الضارة ، والخيال الكاذب ، لأن النفس إن لم يشغلها صاحبها بالحق شغلته بالباطل .

(٦) يجب تحكم العقل الواعى فى النفس الأمارة بالسوء وأن يمنعها من التمادى فى السوء الذى تنشده وتدفع صاحبها إليه .

ـ ٤٢ ـ

٥٧ ـ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب

[٨٠] ، (١) / ٤٢ حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أحسن أحدكم إسلامه ، فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ، وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها[١] .

[٨١] ، (٢) / ٦٤٩١ حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ، فيما يروي عن ربه عز وجل .

قال (ابن عباس ﷺ) : قال : (النبى ﷺ) إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات ، إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، ومن هم بسيئة فلم يعملها ، كتبها الله له عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب مدى رحمة الله بعباده فى كتابة الحسنات والسيئات .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٢ كتاب الإيمان : ٣١ باب حسن إسلام المرء .

(٢) أخرجه البخاري في : ٨١ كتاب الرقاق : ٣١ باب من هم بحسنة أو بسيئة .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (إذا أحسن أحدكم إسلامه) **أى : إذا أسلم أحدكم إسلاما حقيقيا ، ودخل فى دين الله تعالى بعقيدة صادقة ، وعمل شرعى مستقيم ، وتخلق بالخلق الكريم الذى أمر الله به .**

والحسن فى الإسلام درجة يصل إليها المقربون ، فهو كما قال النبى ﷺ : (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإن يراك)[1] .

(فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها) **أى : إذا عمل المسلم الذى حسن إسلامه عملا صالحا يكتب الله بكل حسنة عشر أمثالها ، ويثاب عليها يوم الجزاء ... وذلك الحكم موافق لقوله تعالى :** ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾[2] **أى : من أتى بعمل صالح حسن يكتب فى صحائف عمله بعشر حسنات ، ويثاب عليها يوم الجزاء .**

والأمثال العشرة فى الجزاء تشمل حسنة الهم التى يستحقها المسلم حين يهم بالحسنة ، فإذا عمل ما هم به يكمل الجزاء عشرة أمثال العمل الصالح .

(إلى سبعمائة ضعف) **أى : إن الجزاء الحسن على العمل الصالح لا يقف عند عشرة أمثاله ، وانما يضاعفه الله للمحسن حتى يصل به إلى سبعمائة ضعف .**

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الإيمان . باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان ج١ ص١٩ .
(٢) سورة الأنعام ، الآية ١٦٠ .

والمضاعفة إلى سبعمائة تكون للحسنة الواحدة ليصل جزاؤها إلى سبعمائة ... ويجوز أن تكون المضاعفة للحسنات العشر ليصل الجزاء إلى آلاف مؤلفة ، وعن هذا الاحتمال . يقول النبى ﷺ فى الحديث الثانى : (إلى أضعاف كثيرة) **وفى إحدى روايات ابن ماجه :** (إلى ما شاء الله)[١] .

ومضاعفة الجزاء يكون بسبب ما فيه من الإخلاص ، وصدق العزم ، وحضور القلب ، وتعدى النفع إلى الغير ، وكثرة الفائدة مثل الصدقة الجارية والعلم النافع ، والسنة الحسنة ، وشرف العمل ... ونحو ذلك .

وقال بعض المحدثين : إن العمل الذى يضاعف الله به الحسنات إلى سبعمائة ضعف خاص بالنفقة فى سبيل الله ، واستدلوا بقوله ﷺ : (من عمل حسنة كانت له بعشر أمثالها ، ومن أنفق نفقة فى سبيل الله كانت له بسبعمائة ضعف)[٢] **والاستدلال بهذا الحديث على أن مضاعفة الجزاء إلى سبعمائة ضعف لمن أنفق فى سبيل الله لا يمنع هذا الجزاء عن غير هذا العمل . فقد دلت نصوص كثيرة على مضاعفة الأجر بصورة عامة ، ومنها قوله تعالى :** ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٣] **... ويقول النبى ﷺ :** (كل عمل ابن آدم يضاعف الله الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة)[٤] **وفضل الله واسع والله ذو الفضل العظيم .**

---

(١) سنن ابن ماجه . كتاب الصيام . باب ما جاء في فضل الصيام ج١ ص٥٢٥ .
(٢) مسند ابن أبى شيبة ج٢ ص٢٥٣ .
(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٦١ .
(٤) صحيح مسلم . كتاب الصيام . باب فضل الصيام ج٢ ص٨٠٧ .

إن مضاعفة الجزاء إلى سبعمائة ضعف أمر محقق ، وزيادة الأجر عن هذا القدر أمر محتمل ، والأمل فى عطاء الله كبير ، يدفع صاحبه إلى رجاء أن يصير المحتمل محققا .

(وكل سيئة يعملها تكتب له بمثلها) **أى : وكل سيئة يعملها المسلم يعاقب بمثلها فقط ، وهذا من فضل رحمة الله تعالى على هذه الأمة ، لأنه لولا ذلك لعذب جميع المسلمين ، ولحرم الجميع من دخول الجنة ، لأن عمل السيئات أكثر من عمل الحسنات ... فلولا مضاعفة جزاء الحسنات لغلبتها السيئات ، ولهذا رحم الله عباده بمضاعفة جزاء الحسنات دون السيئات .**

ومن عظيم فضل الله ورحمته **أن جعل الهم بالسيئة جزءا من عملها ليكون الجزاء على الهم بالسيئة وفعلها سيئة واحدة ، وجعل لمن هم بالسيئة ولم يعملها حسنة بتركها إن كان تركها خوفا من الله تعالى .**

ومن عظيم فضل الله ورحمته **أن جعل جزاء السيئة بمثلها ولو اشتدت فى الجرم ، كما ذهب إلى ذلك جمهور العلماء حيث قالوا : إن جزاء السيئة يعظم ولا يتعدد .**

ومن عظيم فضل الله ورحمته **الإثابة على الهم بالحسنة ، وعدم المؤاخذة على الهم بالسيئة كما يدل على ذلك قوله تعالى :** ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[1] **حيث بينت الآية أن النفس تنال جزاء ما عملت من خير . أما السوء فلابد له من الافتعال ، والتكلف ، والبذل .**

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦ .

وقد قال النبى ﷺ فى الحديث الثانى : (إن الله كتب الحسنات والسيئات) **أى : أمر الله الحفظة أن تكتب ما قدر الله حدوثه فى الواقع على طول الزمن سواء كان خيرا أو شرا ، صالحا أو طالحا ، ومع جميع الخلق .**

وصدر الحديث يؤدى إلى احتمال أن يكون الحديث قدسيا على تقدير (قال الله عز وجل : إنه كتب الحسنات والسيئات) وهو تقدير محتمل ... كما يدل الحديث على أنه خبر من رسول الله ﷺ ، ولا منافاة بين الاحتمالين ؛ لأن رسول الله لا ينطق عن الهوى ، وكل ما يرويه هو وحى جاءه من الله تعالى .

(ثم بين ذلك) **أى : فصل الله الحكم فى الحسنات والسيئات التى قدرها وقضى بها .**

(فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة) **أى : إذا أراد ، وعزم على عمل الحسنة ، واستقر قلبه على إرادتها إلا أنه لم يتمكن من عملها كتبها الله له حسنة كاملة يجازيه بها فى جنات النعيم .**

وقد دل على عظم هذه الحسنة ، وشرفها والعناية بها أن الله كتبها (عنده) **، وأنه قدرها** (كاملة) **عنده .**

إن الهم والعزم عمل قلبى خالص ، ولذلك دل الجزاء على اطلاع الله على ما فى القلوب ، وأن القلب قد يهم بالفعل ، وقد يرجع عن همه بسبب ذاتى ، أو بسبب خارج عنه ، والله بكل شىء عليم .

(فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات) **أى أن الله يجازى المحسن بهمه وعمله عشر أمثاله .**

(إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة) **أى : يضاعف الله الحسنات إلى سبعمائة ضعف ، ثم إلى ما يشاء الله من أضعاف كثيرة تبلغ آلافا مؤلفة إن عد الجزاء الحسن بالمتواليات العددية .**

(ومن هم بسيئة فلم يعملها ، كتبها الله له عنده حسنة كاملة) **أى : ومن هم بسيئة وعزم عليها ، وتمكن منها ، ثم تركها خوفا من الله تعالى ، وطاعة لتعاليم دينه تكتب له عند الله حسنة كاملة ؛ لقوله ﷺ فى الحديث القدسى الذى رواه ﷺ عن ربه :** (إذا أراد عبدى أن يعمل سيئة فلا تكتبوها عليه حتى يعملها ، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وأن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة)[1] .

وقيد الترك المؤدى إلى الحسنة بأنه لأجل الله تعالى ، فمن ترك السيئة لسبب خارج عنه ، لا ثواب له ، كمن يمشى إلى امرأة ليزنى بها فيجد الباب مغلقا ويتعسر فتحه ... ومثل من تمكن من الزنا إلا أنه لم ينتشر ... ومثل من رمى طفلا بحجر ليقتله ، إلا أنه قتل ثعبانا كاد أن يقتل الغلام ، ولذلك كان توافق النية مع العزم والترك قيد فى الحسنة التى يجزى الله بها تارك المعصية .

يقول ابن الجوزى : إذا حدث المرء نفسه بالمعصية لم يؤاخذ بحديثه ، فإن عزم ، وصمم ، وزاد على حديث النفس بالعزم عوقب ، لأن العزم إصرار على الفعل ، وهو أعلى درجات عمل القلب .

---

(١) صحيح البخارى . كتاب التوحيد . باب قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا ﴾ ج٩ ص١٤٤ .

والدليل على التفريق بين الهم والعزم : أن من كان في الصلاة فوقع في خاطره أن يقطعها لم تنقطع ، فإن صمم على قطعها ، بطلت ؛ فحديث الخاطر معفو عنه ، والعزم والتصميم معاقب به .

(فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة) **أى إن المسىء إذا هم بالسيئة وعملها كتب الله له بالهم والعمل معا سيئة واحدة لا تتعدد ، ولا تتضاعف . يقول الله تعالى :** ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا ﴾[1] .

و (واحدة) **وصف لسيئة يؤكد أن للهم والعمل معا سيئة واحدة ، واذا انفرد أحدهما فهو سيئة واحدة لا تزيد .**

وبهذا الحكم تظهر رحمة الله بعباده ، ودعوتهم إلى الإيمان .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

ما أعظم رحمة الله بعباده فقد خلقهم ، ورزقهم ، وأرسل لهم رسله يدعونهم إلى الصراط المستقيم ، وأمرهم بالإحسان ، وشرع لهم ما يناسب طبيعتهم ، ويأخذهم إلى الفوز والفلاح فى الدنيا وفى الآخرة .

لقد علم الله ظاهر الإنسان ، وباطنه ، وعلم ما يدور فى النفوس من هواجس ، وخواطر ، وخلجات ، وأحاط علم الله بكل فعل يريده الإنسان ، وبسائر ما هو خارج عن إرادته ، ولم يكلفه إلا بما يقدر عليه ، ولم يؤاخذه

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٦٠ .

إلا فى حدود طاقته ، وجعل المؤاخذة جامعة لقصد القلب ، وعمل الجارحة ، ليظهر الفرق بين عمل مقصود ، وعمل لا قصد فيه .

وقسم بعض العلماء **ما يقع في النفس أقساما يظهر منها أن بعضها يعيش فى الباطن ثم يذهب في الحال ، وهذا هو الوسوسة المعفو عنها ، وهى دون التردد الذى يجعل صاحبه يريد الشىء ولا يريده ، ويتمناه ويرفضه ، ويقبل عليه ويتركه والتردد معفو عنه .**

وفوق التردد أن يميل الإنسان إلى خاطرة ، ولا ينفر منها ، ويصمم على فعلها ، ولا يفعلها ، وهذا هو الهم المعفو عنه أيضا .

وفوقه أن يميل إليه ، ولا ينفر منه بل يصمم على فعله ، فهذا هو العزم وهو منتهى الهم ، وهو على قسمين :

الأول : **أن يكون من أعمال القلوب صرفا كالشك في الوحدانية ، أو النبوة ، أو البعث فهذا كفر ، ويعاقب عليه صاحبه جزما .**

الثانى : **المعصية التي لا تصل إلى الكفر كمن يحب ما يبغض الله ، ويبغض ما يحبه الله ، ويحب للمسلم الأذى بغير موجب لذلك ، فهذا يأثم به صاحبه ، ويتصف بسببه بالكبر والعجب ، والبغي ، والمكر ، والحسد .**

إن الله يفرح بإيمان عباده لا لحاجته إليهم ، ولكن لإكرامهم ، واسعادهم ... ألا ترى هذا الدلال الذى يجد فيه الإنسان نفسه مع الله ، ولو آمن الإنسان حقا ، وعمل عملا صالحا لوجد نفسه فى طاعة الله واستقامة على الصراط المستقيم .

إن الإنسان إذا هم بالسيئة وتركها لله كتبت له حسنة ، وان هم بها وفعلها تكتب له سيئة واحدة ... وان هم بالحسنة كتبت له حسنة ، وان عملها تكتب له عشر حسنات ، وتتضاعف إلى سبعمائة ضعف أو أكثر .

إن الله يدعو عباده ليكونوا مؤمنين ، ويثابوا بجنات النعيم ، وقد فتح لهم باب التوبة ، ودعاهم إلى عدم اليأس والقنوط ، وعرفهم بسعة رحمته وعظيم فضله ، ولم يدع طاقة نور وأمل إلا فتحها للناس ، وأرشدهم عليها ، وأنزل الوحى ، وأبقاه بينهم يهدى للتى هى أقوم ، ويأخذهم إلى الحسنات والخير العميم .

إن الله مطلع على المقاصد والنوايا ، وعلى الظاهر والأعمال ، وهو يجازى كل نفس بما كسبت .

وقد بين الله دينه ، وتركه مع الناس واضحا جليا فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الله يجزى السيئة بمثلها ، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، وأن الإنسان إذا عزم على سيئة ، وتركها لله يجزى بها حسنة ، وأن عملها يعاقب بها سيئة واحدة ... وبهذا يتمكن المسلم من تكفير أخطائه ومعاصيه ، ويبقى له رصيده الحسن الذى يدخل بسببه الجنة .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

سعة رحمة الله وفضله على الناس

تتجلى رحمة الله بالناس فى كافة جوانب الحياة ، فلقد أنعم عليهم

بالعقل وسخر لهم الكائنات ، وجعلهم خلفاء الأرض ، وأرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين ، وعرفهم بأن الدنيا طريق للآخرة ففيها العمل والسعى ، وفى الآخرة الحساب والجزاء ، وحذر من النار ، ورغب فى الجنة ، وجمعهم فى رحمته وفضله .

وتتجلى سعة رحمة الله فى كرمه عند الحساب على ما قدمت أيديهم ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾[1]

وهذا كرم وفير ظاهر فمن هم بسيئة ولم يفعلها خوفا من الله تعالى كتبت له حسنة بمجرد الترك ، أما من هم بحسنة ولم يفعلها كتبت له حسنة .

إن هذا الميزان الكريم خاص بالسيئات التى لم يغفرها الله تعالى ، أما ما غفرها فإنه لا أثر لها .

وتظهر فائدة هذه الرحمة أن السيئات كثيرة ، فلو عوملت الحسنة بمثلها كالسيئة فإن السيئات تغلب ، وحينئذ يستحق جميع الناس العذاب .

وهذا الفضل الإلهى يدفع الناس إلى العمل الصالح لينالوا خيرا كثيرا ، ويفوزوا بجنات النعيم ، ويكونوا فى الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء

الركيزة الثانية

التعريف بحسن الإسلام

أشار الحديث إلى أن من حسن إسلامه وجبت له الجنة ، وكتب الله له الحسنة بعشر أمثالها .

ولكن ما معنى حسن الإسلام ؟

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٦٠ .

حسن الإسلام معناه الاستسلام لله حقا وصدقا ، وطاعة الله بإخلاص ، والتمسك بمنهجه عن رضى واقتناع ، فلقد أمر الله بذلك ، ونادى الناس ليكونوا مخلصين . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾[1] .

إن إسلام المنافقين لا يعتد به ؛ لأنه يعنى الاستسلام الظاهرى فقط ، ومخالفة الباطن له ، وهذا لا يجوز .

إن الجزاء الحسن معد لمن حسن إسلامه . أما غيره فقد حرم نفسه من فضل الله تعالى .

ومن هنا :

فإن من العقل أن يسارع الإنسان إلى الخير الذى ينفعه فى الدنيا والآخرة ، وأن يتجنب المعاصى ، وأن يحرص على الحسنات ليحشر مع أصحاب اليمين .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تدل أحاديث الباب على عدة فوائد ... منها :

(١) شرط تكريم الله للإنسان أن يحسن إسلامه ، لأن المسلم إذا لم يكن محسنا فهو مسىء إلى نفسه وعمله ولا مثوبة له .

---

(١) سورة البينة ، الآية ٥ .

(٢) إن مجرد الهم لا أثر له ما لم يكن فى الحسنات ، فإن كان الهم فى الحسنات كتب الله لصاحب الهم حسنة تزكية له على العمل ، وشحذا لهمته .

(٣) الملائكة تكتب الحسنات والسيئات ليحاسب الله العبد بها ، فقد بين الحديث أن الملك يطلع على ما فى القلب من حسنات وسيئات بدليل ما رواه ابن أبى الدنيا من أن الله ينادى الملائكة أن اكتبوا لفلان كذا وكذا ... فيقول الملك : إنه لم يعمله ... فيقول الله : إنه نواه[١]

(٤) من عظيم فضل الله أن جعل العدل مع السيئة ، والفضل مع الحسنة فضاعف جزاء الحسنات دون السيئات ... بل وجعل مع العدل الفضل ففى الحديث الذى رواه مسلم : (فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر)[٢] .

(٥) فى الحديث دلالة على قصور عقل المسىء لتركه ما له فائدة ، وكمال عقل المؤمن لتمسكه بما فيه فائدة ومنفعة .

(٦) فى الحديث إثبات أن الأمر كله بيد الله تعالى ، يفعل ما يشاء ، له الحكم واليه ترجعون .

---

(١) المجالسة وجواهر العلم ج٨ ص٢٦٨ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة . باب فضل الذكر والدعاء ج٤ ص٢٠٦٨ .

ـ ٤٣ ـ

٥٨ ـ باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها

[٨٢] ، (١) ٣٢٧٦ حديث أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ ... من خلق كذا ... ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ ... فإذا بلغه فليستعذ (المسلم) بالله ولينته[١] .

[٨٣] ، (٢) ٧٢٩٦ حديث أنس بن مالك رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء ، فمن خلق الله[٢] ؟ ...

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول بيان أن الوقوف على وسوسة الشيطان والاستعاذة منها هو الإيمان الصادق المتين ، وأن اللجوء إلى الله واجب ضد نزغات الشيطان ، ودسائسه .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٩ كتاب بدء الخلق : ١١ باب صفة إبليس وجنوده .

(٢) أخرجه البخاري في : ٩٦ كتاب الاعتصام : ٣ باب ما يكره من كثرة السؤال .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول رسول الله ﷺ : (يأتي الشيطان أحدكم) **أى : يقصد الشيطان أحدكم ، ويجىء إليه بوساوسه ، ونزغاته .**

إن الشيطان قريب من الإنسان كما أراد الله له ، فلكل إنسان شيطانه ، يجرى مع دمه فى عروقه ، وقد أنظره الله تعالى وذريته إلى يوم القيامة ، ومكنه من الولوج إلى القوى العقلية والنفسية فى الإنسان ، ويسر له إغواءها والقاء الخواطر فيها ، وبث الوساوس معها ، والشيطان يتكلف فى عمله ، ويتحمل المشقة فى إتيانه إلى الإنسان ، ويلبس ثوب السائل والناصح ، ويجر الإنسان إلى أمور يشعلها فى الضمير ، ويشغل بها الإنسان .

(فيقول) **الشيطان لصاحبه الذى أتاه :** (من خلق كذا ؟ ... من خلق كذا ؟ ...) **أى : يسأل الشيطان صاحبه عن خالق الموجودات التى يشاهدها ، ويستمر فى أسئلته شيئا بعد شىء حتى ينتهى به إلى سؤال يشككه فى إيمانه** (حتى يقول) **له :** (من خلق ربك) **؟ ... ليوقعه فى الشك.**

إن الشيطان يكرر السؤال عن خالق الموجودات الحادثة ليؤكد ضرورة وجود خالق لكل مخلوق ، وهو فى سؤاله عن الحوادث يسمع من المسئول أن الخالق هو الله تعالى ، إلا أنه يقصد إضلال الناس ، فينتقل من السؤال عن الحادث إلى السؤال عن القديم فيقول : (من خلق ربك) **؟ فى محاولة منه لزرع الشك فى قلب المؤمن ، وابعاده عن الإيمان كله ... ولذلك يقول النبى ﷺ فى حديث الباب :** (فإذا بلغه) **أى : إذا وصل السؤال إلى هذا ، فهو**

المنزلق الضار والضمير فى (بلغه) **يعود إلى الشيطان أى إذا بلغ الشيطان ذلك السؤال ، ووصل إليه ، فعلى المسلم أن يهجر الشيطان ، ويلجأ إلى الله تعالى .**

ويجوز عود الضمير إلى الإنسان ، والمعنى إذا وصل الإنسان إلى هذا السؤال فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم .

(فليستعذ بالله ولينته) **أى : على المسلم أن ينتهى من محاورة الشيطان ويترك وساوسه ، ويعلم أن حديث نفسه عن الله من وساوس إبليس اللعين ، وليلجأ إلى الله تعالى مستعينا به على طرد الشيطان الرجيم.**

وفى الحديث الثانى يوضح النبى ﷺ أن الشيطان مستمر فى وساوسه لإضلال الإنسان ، وهو يتدرج فيها مبتدئا بالوساوس البسيطة حتى يصل إلى وساوس الكفر والضلال .

يقول النبى ﷺ : (لن يبرح الناس يتساءلون) **أى : لا يزال الناس يتساءلون عن خالق الموجودات ، وينتقلون منها إلى الشك والريبة ، ويستمرون فى هذا المعترك الشائك** (حتى يقولوا : هذا الله خالق كل شيء) **أى هذا الوجود كله حادث ، والله هو خالقه وحده ... وهذا هو الإيمان الحق ... إلا أنهم بوسوسة الشيطان يسألون أنفسهم** (فمن خلق الله) **؟ أى : إن الناس سيصلون بالسؤال عن من خلق الله ، ... وحين يطرأ هذا السؤال عليهم أن ينصرفوا عنه ، ويعلموا أنه من وساوس إبليس ، ويستعيذوا بالله منه .**

إن أصحاب المذاهب المادية يقيمون فلسفتهم على معرفة الموجد لكل موجود ، ويضعون العقل أمام حيرة فكرية تبعده عن الصواب .

إن هؤلاء الماديين ينكرون وجود الخالق ، ويعجزن عن إثبات من أوجد الحياة كلها ، ولا يعرفون شيئا عن خلق الحياة الأولى ... ولذلك كان توجيه رسول الله ﷺ هو الأولى بالاتباع ، وهو (فليستعذ بالله ولينته) .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

خلق الله تعالى الوجود على أنحاء شتى ... فمن الموجودات كون فسيح يشمل الأرض والسماء ، والسهل والجبل ، والزرع والطير ، والحيوان والهوام ... الخ .

ومن الموجودات الملائكة الذين جبلوا على الطاعة . يقول الله عنهم: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1] .

ومن الموجودات عالم الجن ، وهم خلق مكلف شذ منهم إبليس وذريته فأبوا طاعة الله وكفروا به ، وأنظرهم الله إلى يوم القيامة لإغواء الناس ، واظهار صدق المؤمنين ، ومدى قوتهم فى الإيمان ، وكذب المنافقين ، ومدى توغلهم فى الضلال .

ومن المخلوقات عالم الناس الذين أكرمهم الله، ورزقهم العقل، وأرسل لهم الرسل ، وكلفهم بالطاعة ، ومكن للشيطان منهم ليميز الخبيث من الطيب .

---

(١) سورة التحريم ، الآية ٦ .

وكان من رحمة الله بالإنسان أن بين له حقيقة الوجود ، وسخر له سائر الكائنات ، وأنزل الملائكة ، وحذر من طرق الشيطان فى الإغواء والإفساد .

إن الشيطان ماكر لئيم يأتى للإنسان من ناحية اهتمامه وحاجاته ، فإن كان ماديا وسوس له فى الغرائز المادية والشهوانية ، وان كان انفعاليا أتاه من جهة قوته وانفعالاته ، وان كان مغرورا متكبرا زين له ضرورة استماع الناس له ، وان كان مفكرا عاقلا أتاه بالمسائل العقلية التى تشككه فى دينه ، وتضع أمامه السبل المتضاربة .

ومن لؤم الشيطان **أنه لا يصطدم مع الإنسان ابتداء ، وانما يجره برفق إلى المعاصى ، ويبدأ بالصغائر المحببة إليه ، ويؤمله فى عفو الله ، ومغفرته ويعده بالتوبة بعد قليل من المتع ، وينتقل من الصغائر إلى الكبائر شيئا فشيئا حتى يوقعه فى الكفر والضلال .**

ومن لؤم الشيطان **أيضا أنه يلبس ثوب الباحث عن الحقيقة ، فيسأل عن خالق هذا الوجود ، والخالق للوجود كله هو الله تعالى ، إلا أنه بعد أن يلبس ثوب الباحث عن الحقيقة ينتقل إلى السؤال عن من خلق الله ؟**

إن هذا السؤال ساقط متهافت ؛ لأن الخالق لا يكون مخلوقا ، ولا يصح أن يكون الفاعل هو المفعول فى نفس الوقت .

وقد يقع الإنسان فى هذه المتاهة الشيطانية ، ويبدأ فى البحث مع الفلاسفة فى هذه القضية فيجد نفسه بعيدا عن عالمه الذى يراه ، وعن هذا الوجود الذى خلقه الله تعالى .

إن الروح تحقق الحياة والإدراك للإنسان ، وهى ظاهرة تؤكد وجودها فى الإنسان الحى ، وتؤكد انعدامها فى الإنسان بعد موته ، والبحث

عن حقيقتها بحث فى أمر ثابت معلوم بأثره فى غيره ، ولا يمكن الوقوف عليه فى حقيقته .

يقول الفلاسفة بتناسخ الأرواح ، وبانتقالها إلى الملإ الأعلى ، وهو حديث قائم على الظن والتخمين ؛ لأنهم لم يكتشفوا كيفية التناسخ ، ولم يوضحوا صور انتقال الروح من شخص لشخص آخر ، ولم يبينوا طبيعة حياة الروح فى الملإ الأعلى ... ، ومع كل هذا الجهل والغموض يدعون العلم ، ويزعمون وصولهم للحقيقة ... ولا يخجلون من تهافت أفكارهم وآرائهم ...

ومثل الروح القوة العاقلة فى الإنسان فكل الناس لهم عقول يفهمون بها ويفكرون فى قضايا العلم والإيمان بواسطتها ، ويقودون الكون كلها بهذه القوة الموجودة ، ومع هذا لا يعلمون شيئا عن حقيقتها ، ولا عن طريقة عملها ولا عن سبب تفاوت الناس فيها ... رأى عمر بن الخطاب ﷺ دهاء عمرو بن العاص ﷺ وذكاءه ، وحنكته ، وعبقريته ، فكان إذا رأى إنسانا قليل العقل ، بسيط التفكير يقول : سبحان من خلق هذا وخلق عمرو بن العاص **!!**

وحاول العلماء معرفة سر القوة العقلية عند مخترع القنبلة الذرية (اينشتاين) فعجزوا لأنهم وجدوا تلافيق مخه تشبه غيره بلا فرق .

والأمثلة عديدة فى الوجود المخلوق ، وقد أثبت العلماء أن الإنسان لا يعلم من هذا الوجود إلا القليل ، وفى كل يوم يكتشف العلماء العديد من أسرار الكون والحياة التى لا نهاية لها ، وهذا يدل على أن الخوض فى مسألة خلق الله قائم على الجهل ، والتهافت .

وفى كل شيء له آية ∴ تدل على أنه القادر

ذهب العلماء إلى القول بما عرف بنظرية النشوء والارتقاء وبنوا عليها مسار الموجودات ، إلا إنهم عجزوا عن معرفة سر وجود الروح فى الخلية الأولى التى تتجزأ ، وبذلك عجزوا عن معرفة النشأة الأولى .

ومن هنا :

ندرك أن سؤال الشيطان عن من خلق الله سؤال خبيث ، يقصد به صرف الإنسان عن مخلوقات الله ، وايقاعه فى الشك والريب والضلال ، ولذا أمر النبى ﷺ المسلمين بالاستعاذة من الشيطان ووساوسه ، حين يجد فى نفسه هذا السؤال ، وعليه أن يتركه لتهافته وعدم جدواه .

وقد ورد فى روايات الحديث أن هذه الوسوسة هى محض الإيمان ، وهى صريح الإيمان[١] ، **ومعنى ذلك أن الوقوف على أن هذا السؤال وسوسة شيطانية ، والاستعاذة منها هى الإيمان الحق ، لأنه يعيد الإنسان إلى الله تعالى ويصرفه عن الوسوسة ، وينفره من الشيطان الرجيم .**

فإن قيل : **ماذا لو سأل الإنسان غيره هذا السؤال ؟**

أقول : **هناك فرق بين سؤال الإنسان وسؤال الشيطان ، لأن الإنسان يقف عند الحجة والبرهان ، ويقع منه السؤال والجواب وهذا حقه ، وله أن يقتنع فى إيمانه بالله تعالى ، والحال معه محصور فى ضرورة الفهم والتعقل فإذا راعى الطريقة ، وأصاب الحجة رضى ، واقتنع وانقطع عن السؤال ، أما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء ، بل كلما ألزم حجة زاغ إلى غيرها إلى أن يفضى بالمرء إلى الحيرة والضلال ، والضياع .**

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب بيان الوسوسة في الإيمان ج١ ص١١٩ .

والأولى بالإنسان أن لا يبحث فى هذه القضية فإذا جاءته فليستعذ بالله ، ولينته منها .

وقد يتمكن الشيطان من عقل الإنسان ، ويحول الوسوسة إلى خواطر مستقرة ، ودائمة ، وفى هذه الحالة يحتاج الإنسان إلى النظر والتأمل ، ورد الشبهة بالدليل ، وذلك أمر يقوم به الدعاة ، ويصلون بالسائل الجاد إلى معرفة الحقيقة الهامة .

إن الخواطر النفسية تنقسم إلى قسمين :

أحدهما : **الخواطر التى لا تستقر فى النفس ، ولا تحقق شبهة ، وهى التى تندفع بالإعراض عنها ... وهى الوسوسة التى أمر الله بالاستعاذة منها والاشتغال عنها بغيرها .**

ثانيها : **الخواطر المستقرة فى النفس الناشئة من الشبهة ، وهى التى لا تندفع إلا بالنظر والتأمل ، ولا تبطل إلا بالدليل والبرهان ، والعلاج الحاسم لهذه الخواطر هو اللجوء إلى الله تعالى ، والاعتصام بحبله المتين .**

إن البحث فى الوجود ، وبدئه ، ومنتهاه ، وحقيقته مسألة لا يستطيعها إلا أصحاب العقول النابهة ، الذين يمكنهم تصور اللاموجود ، وتحليل المسائل وتجريد الذهن ، وقياس المسائل على أشباهها ، والانتقال من الجزئيات إلى الكليات ، واستنباط المفهوم الجزئى من الحكم الكلى . أما ترك هذه المسألة وأمثالها للعوام فإنه حال لا يجوز ، لأنها تضر حينئذ كمن يطعم طفله المولود لحما وخبزا .

ولذلك قضى الله بوجود خواص بين الناس يهمهم البحث والعلم ، ويمكنهم ريادة الناس وقيادتهم ، وهم أولو الرأى الذى أمر الله بطاعتهم

فى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[1] .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين الأحاديث أن الشيطان يوسوس للإنسان ليبعده عن دين الله كليا أو جزئيا ، والواجب صرف وسوسته بالاستعاذة واللجوء إلى الله تعالى .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

الإنسان عبد مخلوق

أتى على كل إنسان حين من الدهر كان عدما لا وجود له فيه ، ثم خلقه الله تعالى وبثه وذريته فى الأرض ليعيش فيها كادحا ، عاملا ، وأرسل إليه الرسل لتوضيح الدين ، وبيان المنهج السليم الذى يحقق للإنسان الفوز والفلاح .

وقضى الله تعالى بأن يتفاوت الناس فى ذواتهم ، وأرزاقهم ، وفى كل الجوانب التى تحركهم ، وتكون معهم .

---

(١) سورة النساء ، الآية ٥٩ .

وأحاط الله الإنسان بأمور من الغيب يعجز عن الوصول إلى حقيقتها ، إلا أنه يرى أثرها ، ويتأكد من وجودها بأعمالها ، ونتائجها .

من هذه المخلوقات الغائبة عن الإنسان حياته نفسها ، فهو يأكل ، ويشرب ويعيش ، وفى نفس الوقت يجهل سر الحياة والحيوية التى يتمتع بها ... ويعيش الإنسان الزمن المكون من ليل ونهار ، ومن شمس وقمر ، ومع ذلك لا يعلم سر الوجود الكونى ، ويجهل عوامل حركة الزمن ، إنه يرى ظواهر الوجود ، ويعجز عن معرفة أسراره ، وكشف القوى المؤثرة فيه ... والأمثلة عديدة .

وقد ابتلى الله الإنسان بأمور غيبية عديدة ، ورزقه العقل ، وأحاطه بأمرين هامين :

أولاهما : **بعث رسل الله للناس لإرشادهم إلى صراط الله المستقيم ، وتحديد المنهج الذى يحقق لهم الخير فى الدنيا والآخرة ، وقد قام الرسل بواجبهم فنشروا دين الله ، وبلغوا الرسالة ، وحذروا الناس من أعدائهم ، ومن سائر القوى التى تجرهم إلى الهلاك ، وتعمل على إفسادهم واضلالهم ، وختم الله أنبياءه بمحمد ﷺ فعاش فى الناس مبشرا ، ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ، واستمر ﷺ فى دعوته حتى نزل قول الله تعالى :** ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾[1]

ثانيهما : **إيجاد قوى عديدة بين الناس تحاول جر الإنسان إلى الضلال ، وعلى رأسها إبليس ، وذريته ، وأشباهه من الناس ، ومعه سائر الشياطين فقد أنظرهم الله ، وأبقاهم مع الناس ، ومكنهم من الولوج إلى**

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٥ .

النفس البشرية ، ويسر لهم تزيين الفواحش ، ونشر المنكرات ... وهذه القوى توسوس ، وتزين ، وتدعو إلى المنكرات ما ظهر منها ، وما يظن .

ويعيش الإنسان وسط هاتين القوتين ليختار لنفسه ما يريد ، ويسلك الطريق الذى يرتضيه .

إن الإنسان عبد مخلوق عاقل ، وعليه بعقله أن يعيش الحقيقة التى يراها ويدركها ، ويبتعد عن كل الغوايات التى تحاول قوى الشر أن تجره إليها ... وأحاديث الباب تشير إلى إحدى طرق الفساد ، وهى إشغال الفكر بقضية الخلق وهى فى بدايتها أمر حسن ؛ لأنها تعرف الإنسان بالله خالق الوجود ... إلا أنها بعد ذلك تجره إلى ما فوق طاقته وادراكه ، وتسير به إلى عالم الغيب ، وتدفعه دفعا إلى الشك والريب ، وتدفعه إلى السؤال عن من خلق الله ؟

إن هذا الوجود الحادث يشهد بوجود الله ، وهو ملىء بالغيب والخفايا والأسرار التى تجعل العاقل يعيش فى حدود طاقاته ، ويستعيذ بالله من الشيطان ومن قوى الشر المعلومة والمجهولة ، ...

إذا أعطى إنسان غيره هدية ، وجب على الغير أن يشكره ، ويثيبه عليها وليس له أن يبحث فى أمور لا تعنيه مثل :

- **هل أعطى غيره مثل هذه الهدية أو أفضل منها ؟ ...**
- **وهل سيهبنى شيئا آخر ؟ ...**
- **ولم اختارنى للهدية دون غيرى ؟ ...**
- **وما ثمنها ؟ ...**
- **ولم لم يأت بغيرها ؟**

هذه الأسئلة وغيرها لا تفيد شيئا ، وضررها أكبر من نفعها وأعظم .

إن على الإنسان أن يعيش فى عالمه المخلوق ، ولا يجهد عقله فى غيب لا يدركه ، وليستعذ بالله من وساوس الشيطان وألاعيبه .

الركيزة الثانية

ضرورة مقاومة الشيطان وجنوده

تفضل الله على الناس فعرفهم بأعدائهم ، ووضح الغايات التى يسعون إليها ، وأمرهم بالحذر منها ، وحثهم على عدم الوقوع فى حيلها ، ولؤمها .

إن أعداء الإنسان قوى عديدة . منها النفس الأمارة بالسوء ، الموجودة فى الإنسان ذاته ، وهى قوة تحرك الشهوات ، وتزين المعاصى ، وتيسر الفحشاء والمنكر ، وتلتقى مع شيطان الإنسان وقرينه الذى يجرى مع الدم فى العروق ، وتتعاون معه فى جر صاحبها إلى الهلاك .

ومن أعداء الإنسان قرناء السوء ، فهم شياطين الإنس الذين أضلهم الله تعالى ، فأخذوا يضلون غيرهم ... وهم المنافقون الذين يدعون الإسلام ، ويعملون على هدمه ونقضه ، ويبذلون جهدهم ونشاطهم فى إفساد الإنسان ، وهم يأتونه من مداخل شتى .

يأتونه فى إعلام كاذب ، **ينشر العرى والفجور ، ويذيع الكذب والإفك ويسىء إلى الأبرياء الأنقياء حتى لا توجد قدوة صالحة للناس .**

ويأتونه من حيث **رغباته الشهوانية ، وحاجاته الغريزية لينحرف عن الحق ، ويبتعد عن الصواب ليكون مرتشيا ، أو خائنا ، أو شارب خمر ، أو فى أى صورة للمعصية .**

ويأتونه فى صورة **قوى تحكمه وتتحكم فيه فلا يجد مثالا وقدوة ،** ويأتونه فى صوت علماء **ضالين يلوون النصوص ، ويوجهون الناس إلى غير دين الله تعالى .**

وتتعاون هذه القوى لنشر الضلال والفساد ، وتسهل للشيطان ما يتمنى .

إن الشيطان وذريته هم أعدى أعداء الإنسان وهم مع زمرتهم من الناس يسعون لهدم دين الله ، ونشر الفساد فى الأرض ...

ومن المؤلم والمؤسف تمكنهم من كثير من المسلمين حتى صرنا نرى أقواما وجماعات لا تعرف من الدين إلا مسماه ... ونرى علماء يعملون لسلطان القهر ، وكسب الدنيا ... ونرى فساقا يسودون ويعبثون .

وهنا :

ننادى الناس بأمر الله ، ونذكرهم بدينهم ، ونحذرهم من اتباع الضالين المكذبين ، ونؤكد لهم الطريق المستقيم الذى أمرنا الله به .

وأساسيات الطريق المستقيم ما يلى :

أولا : **الاهتمام بمعرفة دين الله تعالى ، وأخذه من مصادره الثابتة ، ومن العلماء الثقات الذى يعملون لله ، ولا يخافون فى الله لومة لائم ، ومن سمات هؤلاء العلماء عمق البحث والفهم ، والزهد فى الدنيا ، وتجنب سلاطين الضلال ، وشهادة غيرهم لهم ، وبروز فتاواهم ، واشتهارهم بالصلاح والتقوى ، والاستقامة على تعاليم الله تعالى .**

ثانيا : **التطبيق العملى لأحكام الله تعالى . فقد نزل الدين للعمل به ، ورسم الطريق الموصل إلى الله تعالى ، وتحديد هذا الطريق فى عقيدة وشريعة وأخلاق ، وهى أمور متلازمة لابد لها من العمل والتطبيق .**

ثالثا : **الحذر الواعى من دسائس الأعداء ووساوس الشيطان ، ومعرفة أن الأعداء لن يستكينوا أبدا فى سعيهم وافسادهم ، ولذلك وجب على المسلم أن يكون يقظا حتى لا يأخذه الأعداء فى غفلة .**

رابعا : **مداومة ذكر الله تعالى حتى يمتلئ القلب بمعية الله تعالى ، ويسد كل منافذ اللعب والهوى ، وبذلك لا يجد الشيطان منفذا يدخل منه ، ويجد فى الذكر سلاحا يفتك به ، ويرده ... ومن المعلوم أن النفس إذا لم تشغل بالحق شغلت بالباطل ، والفراغ المطلق لا وجود له فى الحياة العقلية ، وامتلاء القلب بحب الله وذكره خير له من الدنيا كلها .**

إن حب الله ، ومداومة ذكره ، واستمرار تذكره يجعل القلب معلق به ، وحينئذ تهون الدنيا أمام قلب الحبيب ، وينهزم الأعداء إزاء هذا الارتباط المتين .

وقد وصل المحبون لله إلى الفناء فى هذا الحب ، وعدم الرغبة فى شيء آخر وتعلقت أمالهم بالله وحده . يقول بعض المحبين مناجيا محبوبه العظيم :

فليتك تحلو والحياة مريرة ∴ وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذى بينى وبينك عامر ∴ وبينى وبين العالمين خراب
إن صح منك الود فالكل هين ∴ وكل الذى فوق التراب تراب

خامسا : **طرد الوساوس الشيطانية ، وترك الهواجس النفسية عن بعض الخواطر فى صورة أسئلة تضر ولا تفيد ، وتؤدى إلى الشك والريب بدل أن تحقق التقوى والإيمان ... وفى كثير من الأحيان تزين النفس لصاحبها المنكرات والفواحش ، والواجب الفرار منها ، وهجرها .**

سادسا : **تجنب قرناء السوء ؛ لأن القرين يتأثر بقرينه ، ولذلك كان الابتعاد عن أصحاب المعاصى أساسا فى الاستقامة والهداية ، ولذلك قالوا : تخير الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ... ومن مشاهدات الواقع أن الولد يأخذ من أبيه ، والبنت تتأثر بأمها ، والجار بجاره ، والصديق بصديقه ، ولذلك كان من المهم تجنب قرناء السوء ، واختيار الصديق الذى يعين على الحق ، ويهدى إلى سواء السبيل .**

سابعا : **الإكثار من الاستعاذة من الشيطان الرجيم ، واللجوء إلى الله تعالى لينقذه من وساوسه ، ويعينه على طردها ... ففى الاستعاذة استعانة بالله وتذكير بعداوة الشيطان ، وتنبيه على وجوب الابتعاد عن وساوسه ، وهواجسه .**

ثامنا : **محاسبة النفس على أى تقصير وقعت فيه لتعلم خداع الشيطان ، وألاعيبه حتى لا يلعب بها مرة أخرى .**

تاسعا : **فى قوله ﷺ :** (ولينته) **أمر بضرورة ترك الوساوس والانتهاء منها بالتوبة النصوح ، والعمل المستقيم ، والاستعانة بالله تعالى .**

إن الإنسان مسئول عن عمله ، ولن يحمل وزره أحد ، والعقوبة على العمل لا على الوسوسة ... وقد تحدد مصير الشيطان منذ كفره ، أما

الإنسان فأمره بيده ، وسوف يحاسب على ما قدمت يداه ، ولن يساعده جن أو إنس ، وفى يوم القيامة يتبرأ الشيطان من جرائمه . يقول الله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[١] .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

يستفاد من أحاديث الباب ما يلى :

(١) **أهمية أن يعيش الإنسان الواقع ، ويكتفى بالبحث فيه لتحقيق فوائد تهمه من هذا الواقع الموجود ولا يصح أن يشغل المسلم نفسه بأمور لا تعنيه ولا تفيده ، وعدمها أفضل من وجودها .**

(٢) **توضيح أن الشيطان عدو للإنسان ، وتظهر عداوته فى وساوسه وهواجسه ، وقد بين الله ذلك فقال تعالى :** ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[٢] **، ويقول سبحانه :** ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾[٣] .

(٣) **بيان أن النفس البشرية معرضة للوساوس ، والاستجابة للشهوات ، وهى فى حاجة إلى تحصين ينقذها من المهالك ، ويبعدها عن المعاصى ويضعها فى صراط الله المستقيم .**

---

(١) سورة الحشر ، الآية ١٦ .

(٢) سورة فاطر ، الآية ٦ .

(٣) سورة يوسف ، الآية ٥ .

(٤) ذكر الطريق الأمثل للتغلب على الشيطان وهو الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ، والانتهاء من وساوسه ، والإعراض عنها بذكر الله تعالى .

(٥) يصون الإنسان من أعدائه عدم التمادى فى الباطل ، والتوبة السريعة ، والرجوع إلى الله تعالى .

(٦) يحتاج الإنسان إلى معرفة الأمور التى يمكن له أن يفكر فيها ، والأمور التى يعجز عنها ليعيش فى إطار الممكن ، ويترك غير الممكن لمن يقدر عليه .

(٧) تصديق رسول الله فى رسالته فقد أثبتت الحوادث ، ووقع ما أنبأ به ، وهذه معجزة له ﷺ .

ـ ٤٤ ـ

٥٩ ـ باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار

[٨٤] ، (١) ٤٥٤٩ ، ٤٥٥٠

حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ، لقي الله وهو عليه غضبان فأنزل الله تصديق ذلك ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

قال (عبد الله ﷺ) : فدخل الأشعث بن قيس ﷺ وقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن ؟

قلنا : كذا وكذا .

قال : في أنزلت : كانت لي بئر في أرض ابن عم لي .

قال النبي ﷺ : بينتك أو يمينه .

فقلت : إذا يحلف يا رسول الله .

فقال النبي ﷺ : من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم ، وهو فيها فاجر ، لقي الله وهو

عليه غضبان[1] .

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول تحريم أخذ مال الغير بغير حق معتمدا على يمين كاذبة فاجرة ، وبيان تغليظ عقوبة من يفعل ذلك .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبى ﷺ : (من حلف على يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ، لقي الله وهو عليه غضبان) **أى : من حلف كذبا على يمين صبر ، وهى اليمين التى يحبس الحالف نفسه عليها ، ويلتزم بها عند حاكم ونحوه ، ويتمسك بكذبه فيها من أجل أخذ مال امرئ مسلم بغير حق ، من يفعل ذلك يلقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان ، فيدخله النار .**

والمال المأخوذ يشمل كل مال مقوم سواء كان منقولا أو ثابتا ، قليلا أو كثيرا ، محترما أو هينا .

وأخذ المال بغير حق ظلم كبير ، يعم أموال سائر الناس ، رجالا ونساء مسلمين وغير مسلمين ، كثيرا أو قليلا .

ولما قال رسول الله ﷺ هذا الحكم فى شأن الاستيلاء على مال الغير ، بواسطة اليمين الكاذبة أنزل الله تعالى تصديقا لذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير: ٣ سورة آل عمران ٣ باب إن الذين يشترون بعهد الله . واورده في حديثين متتاليين .

ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1]

ليبين مصير من حلف بالله كذبا لينال شيئا من متاع الدنيا يملكه غيره ، وينقض بذلك عهده مع الله تعالى ، ويخالف ميثاق الإيمان ، ويؤكد أن هؤلاء لا عهد لهم مع الله ، ولن يرحمهم ، ولن يكلمهم ، ولن يزكيهم ، ولهم عذاب مؤلم .

(قال) **ابن مسعود** ﷺ (فدخل الأشعث بن قيس وقال : ما يحدثكم أبو عبد الرحمن) **أى فيم يحدثكم أبو عبد الرحمن ، وتلك كنية ابن مسعود** ﷺ **ذكرها الأشعث** ﷺ **تقديرا وحبا لابن مسعود** ﷺ .

(قلنا : كذا وكذا) **إشارة إلى ما كان يقوله ابن مسعود ، وما كان يقرؤه عليهم من آيات القرآن الكريم .**

(قال) **أشعث بن قيس** ﷺ (في أنزلت) **أى : نزلت هذه الآية فى شأنى ، وأخذ يقص حكايته .**

قال أشعث بن قيس (كانت لي بئر في أرض ابن عم لي) **أى : كنت أملك أرضا حول بئر مجاور لأرض عم لي ، ورثتها عن أبى كما ورث ابن عمى من أبيه ، فتنازعنا فى هذه الأرض ، ورفعنا الأمر لرسول الله** ﷺ .

(قال النبي ﷺ) **لأشعث** ﷺ (بينتك أو يمينه) **تطبيقا لشرع الله تعالى لأن البينة على المدعى ، واليمين على من أنكر ، ومادام ابن عمك قد أنكر حقك فى البئر والأرض ، فالبينة عليك واليمين على ابن عمك إن لم تكن معك بينة .**

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٧٧ .

فقلت للنبى ﷺ لا بينة معي ، وعليه (إذا يحلف يا رسول الله) **وفى قول الأشعث إشارة إلى احتمال كذب ابن عمه ... ولما هم الرجل بالحلف نزل قوله تعالى :** ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ **وقال النبى ﷺ مقالته ، وذكر الحديث الذى نحن معه ، وجرت أحداث القصة التى انتهت بأن ابن العم لم يحلف ، ولم يأخذ البئر ، ولا الأرض .**

وتفصيل قصة الأشعث مع ابن عمه أنهما اختصما فى قطعة أرض حول بئر كانت تحت ابن عمه ، فلما ادعاها الأشعث لنفسه ، وذكر أنه ورثها من أبيه ، وذهب إلى رسول الله ﷺ شاكيا ، فسأل الرسول ابن عمه عن هذه الأرض فقال : الأرض أرضى ، وهى تحت يدى ، وأنا أزرعها ، ولا حق لابن عمى فيها .

فطلب الرسول من الأشعث أن يظهر بينته وشهوده ، فقال : ليس معى بينة ولا شهودا ... فقال ﷺ : إذا يحلف ، فتسقط دعواك .

قال الأشعث : إنها أرضى يا رسول الله ، وهى أعظم شأنا عندى ، وأعظم من أن يحلف عليها آخر ويأخذها منى .

فقال له ﷺ : إن يمين المسلم يدرأ الله بها أمورا أعظم من ذلك .

قال الأشعث : إن ابن عمى لا يتورع عن اليمين الكاذب ليأخذ أرضى .

فقال ﷺ : ليس لك منه إلا ذلك .

قال الأشعث : إذا يحلف ، ويذهب بمالى[١] .

فلما تهيأ الرجل للحلف نزلت الآية فقرأها ﷺ على أصحابه ، وقال لهم : (من اقتطع أرضا ظالما ، لقي الله وهو عليه غضبان)[٢] **أى حلف يمينا ، وهو فيه كاذب فاجر ليقتطع به مال امرئ مسلم لقى الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان ، ومن غضب الله عليه أدخله النار .**

فذهب الصحابة إلى الرجل وأخبروه بقول النبى ﷺ قبل أن يحلف ، فجاء إلى رسول الله ﷺ وقال له : ماذا لي لو تركتها يا رسول الله ؟

قال ﷺ : لك الجنة .

قال الرجل : أشهدك يا رسول الله إنى قد تركتها له كلها ، وتنازل للأشعث عن البئر وعن الأرض كلها .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

يبين الحديث رقة قلوب الصحابة ، وسرعة تأثرهم بعظات رسول الله ﷺ وتعاونهم فى نصرة الحق ، وايصاله لصاحبه ، وحب بعضهم لبعض ؛ فقد أسرعوا إلى الرجل ينصحونه قبل أن يحلف .

وقد وقعت روايات عدة للحديث أدت إلى عدة شبه يسهل ردها وهى :

الشبهة الأولى :

جاء فى حديث الباب أن قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين ج١ ص١٢٤ .

(٢) المرجع السابق .

إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ **نزلت فى الأشعث بن قيس ﷺ ...**

وجاء فى حديث ابن أبى أوفى أن الآية نزلت فى رجل أقام سلعته فى السوق فحلف لقد أعطى بها ما لم يعطه ...

وذكر الطبرى أن الآية نزلت فى حيى بن أخطب ، وكعب بن الأشرف وهما يهوديان كتما ما أنزل الله فى التوراة فى شأن النبى ﷺ وحلفا على ذلك

والجمع بين هذه الآراء يكون بالقول بتعدد أسباب النزول لآية واحدة ، وبخاصة أن لفظ الآية عام يشمل هذه الأسباب وغيرها إلى يوم القيامة .

أو القول بأن الآية نزلت فى الخصومة المذكورة ، وسماع عبد الله ﷺ كان متأخرا عنها فقرأ رسول الله الآية مصداقا للحديث ، وبمثل ذلك يكون القول فى بقية الآراء .

الشبهة الثانية :

اختلفت الروايات فى كيفية ظهور الأشعث ﷺ لأصحاب رسول الله ﷺ ففى حديث الباب أن الأشعث دخل عليهم ... وفى رواية أخرى أنه خرج إليهم وبيان ذلك أن الأشعث خرج إليهم من مكان كان فيه ، ودخل عليهم فى مكان كانوا هم فيه .

الشبهة الثالثة :

اختلفت الروايات حول موضوع الخصومة فواحدة تذهب إلى أن الخصومة كانت فى بئر ، وثانية تذهب إلى أن الخصومة كانت فى أرض ، وتجمع الروايات القول بأن الخصومة كانت فى أرض حول بئر .

وحديث الباب بيان واضح لدور الدعوة والنصح فى الناس فقد انتهت الخصومة بنصيحة رسول الله ﷺ وقراءة آيات القرآن الكريم .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن الصدق أساس خلق المؤمن ، وأنه لا يصح اللجوء إلى الأيمان الفاجرة الكاذبة لأكل أموال الناس بغير حق ، فمن يفعل ذلك يخن عهد الله ، وينقض ميثاقه وله عذاب أليم .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

الإنسان بين رضا اللّه وغضبه

الإنسان عبد لله تعالى ، خلقه ، ورزقه ، وكلفه ، وهو عائد إليه بالضرورة بعد عمره المقدر طال أو قصر ... وسوف يحاسبه الله على عمله فى الدنيا ، وعن مدى استجابته لدين الله الذى بلغه رسول الله ﷺ ، ... وليس للإنسان عند الحساب إلا إحدى حالتين ... فهو إما كافر ملحد ، أو مؤمن مستقيم ... وكل ينال ما يستحق من جزاء ، أما المؤمن ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ ﴾[1] .

---

(١) سورة الانشقاق ، الآية ٨ ، ٩ .

وأما الكافر الضال ﴿ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾[١]

وهكذا يتفاوت الناس فى الجزاء فى الآخرة بسبب تفاوتهم فى طاعتهم لله وهم فى الدنيا .

إن الطريق واضح معلوم . فقد بلغ رسول الله دين الله تعالى وأنذر ، وحذر ، وحث الناس على طاعة الله وكسب رضوانه ، وعرفهم بمنهجية حب الله وآثاره ، وفوائده ، وبين لهم أن حب الله يكون بطاعته ، واتباع سبيله . يقول الله فى الحديث القدسى الذى رواه رسول الله ﷺ عن ربه ، وفيه يقول الله تعالى : (ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته : كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وان سألني لأعطينه وان استعان بى لأعيننه ، ولئن استعاذني لأعيذنه)[٢] .

هذا هو الإنسان الفائز أحب الله فأحبه الله ، وأطاعه واستقام على أمره ونهيه ، وخالف الشيطان والنفس والهوى فأكرمه الله ، وأعطاه من السداد والتوفيق ما ييسر له أمور الدنيا ، وسعادة الآخرة .

أما فريق الكفرة والعصاة فقد غضب الله عليهم ، وأشقاهم فى الدنيا ، وأصلاهم نار جهنم يوم القيامة . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

---

(١) سورة الانشقاق ، الآيات ١١ . ١٥ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الرقاق . باب التواضع ج٨ ص١٠٥ .

ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[1] **ولا يستحق العصاة سوى هذا المصير المؤلم فقد نسوا الله فأنساهم أنفسهم .**

والحديث فى الباب يشير إلى من كذب فى اليمين ليأخذ مال غيره بغير حق يغضب الله عليه ، ويدخله النار .

وقد استشهد رسول الله ﷺ بقوله تعالى على ما يصيب الكذبة الفجار من عذاب أليم فى الدنيا وفى الآخرة ، حيث لا نصيب لهم فى الآخرة ، ولا يوفقهم الله فى الدنيا للخير ، ولا يرحمهم ولهم فى الآخرة عذاب أليم .

الركيزة الثانية
التحدث بفضل الله تعالى

المتقون الأصفياء يذكرون فضل ربهم عليهم ، ولا يجحدون نعمه ، ويقرون له بالحول والطول والقدرة ... وهذا من خلق الإسلام التى وضعها للمؤمنين .

وهذا هو الصحابى الجليل الأشعث بن قيس ﷺ لما سمع حديث رسول الله ﷺ عن الحالف الكاذب ليأخذ مال غيره ، ويبين عقوبته يبادر إلى بيان أنه صاحب القصة التى عناها رسول الله ﷺ ، ونزلت فيها الآية ، وهذا من حسن أخلاق صحابة رسول الله ﷺ .

إن التحدث بنعمة الله يقوى الإيمان بالله ، ويؤكد الثقة فيه ، وهو دعوة عملية إلى الله تعالى .

---

(١) سورة طه ، الآية ١٢٤ .

الركيزة الثالثة
نظام التقاضى فى الإسلام

يحدد الحديث نظام التقاضى فى الإسلام ، فمن له حق على أخيه ، فليرفع شأنه إلى الحاكم ، وعليه أن يثبت دعواه بالبينة التى تكون بالكتابة، أو بالشهود ، أو بالقرائن ، أو بأى وسيلة تظهر حقه كتسجيل صوتى ، أو مكالمة هاتفية ... فإن عجز المدعى عن البينة ، فعلى المدعى عليه أن يحلف يمينا على براءته من الدعوى المقامة ضده .

ولا يتصور أحد أن اليمين أمر هين يؤديه المدعى عليه ، ويظفر بالمال الذى أصابه ، لأن اليمين الكاذبة فجور وعصيان ، تغمس صاحبها فى نار جهنم فقد غضب الله عليه ، ولعنه ، وحرمه من الرحمة والرضى ، وقد أنزل الله قرآنا منذرا لهذا الكذاب ، عساه أن يكون رادعا لكل كذاب أشر.

الركيزة الرابعة
من فنون الدعوة فى الأحاديث

تبين الأحاديث بعض فنون الدعوة إلى الله تعالى .

فهى تبين **أهمية تضافر الأدلة وكثرتها حول موضوع واحد ؛ لأن ذلك أدعى للتصديق والتسليم ، وقد أيد الرسول ﷺ حديثه بكلام الله تعالى .**

ومنها ضرورة **استعمال الألفاظ الجميلة المحببة إلى المتحاورين مثل الوصف ، والكناية ... إلخ ، وقد تضمن الحديث شيئا من هذا مثل تكنية الأشعث لابن مسعود بقوله : ما يقول أبو عبد الرحمن .**

ومنها تفصيل **الخبر ليتضح الصواب فيه .**

ومنها الترهيب **من المعاصى ، وتخويف العصاة من عذاب الله تعالى .**

ومنها الجمع **بين آيات القرآن الكريم وبين السنة النبوية لتأكيد الأمر ، وتوضيحه للمدعوين .**

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يدل الحديث على بعض الفوائد ... منها :

(١) بيان ضرورة المحافظة على حقوق الناس ، وعدم العدوان عليها ، لأن التعدى عليها جريمة كبيرة ، سواء تعلق الحق بأمر كبير أو صغير .

(٢) توضيح نظام التقاضى بين الخصوم فى الإسلام ، فالبينة على المدعى ، واليمين على من أنكر ، والتساوى التام بين المتخاصمين ، ولو كانوا فوق الشبهات أو كان بعضهم من أشراف الناس .

(٣) القاضى يحكم بين الناس بما يظهر له ، وان غابت الحقيقة فالله أعلم بها ولن يفلت معتد من العقاب فى الدنيا أو فى الآخرة .

(٤) يمكن للقاضى أن يقدم لقضائه بنصح المتخاصمين بالتزام الصدق ومراقبة الله فى كل ما يقولون ، ويشهدون .

(٥) ضرورة الخوف من الله تعالى فى كل قول وعمل ، فهو عليم بالخفايا والأسرار ، وفى يوم القيامة يحمل كل إنسان وزره وقد تجسد له ، و (فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة)[١] .

---

(١) مسند الشهاب للقضاعى ج١ ص١٧٠ .

ـ ٤٥ ـ

٦٠ ـ باب الدليل على أن من قتل دون ماله فهو شهيد

[٨٥] ، (١) ٢٤٨٠ حديث عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما ، قال سمعت النبي ﷺ يقول : من قتل دون ماله فهو شهيد[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول ضرورة أن يصون الإنسان ماله فهو من الضرورات الخمس ، وله أن يقاتل دونه ، فإن قتل فهو شهيد ، وان قتل المعتدى فهو فى النار .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبى ﷺ : (من قتل دون ماله فهو شهيد) **أى من قتل وهو يدافع عن ماله فهو شهيد ، وفى الكلام مجاز ، لأن** (دون) **بمعنى تحت ، وهى هنا تفيد معنى السببية أى إن ماله صار سببا لقتله ، وفى ذلك مجاز علاقته السببية .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٤٦ كتاب المظالم : ٣٣ باب من قاتل دون ماله .

واشترط العلماء أن يكون المقتول مظلوما ، اعتدى عليه القاتل ليغتصب ماله بغير حق له فيه ، وهذا الشرط ثابت فى الروايات الأخرى . فقد جاء فيها (من قتل دون ماله مظلوما فله الجنة)[١] **ولذلك بين الفقهاء ضرورة هذا الشرط لئلا يكون المقتول ظالما ، أو معتديا على حق الغير .**

(والشهيد) **هو من شهد دار النعيم ، ورأى مقامه عند ربه عند موته ، وغيره لا يرى مقامه إلا يوم القيامة ، وقد شهد الله له بالإيمان ، وبالجنة ، وأحياه عنده بعد موته ، ويشهد مع النبى ﷺ على الأمم الأخرى ، ويشاهد عند موته ما أعد الله له فى الآخرة من نعيم ، وطعام ، وشراب ، ومقام كريم ، وببعثه الله يوم القيامة ومعه شاهده ، وهو دمه الذى يثغب .**

يقول الإمام النووى : واعلم أن الشهيد ثلاثة أصناف هى :

الأول : **المقتول فى حرب الكفار بسبب من أسباب القتال ، فهذا له حكم الشهداء فى الدنيا لا يغسل ولا يصلى عليه ، وله فى الآخرة ثواب الشهداء .**

الثانى : **شهيد فى الثواب دون أحكام الدنيا وهو المبطون والمطعون ، وصاحب الهدم ، ومن قتل دون ماله ، فهذا يغسل ويصلى عليه ، وله فى الآخرة ثواب الشهداء ، ولا يلزم أن يكون مثل ثواب الأول .**

الثالث : **المجاهد الذى غل فى الغنيمة ، وقتل فى الحرب فهذا له حكم الشهداء فى الدنيا فلا يغسل ولا يصلى عليه ، وثوابه فى الآخرة ناقص عن غيره كما أن ثواب القسم الثانى أقل من سابقه**[٢] .

---

(١) سنن النسائى . كتاب تحريم الدم . باب من قتل دون ماله ج٧ ص١١٥ .

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ج٢ ص١٦٤ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب أهمية المال عند صاحبه ، فهو شقيق الروح ، وهو الدنيا ، ولذا وجب على صاحب المال أن يصونه ، ويحافظ عليه ، ويدافع دونه ، وأن من قتل وهو يدافع عن ماله فهو شهيد يجازيه الله بالجنة .

ومن هنا ...

علم المؤمنون أنه لا دنية فى دين الله تعالى ، وأن الدفاع عن المال حسن لصيانته وحمايته .

وفى بعض الحالات **يتغلب الظالمون ، ويمارسون العدوان المنظم على حقوق البلاد والعباد ، ويعتمدون القوة الظالمة الباغية للاستيلاء على أموال الناس بغير حق .**

فى هذه الحالات تتسع الفتنة ، ويكثر النزاع والتفرق ، وتنعدم السلطة الشرعية العادلة . فى هذه الحالات يكون الأولى بالمسلم أن يستسلم ولا يقاتل المعتدى ، لأن المواجهة حينئذ تحقق الهلاك والدمار بلا فائدة . يدل على ذلك ما جاء فى حديث ابن مسعود ﷺ حينما سأله أبو الرواع رحمه الله وقال له : إنا نرى أمورا نخاف أن تكون لنا سببا فإن كان ذلك فكيف نصنع ؟

فقال له عبد الله : تدخل دارك .

قال : فإن دخل علي داري ؟

قال : تدخل بيتك .

قال : فإن دخل علي بيتي ؟

قال : لا أحسبه إلا أن يقول قاتله .

قال : أدخل مخدعك ، فإن دخل عليك فكن كالجمل الأورق الثقال الذي لا ينبعث إلا كرها ، ولا يمشي إلا كرها[١] .

وحق المسلم فى هذه الحالة أن لا يركن إلى الظلم ، وانما عليه أن يتعاون من إخوانه الصادقين ليتمكن من حماية الحق ، ويعيد ما أخذ منه بعد أن يتمكن من الأمر .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب ضرورة أن يصون المسلم ماله ، ويدافع عنه فإن مات دونه فهو شهيد .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة أساسية ... هى :

التمسك بالحق ضرورة شرعية

يحمى الإنسان عرينه وحقوقه ، ويصون محارمه ، وعرضه ، وماله بطرق شتى ... وقد نظم الإسلام حماية الحقوق بإيجاد الدولة المنظمة حيث يقوم القضاء فيها بالفصل بين الناس فيرد المعتدى ويعاقبه ، ويصون الحقوق لأصحابها .

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة ج٢ ص٥٩٢ .

وقد يفاجأ الإنسان بعدو غادر ، ولص فاجر يقتحم عليه داره لأخذ ماله عنوة ، فله أن يتصدى له ليصون ماله ، فإن تغلب على اللص فلا شيء عليه وان قتله اللص فهو شهيد .

وقد فصل العلماء فى مواجهة اللص المعتدى فأجازوا التصدى له ، ومواجهته حتى لا يتفشى الظلم ، وينتشر العبث .

وذكر بعض العلماء أن على الإنسان أن يقعد عن رد المعتدى فى حال الفتنة ، وانتشار الغوغاء حتى لا يقع فى التهلكة ، وله أن يختار الظروف المناسبة لحماية ماله ، وصيانة حقوقه .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يستفاد من الحديث ما يلى :

(١) حقوق الإنسان مصانة لا يصح الاعتداء عليها .

(٢) قتل اللص المعتدى لا ديه عليه ، ولا قصاص .

(٣) الشهادة مراتب كثيرة أعلاها شهادة من قتل فى سبيل الله .

(٤) من حق المسلم أن يرد أى عدوان عليه ، وعلى ماله ، وعرضه ، ودينه .

(٥) الدنيا دار عمل ، وتنتهى بالموت فليعش الإنسان عزيزا ، أو يموت كريما .

(٦) الشهادة حياة دائمة تبدأ بخروج الروح ، وتستمر فى القبر ، وتلازم صاحبها فى جنات النعيم .

ـ ٤٦ ـ

٦١ ـ باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار

[٨٦] ، (١) ٤١٥٠ حديث معقل بن يسار ﷺ ، أن عبيد الله بن زياد ﷺ عاده في مرضه الذي مات فيه ، فقال له معقل : إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ، سمعت النبي ﷺ يقول : ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول بيان مصير الوالى الغاش لرعيته المقصر فى النصح والتوجيه ، المضيع للحقوق ، المعتدى على الحرمات ، ويوضح أن الله يحرم على هذا الوالى وأمثاله الجنة .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

مرض معقل بن يسار ﷺ فعاده عبد الله بن زياد ﷺ فى مرضه هذا الذى مات فيه (فقال له معقل : إني محدثك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ) **أى قال معقل لعبيد الله وأكد له ما سمعه من رسول الله ﷺ ، ووضح له أنه**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٩٣ كتاب الأحكام : ٨ باب من استرعى رعية فلم ينصح .

أخر الإخبار بالحديث قبل ذلك لتصوره أن الوعظ بالحديث لا يفيد ، فلما ظن قرب وفاته روى الحديث حتى لا يكتم بصمته علما وصل إليه .

وقيل : **إنه أخر الحديث حتى لا يهيج عليه أولو الأمر لما عندهم من تقصير فى حق الرعية .**

(سمعت النبي ﷺ يقول : ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة) **أى يبين معقل ﷺ إنه سمع الحديث من رسول الله مباشرة والسماع أعلى درجات التحمل ، وفيه يقول ﷺ : أى عبد اختاره الله لرعاية جماعة من المسلمين ، وولاه عليهم فغشهم ، وخانهم ، ولم ينصح لهم ، ولم يعرفهم بما وجب عليهم ، وبما استحقوه ، ولم يقم بما يتعين عليه من حفظ الشريعة ، والذب عنها ، والتصدى لكل من يحاول ادخال ما ليس من الدين فيه ، أو منع ما هو منه ، أو إهمال حدوده ، أو ترك إعداد العدة ، أو ظلم الناس ، أو نشر الفحشاء بينهم ، أو أهمل أمور معاشهم أو ضيع اقتصادهم ، أو قصر فى صيانة حرياتهم وكرامتهم إلا لم يذق رائحة الجنة ، وان رائحها لتوجد من مسافة مائة عام ، وبذلك يبعده الله عن الجنة بعدا كبيرا .**

ومن أعظم الخيانات فى الولاية ما يقوم به بعض الناس من انقلاب على الشرعية الدينية ، واستبدال غيرها بها ، والاعتماد على أناس يعادون دين الله تعالى بعملهم وسلوكهم ، ويلجأون إلى العامة لنشر دعاياتهم ، وخبثهم .

ومن أعظم الخيانة أيضا أن يتحول الوالى لخدمة أعداء الله سرا أو جهرا بقصد أو بغير قصد ، ويلبس على المسلمين فعله ، ويزعم الإخلاص فى خدمة الدين والوطن .

وجاء ذكر (عبد ، رعية ، بنصيحة) **نكرات ليكون الحكم عاما شاملا لسائر الناس ، ولجميع الرعايا ، ولكل النصائح ، تحذيرا من المنكرات التى يقع فيها بعض الولاة لإطفاء نور الله فى الأرض .**

إن صراع المذاهب والطوائف فى العصر الحديث أدى إلى حبك المؤامرات ، وزراعة العملاء ، والعمل المستمر لإيجاد طابور من العاملين وسط الخصوم لخدمة الغايات والأهداف التى يسعى إليها أعداء الله فى الأرض ، وأغلب الهزائم التى تحيط بالمسلمين اليوم من هذا الجانب الخطر ، ولذا كانت الحاجة ماسة لمعرفة أساليب الخصوم ، ومعاملتهم بما يستحقون والتصدى المتقن للمآسى التى يقيمونها بين المسلمين .

إن غش الرعية داء خطير ، ومن المهم وضع الأسس والمبادئ التى تظهر الداء قبل حدوثه ، وتواجهه عند ظهوره ، وتمنعه من البقاء قبل أن يسود ويتحكم .

إن مسئولية الحاكم فى الإسلام أن يحمى الدين ، ويحرس الدنيا ، وينصح لرعاياه ، ويهتم بشئونهم ، والنصح لهم ... وحديث الباب يتناول عقوبة الحاكم الخائن وهى حرمانه من الجنة وأنه لن يجد رائحتها لتأكيد بعده عنها ، وأنه لن يدخلها .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

وضع الله للناس الأسس التى يعيشون بها ، وعرفهم طرق تنشئة الفرد الصالح ، وايجاد الجماعة الصالحة ، والمجتمع المستقيم .

ومن أعظم ما شرع الله للناس اختيار الحاكم العادل المتميز بالخصائص الدينية ، والعقلية ، والعملية ، والاجتماعية التى تمكنه من القيام بمسئولياته فى حماية الدين وحراسة الدنيا .

وحديث الباب يشير إلى عدة أمور :

أولاها : **عدم كتمان النصح للولاة لأن إرشادهم ضرورة لازمة . فقد يغيب الحق عن فكرهم ، أو قد تحيط بهم بطانة فاسدة تزين الهوى ، وتشجع على الفساد .**

وفى هذه الحالة يستفيد الوالى من النصح ، ويظهر له الحق والصواب ، ومن هذا الباب كان نصح الراوى لعبيد الله بن زياد ليستقيم على الحق ، ويبتعد عن بطانة السوء ، وأنصار الشيطان .

ثانيها : **وجوب تخير الظرف الملائم للنصيحة ، لأن الظرف الملائم يساعد على الاستفادة ، ولذلك اختار الراوى لحظة مرضه ، ونصح فيه لأن فى المرض عظة وعبرة ، وحالة المريض تشير إلى النهاية التى يصل إليها كل إنسان .**

ثالثها : **ضرورة انطلاق النصح من حكم الله ورسوله ، لأن النفوس المؤمنة تقبل حكم الله تعالى ، وتسعد بالاستقامة على منهج الله تعالى ، ولذلك أكد معقل ﷺ سماع الحديث من رسول الله ﷺ .**

رابعها : **يوضح الحديث عموم الحكم الذى نطق به ، ليعم سائر الولايات العامة والخاصة ، وفى أى جانب من جوانب الحياة .**

خامسها : **أهمية الدعاة والعلماء فى استقامة الناس ودعوتهم إلى منهج الله تعالى ، وذلك دورهم بين الناس .**

سادسها : **فى الحديث وعيد شديد على أئمة الجور فمن ضيع رعيته ، أو خانهم ، أو ظلمهم فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة . يقول النبى ﷺ : (كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته)**[1] .

فإن قيل : **لم أخر معقل ﷺ نصيحته تلك إلى مرض موته ؟**

أقول : **أخر معقل نصيحته تلك للوالى إلى مرض موته لأنه أراد أن يتخير لها الظرف المناسب ، والحالة التى يتصور فيها الاستجابة ، ولذلك اختار مرض الموت حيث قرب الآخرة ، والتفكير فى الجنة والنار ، وجعله منطلقه للنصح والإرشاد .**

ولا أسلم **بأنه أخر النصح خوفا من البطش والتنكيل ، لأنه صحابى جليل ولا يجوز تصور خوف أحد من الصحابة من غير الله تعالى ، ولا نسلم فى نفس الوقت أن يميل الولاة فى هذا الزمن إلى القهر والبغى والظلم وهم قريبو عهد بالنبوة .**

إن المؤرخين ذكروا أحداثا فى هذا الزمان لا يمكن تصور حدوثها بين الصحابة ، وهم خير قرون الإسلام مثل ذكر أن آل عمرو بن العاص ﷺ خرجوا لحماية أرضهم ضد إخوانهم المسلمين ، واستعدوا للقتال حتى الموت

---

(١) صحيح البخارى . كتاب الجمعة . باب الجمعة في القرى والمدن ج٢ ص٥ .

كما فى صحيح مسلم كما لا أتصور أن معقلا ﷺ أخر النصح إلى مرض الموت خوفا وجبنا .

ولا أتصور المجتمع الإسلامى الأول كان بهذه الصورة من الفتن والمؤامرات التى ذكرها المؤرخون .

وان قيل : **كيف يحرم الله على الوالى الجنة وهو موحد ؟**

أقول : **إن الله يحرم عليه الجنة إن استحل ذلك ، وان لم يستحلها لا يدخلها إلا بعد معاقبته بمعاصيه .**

وان قيل : **إن الحديث خاص بريح الجنة لا بدخولها . فما معنى هذا ؟**

أقول : **رائحة أى شيء تشم قبل الوصول إليه ، والحرمان من الرائحة يعنى الحرمان من الدخول . بل ويفيد عدم الاقتراب منها .**

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب مصير الوالى المسلم الذى يغش من تولى شئونهم، ويوضح أن الله يحرم عليه الجنة ابتداء، ولا يدخلها إلا بعد معاقبته بمعاصيه

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هى :

بيان واجبات الوالى المسلم

الفوضى لا تصلح الحياة ، ولذا جاء الإسلام لينظم حياة الناس ، ويقيم منهم أمة يقودها واحد منهم ، ويحكمهم بشرع الله تعالى ، ولم يرتض

الإسلام أن يعيش الناس نظام الأكاسرة والقياصرة حيث الظلم فى العبادة ، والتدين ، والاستبداد فى العمل السياسى والاجتماعى .

ولذلك أنشأ الإسلام نظامه السياسى على أساس اختيار الإمام العادل الذى يقود الرعية إلى الخير ، ويهتم بشئون الدنيا ، ويحرس دين الله تعالى

إن الإمام العادل يستظل بظل عرش الله يوم القيامة ، ويسكنه الله الجنة ، ويحشره فى زمرة النبيين والصديقين والشهداء .

أما الوالى الظالم الذى يقصر فى شئون الدنيا ، ولا يقوم بالدعوة ، وحماية الدين ، فلن يدخل الجنة ، ولن يجد ريحها ... إن الإسلام يهدى إلى الحق والى صراط مستقيم .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يدل الحديث على بعض الفوائد ... منها :

(١) **الراعى مسئول عن رعيته ، وتشمل الرعاية النصح والدعوة واصلاح أمور الدين والدنيا .**

(٢) **الحاكم الظالم لرعيته له عذاب أليم عند الله تعالى .**

(٣) **المسلمون جسد واحد ، كل منهم يسعى لمصلحة الآخرين .**

(٤) **يختار المسلمون واليهم كما يقدره الله لهم .**

(٥) **كل الأعمال مخلوقه لله تعالى ، وليس للإنسان فيها إلا الميل والرغبة والأمانى .**

ـ ٤٧ ـ

٦٢ ـ باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب

[٨٧] ، (١) ٦٤٩٧ حديث حذيفة ﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر .

حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة .

وحدثنا عن رفعها .

قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل أثر الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك ، فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء .

فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، فيقال : إن في بني فلان رجلا أمينا .

ويقال للرجل : ما أعقله ، وما أظرفه ، وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان .

ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت ؛ لئن كان مسلما رده علي الإسلام ، وان كان نصرانيا رده علي

ساعيه ، فأما اليوم ، فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا[١]

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب مع أمرين ، أولهما **حول وضع الأمانة فى القلب ، وبيان عوامل تنميتها ورعايتها** . وثانيهما **يدور حول رفع الأمانة من القلوب ، ونزعها بين الناس ، وبيان أن الإيمان تابع للأمانة يقل بقلتها ، ويقوى بقوتها .**

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

قال حذيفة ﷺ : (حدثنا رسول ﷺ حديثين) **أى عرفنا رسول الله ﷺ بأمرين يقعان فى الناس ، يتصلان بإيجاد الأمانة ، ورفعها ، وذلك فى حديثين سمعتهما منه ﷺ فى الأمانة ، ورويتهما عنه ﷺ ، وقد روى حذيفة ﷺ كثيرا عن رسول الله ﷺ فى الصحيحين وغيرهما فى مواضع أخرى إلا أنه أراد بقوله الحديثين المتصلين بالأمانة خاصة .**

يقول حذيفة ﷺ : (رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر) **أى وقع الأمر الأول الذى حدثنا عنه رسول الله ﷺ وسمعته منه ، وشاهدته ، وأنا أنتظر وقوع الأمر الآخر الذى لابد من حدوثه لأن رسول الله لا ينطق عن الهوى.**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٨١ كتاب الرقاق : ٣٥ باب رفع الأمانة ، وللحديث روايات أخرى فى صحيح البخارى تحت رقم (٧٠٨٦ ، ٧٢٧٦) .

أما الأمر الأول **فقد** (حدثنا) **رسول الله ﷺ عنه ، وقال :** (أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال) **أى إن الأمانة ، قد وضعها الله تعالى فى أصل قلوب الرجال ، وخلقها فى فطرة الإنسان ووضعها فى روحه التى يولد بها .**

و (جذر) **ينطق بفتح الجيم وكسرها مع سكون الدال ، وهى أصل الشىء وأساسه ، وفى ذلك دلالة على أن الإنسان مفطور على الأمانة لا يبعده عنها إلا عوامل السوء والضلال .**

و (الأمانة) **ضد الخيانة ، والمراد منها الخصائص الإنسانية والأخلاق الذاتية التى يولد الإنسان بها ... والانقياد للتكاليف الإيمانية ، والارتباط بالأصول الدينية التى كلف الله بها عباده على لسان رسله عليهم السلام ، فلقد أخذ الله العهد على الناس وهم فى عالم الذر ، وجعل تحملهم الأمانة الدينية جزءا من حياتهم ووجودهم .**

يوضح قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[1] أن الأمانة **هى الفرائض التى فرضها الله على العباد ، والأوامر التى أمرهم بها ، والنواهى التى نهاهم عنها . فقد خلفهم مستعدين لها مقبلين عليها لتحقيق سعادتهم ، والوصول بها إلى أمانيهم ، وأحلامهم .**

والأمانة عند علماء السلف هى الإذعان والطاعة فى أداء الفرائض التى يتعلق بأدائها الثواب ، وبتضييعها يكون العقاب ، وهى عين الإيمان الذى يبدأ من القلب ، فإذا استمكنت من القلب قام العبد بالتكاليف ، وسعد بما يرد عليه منها ، وجد فى المحافظة عليها ، وأدائها على وجهها

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ .

الصحيح ، وسخر للقيام بها كافة جوارحه ، وأبرزها فى جميع أقواله وأعماله .

(ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة) **أى تأكد العلم بأهمية الأمانة وضرورتها حيث جاء النصح بها والإرشاد إليها فى القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية على نحو واضح ، ومنهج مستقيم .**

وتكررت (ثم) **مع العلم من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية للدلالة على أن المسلمين قد علموا حقيقة الأمانة ، وأهميتها من القرآن الكريم أولا ، وبعده من السنة النبوية ، وهى ما يتلقونه من رسول الله ﷺ قولا أو فعلا**

وبذلك اتضحت الأمانة ، وثبتت أهميتها ، وعلم المكلفون ضرورتها فهى مرتبطة بفطرتهم ، وثابتة فى أصول دينهم وهم يجدونها فى حياتهم قوية مؤثرة فقد وجدت فى فطرتهم ، وركزت فى طباعهم وجاء الإسلام فأبرزها ، وحدد معالمها ، ودعا إلى ضرورة وجودها فى كافة مناشط الحياة كما يرونها فى القرآن الكريم المصدر الأول لدين الله تعالى ، وكما تفصلها لهم السنة النبوية .

إن أساسيات الأمانة هى الفطرة ، وهى دين الله تعالى كما هو فى مصادره الثابتة المحفوظة .

هذا هو الحديث المتصل بالأمر الأول .

أما الأمر الثانى **فهو متصل برفع الأمانة ، وذهابها من قلوب الناس وأعمالهم حتى أصبح وجودها نادرا بينهم .**

(قال) ﷺ **عن كيفية رفع الأمانة** (ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه) **أى ينام الرجل النومة وهو أمين ، ثم يستيقظ من نومه فتذهب الأمانة من قلبه ، ولا يبقى منها إلا أثر قليل .**

والنومة اسم مرة من النوم ، والمراد بها الغفلة ، واهمال ذكر الله تعالى والألف واللام فيها للجنس لإفادة تكرر هذه الغفلة المؤدية إلى ترك الأمانة .

والمعنى أن الغفلة عن ذكر الله وترك طاعته ، واتباع وسوسة الشيطان تبدأ قليلة بسيطة فى الظهور والتأثير .

(فيظل أثرها مثل أثر الوكت) **أى تذهب الأمانة بصورة جزئية ، ويبقى أثرها فى القلب مثل الوكت لأنها لا تذهب دفعة واحدة ، بل تضيع شيئا فشيئا ، وكلما ضاع منها جزء حلت الخيانة مكانه .**

و (الوكت) **هو اللون الأسود الذى يبقى على الجلد بعد إصابته بالنار ، وهو أثر ظاهر قليل يدل على حدوث أذى فى الجلد ، وما حول الوكت يشير إلى الحسن الذى كان عليه الجلد ويبين بقاء شيء من الأمانة وأنها لا ترفع دفعة واحدة .**

(ثم ينام النومة) **أى ينام الإنسان نومة أخرى** (فتقبض) **الأمانة وترفع** (فيبقى أثرها مثل المجل) **أى ينام الرجل نومة ثانية وثالثة ، وتصيبه الغفلة ، وتتكرر حتى يذهب الباقى من الأمانة ، ولا يبقى منها ألا المجل .**

و (المجل) **بفتح الميم وسكون الجيم أو فتحها هو أثر العمل اليدوى الذى تتركه الآلة كالفأس فى اليد ، وهذا يعنى ارتباط الخيانة بصاحبها وظهورها معه فى حياته الظاهرة والخفية ، فهى تلازمه بعد تمكنها من قلبه ، ومقاصده ، وأقواله ، وأعماله ، ... مع نفسه ومع غيره الناس .**

(كجمر دحرجته على رجلك) **أى إن انتشار المجل على الجلد يشبه أثر جمرة من النار تدحرجت فوق الجلد ، وتركت آثارا منتفخة على الجلد ، متوزعة فوقه كالبثور الناتئة عن الالتهابات والحروق .**

(فنفط فتراه منتبرا) **أى ارتفع المجل فوق الجلد وانتشر ، فتراه قد تورم وامتلأ ماء وقيحا على هيئة نقط منتشرة فوق الجلد .**

وجاء ذكر (نفط) **بفتح النون وكسر الفاء مراعاة للفظ المجل ، ومعناها والتقدير أنه يشبه مكان جمر دحرجته على رجلك فنفط الجمر أو العضو .**

ومعنى (ينام النومة) **يصاب بالغفلة والهواجس الشيطانية ، فالنومة كناية عن ذلك ، وهى اسم مرة على وزن فعلة ، ويتكرر الغفلة ، وكثرة الوساوس تضيع الأمانة وتذهب ، ولا يبقى منها إلا القليل بين صور عديدة للخيانة .**

والحديث يفيد **أن الأمانة تزول عن القلوب شيئا فشيئا ، فإذا زال أول جزء منها زال نورها ، وخلفته ظلمة مثل الوكت الأسود وسط النور المضيء فإذا كثر الوكت وزاد صار كالمجل الذى يشكل سوادا منتشرا فى الجلد ، ويمثل ظلاما يعيشه الإنسان ، وهذه الظلمة فوق التى قبلها تذهب النور من القلب فتستقر فيه الظلمة ، ولا يبقى إلا جمرة متدحرجة فوق الجلد ، توزع سوادها فوقه ... ثم يزول الجمر ، ويبقى السواد فى القلب على هيئة النقط التى تركها الجمر .**

وهكذا تضعف الأمانة من القلوب ، ويضيع معها الإيمان حتى إذا تناهى الضعف لم يبق إلا أثر الإيمان وهو التلفظ باللسان ، والاعتقاد الضعيف فى ظاهر القلب .

(وليس فيه شيء) **أى يبقى أثر الأمانة على صورة نقاط الجمر ، ولا تأثير لها فى العمل والسلوك ، وقد بين الحديث صيرورة الإيمان إلى ظواهر لا صلة لها بالقلوب ، ووضح أن الغفلة واللهو والوساوس هى عوامل وجود الخيانة ... وبهذا يتضح منهج إيجاد الخيانة ونشرها بين الناس .**

وظاهر الحديث ينذر برفع الأمانة ، ويوضح أن المتصف بالأمانة يفقدها حتى يصير خائنا ، ويؤثر فيمن يعاشره ، ويخالطه لأن القرين يقتدى بقرينه .

(فيصبح الناس يتبايعون) **أى يصير الناس يتعاملون بالبيع والشراء .**

(فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة) **أى يقترب الحال من عدم وجود رجل أمين يحافظ على الأمانة فى البيع والشراء ، ويندر ظهور هذا الأمين فيخون البائع فى بيعه ، ويخون المشترى فى شرائه .**

(فيقال إن في بني فلان رجلا أمينا) **أى يصل الأمر إلى أن يقال : إن فى بنى فلان رجلا واحدا أمينا من بين الجماعة الكثيرة العدد ، ولا يوجد سواه .**

(ويقال للرجل ما أعقله ! ... وما أظرفه ! ... وما أجلده ! ... وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان) **أى يتصف الرجال بالعقل ، وحسن التصرف والشجاعة والقوة ، وليس فيهم شيء من الأمانة ، ولو مثقال ذرة .**

يقول حذيفة ﷺ : (ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت ؛ لئن كان مسلما رده علي الإسلام ، وان كان نصرانيا رده علي ساعيه ، فأما اليوم ، فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا) **أى إن الأمانة كانت موجودة فى حياة الناس أول الأمر ، وكان حذيفة ﷺ يقدم على مبايعة أى رجل من غير بحث عن حاله ودينه لوجود الأمانة فى فطرته وحياته ، لأنه إن كان مسلما فإن إسلامه يأمره بالأمانة ، ويلتزم بها ، وان كان غير مسلم ، فإن له حاكما يردعه ، ويوجهه وهو أمين فى الطاعة ، فلما بدا التغير في الناس ، وظهرت الخيانة صار حذيفة لا يبايع إلا من يعرف حاله .**

ثم أجاب حذيفة ﷺ عن سؤال مقدر ، وكأن قائلا قال له : إن الخيانة كانت موجودة قبل الإسلام ، لأن الوقت الذي أشرت إليه كان الكفر موجود فى مكة وهو أساس الخيانة . فكيف تقول : إنه لم يكن موجودا ؟

فأجاب حذيفة ﷺ بأنه وان كان الأمر كذلك لكنه كان يثق بالمؤمن لذاته وبالكافر لوجود ساعيه ، وهو الحاكم الذي يحكم عليه ، وكانوا لا يستعملون في كل عمل قل أو جل إلا المسلم ، فكان حذيفة لذلك واثقا بإنصافه ، وتخليص حقه من الكافر إن خانه ، بخلاف الوقت الأخير الذي أشار إليه فإنه صار لا يبايع إلا أفرادا من الناس يثق بهم ، ولم يذكر

حذيفة ﷺ أسماء هؤلاء الثقات حتى لا يؤذى أحدا ويبقى الأمل فى عموم الناس .

وفى الحديث ملحوظات :

الملحوظة الأولى : **دار الحديث حول الأمر الغالب فخص الرجل بالذكر مع أن الأمر عام يشمل الرجال والنساء ، والكبار والصغار ، وانما جرى الحديث على الغالب .**

الملحوظة الثانية : **فى الحديث منهج المحافظة على الخلق الكريم ، والعادات الحسنة ، وذلك يكون بتقوية الفطرة المركوزة فى النفس التى خلقها الله تعالى ، والتعلم من القرآن الكريم ، والتعلم من السنة ، وتجنب قرناء السوء فهم دعاة شر ، يزينون الباطل ، ويأخذون من يعاشرهم إلى سوء الأخلاق .**

الملحوظة الثالثة : **الأمانة ، وسائر الأخلاق الكريمة لا تذهب كلها فجأة وانما تختفى شيئا فشيئا ، ولذلك كان على المسلم ملازمة الخلق الكريم ، وأداء الأمانات ، فإذا رأى فى نفسه قصورا أو صدودا فليرجع إلى الله ، ويجدد النية والتوبة ، ويعتصم بحبل الله المتين .**

الملحوظة الرابعة : **قلب المؤمن دليله إلى الله ، لأن الطريق إلى الله نور ، وضياء ، وهدى ، يريح النفس والروح ، ويرضى العمل والسلوك . أما المعاصى والخيانة ، وسوء الأخلاق فهى ظلام وغبش ، لا تسلم القلوب معها ، ولا تطمئن لوجودها ، وتشعر الأرواح بضررها وشرورها ، وتتمنى البعد منها .**

الملحوظة الخامسة : **يؤكد الواقع ضرورة استفادة الخلف من السلف ، لأن السلف كانوا على تمسك بالحق ، واهتداء بهدى الله الكريم ، ولذلك كان الاهتداء بهديهم ، واتباع سبيلهم اتباعا للصراط المستقيم ، ورحم الله الإمام مالك فقد جعل عمل أهل المدينة أصلا شرعيا يدل على صحة الأحكام**

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يوضح حديث الباب صدق رسول الله ﷺ فى كل أنبائه وأخباره ، وتبين أن الله أطلعه على بعض الغيب إظهارا لصدقه ، واثباتا لنبوته . فقد أخبر النبى ﷺ عن أمرين فى هذين الحديثين اللذين رواهما حذيفة ﷺ عن الأمانة فجعل حديثه الأول عن وضع الأمانة فى القلوب والحياة ، وجعل الحديث الثانى عن رفع الأمانة من القلوب وأعمال الناس .

ففى الحديث الأول يبين رسول الله ﷺ ملازمة الأمانة للفطرة ولتعاليم الإسلام ... وفى الحديث الثانى يبين ﷺ أسباب ضياع الأمانة ، وطرق هذا الضياع ، فوضح أن أسباب ضياع الأمانة هو الغفلة عن الحق ، والتقصير فى طاعة الله ، ووسوسة الشيطان ، وبين أن الأمانة تضيع شيئا فشيئا ، وأن الناس يساهمون جميعا فى إضاعتها حتى يضيق بهم الحال ، ويتعبون فى البحث عن رجل أمين يتعاملون معه .

وقد ذكر الحديث ندرة الأمناء فى الناس ، وبين أن تقادم العهد يؤدى إلى زيادة هذه الندرة حتى أن القبيلة كلها لا يوجد فيها رجل أمين واحد .

والعقلاء يرون سوء الحال لكثرة الخيانة ، ويتحملون مشاق البحث عن الأمناء للتعامل معهم .

ويدل الحديث على أن مظاهر الناس لا تدل على إنسانيتهم فقد يكون الرجل عاقلا ، شجاعا ، ظريفا إلا أنه خائن فى تعاملاته ، وفى بيعه وشرائه ...

وكم يعانى المسلمون اليوم من الخيانات التى يرونها ؟!

يتعامل الإنسان المسلم مع أخيه بالخلق الكريم ، والمعاملة الطيبة ويفاجأ به يخونه ، ويطعنه فى مقتل وهو لا يشعر به !!!...

ويسعى الإنسان المسلم للتعامل مع أناس يعبدون الله تعالى ، ولا يسلم من مخالفتهم ، وغشهم ، وعدم صدقهم معه !!!...

يظن المسلم أن بعض من يتعامل معهم كالطبيب ، والمهندس ، والمزارع صادقون ، فيتفق معهم ، ويثق فيه ، ويرضى بهم إلا أنهم لا يقومون بما اتفقوا عليه ، ويحرصون على أخذ ما يقدرون عليه بلا حق لهم فيه !!! ...

إن الخيانة تؤدى إلى عدم الثقة ، واذا انعدمت الثقة فلا ضمان لشيء ، ولا بقاء لشيء ... ولا استقرار لشيء .

وعن طريق الخيانة تسقط الأمم ، ويضيع الناس ، ويضعف الإيمان ... والأمر كله لله .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يوضح الحديث أن الله فطر الإنسان على الأمانة ، ودعا للمحافظة عليها فى القرآن الكريم ، وفى السنة النبوية ، ويبين أن الغفلة وعدم طاعة

الله تعالى هى طريق ضياع الأمانة ، وفقدانها ، وندرتها ، ويحث على ضرورة البحث عن الأمناء ، والتعامل معهم لتنهض الأمة ، ويعود للدين مجده ، ورونقه ، لأن الأمانة وحدها هى طريق الفوز والفلاح .

ويحذر الحديث من الخيانة والخائنين حتى لا تضيع الحقوق ، ويسقط الإيمان ، وتنهار الأمم ، ويعيش الناس فى حيرة واضطراب .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولي

الأمانة هي الدين كله

تتشعب الأمانة ، وتتعدد صورها ، وتكثر كثرة تؤكد أنها تشمل نشاط الإنسان كله حتى يمكن القول بأنها الإسلام كله .

فهى خلق فى القلب والضمير **تلزم صاحبها بالفكر المستقيم ، والإنصاف فى التصور ، والعدل فى الرضا والقناعة ، ... وأمانة القلب حين يتصل الأمر بالإيمان تكون بتوحيد الله تعالى ، واليقين بأنه المتصف بكل كمال يليق به ، وأنه الرب الخالق لكل موجود ، وأنه الواحد لا شريك له** ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[1] **، واذا امتلأ القلب بأمانة العقيدة التى ترسخت فيه فإن صاحبه لا يتزحزح عنه ، ويرضى بكل ما ينتج عنه من أثر ، لا**

---

(١) سورة الشورى ، الآية ١١ .

يلهيه فوز وانتصار ، ولا تصرفه هزيمة وانكسار ، لقد عذب كفار مكة ما ملكوا من عبيد بعد إيمانهم فما كفروا وتمسكوا بما آمنوا به ، وقالوا لهم صادقين: افعلوا ما شئتم بنا فلكم أجسادنا وأعمالنا. أما قلوبنا وعقيدتنا فهى لله رب العالمين ، لقد اطمأن قلبهم بالإيمان، ورضى بالعبودية الخاشعة لله تعالى

إن صاحب العقيدة ينطلق إلى الجهاد حيث الموت والهلاك ، راضيا بحكم الله ، ويسعد فى فكره وأمانيه لأنه يتمنى أن تسعد روحه فى جنات النعيم فى الفردوس الأعلى ، وتحت رعاية الله العظيم .

إن أمانة القلب تضع صاحبها فى مقام كريم ، وتبعده عن مشاعر الخيانة والتقصير ، وتنقذه من ثقل المعاصى التى قد تقع فى أحلامه ، وأمانيه وتوجهاته لله رب العالمين .

والأمانة خلق فى القول واللسان **تجعله يقوم بما عليه لله فيذكره ، ويعيش مع قرآنه وسنته ، لا يقول إلا صدقا ، ولا ينطق إلا حقا ، وينصح من يعرف ، ومن لا يعرف ، لا يقول كذبا قط ، ولا يرضى بغش أو بتدليس ... يسعد به من يلقاه ، ويتعلم منه من يسمع له ، إنه لا يخالف ربه فى همسة أو كلمة . فقد سيطرت الأمانة على لسانه كما استولت على قلبه**

إذا قال الأمين فصدقوه ∴ فإن الحق فى قول الأمين

والأمانة كذلك خلق فى العمل والسلوك ، **فهو فى عمله يعبد الله فيفعل ما أمره به ، وينتهى عما نهاه عنه ، ويتحول الإنسان بالأمانة إلى دين يتحرك ويرى ... يرتضيه الكافة رائدا لهم ، ويضعونه فى الموضع اللائق به** وهكذا :

فإن الأمانة تشمل الدين كله ، وتتجلى فى قلب الإنسان الأمين ولسانه ، وعمله ، وسائر أحلامه ، ونشاطه .

وقد اشتهر محمد ﷺ قبل مبعثه بالأمانة حتى سماه المكيون بـ (الصادق الأمين) .

وقد فهم العلماء أن الأمانة هى الدين ، وفسروها فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[1] **بأنها الدين كله ، فقد هيأ الله الإنسان لدين الله ، ورزقه العقل ، ومكنه من التفكير والاختيار ، وكلفه بالإسلام بكل ما فيه من عقيدة تناسب القلب والضمير ، ومن شريعة تتلاءم مع القول والعمل ، ومن خلق يحسن الفكر والسلوك والأعمال ... ولم يعط الله لمخلوق آخر ما أعطاه للإنسان ، ولذلك اختصه بتحمل الأمانة فحملها ، وقد عجزت كل المخلوقات عن حملها ... نعم حمل الإنسان أمانة الدين ، وهى فى طاقته ، واستطاعته إلا أنه معرض لعداوات تأتيه من داخله ومن خارجه تعمل على صرفه عن دين الله ، وتزين له الخيانة ، وتغريه بالماديات والشهوات ، وتنسيه حقائق الأمانة التى تحملها ... وقد ينسى ويتلهى فيجهل ما علم ، ويترك ما أمره الله به إلى ما نهى الله عنه** ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾[2] .

نعم :

الأمانة هى الدين كله ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3] .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ .

(٣) سورة النور ، الآية ٦٣ .

الركيزة الثانية

منهج المحافظة على الأمانة

يولد الإنسان على الفطرة ، لا يملك إلا الخصائص التى ركزت فى جبلته ، وسكنت فى نفسه ، وهى تظهر للناس شيئا فشيئا حتى تستوى خلقته ، وتستوى فطرته . يقول الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[1] **ويقول ﷺ : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)**[2] **وهذا معنى قوله ﷺ في الحديث الأول أن الأمانة** (وضعت فى جذر قلوب الرجال) **لأن ذلك يفيد ما هو واقع فعلا ، وقد أثبت ابن طفيل فى قصة** حى بن يقظان[3] **حقيقة الفطرة ، وبين أن**

---

(١) سورة النحل ، الآية ٧٨ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب الجنائز . باب ما قيل في أولاد المشركين ج٢ ص١٠٠ .

(٣) يقدم ابن طفيل فلسفته من خلال إنسان حى يقظ سماه (حى بن يقظان) ، نشأ بعيدًا عن أمه وعن الناس ، وسط غابة يسكنها السباع ، ومختلف الحيوانات فرضع من حيواناتها ، وكبر بينهم ، وظهر عقله وفكره ، وتدبر في المخلوقات من شجر وطير ، وحيوان وهوام وأرض وسماء ، وأنهار وأمطار ... ووصل بعقله وحده إلى ضرورة وجود خالق أوجد هذا الكون ، وسخر كل عنصر لوظيفته ، وهداه إليها ، وميز من بين جميع المخلوقات مخلوقًا له عقل ، وإدراك ، وتصور ، وحكم .

رأى حي بن يقظان نفسه الوحيد الذى يفكر ويعقل ، فنظر في أمر حيوانات الغابة ، ورأى ما بينهم من صراع ومغالبة ، ووجد نفسه الحاكم لهم فسيطر على شئون الغابة ، ونظمها ، وسيطر على الغابة كلها ، وساق كل ما وجد فيها لعمله ، ونظم مسارها من زروع ، وطيور ، وحيوانات بقدر استطاعته ، وصار رئيس الغابة ورائدها بعقله المفكر الذى تميز به وحده ، وانتهى حى بن يقطان بعقله المفكر إلى معرفة الله ، والإيمان به ، وانتظر بعد ذلك من ينظم له العمل ، ويعرفه بالأحكام ، ويفصل له الدين كله .

الإنسان إن نشأ وتربى بعيدا عن المؤثرات الأسرية والبيئية فإنه يعرف ربه ، ويحافظ على أمانته .

ومع الفطرة يأتى الإسلام داعيا للأمانة ، ويحدد العوامل لتقويتها والمحافظة عليها بما يعلمون من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية اللذين يأمران بإحسان التربية ، وتقوية الفطرة فى الطفل ، وتعويده الاستقامة منذ صغره ، وتلقينه الخلق الكريم بمشاهدته فى أبويه ، واخوته ، وأقرانه ، والاهتمام بتعليمه الدين منذ صغره مبسطا سهلا ، وتجنب كل ما يعارض الفطرة السوية من إعلام ردىء ، وصور عابثة ، وقصص تدور حول الخلاعة والمجون ، ووضعه فى إطار جماعة مؤمنة صالحة من الجيران ، ومن أصدقاء اللعب ، ومن رواد المسجد ، ومن رفقاء النشاط العام ، واحاطة هذا التجمع الصغير بالمعاملة الحسنة ، والتمسك العلمى بأخلاق الإسلام مثل العفة ، والصدق ، والتعاون ، وحب الآخر ، والتخلى عن معايب القلوب والجوارح ، والتخلص من الحقد والحسد ، والكذب والنفاق ، والغش والخداع ... وتشجيع النابهين الذين يتميزون بالطاعة ، والاستجابة ، وحب الخير .

وياحبذا لو تمكن الآباء والمربون والدعاة من اختيار رواد من الصغار ذوى الصفات القيادية الشجاعة ، لتكليفهم بأعمال ريادية بين زملائهم لتخريج حيل من الرواد الأمناء .

وبهذا تقوى الأمانة ، وتستمر مع صاحبها ، وتملأ الدنيا بأقوام أمناء يخدمون أنفسهم ، ويعملون لله تعالى .

وهنا :

لابد أن نذكر ما فى المجتمع المعاصر من سوء يضر الفطرة ، وينشر الفساد ، ويوجه الناس إلى عالم من الغش ، والخيانة ، والكذب ، والأنانية ، والفحشاء والمنكر .

إن الأفلام الهابطة التى يراها الكبار والصغار ، واستغلال عرى المرأة وأنوثتها فى الإعلان ، والرقص ، وعرض الأزياء ، ومسابقة الجمال ، وأغانى العواطف كل ذلك حرب للفطرة ، وايقاظ لجوانب الفجور ، والشهوات فى الإنسان ... نذكر ذلك أملا فى أن يستيقظ البعض ، ويحاول أن يعمل شيئا لإنقاذ نفسه ، وبنيه ، والمجتمع الذى يعيش فيه من سوء يحيط به .

إن الصهيونية تعمل على إفساد الخلق والسلوك بين المسلمين ، وتدفعهم إلى الاهتمام بالشهوات المادية لسهولة السيطرة عليهم .

إن الصهيونية تخطط لإفساد الإعلام ، والتعليم ، ومختلف وسائل التوجيه لتصل إلى ما تريد ... وقد نجحت فى ذلك إلى حد بعيد ، وكل ما أستطيعه هو التنبيه والتذكير عسى قومى يفقهون .

الركيزة الثالثة

منهج زرع الخيانة فى حياة الناس

يولد الإنسان أمينا على فطرته ، ويزداد أمانة بمواعظ القرآن الكريم والسنة النبوية .

إلا أن أعداء النجاح ، وأعداء دين الله تعالى يعملون على هدم الفطرة ، وتضييع الأمانة ، ونشر الخيانة بين الناس .

إن الإنسان السليم لا يحتاج لطبيب ، ولو سلم الناس جميعا ما احتاجوا لأطباء ، ولو انتفى المرض لتحقق أمل كل إنسان ، ووصل للغايات التى يرجوها .

ولذلك يعمل خصوم المسلمين على زرع الأمراض الفتاكة فى المسلمين ليصيروا إلى هزال وضعف ، ويعيشوا فى أمراض وأدواء ، ويحتاجون لغيرهم وان كانوا من الخصوم ... وهذا ما تحقق اليوم للأمة الإسلامية كلها .

لقد اتبع الخصوم منهجا فى نشر الخيانة يقوم على الأعمال التالية :

أولا : **إلهاء المسلمين بالأعمال التافهة ، وصرفهم عن الأعمال الجادة كأن يهتموا بالألعاب الرياضية ، والملاهى الكبيرة ، وسماع الأغانى العاطفية فى وقت ينصرفون فيه عن إيجاد صناعة قوية ، ونهضة راقية .**

إن الإسلام لا يمنع اللعب واللهو والمرح ، ولكن يسمح به فى حدود الضوابط الشرعية ، ويجعل له وقتا ، ولا يحول الحياة كلها إلى لهو ولعب .

ثانيا : **تنوع التعليم ، وعدم مساواة المتعلمين فى الحقوق ، واهمال التعليم الدينى حتى صار من يتعلم الدين فى أدنى طبقات المجتمع ، ومن يتعلم غير الدين يرقى إلى قيادة الأمة ، والحصول على المال والسلطة .**

ثالثا : **إلهاء الناس عن ذكر الله وطاعته ، واشغالهم بالشهوات ، وتيسير العهر ، والسكر للشباب ، وبذلك تكون الغفلة التى تصيب القلب ، وتبعده عن الأمانة ، ويتم هذا الإلهاء شيئا فشيئا حتى يبدو وكأنه رغبة من صاحبه ، وبذلك التدرج فى الإفساد يصل الإنسان إلى إهمال الأمانة إهمالا كليا ، ويتخذ من الخيانة منهجا لسلوكه وحياته .**

رابعا : **توجيه الجماعات إلى الخيانة لتتخذه منهجا يحقق لها ما تريد ، فتسرق المال ، وتتعامل بالربا ، وتنشر الغش ، والخداع لتصل للريادة والقيادة ، وبذلك يفسد المجتمع من أوله إلى آخره ، وتضيع الثقة بين الناس .**

مع انتشار الخيانة يضيع الصدق ، وتنتفى الثقة ، وتكثر العداوات ، ويذهب الأمن ، ويضطرب الناس ، ويتحيرون فيمن يتعاملون معه .

فى حالة الأمانة يتعامل الناس فى ثقة ، ويراقب المسلم ربه ، ويخضع غير المسلم لحاكمه وقاضيه .

أما فى حالة الخيانة فإن الفوضى تنتشر ، وتضيع الثقة ، ولا يجد الأمين من يتعامل معه ، وان وجد ففى عدد قليل مع الحذر منهم .

إن الخيانة لا تنشئ إنسانا صالحا ، ولا تقوى أمة مستقيمة ، ولا توجد جماعة طيبة .

ولذلك ننادى بضرورة الأمانة ، ونسأل : أين الأمناء ؟ وأين المخلصون ؟ وأين بناة الأوطان والأمم ؟

وتلك صيحة للمسلمين ليعودوا إلى رشدهم ، ويعلموا أن دعوة الله هى الحق فليتمسكوا بها ، ويعودوا إلى فطرتهم ، والى دين الله تعالى .

الركيزة الرابعة

الحديث يظهر معجزة لرسول الله ﷺ

فى الحديث دليل صدق رسول الله ﷺ ، فلقد أنبأ بأمور غيبية تحولت إلى عالم الواقع بعد حين ، وهى الأمور التى تنتشر بها الخيانة ...

فلقد أخبر النبى ﷺ عن الغفلة التى تصيب الناس وتوقعهم فى الخيانة ، ولقد تحقق ذلك ... وتحقق أيضا أن الأمناء صاروا قلة نادرة يتعب الإنسان ليصل إليهم حتى يتعامل معهم .

وظهور هذه الأمور دليل صدق رسول الله ﷺ فيما يبلغه عن ربه .

الركيزة الخامسة

من فنون الدعوة إلى الله تعالى

يقدم الحديث عددا من القضايا الدعوية الهامة ... ومنها :

أولا : **يقدم الحديث الأمر مجملا ثم يفصله . فقد تحدث عن رفع الأمانة ثم فصل فى كيفية هذا الرفع بعد ذلك .**

ثانيا : **يقوم التفصيل على التقسيم والترتيب حيث تصنع الغفلة فى بدايتها نقطة سوداء على القلب ، ثم تصنع بعد ذلك نقطا أخرى حتى يسود القلب كله .**

ثالثا : **يستعمل الحديث أسلوب التشبيه والتمثيل ، فيشبه الغفلة بالنوم ، ويشبه النقطة السوداء الأولى بالوكت ، ويشبه النقاط السوداء الأخرى بالمجل ويشبه خيانة القلب بعد اكتمال سواده بجلد توزعت فوقه نقط سوداء منتفخة ، نشأت من تدحرج كرة من النار فوقه أوجدت بثورا متعددة.**

رابعا : **استعمال أفعل التفضيل فى بيان صفات القوم ما عدا الخيانة التى صنعوها .**

خامسا : **ربط الأمانة بالإيمان فمن ضاعت أمانته ضاع دينه وخلقه .**

سادسا : **ربط الموضوع بنتائجه ليكون عاملا للترغيب أو للترهيب . فقد بين الحديث أن الخيانة صنعت الثقة ، وصار التعامل مع الغير قائما على اختيار الأمناء ، وتجنب السفهاء بعد أن كانت الثقة فى جميع الناس.**

سابعا : **التحذير بطريق الحكاية . ففى الحديث تحذير للناس من الخيانة مع الاستشهاد بالواقع ... ولئن كان هذا الواقع فى عصر رسول الله ﷺ فنحن فى عصرنا الحاضر فى أمس الحاجة إلى الحذر ، والبحث عن الأمناء ، والاستفادة بمخترعات العصر فى البحث والتحرى .**

لا يصح لمسلم أن يكون ساذجا فى تعاملاته ، وبخاصة إن كان فى سلطة أو ولاية ... وعليه أن يعرف ما أعدته الأمم من أجهزة ، ومؤسسات للتجسس ، والتخابر ، ووضع الخطط السرية ، واحاطتها بالتمويه والخداع وليس فى الدين ما يمنعه من ذلك ، وكان ﷺ إذا أراد غزوا ورى بغيره ، ففى الهجرة اتجه رسول الله ﷺ إلى الجنوب جهة اليمن ، وهو يقصد المدينة جهة الشمال .

لا يصح لمسلم أن يكون ألعوبة فى يد الأجهزة السرية التى تعاديه ، وليعلم أن أعداء الإسلام مسلحون بالثقافة المخادعة ، والتخطيط العميق ، والتعامل مع الواقع بالكذب المنمق ، والخداع المنظم ، واللعب بالعقول ، والأفكار .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يدل الحديث على بعض الفوائد ... منها :

(١) **أمانة الصحابة فى نقل حديث رسول الله ﷺ فلقد تحملوه ، ونقلوه إلينا على وجهه الذى أخذوه منه ﷺ .**

(٢) **بيان طهارة الفطرة ، وامكانية المحافظة عليها .**

(٣) **بيان أن المسلمين قد تعلموا من القرآن الكريم أولا ، ثم تعلموا من السنة النبوية بعد ذلك .**

(٤) **ضرورة تقديم الإسلام بمنهج عقلى منظم يستفيد من الواقع وحياة الناس وتوجيهها لتحقيق سعادة الناس ، ونشر الخير بينهم .**

(٥) **بيان أن الناس لو تمسكوا بالكتاب والسنة ما جاءهم ضلال أبدا .**

(٦) **ضرورة البحث والتحرى فى اختيار من سيتعامل المسلم معه حتى لا يخدع من لئيم ، أو يعبث بمصيره منافق .**

(٧) **أهمية اشتغال العقل بالتفكير والمقارنة للوصول للصواب والحق .**

(٨) **ضرورة الاستفادة بالخبرات الإنسانية التى أفادت الناس ، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها .**

ـ ٤٨ ـ

٦٣ ـ باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا وأنه يأرز بين المسجدين

[٨٨] ، (١) حديث حذيفة ﷺ ، قال : كنا جلوسا عند عمر ﷺ فقال : أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة ؟

٥٢٥

قلت : أنا كما قاله .

قال (عمر ﷺ) : إنك عليه أو عليها لجريء .

قلت (إن رسول الله ﷺ قال) : فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي .

قال (عمر ﷺ) : ليس هذا أريد ، ولكن (أريد قوله ﷺ فى) الفتنة التي تموج كما يموج البحر .

قال (حذيفة ﷺ): ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها بابا مغلقا .

قال (عمر ﷺ) : أيكسر أم يفتح ؟

قال (حذيفة ﷺ) : يكسر .

قال (عمر ﷺ) : إذا لا يغلق أبدا .

قلنا : أكان عمر يعلم الباب ؟

قال (حذيفة ﷺ) : نعم ، كما أن دون الغد الليلة ، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط .

فهبنا أن نسأل حذيفة ، فأمرنا مسروقا فسأله ؛ فقال (حذيفة ﷺ) : الباب عمر[١] .

[٨٩] ، (٢) / ١٩٧٦ حديث أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ ، قال : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها[٢] .

[.] ، (٣) / (صحيح مسلم) حديث عن أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : (بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود كما بدأ غريبا ، فطوبى للغرباء)[٣] .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول ظهور الفتن التى تموج فى الناس موج الماء فى البحر ، وبها يضعف الإيمان ، ويعود إلى مستقره الأول فى المدينة المنورة كما تبين غربة الإسلام فى البداية والنهاية وتبشر الغرباء بجنات النعيم .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

حذيفة بن اليمان ﷺ هو راوى الحديث ، صحابى جليل ، روى عن رسول الله ﷺ كثيرا من الأحاديث ، وولاه عثمان بن عفان ﷺ أمر المدائن وبقى عليها لعلي ﷺ حتى توفى فى خلافته رضى الله عنهما .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٩ كتاب مواقيت الصلاة : ٤ باب الصلاة كفارة .

(٢) أخرجه البخاري في : ٢٩ كتاب فضائل المدينة : ٦ باب الإيمان يأرز إلى المدينة .

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان . باب بدأ الإسلام غريبًا ، وقد آثرت ذكره لحاجة المسلمين إليه ، وإتمامًا لمسمى الباب .

يقول حذيفة : (كنا جلوسا عند عمر ﷺ) **أى كنت أنا ومعى عدد من الصحابة فى مجلس الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ نتدارس أمر الناس ، وقضايا الدين .**

(فقال) **عمر ﷺ وسألنا** (أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة) ؟ ... **أى أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ فى الفتنة أى : أى واحد منكم يحفظ قول رسول الله ﷺ فى الفتنة ليذكرها لنا ؟ ... ومعنى الفتنة الابتلاء ، والامتحان ، والاختبار ، وصارت علما يطلق على كل أمر سيئ يكشفه الاختبار ، يقال فتن الرجل إذا وقع فى الفتنة ، وتحول من حال حسنة إلى حال سيئة .**

فـ (قلت : أنا) **أحفظه** (كما قاله) ﷺ **أى أنا أحفظ حديث رسول الله فى الفتنة كما قاله ﷺ .**

(قال) **عمر ﷺ** (إنك عليه أو عليها لجريء) **أى إنك يا حذيفة على قول رسول الله أو على رواية الحديث لجرىء ، إشارة من عمر ﷺ إلى قوة حفظ حذيفة ، وسلامة ضبطه ، وثقته فى قوله .**

(قلت) **أى قال حذيفة قال رسول الله ﷺ :** (فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهي) **أى إن لفتنة الرجل فى أهله ، وماله ، وولده وجاره مكفرات ترفع الذنب وتجبر المعصية وهى أداء العبادات على وجهها الصحيح ، والالتزام بما أمر الله به أو نهى ، ودعوة الناس إلى الله تعالى .**

وفتنة الرجل فى أهله ، وماله ، وولده وجاره ضروب شتى تشمل عدم محبته لهم ، وكراهيته لسلوكهم المستقيم ، وشحه عليهم ، وانشغاله بهم

عن خيرات كثيرة ، أو لتفريطه فيما يلزمه لهم من حقوق ، أو عدم تأديبهم ، واهمال تعليمهم ، وترك حسن معاشرتهم .

ومن الفتنة فى هذه الأمور أن يجبن الرجال عن الجهاد ، ويبخل فى النفقة ، ويقصر فى الأخذ والعطاء ، ومنافسة الغير فيها حتى يقع فى الحقد ، والحسد ، والكراهية .

إن فتنة الرجل فى أهله وماله وولده فد توقعه فى الكبر والغرور ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾[١] .

وتشمل الفتنة جوانب الخير والشر . يقول الله تعالى : ﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةً ﴾[٢] .

والحديث يبين أن فتنة الرجل فى أهله ، وماله ، وولده ، وجاره تكفر بالأعمال الصالحة التى ذكرها حذيفة كما سمعها من رسول الله ﷺ وهى الصلاة ، والصوم ، والصدقة ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، وهى من باب قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴾[٣] .

(قال) **عمر بن الخطاب** ﷺ (ليس هذا أريد ولكن) **أريد معرفة** (الفتنة التي تموج كما يموج البحر) **أى أريد معرفة الفتنة الشديدة القوية التى يدفع بعضها بعضا ، وينتشر ضررها ، ويعم أذاها أفراد الأمة جميعا ، وشبه عمر بن الخطاب** ﷺ **الفتنة التى يريدها بموج البحر كما ذكرها رسول**

---

(١) سورة الأنفال ، الآية ٢٨ .
(٢) سورة الأنبياء ، الآية ٣٥ .
(٣) سورة هود ، الآية ١١٤ .

الله ﷻ بيانا لشدتها ، وعظمها ، وكثرة شيوعها ، وظهورها ، وظهور خطورتها .

(قال) **حذيفة** ﷺ (ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين) **أى ليس عليك منها أذى يا أمير المؤمنين لأنها لن تقع فى عهدك وحياتك .**

(قال) **حذيفة** ﷺ (إن بينك وبينها بابا مغلقا) **أى إن الفتنة العامة بعيدة عنك يا عمر ولن تقع فى عهدك ، وبينك وبينها باب مغلق لا يمكن فتحه وهذا الباب يمنع الفتنة من الدخول والظهور ، ويبقيها بعيدة عنك وعن الأمة فى عهدك .**

(قال) **عمر** ﷺ (أيكسر أم يفتح) **؟ ... أى ما مصير هذا الباب المانع للفتنة الكبرى ، وهل يفتح بطريقة عادية ، أم يكسر ويهلك ؟**

(قال) **حذيفة** ﷺ (يكسر) **أى إنه يكسر ويدمر ، ولا يمكن إصلاحه .**

(قال) **عمر** ﷺ (إذا لا يغلق أبدا) **أى إن هذا الباب إذا كسر فإنه لا يمكن إصلاحه بعد ذلك ، ويبقى مكسورا ، ولو أنه فتح بطريقة عادية لأمكن إغلاقه والقضاء على الفتنة ... وقد كنى عمر وحذيفة رضى الله عنهما عن ظهور الفتنة بعدو متربص خلف الباب ينتظر كسره ليدخل منه ، ويفعل أفاعيله فى الناس ، وينشر ضرره بينهم .**

(قلنا) **أى قال الصحابة الحاضرون فى مجلس عمر** ﷺ **وتعجبوا من قول عمر** ﷺ **وسألوا** (أكان عمر يعلم الباب) **؟ ... أى تساءلوا عن الباب المقصود وهل كان عمر** ﷺ **فى حديثه مع حذيفة** ﷺ **يعلم المراد بالباب ، وبتوجهات الفتنة ؟**

(قال) **حذيفة** ﷺ (نعم) **أى إن عمر** ﷺ **كان يعلم المراد بالباب ، ويعرف أنه هو الباب الذى سينكسر .**

(كما أن دون الغد الليلة ، إني حدثته بحديث ليس بالأغاليط) **أى إن عمر** ﷺ **كان يعلم أنه الباب كما يعلم أن الليلة تسبق الغد ، وقد ذكرت له حديث رسول الله** ﷺ **واضحا لا خفاء فيه ، ولا غموض ، حديثا خاليا من المسائل المعقدة ، والدلالات الملتوية .**

(فهبنا أن نسأل حذيفة) **أى خفنا من سؤال حذيفة** ﷺ **عن المراد بالباب صراحة توقعا منا أن فى التصريح ما يسىء لأحد ، وتمنينا تفسيرا للباب بعيدا عن عمر** ﷺ .

وتوقفنا عن السؤال بأنفسنا (فأمرنا مسروقا فسأله) **أى أمر الصحابة الذين كانوا فى مجلس عمر مسروقا** ﷺ **ليسأل حذيفة** ﷺ **عن هذا الباب الذى سينكسر .**

فسأل مسروق حذيفة رضى الله عنهما عن المراد بالباب (فقال) **حذيفة** ﷺ (الباب عمر) **أى إن المراد بالباب هو الخليفة عمر بن الخطاب** ﷺ

ومعنى ذلك أن مجرما سيقتل عمر ، وأن قتله سيكون إيذانا بظهور فتنة عامة لا تنتهى ، ولن تغلق .

وفى الحديث الثانى يبين النبى ﷺ **أن الإسلام سينتشر فى الأرض بين الناس ، وعند انتشار الفتنة يعود الإيمان إلى المدينة المنورة موطنه الأول وحصنه الذى انطلق منه كما ترجع الحية إلى مكمنها الذى خرجت منه بعد أن تجمع طعامها ، وتقضى حوائجها ... وفى هذا يقول النبى** ﷺ : (إن

الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) **أى إن الحية تنتشر من جحرها فى طلب ما تعيش به ، فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها لتتقى به من عدوان الآخرين عليها ، وتنجو من ظلمهم وفسادهم ، وكذلك الإيمان فقد انتشر من المدينة ، ووصل إلى كل بقاع الأرض ، وكل مسلم يجد فى نفسه سائغا للذهاب إلى المدينة وشوقا لزيارتها ، وأملا فى سكناها ، لمحبتة النبى ﷺ فى كل زمان ومكان .**

وفى حب المتأخرين للمدينة وأملهم فى زيارتها ، والإقامة بها عودة للعصر الأول للمسلمين ، فلقد كان كل من خلص إيمانه ، وصلح إسلامه يأتى المدينة إما مهاجرا مستوطنا ، أو متشوقا إلى رؤية النبى ﷺ ، أو متعلما ومتقربا ...

وبعد النبى ﷺ بقى حب السفر إلى المدينة غاية كل مسلم ليتعلم العدل ، ويأخذ الفقة من علماء المدينة ، ويقتدى بهم ، فهم مصابيح الهدى ، وأئمة الدين ... واستمر كل مسلم فى الأرض كلها يتمنى السفر إلى المدينة لزيارة المسجد النبوى ، والتشرف بالسلام على رسول الله ﷺ ، والتبرك بالآثار الدينية الخالدة فى المدينة المنورة .

ومجيء المسلمين إلى المدينة ليس هروبا من مواطنهم ، وليس عجزا عن الدعوة ، وليس ضمورا فى انتشار الإسلام ، وانما كان مجيئهم لزيادة العبادة ، ومعرفة الخير من موطنه ليعودوا إلى بلادهم ، وقد تزودوا بالتقوى

وتعلموا المنهج النبوى فى الدعوة إلى الإسلام ، والتمسك به ﴿ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾[1] .

وفى الحديث تشبيه عودة الإسلام إلى المدينة بعودة الحية إلى جحرها للدلالة على تعلق المسلمين بمدينة رسول الله ﷺ ، ومجيئهم إليها لطلب العلم والدين، وتحقيق الطمأنينة والرضى، فإن الحية تخرج من جحرها ومسكنها باحثة عن الطعام والمأوى، وبعد ذلك تعود إلى مسكنها فليس لها سواه .

واذا نظرنا إلى مسمى الباب نجد أنه لا يتطابق مع الأحاديث الثلاثة المذكورة فيه ، فقد جاء الحديث الأول فى قول رسول الله ﷺ عن الفتنة ، وجاء الحديث الثانى فى أن الإسلام يأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها ، ولم يرد حديث أن الإسلام بدأ غريبا **كما جاء فى مسمى الباب .**

ويبدو . والله أعلم . **أن جامع كتاب "اللؤلؤ والمرجان" قصد الإشارة إليه فى مسمى الباب ، ولم يروه لعدم ورود لفظه مرويا فى صحيح البخارى مع تمسكه بمسميات الإمام النووى بالأبواب عند شرحه لصحيح مسلم ، ويمكن اعتبار حديث الفتنة تمهيدا لحديث غربة الإسلام وفيه يقول ﷺ :** (بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود كما بدأ غريبا ، فطوبى للغرباء) **أى إن ابتداء ظهور الإسلام وانتهاءه يسير على نمط واحد هو الغربة .**

وقد ذكر العلماء عدة معان للغربة ... منها :

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٢ .

(١) إن الإسلام ابتدأ عند ظهوره فى آحاد من الناس ، وقلة منهم ، ثم ذاع ، وانتشر ، وكثر عدد المسلمين الصادقين المخلصين من المهاجرين والأنصار الذين فتحوا البلدان العديدة ، وسيعود الأمر فى آخر الزمان بالإسلام إلى قلة عدد المسلمين المخلصين كما بدأ ، وهم الذين يهتمون به ويقومون بالدعوة إليه ، ونشره فى العالمين .

(٢) إن الإسلام أعلن فى مكة إلا أن شأنه علا وظهر فى المدينة وانتشر منها إلى العالم كله ، وسيعود أمر الإسلام فى النهاية إلى المدينة مرة أخرى ، ويستمر فيها ، وينتشر منها إلى العالم كله مرة أخرى بعد وقوع غربة الإسلام فيها .

(٣) إن الإسلام ابتدأ ظهوره فى المدينة فى غير بلده التى نشأ فيها وهى مكة وسيعود فى النهاية إلى أماكن أخرى فى العالم من غير العرب ، حيث يحمله أناس مخلصون من غير العرب ، وينشرونه ، ويدافعون عنه ، وبذلك تكون غربته الأولى حين بدء ظهوره فى غير موطنه الأول مكة وتكون غربته الثانية فى غير العرب حيث يؤمن به المسلمون الجدد ، صادقين ، ومخلصين .

(٤) إن الإسلام بدأ بأفراد قلائل نزعوا من قبائلهم ووفدوا إلى رسول الله ﷺ وتركوا أصنامهم ، ودخلوا فى الإسلام مخلصين ، وعادوا إلى أقوامهم ودعوهم إلى الله تعالى ، ونشروا الإسلام بين أقوامهم ، وقبائلهم ، وسيعود الإسلام فى النهاية إلى هذه الحالة ، حيث سيظهر فى كل موطن فى أرض الله تعالى ، ومن دول العالم كله طائفة تنزع من جماعتها وتؤمن بالله ، وتدخل فى الإسلام ، وتخلص فى إسلامها ، وتنشره فى أوطانهم ، وبين الأمم كلها .

(٥) إن الإسلام بدأ بجماعة نشرت الإسلام فى غير قومهم فقد نشر المهاجرون الإسلام فى المدينة التى هاجروا إليها ... وسيعود الأمر فى النهاية بالإسلام إلى أن ينشره فى العالم أناس غرباء ليسوا من أهل البلاد التى يدعون فيها ، وانما هاجروا إليها من بلاد أخرى .

(٦) إن الإسلام فى بدئه ومنتهاه يسكن المدينة ، ويأرز إليها حيث تتعلق قلوب المحبين دائما على طول الزمن ، وفى كل الأمم بالمدينة وسيأتون إليها مستوطنين ، وزوارا ، يملأهم الحب لرسول الله ، ولمدينته ، وتاريخه التليد .

(٧) إن الإسلام بدأ غريبا فى نفوس الناس وسيعود غريبا فى نفوسهم وان كثر عدد المسلمين .

وكل هذه الأقوال يحتملها معنى الحديث ، وتشهد لها أحداث عديدة ، وقد قدر الله للغرباء أيا كان المراد بهم فى الغربة الأولى والثانية الجنة ، وذلك فى قوله ﷺ : (فطوبى للغرباء) .

ومعنى قوله ﷺ : (فطوبى للغرباء) **يفيد الفرح والسرور والفوز الذى يناله الغرباء بالإسلام ... وقد ذهب العلماء عند تفسير قوله تعالى :** ﴿ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾[1] **إلى عدة آراء فى معنى الطوبى .**

- **فقال ابن عباس رضى الله عنهما : إنها الفرح والسعادة .**
- **وقال عكرمة رضي الله عنه : إنها النعم والمتعة .**
- **وقال الضحاك رضي الله عنه : إنها الغبطة والسرور .**

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٢٩ .

- **وقال قتادة ﷺ : إنها الخير والحسن .**
- **وقال إبراهيم ﷺ : إنها الخير والكرامة .**
- **وقال ابن عجلان ﷺ : هى الخير الدائم[١] .**

وكل هذه المعانى متقاربة ، وتتحقق كلها للغرباء بدخول الجنة ، والتمتع بخيرها ولذائذها ، ففى الجنة متعة ولذة ، وفرح وسرور ، وحسن وجمال ، وفيها الخير ، ولذلك حسن أن يكون معنى ﴿ طُوبَىٰ ﴾ الجنة لتشمل كل هذه المعانى وغيرها من نعيم الجنة .

وأحاديث الباب الثلاثة يجمعها ما يحدث للإسلام فى بدئه ومنتهاه لتوضيح الواقع أمام الناس ، وحتى ينهض الصادقون المخلصون فى الأمم كلها لنصرة الله تعالى عسى أن يكونوا هم الغرباء فى آخر الزمان .

إن الناس فى العصر الحديث قد تبدل حالهم ، وتغيرت أمورهم ، ولعبت بهم الفتن ، واستولت على عقولهم وأحلامهم الشياطين من الإنس والجن وصار المخلصون قلة بين الناس ، وأصبح للكثرة صوت مرتفع ضال ، يدعون فيه الصدق ، وهم كاذبون .

ويزعمون العمل لرفع الحق ، ودعوة الناس للإسلام وهم يهجرون القرآن الكريم ، ويستمتعون بالغوانى والراقصات .

ويطلبون الإخلاص وهم به جاهلون ... وعنه جائرون .

لقد وصل الحال إلى أن فريقا من المسلمين يحبون غير المسلمين أكثر من المسلمين ، ويتخذون أعداء الله أولياء لهم ، ويفسدون فى القيم

---

(١) شرح النووى لصحيح مسلم ج٢ ص١٧٦ .

والأعمال والأخلاق وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولم يصغوا لقول الله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1] .

إن حال المسلمين اليوم عجيب فهم راضون بغير حكم الله ، ومستمتعون بالفساد والمعاصى والمنكرات ، وهم إلى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان ... وهذه الأمور تؤكد أن المخلصين الصادقين هم الغرباء ، وهم قلة ، يعيشون للإسلام ، وبالإسلام ، ويستمرون فى معارضة الكثرة الفاسدة ، ويغضبهم ويقلقهم انصراف المسلمين عن دينهم ، ويشقيهم علو شأن النفاق والمنافقين ، ويجهدون أنفسهم فى نشر الإسلام ، واحياء الأمل بلا يأس ، ولا قنوط .

إن المخلصين اليوم هم الغرباء ، وهم مع قلة عددهم يتمسكون بدين الله ويعيشون وسط الفتنة الهوجاء ، ويردون مزاعم النفاق والضلال ، ويلجأون بعقولهم ، وأمانيهم وأبدانهم إلى مدينة رسول الله ﷺ يلتمسون الهدى والهداية ويرجون المعونة والنصرة ، ويأملون فى بعث أمة الإسلام من جديد ...إنهم الغرباء فطوبى لهم .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

يسير المؤمنون على هدى من ربهم ، ويعيشون الإسلام بنقائه ، وصفائه ، وقد عرفهم الله بخصومهم ، وبكل ما يحيط بهم .

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٥١ .

لقد علموا ، وتيقنوا من غربة الإسلام فى نهاية الزمان كما كان غريبا فى أوله ، وآمنوا بكل ما عرفهم إياه رسول الله ﷺ في حديثه الشريف .

فقد عرفهم الله بانقلاب **حال الناس ، وظهور فتن كبرى ، تموج بين الناس كموج الماء فى البحر الكبير ، ينتشر فسادها ، ويعظم خطرها .**

وعرفهم بأن المسلمين كانوا قلة عند بدء الدعوة التى قويت فى غير موطنها المأمول ، وسيكون المسلمون الأصفياء قلة فى آخر الزمان ، وسينطلون بالإسلام فى بعث جديد من مواطن جديدة ليست هى مواطنه السابقة .

وعرفهم الله بالصورة **الناصعة للإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ ، وبين لهم أن التمسك بما جاء به الرسول ﷺ هو طريق الفوز والفلاح ، ووضح لهم أن العودة إلى رسول الله ﷺ عودة إلى أصول الإسلام وأساسه**

وعرفهم الله **بما قدره لدينه ، وبين لهم أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، وبين لهم أن الجنة قد أعدها الله للغرباء .**

ومن المسلمين الصادقين كان عمر بن الخطاب ﷺ فقد ذكر أصحابه بالفتنة ، ووضح لهم أنها ستبدأ بعد مقتله ، ولا نهاية لها إلى آخر الزمان ، ولقد علم عمر بن الخطاب ﷺ ذلك من قول رسول الله ﷺ لجبل "أحد" حين اهتز به وبأصحابه قال ﷺ : (اثبت أحد فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان)[1] **يعنى بذلك نفسه ﷺ وصاحبه أبا بكر ﷺ ، ويعنى بالشهيدين عمر وعثمان رضى الله عنهما .**

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المناقب . باب قول النبى : لو كنت متخذًا خليلاً ج٥ ص٩ .

وقد بدأت الفتنة بقتل عمر ﷺ وذاعت بين الناس ، وتشعبت بين المسلمين وأوطانهم ، حتى آل الأمر إلى افتتان المسلمين بالباطل ، وابتعادهم الكبير عن دين الله تعالى .

إن الإسلام لن يضيع بين الناس وسيبقى له من يحمله ، ويجاهد فى سبيله ، ويرفع ذكره فى العالمين . يقول النبى ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة)[١] .

إن الجنة مسكن طيب يتمناها المخلصون ، وهى مقام الغرباء فى دار الخلد والبقاء .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب وقوع فتن كبرى للمسلمين ، تؤثر فيهم ، وفى إيمانهم ، وتوضح أن هذه الفتن تبدأ بقتل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ ، كما تبين أن موطن الإسلام هو المدينة ، وأن الإيمان ينبع منها ، واليها يلجأ المسلمون على طول الزمن ، كما توضح غربة الإسلام فى أول الزمان ونهايته ، وتؤكد أن الله جعل الجنة للغرباء .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... منها :

الركيزة الأولى

التحذير من الفتن

فى الباب بيان لوقوع فتن كبرى، تعصف بالمسلمين ، وتفرق جمعهم،

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الإيمان . باب نزول عيسى ابن مريم حاكمًا ج١ ص١٣٧ .

وتنشر بينهم الأباطيل ، فى صور جماعات وفرق عديدة ، يدعى كل منها أنه على الحق ، يؤول النصوص ، ويفسرها بما يؤكد هواه ومذهبه .

وقد بدأت هذه الفتن بمقتل عمر بن الخطاب ﷺ إذ تمكن أعداء الإسلام والمسلمين من إيجاد عديد من المذاهب المختلفة التى انقسم المسلمون بسببها ، وصار لكل مذهب فكر خاص ، واتجاه معين وأخذ الاختلاف بين المسلمين ، وفهمهم للإسلام يزداد حتى تعمقت جذروه ، وتشعب ضرره ، حتى صرنا اليوم نرى انقسام المسلمين إلى سنة وشيعة ، والى مذاهب عديدة ... وتبع الخلاف المذهبى انقسام فى السياسة والاقتصاد ، وانقسام فى كل التصورات الحياتية والمعاشية .

وبهذا جاء الحديث الأول يحذر من الفتن ، ويوضح أن بدايتها ظلم وعدوان ، وتآمر خسيس .

إن قتل عمر بن الخطاب ﷺ كان بدء ظهور الفتن الكبرى بين المسلمين التى لم تتوقف حتى يومنا هذا ، وقد تنوعت بصورة كبيرة ، ولبست أثوابا شتى ، وحاولت أن تبدو جميلة رشيقة أمام الناظرين . ففى المذاهب العقدية والفكرية اختلف المسلمون ، وكثرت فرق الشيعة ، وظهرت البهائية ، والقديانية وغلاة الصوفية والفرق الباطنية .

وفى المجال السياسى ظهرت العلمانية ، والليبرالية ، والاشتراكية .

والمسلم اليوم يجد نفسه أمام فرق شتى ، وأفكار متضاربة ، تشده يمينا ويسارا ، وتجذبه من أمامه ، ومن خلفه ، فتصرفه عن الحق ، وتبعده عن الصراط المستقيم .

إن الحق واحد لا يتعدد ، وهو ثابت فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، ويجب الوقوف عليه بواسطة الثقات من العلماء الذين يلتزمون بما كان عليه سلف الأمة الصالح .

إن التمسك بحبل الله هو الذى ينجى من الفتن ، وهو الذى يبعد الإنسان عن الجور والضلال ، ويهدى إلى سواء السبيل .

الركيزة الثانية

الحرص على معرفة قضايا الإسلام

الإسلام دين قائم على العلم ، لأنه مجموعة من المعارف والتعاليم التى تحتاج إلى فهمها والعمل بها ... وقد جعل الله الوحى (قرآنا وسنة) مصدر الإسلام ، ومنطلقه ... ولذلك كان حرص الصحابة على تتبع ما أوحى الله به إلى رسوله ، وما قاله ﷺ .

ففى حياته كانوا يتناوبون مجلسه حتى لا يفوتهم شيء ، وكان ﷺ يحرص على أن يخبرهم بكل ما يأتيه من وحى ...

وبعد وفاته ﷺ حرص الصحابة على نقل ما تعلموه إلى من وراءهم ، ومن معهم ... وهكذا بقى الوحى حيا متجددا بين المسلمين ، وكان المسلمون من سلف هذه الأمة رضوان الله عليهم يملأون مجالسهم بمذاكرة القرآن الكريم ومذاكرة السنة النبوية .

وحديث الباب يوضح مجلسا لعمر بن الخطاب ﷺ مع أصحاب النبى ﷺ وفيه يسأل عن حديث رسول الله ﷺ فى الفتنة ... ويجيبه حذيفة بن اليمان ﷺ ويسمع الصحابة ، ويعلمون من سماعهم مسار الإسلام مستقبلا كما ذكره رسول الله ﷺ ، ويستعدون له فى صدق واخلاص ... وبهذه الطريقة العلمية بقى الإسلام بمصادره فى الأمة ، واهتم العلماء بشرحه ،

وتفهيمه ، فشرحوا معانى القرآن الكريم ، وألفوا المسانيد ، وجمعوا السنة ، واستحدثوا علوما عديدة للمحافظة على الوحى ، واظهاره للناس ، واستنباط الأحكام منه وفق القواعد العلمية ، والأصول الإيمانية التى تحفظ الوحى من الدنس والدخيل .

وواجب الدعاة تعليم الإسلام للناس فى صورة منظمة ووفق خطة معلومة .

إن الدعاة أئمة للناس ، يقودونهم فى الصلاة ، ويقومون بالفتوى والحكم لهم فى القضايا ، ويعلمونهم الإسلام ، ويشرحون لهم القرآن والحديث ويقدمون لهم رسول الله من خلال سيرته ، وشمائله ، وحياته الخاصة والعامة ونشاطه فى نشر الإسلام بين الناس .

إن دور الدعاة كبير فهم المدرسون ، والولاة ، والناصحون ، ويجب تهيئة الحياة الخاصة التى تليق بهم ، وتناسب دورهم وعملهم ومهامهم .

الركيزة الثالثة

معجزات النبى ﷺ فى أحاديث الباب

المعجزة أمر خارق للعادة يظهرها الله على يد مدعى النبوة تصديقا له ، وهى أنواع كثيرة منها ما يتعلق بالغيب فى الماضى مثل الإخبار بأنباء موغلة فى القدم لا يقدر على أن يصل إليها بشر ، ولا يدل عليها أثر أو برهان ، وبعد العلم بها يتأكد الناس من إخبار النبى ﷺ بها .

ومنها ما يتعلق بالحاضر كالإخبار عن حدث فى مكان بعيد عن رسول الله ﷺ وعن الناس ، وتأتى الأيام بصدقها ...

ومنها ما يتعلق بما سيحدث فى المستقبل ، وتأتى الحوادث بمثل ما أخبر به النبى ﷺ ... وحديث الباب يقدم صورا من المعجزات المتصلة بالغيب وهى :

المعجزة الأولى : **بيان الفتنة التى ستحدث للمسلمين ، وتنتشر بينهم بمقتل عمر بن الخطاب ﷺ فلقد وقعت الحوادث كما أخبر رسول الله ﷺ ، وقتل عمر ﷺ ، وانتشرت الفتن فى الأمة الإسلامية .**

المعجزة الثانية : **أشارت أحاديث الباب إلى أهمية المدينة المنورة لحفظ الإسلام ، وصيانته ، وبينت أنها ملجأ المخلصين فى آخر الزمان ، كما كانت فى بداية الإسلام .**

المعجزة الثالثة : **بيان أن غربة الإسلام فى آخر الزمان ستكون مثل غربته الأولى عند ظهوره .**

وقد تحققت المعجزة الأولى، فوقعت الفتنة، وانتشرت، وبقيت المعجزتان الأخيرتان .

الركيزة الرابعة

مجالس المؤمنين علم ومعرفة

الجليس الصالح خير من جليس السوء ، وسبب ذلك أن الجليس الصالح يفيض على جليسه من صالح عمله وتقواه ، ويشغل المجلس بما هو خير فى الأقوال والأفعال .

ولقد دل مجلس عمر ﷺ الذى تناوله الحديث الأول على صورة عملية لمجالس المؤمنين ، وحديثهم . فقد سأل عمر ﷺ ، وأجاب حذيفة ﷺ في ثقة العارف، وجرأة الصادق ، وعلم الجالسون ما لم يكونوا يعلمون.

إن مجالس المؤمنين تتميز بما يلى :

(١) يكثر فيها ذكر الله تعالى ، والتواصى بالخير والصبر .

(٢) يتعاون فيها الجالسون على الوصول للحق والصواب فى كل القضايا التى تشغل بالهم ، ويحتاج المسلمون إليها .

(٣) يتساوى الجالسون فى التكريم ، والحقوق ، فلم يكن الخليفة عمر ﷺ بينهم سلطانا مهابا ... ولم يكن الجالسون رعايا ضعفاء ... وانما كان السؤال والجواب فى صدق ، وجرأة ، واخلاص .

(٤) يراجع كل جالس زميله فى رفق ، وأدب بلا تعنت أو كبر .

(٥) الوضوح التام فى الرأى حين القول به ؛ فهذا حذيفة ﷺ يروى الحديث كما قاله النبى ﷺ ، ويشهد له عمر ﷺ ، ويوضح حذيفة ﷺ أن حديثه لعمر كان خاليا من الألغاز والأغاليط .

(٦) سيادة الحب والتعاون مجالس الصحابة ، وذلك أنهم تعجبوا مما سمعوا ، وخافوا الاستطراد فى حديث الفتنة ، ولذلك طلبوا من مسروق ﷺ أن يسأل عن الباب الذى سيكسر عند بداية الفتنة ، وعلموا أن الباب هو عمر ﷺ .

الركيزة الخامسة

من آداب الدعوة إلى الله تعالى

تقدم أحاديث الباب عددا من الآداب المفيدة فى مجال الدعوة إلى الله تعالى ... وأهمها :

أولا : **الترابط الوثيق بين الدعاة والمدعوين فهذا عمر ﷺ يلجأ إلى الناس ليسمع منهم حديث الفتنة ، ويبادره الحفظة فيروون له الحديث كما قاله ﷺ .**

ثانيا : **استعمال وسيلة الحوار والمناقشة لما له من أهمية فى عملية الدعوة ، فهو يوقظ همة المستمعين ، ويشاركهم فى الحوار ، ويحقق بينهم روح المشاركة فى تناول القضايا ، وايجاد الحلول .**

ثالثا : **استعمال التشبيه فى تقريب المسائل ، وتفهيم الأمور المعنوية ... فها هو حذيفة ﷺ يوضح أنه أخبر عمر ﷺ بأمر يعلمه مثل علمه بأن الليلة تأتى قبل الغد** ... وفى الحديث الثانى **يوضح النبى ﷺ أن الإسلام ثابت بالمدينة يخرج منها ويعود إليها مثل الحية تخرج من جحرها لتجمع طعامها ثم تعود إليه .**

وفى الحديث الثالث **يشبه النبى ﷺ الغربة الثانية للإسلام التى تأتى فى آخر الزمان بالغربة الأولى التى ظهر بها للناس .**

ومن المعلوم أن التشبيه من الأساليب المقربة للمعنى ، الموضحة للمراد .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

يستفاد من أحاديث الباب ما يلى :

(١) استحباب التلاقى فى الأعمال الصالحة ، والاستفادة بأوقات الفراغ فيما يفيد .

(٢) ضرورة التعاون بين الولاة والجمهور ، والتناصح فيما بينهم ، فالكل فرد فى الأمة ، ومسئول فى إطار ولايته .

(٣) أهمية اشتغال الناس بالأمور الهامة التى تنفع الأمة ، وتحمى الدين والوطن .

(٤) من الأفضل استعمال الأساليب الواضحة فى الحوار للوصول إلى المطلوب بأقصر طريق .

(٥) أهمية وجود حصن متين يلجأ إليه الضعفاء حين حاجتهم إليه .

(٦) ضرورة التحذير من السوء ، وابعاد الناس عنه ، وتشجيعهم على الأعمال الصالحة التى تحقق الفوز فى الدنيا ، والفلاح فى الآخرة .

ـ ٤٩ ـ

٦٥ ـ باب جواز الاستسرار للخائف

[٩٠] ، (١) ٣٠٦٠ حديث حذيفة ﷺ قال : قال النبي ﷺ اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس ، فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل .

فقلنا نخاف ونحن ألف وخمسمائة !! ... ، فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول جواز الاستسرار للخائف ، وتجنب عدوان الظالمين .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول حذيفة راوى الحديث ﷺ : (قال النبي ﷺ) **لأصحابه :** (اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس) **أى أحصوا لي عدد المسلمين بالكتابة ، أو بالعد والحفظ حتى أعرف قوتهم ، وثباتهم أمام عدوهم .**

وقد كلف النبى ﷺ أصحابه بأن يكتبوا له كل من تلفظ بالإسلام ، ونطق بالشهادة بلا بحث عن صدقه أو كذبه .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٦ كتاب الجهاد ١٨١ باب كتابة الإمام للناس .

(فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل) **أى كتبنا لرسول الله ﷺ أسماء ألف وخمسمائة رجل ، وتعجب الصحابة من خوفهم مع بلوغ المسلمين هذا العدد ، وانما قصد الصحابة الرجال بالعد ، لأنهم حماة غيرهم ، ومنهم يتخذ الإمام جنده .**

(فقلنا) **أى قال بعضنا لبعض** (نخاف ونحن ألف وخمسمائة) **أى كيف نخاف وعددنا كبير ، قد بلغ ألفا وخمسمائة ، ومعنا الله ناصر الحق ، وحامى سبل الإيمان ، وحرف الاستفهام محذوف تقديره (أنخاف) ؟**

يقول حذيفة ﷺ : (فلقد رأيتنا ابتلينا) **أى فقد عشت حتى رأيت نزول البلاء بنا ، وسيطرة الخوف علينا مع كثرتنا ، وكان ذلك الخوف أثناء غزوة بدر ، أو أحد ، أو صلح الحديبية ، أو أثناء غزوة الأحزاب أو فى كل هذه المواقف ، فلقد اشتد خوف المسلمين ، وهم كثير .**

و (رأيتنا) **تقرأ بضم التاء وفتحها بمعنى واحد إلا أن الضم يفيد التكلم ، والفتح يفيد الخطاب .**

(حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف) **أى وصل البلاء بنا حدا ، كان الرجل يصلى وحده ، مستترا عن الناس وهو خائف من عدوان الظالمين .**

أى إن الله أكرمنا بهذا العدد من الرجال لنأتنس بهم ، بعد أن ملكنا الخوف ، وكنا نصلى ونحن خائفون .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يشير الحديث إلى وقوع المسلمين فى بلاء شديد قبل أن يكثر عددهم

، فلقد كانوا يصلون مستترين وهم قلة ، وقد وقع هذا الابتلاء عندما كان المسلمون قلة ، ولما كثر عددهم وصاروا ألفا وأكثر اشتد عودهم ، وتذكروا ما كانوا فيه ، وآلمهم أنهم كغثاء السيل بأسهم بينهم شديد .

وقد تضاربت أعداد المسلمين التى تم إحصاؤها كما فى روايات الحديث ولعل المسلمين أجروا الإحصاء والعد مرات عدة ، وكان العدد يختلف مرة بعد أخرى .

ولم يحدد الحديث موعد الابتلاء ، ومكانه ، ولا مانع من وجوده فى أى وقت ، وفى أى مكان .

وغاية الحديث أن يجتهد المسلم فى تقوية إيمانه ليكون عددا فاعلا فى المسلمين ، وفردا مؤمنا يهدى بقوله وفعله ، ويشارك غيره فى نصر الإسلام والمسلمين عند البلاء .

إن تأكيد وقوع البلاء بالمسلمين دعوة لتحمله ، والاستعداد لقبوله ، ومواجهته ، والتيقن بأن الصبر عند البلاء هو النصر ، وأن ما عند الله خير للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون .

والابتلاء الموعود به ليس صورة خاصة ، أو حالة واحدة ، وانما هو اختبار تتعدد صوره ، وتكثر حالاته ... وما نعيشه فى هذا العصر صورة منه تشمل الابتلاء بالعلماء ، وبالقادة ، وبخاصة الناس وعامتهم .

- **أليس فى خنوع العلماء ، وخضوعهم للقوة الغاشمة ، وحبهم للدنيا ، وتركهم لواجبهم ، والقول بغير ما أنزل الله ابتلاء ، ينشر الفساد ، ويخفى الحق ، ويضع العلم الشرعى فى يد سلطة الظلم والضلال والفساد ؟**

- **أليس فى مقام الجهلة مقام العلماء ابتلاء ؟**
- **أوليس إحراق المساجد ، وتخويف الناس من العبادة ، واضطهاد المؤمنين ، والحاق التهم الكاذبة بهم ابتلاء ؟**
- **أوليس توسيد الأمر إلى غير أهله ابتلاء ؟**
- **أوليس علو صوت الباطل وخفوت صوت الحق ابتلاء ؟**
- **أوليس تمتع أعداء الحق بالمال ، والسلطان ، والقوة لقهر المؤمنين الصالحين ابتلاء ؟**
- **أوليس صرف العامة عن الحق بالإعلام الكاذب ، واللهو العابث ، والإشاعات الباطلة ابتلاء ؟**

لقد وصل حد البلاء بين المسلمين أن تآمر عليهم قادة لا يحملون فكرا ، ولا يجيدون علما ، ولا يعرفون دينا ، وكل قوتهم السيف والسلاح ، وجنود يخضعون لأمرهم بعدما تفننوا فى السيطرة عليهم ، وتعويدهم ضرورة تنفيذ الأمر ، وساقوهم للاعتداء على المؤمنين المخلصين بعد أن أفهموهم ضرورة القضاء على المؤمنين ، وأنهم أعداؤهم .

إن هذا وغيره ابتلاء شديد ، يمحص الله به المؤمنين ، ويظهر المفسد من المصلح ، ويحث المؤمنين إلى التمسك بدينهم ، والحرص على نشره ، وتبليغه ، وفضح طرق الضالين المفسدين ، وتحمل المشاق من أجله ، والعمل للآخرة فهو خير وأبقى .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب ضرورة وقوع البلاء بالمؤمنين ، ليميز الله الخبيث من الطيب ، ويظهر الفاسد من المصلح ، وينبه المؤمنين إلى الحذر ، والصبر ، واتباع طريق الصالحين ، ويذكر المؤمنين بأحوالهم يوم أن كانوا عددا قليلا يخافون أن يتخطفهم الناس ، وبعد أن زاد عددهم وصاروا أكثر من ألف وخمسمائة .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن الحديث ركيزة هامة ... هى :

ضرورة الصبر وتحمل البلاء

قدر الله وقضى بأن تكون الدنيا معبرا للآخرة ، ولذلك جعل فى الدنيا البلاء والاختبار لتمحيص الخبيث من الطيب ، والفصل بين أهل الجنة وأهل النار ، وهذا الاختبار يكون بالخير والشر ، وبالضعف والقوة .

وحديث الباب يقدم الابتلاء بصورتين :

الأولى : **صورة الابتلاء فى حالة قلة المسلمين ، وضعفهم ، وخوفهم من أعدائهم ، واستسرارهم فى عبادة ربهم خوفا من أعداء الله تعالى .**

والثانية : **الابتلاء الذى نزل بهم بعد أن كثر عددهم ، وصاروا قوة يخشاهم عدوهم إلا أن اليأس والقوة التى وصلوا إليها أصابتهم فى فكرهم فانقسموا ، وصار بأسهم بينهم شديدا .**

هاتان الصورتان من البلاء يعيشهما المسلمون اليوم فقد كثر عددهم ، وتعددت أوطانهم ، ومع ذلك صاروا متعادين ، متحاربين يلعب بهم العدو ، ويستهزئ منهم الصديق .

لقد كان الابتلاء فى الماضى يؤدى إلى التخفى عند أداء العبادة مع الاستقامة على تعاليم الله تعالى ... أما الابتلاء اليوم فهو يعنى التعدى على شعائر الله ، وجهل كثير من المسلمين بمفهوم الإيمان الشرعى نظريا وعمليا وتحولهم إلى مناصرين لغير المسلمين أكثر من نصرتهم للمسلمين.

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير الحديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) **يجب تذكر نعم الله تعالى على الإنسان ، فهى عديدة تشمل جميع عناصر الإنسان ، وكافة جوانب الحياة ، ويحسن مقارنتها بأضدادها ليظهر حسنها ، وقدرها ، وقيمتها التى لو حرم الإنسان منها لفقد شيئا غاليا له قيمة .**

(٢) **يجوز فى وقت الشدة اللجوء إلى السر والخفاء إذا رأى المسلم فى الخفاء المصلحة .**

(٣) **الأمل فى المسلم أن يلتزم بدينه حتى يكون عضوا نافعا فى المجتمع ، لأن سلبية المسلم تجعل كثرة المسلمين غثاء كغثاء السيل .**

(٤) **العبرة بالعدد باقيه من إيجابية لأن الكثرة الصامتة كغثاء السيل تضر ولا تفيد .**

(٥) **ضرورة التعامل مع الواقع .**

ـ ٥٠ ـ

٦٦ ـ باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع

[٩١] ، (١) حديث سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وسعد جالس ، فترك رسول الله ﷺ رجلا هو أعجبهم إلي .

٢٧

فقلت : يا رسول الله ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا ؟

فقال ﷺ : أو مسلما ؟

فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي .

فقلت : ما لك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمنا ؟

فقال : أو مسلما ؟ ...

فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه ، فعدت لمقالتي .

وعاد رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا سعد إني لأعطي الرجل ، وغيره أحب إلي منه ، خشية أن يكبه الله في النار[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب ضرورة تأليف قلوب ضعاف الإيمان ، والنهى عن القطع بإيمان أحد من غير دليل واضح قطعى لا شك فيه .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٢ كتاب الإيمان : ١٩ باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

عن سعد بن أبى وقاص ﷺ (أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا وسعد جالس) **فجرد سعد اسمه ، وتحدث عن نفسه كأنه غيره لتأكيد صدقه فى رواية الحديث .**

والرهط عدد من الرجال لا يقل عن ثلاثة ولا يزيد عن عشرة ، وان زاد فبعدد قليل ، ولا واحد له من لفظه ، وقد وزع النبى ﷺ أموال الغنيمة ، وكان سعد ﷺ **جالسا ، يرى ويسمع ، فأعطى النبى ﷺ رهطا من الناس ، ولم يعط رجلا فقيرا يحبه سعد ، ويعجب به .**

يقول سعد ﷺ : (فترك رسول الله ﷺ رجلا هو أعجبهم إلي) **أى ترك الرسول رجلا لم يعطه ، وكان سعد** ﷺ **من المعجبين بهذا الرجل لقوة إيمانه ، واخلاصه .**

وهذا الرجل هو (جعيل بن سراقة الضميرى ﷺ) **وكان رجلا فقيرا شهد له النبى ﷺ بالصلاح والصدق وبين أنه خير ممن يظنهم الناس من الصالحين .**

وفى قول سعد ﷺ : (هو أعجبهم إلي) **التفات من الغيبة إلى التكلم لبيان اهتمام سعد** ﷺ **بما رأى أثناء توزيع الغنائم .**

ومعنى (أعجبهم إلي) **أحبهم عندى لعلمه ، وصدقه ، واخلاصه وقوة إيمانه من خلال معاشرته ومعاملته .**

(فقلت : يا رسول الله ما لك عن فلان) ؟ ... **الاستفهام هنا على حقيقته لمعرفة سبب عدم إعطاء الرسول جعيلا من الغنيمة مع إيمانه ، أى**

: قال سعد ﷺ لرسول الله مستفسرا عن سبب عدم إعطاء جعيل ﷺ من المال رغم حاجته ، وتقديم المال لغيره .

(فوالله إني لأراه مؤمنا**) أى قال سعد ﷺ : أقسم لك يا رسول الله إنى أرى جعيلا مؤمنا فى ظاهره وباطنه فقد عاشرته وعاملته .**

وقوله (لأراه**) فيها روايتان أحدهما بضم الهمزة بمعنى أظنه ، والأخرى بفتح الهمزة بمعنى أعلمه ... والخلاف بين الروايتين نظرى لجواز إطلاق العلم على الظن ، وأيضا فمن الجائز أن توصل المقدمات الظنية إلى نتائج يقينية ، وبالتأمل فى قول سعد ﷺ نراه قد أقسم على وجدان الظن فى نفسه وهو كذلك ، ولم يقسم على أن حقيقة الأمر المظنون كما ظن فالحقيقة التامة يعلمها الله وحده .**

(مؤمنا**) أى قال سعد ﷺ : إنى أرى الرجل مؤمنا إيمانا شرعيا ، وهو ما ظهر منه فى تمسكه بدينه ، وطاعته لله تعالى .**

(فقال**) ﷺ : (**أو مسلما**) وجاءت الرواية بتسكين الواو لإفادة معنى التنويع والتشريك ، أى قال رسول الله ﷺ الأولى أن تظنه مسلما لأن الإسلام يعنى الدين كله .**

ومن ذهب إلى أن معنى (أو**) الإضراب لا يقصد نفى إيمان جعيل ولا إلغاء شهادة سعد لصاحبه ، وانما يفيد أن تكون الشهادة على الظاهر الذى يدركه الإنسان ، وترك الحكم على الباطن لله تعالى ، لأن الحكم بالإيمان يستتبع ضرورة معرفة الأعمال الباطنة ، والحكم بالإسلام يقوم على مشاهدة الأعمال الظاهرة وحدها .**

والأولى بالإنسان أن يشهد بما يرى ؛ لأن العليم بالأسرار والبواطن هو الله تعالى .

يقول سعد ﷺ : (فسكت قليلا ، ثم غلبني ما أعلم منه ، فعدت لمقالتي) **أى بعد أن سكت مدة وجيزة ، وأنا أعلم من الرجل صدقه فى الإسلام وحاجته إلى المال عدت لسؤال رسول الله ﷺ مرة أخرى عساه أن يعطى الرجل .**

(فقلت) **يا رسول الله** (ما لك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا) **أى أن الرجل يستحق المال فلم لا تعطه نصيبا ؟**

(فقال) ﷺ (أو مسلما) **أى الأولى بك أن تقول : إنه مسلم .**

(ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي ، وعاد رسول الله ﷺ) **لمقالته السابقة .**

(ثم قال) **رسول الله** ﷺ : (يا سعد إني لأعطي الرجل ، وغيره أحب إلي منه ، خشية أن يكبه الله في النار) **أى يبين الرسول ﷺ لسعد** ﷺ **سبب عدم إعطاء الرجل نصيبا من المال ، وفى بيانه ﷺ دليل صدق سعد** ﷺ **فى حديثه عن** جعيل بن سراقة الضمرى ﷺ **... وأن جعيلا** ﷺ **أحب إلى رسول الله من الذى يعطيه ، لأنه ﷺ يقدم العطاء لضعفاء الإيمان تألفا لقلوبهم ويكل غيرهم إلى إيمانهم .**

ومجمل القصة كما ذكرها ابن حجر ﷺ **أن النبي ﷺ كان يوسع العطاء لمن أظهر الإسلام تألفا ، فلما أعطى الرهط وهم من المؤلفة ، وترك جعيلا وهو من المهاجرين خاطبه سعد في أمره ، لأن سعدا كان يرى أن جعيلا أحق من غيره لما علمه من إيمانه وتقواه ، ولهذا راجع فيه رسول الله أكثر من مرة ، فأرشده النبي ﷺ إلى أمرين :**

أحدهما : **إعلامه بالحكمة في إعطاء أولئك وحرمان جعيل مع كونه أحب إليه ممن أعطاه ؛ لأنه ﷺ لو ترك إعطاء المؤلف لم يؤمن ارتداده فيكون من أهل النار .**

ثانيهما : **إرشاده إلى التوقف عن الثناء بالأمر الباطن ولم يمنعه من الثناء بالأمر الظاهر .**

إن رد الرسول ﷺ على سعد لا يعنى الإنكار عليه ، بل كان لإرشاده لأفضل أحد الجوابين على طريق القول بالأولى .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يطلق الإسلام على حقيقته الشرعية ، ويراد به الإيمان وهو المفهوم من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] **... كما يطلق ويراد منه حقيقته اللغوية ويراد به الاستسلام والانقياد ، وهو المراد فى قوله تعالى :** ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[2] .

وتسمية سعد ﷺ لصاحبه من قبيل الحقيقة الشرعية التى لم ينكرها النبى ﷺ فهو يعلم جعيلا ﷺ ، ويعلم حقيقة إيمانه . فقد جاء فى حديث أبى ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ سأل أبا ذر ﷺ عن جعيل ، وقال : كيف ترى جعيلا ؟

قال أبو ذر : هو كشكله من الناس ، أى هو مثل المهاجرين .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٩ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٤ .

ثم سأله عن غيره وقال : فكيف ترى فلانا ؟

قال أبو ذر : سيد من سادات الناس .

فقال ﷺ : فجعيل خير من ملء الأرض من فلان .

فقال أبو ذر ﷺ : ففلان هكذا وأنت تصنع به ما تصنع ؟

قال ﷺ : إنه رأس قومه ، فأنا أتألفهم به[١] .

ومرة أخرى مر رجل من سادات قريش على رسول الله ﷺ وحوله أصحابه ، وفيهم سعد بن أبى وقاص ﷺ .

فقال لهم ﷺ : ما تقولون فى هذا الرجل ؟

قالوا : رجل عظيم ، حرى إن شفع أن يشفع ، وان خطب أن ينكح ، وان تكلم أن يسمع .

فسكت ﷺ حتى مر جعيل بن سراقة ﷺ عليهم ، وهو من فقراء المهاجرين .

فقال لهم ﷺ : ما تقولون فى هذا ؟

قالوا : حرى إن شفع أن لا يشفع ، وان خطب بنت أحدنا أن لا ينكح ، وان تكلم أن لا يسمع .

فقال ﷺ : هذا الفقير خير من ملء الأرض مثل هذا الغنى[٢] .

وهذا يوضح منزلة جعيل عند رسول الله ﷺ ويبين أن إعطاء المال لغيره دونه كان لتأليف قلبه ، وهذا ما حدث فى غنائم حنين إذ أعطى رسول الله ﷺ أهل مكة ، وترك الأنصار فتألم الأنصار فى أنفسهم ، وظنوا أن رسول الله ﷺ عاد لأهله وتركهم ، فبين الرسول الأمر وقال : أترضون أن يذهب

---

(١) الجامع لابن وهب ج١ ص٧٧ .

(٢) سنن ابن ماجه . كتاب الزهد . باب فضل الفقراء ج٢ ص١٣٧٩ .

الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار[١] .

وفى حديث الباب بعض الملحوظات :

الملحوظة الأولى : **يحسن للشهادة أن تكون على الأمور اليقينية التى يتأكد الشاهد من وقوعها ، وأن يقف الشاهد عند حدود طاقته وقدراته ، ولذلك أقسم سعد على أنه يظن ظنا غالبا ، وربط قسمه برأيه مخافة أن تكون الحقيقة على خلاف ما يقسم عليه ، فلما وجهه النبى ﷺ إلى أن يقول مسلما ، ولم ينف عن صاحبه الإيمان ، علم أن النبى يريد المسمى الشرعى للإسلام الشامل للإيمان ، فأعاد سعد قوله طمعا فى أن يعطى الرسول ﷺ مالا لصاحبه .**

وتمسك سعد ﷺ بقوله لرسول الله ﷺ ليس معارضة لرسول الله ﷺ فهو يقصد ما قصده رسول الله ، وتمسكه بقوله أملا فى أن يأخذ جعيل ما يحتاج إليه من مال .

الملحوظة الثانية : **قصد سعد ﷺ بقوله مدح جعيل ﷺ ، فهو من المهاجرين إلى المدينة ، والسابقين إلى الإسلام ، وعلمه به يؤيده فى مدحه ، وحاجة جعيل تؤكد حاجته إلى المال ، ولذلك لم ينهه رسول الله ﷺ عن المراجعة ، وانما اعتذر إليه ، وبين له أن جعيلا ﷺ أحب إليه من كثير ممن يعطيهم ، ووجه ﷺ سعدا ﷺ إلى أن الأولى المدح بالإسلام لا بالإيمان .**

---

(١) صحيح البخارى . كتاب المغازى . باب غزوة الطائف ج٥ ص١٥٧ .

الملحوظة الثالثة : **فى الحديث بيان حب رسول الله ﷺ لإيمان جميع أصحابه ، وأنه كان يتعامل مع كل منهم بما يناسبه ، وأنه يتمنى أن ينقذهم جميعا من عذاب النار فهو ﷺ يعلم إيمان جعيل ﷺ ، ولذلك تركه لإيمانه يسعى به إلى الجنة ، وأما ضعاف الإيمان ، فهو ﷺ يعطيهم ، ويتألف قلوبهم شفقة عليهم ، وحتى لا يعودوا إلى الكفر مرة أخرى ، ويلقيهم الله فى النار عقوبة لهم .**

الملحوظة الرابعة : **فى بعض روايات الحديث أن سعدا ﷺ قام إلى رسول الله وأسر إليه بسؤاله ، وذلك فى قوله :** (فقمت إلى رسول الله ﷺ ، فساررته) **وقد يتعين الإسرار إذا كان فى الإعلان مفسدة .**

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن رسول الله ﷺ كان يخص المؤلفة قلوبهم بالعطاء ، وأنه كان يكل المؤمنين لإيمانهم ، ويوضح أن المدح بما هو معلوم أولى من المدح بما هو مظنون .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

أخوة الصحابة الصادقة

المسلم أخو المسلم ، يحبه كحبه لنفسه ، ويسعى فى مصالحه ، وينصح له ، ويتعاون معه على البر والتقوى .

والمؤمن دائما يكون فى حاجة أخيه ، إن مرض عاده ، وان غاب سأل عنه وان أصابه مكروه أعانه ، وان احتاج أعطاه ، ولا يرضى إلا بتقديم ما يحتاج له .

وها هو سعد ﷺ يتمنى لصاحبه (جعيل ﷺ) أن يعطيه رسول الله ﷺ ما يحتاج إليه ، فهو صادق الإيمان ، دائم الذكر والطاعة ، ... وقدم سعد ﷺ لأمنيته وصف جعيل بما هو فيه ، ومدحه أمام رسول الله ﷺ .

لقد عاش المسلمون فى المدينة الصورة الإسلامية الواجبة ، فآخى الرسول بينهم ، وعاشوا أمة واحدة ، وقدموا للإنسانية الصورة المثلى لحياة الناس ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[1] .

والواجب استمرار المسلمين على هذه الأخوة لينصروا أمتهم ، ودينهم ، ويعيشوا كراما فى أوطانهم .

ولن يتمكن منهم عدوهم إلا بالتفرق ، والتشرذم الذى يتمناه الأعداء لهم ويعملون له بجد وتنوع .

الركيزة الثانية

مسئولية الإمام عن رعيته

يقود الإمام رعيته بمنهج الله تعالى ، ويصلح معاشهم ، ويحافظ على تدينهم وايمانهم ، ويعامل كلا بالمعاملة التى يستحقها ... ولما كان الناس

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٩ .

مختلفين فى فكرهم ، ومذاهبهم ، وعاداتهم ناسب أن تختلف معاملاتهم .

ولذلك عامل رسول الله ﷺ أقوياء الإيمان بطريقة اختلفت عن معاملته لضعاف الإيمان لإيصال كل منهم إلى جنات النعيم ، لأنه كان يعلم أحوال الناس ، ويحيط بكافة شئونهم ورعاية توجيههم إلى الطريق الأفضل ليصلوا بها إلى سعادة الآخرة .

ويحسن للإمام أن يوجه رعيته إلى المنهج الذى يريده بالحسنى ، ويخاطبهم باللين تطييبا لقلوبهم ، وحرصا على طاعتهم ، وأملا فى استقامتهم وهدايتهم .

ولا يصح أن يسود الناس إمام ، هم له كارهون ، ولا يجوز أن يلى أمر الناس ظالم جهول .

- و-

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير الحديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) يجوز للوالى أن يتصرف فى المال بما يفيد الناس ، وتقديم الأهم على المهم ، وتوضيح أسباب تصرفه فى المال على النحو الذى قام به أو سيقوم به .

(٢) حرية الرأى مكفولة لكل فرد فى أمة الإسلام فى إطار من الأدب والخلق فها هو سعد ﷺ يظهر رأيه لرسول الله ﷺ ، والرسول ﷺ يرد عليه ، ويوضح له أسباب ما قام به ، ويتكرر هذا الحوار حتى يعلل رسول الله ﷺ لصاحبه سبب تصرفاته .

(٣) من حق الصغير توجيه الكبير لمصلحة يراها ، ومن الأولى التوجيه فى السر منعا للفتنة ، وحفاظا على التقدير والاحترام بين الناس .

(٤) الإمام مسئول عن الناس جميعا ، وله أن يعمل على ما يفيدهم فى الدنيا وفى الآخرة .

(٥) ضرورة مراجعة الحكم قبل صدوره ، واقراره ليعالج كافة جوانب الموضوع بمنهج الله تعالى .

(٦) من المهم أن يقوم العلماء وأولو الأمر بمعاونة الحاكم ، واظهار مرئياتهم له ليكون القرار متفقا مع المصلحة المنشودة ، وشرع الله الحنيف .

ـ ٥١ ـ

٦٧ ـ باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة

[٩٢] ، (١) ٣٣٧٢ حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ ويرحم الله لوطا ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد ؛ ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ، ويوضح تواضع رسول الله ﷺ وهو يمدح إخوانه الرسل ، وينفى عنهم ما يتخرصه الأفاكون .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبى ﷺ : (نحن أحق بالشك من إبراهيم**) الشك فى حقيقته هو التوقف بين حكمين فى أمر ما من غير ترجيح نفى أو إثبات له ، والشك بهذا المعنى لا يقع من رسل الله أبدا وبخاصة فى قضايا العقيدة ، لأن الله**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٠ كتاب الأنبياء : ١١ باب قوله عز وجل : ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ . وللحديث روايات أخرى في صحيح البخارى في الأرقام التالية : (٣٣٧٥ ، ٣٣٨٧ ، ٤٥٣٧ ، ٤٦٩٤ ، ٦٩٩٢) .

تعالى يوحى إليهم بدينه جليا واضحا ، ولذلك كان حديث رسول الله ﷺ عن شك إبراهيم عليه السلام غير مراد ، وانما أراد ﷺ أن ينفى عن إبراهيم عليه السلام ما يظنه البعض من شك وقع من إبراهيم عليه السلام حين سأل ربه أن يريه إحياء الموتى ، وقصة ذلك أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1] .

قال بعض الصحابة : شك إبراهيم ولم يشك نبينا ﷺ ، فوضح لهم رسول الله ﷺ موقف إبراهيم عليه السلام ، وبين لهم أن إبراهيم ﷺ لم يشك ، والنبيين معه ، أو أنه ﷺ وأمته معه أحق بالشك من إبراهيم عليه السلام لأنه عليه السلام كان أمة ، وهو أبو الأنبياء ، وكان حنيفا مسلما تبعه سائر الرسل من بعده وكلهم كانوا من ذريته ، وحيث أننا لم نشك كما هو الواقع فإبراهيم عليه السلام لم يشك بالضرورة .

و (نحن) **ضمير جمع المتكلمين ، ينطق بها الفرد تعظيما لنفسه ، والمراد بها هنا الرسول والأنبياء ، أو الرسول وأمته لاتصافه ﷺ بالتواضع وحسن الخلق ، ولذلك لا يتصور أحد أنه يعظم نفسه .**

وسبب سؤال إبراهيم عليه السلام **أنه رأى جيفة بساحل البحر تأكلها السباع ، والطير ، ودواب البحر ، فشغله أمر كيفية إحيائها ، فسأل ربه** ﴿ كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ ؟ ...

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٦٠ .

وسؤال إبراهيم عليه السلام لا شك فيه مطلقا ؛ لأنه لم يسأل عن الخلق ، ولا عن الإماتة ، ولا عن الإحياء ... وانما كان سؤاله عن كيفية الإحياء .

ولما سأله الله : ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِن ﴾ **؟ ... أى أأصابك شك أبعدك عن الإيمان الصحيح ؟ أجاب عليه السلام و** ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ **أى إنى لا أشك فى قدرتك يا ربى ، ولكنى أريد أن يطمئن قلبى بمشاهدة الكيفية ، وانى متيقن من ربوبيتك ، وأرجو أن أصل إلى عين اليقين .**

فأجابه الله إلى سؤاله ، وأمره أن يأخذ أربعة من الطير ، ويذبحهم ، ويقطعهم إلى أجزاء صغيرة ، ويخلط الأجزاء ، ويقسمها إلى أقسام ، ويضع كل قسم على جبل ، ثم أمره أن يناديهم ، وسوف يحييهم الله ، ليأتوا إليه ساعين مسرعين ، وبذلك يرى قدرة الله فى إحياء الموتى ، ويعلم أنها تتم بـ (كن) لا يدركها عقل ، ولا يحيط بها حس ، ولكنها ترى بعد إيجادها .

وقد فسر العلماء المراد بشك إبراهيم عليه السلام وذكروا له معانى عدة ... منها :

(١) إرادة تحقيق طمأنينة القلب بالمشاهدة الحسية بعد أن تأكد منها بالأدلة العقلية ، وبذلك يصل إلى عين اليقين بعد أن عاش فى علم اليقين .

(٢) أراد إبراهيم عليه السلام أن يشاهد كيفية إحياء الموتى رغبة فى رؤية غرائب الوجود التى يؤمن بها مسبقا ليضيف إلى علمه علما جديدا .

(٣) أراد إبراهيم عليه السلام أن يتأكد من منزلته عند ربه ، ليطمئن إلى أنه خليل الله تعالى ، وصفيه .

ولا يصح تصور أى شك فى إيمان إبراهيم عليه السلام كما هو واضح من دلالة الحوار فى ظاهر الآية ، وأن التفضيل فى قوله ﷺ : (نحن أحق بالشك من إبراهيم) يشير إلى نفى الشك عن الطرفين فهو كقوله تعالى : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ ﴾[١] **أى لا خير فيهم جميعا .**

والطمأنينة التى عبر عنها إبراهيم عليه السلام فى قوله : ﴿ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ **تعنى زيادة السكون بالمشاهدة ، لأن المشاهدة دليل حسى ، يؤكد ما فى القلب من دليل عقلى ، وبذلك يزداد السكون والرضى بزيادة الأدلة ، وتنوعها ، واتجاهها فى مسار واحد .**

يقول القاضى عياض رحمه الله : لم يشك إبراهيم عليه السلام فى أن الله يحيى الموتى ، ولكنه أراد طمأنينة القلب ، وترك المنازعة لمشاهدة عملية الإحياء . فقد تيقن قلبه بإحياء الله للموتى ، وأراد زيادة العلم بالرؤية والمشاهدة[٢]

(ويرحم الله لوطا ، لقد كان يأوي إلى ركن شديد) **يشير بذلك رسول الله ﷺ إلى قول لوط عليه السلام اعتذارا لأضيافه ، فلقد بذل وسعه مع قومه ليصرفهم عن أذى ضيوفه ، فلقد حاورهم ، وعرض عليهم أن يتزوجوا بناته وقال لهم :** ﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ **... وأمرهم بتقوى الله تعالى وقال لهم :** ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ﴾ **وبكتهم وزجرهم وقال لهم :**﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾[٣] .

---

(١) سورة الدخان ، الآية ٣٧ .

(٢) فتح البارى ج١٣ ص١٥٩ .

(٣) سورة هود ، الآية ٧٨ .

فلما أصر القوم على فعلهم اعتذر لوط عليه السلام لضيوفه عن عدم وجود عشيرة له يأوى إليها لترد القوم عن عداوتهم كما هى عادة الناس فى الدفع والمناصرة ، فقد تعودوا اللجوء إلى قوة العشيرة فى الإيواء والنصرة ، وذلك فى قول الله حكاية عن لوط عليه السلام : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[1] .

والسبب الذى جعل لوطا عليه السلام يقول هذا هو أنه عليه السلام كان غريبا عن الناس فى "سدوم" ، وأنه لم يكن فيهم أحد يجتمع معه في نسبه ، فقد جاء إلى سدوم من العراق ، فعندما هاجر إبراهيم عليه السلام إلى الشام هاجر معه لوط عليه السلام فبعث الله لوطا إلى أهل "سدوم" فلما قصدوا العدوان على ضيوفه قال لهم: لو أن لي منعة وأقارب وعشيرة لكنت أستنصر بهم ليدفعوا عن ضيفاني ، ويردوكم عن غيكم ، ولهذا جاء في بعض طرق الحديث أن النبي ﷺ لما قص قول لوط عليه السلام : ﴿ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ **قال ﷺ : فإنه كان يأوي إلى ركن شديد وعنى عشيرته بقوله ، فما بعث الله نبيا إلا في ذروة من قومه .**

فلوط عليه السلام كان يأوى إلى الله ، وهو ركنه المتين ، وما قاله لقومه أمام ضيوفه جريا على عادة الناس من أن القبيلة تنصر شيخها وتستجيب له .

فالمراد بالركن الشديد فى قول لوط عليه السلام العشيرة والعزوة ، والمراد بها فى الحديث قدرة الله وقوته ...

---

(١) سورة هود ، الآية ٨٠ .

والمعنى المقصود أن لوطا عليه السلام كان يلجأ إلى الله تعالى فى كل حالاته وذكره للعشيرة أمام الضيوف جرى على إلف الناس .

(ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي) **أى لو كنت فى السجن ، ومكثت فيه بضع سنين ، وجاء من يخرجنى منه لأسرعت بإجابة الداعى لأخرج من السجن ، وما قدمت طلب البراءة قبل أن أخرج كما فعل يوسف عليه السلام فإنه قال للداعى حين أتى إليه ليخرجه من السجن كما حكاه الله عنه فى قوله تعالى :** ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾[1] **فلما أقر النسوة بالحق وظهرت براءة يوسف عليه السلام خرج من السجن مع رسول الملك فى المرة الثانية .**

والحديث يتناول المواقف الثلاثة لإبراهيم ، ولوط ، ويوسف عليهم السلام وفيه يبين الرسول ﷺ علو مقام الرسل ، وعظمة شأنهم ، ويقدمهم على نفسه تواضعا منه ﷺ ... ومن المعلوم أن التواضع لا يحط منزلة الكبير ، وانما يزيده رفعة وجلالا ، وتواضع رسول الله ﷺ ثابت قولا وفعلا ، ومن أقواله ﷺ الدالة على تواضعه :

- **(ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى)**[2] .

---

(١) سورة يوسف ، الآية ٥٠ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله تعالى : ﴿ **وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴾ ج٤ ص١٥٩ .

- **(أنا ابن العواتك من سليم)**[١] .

- **(إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)**[٢] .

وشهد بتواضعه ﷺ كل من صحبه وعاشره ، ومن ذلك أنه كان يخصف نعله ، ويغسل ثوبه ، ويخدم أهله ، ويساعد المحتاج ، وينصف المظلوم ، ويعين على نوائب الدهر ، ويقدر الكبار والصغار ، ويستجيب لدعوة الجميع .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

الأنبياء إخوان علات ، دينهم واحد ، واتجاهاتهم شتى ، وقد ختمهم الله بمحمد ﷺ وقص علينا قصصهم ، وبين دعوتهم ، وفصل فى المناقشات التى جادلوا فيها أقوامهم .

وفى الحديث يبين رسول الله صدق رسل الله واخلاصهم فى الإيمان بالله والدعوة إليه .

فلقد صنعهم الله بقدرته ، واصطفاهم لرسالته ، وخصهم بالريادة والقدوة لعباد الله جميعا .

لقد واجه الرسل جميعا أعداء الله فى الأرض ، وتصدوا للكفر والضلال وردوا مزاعم المشركين وعبدة الأصنام ، وكانوا جميعا صلوات الله وسلامه عليهم مثلا عالية فى الصدق والإخلاص ، وكانوا أول المؤمنين بالله ،

---

(١) الجامع لابن وهب ج١ ص٤٣ .

(٢) سنن ابن ماجه . كتاب الأطعمة . باب القديد ج٢ ص١١٠١ .

الواثقين من معونته ونصره ، المتبعين فى حياتهم السنن العامة لقدر الله فى الناس .

وقد تخير رسول الله ﷺ ثلاثة مواقف لرسل الله المذكورين لتوضيح أمور معينة تتصل بقضايا عامة ، هى (والله أعلم) فيما يلى :

أولا : **بيان اليقين التام الذى كان عليه الرسل ، فقد آمنوا بالله إيمانا حقيقيا ، واستسلموا له بإخلاص ، وقاموا بما وجب عليهم ، فبلغوا الرسالة ، وأدوا الأمانة ، وما ورد من خبر بغير هذا يجب تأويله ، ولا يؤخذ بظاهره ، ولذلك قال رسول الله ﷺ عن إبراهيم عليه السلام :** (نحن أحق بالشك من إبراهيم) **أى كما أننا لا نشك أبدا فكذلك إبراهيم عليه السلام فهو أبو الأنبياء ، وأصل الحنيفية ولا يتصور شك عند إبراهيم أبدا . فقد قضى فترة رسالته داعيا إلى التوحيد ناصرا للحنيفية السمحة ، دعا أباه ، والنمرود ، ودعا عبدة الكواكب والأصنام ورفع راية الحق عالية بين الناس .**

ثانيا : **توضيح أن الرسل عليهم السلام تعاملوا مع الناس على قدر طاقة الناس وعاداتهم ، فهذا لوط عليه السلام حينما حاول قومه العدوان على ضيوفه بفعل الفاحشة التى اخترعوها ، وساروا عليها تعامل معهم بعادة الناس ، وقدراتهم وطاقاتهم ، فعرض عليهم بناته ليستبدلوهم بما يفعلون ويتزوجوهم فى طهر وعفة، وطلب منهم الرشد والتعقل، واعتذر لضيوفه عن عدم وجود قبيلة وعشيرة ينتصر بها، وقال لهم ما حكاه الله تعالى :** ﴿ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ **فاعتذر لضيوفه بذلك ، وهو على يقين بأن الله هو القوى المتين ، وأن اعتماده ، وتوكله عليه وحده ... ولذلك أكد**

رسول الله ﷺ أن لوطا عليه السلام كان يأوى إلى الله تعالى، وهو ركنه القوى المتين .

ثالثا : تبين أن إظهار البراءة والطهارة أمر جوهرى لكل مؤمن ، وبخاصة القادة والدعاة ، وأولى الأمر فهذا هو يوسف عليه السلام حين أرسل إليه الملك ليكل إليه وزارة مصر رفض أن يخرج مع رسول الملك ، وانما طلب إظهار براءته قبل أن يخرج ليعلم الناس الحقيقة .

رابعا : محمد ﷺ خاتم المرسلين أرسله الله بدينه العالمى الخاتم لكل الرسالات ، وجعله إمام المرسلين ، وأفضلهم ، ومع ذلك يرفع شأن غيره من الرسل ، وحديث الباب يدل على تواضعه ﷺ .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

يبين الحديث صدق رسل الله فى إيمانهم بالله ، ودعوة أممهم إلى دين الله تعالى ، ويوضح تواضع النبى ﷺ وهو يجلى صدق الرسل فى الدعوة والإيمان ، ويؤكد الحب والود الذى يجب أن يكون بين الدعاة إلى الله تعالى

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

أهمية اتحاد الدعاة وتماسكهم

يقوم الدعاة إلى الله تعالى بمهمة الرسول ﷺ ، فهم حملة الدين للناس ، وبهم ينتشر الإسلام فى العالمين ... والواجب عليهم أن يتعاونوا ،

ويتحدوا ، ويتمسكوا بمنهج الله تعالى .

إن الدعاة هم العاملون للإسلام بمنهج رسول الله ﷺ كما جاء الوحى به وهذا يميز عملهم بما يلى :

(١) كلهم يدعون للإسلام كما ارتضاه الله للناس ، فهو دين واحد يجمعه ، ويجمع آمالهم وأمانيهم على حبه ونصرته .

(٢) يحتاج الدعاة إلى الاتحاد والتعاون فى القيام بالدعوة ليكمل كل منهم أخاه ، ويعينه ، وينصره ، ويؤازره لأن قضية جميع الدعاة واحدة ، ولذلك كان من خطإ الدعاة التنافس على ماديات الحياة الدنيا ، والاستسلام لمخطط أعداء الله تعالى .

ولا يصح أن يتباهى بعض الدعاة على غيرهم بشيء فضلهم الله به ، ولا يجوز أن يقع التحاسد بينهم أبدا .

والواجب أن يكون كل داعية ظهرا لأخيه لينتصر بهم الدين ، ويكونوا قدوة لسائر الناس .

وفى هذه الركيزة نتمسك بحديث الباب حيث نرى دفاع رسول الله ﷺ عن إخوانه الرسل ، ويقدمهم على نفسه ، ويصفهم بما هم أهل له .

وعلى الدعاة أن يأخذوا من هذا درسا ، وهو أن يحب بعضهم بعضا ، ويساعد كل منهم أخاه ، فنجاح البعض نجاح للكل ، وأعداء الدين أعداء لهم جميعا ، ويجب عليهم أن يكونوا صفا واحدا ، وقلبا واحدا يعملون لدين الله مخلصين صادقين .

إن خصوم الإسلام عملوا على تفتيت الدعاة ، ودفعهم إلى التشرذم والانقسام إلى فرق وجماعات متناحرة تتخذ كل منها جانبا دينيا تتحمس له ، وتتعصب ضد من لا يكون معهم ... واشتد الانقسام حتى صرنا نرى فى الساحة الإسلامية مسميات عديدة مثل الجهاد ، والجماعة الإسلامية ، والسلف والسلفية الجهادية ، والإخوان المسلمين ، وكلها تدعى خدمتها للإسلام ، وتفانيها فى تقدمه ؛ وهى بانقسامها ، وتعارضها ، وتنازعها تضر الإسلام ، وتؤخر المسلمين .

لقد وضعت الصهيونية فى البروتوكولات سبل إفساد التعليم والإعلام والشباب ، والدين ، وعملت بوسائلها السرية والعلنية على تطبيق مفاسدها المعلنة ، ونجحت فى ذلك إلى حد بعيد ، وتمكنت من تأسيس قواعد للإفساد فى كل مكان ، وأطاحت بالمصلحين من الناس ، واستمر الفساد فى حركته ونشاطه .

ومن هنا ...

نقول للدعاة لا يجوز لداع مخلص أن يعارض داعيا آخر ، وعليهم جميعا أن يتحدوا فى نشر الإسلام ، وتبليغه بالحسنى ، ورد الشبه ، والمزاعم التى يثيرها الخصوم ، والاجتهاد فى تعليم العباد دين الله تعالى .

إن الدعاة إلى الله تعالى هم ورثة النبوة ، وهم أولى العباد بطاعة الله ، واظهار المنهج النبوى فى الاتحاد ، والتآخى ، والتضافر فى صيانة الدين ، ونشر تعاليمه فى الناس ، وتوجيه الخلق إلى الاستقامة والاستسلام لله رب العالمين .

إن الأمة الإسلامية فى حاجة إلى علمائها متحدين فى صف واحد ليأخذوا منهم دين الله تعالى كما نزل به الوحى الكريم .

الركيزة الثانية

عظم خلق رسول الله ﷺ

ختم الله الرسالات برسالة محمد ﷺ الذى جاء بدين الله كاملا تاما ، ليكون عالميا ، وخاتم الأديان كلها .

وقد فضل الله الأنبياء بعضهم على بعض ، وختمهم بأفضلهم ﷺ وقد أقر الأنبياء بهذا الفضل فى الدنيا ، وفى الآخرة فجميعهم بشر بمحمد ﷺ وعد رسالته تمهيدا لرسالة محمد ، وجمع الله رسله ليلة الإسراء والمعراج ليؤمهم محمد ﷺ فى بيت المقدس فى صلاة لله تعالى إثباتا لمقامه بينهم ، وتأكيدا على هيمنة الإسلام ونسخه لكل الأديان التى سبقته .

ولما عرج برسول الله إلى السموات العلا استقبله فى كل سماء ساكنوها من الرسل والملائكة مرحبين .

فرسول الله ﷺ خير الناس نفسا ، وخيرهم نسبا وخلقا .

يؤكد الله سبحانه وتعالى عظمة خلق رسول الله ﷺ فيقول سبحانه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

لقد تميز رسول الله ﷺ بالكرم ، والحلم ، والإقدام ، والشجاعة ، وحب الخير ، والتعاون ، والطاعة المطلقة لله تعالى .

---

(١) سورة القلم ، الآية ٤ .

ويشير حديث الباب إلى تواضع رسول الله ﷺ فبرغم علو منزلته نجده يقدم الرسل ، ويفضلهم ، ويدعو المسلمين إلى تقديرهم ، وعدم اتهامهم بأى منقصة فهم مثله .

لقد جمع رسول الله مكارم الأخلاق، ويجب أن يستمر أسوة للمؤمنين.

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

يتضمن حديث الباب عددا من الفوائد ... منها :

(١) بيان صدق الأنبياء فى إيمانهم بالله تعالى ، ودعوة أقوامهم إليه .

(٢) ضرورة العمل على زيادة الإيمان والانتقال من اليقين إلى عين اليقين .

(٣) الرسل بشر من الناس يتعاملون مع الناس وفق أفهامهم وعاداتهم .

(٤) على أصحاب الحق إثبات حقهم ، واظهاره أمام الناس ليظهر صواب رأيهم ، وتمسكهم بالصالحات .

(٥) بيان اتصاف الرسل بالصدق والإيمان ، والصبر .

(٦) بيان ما بين الرسل من حب وود وتعاون .

(٧) تميز رسول الله ﷺ بالتواضع والخلق الكريم .

ـ ٥٢ ـ

٦٨ ـ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته

[٩٣] ، (١) / ٤٩٨١ حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة[١] .

[٩٤] ، (٢) / ٩٧ حديث أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ ثلاثة لهم أجران ، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله ، وحق مواليه ، ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الله أيد رسله بالمعجزات ، وخص محمدا ﷺ بمعجزة القرآن الكريم ، وأن من الناس من لهم أجران لما قاموا به من عمل

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٦ كتاب فضائل القرآن : ١ باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل وللحديث روايات أخرى فى صحيح البخارى فى رقم ٧٢٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري في : ٣ كتاب العلم : ٣١ باب تعليم الرجل أَمَته وأهله ، وقد وردت روايات للحديث عند البخارى في الأرقام التالية : (٢٥٤٤ ، ٢٥٤٧ ، ٢٥٥١ ، ٣٠١١ ، ٣٤٤٦ ، ٥٠٨٣) .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر) **أى كل نبى من الأنبياء إلا وأعطاه الله معجزة أو معجزات تدل على صدقه ، خارقة للعادة يتحدى بها ، وكانت تأتى مصدقة لدعواه أمام قومه .**

ويبين الحديث أن إتيان المعجزة كان شاملا للرسل جميعا ، وشأن من يشاهدها من البشر أن يؤمن بالرسول لأجلها ، وبسببها .

والحصر فى الحديث جاء بالنفى والاستثناء للدلالة على أن الله أيد جميع رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم ، لأنها خارقة للعادة ، قائمة على التحدى يظهرها الله على يد رسوله تصديقا له ، ولسان حال المعجزة يقول : صدق عبدى فيما يبلغ عنى .

ومعجزات الرسل متشابهة فى دلالتها على صدق الرسل ، وفى تأثيرها على المدعوين .

و (أعطي) **تتعدى لمفعولين ، وبنيت للمجهول فحذف مفعولها الأول ، وبقى المفعول الثانى ، وهو جملة مكونة من اسم الموصول** (ما) **وجاءت جملة الصلة وهى** (مثله آمن عليه البشر) **وهى مكونة من مبتدإ وخبر ، ولا محل لها من الإعراب .**

والمماثلة المقصودة فى العطاء تكون وجوه التشبيه العامة المكررة فى الرسالات كلها ، وهى التحدى ، واثبات العجز ، وتأكيد خرقها لعادات الناس ودورانها فيما تفوق فيه قوم الرسول .

و (على) **فى قوله ﷺ :** (عليه البشر) **بمعنى الباء ، ويكون المعنى بسببه ... أو بمعنى اللام ، ويكون المعنى لأجله ، وآثر الرسول ﷺ التعبير**

بـ (على**) ليفيد معنى العلو والغلبة ، أى أن الإنسان يؤمن برسالة الرسول بسبب المعجزة التى يراها ويشاهدها بحيث لا يستطيع تركها والفكاك منها حينما يفكر فيها بعقله ، فهى خارقة للعادة ، وفوق قدرات الناس ، وأعلى من طاقاتهم .**

فإن قيل : **هناك من الناس من يرى المعجزة ولا يتأثر بها . فما سبب ذلك ؟**

أقول : **سبب ذلك جحودهم واستكبارهم فهم يرون المعجزة ، ويقرون بصدق الرسول ، ومع ذلك يكفرون بسبب الجحود والكراهية . يقول الله تعالى :** ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1] .

(وانما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي**) أى وكانت المعجزة التى أيدنى الله بها هى القرآن الكريم الذى أنزله إلي ، وهو الكتاب الجامع لكلام الله المنزل على محمد ﷺ تصديقا لرسالته ، وبيانا لتعاليمه ، وقد قدر الله للقرآن الكريم البقاء فى الناس يتلى عليهم فى كل مكان وزمان ، ليرسم الصراط المستقيم ، ويقدم المنهج الإلهى الخالد ، ويصلح الحياة والناس ، ويحدد طريق السعادة فى الآخرة ، ويبقى محفوظا مع الناس ، معجزا بلفظه ومعناه على طول الزمن ، وفى كل مكان .**

ونص الحديث لا يفيد حصر معجزات النبى ﷺ فى القرآن الكريم ، ولا يدل على أنه ﷺ لم يعط معجزة غيره .

---

(١) سورة النمل ، الآية ١٤ .

بل المراد أنه المعجزة العظمى التي اختص بها رسول الله ﷺ دون غيره ، لأن الله أعطى كل نبي معجزة خاصة به ، ولم يعطها لغيره ، تحدى بها قومه .

وكانت معجزة كل نبي مناسبة لحال قومه ، فلما كان السحر فاشيا عند فرعون جاءه موسى عليه السلام بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، فتلقفت ما صنعوا ، وكذلك إحياء عيسى الموتى وابراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في زمانه في غاية الظهور فأتاهم من جنس عملهم بما لم تصل قدرتهم إليه ، ولما شاعت المادية فى (بنى إسرائيل) أراهم الله فى معجزات عيسى عليه السلام الجانب الروحى فى إحياء الموتى وابراء الأكمه والأبرص ... ولما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة والفصاحة جاءهم بالقرآن الكريم الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك .

وقد تميز القرآن الكريم عن المعجزات السابقة بعدة أمور :

(١) لم تأت معجزة سابقة تشبه القرآن الكريم فليس له صورة موجودة فى معجزات الرسل السابقين .

(٢) لا يتطرق إليه تخييل ، أو ظن فهو حق كله .

(٣) لا يستطيع أحد أن يأتى بما يشابهه أو يقاربه .

(٤) يستمر القرآن الكريم معجزا بلفظه ومعناه ، ومصدرا للتشريع ، ودينا على طول الزمن لا ينقرض أبدا ، ولن يأتى زمان إلا ويظهر من القرآن إعجاز جديد يضاف إلى ما فيه من معجزات ثابتة .

(٥) القرآن الكريم معجزة معنوية عقلية لا ترتبط بأعمال بشرية معينة .

وحين تقارن هذه الخصائص القرآنية بمعجزات الرسل السابقين نجد أن المعجزات السابقة لرسل الله لها صورة متخيلة عند أقوام الرسل . فقد وجد السحر عند قوم موسى عليه السلام ووجد الطب عند قوم عيسى عليه السلام وجاءتهم المعجزة من نوع تفوقهم ، وعلى صورته .

ونجد أن القرآن الكريم نزل جديدا فى ألفاظه ، وتراكيبه ، وقد تحدى الله به ، وعجز العرب من أن يأتوا بمثل أقصر سورة منه ، وسقط كلامهم أمام بيان القرآن الكريم وبلاغته .

ونجد أن سائر المعجزات الحسية قد انقرضت ولم تبق صورتها كما بقى القرآن الكريم ، ونجد أن القرآن الكريم يخاطب العقل ، والبصيرة ، ويسكن القلب والضمير .

وقد جمع بعض العلماء إعجاز القرآن الكريم فى الأمور الأربعة التالية :

أحدها : **حسن تأليفه والتئام كلمه مع الإيجاز الدقيق ، والبلاغة الشاملة للفصاحة ، والبيان ، والبديع .**

ثانيها : **صورة سياقه ، وأسلوبه المخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب نظما ونثرا ، حتى حارت فيه عقولهم ، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك ، وتقريعه لهم على العجز عنه .**

ثالثها : **ما اشتمل عليه من الإخبار عما مضى من أحوال الأمم السالفة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه بعضه إلا النادر من أهل الكتاب .**

رابعها : **الإخبار بما سيأتي من حوادث الكون ، وقد وقع بعضها في العصر النبوي وبعضها حدث بعده ومازالت أخبار حوادثه تتوالى فى الظهور .**

هذه الجوانب الأربعة آيات وردت وأثبتت عجز العرب في قضايا لا يمكنهم فعلها وقد تحداهم رسول الله أن يأتوا بمثلها فعجزوا عن ذلك مع توفر دواعيهم على تكذيبه .

ومن إعجاز القرآن الروعة التي تحصل لسامعه ، ومنها أن قارئه لا يمل من ترداده ... وأن سامعه لا يمجه ولا يزداد بكثرة التكرار إلا طراوة ولذاذة ومنها أنه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا ، ومنها جمعه لعلوم ومعارف لا تنقضي عجائبها ولا تنتهي فوائدها .

فإن قيل : **لم سمى الحديث مجيء معجزات الرسل بالإتيان ، ومعجزة محمد ﷺ بالوحى مع أن الكل وحى ؟**

أقول : **عبر الحديث عن معجزات الرسل بالإتيان للإشارة إلى أنها كانت حسية بخلاف القرآن الكريم فهو معجزة معنوية عقلية .**

وفى الحديث الثانى **يبين رسول الله ﷺ أصنافا من الناس لهم أجران فقال ﷺ :** (ثلاثة لهم أجران) **أى ثلاثة رجال كل منهم يمثل طائفة تماثله ، وتعمل عمله ، وهؤلاء الرجال هم :**

الأول : (رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ) **والمراد بالكتاب عمومه فيشمل التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب إلا أن اليهود والنصارى هم المشهورون بأنهم** (أهل الكتاب) **وعند الإطلاق ينصرف المسمى إليهم .**

فمن آمن بنبيه من اليهود والنصارى ثم آمن بمحمد ﷺ ودخل فى الإسلام فله أجران ، أجر الإيمان بموسى أو عيسى عليهما السلام ... ، وأجر الإيمان بمحمد ﷺ .

وفى الإيمان بالنبى السابق قبل الإيمان بمحمد ﷺ تفصيلات ضرورية تذكر منها :

أولا : **من دخل في اليهودية من غير بني إسرائيل واستمر عليها ، ولم يكن بحضرة عيسى عليه السلام فلم تبلغه دعوة عيسى عليه السلام واستمر على يهوديته يصدق عليه أنه يهودي مؤمن بنبيه موسى عليه السلام ، ولم يكذب نبيا آخر بعده فمن أدرك بعثة محمد ﷺ ممن كان بهذه المثابة وآمن به لا يشك أنه يدخل في الخبر المذكور ، ومن هذا القبيل العرب الذين كانوا باليمن وغيرها ممن دخل منهم في اليهودية ، ولم تبلغهم دعوة عيسى عليه السلام لكونه أرسل إلى بني إسرائيل خاصة .**

ثانيا : **يتحقق الأجر المذكور فى الحديث على بعض اليهود الذين كانوا بالمدينة، ولم يبلغهم خبر عيسى عليه السلام، وآمنوا بمحمد ﷺ ، وكانوا على دين موسى عليه السلام ، وفيهم نزل قوله تعالى :** ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٢ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝٥٣ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٥٤ ﴾[1] **وقد نزلت هذه الآيات فى**

---

(١) سورة القصص ، الآيات ٥٢ . ٥٤ .

عشرة من بنى إسرائيل منهم أبو رفاعة ؛ أتوا النبى ﷺ فآمنوا به ، وصدقوه وتحملوا الأذى .

ثالثا : **اليهودى الذى بلغته دعوة عيسى عليه السلام ولم يؤمن به يعد كافرا بنبوة موسى عليه السلام لأن موسى عليه السلام بشر بـ "عيسى" عليه السلام ودعا الإسرائيليين إلى الإيمان به حينما يبعثه الله لدعوتهم ، فعدم إيمانهم بعيسى عليه السلام يعد كفرا بموسى عليه السلام .**

رابعا : **اختلفوا فى إيمان المؤمنين بموسى وعيسى عليهما السلام بعد دخول التبديل والتحريف فى دينهما ، هل يعتد به أم لا ؟**

والأولى **اعتبارهم مؤمنين لهم أجر على إيمانهم بالنبى السابق مع استحقاقهم أجرا للإيمان بمحمد ﷺ مستدلين على ذلك بقوله ﷺ فى رسالته لهرقل قيصر الروم :** (أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين)[1] **فقد بين له ﷺ أنه إن أسلم فله أجران ، وكان هذا بعد التبديل والتحريف ، وأيضا فإن حديث الباب جاء لترغيب بنى إسرائيل فى اتباع محمد ﷺ ، وهذا يقتضى إعطاءهم الأجرين على إيمانهم إن دخلوا فى الإسلام وتركوا ما كانوا عليه فقد انتهى زمنه .**

فإن قيل : **هل الحديث يشمل غير اليهود والنصارى من الكفار وأصحاب المذاهب الضالة من غير أهل الكتاب ؟**

أقول : **خص الحديث أهل الكتاب بالأجر الأول ، لأن أهل الكتاب كانوا يعرفون محمدا ؛ لأنهم** ﴿ يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ ﴾[2]

---

(١) صحيح البخارى . المقدمة . باب بدء الوحى ج١ ص٨ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧ .

فمن آمن به واتبعه كان له فضل على غيره ، ومن كفر به وكذب برسالته كان وزره أشد من وزر غيره ... والسؤال افتراضى محض ، فليس على الأرض أهل كتاب غير اليهود والنصارى ، ومن تبعهم ، ومن والاهم ، ولذلك فقد صار مسمى "أهل الكتاب" مسمى لهم .

ولا يعتد بمن يدعى لنفسه كتابا كالبابية ، والبهائية لأنه ادعاء كاذب ظهر فى عصور متأخرة عن نزول القرآن الكريم ، ولم تعرف هذه المذاهب بما ادعت من كتب .

والثانى (العبد) **المسلم** (المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه) **فله أجران أجر لأدائه حق الله تعالى ، وأجر لأدائه حق أوليائه التى لا تخالف ولا تعارض حق الله تعالى ، فإن عارضت حق الله تعالى فعدم أدائها لا ينقصه شيئا من أجره الأول .**

والثالث (ورجل كانت عنده أمة فأدبها فأحسن تأديبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها) **فله أجران ، أجر لتربيتها ، وتعليمها ، وتأديبها ، وأجر لإعتاقها والزواج منها ، وله الأجر إن أعتقها ، وزوجها أحد أبنائه أو أقاربه .**

فإن قيل : **هل من قدر الله لهم أجرين منحصرون فى هؤلاء الرجال الثلاثة ؟**

أقول : **العدد لا مفهوم له ، وهناك نصوص كثيرة تدل على آخرين يضاعف الله لهم الأجر ، ويأخذونه مرتين** ... ومن هؤلاء :

(١) نساء النبى ﷺ . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴾[١] .

(٢) من يقرأ القرآن وهو عليه شاق فله أجران[٢] .

(٣) من تصدق على قريبه فله أجران أجر الصدقة وأجر الصلة[٣] .

(٤) المجتهد إذا أصاب فله أجران ، وان أخطأ فله أجر واحد[٤] .

ولذا يقول ابن حجر ﷺ : إن العدد لا مفهوم له .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الله أيد رسله بالمعجزات الدالة على صدقهم ، وقد خص الله كل رسول بمعجزة معينة مناسبة لحال قومه ، وتكون فى جانب تفوقوا فيه لإظهار عجز القوم فى أمر تفوقوا فيه ، ولذا كانت المعجزات سببا لإيمان الناس بدعوة الرسول .

وقد خص الله محمدا ﷺ بمعجزة القرآن الكريم الذى أنزله على رسوله منجما على ثلاث وعشرين سنة ، وحفظه مجموعا فى الصدور ، ومدونا فى الصحف ، وجعله مشتملا على وجوه عدة للإعجاز ...

وقد تميز القرآن الكريم بعدد من المزايا ... منها :

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣١ .

(٢) سنن الترمذى ـ كتاب ـ أبواب ـ فضائل القرآن ـ .. باب ـ ما جاء ـ في فضل قارئ القرآن ج٥ ص١٧١ .

(٣) رواه البخارى كما ذكر البيهقى فى السنن الكبرى ج٧ ص٤٥ .

(٤) سنن الترمذى ـ كتاب ـ أبواب ـ الأحكام ـ .. باب ـ ما جاء ـ في القاضى يصيب ويخطئ ج٣ ص٦٠٧ .

أولا : **ثبات نصوصه على الزمن كله فقد هيأ الله أسباب حفظه فى الصدور ، والتدوين ، والتسجيل الناطق ، وجعل الناس يتعبدون بحفظه فنقلوه تواترا بالملايين عن رسول الله إلى يومنا والى آخر الزمان .**

ثانيا : **بقاء القرآن الكريم عاملا بين الناس بحيويته وجدته ليصنع الحياة ويسعد الجميع بمنهج الله تعالى .**

ثالثا : **اشتمال القرآن الكريم على أوجه عدة للإعجاز تمتد معه على الزمن كله .**

رابعا : **اشتمال القرآن الكريم على كل حاجات الإنسان ، وعلى كل ما يصلح الحياة والأحياء ، وكل ما يؤدى إلى الفوز فى الآخرة .**

ولذلك بقى القرآن الكريم وسيبقى سببا لإيمان الناس ، ومنارة يهتدى بها العقلاء ، وقد جعل الله أجرين لمن آمن بالإسلام ، وكان مؤمنا قبله بنبى آخر من أهل الكتاب .

وقد جعل أجرين لعبد حافظ على حق الله وحق مولاه .

وجعل أجرين لرجل ربى جارية ، وأدبها ، وأعتقها ، وتزوجها .

وقد اختار النبى ﷺ ثلاثة من النماذج أحدها يتصل بالعقيدة ، والثانى يتصل بالأخلاق فى العمل ، والثالث يتصل بإحسان التربية والمعاملة لتبقى بين الناس داعية للحق ، وشاهدة على حسن الاستقامة فى دين الله تعالى

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الله خص محمدا ﷺ بنزول القرآن الكريم ، وختم برسالته الرسالات كلها ، والأمل كائن فى كثرة الأمة الإسلامية ،

وتبين أن الله خص أعمالا معينة بأجرين لمن قام بها ، وذكرت الأحاديث ثلاثة منها .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

عموم الرسالة المحمدية

أرسل الله كل نبى لقومه خاصة ، وأرسل محمدا ﷺ للناس كافة ، وجعل الله الإسلام خاتما لأديان الله كلها لما تميز به من الكمال والتمام ، ومناسبته للإنسان فى كل زمان ومكان . يقول الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] . **ويقول النبى :** (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين)[2] .

وهذه الخاصية الإسلامية تحتم إيمان الناس بالإسلام كما أمر الله تعالى وكما يرشد العقل السليم ... لأن من ينظر فى الإسلام ، ويقارنه يجد أنه يتصف بعدد من المزايا :

(١) إنه دين يرتبط بأمل يراود الناس جميعا ، وهو الأمن والسلامة .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٤٠ .

(٢) صحيح البخارى . كتاب المناقب . باب خاتم النبيين ج٤ ص١٨٦ .

(٢) إنه دين يحتوى الأديان كلها ، ويعترف بها ، ويكملها .

(٣) إن تعاليمه تصلح الفرد والجماعة ، وتشرع لكل حال وشأن ، وهى صالحة لكل زمان ومكان .

(٤) إن كل رسل الله بشروا بالإسلام ، ودعوا إلى اتباعه ، ولم يدع رسول قبل الإسلام أنه للناس كافة أو أنه خاتم الأديان .

(٥) شمول شريعة الإسلام لسائر الأحكام التى يحتاج الإنسان إليها فى الدنيا والآخرة .

ولهذا خص الله الإسلام بنزول القرآن الكريم ، وأوحى به ليبقى محفوظا فى كتاب يتلى عليهم على طول الزمن ، ميسر الذكر ، سهل الفهم ، موضح العقيدة والشريعة والأخلاق مع استمرار إعجازه لفظا ومعنى .

كما دعا الناس إلى الإسلام ، وجعل لمن آمن بمحمد ﷺ وبنبيه قبله أجرين .

إن القول بعموم رسالة أخرى غير الإسلام زيف لا دليل عليه ، ولن يثبت الزيف مهما حاول الضالون المزيفون إثباته .

الركيزة الثانية
حمل المسلمين أمانة الإسلام

أمة محمد ﷺ هى الأمة الخاتمة التى حملت مسئولية دين الله تعالى ، والمراد بها أمة الدعوة التى تشمل الناس أجمعين ، فقد كلفهم الله بالإسلام ، وحملهم أمانة الإيمان به ، واقامة شرعه ، والاستسلام لله بمنهجه سبحانه وتعالى .

وقد بارك الله فى أمة الإسلام فكثر عددها ، وانتشرت بين الناس فى كل بقاع الدنيا حتى أنه ليصعب إيجاد بقعة فى الأرض خالية من وجود مسلمين فيها ... وهذا من فضل الله تعالى أن نشر دينه بالحسنى ، وأوجد أمة استجابت لله تحمل الأمانة ، وتدعو إليها ، وتتحمل فى تبليغ الإسلام ، ونشره مشاقا ومتاعب يتحملونها وهم راضون .

إن الإسلام يتعرض لهجوم شرس من أعدائه الذين يحاولون أن يطفئوا نوره فى الأرض ، إلا أن الله غالب على أمره .

لقد وضع الله فى الإسلام عوامل بقائه ، وانتصاره ، وعرف بها ، وحفظها فى وحيه المحفوظ ، وجعلها أمانة يحملها من دخل فى الإسلام ، واستجاب لدعوة الله تعالى .

ورسول الله ﷺ ، فى حديث الباب ، يأمل فى أن تكون أمة الإسلام أكثر الأمم عددا ، وأعلاها فهما ، وأشدها قربا من الله تعالى ... وهو أمل يعتمد على حقيقة أصيلة تقوم على الأسس التالية :

(١) الإسلام دين صالح لكل زمان ومكان ، ولكل إنسان فلقد أنزله الله قرآنا وبينه وحيا ، وأمر بنشره وتبليغه دينا ، وجعل كل مسلم مسئولا عن غيره (فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته)[١] .

(٢) تعاليم الإسلام المنزلة هيأها الله تعالى لتحقيق شمول الإسلام بأن انقسمت إلى قسمين :

أولهما : **تعاليم ثابتة لا تتغير ، ولا تتأثر بزمان ، أو مكان ، أو تطور أو أحداث ، وهى موجودة مع سائر الرسل ، وتأكيدها فى الإسلام دليل**

---

(١) سبق تخريجه .

أصالتها ، وحتميتها ، ... هذه التعاليم الثابتة هى أركان العقيدة المتصلة بالألوهية ، والنبوة ، وعالم الغيب الثابت بالوحى المنزل .

فالله واحد لا شريك له ، وهو المستحق للعبادة وحده ، وهو المتصف بكل كمال يليق به ، أنزل ملائكته بما قضى وقدر ، وأنزل الكتب ، وأرسل الرسل ، وخلق الخلق ، وجعل الموت والحياة ، ليعيش الناس الدنيا سعيا وعملا ، يعبدون الله ، ويطيعونه قبل أن ينتقلوا إلى الآخرة جزاء وقرارا فى نار الجحيم أو فى أنوار النعيم . هذه الحقائق هى ثوابت الإسلام ، وهى ثوابت دين الله على ألسنة جميع الرسل ، وحين يتخذها الإسلام أساس دعوته فإنه يعنى محافظة الإسلام على أديان الله كلها حيث جاء بها قوية متجددة مترابطة .

وثانيهما : **وضع قواعد كلية للحوادث المتغيرة لإيجاد حكم شرعى لكل عمل دنيوى يجتهد العلماء لإظهاره استنباطا من القواعد الكلية .**

فإن قيل : **أين موقع الثوابت العملية مثل العبادات ، والقصاص ، والحدود ، وأحكام النكاح ، والطلاق ، والميراث ؟**

أقول: **موقع التكاليف العملية الثابتة هو أنها عبادات لله تعالى أمر بها على وجه التفصيل لتبقى مع العبادات المشروعة كالصلاة والصوم ، والزكاة ، والحج فرعا من فروع التعبد لله تعالى الذى لا يعبد سواه .**

(٣) **حفظ الله الإسلام للناس ، وأبقاه بينهم جديدا كما نزل ، وأبعد عنه كافة عوامل التحريف ، والتبديل ، والضياع التى لحقت بالأديان السابقة ومصادرها ... حيث لا وجود لكتب الرسل ، وما بقى منها دخله التحريف والتبديل ، ولا تقدم الكتب الباقية دينا كاملا ، ولا تصمد أمام النقد العلمى ، ولا تتضمن منهجا يصلح الحياة والأحياء .**

ومن أوضح عوامل الحفظ التى جعلها الله للإسلام نقله المتواتر من مصدره الأول ، فلقد نقله جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ ، ونقله عن رسول الله ﷺ جمع غفير من الثقات الأثبات ، وتواتر النقل عنهم بأسانيد عديدة تؤكد الصدق والثبوت عن رسول الله ﷺ .

وصار بقاء القرآن الكريم وبقاء السنة النبوية اليوم كعهدها يوم نزولها حديث العلماء والمصنفين .

(٤) حفظ الله الإسلام ، وقدر له الاستمرار بين الناس ، فبرغم كثرة عوامل الهدم ، بقى صامدا منتصرا . فقد تكسرت على صلابته سيوف المغول والتتار ، والصليبيين ... وبمشيئة الله ستنكسر سائر سيوف البغى والضلال ﴿ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ ﴾[1] .

الركيزة الثالثة

الإسلام حقوق وواجبات

يسر الله الإسلام للناس ، وطهره من العنت والحرج ، وحدد حدوده ومعالمه ، وأقام تكاليفه على مجموعة من الحقوق ، ومجموعة من الحقوق فهناك المسئولية وأساسها مراقبة الله ، وطاعته ، والاستعداد للسؤال فى القبر ، وفى يوم القيامة ، وذلك بأداء الحقوق ، وأساسها حق الله ، وحقوق الآباء ، وحقوق سائر الناس .

إن الإنسان المسلم إيجابى بطبعه ، لا يعيش لنفسه فقط ، وانما يعيش لدينه وللناس أجمعين .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية ٢٢٧ .

لقد حدد الإسلام الطريق ، وشرع رسومه وحدوده ، وبين عاقبته وجزاءه ، وضاعف الأجر لمن يضاعف الطاعة .

فمن آمن من أهل الكتاب برسوله ثم آمن بمحمد ﷺ فله أجران ، ومن أدى حق الله وحق المولى فله أجران ... ، ومن ربى أمته وعلمها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران .

وهكذا :

لا يضيع الله أجرا ، ولا يسقط ثوابا ، ورحمة الله واسعة ، وهو الغفور الرحيم .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تتضمن أحاديث الباب عددا من الفوائد ... منها :

(١) حفظ الله تعالى الإسلام بحفظ مصادره فهو اليوم كما كان بالأمس ، وسيبقى كما نزل بفضل الله تعالى .

(٢) زيادة الطاعة تؤدى إلى زيادة الأجر والمثوبة .

(٣) مسئولية الإنسان عن عمله الذى كلف به ثابتة، فالعبد مسئول عن خدمة سيده، والسيد مسئول عن تربية عبيده، ورعايتهم والإحسان إليهم .

(٤) المجتمع بصورة عامة مسئول عن أفراده ، يعلمهم ، ويربيهم ، ويحيطهم بعوامل السمو والرفعة ، ويبعد عنهم عوامل الهدم والفساد والأفراد مسئولون عن الجماعات ينصحون ، ويتعاونون ويتحدون .

ـ ٥٣ ـ

٦٩ ـ باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ

[٩٥] ، (١) ٢٢٢٢ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد[١] .

[٩٦] ، (٢) ٣٤٤٩ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم ؟[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان حكما للناس على شريعة محمد ﷺ ، وتبين ضرورة العمل بالإسلام ، والاستعداد لليوم الآخر .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (والذي نفسي بيده) **أى : أقسم بالله الذى يملك حياتى ومماتى يقدر فيها ما يشاء .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٣٤ كتاب البيوع : ١٠٢ باب قتل الخنزير .

(٢) أخرجه البخاري في : ٦٠ كتاب الأنبياء : ٤٩ باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام .

وقد بدأ رسول الله ﷺ حديثه بالقسم لبيان أهمية الخبر ، وتأكيد وقوعه ، وجواز الحلف بلا طلب لتأكيد الخبر قبل ذكره .

(ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم) **أى ليقربن ، واللام داخلة فى جواب القسم المؤكد بالنون للدلالة على قرب نزول عيسى عليه السلام إلى الناس ، وبيان أن ذلك سيقع سريعا وفى زمن قريب .**

وسمى الحديث عيسى عليه السلام بابن مريم عليهما السلام لبيان قدرة الله على فعل ما يريد ، بلا توقف على وجود الأسباب العادية ، فلقد خلق الله عيسى عليه السلام بلا أب ، والله يفعل ما يريد .

و (فيكم) **الضمير يعود إلى المخاطبين من الصحابة ، والمراد به فى أمتكم ، وهذا يدل على تأكيد نزول عيسى عليه السلام فى أمة محمد ﷺ وذلك فى آخر الزمان ، والخطاب فى قوله :** (فيكم) **لمن يدرك نزول عيسى عليه السلام من أمة محمد ﷺ .**

(حكما مقسطا) **أى : ينزل فيكم عيسى عليه السلام حاكما بشريعة الإسلام ، مقسطا فى حكمه ، مطبقا لأحكام الله تعالى ، ويمكث فى الأرض داعيا الناس إلى الإسلام بمنهج رسول الله ﷺ .**

(فيكسر الصليب) **أى يبطل دين النصرانية الباطل ، ويكسر الصليب حقيقة ، ويعطل تعظيمه كما يفعل النصارى بعد التحريف والتبديل .**

(ويقتل الخنزير) **أى : ويقتل الخنزير لنجاسته ، وحرمة أكله لأن الشىء المباح المنتفع به لا يصح قتله ، ولا يجوز الاعتداء على مال محترم .**

وشذ جماعة من الشافعية وحرموا قتل الخنزير إن لم تكن به ضراوة ، واحترام ملكية النصرانى له ، إلا أن الأولى القول بإباحة قتله .

(ويضع الجزية) **أى : إن الأمة تصير واحدة على ملة واحدة ، وبذلك تسقط الجزية ، ولا تقع حرب .**

وقيل : إن المعنى أن المال يكثر ، ولا يحتاج المسلمون إلى أخذ جزية .

(ويفيض المال) **أى : يكثر المال بسبب كثرة البركة ، وتوالى الخيرات بعد انتشار العدل ، وانتهاء الظلم ، وحينئذ تخرج الأرض كنورها ، وتقل الرغبة فى اقتناء المال لعلم الناس بقرب الساعة بعد نزول عيسى عليه السلام .**

(حتى لا يقبله أحد) **أى يكثر المال ، وتحدث وفرة كبيرة تؤدى إلى عدم الاهتمام بالمال ، وعدم عكوف الناس عن اقتنائه ، وزهدهم فيه ، وعدم الإقبال عليه .**

ونزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان أحد علامات الساعة الكبرى ، وبنزوله يتأكد المسلمون من قرب قيام الساعة فيقل اهتمامهم بالدنيا ، ويرغبون فى طاعة الله تعالى ، ويحرصون على عبادة الله وحده .

وفى الحديث الثانى **يقول النبى ﷺ** : (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم ؟) **السؤال للتعجب واظهار الحال ، وهو موجه إلى أفراد الأمة الإسلامية الذين سينزل عيسى عليه السلام فيهم ، ويفيد غيرهم حين العلم اليقينى بحدوث هذا الأمر .**

والمعنى أنكم حينئذ ستدركون قرب قيام الساعة ، وتتيقنون من وقوعها ، وتستعدون للقاء الله تعالى ، لأن نزول عيسى عليه السلام أحد علامات الساعة الكبرى .

(وامامكم منكم) **الجملة حالية ، وقد ذكر لها العلماء معان عدة ...** منها :

(١) يؤمكم عيسى عليه السلام بعد نزوله بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ جاء فى مسند الإمام أحمد قوله ﷺ : كيف بكم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمكم[١] ، وهذا يدل على أن عيسى عليه السلام سيصلى بالمسلمين إماما .

(٢) يؤمكم إمام منكم تصلون خلفه ، ومعكم عيسى عليه السلام .

جاء فى مسند الإمام أحمد رضي الله عنه : واذا هم بعيسى عليه السلام .

فيقال له : تقدم يا روح الله ...

فيقول عليه السلام : ليتقدم إمامكم فليصل بكم[٢] .

وفى سنن ابن ماجه أن المسلمين سيكونون ببيت المقدس ، وامامهم رجل صالح قد تقدم ليصلى بهم ، فينزل عيسى عليه السلام وينكص الإمام ليتقدم عيسى ، فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول : تقدم فإنها لك أقيمت[٣] .

ويفيد صلاة عيسى عليه السلام مأموما تكريم أمة الإسلام ، حتى لا يقع إشكال يفهم منه انتقال قيادة الأمة لغير المسلمين .

(٣) يحكم بينكم عيسى عليه السلام بالقرآن الكريم ، فشريعة الإسلام ممتدة إلى يوم القيامة ، وبذلك يكون المراد بالإمامة القيادة العامة والحكم السياسى .

---

(١) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن ج٣ ص١٢٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد رضي الله عنه . مسند جابر بن عبد الله ج٢٣ ص٢١٢ .

(٣) سنن ابن ماجه. كتاب الفتن . باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم ج٢ ص١٣٥٩ .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

ينسى الإنسان واقعه ، وتسيطر عليه الغفلة ، ويلهيه قرناء السوء عن الاستقامة ، ويطمعه الشيطان فى الشهوات ، ويزين له طول الأمل ، وينسيه الموت ، والفناء ويدفعه إلى الملذات والهوى .

ولذلك احتاج الإنسان إلى من يوقظه ، ويبصره بالعاقبة التى تنتهى إليها هذه الحياة .

وقد وضح القرآن الكريم فى كثير من الآيات نهاية الدنيا ، ووقوع يوم القيامة . فقال تعالى :

- ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾[١] .
- ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا ﴾[٢] .

ويقول النبى ﷺ :

- **(بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى)**[٣] .
- **(ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها)**[٤] .

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٦١ .

(٢) سورة غافر ، الآية ٥٩ .

(٣) صحيح البخارى كتاب الرقاق . باب قول النبى ﷺ: بعثت أنا والساعة كهاتين ج٨ ص١٠٥

(٤) صحيح البخارى . كتاب الرقاق . باب طلوع الشمس من مغربها ج٨ ص١٠٦ .

- (والله الذى نفسى ونفس كل حى بيده لقد قربت الساعة ، وأوشكت علامتها ، وأوشك أن ينزل فيكم المسيح ابن مريم يحكم بينكم بالعدل ، ويقضى بكتاب الله تعالى وسنتى ، ويبطل الديانات الباطلة ، ويدعو الناس إلى الإسلام)[١] .

وللساعة علامات كبرى منها نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام إلى الناس ، يحكم فيهم بشرع الله ، ويدعو إلى الإسلام ، وتكثر الخيرات ، ويفيض المال حتى لا يجد من يأخذه ، ويحتاج إليه .

والأمل معقود فى المسلمين ليحسنوا إسلامهم ، ويستقيموا على دعوة عيسى عليه السلام ، وهو يدعوهم إلى شريعة الإسلام الباقية على طول الزمن .

وينزل عيسى عليه السلام إلى الناس متصفا بما يلى :

(١) يدعو إلى الإسلام بالقرآن الكريم والسنة النبوية .

(٢) يكون على دين محمد ﷺ .

(٣) يحكم بين الناس بالعدل والقسطاس المستقيم .

(٤) يعلى إمامة الأمة ، ويصلى خلف أئمة صالحين .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب قرب نزول عيسى عليه السلام إلى الناس ليحكم فيهم بشريعة الإسلام ، ويبطل النصرانية ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، وتنتهى الحروب ، ويتجه الناس إلى عبادة الله تعالى انتظارا لوقوع يوم القيامة .

---

(١) انظر علامات الساعة في كتب السنة .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... منها :

الركيزة الأولى

الإسلام خاتم أديان الله تعالى

ختم الله الأديان بالإسلام ، وجعله دينه إلى الناس إلى يوم القيامة ، فلا نبى بعد محمد ﷺ ، وكل ما يظهر بعد الإسلام ، ورسالة محمد ﷺ من رسل وكتب كذب وانه لا حقيقة له .

فالقاديانية ، والبهائية ، والبابية زيف قائم على الباطل ، وادعاء النبوة فيها كلام مردود .

ونزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان حكما عدلا بشريعة الإسلام أمر ثابت ، والسعيد من سعد بالإسلام ، واستقام على صراطه القويم .

الركيزة الثانية

رحمة الله بعباده

الله رحيم بعباده ، رءوف بهم ... ومن رحمته أن أكمل دينه ، وأتم عليهم نعمته ، ورضى الإسلام دينا لهم يدينونه به ، ويلقونه عليه ، ويحاسبهم على ما جاء فيه .

ومن رحمته سبحانه وتعالى أن عرفهم بمسار الوجود ، وحدد معالم الطريق ، وأظهر حركة الزمن ، ووضع لكل نبإ مستقرا ، وحدد لكل أجل كتابا ... ولم يترك الناس لعقولهم ، وانما شرع لهم ما يحتاجون إليه .

ومن رحمة الله تعالى أن جعل للساعة علامات لقرب القيامة والحساب ليحذروا ، ويستعدوا . فكانت العلامات الصغرى ، وهى تظهر فى وقت بعيد عن الساعة ، وكانت العلامات الكبرى ، وتكون قرب قيام الساعة ، ومنها نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ليحكم الناس بشريعة الإسلام ، ويهدم الأباطيل الموروثة من تحريف الأديان السابقة .

إن حركة الزمن وعلامات الساعة ، علامات إرشادية على الطريق ، قدرها الله تعالى لتكون نذيرا للناس ، ودعوة جادة لدين الله تعالى .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) الإسلام خاتم الأديان كلها .

(٢) نزول المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام من علامات الساعة الكبرى وعند نزوله يؤمن الناس بأن الإسلام هو دين الله الحق الثابت

(٣) لا بقاء للباطل ، وسوف يزول بمجئ الحق ، وثبوته ، ووجود أنصار له .

(٤) المسلمون هم قدوة الناس ، ورواد الإسلام ماداموا مسلمين ﴿ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1] .

(٥) محمد ﷺ خاتم الأديان ، وامامهم ، وهو الشفيع لأمته فى الآخرة .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٣٩ .

ـ ٥٤ ـ

٧٠ ـ باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان

[٩٧] ، (١) ٤٦٣٥ حديث أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[١] .

[٩٨] ، (٢) ٧٤٢٤ حديث أبي ذر ﷺ ، قال : دخلت المسجد ورسول الله ﷺ جالس .

فلما غربت الشمس قال ﷺ : يا أبا ذر هل تدري أين تذهب هذه ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنها تذهب تستأذن في السجود ؛ فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير : ٦ سورة الأنعام : ٩ باب هلم شواهد .

(٢) أخرجه البخاري في :٩٧ كتاب التوحيد : ٢٢ باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ ، ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول علامات الساعة الكبرى ، وبخاصة خروج الشمس من مغربها ، وتبين أن خروج الشمس من مغربها إيذان بقيام الساعة وعند ذلك لا ينفع نفسا إيمانها إن لم تكن آمنت قبل ذلك .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول أبو هريرة ﷺ : (قال رسول الله ﷺ : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها) **أى لا تقوم الساعة حتى تظهر علاماتها الكبرى ؛ مثل نزول المسيح ، وظهور الدجال ، وخروج الدابة ، وظهور الدخان فى السماء وطلوع الشمس من مغربها .**

وطلوع الشمس من مغربها هى أقرب العلامات إلى وقت وقوع يوم القيامة فإذا طلعت الشمس من الغرب قامت القيامة .

وسميت القيامة بالساعة لبيان سرعتها المفاجئة ، واظهار قدرة الله على إيقاعها ، وأنها عنده سبحانه مثل ساعة من ساعات الزمن التى توجد ، وتتحرك على الزمن كله .

(فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون) **أى إذا طلعت الشمس من مغربها صدق الناس بكلام الله ، ودخلوا جميعا فى الإسلام ، وآمنوا بربهم كافة فى وقت لا ينفعهم إيمانهم ، لأن الله قد بين أنه عند طلوع الشمس من مغربها لا تقبل توبة ، ولا يصلح إيمان ، ويندم الذين لم يؤمنوا من قبل فى وقت لا ينفع فيه الندم . فقد آمنوا بعد أن شاهدوا مجئ يوم القيامة**

(وذلك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾) **أى لا ينفعهم إيمانهم هذا ، فقد أعلنوا إيمانهم ، ورجعوا عن ضلالهم ، وتوبتهم بعد غلق باب التوبة .**

وقد تضافرت أحاديث كثيرة على إثبات هذه الحقيقة ... منها قوله ﷺ :

- **(لا تزال التوبة مقبولة ما لم تطلع الشمس من مغربها)**[١] .
- **(إذا طلعت الشمس من مغربها يخر إبليس ساجدا ينادي : إلهي ، مرني أن أسجد لمن شئت)**[٢] .
- **(إن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة ، مسيرته سبعون سنة ، لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه)**[٣] .

وهذه الأحاديث تبين وتؤكد الآية التى قرأها رسول الله ﷺ ، وهي في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾[٤] **أى إنه عند طلوع الشمس من الغرب يغلق باب التوبة ، وترفع الأقلام ، وتجف الصحف ، وتبدأ القيامة ، والأمر يومئذ لله .**

وفى الحديث الثانى : **يحدث النبى ﷺ أصحابه ويسألهم عن خروج الشمس من المكان الذى تغرب فيه .**

فيجيبونه : بأن الله ورسوله هم الأعلم بذلك .

---

(١) مسند البزار ج١٧ ص١٩٩ .
(٢) المعجم الأوسط ج١ ص٣٦ .
(٣) مسند أحمد . حديث صفوان بن عسال المرادى ج٣٠ ص١٧ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٥٨ .

فيقول لهم رسول الله ﷺ : فإنها تذهب تستأذن فى السجود فيؤذن لها ، وكأنه قد قيل لها : ارجعى من حيث جئت . أى أنها تخرج من المغرب متجهة إلى المشرق ، عكس ما كانت عليه .

وهكذا يربط رسول الله ﷺ مشاهدة الصحابة حركة الشمس بقدرة الله تعالى ، ويبين لهم أن الشمس تجرى فى فلكها بأمر الله تعالى ، وأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لها .

وحتى لا يتصور عقل أن الشمس تسير بحكم العادة والتلقائية ، وضح لهم رسول الله ﷺ أنها تتحرك بقدرة الله تعالى ، وبما يريده لها ، وبين لهم أنها مستقرة تحت العرش ؛ فهو سبحانه يحيط بها ، ويعلم مستقرها ومستودعها ، كما يعلم الكون كله .

ويوضح النبى ﷺ لأصحابه أن الشمس تظل على حالة واحدة فى فلكها فهى مستمرة فى الطلوع من المشرق إلى أن يأمرها الله بالطلوع من المغرب قبيل قيام الساعة ... وبذلك تنتهى الدنيا وتبدأ الآخرة .

فربط الشمس بقدرة الله ، واستقرارها تحت العرش أمر ثابت يجب الإيمان به ... وكل مخلوقات الله الكونية والحياتية والإنسانية لا تخرج عن قدرته ، وهى خاضعة ساجدة طوعا أو كرها .

وفى خروج الشمس من مغربها خروج من حيث ذهبت ، لأن الله يأمرها حينذاك بأن تخرج من حيث دخلت ، ويقول لها : (ارجعي من حيث جئت) ، **فتبقى حيث هى وتطيع حيث أمرت** (فتطلع من مغربها) .

فإن قيل : **كيف يلتقى العلم الحديث المتصل بحركة الكواكب مع دلالات الحديث ؟**

أقول: **يلتقى العلم الحديث مع دلالات الحديث ؛ لأن الشروق والغروب يحدثان بدوران الأرض حول نفسها أمام الشمس الثابتة فى مستقرها فى كل يوم ، ولذلك عندما تغرب الشمس عن نصف الكرة الأرضية تشرق على النصف الآخر بانتظام وتتابع ، ففى كل لحظة نهار هنا وليل هناك بصورة دائمة لا تتوقف إلا إذا أمرها الله خالقها ومالكها أن تتوقف .**

ومعنى أن الشمس تذهب وتستأذن فى السجود : أنها تسير بقدرة الله تعالى التى تحيطها فى كل لحظة ، وليس لها فى حركتها اختيار ، فهى ساجدة مطيعة لله تعالى .

وقد قدر الله للشمس فلكا ، وحركة ، ودورانا حول نفسها فى كل عام مرة لإحداث الفصول الأربعة ، كما قدر للأرض دورانا حول نفسها يحدث الليل والنهار .

ومن كمال قدرة الله تعالى أن جعل لكل مخلوق مستقرا لا يتخطاه ، ومن ذلك تحديده لمسار الشمس الكونى الذى يدل بحركته على قدرة الله التى تحكمه وتسيره .

وأراد ﷺ أن يعرف الصحابة فى مجلسه قدرة الله فى كونه ؛ فسألهم وهم ينظرون إلى الشمس عن حركتها ، وخالقها ليتأملوا ، وينظروا ، ويهتدوا وليربطوا حركة الشمس بقدرة الله ، ويعلموا أن الذى أجراها قادر على إيقافها وتغيير مسارها ، ويتيقنوا أن الوجود كله لله تعالى يميته متى يشاء ، ويحييه عندما يريد . يقول الله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾[1] .

---

(١) سورة القصص ، الآية ٨٨ .

ويقول سبحانه : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[١] .

ويقول سبحانه : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[٢] .

وان كانت الأرض تدور من الغرب إلى الشرق ، فإن من سيرها على هذا النحو قادر على إدارتها من الشرق إلى الغرب ، وحينئذ تخرج الشمس من الغرب حين انعكاس دورة الأرض .

(ذلك مستقر لها) **أى أن خروج الشمس من الغرب هو مكان ووقت استقرارها الذى أراده الله لها ، فهو سبحانه وتعالى قادر على تحريك الساكن ، وتسكين المتحرك ، فهو سبحانه العليم بكونه ، القوى فى تقديره ، الغالب فى كل ما يريد ، وحركة الكون والوجود دليل قدرة الله ، فله الأمر والخلق** ﴿ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾[٣] .

(ذلك) **أى وطلوع الشمس من مغربها يكون يوم** ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ **أى لا يقبل إيمان ، ولا تصح توبة من أحد بعد طلوع الشمس من مغربها ، ولا تنفع طاعة ما لم تكن استمرارا للإيمان السابق عن طلوع الشمس من المغرب .**

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٤ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية ٤٨ .

(٣) سورة الأنعام ، الآية ٩٦ .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

ينصح النبى ﷺ أصحابه ، ويبين لهم أن الكون كله ، والشمس ، والقمر وكل شىء يسير بقدرة الله على نحو مقدر موزون .

وهذا البيان ضرورى من عدة أوجه :

فهو . أولا . **يذكرهم بأن ما يرون ويشاهدون هو بقدرة الله تعالى ، وأن مسار الشمس على نحو ثابت مستقر مدعاة للتأمل والتفكير والإيمان بالمقدر لها ، المحدد لمسارها ، الصانع لنظامها ، وحركتها فى إطار نظام يشمل الشمس ، والقمر ، والليل والنهار ، لا يتغير ، ولا يضطرب ، ولا يتخلف إلا عند قيام الساعة . يقول الله تعالى :** ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِى لِمُسۡتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1] .

وهو . ثانيا . **يبين أن القادر المحرك للكون على نحو ثابت قادر على تغييره ، فمن يعطى قادر على أن يمنع ، ومن أحيا قادر على الإماتة ، ومن خلق الدنيا قادر على إيجاد الآخرة .**

وهو . ثالثا . **يحذر من الغفلة التى تصيب الإنسان ، وتنسيه أن الوجود كله يتحرك بقدرة الله المحيطة بكل شىء ، وأن التأمل فى الثبات**

---

(١) سورة يس ، الآيات ٣٧ . ٤٠ .

واستمرارية الحركة ، يدعوان إلى الإيمان بالله الخالق الذى خلق كل شىء ، وهداه لعمله وحركته .

وهو . رابعا . **يؤكد حقيقة أن الشمس والقمر والكون كله يسجد لله ، ويخضع له ، وتجد الشمس نفسها تحت عرش الله سبحانه وتعالى .**

وهو . خامسا . **يؤكد أن لكل مخلوق أجلا ينتهى عنده ، وللدنيا نهاية تزول عندها ، والعاقل من يعلم ذلك ، ويؤمن به ، ويستعد للقاء الله تعالى قبل أن يغلق باب التوبة ، وقبل أن يبدأ الكون المخلوق فى الهلاك والفناء**

وهو . سادسا . **يبين عدم مصادمة مكتسبات العلم لخبر الوحى ، وأن كل ما يتصل بحركة الشمس فى الحديث قد توصل إليه العلم ، وأثبته .**

وهو . سابعا . **يدل على أن كل شيء موزون ، وأن تغيير مسار الوجود أمر ممكن ، فالزلازل تغيير لحركة الأرض ، والعواصف تغيير لحركة الهواء ، والأعاصير تغيير لحركة المياه ، والمرض تغيير لحالة الصحة ، والموت إنهاء للحياة ، وعند مجئ يوم القيامة يهلك كل شىء**﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلۡبَٰبِ ﴾[1] .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن طلوع الشمس من مغربها إحدى علامات الساعة الكبرى ، وأنها الأقرب لوقوع القيامة ، وأنه لا توبة بعدها ، ولن ينتفع الإنسان بإيمان يحدث بعد ذلك ما لم يكن متصلا بإيمانه السابق ،

---

(١) سورة ص ، الآية ٢٩ .

وتوضح الأحاديث حرص رسول الله ﷺ على هداية الناس ، ونصحه المتواصل لهم .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... منها :

الركيزة الأولى

مجئ الساعة حق لا ريب فيه

دعا الإسلام إلى الإيمان باليوم الآخر بما فيه من مشاهد تبدأ بالبعث وتنتهى بدخول الجنة والنار .

ولئن عاش الناس فى الدنيا مؤمنين وكافرين ، فإنه عند نزول المسيح عيسى عليه السلام إلى الناس قرب نزول يوم القيامة يؤمن الناس أجمعون ، وعند طلوع الشمس من مغربها يقفل باب التوبة ، ولا تقبل طاعة ولا إيمان ، ولا ينفع نفسا إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل .

وكل ما جاء فى خبر اليوم الآخر من الغيبيات التى يجب التصديق بها ، فهى ركن من دين الله لا يصلح معها إلا الإيمان .

الركيزة الثانية

حركة الشمس بأمر الله تعالى

نظم الله الكون والحياة ، وخلق كل شىء وقدره تقديرا ، وجعل لكل مخلوق وظيفة ودورا فى هذه الحياة ، وحين ننظر فى دور كل مخلوق نرى قدرة الله ، وتحكمه فى الخلق والإيجاد ، وتوجيه الخلق لما وجد له .

- **فهيأ الأنعام لإخراج اللبن من بين فرث ودم .**
- **وألهم النحل لإخراج العسل فى إطار منظومة متكاملة .**
- **وأخرج من الأرض حبا ، وعنبا ، وقضبا ، وزيتونا ، ونخلا ، وحدائق غلبا .**
- **وملأ الكون بالهوام ، والحشرات ، والطير ، والجراد ، لتقوم بدورها فى صنع الحياة .**
- **وأوجد فى الماء السمك بألوانه ، وأشكاله .**
- **وألهم الإنسان الاستفادة بالسهل والجبل ، واليابسة والماء ، والصحراء والهواء ، والحركة والسكون .**

إن كل ذلك وغيره بتقدير الله الحكيم وقضائه العزيز . يقول الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ﴾[1] .

ألا يشهد ذلك على عظمة الله تعالى وضرورة عبادته وحده ؟

إن حركة الشمس فى الدنيا بأمر الله تعالى ، وعند طلوعها من المغرب أيضا بأمر الله تعالى ، وقد جعل الله طلوعها من المغرب علامة من علامات قيام الساعة ، وهو على كل شيء قدير .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) من علامات الساعة الكبرى طلوع الشمس من مغربها .

(٢) الكون كله مسخر بأمر الله تعالى .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٩ .

(٣) كل المخلوقات موجودة بأمر الله تعالى ، وزوالها يكون بأمر الله أيضا ، فلله الأمر من قبل ومن بعد .

(٤) الدنيا إلى زوال ونهايتها حتمية لتبدأ مشاهد القيامة بعدها .

(٥) العاقل من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت واستسلم لخالق الوجود كله وتخلص من الغرور والكبر .

(٦) ضرورة الاستفادة من الأحداث الواقعية عند الوعظ والإرشاد .

(٧) من حسن القول التلطف فى السؤال ، والحسن فى الإجابة .

(٨) التأمل الصادق فى الموجودات يؤدى إلى الإيمان .

ـ ٥٥ ـ

٧١ ـ باب بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ

[٩٩] ، (١) حديث عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه (وهو التعبد) ، الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ؛ فجاءه الملك فقال : اقرأ .

٣

قال : ما أنا بقارىء .

قال ﷺ : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : اقرأ .

قلت : ما أنا بقاريء .

فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقاريء .

فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني ؛ فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾ .

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده ، فدخل على

خديجة بنت خويلد فقال : زملوني زملوني .

فزملوه حتى ذهب عنه الروع .

فقال لخديجة رضى الله عنها ، وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي .

فقالت خديجة : كلا والله ، ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرءا تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي .

فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ ...

فأخبره رسول الله ﷺ بخبر ما رأى .

فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ﷺ ، يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك .

فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم ؟

قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا

عودي ، وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا[١] .

[١٠٠] ، (٢) ٤ حديث جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ ، وهو يحدث عن فترة الوحي قال : قال رسول الله ﷺ في حديثه : بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ، فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملوني ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾ فحمي الوحي وتتابع[٢] .

[١٠١] ، (٣) ٤٩٢٢ حديث جابر بن عبد الله الأنصاري ﷺ : عن يحيى بن كثير ، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن ؟

قال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ .

قلت : يقولون ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ .

فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله عن ذلك ، وقلت له : مثل الذي قلت .

---

(١) أخرجه البخاري في : ١ كتاب بدء الوحى : ٣ باب حدثنا يحيى بن بكير . وللحديث روايات أخرى عند البخارى في الأرقام التالية : (٢٣٩٢ ، ٤٩٥٣ ، ٤٩٥٥ ، ٤٩٥٦ ، ٤٩٥٧ ، ٦٩٨٢) .

(٢) أخرجه البخاري في : ١ كتاب بدء الوحى : ٣ باب حدثنا يحيى ابن بكير .

فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ .

قال : جاورت بحراء ، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ، ونظرت أمامي فلم أر شيئا ، ونظرت خلفي فلم أر شيئا ؛ فرفعت رأسي فرأيت شيئا ، فأتيت خديجة فقلت : دثروني ، وصبوا علي ماء باردا .

قال ﷺ : فدثروني وصبوا علي ماء باردا .

قال ﷺ : فنزلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾[1] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أمورا ثلاثة ... هى :

(١) توضيح كيفية بدء الوحى ، ومجيئه لرسول الله ﷺ وهو فى غار حراء وايراد بعض صور مجيئه لرسول الله ﷺ .

(٢) رؤية رسول الله ﷺ للملك الذى جاءه بحراء بعد فترة الوحى ، ورجوعه إلى خديجة رضى الله عنها خائفا .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير : ٧٤ سورة المدثر : باب حدثنا يحيى .

(٣) بيان الآيات التى نزلت فى أول الوحى لرسول الله ﷺ .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

توضح أحاديث الباب عددا من المقاطع الهامة ، وسوف أوردها تبعا لورودها فى أحاديث الباب مع بيان الدلالات اللغوية للأحاديث ، وهذه المقاطع هى :

المقطع الأول

تهيئة محمد ﷺ للرسالة

لما أغنى الله رسوله محمدا ﷺ قبل الرسالة بمال خديجة رضى الله عنها وجهه إلى الخلاء ، وحببه إليه ليصفو قلبه ، وتسلم جوارحه ، ويهجر ما كان عليه قومه من الشرك ، وعبادة الأصنام ، وهيأه للقيام بالرسالة ، وتحمل أعبائها ، والصبر على ما يصاحبها من ابتلاء ومشاق .

تقول عائشة رضى الله عنها : (أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة) **أى أول ما بدأ الوحى مع رسول الله ﷺ كان بالرؤيا المنامية التى يراها ﷺ ، وكانت تقع ، وتتحقق كضوء الصبح عند ظهوره حين تطلع الشمس ، ويبدأ النهار .**

وقد بدأ الوحى لرسول الله ﷺ عند بلوغه الأربعين .

فعرف الله سبحانه وتعالى رسوله أمورا غيبية قبل حدوثها ، وذلك أثناء نومه ، فكان لا يرى رؤيا إلا وتحققت كما رأها ، وكأنها كانت مختفية فى الظلام فلما طلعت الشمس ، وانفلق الصبح ظهرت وبانت ، فأدرك النبى

ﷺ من رؤياه أن الغيب له وجود ثابت لا يعلمه إلا خالقه ، وأن خالق الوجود يكشفه لمن يشاء من عباده .

جاء فى فتح البارى **أنه ثبت فى مراسيل عبيد بن عمير أنه ﷺ أوحى إليه أولا فى المنام ، حتى أتاه الملك بعد ذلك فى اليقظة ، على الصورة التى أتاه بها فى المنام**[١] .

وقد تعددت الرؤى المنامية لرسول الله ﷺ ، وكان يندهش لذلك ...

ومن هذه الرؤى :

- **رأى أن آت أتاه ، ومعه صاحبان له ، فنظروا إليه فقالوا : هو ، هو ، ثم ذهبوا ... فهاله ذلك ، وتساءل عما رأى ، وعن حديثهم أمامه ، فقال له عمه أبو طالب : يا ابن أخى ليس بشئ**[٢] .
- **وأتاه هذا الآتى مرة أخرى ، فجاء لعمه ، وقال له : يا عم سطا بى الرجل الذى ذكرت لك ، فأدخل يده فى جوفى حتى أنى أجد بردها .**

فخرج به عمه إلى رجل من أهل الكتاب ، يتطبب بمكة ، فحدثه .

فصوب الرجل به ، وصعد ، وكشف عن قدميه ، ونظر بين كتفه ، وقال : يا ابن عبد مناف ابنك هذا طيب طيب ، للخير فيه علامات ، إن ظفرت به يهود قتلته ، وليس الرائى شيطانا ، ولكنه من النواميس الذين يتحسسون بها القلوب للنبوة ، فرجع به[٣] .

- **رأى فى منامه أن سقف بيته نزعت منه خشبة ، وأدخل فيه سلم من فضة ثم نزل إليه رجلان ، فأراد أن يستغيث فمنع من الكلام ، فقعد**

---

(١) فتح البارى . كتاب الوحى ج١ ص٢٢ .

(٢ ، ٣) انظر : سبل الهدى والرشاد ج٢ ص٣١٠ . ٣١٢ .

أحدهما إليه والآخر إلى جنبه ، وأدخل أحدهما يده فى جنبه فنزع ضلعين على كفه ، وقال لصاحبه : نعم القلب قلب رجل صالح ، فطهر قلبه ، وغسله ، ثم أدخل القلب مكانه ، ورد الضلعين ، ثم ارتفعا ، ورفعا سلمهما ، فإذا السقف كما هو ، فذكر ذلك لخديجة بنت خويلد فقالت له : أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا ، هذا خير فأبشر[١] .

- **ورأى فى منامه جبريل ، ومعه نمط من ديباج فيه كتاب فقال له : اقرأ**

فقال له : ما أقرأ .

فغطه به حتى ظن رسول الله ﷺ أنه الموت .

ثم أرسله فقال : اقرأ .

قال ﷺ : ما أقرأ .

فغته به حتى ظن رسول الله ﷺ أنه الموت .

ثم أرسله فقال له : اقرأ .

قال ﷺ : ماذا أقرأ ؟ ... ما قال ذلك إلا افتداء منه أن يعود إليه بمثل ما صنع .

قال : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾[٢] .

فقرأها رسول الله ﷺ ثم انتهى ، فانصرف جبريل ، وهب رسول الله ﷺ من نومه ، وقال ﷺ : فكأنما كتب فى قلبى كتاباً .

فذكر ذلك لخديجة فقالت : أبشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيرا[٣] .

(١ ، ٢ ، ٣) سورة العلق ، من الآية ١ . ٥ ، ويلاحظ أن هذه الرؤية المنامية هى بنصها التى بدأ الوحى بها يقظة (سبل الهدى والرشاد ج٢ ص٣١٢) .

ولما أخذ ﷺ يبحث عن خالق الوجود لم يتركه الله لحيرته ، وانما هداه من هذه الحيرة والضلال الذى أصابه ... وذلك بأن حبب إليه الخلاء والتفرغ للبحث والتأمل بعيدا عن الناس ، فكان ﷺ يأخذ زاده ، ويذهب إلى غار حراء يتحنث فيه ، ويبتعد عن الأصنام ، ويبحث عن أسرار الوجود وخالقه .

(وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد ، الليالي ذوات العدد) **أى كان يبقى فى الغار الليالى ذوات العدد متأملا مفكرا فى هذه الأيام الطويلة ... فإذا نزع لأهله وتشوق لهم جاءهم ليزورهم ، وليتزود بزاد يكفيه مدة أخرى فى الغار .**

وعد الحديث مدة الزمن بالليالى لما فى الليل من صفاء ، وهدوء ، وتجليات .

واستمر رسول الله ﷺ يخلو بغار حراء ، ويرجع لأهله ليتزود ، ويعود إلى الخلاء حتى رق قلبه ، وصفا ذهنه ، وحسن تفكيره ، وأصبح متمكنا من إرادته ، وصار مستعدا للتعامل مع الوحى الجلى ، والاتصال بالملائكة ، حينئذ جاءه جبريل عليه السلام ، وهو فى غار حراء .

و (من) فى قوله ﷺ : (من الوحي) **بيانية أو تبعيضية ، وقد بدأ الوحى بـ** (الرؤيا) **على وزن (رجعى) بغير هاء ، وهى تعنى رؤيا النوم ، وأكد الحديث هذا المعنى بقوله ﷺ :** (في النوم) **، ولو كانت المشاهدة بالعين لسميت رؤية بالتاء المربوطة .**

وتميزت هذه الرؤيا بالصدق والصلاح والوضوح ، وكانت تتحقق كما رآها ﷺ كما يظهر الضوء عند طلوع الصبح ... وبدأ الوحى بذلك تمهيدا ، وتوطئة لليقظة .

وقد بنيت (حبب) **للمجهول لبيان عدم وجود الباعث عند رسول الله ﷺ على ذلك ، أو لبيان أن ذلك لم يكن توجيها من أحد .**

ويرى بعض العلماء أن تحبيب رسول الله ﷺ فى الخلاء كان إلهاما من الله ، والخلاء الذى أحبه رسول الله ﷺ هو الخلوة التى تبعده عن الناس ، وقد اختاره ﷺ فى غار حراء ، لأنه يمكنه من رؤية الكعبة وهو جالس فيه أعلى الجبل ، وكان ﷺ يتعبد فيه (الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله) **وكان عدد الليالى يختلف من مرحلة لمرحلة ، ولذلك ذكرها الحديث مبهمة ، وأصل الخلوة أن تكون شهرا ، وكان الرسول يتخذها فى شهر رمضان يرجع بعدها إلى زوجته خديجة رضى الله عنها ، والى أولاده منها ، ويطمئن على أهله ، ويتزود مرة أخرى لمثل الليالى السابقة** (ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها) **أى أنه ﷺ كان يكرر الذهاب والعودة إلى أن جاءه الحق .**

وهكذا كانت حياة رسول الله ﷺ قبل مبعثه كما قدرها له الله تعالى ، فكرهه فى الأصنام ، وأبعده عن مآثم الجاهلية ، وحببه فى الخلاء والتفكر ، والبحث عن الحق فى شأن الناس ، ومصير الحياة والأحياء ، وكما تولاه الله فى نشأته تولاه فى شبابه ، وقبل مبعثه . يقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾[1]

---

(١) سورة الضحى ، الآيات ٦ . ٨ .

المقطع الثانى

بدء مجئ الوحى لرسول الله ﷺ

استمر رسول الله ﷺ يتحنث فى غار حراء (حتى جاءه الحق وهو في غار حراء) **أى أتاه اليقين ، وهو الوحى الشامل لدين الله تعالى ، والمراد بمجئ الحق نزول الوحى يقظة بعد أن كان مناما ، وسماه الله (حقا) لأنه وحى من الله تعالى يقظة بعدما كان مناما .**

عن عائشة قالت : إن النبي ﷺ كان أول شأنه يرى في المنام ، وكان أول رؤية لرسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على حقيقته فى "أجياد" ، وفيه صرخ جبريل : يا محمد ، فنظر محمد يمينا وشمالا فلم ير شيئا ، فرفع بصره فإذا جبريل على أفق السماء فقال : يا محمد ، جبريل ، جبريل .

فهرب فدخل في الناس فلم ير شيئا ، ثم خرج عنهم فناداه فهرب ، ثم استعلن له جبريل من قبل حراء .

ورأى النبى ﷺ جبريل على صورته التى خلق عليها ، وأقرأه ، وقال له : اقرأ .

فأجابه النبى ﷺ : ما أنا بقارئ[1] .

وفى الحديث الأول تبين عائشة رضى الله عنها مجئ جبريل لرسول الله ﷺ يقظة ، وهو فى غار حراء ، وفيه أن جبريل كرر الأمر بالقراءة ثلاثا ، وأجابه النبى ﷺ بالنفى ثلاث مرات .

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج١ ص٥٤ .

وفى المرة الرابعة قال جبريل عليه السلام لرسول الله : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾ **أى لا تقرأه بقوتك ، ولا بعلمك ، ولا بمعرفتك ... ولكن اقرأه بحول ربك واعانته لك ، فهو يعلمك كما خلقك ، وكما نزع عنك علق الدم ، وغمز الشيطان فى الصغر ، وكما علم أمتك حتى صارت تكتب بالقلم .**

وكان جبريل عليه السلام فى كل نفى لرسول الله ﷺ يأخذه بشدة ، ويغطه بقوة يقول ﷺ : (فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني) **أى أخذنى إليه بشدة ، وضغط على حلقى ، وبدنى حتى أتعبنى وكدت أن أموت ، وبعد ذلك يتركنى ويأمرنى بالقراءة ، ثلاث مرات ، وفى المرة الرابعة أقرأه أول سورة العلق .**

(فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده) **أى رجع رسول الله ﷺ بغصته التى رآها من جبريل إلى زوجته خديجة رضى الله عنها ، وهو مضطرب فزع مما حدث له .**

المقطع الثالث

حسن تبعل خديجة رضى الله عنها لزوجها رسول الله ﷺ

رجع رسول الله ﷺ بعد لقاء جبريل عليه السلام إلى خديجة رضى الله عنها خائفا مذعورا ، وهو يقول لها : (زملوني زملوني) **أى غطونى بغطاء حتى يذهب عنى الفزع .**

(فزملوه حتى ذهب عنه الروع) **أى غطوه حتى ذهب عنه الفزع الذى ألم به .**

(فقال) ﷺ (لخديجة) **ما سمعه وقص عليها ما رآه** (وأخبرها الخبر) **ثم قال لها :** (لقد خشيت على نفسي) **أى خفت على نفسى من الضر ، والسآمة من شدة الأخذ ، وقوة الغط بصورة لم أعهدها من قبل .**

(فقالت خديجة) **رضى الله عنها لزوجها رسول الله ﷺ** (كلا والله ، ما يخزيك الله أبدا) **أى لن يقدر الله عليك خزيا قط ، وبينت سبب قولها بما كان عليه ﷺ من عمل وخلق ، قالت له :** (إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق) **فاستدلت خديجة رضى الله عنها على ما أقسمت عليه من نفي خزى الله لرسوله ﷺ بأمر استقرائى ، وصفته وربطته بأعماله ، وخلقه ، وصلته بغيره وسعة إحسانه للناس ... ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب ، واما إلى الأجانب واما بالبدن ، واما بالمال ، واما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل ، وذلك كله مجموع فيما وصفته به فيما يلى :**

(١) (إنك لتصل الرحم) **أى إنك يا محمد تصل رحمك ، وتعين أهلك وأقاربك .**

(٢) (وتحمل الكل) و (الكل) **هو من لا يستقل بأمره نفسه ؛ كما قال تعالى** ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ ﴾[1] **وكان ﷺ يعين من يحتاج لعون ، ويساعد من يحتاج لمساعدة .**

(٣) (وتكسب المعدوم) **والمعدوم هو الفقير الذى لا يكسب شيئا ، وتكسب المعدوم ، معناه : إفادته ، ومرادها رضى الله عنها من قولها : إنك يا**

---

(١) سورة النحل ، الآية ٧٦ .

محمد إذا رغب غيرك أن يستفيد مالا موجودا أعطيته ، واذا رغبت أنت أن يستفيد رجل عاجز بالمال تعينه على ذلك ، وكأنك أكسبته المال الذى يستحقه بعمله .

وقيل المعنى : **إنك تكسب المال المعدوم ، وتصيب منه ما لا يصيبه غيرك ، وكانت العرب تتمادح بكسب المال لا سيما قريش ، وكان ﷺ قبل النبوة محظوظا فى البيع والشراء ... وهذا المعنى حسن وبخاصة إذا انضم إليه أنه ﷺ كان يكسب المال ، ويجود به على الفقير ، وأوجه الخير .**

(٤) (تقري الضيف) **أى تكرم الضيف وتطعمه .**

(٥) (تعين على نوائب الحق) **أى تساعد ، وتعين من يلحق به ضر وأذى وبذلك فأنت تتصف بكافة صفات الخير .**

وبعد ذلك أخذته إلى ابن عمها (فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل) **أى أخذته ﷺ مسرعة إلى ورقة بن نوفل ، وهو** (ابن عم خديجة) **وكان على دين قريش ثم هجر عبادة الأصنام ، ودخل فى النصرانية قبل البعثة** (وكان يكتب الكتاب العبراني) **أى أنه كان يعرف اللغة العبرية لغة بنى إسرائيل (قراءة وكتابة) مع معرفته اللغة العربية ... وكان ورقة أحد الحنفاء الذين رفضوا عبادة الأصنام وكرهوا ما كان عليه العرب من ضلال وأخذوا فى البحث عن الحق ، وتفرقوا فتنصر ورقة ، ودخل فى النصرانية ، وكان ذلك قبل مبعث النبى ﷺ ، وقد كبر سنه ، وتقدم عمره ، وأصابه العمى فى كبره .**

وكان ورقة يكتب باللسان العربى ، واللسان العبرانى معا ، وقد جاءت روايات عديدة تفيد هذا وذاك ، فقرأ كتب بنى إسرائيل ، وعلم ما لديهم من دين ، وكان أهل مكة يقصدونه لكشف ما يصادفهم من غرائب وأعاجيب ولهذا أتت خديجة رضى الله عنها بزوجها رسول الله ﷺ إليه ، وقالت لورقة : (يا ابن عم اسمع من ابن أخيك) **ونادته بقرابته منها ، فهو ابن عمها حقيقة ، وبينت فى قولها لورقة أن محمدا هو ابن أخيك ، لأن والده عبد الله يلتقى نسبه مع ورقة عند قصى بن كلاب ، فهو ابن أخيه من هذه الحيثية ، كما أن قولها يتضمن توقير ورقة وتكريمه .**

(فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى) **أى طلب ورقة من رسول الله ﷺ أن يخبره عن ما رأى ، فقص له ﷺ ما حدث له ، وذكر خبر ما رأى .**

(فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ﷺ) **أى قال ورقة لرسول الله ﷺ : هذا الذى أتاك هو الملك الذى يحمل الوحى ، وهو الذى نزل على موسى عليه السلام فأبشر فأنت رسول الله للناس .**

والناموس هو جبريل عليه السلام .

وقال ورقة : نزل الله على موسى عليه السلام ولم يذكر عيسى عليه السلام لأمور ذكر العلماء منها :

(١) إن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف كتاب عيسى عليه السلام .

(٢) إن موسى عليه السلام بعث بالنقمة على فرعون ومن معه ، بخلاف عيسى ، وكذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة وهو أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر .

(٣) ذكر ورقة الرسالات المتفق عليها ، لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب بخلاف عيسى فإن كثيرا من اليهود ينكرون نبوته .

وقد جاء فى بعض روايات الحديث أن خديجة رضى الله عنها أتت أولا وحدها إلى ورقة لتطمئن على زوجها ، فقال لها بعدما أخبرته الخبر : لئن كنت صدقتينى الخبر ، إنه ليأتيه ناموس عيسى عليه السلام الذى لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم ، ورجعت خديجة رضى الله عنها إلى محمد ﷺ وأتت به إلى ورقة ليسمع منه ، وهى مطمئنة لما يقول .

ومع بدايات الوحى نرى ترابط بيت النبوة ، وحسن تبعل خديجة رضى الله عنها ، فلقد كانت رضى الله عنها تعد الزاد لرسول الله ﷺ ، وتعلم أخباره ، وتتابع حركته ، فلما جاءها منزعجا من مجئ الوحى طمأنته ، وذكرته بما يعمل ليهدأ ويطمئن ، وذهبت وحدها تسأل ورقة ، فلما طمأنها أتت رسول الله ﷺ ليسمع بنفسه من ورقة كما سمعت ليطمئن ويهدأ ، ويعلم أن الله اختاره للرسالة ... وتجلى من سلوك خديجة رضى الله عنها حسن تبعل المرأة لزوجها .

المقطع الرابع

مشـاق الرسـالة

ذكر ورقة لرسول الله ﷺ أن ما جاءه فى الغار هو جبريل ملك الوحى الذى جاء لموسى وعيسى عليهما السلام ، ولرسل الله جميعا عليهم السلام ، ثم قال له : (يا ليتني فيها جذعا) **أى يا ليتنى أكون شابا قويا وقت مجئ جبريل عليه السلام بالوحى إليك .**

وقال ورقة : (ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك) **أى وأمنيتى أن أكون حيا حين يخرجك قومك من مكة تخلصا منك لأعينك ، وأنصرك .**

قال ﷺ : (أو مخرجي هم ؟) **الاستفهام إنكارى ، وفيه ينكر النبى ﷺ خبر إخراجه من مكة ... أى سيصل أمرهم معى أن يخرجونى من مكة ، وأنا من أهلها ، وهم قومى وعشيرتى ، وأخلاقى معهم مشهودة ، وقد وصفتنى خديجة رضى الله عنها بما أنا فيه من خلق ، وهى صادقة ؟**

وقد استبعد النبى ﷺ إخراجه من مكة ، فسأل ورقة مستنكرا ما سمع منه .

فأجابه ورقة ، و (قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي) **أى إن شأن الناس ، وأحوالهم أنهم يتمسكون بعبادة الأصنام ويعادون الأنبياء ، وأنه ما من نبى جاء لقومه بدين الله الموحى به إليه إلا عادوه وآذوه ، فبين ورقة لرسول الله ﷺ علة إيذاء الأقوام لرسل الله ؛ لأنهم جاءوهم بغير مألوفهم وعبادتهم ، وقد أطلع ورقة من قراءته على هذه الحقيقة ولذلك بين عموم الإيذاء للرسل جميعا .**

وقال ورقة : (وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا) **أى وان لم أمت وبقيت حيا حتى وقت مبعثك سأتبعك ، وأنصرك بكل ما أملك من قوة .**

وفى الحديث الثانى **يقول ابن شهاب ، وهو محمد بن مسلم الزهرى : وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم ، قال** (وهو يحدث عن فترة الوحي) **وقد بدأ ابن شهاب روايته لهذا الحديث بحرف العطف لبيان أن حديثه معطوف على الحديث السابق الذى ذكر قصة رسول الله ﷺ مع ورقة ، وبدء الوحى .**

وقد فتر الوحى عن رسول الله ﷺ بعد لقائه بورقه بن نوفل .

وفتور الوحى لا يعنى انقطاع جبريل عليه السلام عن المجئ إلى رسول الله ﷺ وانما المراد به انقطاع نزول القرآن الكريم ، فلقد استمر رسول الله ﷺ بعد بدء الوحى مدة يأتيه فيها إسرافيل وميكائيل عليهما السلام .

جاء فى مسند الإمام أحمد رضي الله عنه (أن النبى ﷺ بعث لأربعين ، ووكل به إسرافيل ثلاث سنوات ، ثم وكل به جبريل) **وفى بعض روايات الحديث جاء ذكر ميكائيل بدل إسرافيل ، ولا مانع من لقائه بإسرافيل ، وميكائيل مرة بعد مرة ، وهو المراد .**

وقد اختلفت الروايات فى مدة فتور الوحى فمن قائل إنها ثلاث سنوات ، ومن قائل أنها سنتين ونصف مع ستة أشهر هى مدة الرؤيا الصادقة .

يقول أبو سلمة الأنصارى رضي الله عنه (أن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه) **أى قال جابر ، وروى عن رسول الله ﷺ قوله :** (بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ،

فرعبت منه ، فرجعت ، فقلت : زملوني ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾) **أى بدأ لى جبريل على صورته الحقيقة جالسا بين السماء والأرض ، وسد الأفق فخفت منه ، ورجعت إلى خديجة ... وشكوت لها ، وقلت لها : زملونى . زملونى . زملونى ، فزملتنى ، وأنزل الله على هذه الآيات من أول سورة المدثر ، وبعد ذلك فتر الوحى مدة ثم أتاذى .**

(فحمي الوحي وتتابع) **أى قوى الوحى ، وكثر ، وأخذ ينزل على تباعا بالقرآن الكريم ، وبما شاء الله من حديث .**

وفى الحديث الثالث : **يبين الرسول ﷺ أول ما نزل من آيات القرآن الكريم ، وهى مسألة اختلف فيها العلماء .**

يقول يحيى بن كثير رحمه الله : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله عن أول ما نزل من القرآن ؟

(قال) **أبو سلمة رحمه الله : أول ما نزل من القرآن الكريم** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴾ .

(قلت) **له** (يقولون : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴾) **أى يقول بعض الصحابة : أن أول ما نزل من القرآن أول سورة العلق .**

(فقال أبو سلمة ﷺ : سألت جابر بن عبد الله ﷺ عن ذلك ، وقلت له مثل الذي قلت) **أى سألت جابرا عن أول سورة نزلت ، وقلت له ما يقوله البعض من أن أول الآيات نزولا أول سورة العلق .**

(فقال جابر : لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال : جاورت بحراء) **أى مكثت بغار حراء الذى كنت أتحنث فيه الليالى ذوات العدد .**

(فلما قضيت جواري هبطت) **أى فلما قضيت مدة تعبدى فى الغار نزلت من الغار إلى مكة .**

(فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ، ونظرت أمامي فلم أر شيئا ، ونظرت خلفي فلم أر شيئا ؛ فرفعت رأسي فرأيت شيئا) **أى رفعت رأسى إلى أعلى فرأيت الملك فى الأفق ، يسد بين السماء والأرض .**

و (أتيت خديجة فقلت : دثروني وصبوا علي ماء باردا ، قال ﷺ : فدثروني وصبوا علي ماء باردا) **كما طلب رسول الله ﷺ .**

يقول ﷺ : فنزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ .

وقد اختلف المفسرون فى أول السور نزولا ، فذهب فريق **إلى أن أول السور نزولا سورة العلق .**

وذهب غيرهم إلى أنها سورة المدثر .

وقال آخرون : إنها المزمل ...

وقال آخرون : إنها سورة القلم .

والذى أراه أن أول القرآن نزولا هو آيات سورة العلق ، حيث جاءه الوحى ، وأمره بالقراءة بقدرة الله الخالق المتصف بكل كمال يليق به سبحانه وتعالى ، وبعد فتور الوحى كان نزول آيات سورة المزمل ، وفيها يأمر الله رسوله بقيام الليل تقوية لروحه ، وتعلقا بجلال ربه ، وبعدها نزلت آيات سورة المدثر ، وفيها أمر الله رسوله بالدعوة ، والقيام بها ، والاستعداد لها ، وبعد ذلك نزلت سورة القلم حيث يرد الله اتهامات خصوم رسول الله ﷺ بعد أن اتهموه بالجنون ، وزعموا حرمانه من الثواب .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

اختار الله محمدا للرسالة ، وصنعه بقدرته ، وأعانه بالعوامل التى تمكنه من البلاغ والدعوة ، وارتقى ببشريته حتى تمكن من التواصل مع الملائكة ومع الله تعالى .

ففى بدء حياته ﷺ عاش حياة عملية ، فرعى الغنم فى ديار بنى سعد ولأهل مكة ، واشترك مع أعمامه فى حلف الفضول ، وساهم مع القرشيين فى حرب الفجار ، واشترك فى بناء الكعبة ، وسافر للتجارة ، وتعامل مع أهل الكتاب ، وكبار القوم ... ووفقه الله بالزواج من خديجة رضى الله عنها ، وكثرت معه نعم الله تعالى ، يبينها الله فى قوله : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ ﴾[1] .

ووجه الله رسوله ﷺ إلى خلق المرسلين ، فلم يسجد لصنم قط ، ولم يرم بريبة أبدا ، واشتهر بالصدق والأمانة ، وبغضه الله فى عبادات وأخلاق الجاهلية ، وحبب إليه الخلاء ، فسار على نهج جده عبد المطلب ، وأخذ يذهب إلى غار حراء فيبيت فيه الليالى ذوات العدد ، ويتأمل فى الكون الفسيح وينظر فى القمر والنجوم ، ويفكر فى موجد هذه الحياة وما فيها .

وكان يبيت فى الغار الليالى ذوات العدد ، فإذا انتهى زاده ، وتشوق لزوجته وأولاده رجع إليهم ليعود مرة أخرى إلى الغار بعد أن يتزود لليال أخر .

---

(١) سورة الضحى ، الآيات ٦ . ٨ .

إن الخلوة تعلم صفاء الفكر ، وجلاء النظر ، ومن فوهة الغار فوق جبل "حراء" يرى الكعبة ، والأصنام ، ويشق عليه ضلال قومه وهم يعبدون حجرا يضعونه بأيديهم .

والخلوة ، والبعد عن الناس من الأمور غير المحببة فى حياة البشر ، لأن الإنسان مدنى بطبعه ، يحب الأنس ، ويعشق ملاقات الآخرين ، ويحب التعامل والسمر معهم ، وما سمى الإنسان إنسانا إلا لوجود هذا الطبع فيه.

والخلاء مع هذا عامل تربوى ، يعلم الصمت ، والسكون ، ويدفع إلى التأمل ، والتفكير ، ويساعد على الطهارة والسمو ، ولذلك كانت العبادة فى جوف الليل من عظائم الأمور ، وكان قرآن الفجر مشهودا ، وذلك لمن جعل خلوته لخدمة القيم ، والخلق ، والانخراط الكلى فى عبودية قانتة لله رب العالمين .

وقد حبب الله لمحمد ﷺ الخلاء ، فكان يخرج من مكة بعيدا عن الصخب ، والضجيج ، ويمكث وحيدا فى غار حراء ، ومعه زاده وعدته ، مدة تضم الليالى ذوات العدد ، حيث يقضى الليالى ، وبخاصة ليالى شهر رمضان فى خلوته ، وانقطاعه عن الناس .

يقول الخطابى : **والخلوة يكون معها فراغ القلب ، وهى معينة على الفكر وقاطعة لدعاوى الشغل الفطرى ، والبشر لا ينفك عن طباعه ، ولا يترك مألوف عاداته إلا بالرياضة البليغة ، والمعالجة الشديدة ، فلطف الله تعالى بنبيه محمد ﷺ فى بداية أمره ، فحبب إليه الخلوة ، وقطعه عن مخالطة البشر ليتناسى المألوف من عاداتهم ، ويستمر على هجران ما لا يحمد من أخلاقهم ، وألزمه شعار التقوى ، وأقامه فى مقام التعبد بين يديه ، ليخشع قلبه ، وتلين عريكته ، فيجد الوحى منه حين وروده مرادا سهلا ،**

ولا يصادفه حزنا وعرا فجعلت هذه الأسباب مقدمات لما أرصد له من هذا الشأن ليرتاض بها ، ويستعد لما ناب إليه ، ثم جاءه التوفيق والتبشير ، وأخذته القوة الإلهية ، فجبرت منه النقائص البشرية ، وجمعت له الفضائل النبوية[١] .

وقد كان من عادة مفكرى أهل مكة أن ينقطعوا عن الناس مدة كلما جد لهم أمر ، يلجأون خلالها إلى آلهتهم ، والى عقلهم بحثا عن حل لهذا الأمر الذى يشغلهم .

ووجد محمد ﷺ فى هذا المسلك طريقا يعيشه فى خلوته ، يلتمس أثناءها إشباع ما يتمنى الوصول إليه ، ووجد فى جبل حراء مكانا مناسبا للخلوة فأحبه ، وأخذ ينقطع فيه وحيدا ، يتعبد فيه الليالى ذوات العدد ، فكان إذا جاء رمضان يحمل طعامه ، وشرابه ، ويمكث فيه ، بعيدا عن الصخب ، والضوضاء ، يلتمس الحق ... ويبحث عن حلول لما يشغل عقله وقلبه .

لقد بدأ محمد ﷺ الخلاء باحثا بفكره ، متأملا فى الأسرار المحيطة به ، فانجلت بصيرته ، وارتفعت مشاعره ، وتسامت روحه إلى أن جاءته الهداية فاهتدى ، وأتاه الوحى فصار رسولا نبيا .

وحراء جبل بأعلى مكة ، على بعد ثلاثة أميال منها ، على يسار المار إلى منى ، ولهذا الجبل قمة مشرفة على الكعبة ، وفى هذه القمة غار عرف بـ (غار حراء) ، وهو على هيئة حجرة ضيقة ، مستطيله ، منحوته ، داخل قمة الجبل ، أرضها مسطحة ، وسقفها مقوس يدخل الرجل

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٢ ص٣١٩ .

واقفا مع انحناءة قليلة والغار مفتوح من جهتيه الشمالية ، والجنوبية ، ويمكن للجالس فيه أن يرى الكعبة ، وبخاصة قبل وجود البنايات الحديثة العالية .

وقد أكرمنى الله تعالى بصعود هذا الجبل ، ودخول الغار ، والصلاة فيه وعشت معاناة شديدة فى هذا الصعود ، فتذكرت معاناة رسول الله ﷺ فى رحلته إليه ، وحياته ﷺ فيه جزاه الله خير الجزاء عن الإسلام ، والمسلمين .

إن الخلوة فى غار حراء تؤدى إلى القرب من الله ، والنظر إلى الكعبة يؤجج روح الصفاء ، ولذلك كان أهل مكة يعظمون هذا الغار ، ويقصدونه بين الحين والحين ، ويربطون بينه وبين الكعبة ، فكلاهما آية من آيات الله بين الناس .

وكان ﷺ يطوف بالبيت قبل أن يذهب إلى الخلاء ، وكان أول ما يبدأ به إذا انصرف من خلوته أن يطوف بالبيت قبل أن يذهب لخديجة فى بيته[١] .

يقول ابن هشام : **كان رسول الله ﷺ يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله ﷺ جواره من شهره ذاك كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره الذهاب إلى الكعبة ، قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته**[٢] .

---

(١) لم تنازع قريش محمداً فى خلوته بغار حراء ، لأن جده (عبد المطلب) كان يخلو فيه ، وكان لعبد المطلب منزلة فيهم ، فلما خلا محمد بالغار تصوروه يخلو كجده .

(٢) السيرة النبوية ج١ ص٢٣٦ .

وكان ﷺ يطيل النظر فى الكون المحيط به فى السماء ، ونجومها ، وقمرها ، وشمسها ، وأفلاكها ، ومجراتها ، وصورتها فى الليل ، وفى النهار .

ويتأمل الصحراء ساعات لهيبها المحرق تحت ضوء الشمس الباهرة الآلاء ، وساعات صفوها البديع حين تكسوها أشعة الشمس بضيائها ، أو تلفها أضواء النجوم بلباسها الرطب الندى .

وينظر فى أهل مكة ، والحياة تشغلهم ، ويتأمل فى الآتين لمكة ، وهم يطوفون بالبيت ، والأصنام أمامهم !! ...

كان ﷺ يتأمل فى كل ذلك ، وفى غيره ، أملا فى معرفة هذا الوجود ، وما وراءه من سبب ، وغاية ...

فى هذا الكون المتحرك كان ﷺ يلتمس الحقيقة العليا ، وكان ابتغاء إدراكها يسمو بنفسه ساعات خلوته ليتصل بهذا الكون ، وينظر فيما وراء الحجب يحاول الوصول إلى مكنون سره ، ويكتشف لنفسه ، ولقومه طرق النجاة ، والفوز ، الغائبة عن الجميع .

ووفقه الله فى هذا الخلاء فجاءه الوحى عند بلوغه الأربعين ، وبدأ نزول القرآن بآيات تبين له الحقيقة ، وتدعوه إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ، الذى خلق وهدى ، وكل شيء بيده ، وهو الذى يعلم الناس بالقلم ، ويعلمك يا محمد بالقدرة الإلهية لتقرأ مع أميتك ، وتحفظ رغم أنك لا تكتب .

ويعرف ﷺ عند لقاء جبريل عليه السلام ما سيتعرض له من شدة ، فلقد غطه ثلاثا ليعلم ضرورة استسلامه لقدر الله فى نيته ، وأقواله ، وأعماله ، وليتأكد من المشاق التى سيراها فى طريق الدعوة إلى الله تعالى .

وتظهر الأحاديث أن رؤيا الأنبياء صادقة ، وهى نوع من الوحى وجزء من النبوة .

وتشير الأحاديث إلى أمور منها :

(١) فتور الوحى لا يعنى انقطاعه عن رسول الله ﷺ ، وانما يعنى انقطاع جبريل عليه السلام عن النزول بالقرآن الكريم خلال هذه الفترة التى أوكل فيها أمر محمد ﷺ إلى ميكائيل واسرافيل عليهما السلام ليتعود رؤية الملك ، ويتهيأ لاستماع الوحى ، فلما بلغ تلك الحال بدأ جبريل عليه السلام فى إنزال القرآن الكريم ، وحمى الوحى وتتابع .

(٢) يسر الله أمر الحياة لمحمد ﷺ ، ورزقه بزوجة أعانته بمالها ، وصاحبته بحسن خلقها ، وكرم تعاملها ، فكانت تعد له الزاد ليتحنث فى غار حراء ورعت أولاده ، ولما جاءها خائفا بعد لقاء جبريل عليه السلام أكدت له أن الله لن يخزيه أبدا ، وشرحت له سبب قولها بما عهدته من رسول الله ﷺ ، وأكدت له أنه وصال لرحمه ، مكرم لضيوفه ، معين للضعفاء ، مساعد فى نوائب الدهر ، وأسرعت إلى ورقة لتعرف خبر ما رأى زوجها ، فلما أطمأنت على ما حدث ، أخذت محمدا ﷺ إلى ورقة ليسمع منه تفسير ما رأى .

(٣) هيأ الله رسوله ﷺ لتحمل مشاق الدعوة ، وتبعات الرسالة ، وطرق التعامل مع الملائكة ، ومنهج التعامل مع الوحى المنزل من الله تعالى ... وقد استمرت معونة الله فى تهيئة رسول الله ﷺ قبل الرسالة وبعدها إلى أن صار لقاء الملك بمختلف صور مجيئه[١] أمرا مألوفا .

---

(١) يبين السهيلى أنواع الوحى ... **وهى :**

النوع الأول : الرؤيا الصادقة كما رآها إبراهيم عليه السلام ، وعنها يقول ما حكاه الله تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ ﴾ [سورة الصافات ، الآية ١٠٢] .

(٤) لقد خشى رسول الله ﷺ بعد لقاء الملك من عجزه عن تحمل الوحى ، وأعباء الرسالة بعدما رأى من شدة جبريل وهو يغطه حتى ظن خروج روحه فى الغط فقد بلغ به منتهى الجهد ، وعلم من ذلك أن طريق الدعوة شاق ، وأن الله معه يعينه وينصره ، فرضى واطمأن .

(٥) لم يذكر الحديث سلام جبريل عليه السلام على محمد ﷺ كما فعلت الملائكة مع إبراهيم عليه السلام وسبب ذلك أن الملائكة جاءوا لإبراهيم عليه السلام فى صورة البشر فتعاملوا معه كما يتعامل البشر . أما جبريل عليه السلام فقد جاء فى صورة الملك ... ويمكن القول بأنه سلم ، ولم يذكره الحديث

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب كيفية بدء الوحى مع رسول الله ﷺ ، وتوضح حبه للخلاء وتعبده فى غار حراء ، وتبين خلق خديجة رضى الله عنها ، وحسن تبعلها لرسول الله ﷺ وشهادتها له ، وتأكيدها لصفاته ﷺ .

النوع الثانى : النفث في الروع . يقول ﷺ : إن روح القدس نفث في روحى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب .

النوع الثالث : أن يأتيه الوحى مثل صلصلة الجرس وهو أشد الوحى ، وكان رسول الله ﷺ يستجمع قوته ليسمع حين يسمع الصوت .

النوع الرابع : أن يمثل الملك صورة رجل معروف كما ظهر في صورة دحية المعروف بحسنه وجماله ، أو في صورة رجل غير معروف .

النوع الخامس : أن يتراءى جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ في صورته التى خلقه الله عليها .

النوع السادس : أن يكلمه الله سبحانه وتعالى من وراء حجاب .

النوع السابع : مجئ إسرافيل إلى رسول الله لتهيئته لنزول الوحى بواسطة جبريل ، وقد ثبت أن الله وكل أمر محمد ﷺ إلى إسرافيل عليه السلام مدة ثلاث سنوات بعد مجئ جبريل عليه السلام إلى رسول الله في الغار أول الوحى (الروض الأنف ج١ ص١٥٢) .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... منها :

الركيزة الأولى

الاهتمام بالعلم

فى بدايات الوحى نزل قوله تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ ﴾ وسمعها النبى ﷺ مناما ، ويقظة للدلالة على قضية أساسية فى الإسلام ، وهى أهمية العلم ، وضرورته لكافة جوانب الإسلام ، لأن الإسلام دين يقوم على العلم ، به تعرف عقيدته ، وتفهم شريعته ، وتظهر خلقياته ، ومناسكه .

وبهذا العلم يجب أن يتصف الدعاة الذين يتحملون مسئولية الدعوة ، ليتقنوا موضوعهم ، ويعرفوا جمهورهم ، ويعلموا وسائلهم ، وأساليبهم ... وبغير ذلك تختفى الحقائق ، وتضعف الدعوة ، ولا يتم البلاغ المطلوب .

ولا يصح أن يتصدى للدعوة من يجهلها ، ولابد أن يكون الداعية على المستوى المكلف به .

ولئن قرأ النبى ﷺ باسم الله ، وبقدرته ، فإن الدعاة يتعلمون بالقلم ، القراءة ، والممارسة ، وسوف يتعلم الدعاة إن أخلصوا لله ، وبذلوا جهدهم صادقين مؤمنين .

الركيزة الثانية

ضرورة التهيئة والتدريب العملى للدعاة

الدعوة علم وتطبيق ، ولابد لمن يتصدى لها أن يتدرب على القيام بها ... لقد رأينا القدر يدبر لرسول الله ﷺ أعمالا تؤهله للتعامل مع الملك ، وتمكنه من استقبال الوحى المنزل عليه ، ولذلك كانت النبوة مقدمة للرسالة .

ومن المسلم به الآن أن التدريب العملى جزء هام فى تكوين المربين ، والموجهين ، ورجال الإعلام ... وهو أكثر أهمية للدعاة الذين يبلغون الإسلام بكافة ألوان الاتصال ، ويقابلون أشتاتا من الناس ، مختلفين ثقافة ، وطبعا ، وتوجها .

إن التهيئة العملية تجعل الدعاة قادرين على مواجهة المواقف المفاجئة ، وفهم المعارضات المضادة ، والتحكم فى مسار المناقشات ، والمناظرات .

إن الدعوة عرض ورد ، وتحليل وفهم ، واستيعاب واقتناع ... وذلك يحتاج إلى ثقة بالموضوع ، وثبات فى المواقف ، وصلابة فى الحوار ، وقوة فى الإرشاد ، والتبليغ ... ولابد لهذا من التهيئة ، والتدريب .

لا يحسن الدعوة خائف ضعيف ، ولا ينفعها جاهل متردد ، لأن أى سلبية فى الداعية تنعكس بالضرورة على دعوته .

إن الطبيب الناجح هو الذى يجيد العلاج ، لأنه يعلمه ، وخبرته بعلم الداء ويتمكن من وصف الدواء بأمر الله ... والمحامى المتمكن هو الذى يبرز قضيته ويبين جوانب العدل فيها ، وينال بخبرته ما يستحق من قضاء .

والحياة كلها اليوم تحتاج إلى الخبرة ، والعلم ، والممارسة ... والدعوة أشد حاجة إلى هذه الجوانب .

كان رسول الله ﷺ فى بدايات الوحى يخاف على نفسه من الملك حين يأتيه لكنه ﷺ بعد التهيئة اندمج مع الملك اندماجا كليا ، فإذا ما أتاه انقطع عن من حوله تماما ، كأنه لا يعرفهم ، ولا يعرفونه .

الركيزة الثالثة
الاستعانة بالعقلاء المخلصين

يفاجأ الدعاة بمواقف غريبة لم يألفوها ، ولابد لهم من حكيم يتعاون معهم ، ويساعدهم بحكمته ... وحينئذ تكون لهم مرجعية أمينة تعينهم على مشاق الطريق .

انظر إلى رسول الله ﷺ فى المرحلة الأولى تراه محاطا بعدد من المخلصين ، يعود إليهم ، ويستعين بعقلهم .

وها هى خديجة رضى الله عنها نعم العاقلة ، ونعم الشريك ، ونعم المحبة المخلصة ، وها هو أبو بكر ﷺ ، وحرصه الشديد على سلامة رسول الله ﷺ .

لقد كان الجميع يرجع إلى من لديه علم ليستفيد منه حول الشأن الجديد ، أخذوا رأى ورقة ، وعداس ، وغيرهما ليطمئنوا على ما كان يراه محمد ﷺ .

ومن هنا ...

نقول للدعاة استعينوا بالعقلاء ، وخذوا الحكمة والروية من غيركم ، واعلموا أن الإسلام دين متين يحتاج إلى الصبر ، والتحمل ، ولا يستغنى أبدا عن الحكمة والعقل ، والمشاورة .

ولم لا يكون للدعاة فى كل إقليم مرجعية علمية أمينة تعد الخطط ، وتقدم المعلومات التى يحتاج إليها الدعاة ، وتحدد المسار الذى يؤدى إلى النجاح المطلوب .

إن طاقة الفرد محدودة ، والدعوة تحتاج إلى جهد الجميع ، وقوة الجماعة ... ليعيش الدعاة مدعومين بقوة صادقة تأتيهم من الجماعة المسلمة كلها .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) **التدرج للوصول للقضايا الهامة ضرورة عقلية وتربوية للوصول إلى الغايات المقصودة .**

(٢) **التأمل الجاد ، والتفكير الصحيح يحتاج إلى أن يخلو الإنسان بنفسه ويعاود النظر للوصول إلى نتائج صحيحه .**

(٣) **من أراد العلم الصحيح ، فليتق الله ليعلمه الله ، ويحقق له ما يريد .**

(٤) **على المسلم أن يخلص فى دعوة غيره إلى دين الله ، ويتحمل المشاق التى لابد منها فى هذا المجال .**

(٥) **الزوجة المخلصة خير معين لزوجها فى الفوز والنجاح .**

(٦) **استحباب صلاة السحر لما فى هذا الوقت من صفاء ذهنى ، وانقطاع عن الناس ، وانصراف عن مشاغل الدنيا .**

(٧) **يجوز تكليف الإنسان بشىء لا يعرف بسببه ، ولا الغاية منه على أن يتم توضيحه بعد ذلك .**

(٨) **يحتاج البيان والشرح إلى تكراره ثلاثا ليستقر فى العقل والضمير ، ويتضح فى العمل والسلوك .**

(٩) يستحب الالتقاء لتأنيس من نزل به أمر ، وتهوينه عليه .

(١٠) أهمية التناصح بين المسلمين .

(١١) بيان دور الأعمال والأخلاق الفاضلة فى تحقيق الخير ، واتيان نصر الله تعالى .

(١٢) صعوبة مفارقة الأهل والوطن ، فإنه ﷺ لما سمع من ورقة أن قومه سيخرجونه من مكة انزعج وقال : "أو مخرجى هم ؟!"

(١٣) دليل التماثل والمشابهة من الأدلة القوية المثبتة للخبر ، ولذلك قال ورقة : (ما جاء نبى بمثل ما جئت به إلا أوذى) ...

(١٤) الشدة خير مناسبة لإظهار معادن الناس ، واخراج ما فى القلوب .

(١٥) التعاون أفضل عوامل تحقيق الأمل ، وأقوى السبل للوصول إلى الغايات العالية .

(١٦) مكارم الأخلاق سبب للسلامة والنجاة .

(١٧) من الجائز مدح الإنسان فى وجهه لتأنيس من وقعت له مصيبة .

(١٨) تدل الأحاديث على كمال خديجة رضى الله عنها .

ـ ٥٦ ـ

٧٢ ـ باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات

[١٠٢] ، (١) حديث أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة ، فنزل جبريل ففرج عن صدري ، ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا ، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء : افتح .

٢٤٩

قال : من هذا ؟

قال : هذا جبريل .

قال : هل معك أحد ؟

قال : نعم معي محمد ﷺ .

فقال : أو أرسل إليه ؟

قال : نعم .

فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد ، على يمينه أسودة ، وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، واذا نظر قبل يساره بكى ، فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح .

قلت لجبريل : من هذا ؟

قال : هذا آدم عليه السلام .

وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ؛ فإذا نظر عن يمينه ضحك ، واذا نظر قبل شماله بكى .

حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها : افتح فقال له خازنها مثل ما قال الأول ؛ ففتح .

قال أنس رضي الله عنه : فذكر أنه وجد في السموات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم صلوات الله عليهم ، ولم يثبت كيف منازلهم ؛ غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وابراهيم في السماء السادسة .

قال أنس ، فلما مر جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم بإدريس عليه السلام قال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح .

فقلت : من هذا ؟

قال : هذا إدريس عليه السلام .

ثم مررت بموسى عليه السلام فقال : مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح .

قلت : من هذا ؟

قال : هذا موسى عليه السلام .

ثم مررت بعيسى عليه السلام فقال : مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قلت : من هذا ؟

قال : هذا عيسى عليه السلام .

ثم مررت بإبراهيم عليه السلام فقال : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح .

قلت : من هذا .

قال : هذا إبراهيم ﷺ .

ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ، ففرض الله على أمتي خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه السلام .

فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟

قلت : فرض خمسين صلاة .

قال موسى : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعني فوضع شطرها فرجعت إلى موسى فقلت : وضع شطرها .

فقال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ، فراجعت فوضع شطرها ، فرجعت إليه .

فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعته .

فقال (الله تعالى) : هي خمس (فى الأداء) وهي خمسون (فى الثواب) (لا يبدل القول لدي) فرجعت

إلى موسى .

فقال : راجع ربك .

فقلت : استحييت من ربي .

ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى ، وغشيها ألوان لا أدري ما هي .

ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، واذا ترابها المسك[1] .

[١٠٣] ، (٢) / ٣٢٠٧ حديث مالك بن صعصعة ﷺ ، قال : قال النبي ﷺ : بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان (وذكر بين الرجلين) ، فأتيت بطست من ذهب ملئ حكمة وايمانا ، فشق من النحر إلى مراق البطن ، ثم غسل البطن بماء زمزم ، ثم ملئ حكمة وايمانا ، وأتيت بدابة أبيض دون البغل وفوق الحمار ، (البراق) ، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا ، قيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : من معك ؟

قال : محمد .

قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : نعم .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٨ كتاب الصلاة : ١ باب كيف فرضت الصلاة : في الإسراء . وللحديث روايات أخرى في صحيح البخارى في الأرقام التالية : (١٦٣٦ ، ٣٣٤٢) .

قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء .

فأتيت على آدم فسلمت عليه . فقال : مرحبا بك من ابن ونبي .

فأتينا السماء الثانية . قيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : من معك ؟

قال : محمد ﷺ .

قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : نعم .

قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء .

فأتيت على عيسى ويحيى . فقالا : مرحبا بك من أخ ونبي .

فأتينا السماء الثالثة . قيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : من معك ؟

قال : محمد .

قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : نعم .

قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء .

فأتيت يوسف فسلمت عليه . قال : مرحبا بك من أخ ونبي .

فأتينا السماء الرابعة . قيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : من معك ؟

قال : محمد ﷺ .

قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : نعم .

قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء .

فأتيت على إدريس فسلمت عليه . فقال : مرحبا بك من أخ ونبي .

فأتينا السماء الخامسة . قيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟

قال : محمد .

قيل : وقد أرسل إليه ؟

قال : نعم .

قيل : مرحبا به ولنعم المجيء جاء .

فأتينا على هرون ، فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من أخ ونبي .

فأتينا على السماء السادسة . قيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : من معك ؟

قال : محمد ﷺ .

قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبا به ولنعم المجيء جاء .

فأتيت على موسى فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من أخ ونبي ، فلما جاوزت بكى . فقيل : ما أبكاك ؟ فقال : يا رب هذا الغلام الذي بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أفضل مما يدخل من أمتي .

فأتينا السماء السابعة . قيل : من هذا ؟

قال : جبريل .

قيل : من معك ؟

قال : محمد .

قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبا به ولنعم المجيء جاء .

فأتيت على إبراهيم فسلمت عليه ، فقال : مرحبا بك من ابن ونبي .

فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل .

فقال : هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم ، ورفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيول ، في أصلها أربعة أنهار ، نهران باطنان ونهران ظاهران ، فسألت جبريل ، فقال : أما الباطنان ففي الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات ثم فرضت علي خمسون

صلاة ، فأقبلت حتى جئت موسى .

فقال : ما صنعت ؟

قلت : فرضت علي خمسون صلاة .

قال : أنا أعلم بالناس منك ، عالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، وان أمتك لا تطيق ، فارجع إلى ربك فسله ، فرجعت فسألته ، فجعلها أربعين ، ثم مثله ، ثم ثلاثين ، ثم مثله ، فجعل عشرين ، ثم مثله ، فجعل عشرا ، فأتيت موسى فقال مثله ، فجعلها خمسا ، فأتيت موسى ، فقال : ما صنعت .

قلت : جعلها خمسا .

فقال مثله .

قلت : سلمت بخير ، فنودي : إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا[1] .

[١٠٤] ، (٣) ٣٢٩٦ حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : رأيت ليلة أسري بي ؛ موسى ، رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ؛ ورأيت عيسى رجلا مربوعا ، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض ، سبط الرأس ، ورأيت مالكا خازن النار والدجال في آيات

(١) أخرجه البخاري في : ٥٩ كتاب بدء الخلق : ٦ باب ذكر الملائكة . وللحديث روايات أخرى في البخارى بأرقام : (٣٣٩٣ ، ٣٤٣٠ ، ٣٨٨٧) .

أراهن الله إياه ، فلا تكن في مرية من لقائه[١] .

[١٠٥] ، (٤) ١٥٥٥ حديث ابن عباس رضى الله عنهما ، عن مجاهد قال : كنا عند ابن عباس ، فذكروا الدجال أنه قال مكتوب بين عينيه كافر .

فقال ابن عباس : لم أسمعه ، ولكنه قال : أما موسى كأني أنظر إليه إذ انحدر في الوادي يلبي[٢] .

[١٠٦] ، (٥) ٣٣٩٤ حديث أبي هريرة ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : ليلة أسري به رأيت موسى ، واذا رجل ضرب رجل كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ، فإذا هو رجل ربعة أحمر ، كأنما خرج من ديماس ، وأنا أشبه ولد إبراهيم به ، ثم أتيت بإناءين في أحدهما لبن ، وفي الآخر خمر .

فقال : اشرب أيهما شئت ، فأخذت اللبن فشربته ، فقيل : أخذت الفطرة ، أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمتك[١] .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٩ كتاب بدء الخلق : ٧ باب إذا قال أحدكم : آمين ، والملائكة في السماء . وللحديث رواية أخرى عند البخارى برقم (٣٢٩٦) .

(٢) أخرجه البخاري في : ٢٥ كتاب الحج : ٣٠ باب التلبية إذا انحدر في الوادي . وللحديث رواية أخرى في أرقام : (٢٣٥٥ ، ٥٩١٣) عند البخارى .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تفصل أحاديث الباب المعراج إلى السموات العلا حتى وصول رسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى ، وتوضح ما حدث لرسول الله ﷺ ، وتبين مشروعية الصلاة ، وتخفيفها إلى خمس صلوات بعد أن كانت خمسين ، فقد كتبها الله خمسا فى الأداء ، وضاعف أجرها بخمسين لأن الحسنة بعشر أمثالها .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

أورد صاحب اللؤلؤ والمرجان فى كتابه أحاديث المعراج فقط ، ولم يرو أحاديث الإسراء بالرغم أنه عنون للباب بأنه (باب الإسراء برسول الله) .

ويبدو ـ والله اعلم ـ أنه أراد بالإسراء المعراج لتقييده الإسراء بأنه (إلى السموات) ...

وسأكتفى بشرح أحاديث "اللؤلؤ والمرجان" وأوجز الحديث عن الإسراء فى الهامش[٢] لأهمية بيانه مع المعراج لارتباطهما فى معجزة واحدة شاملة

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٠ كتاب الأنبياء : ٢٤ باب قول الله تعالى : ﴿ **وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ** ﴾ ، ﴿ **وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا** ﴾ ، وقد وردت للحديث روايات أخرى في صحيح البخارى في الأرقام التالية : (٣٤٣٧ ، ٤٧٠٩ ، ٥٥٧٦ ، ٥٦٠٣) .

(٢) يراد بالإسراء تلك الرحلة التى صحب فيها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس بإيلياء حيث ركبا معًا البراق .

ويراد بالمعراج رحلة جبريل مع رسول الله ﷺ على البراق من بيت المقدس إلى السموات العلا ، وقد أسرى وعرج برسول الله ﷺ بجسده وروحه ، بدليل ما يلى :

يقول رسول الله ﷺ : (فرج عن سقف بيتي) **أى فتح سقف البيت الذى أنا فيه و** (أنا بمكة) **أى وأنا مقيم به** (عند البيت) **أي إن بيتى كان قريبا من الكعبة ، وكنت** (بين النائم واليقظان) **أى لم أكن نائما ، ولم أكن متيقظا ، فأدركت فتحة السقف ، ورأيت من نزل من السقف المفتوح .**

(فنزل جبريل) **عليه السلام من فتحة السقف على رسول الله ﷺ وهو فى بيته**

(ففرج عن صدري) **أى فتحه ، وشقه .**

(ثم غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهب) **أى أن جبريل عليه السلام فتح صدر النبى ﷺ ، وأخرج قلبه ، وغسله بماء زمزم ، ثم أحـ ـتا من ذهب ، والطست إناء منبسط له عمق قليل .**

---

(١) يقول الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ١] ، فقد ذكرت الآية أن الإسراء كان بعبده المكون من الجسد والروح ، لأنهما حقيقة العبد ، وظاهر اللفظ يدل على هذه الحقيقة ، ومن المعلوم أنه لا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند استحالة حقيقة الظاهر ، ولا استحالة فى قدرة الله أن يسرى بعبده روحاً وجسداً ، فلزم أن يكون الإسراء بهما .

(٢) يقول الله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة النجم ، الآية ١٧] ، ففى الآية إثبات واضح على أن الرؤية كانت بالبصر ، وأسندها الله للبصر احترازاً عن رؤية القلب .

(٣) يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة النجم ، الآية ١٨] ففى الآية دلالة على الرؤية البصرية ، لأنها لو كانت مناماً ما كانت كبرى ، ولسلم بها من سمعها من كفار مكة .

(٤) يروى البخارى فى صحيحة عن ابن عبسة عند قوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة الإسراء ، الآية ٦٠] ، وهى رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء(صحيح البخارى . كتاب التفسير ج٦ ص١٦٠) .

(ممتلئ حكمة وايمانا) **أى أن هذا الطست كان يمتلئ بشىء يحصل به كمال الإيمان وتمام الحكمة .**

والحكمة **هى العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة ، وتهذيب النفس ، ومعرفة الحق ، والعمل به ، وهجر المعصية ، وترك مخالفة أمر الله تعالى .**

والإيمان **هو التمسك بدين الله ، واحسان الإسلام ، والانقياد التام لله رب العالمين .**

(فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه) **أى أفرغ جبريل عليه السلام ما كان فى الإناء الذى جاء به فى صدر النبى ﷺ ثم أطبقه ، وضم أطراف الصدر الذى شقه إلى بعضها ، وخاطه حتى التأم** ، وكأن السائل الذى امتلأ به **الطست كان سببا لكمال إيمان النبى ﷺ ، وتمام حكمته يأمر الله تعالى .**

(ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا) **أى أخذ جبريل عليه السلام بيدى ، وصعد بى إلى السماء الدنيا .**

وقد اختار الراوى ذكر المعراج وحده ، فلم يتكلم عن البراق ، ولا عن رحله الإسراء ، والقدوم لبيت المقدس ، والصلاة مع الأنبياء فيه ، وانما تكلم عن المعراج مباشرة ، وبدأ بذكر مجىء رسول الله مع جبريل عليه السلام إلى السماء الدنيا .

يقول ﷺ : (فلما جئت إلى السماء الدنيا) **أى عندما وصلت إلى السماء الدنيا .** (قال جبريل عليه السلام لخازن السماء : افتح) .

(قال) **خازن السماء الدنيا لجبريل :** من هذا ؟

(قال) **جبريل :** هذا جبريل . **فتجرد فى إظهار نفسه .**

فـ (قال) **الخازن** : هل معك أحد ؟

(قال) **جبريل** : نعم معي محمد ﷺ .

(فقال) **الخازن** : أو أرسل إليه ؟

(قال) **جبريل** : نعم .

(فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد ، على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، إذا نظر قبل يمينه ضحك ، واذا نظر قبل يساره بكى) .

(فقال) **هذا الرجل ، وهو آدم** عليه السلام : (مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح) .

(قلت لجبريل : من هذا ؟) .

(قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه) **والأسودة أشخاص أو جماعات تلتقى فيها أرواح بنى آدم فهم صور بنيه ، وكان ينظر إليهم** .

(فأهل اليمين منهم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ؛ فإذا نظر عن يمينه ضحك) **سرورا بهم وفرحا** .

(واذا نظر قبل شماله بكى) **حزنا عليهم وأسفا** .

وتكرر ما حدث فى السماء الأولى بين جبريل وخازن السماء فى بقية السموات .

يقول أنس رضي الله عنه : **فذكر أنه وجد فى السموات آدم ، وادريس ، وموسى ، وعيسى ، وابراهيم عليهم السلام ، وكلهم رحبوا بالنبى الصالح ، والأخ الصالح ما عدا آدم وابراهيم عليهما السلام فإنها قالا : مرحبا بالنبى**

الصالح والابن الصالح ، فهما أبواه ، وبقية الأنبياء المذكورين ليسوا من آبائه ﷺ ، ولذلك رحبوا به أخا ونبيا .

(ولم يثبت) **أبو ذر** ﷺ (كيف منازلهم) **أى ولم يبين سماء معينة لكل رسول من الرسل المذكورين ، كما فى بعض روايات الحديث .**

(غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا ، وابراهيم في السماء السادسة) **أى أن أبا ذر** ﷺ **لم يحدد سماء لكل رسول ما عدا آدم وابراهيم عليهما السلام ؛ فقد بين أن آدم** عليه السلام **كان فى السماء الدنيا ، وابراهيم** عليه السلام **كان فى السماء السابعة .**

ثم قال ابن شهاب عن ابن حزم **أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان : قال النبى ﷺ :** (ثم عرج بي) **أى ارتفعت ، وصعدت ، وعلوت حتى قربت من سدرة المنتهى .**

و (حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام) **أى ارتفعت حتى وصلت لمكان أسمع منه صوت أقلام الملائكة وهى تكتب ما قضى الله به ، أو وهم يكتبون ما ينقلونه من اللوح المحفوظ ، أو ما شاء الله أن يكتب ويرفع من أمره ، ونهيه ، وتدبيره .**

وفى هذا العلو ، والقرب والاستماع لصوت صريف الأقلام دليل على علو منزلته ﷺ ، وارتفاع مكانته فوق منازل سائر الرسل .

ويرى ابن شهاب أن ابن حزم ، **وأنس بن مالك كانا يقولان : قال النبى ﷺ : ففرض الله على أمتى خمسين صلاة ، فرجعت بذلك حتى مررت بموسى** عليه السلام .

(فقال) **موسى** عليه السلام **لرسول الله** ﷺ : (ما فرض الله لك على أمتك ؟) **أى ما عدد الصلوات التى فرضها الله على أمتك ؟**

(قلت) **له** (فرض خمسين صلاة) **أى فرض الله على أمتى خمسين صلاة يؤدونها فى اليوم والليلة .**

قال موسى عليه السلام : (فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك) **أى ارجع إلى ربك وسله التخفيف فإن أمتك لا تطيق خمسين صلاة فى اليوم والليلة .**

(فراجعني) **أى فراجعت الله فوضع منها** (شطرها) **أى بعضها ، وقد تكررت هذه المراجعة حتى وصلت الصلاة المفروضة لخمس صلوات فى اليوم والليلة . ثم قال الله تعالى** : (هي خمس) **فى الأداء ، و** (خمسون) **فى الأجر والثواب .**

وقد جاءت رواية ثابت رضي الله عنه للحديث **تفيد أن التخفيف كان خمسا خمسا حتى بقيت خمسا مفروضة ، وهذا يعنى أن معنى الشطر فى حديث الباب البعض والجزء وليس النصف كما هو معناه عند الإطلاق .**

وقد قام النبى ﷺ **بمراجعة ربه ، لأنه كان يعلم أن الأمر لم يكن على وجه الإلزام ، وفى المرة الأخير علم أنه على وجه الإلزام ؛ لقوله تعالى فى آخره** : (لا يبدل القول لدي) **أى لا يغير الحكم عن خمس صلوات ، ولذلك استحيى رسول الله** ﷺ **أن يسأل ربه التخفيف عن خمس بعد ذلك .**

وأدرك ﷺ **أن الله يخفف فى كل مراجعة خمسا ، فلما بقيت خمس فقط استحيى من إسقاط الصلاة كلها .**

فإن قيل : **ولم نصح موسى** عليه السلام **رسول الله** ﷺ **بمراجعة الله للتخفيف دون غيره من الأنبياء ؟**

أقول : **قام موسى عليه السلام بهذا النصح ؛ لأنه طلب رؤية الله تعالى زمن رسالته ، فلما منع من ذلك ، ورأى علو منزلة محمد ﷺ وقربه من سدرة المنتهى سعد بلقاء رسول الله ﷺ ، وأحب أن يكرر رؤية من رأى ، ويسعد بالحديث معه ليكرر الاتصال بالحبيب المرتجى ...**

وأيضا فقد رأى موسى عليه السلام من بنى إسرائيل كثرة العصيان ، ونفورهم فى طاعة الله فيما أمرهم به ، ورأى ضرورة مراعاة طاقتهم فى التكليف ، فلما علم موسى عليه السلام فرضية الصلاة نصح محمدا ﷺ بطلب التخفيف حتى لا تقع أمته فيما وقع فيه بنو إسرائيل .

قال ﷺ : (ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى) **أى ذهب بى جبريل عليه السلام مسرعا إلى سدرة المنتهى ، فلما نظرت جهتها لم أرها .**

(وغشيها ألوان لا أدري ما هي) **أى رأيت عندها ألوانا عدة أخفت عنى حقيقة ما أجد ، ولم أستطع رؤية ما وراء الألوان .**

ثم قال ﷺ : و (أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، واذا ترابها المسك) **أى : أدخلنى الله الجنة فإذا فيها ثياب من اللؤلؤ ، ولترابها رائحة المسك .**

وقد ذكر الخطابى أن حبائل تصحيف لا معنى له ، وصحتها جنابذ وهى قباب اللؤلؤ .

وفى الحديث الأول **لهذا الباب نلحظ أن ابن شهاب رحمه الله نقل حديثه عن عدد من الصحابة ... فأخذ القسم الأول عن أبى ذر رضي الله عنه وأخذ القسم الثانى عن أنس رضي الله عنه .**

وهذا يدل على دقة الصحابة فى نقل حديث رسول الله ﷺ ، ويبين حرصهم المتين على تأكيد نقلهم للحديث كما قاله ﷺ بلا تغيير .

ويكمل الحديث الثانى الحديث الأول فيتحدث عن البراق ، وعن رحلة المعراج ، ويوضح استقبال رسول الله ﷺ فى كل سماء ، ويزيد عدد الرسل ، ويفصل فى قرب رسول الله ﷺ من سدرة المنتهى ، ومراجعة الله فى تشريع الصلاة حتى صارت خمسا فى الأداء ، وخمسين فى الأجر والثواب .

ونتبين فى الحديث الثانى بعض موضوعاته ... وهى :

(١) **كان النبى ﷺ حين أتاه جبريل عليه السلام** (بين النائم واليقظان) **أى كان فى غفوة يسيرة لا يعد متيقظا ، ولا نائما ، وكان ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه**

(٢) **إن الذين جاءوا لرسول الله ﷺ كانوا ثلاثة نفر لقوله فى الحديث :** (وذكر بين الرجلين) .

(٣) **فى الحديث تحديد مكان الشق وهو قوله ﷺ :** (فشق من النحر إلى مراق البطن) **وهو ما سفل من البطن ، ورق جلده أسفل الضلوع ، ... ثم بين الحديث أن غسل البطن كان بماء زمزم بعد خلطه بسائل يحقق حكمة وايمانا .**

(٤) **فى الحديث وصف البراق وهو الذى حمل رسول الله ﷺ وجبريل فى رحلة الإسراء والمعراج ، والبراق** (دابة أبيض دون البغل وفوق الحمار) **فلها أربع قوائم ، ولونها أبيض ، وحجمها بين البغل والحمار ، مستطيل الظهر ، واسع الخطى ، مرفوع الرأس ، موطئ الأكتاف خلقه الله لرحلة الإسراء والمعرج .**

وصعد جبريل عليه السلام برسول الله ﷺ إلى السموات العلا ، وفى كل سماء كان جبريل عليه السلام يستأذن خازنها ، فيفتح له ، ويسأله عمن معه ، فيعرف أنه محمد ﷺ فيسأل هل بعث ، ويرحب به نبيا وأخا ، ويستمر الحال هكذا فى كل سماء .

ففى السماء الأولى كان آدم عليه السلام ... وفى السماء الثانية كان عيسى ويحيى عليهما السلام ... وفى السماء الثالثة كان يوسف عليه السلام ... وفى السماء الرابعة كان إدريس عليه السلام ... وفى السماء الخامسة كان هرون عليه السلام ... وفى السماء السادسة كان موسى عليه السلام ، وفى السماء السابعة كان إبراهيم عليه السلام .

وكل الأنبياء رحبوا برسول الله نبيا وأخا ، إلا آدم وابراهيم عليهما السلام فقد رحبا به نبيا وابنا .

(٥) **يبين الحديث أن موسى عليه السلام بكى حين تركه رسول الله ﷺ ولما سئل عن ذلك بين أن سبب بكائه علمه بكثرة أمة محمد ﷺ وأنها أكثر أهل الجنة .**

(٦) **يبين الحديث رؤية رسول الله ﷺ للبيت المعمور ، وعلم ما يحدث معه ، وذلك فى قوله ﷺ :** (فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل ، فقال: هذا البيت المعمور ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم) **مرة أخرى .**

(٧) **وصل رسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى ، الذى سمى بذلك لانتهاء علم الملائكة عنده ، ولم يجاوره أحد إلا رسول الله ﷺ فرآه ، ووصفه ، وقال ﷺ :** (فإذا نبقها كأنه قلال هجر ، وورقها كأنه آذان الفيول) **أى**

رأى نبق السدرة ، وهو فاكهة تشبه العنب ، لونها أحمر قاتم ، وقد بدت مثل قلة من قلال هجر ، والقلة إناء من الفخار يستعمل فى شرب الماء وورق السدرة عريض كأنه آذان الفيلة .

(٨) رأى النبى ﷺ أربع أنهار تخرج من أصل السدرة ، نهران باطنان يسيران فى الجنة ، ونهران يجريان فى الأرض هما النيل والفرات .

(٩) فرضت الصلاة ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى وكانت خمسين ، فلما علم موسى عليه السلام بذلك نصح رسول الله ﷺ بأن يسأل الله التخفيف ، فرجع محمد ﷺ إلى ربه مرات متعددة ، وفى كل مرة ينقص الله تعالى من الصلاة خمسا حتى صارت خمسا فقط ... فلما نصحه موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربه قال ﷺ : فسلمت ، أى أطعت ورضيت. وانما فرضت الصلاة ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى لبيان الطهر البدنى والصفاء القلبى الذى تقوم عليه الصلاة ، ولتوضيح الغاية المقصودة من الصلاة وهو الاتصال بالله ، والتوجه الدائم بها إليه سبحانه وهو رب العالمين .

(فنودي) من قبل الله تعالى (إني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي وأجزي الحسنة عشرا) **أى قد حددت الفريضة ، وخففت عن الناس وجعلت ثواب الحسنة بعشر أمثالها .**

وفى الحديث الثالث يبين رسول الله ﷺ الأوصاف الخلقية لرسل الله ﷺ تأكيدا لرؤيته لهم .

فيصف موسى عليه السلام بأنه كان (رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة) **أى أن لون بشرة موسى عليه السلام بين السواد والحمرة ، وقد تميز بالطول ، وكان وجهه مجعدا ، يشبه أحد رجال شنوءة .**

وشنوءة حي من اليمن ينتسبون إلى شنوءة وهو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، **ولقب شنوءة لشنآن كان بينه وبين أهله والنسبة إليه شنوئي بالهمز بعد الواو وبالهمز بغير واو .**

ويصف عيسى عليه السلام بأنه كان (رجلا مربوعا ، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض ، سبط الرأس) **أى أن عيسى عليه السلام كان رجلا بين الطول والقصر ، عريض المنكبين لونه بين الحمرة والبياض مسترسل الشعر .**

ورأى النبى ﷺ (مالكا خازن النار ، والدجال في آيات أراهن الله إياه) **أى ورأى النبى ﷺ مالكا والدجال فى صور أظهرها الله له ، لتكون عظة وعبرة لأمته .**

(فلا تكن في مرية من لقائه) **أى لا تشك فى أمر جاء فى هذا الحديث .**

وفى الحديث الرابع : **يبين ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لم يذكر أن الدجال مكتوب بين عينيه كافر ، وأنه لم يسمع ذلك من رسول الله ويوضح أن الذى سمعه من رسول الله ﷺ : أن موسى عليه السلام قد انحدر من أصل الوادى . يقول رسول الله ﷺ :** (كأني أنظر إليه) **وقد ذهب المحدثون والعلماء فى بيان معنى** (انظر إليه) **أوجها متعددة منها :**

أولها: **أنظر إليه على الحقيقة ، لأن الأنبياء أحياء عند ربهم يرزقون، فلا مانع أن يحجوا في هذا الحال ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث أنس أنه ﷺ رأى موسى قائما في قبره يصلي .**

يقول القرطبي : حببت العبادة للأنبياء ، فهم يتعبدون بما يجدونه من دواعي أنفسهم ، لا بما يلتزمون به ، فيلهم الله أهل الجنة الذكر ، ويؤيده أن عمل الآخرة ذكر ودعاء ، لقوله تعالى : ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1] **لكن تمام هذا التوجيه أن يقال : إن المنظور إليه هي أرواحهم ، فلعلها مثلت له ﷺ في الدنيا كما مثلت له ليلة الإسراء ، وأما أجسادهم فهي راقدة في القبور .**

ثانيها : **مثلت له ﷺ أحوالهم التي كانت لهم في الحياة الدنيا ... ورأى كيف تعبدوا وكيف حجوا ... وكيف لبوا ... ولهذا قال ﷺ :** (كأني أنظر إليه) **لما تيقن من رؤيته .**

ثالثها : **كانت رؤية منام تقدمت له ، فأخبر عنها لما حج عندما تذكر ذلك ، ورؤيا الأنبياء وحي .**

وفى الحديث الخامس : **يكرر رسول الله ﷺ صفات بعض ما رأى من الأنبياء ، فيصف موسى عليه السلام بمثل وصفه فى الحديث الثانى ، غير أنه يصف شعره بأنه** (رجل) **بفتح الراء ، وكسر الجيم أى أنه ناعم مسترسل ، وبأنه ضرب أى نحيف .**

ويصف عيسى بما وصفه فى الحديث السابق ويزيد كأنه خرج من ديماس أى أن نضرة الوجه ظاهرة كأنه خرج من (كن) **مستور ، لم يتأثر بشمس أو رياح .**

ويخبر النبى ﷺ فى نهاية الحديث الخامس أنه اوتى بإنائين ، فى أحدهما لبن ، وفى الآخر خمر ، وقال له الملك : اشرب من أيهما شئت .

---

(١) سورة يونس ، الآية ١٠ .

يقول ﷺ : فشربت اللبن .

فقيل لى : (أخذت الفطرة) **وألهمنى الله شربها ، ثم قيل لى :** (لو أخذت الخمر غوت أمتك) **والفطرة هنا هى الإسلام والاستقامة ، وجعل اللبن علامة عليها لكونه سهلا ، طيبا ، طاهرا ، سائغا للشاربين ، سليم العاقبة**

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تنقلنا أحاديث الباب إلى المقام الرفيع ، والمنزلة العالية التى وضع الله فيها رسوله محمدا ﷺ ، فلقد طهره ، ونقى باطنه ، وملأه حكمة وايمانا ليعيش مع الوحى صافيا ، ويستعد لمهام الرسالة والنبوة .

ولم يكن شرح صدره ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج هو الشرح الأول ، فقد جاءت الروايات بأنه ﷺ جاءته الملائكة عدة مرات ، وشقت صدره ، وغسلت باطنه ، فلقد حدث له ﷺ شق الصدر وهو في بادية بنى سعد ، وعند بلوغ عمره عشر سنوات ، وعند بدء الوحى ، وفى ليلة الإسراء والمعراج .

وصلى النبى ﷺ بالأنبياء إماما فى بيت المقدس ، وسلم عليهم جميعا ، ثم عرج به إلى السموات العلا بين ترحيب الأنبياء ، وسلامهم عليه ... وقد قربه الله إليه فرفعه إلى سدرة المنتهى ، وعرف الله رسله بمدى الكرم الذى نالته أمة محمد ﷺ شرفا ، وقدرا ، ومثوبة ، ولقد رفعه الله إلى سدرة المنتهى وأسمعه صرير الأقلام ، وأوحى إليه بما شاء في هذا الموقف العظيم وشرع لأمته الصلاة فى هذا المرتقى العالى ، وخفضها إلى خمس في الأداء ، وجعلها خمسين فى الأجر والمثوبة .

وأرى الله رسوله ﷺ فى معراجه العديد من الآيات الكبرى ، فدخل الجنة ، ورأى قلالها ، وشم رائحتها ، وشاهد صور النعيم فيها ... وأراه ربه صور المعذبين ، وبين له أن سبب عذابهم هو أعمالهم فى الدنيا ، وأكرمه ربه بعد عودته إلى مكة ، وجلى له بيت المقدس ، فأخذ يصفه لأهل مكة بيانا لصدقه ، وردا لتكذيبهم ، وقد أنزل الله معجزة الإسراء والمعراج فى القرآن الكريم لتبقى مع المسلمين مصدر إلهام وهداية ، وأساس علم ومعرفة ، ودليل عونه ونصره ، وبيانا لقدرته الفاعلة لما يريد سبحانه على غير عادة الناس .

إن أحاديث الباب توضح اليقظة التامة لرسول الله ﷺ فى رحلة الإسراء والمعراج ، وادراكه التام لكل ما رأى وشاهد . يقول الله تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] ، **ويقول سبحانه :** ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾[2] .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب ما حدث مع رسول الله ﷺ فى رحلة المعراج إذ شق

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ١ .

(٢) سورة النجم ، الآيات ١ . ٥ .

جبريل صدره فى مكة ، وغسل قلبه ، وأركبه البراق وصعد به من بيت المقدس إلى السموات العلا ، وقابل الرسل وصلى بهم ، ورحبوا به فى الأرض وفى السماء ، وعرفهم رسول الله ﷺ ، ووصف خلقهم ، وخلقتهم ، وقد فرض الله الصلاة على المسلمين خلال معراجه ﷺ ، ووعد الله سبحانه بمضاعفة مثوبة أداء الصلاة فجعل جزاء كل صلاة عشرا مثلها .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... منها :

الركيزة الأولى

الثقة الدائمة فى عون اللّه تعالى

اشتد الخطب على المسلمين ، ونشط الكفار فى اضطهادهم لرسول الله ﷺ وللمسلمين فى مكة ، وضاعفوا عداوتهم له بعد وفاة أبى طالب ، وخديجة رضى الله عنها ، وخططوا لقتل رسول الله ﷺ .

وكان لكل هذه الأحداث وقع مؤلم على رسول الله ﷺ ... وهنا جاءت معجزة الإسراء والمعراج لتؤكد لمحمد ﷺ أنه فى معية الله ، وأن العناية الربانية تصونه وتحميه ، وأن الكفار لن ينالوا منه ، ولا من رسالته شيئا ... وما يقوم به الكفار قدر من الله ليميز به الخبيث من الطيب .

والدعاة المعاصرون عليهم أن يمتلئوا ثقة فى الله الذي يدعون لدينه ، فهو العزيز الحكيم ، وليعلموا أن تمام الثقة يحتاج منهم أن يقوموا بواجبهم الذى لزمهم .

عليهم أن يكونوا مؤمنين بالله حق الإيمان ، متمكنين من معرفة دنيهم ، وطرق الدعوة إليه ، صادقين فى عملهم ، وأداء رسالتهم ، متحملين أى أذى يلحق بهم ، وهم فى سبيل الله يعملون .

إن نصر الله يأتى لمن يستحق ، ويظهره الله لعباده المخلصين فى النهاية ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾[1] **، ليعلم الدعاة أن قدرة الله غالبة ... وجنوده كثر ... ونصره للحق أكيد ...**

الركيزة الثانية

عقوبة الظالم لا مفر منها

رأى النبى ﷺ فى رحلة المعراج أقواما ، وهم يعذبون على مظالمهم التى ارتكبوها فى الدنيا ، وهى جرائم متنوعة تدور حول العرض ، والمال ، والضلال ، والكذب ... إلخ .

وفى ذلك درس يجب التنبيه عليه ، وهو أن الظلم لا ينتهى ، والظالم سينال عقوبته حتما ، وهو إن نجا فى الدنيا ، فلن يفلت من العقوبة الأخروية .

وهو أمر لابد أن يعيه كل مسلم ، والدعاة فى المقدمة .

لا يصح أن يعمل الدعاة بغير ما يدعون إليه ، ولا يجوز أن يهمل أحد من الدعاة القيام بالواجب الذى تحمله ، ولا عذر له فى أى تقصير يرتكبه .

ويجب أن تحدد مسئولية الدعوة إلى دين الله تعالى أمام كل مسلم ، سواء كان حاكما ، أو محكوما ، صغيرا ، أو كبيرا ، غنيا ، أو فقيرا ،

---

(١) سورة يوسف ، الآية ١١٠ .

رجلا ، أو امرأة ... ليعرف الكل أن الله سوف يحاسبه على موقفه من مسئوليته ... ولن يفلت مقصر من العقاب ، لأن تقصيره ظلم لنفسه ، وعدوان على دين الله تعالى .

الركيزة الثالثة

قيام الدعوة على الوضوح والبيان

أرى الله رسوله عقوبة الظالمين فى صور عملية تمثيلية ، وهذا أوضح فى البيان والتفصيل لشدة العقوبة ، ومناسبها للجرم الذى ارتكبه المعتدى .

وهذا درس يتعلم منه الدعاة ضرورة توضيح ما يقولونه للمدعوين ، لأن الفكرة إذا لم تظهر وتتضح لا تكون شيئا ، ولا يسأل عنها أحد ، لبقائها فى عالم المجهول الذى لا حقيقة له .

فى مجال التربية والتعليم يهتم المعلمون بالوسائل التعليمية لإيصال المعلومات إلى مستمعيهم واضحة بينة .

والدعاة فى حاجة إلى هذا التوضيح ، وعليهم أن يستفيدوا فى هذا المجال بالصورة ، والحكاية ، وضرب المثل ... وغير ذلك من صور التوضيح .

الركيزة الرابعة

تفضيل الله لرسوله محمد ﷺ

أظهرت رحلة الإسراء والمعراج علو مقام رسول الله ﷺ عند ربه ، ومع رسل الله عليهم السلام ، وأمام الناس ... فلقد أكرم الله محمدا ﷺ بهذه

الرحلة العلوية ، وقربه منه ، وأراه سدرة المنتهى ، وأبلغه منزلة لم يبلغها أحد من الرسل .

لقد كانت مرحلة رحلة الإسراء والمعراج تأييدا لمحمد ﷺ ليعرف قربه الدائم من ربه ، ويتأكد من مقامه لديه ، وليبقى على إيمانه بقدرة الله المطلقة ورعايته الشاملة ، وليرى من آيات ربه الكبرى ... وليعلم قرب النصر ، وثبوت الحق ، وانتشار الإسلام .

لقد كانت الإسراء والمعراج مرحلة جديدة فى الدعوة إلى الله تعالى أخذت النبى ﷺ فى رحلة أرضية ، سماوية ، رأى فيها مستقبل الإسلام ، وظهوره على الدين كله ...

لقد عاش محمد ﷺ الماضى ، والحاضر ، والمستقبل فى هذه الرحلة الخالدة .

رأى الماضى ، وقابل الأنبياء فى إقامتهم عند الله ، وسمع منهم الترحيب به والسرور لمبعثه .

ورأى الحاضر حيث جاوز الأفق ، وشاهد الناس ، وهم يعاقبون على أفعالهم التى ينهاهم عنها .

ورأى المستقبل حيث انتصار الإسلام ، وفوز المسلمين بطاعتهم لشرع ربهم العظيم .

لقد صلى الأنبياء جميعا خلف رسول الله ﷺ فى بيت المقدس حيث أحضرهم الله لاستقباله فى بيت القدس ، والترحيب به قبل عروجه إلى الله تعالى وعرج به ﷺ إلى السموات العلا ، وعلا إلى سدرة المنتهى ، وبلغ مبلغا لم يصل إليه أحد قبله ، ورأى الألوان والجمال وهو ينظر إلى

سدرة المنتهى ودخل الجنة ، وشاهد نعيمها ، وشم رائحتها ، وأراه الله صورة المعذبين فى النار ... وعاد إلى الأرض فى رحلة العودة مخبرا برحلته ليزداد المؤمنون إيمانا وتصديقا ، ويعلم جميع الخلق مقام محمد ﷺ .

والأمة الإسلامية اليوم فى حاجة إلى الاستفادة بسيرة الرسول ﷺ ، وبخاصة فى أحداثها الكبرى .

إن المسلمين فى حاجة إلى تمتين صلتهم بالله تعالى ، وتواصلهم معه بالذكر والاستغفار والطاعة ... وهم فى حاجة إلى تسليم أمورهم لله فهو اللطيف الخبير ، وهو الرحمن الرحيم .

- و -
لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

(١) الله ينصر عباده المخلصين ، ويؤازرهم ، وينجيهم من الشدائد والمخاطر .

(٢) ضرورة الطهارة القلبية لقبول الأعمال الصالحة ، وعبادة الله تعالى .

(٣) ابتهاج الكائنات ، وترحيب جميع الخلق ببعثة محمد ﷺ .

(٤) أهمية الالتزام بآداب الإسلام فى الاستئذان عند دخول البيت ، وتسليم القادم على القاعد ، والبشاشة والسرور فى لقاء المسلم بأخيه .

(٥) فضل ماء النيل ، فهو نبع فى الجنة ، وفضل اللبن فكله خير .

(٦) الصلاة هى العبادة الوحيدة التى شرعها الله فى السموات العلا ، وبلغها لرسوله ﷺ بلا واسطة .

(٧) تكريم الله لأمة محمد ﷺ بأن قدر لهم الحسنة بعشر أمثالها ... إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله تعالى .

(٨) يستحب الإكثار من الطلب ، والإلحاح على الكريم ، والله هو أكرم الأكرمين .

(٩) الاستفادة من تجارب الآخرين عامل مهم للنجاح .

(١٠) فى هدوء الليل نفحات وسبحات ، فليتعرض لها المخلصون الصادقون

ـ ٥٧ ـ

٧٣ ـ باب في ذكر المسيح ابن مريم عليهما السلام والمسيح الدجال

[١٠٧] ، (١) ٣٤٣٩ حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال : ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال : إن الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية[١] .

[١٠٨] ، (٢) ٣٤٤٠ حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : أراني الليلة عند الكعبة في المنام ، فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال ، تضرب لمته بين منكبيه ، رجل الشعر ، يقطر رأسه ماء ، واضعا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت .

فقلت : من هذا ؟

فقالوا : هذا المسيح ابن مريم .

ثم رأيت رجلا وراءه جعدا قططا ، أعور العين اليمنى ، كأشبه من رأيت بابن قطن ، واضعا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٠ كتاب الأنبياء : ٤٨ باب ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ ﴾ .

فقلت : من هذا ؟

فقالوا : المسيح الدجال[١] .

[١٠٩] ، (٣) / ٣٨٨٦ حديث جابر بن عبد الله ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلا الله لي بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته ، وأنا أنظر إليه[٢] .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول الإخبار عن صفة المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام ، وعن صفة المسيح الدجال ، وعن تأييد الله لرسوله ﷺ فى رحلة الإسراء والمعراج .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

تحدث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إلى الناس ، وبين لهم أن رسول الله ﷺ كان بين أصحابه يوما ، وكان ظاهرا لهم جميعا ، فحدثهم عن المسيح الدجال ، ورد مزاعمه . يقول ابن عمر رضى الله عنهما :

---

(١) أخرجه البخاري في: ٦٠ كتاب الأنبياء: ٤٨ باب ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾ .

(٢) أخرجه البخاري في : ٦٣ كتاب مناقب الأنصار : ٤١ باب حديث الإسراء وقول الله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ . وللحديث رواية عند البخارى برقم (٤٧١٠) .

(ذكر النبي ﷺ يوما بين ظهري الناس) **أى أن النبى ﷺ خرج يوما للناس ، وحدثهم ، وهو ظاهر بينهم وهم جميعا يرونه ، ويسمعون قوله ، ودلالة هذا الذكر أنه يفيد سماع الحاضرين للحديث ، وأهمية الموضوع الذى يتناوله .**

(المسيح الدجال) **أى تحدث النبى ﷺ وهو مع الناس عن المسيح الدجال وجاء وصفه بالدجال تمييزا له عن المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام .**

وقد سمى (المسيح الدجال) **بهذا الاسم المركب للدلالة على صورته وخلقه ، ليحذره من يكون حيا عند مجيئه .**

و (المسيح) **اسم يسمى به عيسى عليه السلام والدجال ، ويفرق بينهما بما يأتى بعد الاسم بدلا عنه ، وسمى عيسى عليه السلام بالمسيح ؛ لأن الملائكة مسحته ببركة الله ، وسمى الدجال بالمسيح ؛ لأن ممسوح العين اليمنى ، وأن مكان عينه مستويا لا انخفاض فيه ، ولا ارتفاع ولا انبعاج . فقد خلقه الله بعين واحدة ، ووصف بـ** (الدجال) **لكذبه ، وخداعه الناس ؛ فهو يدعى الألوهية ، ويجوب الأرض كلها ، ويحقق الله على يديه بعض خوارق العادات استدراجا له ليتمادى فى ضلاله وفساده وادعاءاته .**

وقد وصفه النبى ﷺ للناس حتى لا يغتر به مسلم ، فهو ممسوح العين اليمنى ، وهو كذاب أشر ، يعرف الله المؤمنين به حتى لا يصدقوه .

(فقال) ﷺ : (إن الله ليس بأعور) **أى إن الله منزه عن صفات الحوادث وعن جميع النقائص ، وأن الدجال خلق من خلق الله ، حادث يدل شكله على**

حدوثه ، ونقصه ، وينبغى للمؤمنين أن يعلموا هذا ، ويتيقنوا من أن الدجال ليس إلها ، والا كان كاملا .

والحديث يخاطب العقلاء لينصرفوا عن الدجال عند ظهوره ، ولا يغتروا بالخوارق التى يستدرجه الله بها ، ويكفى أن يروا عواره ليكذبوه فى ادعاء الألوهية ، وهذا ما عناه قوله ﷺ : (ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى) **وهذا كاف فى رد كذبه ومزاعمه .**

(كأن عينه عنبة طافية) **أى أن عينه بارزة فوق الجلد المستوى ، وأنها تشبه حبة عنب خرجت من العنقود وصارت فوق العنقود بارزة ... وهذا تشبيه يفيد قبح الصورة ، وشذوذ الخلقة ، وعدم تناسق خلقته مع صورة الأدمى الحسنة ، واشارة إلى خروجه عن توجهات الأمة ، وتوحدها فى طريق الله تعالى .**

وفى الحديث الثانى : **يبين رسول الله ﷺ أن الله أراه فى المنام صورة بعض الرسل . فيقول ﷺ :** (أراني الليلة عند الكعبة في المنام) **أى وأجد نفسى وحالى فى رؤيا منامية أرانيها ربى للاعتبار والعظة والنصيحة ، ورأيت أنى كنت عند الكعبة ، وسميت الكعبة بهذا الاسم لأنها تشبه المكعب الهندسى فى طولها وعرضها وعمقها ، ويشير مضمون قوله ﷺ أنها رؤيا حق من الله وفيها كان النبى ﷺ عند الكعبة ، ورأى الرسل ، فوصفهم كما رأى .**

(فإذا رجل آدم كأحسن ما يرى من أدم الرجال) **أى أرانى الله فى هذه الليلة رجلا أسود جميلا يقر كل من يراه بأن سواده يزيده بهاء وجمالا كما يظهر الجمال فى حسن الرجال السود .**

(تضرب لمته بين منكبيه) **أى يصل شعره الذى يجاوز شحمة الأذن إلى مجمع عظم الكتف ، وبهذا ظهرت صورة الرجل ؛ فهو رجل جميل له شعر طويل مسترسل إلى كتفيه . والشعر يسمى إذا بلغ الكتف باللمة ، واذا طال أكثر سمى** جمة ، **واذا قصر عنها سمى** وفرة ... **ويراد بالمنكب الكتف.**

(رجل الشعر) **بفتح الراء وكسر الجيم أى مسترسل الشعر ، وقد دهنه صاحبه ومشطه ، وسرحه ورجله .**

(يقطر رأسه ماء) **أى يسيل من شعره الماء من غسله وترجيله .**

(واضعا يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت) **أى رأيت هذا الرجل جميلا بسواده ، مرجلا لشعره ، واضعا يديه على كتفى رجلين يسيران أمامه ، ولم يحددهما أحد .**

(وهو يطوف بالبيت) **أى رأيت الرجل على هيئته المذكورة أثناء طوافه بالبيت الحرام ، ورجلان أمامه يقودانه فى الطواف .**

وقد تعجب النبى ﷺ من صورة الرجل الذى يطوف أمامه ؛ فسأل عنه . يقول ﷺ : (فقلت : من هذا ؟) ...

(فقالوا : هذا المسيح ابن مريم) **وقد رأيته فى حسنه وجماله .**

فإن قيل : **وردت رواية للحديث تفيد أن المسيح كان أجعد ، وحديث آخر يفيد أنه كان رجل الشعر . فكيف نوفق بين الروايتين ؟**

أقول : **المقصود الجعد فى وصف عيسى عليه السلام أنه كان جعد الجسم لا الشعر ، لاجتماع جسمه ، واكتنازه فلم يكن طويلا ولا قصيرا ، وانما كان ربعة .**

وجاء مثل ذلك الاختلاف فى لونه أيضا ؛ فقد جاء فى رواية أنه أحمر ، وفى حديث الباب أن لونه أسمر ... والأحمر شديد البياض مع الحمرة ،

والآدم هو الأسمر ... ويمكن الجمع فى ذلك أن لونه كان أسمر إلا أنه عند التعب يتحول إلى الحمرة .

(ثم رأيت رجلا وراءه جعدا) **أى رأيت خلف المسيح عليه السلام رجلا قصير الشعر ، أجعد .**

(قططا) **أى شديد جعودة الشعر ، ويطلق الجعد ويراد به الذم بصورة مطلقة فى خصال عدة ، فيقال للبخيل جعد اليد ، ولسيىء الخلق جعد الخلق ، وللقصير جعد الطول ، وللجاهل جعد العلم ... وهكذا .**

(كأشبه من رأيت بابن قطن) **أى إن هذا الرجل الذى يمشى خلف المسيح عليه السلام أشبه برجل رأيته وهو عبد العزى بن قطن بن عمرو بن جندب بن سعيد بن عائد بن مالك ؛ من يهود بنى المصطلق . فقد اشتهر بالدمامة وسوء المنظر ، وقبح الخلق والخلقة .**

هذا الرجل هو المسيح الدجال ، يسير خلف المسيح عيسى عليه السلام ، ويدعو الناس إلى تأليهه والكفر بالله تعالى .

وكان أكثم بن أبى الجون رضي الله عنه قريب الشبه بابن (قطن) **فسأل رسول الله ﷺ : هل يضرنى شبهه ؟**

قال ﷺ : لا ... أنت مسلم وهو كافر[1] .

وفى الحديث الثالث : **يقول النبى ﷺ :** (لما كذبتني قريش) **أى حينما كذبت قريش بى صبيحة ليلة الإسراء والمعراج ، ولم يصدق أكثرهم أنه أسرى بى إلى بيت المقدس ، وعرج بى من بيت المقدس إلى السموات العلا**

---

(١) مسند الإمام أحمد . مسند أبى هريرة رضي الله عنه ج١٣ ص٢٨٣ .

فى ليلة واحدة ، وعدت بعدها إلى مكة .

فى هذا الوقت (قمت في الحجر) **وهو المكان المدور الواقع شمال الكعبة .**

(فجلا الله لي بيت المقدس) **أى كشف الله لى البيت ؛ فأخذت أنظر إليه وأجيبهم بما يسألون .**

عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : (فسألوني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا لم أكرب مثله قط ، فرفع الله لي بيت المقدس أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا نبأتهم به)[1] .

وهذا يفيد أن بيت المقدس وضع أمام رسول الله بحيث يراه ، ويصفه.

وفي حديث ابن عباس المذكور : "فجيء بالمسجد ، وأنا أنظر إليه حتى وضع عند دار عقيل ، فنعته وأنا أنظر إليه" .

وهذا أبلغ في المعجزة ، ولا استحالة فيه ؛ فقد أحضر الله عرش بلقيس في طرفة عين لسليمان ، وهو يقتضي أنه أزيل من مكانه حتى أحضر إليه وما ذاك في قدرة الله بعزيز .

ووقع في حديث أم هانئ : "فخيل لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته" وهذا يحتمل أن يكون المراد أنه مثل قريبا منه كما تقدم نظيره في حديث (أريت الجنة والنار) وتأول قوله (جيء بالمسجد) أي جيء بمثاله .

---

(١) المسند المستخرج على صحيح مسلم لأبى نعيم ج١ ص٢٣٩ .

(فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه) **أى أخذت أنظر إلى البيت وأجيبهم على كل أسئلتهم ، وفى حديث أم هانئ رضى الله عنها : أن القرشيين سألوا رسول الله ﷺ عن عدد أبواب المسجد . يقول ﷺ : (ولم أكن قد عددتها فجعلت أنظر إلى بيت المقدس ، وأعدها بابا بابا) .**

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عناية الله تعالى بالناس بإرسال محمد ﷺ إليهم مبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه ، وسراجا منيرا .

وختم الله بمحمد ﷺ رسالاته ، وأنبياءه ، وأكرمه بالنصر والتمكين فى العالمين .

تولاه الله منذ نشأته ، واختاره من خير قبائل العرب نسبا ونفسا ، وصنعه لتحمل مشاق البلاغ والدعوة ، وكان له نعم النصير والمعين .

ووفقه بالزوجة الصالحة التى وفت ، وأحسنت ، وآزرت ، وقدر لعمه أبى طالب أن ينصره ، ويؤيده رغم أنه لم يسلم .

وبعث ﷺ ورأى من أهله وقومه فى مكة صدودا وعنتا ، وألحقوا به وبمن يؤمن به وبمن يتبعه الأذى والضرر ... واستمر الأمر فى مكة يراوح مكانه نبى يدعو ، ومسلمون ضعفاء ، وكفار معتدون ، وعون لرسول الله ﷺ من زوجته خديجة رضى الله عنها ، وعمه أبى طالب إلى أن جاء أجل خديجة وأبى طالب فماتا فى عام واحد ، وحزن رسول الله ﷺ خوفا من خفوت صوت الدعوة ، وظهور البغى والفساد ... ولكن إرادة الله غالبة ؛ فقدر لرسوله ﷺ معجزة الإسراء والمعراج ليأخذ منها زادا ومددا يعينه فى

مواصلة البلاغ والدعوة ، ويؤكد له أن أمر الله غالب ، وأن النصر مع الصبر ، والله ولى الصالحين ، وقد دلت معجزة الإسراء والمعراج على عدة أمور منها :

أولا : بينت معجزة الإسراء والمعراج لرسول الله ﷺ أن قدرة الله لا يحدها حد ، ولا يعجزها أحد ، ولا يمنع نفوذها سبب أو علة ، فها هو عليه الصلاة والسلام يرحل من مكة إلى بيت المقدس ، ويعرج به من بيت المقدس إلى السموات العلا ، ويعود إلى بيت المقدس ثم إلى مكة ، ودفء فراشه ما يزال باقيا حيث كان ينام .

ثانيا : يملك الله من الإنسان كيانه كله ، فهو خالق الظاهر والباطن وارادته نافذة ، وما الأسباب التى نراها مقدمات للحوادث إلا ظواهر قدرها الله تعالى لتناسب الفكر البشرى ، ويهتدى بها العقل ، ولذا رأينا فى هذه المعجزة شرح الملائكة صدر رسول الله ﷺ ، وغسل قلبه ، وملأه بالإيمان والحكمة ، وهى عملية متحركة أمام الناس ، وهى فى حكم الله تتم بأمره سبحانه (كن) .

ثالثا : يسخر الله الوجود كله لمراده سبحانه وتعالى ؛ ففى هذه المعجزة رأينا هذه الكوكبة الهائلة من مخلوقات الله تعمل فى مسار واحد ، تلاقت بأمر الله . فها هو جبريل ينزل من السقف ويفتحه ، ويشق صدر النبى ﷺ ، ويغسل قلبه ، وهذا البراق يحمل رسول الله ﷺ وجبريل عليه السلام إلى بيت المقدس فى لحظات خاطفة ، وفى بيت المقدس يجتمع الأنبياء للقاء محمد ﷺ ويصلون خلفه ، وينقادون لإمامته ورسالته ، وبعد ذلك يصعد الرسول ﷺ ببراقه ومعه جبريل عليه السلام إلى السموات حيث يجد فى كل سماء رسولا يستقبله ، ويرحب به ويصل رسول الله ﷺ إلى سدرة

المنتهى ، ويدخل الجنة ، ويرى النار ، ويشاهد صور الممتعين والمعذبين ويعود من حيث أتى ، وقد وعى كل ما رأى ، يقول الله تعالى : ﴿ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨ ﴾[1] **... كل هذه الحوادث ، وهذه الكوكبة قد تلاقت فى منظومة قدرية أرادها الله تعالى لمحمد ﷺ ، ليبقى ذكره بين الأنبياء خاتما لهم واماما للإنسانية كلها .**

رابعا : **تقدير الله فى أن يكون بيت المقدس هو مكان تجمع الرسل ، وامامة النبى ﷺ للأنبياء ، والانطلاق إلى السموات العلا تعريف لمنزلة محمد ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام ، واظهار لختمه الرسالات ، وبيان بالتقاء الديانات وأتباعها حول بيت المقدس ... وتنبيه لأمة محمد ﷺ ليقوموا بدورهم فى قيادة بيت المقدس ؛ فهم مسئولون عنه أمام الله تعالى**

خامسا : **فرض الله الصلاة ورسول الله ﷺ عند سدرة المنتهى ، ليعلم المسلم أن صلاته تعنى اتصاله بالله ، ليرتقى بها عن لوثات المادة ، ونزغات الشهوة ، وليطهر من أجلها جسده وروحه ، وليجعلها سلم الصعود والرقى إلى الله تعالى .**

سادسا : **توضح معجزة الإسراء والمعراج أن الله مع رسوله ، ومع المؤمنين ينجيهم من المهالك ، وينصرهم على أعدائهم بوسائل عديدة لا يعرف كنهها وحقيقتها إلا رب العالمين .**

فها هو رسول الله ﷺ يكلفه الله بفرض خمسين صلاة ؛ فيهيئ الله له موسى عليه السلام ويعرفه بطبيعة البشر ، وينصحه بمراجعة الله ، ويدرك محمد

---

(١) سورة النجم ، الآية ١٧ ، ١٨ .

ﷺ أن فى التكليف فسحة للمراجعة ، ويستمر فى مراجعة ربه حتى يفرضها الله بخمس فى الأداء ، وخمسين فى الأجر والثواب ، وحين يعود لمكة ويخبر الناس بالمعجزة ، ويحدث التحدى يأخذون فى سؤاله عن عدد أبواب المسجد ، وأماكنها ، وألوانها فيظهرها الله له ، ويمثلها أمامه ، فيصفها لهم كما هى أمامه ، بل ويخبرهم بقوافل لهم فى طريق العودة من الشام ، وما حدث لها ، وتصدق القافلة ما أخبر عنه رسول الله ﷺ بعد وصولها إلى مكة .

إن ربى رحيم ودود ، وهو للمخلصين ناصر ومعين ، ويا ليت قومى يعلمون .

سابعا : **قدر الله لمعجزة الإسراء والمعراج أن تبقى عناصرها المادية بين الناس ، يرونها حسا ، ويبصرونها معنى ، ويعيشونها حركة وعملا ، فالمسجد الحرام بمكة ، وبيت المقدس بالقدس مسجدان تشد إليهما الرحال ، والصلاة عمل يشمل الليل والنهار ، وصراع المذاهب يدور حول المساجد ، ودين الله تعالى .**

ثامنا : **قدر الله لحكمه فى الأرض أن يوحى به إلى محمد ﷺ ؛ فنزل القرآن ، ونزلت السنة ، وأرى الله رسوله ﷺ عمل الناس فى الدنيا ، وبين مصيرهم فى الآخرة ... وأراه عيسى عليه السلام بجماله ، وكماله ، وحسنه ، ووضح له نزوله فى المسلمين حاكما ، واماما فى الطاعة والانقياد لشريعة محمد ﷺ ... كما عرفه بفتنة المسيح الدجال ، وأراه صورته القبيحة ليحذره من يقدر الله له رؤيته ؛ فهو أعور ممسوح العين اليمنى وعينه طافية فوق**

الجلد كأنها حبة عنب خرجت من العنقود مكتوب فى جبهته إنه كافر ... ويستدرجه الله وهو يدعى الإلهية بتقدير أمور بزعم أنه فاعلها مثل إنزال المطر واحياء بعض الموتى ، إلا أن صورته القبيحة تنبى عنه ، وقانا الله من فتنته .

تاسعا : **تبقى معجزة الإسراء والمعراج بين المسلمين بحيويتها وقوتها ما بقى القرآن الكريم ، والسنة النبوية فقد حافظا على أحداثها ، وتفصيلاتها ، وأوضحها العلماء بالشرح والتفصيل .**

ولو صدق المسلمون فى إيمانهم لصدقهم الله ، ولأعانهم ، ولنصرهم كما حدث للمسلمين فى العصر الأول .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام ، وخروج المسيح الدجال قبل قيام الساعة .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... منها :

الركيزة الأولى

فتنة المسيح الدجال

فى آخر الدنيا ينزل فى الناس المسيح الدجال يفتن الناس بما يظهره الله على يديه من خوارق للعادات ؛ كإنزال المطر حين يطلبه ، وكإحياء

الموتى ، وهو بكل ذلك يدعى الألوهية ، ويجوب البلاد كلها ما عدا مكة والمدينة ... ويؤمن به فريق من الناس ، ويفتنون بما يظهره لهم .

وقد دعا الله المسلم أن يستعيذ بالله من فتنة المسيح الدجال ، وعرف الناس به ، وحذرهم من الافتتان به ، ووضح لهم أن الكذب أهم صفاته ، وكذبه واضح فيما يلى :

أولا : **أنه أعور بصورة شاذة ؛ فالعين مكانها مستويا لا غور فيه ، ولا انبعاج ، وشكله مقيت ، ولا يصح أن يكون المتصف بما اتصف به الدجال إلها ، فالله متصف بكل كمال ، والدجال قبيح لا حسن فيه .**

ثانيا : **وسمه الله بحقيقته ووضع على جبهته أنه كافر .**

ثالثا : **ادعاء الدجال الألوهية أكذوبة مفضوحة ، فهو مخلوق حادث ، وما سيظهره استدراج له أخبرنا الرسول به ، ولا أثر له فى إيجاده فهو عبد عاجز مخلوق ، ومن عجزه أنه لا يمكنه دخول مكة والمدينة .**

إن من رحمة الله بعباده المؤمنين أن عرفهم بفتنة المسيح الدجال ، وأمرهم بالاستعاذة منه .

الركيزة الثانية
ما كذب الفؤاد ما رأى

وقعت معجزة الإسراء والمعراج لرسول الله جسدا وروحا ، وقد مكن الله لرسوله ﷺ بدقة الفهم ، وسعة الأفق ، وقوة الحفظ ؛ فحدثنا بكل ما رأى وسمع يقول الله تعالى : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[1] .

---

(١) سورة النجم ، الآية ٢ .

لقد التقى رسول الله ﷺ بسائر الرسل عليهم السلام وعلموا مبعثه ، ورحبوا به .

ووصف لنا من بينهم آدم وعيسى عليهما السلام .

وقد تحدث الرسول ﷺ لأهل مكة بهذه المعجزة ، ولما سألوه عن أشياء فى بيت المقدس جلاه الله له فوصفه لهم .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير الأحاديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) جمال الظاهر دليل حسن الباطن ، ولذلك حسن الاهتمام بالظاهر وتحسينه .

(٢) يختار الله رسله من حسان الوجوه .

(٣) الله فى عون عباده المخلصين ينصرهم ، ويؤيدهم ، ويمدهم بأسباب الفوز والنجاح .

(٤) علو مقام رسله ، وتفصيله محمدا ﷺ على سائر الرسل .

(٥) نصر الله لعباده لا يرتبط بالأسباب وعادات الناس .

(٦) على المسلم أن يستعيذ من فتنة المسيح الدجال .

ـ ٥٨ ـ

٧٤ ـ باب في ذكر سدرة المنتهى

[١١٠] ، (١) ٣٢٣٢ حديث ابن مسعود ﷺ عن أبي إسحق الشيباني ﷺ ، قال : سألت زر بن حبيش عن قول الله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾ قال : حدثنا ابن مسعود أنه رأى جبريل له ستمائة جناح[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يدور موضوع الحديث عن قرب رسول الله ﷺ من سدرة المنتهى حين عرج به ، وأنه استقبل الوحى خلال هذا القرب ، وأنه رأى جبريل عليه السلام على حقيقته كما رآه فى أول الوحى فى غار حراء .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قرب من سدرة المنتهى (فكان قاب قوسين) **أى أنه ﷺ كان أقرب إلى سدرة المنتهى بمقدار قوسين ، والمراد بالقوس الذراع الذى يقاس به الشيء طولا وعرضا .**

(أو أدنى) **أى وكان ﷺ أكثر قربا من الذراعين إلى سدرة المنتهى .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٩ كتاب بدء الخلق : ٧ باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء . وللحديث روايات عند البخارى في أرقام : (٤٨٥٦ ، ٤٨٥٧) .

فإن قيل : **فسر بعض المحدثين القوس على حقيقته وذكروا أنه الرمح أو نحو ذلك ، فأى التفسيرين أرجح ؟**

أقول : **تفسير القوس بالذراع وهى آلة مقياس الأشياء عند العرب أولى ؛ لأن رسول الله ﷺ كان يخاطب العرب بما عرفوا والفوا ، وهذا ما تعودوه ، وأيضا فإن معرفة طول القوس يئول إلى معرفة طوله ، وبذلك يتحد المعنيان**

(فأوحى إلى عبده ما أوحى) **ذهب المحدثون مذهبين فى بيان فاعل فأوحى .**

فقال جماعة : **إنه جبريل عليه السلام ، فقد أوحى إلى محمد ﷺ ما أمره الله به** ، ويكون معنى الحديث ، **ولقد رأى محمد ﷺ جبريل عليه السلام فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد ﷺ ما أمره الله به بعد أن تدلى وقرب منه .**

وذهب آخرون **إلى أن الذى أوحى هو الله تعالى بعد أن قرب محمد ﷺ من سدرة المنتهى** ، وعلى رأى هؤلاء **يكون العبد الموحى إليه هو جبريل عليه السلام فقد أوحى الله إليه ليوحى إلى محمد ﷺ ، ويجوز أن يكون الموحى إليه هو محمد ﷺ بإحدى صور الوحى التى لا مواجهة فيها .**

وانى أرى **فى الرأى الأول وضوحا يلتقى مع وظيفة جبريل عليه السلام ؛ فهو حامل الوحى إلى رسول الله ﷺ ، وأن ابن مسعود رضي الله عنه حينما سئل عن معنى الآية أجاب بصورة جبريل عليه السلام كما رآه ﷺ ، فذكر أن له ستمائة جناح يتناثر منها تهاويل الدر والياقوت ، وذلك فى قوله رضي الله عنه** : (أنه رأى جبريل له

ستمائة جناح) **أى إنه ﷺ أخبر أصحابه بأنه رأى جبريل سادا للأفق ، له ستمائة جناح كما رآه عند بدء البعثة .**

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

الحديث جزء من أحاديث رحلة المعراج ، وفيه يسأل أبو إسحاق الشيبانى زر بن حبيش رضى الله عنهما عن معنى قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝ ﴾[1] **لما يظهر منها من أن رسول الله ﷺ قرب من سدرة المنتهى حتى كان بينه وبينها مقدار ذراعين أو أقل من ذلك ، كما سأله عن الموحى والعبد الموحى إليه ... فأجاب زر ﷺ بأن عبد الله بن مسعود ﷺ ذكر عند هذه الآية أن لجبريل ستمائة جناح يتناثر منها اللؤلؤ والمرجان ، وأن جبريل تجلى لرسول الله ﷺ فى هذا المقام سادا للأفق ، وأن هذه هى المرة الثانية التى رأى فيها رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام بعد رؤيته حين جاء بالوحى أول البعثة .**

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث الاهتمام بمعرفة المراد من قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ **ويوضح أن المراد بهذا القرب هو قرب رسول الله من سدرة**

---

(١) سورة النجم ، الآية ٩ ، ١٠ .

المنتهى ، وأنه ﷺ رأى جبريل عليه السلام عند سدرة المنتهى على حقيقته له ستمائة جناح يخرج منها بريق اللؤلؤ ، وجماله ، وحسنه .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن الحديث ركيزة هامة ... هى :

رفعة مقام محمد ﷺ

فى ليلة الإسراء والمعراج تجلى للملإ مقام رسول الله ﷺ . فقد رفع الله سبحانه وتعالى منزلته ، وقربه منه ، ورأى سدرة المنتهى ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ورأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية التى رآه عليها يوم بدء الدعوة ، وفى هذا نصر لرسول الله ﷺ ، ودعوة للناس ليؤمنوا ، ويصدقوا .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير حديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) البحث عن الحقيقة يكون بسؤال العارف بها .

(٢) من المهم أن يتعاون المسلمون فى الوصول للحق .

(٣) المسلمون أمة واحدة تسعى للمصلحة العامة والخاصة .

ـ ٥٩ ـ

٧٥ ـ باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾

وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟

[١١١] ، (١) ٤٨٥٥ حديث عائشة رضى الله عنها عن مسروق ﷺ قال : قلت لعائشة : يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه ؟

فقالت : لقد قف شعري مما قلت ، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب :

من حدثك أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ ، ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ .

ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ .

ومن حدثك أنه ﷺ كتم (وحيا) فقد كذب ، ثم قرأت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ الآية ولكنه رأى جبريل عليه السلام في صورته مرتين[١] .

حديث عائشة قالت : من زعم أن محمدا رأى ربه فقد

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير : ٥٣ سورة النجم : ١ باب حدثنا يحيى حدثنا وكيع .

[١١٢] ، (٢) أعظم ، ولكن قد رأى جبريل في صورته ، وخلقه ساد ما بين الأفق[١] .
٣٢٣٤

- أ -
موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول رؤية رسول الله ﷺ ربه فى الدنيا ، وتنفى علم رسول الله ﷺ للغيب ، وأن رسول الله ﷺ بلغ كل ما أوحى الله إليه به.

- ب -
الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

وقع حوار بين ابن عباس وبين كعب رضى الله عنهم حين سأل ابن عباس كعبا وقال له : إنا بنو هاشم نقول : إن محمدا ﷺ رأى ربه مرتين ، ... يريد ابن عباس بقوله هذا معرفة حفظ كعب لحديث رسول الله فى هذه المسألة ، ومعرفة ما قال رسول الله ﷺ عن هذا ؟

فكبر كعب ﷺ حين سمع كلام ابن عباس ، وقال : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد عليهما السلام ، فكلم موسى مرتين ، ورآه محمد مرتين ، ولما علم مسروق بن الأجدع بهذا الحوار جاء لعائشة رضى الله عنها يسألها ، ويعرف ما قاله رسول الله ﷺ فى هذا الموضوع الهام .

يقول مسروق : (قلت لعائشة : يا أمتاه) أصل يا أمتاه : يا أم ، زيدت عليها الألف للاستغاثة ، وأبدلت تاء التأنيث هاء للسكت ...

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٩ كتاب بدء الخلق : ٧ باب إذا قال أحدكم : آمين ، والملائكة في السماء . وللحديث روايات أخرى عند البخارى في أرقام : (٣٢٣٥ ، ٤٦١٢ ، ٤٨٥٥ ، ٧٣٨٠ ، ٧٥٣١) .

وأسلوب الاستغاثة يفيد استغراب مسروق لما سمع ، ولذا جاء ليعرف الخبر من مظانه ، ويعلم حقيقة رؤية رسول الله ﷺ لربه سبحانه وتعالى .

ولذلك سألها ﷺ وقال لها : (هل رأى محمد ﷺ ربه ؟) **يريد ﷺ بسؤاله معرفة الحق فى رؤية رسول الله ﷺ ربه فى معراجه ... ولم يبين مسروق أن سبب مجيئه حوار ابن عباس وكعب رضى الله عنهما ، وانما سأل عن القضية التى أهمته ، وهى رؤية رسول الله ﷺ لربه أثناء عروجه وقربه من سدرة المنتهى ، ومن حسن السؤال أنه لم يذكر سبب سؤاله حتى لا يتأثر المسئول به .**

(فقالت) **عائشة رضى الله عنها لمسروق** (لقد قف شعري) **أى لقد وقف شعر رأسى من التطاول على هيبة الله تعالى لإيمانها الخالص بأنه سبحانه منزه عن الحوادث ، وأن رؤيته سبحانه مستحيلة فى الدنيا وأن رسول الله ﷺ لم ير ربه فى المعراج .**

ووقف الشعر قشعريرة تصيب الرأس ، وتقبض الجلد ، وحينئذ يقف الشعر ، وهذا يتحقق عند حدوث أمر غريب غير متوقع ، فيه شيء من الهلع والفزع ، وكانت عائشة لا تقول بإمكان رؤية الله فى الدنيا .

(أين أنت من ثلاث ؟) **أى قالت عائشة رضى الله عنها لمسروق ﷺ : كيف يغيب فهمك عن قضايا ثلاث تحدث القرآن الكريم عنها ؟ ... وهو استفهام لتقرير الحق فى هذه القضايا .**

ولأهمية هذه القضايا أعقد لكل منها مبحثا خاصا بها :

المبحث الأول

رؤية الله تعالى فى الدنيا

اختلف الصحابة فى هذه المسألة اختلافا بينا :

فذهبت عائشة رضى الله عنها ، وتابعها أبو هريرة ، وابن مسعود ، وأبو ذر رضى الله عنهم إلى إنكار رؤية رسول الله ﷺ لربه فى المعراج ، مستدلين بقوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[١] **أى لا تراه عين قط ، وبقوله تعالى :** ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[٢] **أى إن الله لم يكلم رسولا من رسله مواجهة بحيث يرى فيها الرسول ربه ، وانما كلمه من وراء حجاب ... ولهذا فسرت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قوله تعالى :** ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾[٣] **بأن الآية تعنى أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام مرة أخرى فى المعراج حين سد الأفق أمامه ، وأخذ بعض من رأى السيدة عائشة رضى الله عنها دليله من قوله ﷺ : (واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا)**[٤] .

وخالف بعض الصحابة السيدة عائشة رضى الله عنها ؛ فذهبوا إلى أن رسول الله ﷺ رأى ربه حين معراجه ببصره ... وقد سأل ابن عمر ابن عباس رضى الله عنهم عن رؤية النبى ﷺ لربه فى المعراج .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٠٣ .

(٢) سورة الشورى ، الآية ٥١ .

(٣) سورة النجم ، الآية ١٣ .

(٤) الشريعة للآجرى . كتاب التصديق بالدجال . باب استعاذة النبى ج٣ ص١٣١٠ .

فقال له : نعم رأى الرسول ﷺ ربه[١] .

واستدل ابن عباس ومن معه بما سمعه من رسول الله ﷺ ... وبخاصة أن عائشة لم تستدل بحديث مرفوع عن رسول الله ﷺ ، وانما اعتمدت فى استنباطها من الآيات التى تفيد غير ما ذكرته رضى الله عنها ، لأن معنى قوله تعالى : ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ **لا تحيط به** ، والرؤية **غير الإحاطة ، والآية الثانية متصلة بالكلام لا بالرؤية ، وهما مختلفان .**

ومن المعلوم أن قول الصحابى على صحابى آخر ليس حجة عليه لتساويهما فى الأمانة والثقة .

وذهب فريق ثالث **إلى أن رسول الله رأى ربه بقلبه وفؤاده ، وهذا أمر مقرر لا يعارضه أحد ، فهو ﷺ يعيش مع ربه بقلبه آناء الليل ، وأطراف النهار وهذا الرأى يجمع الآراء على اختلافها ، ويتعارض مع رأى ابن عباس المثبت للرؤيا البصرية .**

وأمام هذا الاختلاف توقف بعض الصحابة عن الخوض فى هذا الاختلاف ، وبخاصة أن المسألة مرتبطة بالعقيدة ، ومسائل العقيدة تحتاج إلى دليل قطعى ، وهو غير موجود مع أحد .

وسائر الأدلة المذكورة فى مختلف الآراء مردود عليها . فقد سئل الإمام أحمد أن عائشة رضى الله عنها قالت : من زعم أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ... فبأى شيء يدفع قولها ؟

قال أحمد رحمه الله : بقول رسول الله ﷺ : رأيت ربى ، وقول الرسول أكبر من قولها[٢] .

---

(١) فتح البارى على صحيح البخارى ج١٨ ص٢٤٠ .

(٢) فتح البارى ج١٨ ص٢٤١ .

وقد قال أحمد ﷺ مرة : رأى الرسول ربه ... ومرة أخرى : رأى الرسول ربه بفؤاده[١] .

وقد ردت السيدة عائشة على تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ **بأنه لا يعنى رؤية الله ، وقالت : أنا أول هذه الأمة من سأل رسول الله ﷺ عن ذلك .**

فقال لى : إنما هو جبريل[٢] .

إن آراء الصحابة رضوان الله عليهم تدور حول ضرورة تنزيه الله عن مشابهة الحوادث ، واتصافه بكل كمال وجلال يليق به .

والحديث الثانى : **يؤيد رأى السيدة عائشة رضى الله عنها ، ويوضح قولها فيما ذهبت إليه .**

المبحث الثانى
علم الغيب

مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله تعالى ، وهى مذكورة فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[٣] **وقد بينت الآية أن للغيب مفاتيح ؛ لتقريب الأمر على**

---

(١) المرجع السابق .

(٢) صحيح مسلم . كتاب. الإيمان. .. باب. معنى قول. الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ ج١ ص١٥٩ .

(٣) سورة لقمان ، الآية ٣٤ .

السامع ، لأن كل شيء يحجب عن الناس فهو غيب عنهم ، وقد جرت عادة الناس أن يغلقوا بالمفاتيح ما يغيبونه عن غيرهم ، ويكون التوصل إليه من بابه فقط بعد فتحه .

وقد اختص الله رسله بالعلم ببعض الغيب . يقول الله تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴾[1] **وحينئذ يكون علم الرسول بغيب ما معجزة له ، كما حدث من عيسى عليه السلام حين كان يخبرهم بما يأكلون ، وما يدخرون فى بيوتهم ، وبما حدث من يوسف عليه السلام إذ كان يخبرهم بطعامهم قبل أن يجيء إليهم .**

ومن ذلك ما أخبر عنه رسول الله ﷺ من غيب تحقق بعد إخباره ﷺ ، ولذلك صدقت السيدة عائشة رضى الله عنها ، وهو تقول لمسروق رضي الله عنه : من قال : إن محمدا ﷺ يعلم الغيب فقد كذب ، وأعظم الفرية .

يقول الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة رحمه الله : فلما كان جميع ما في الوجود محصورا في علمه شبهه المصطفى بالمخازن ، واستعار لبابها المفتاح وهو كما قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾[2] .

قال : والحكمة في جعلها خمسا الإشارة إلى حصر العوالم فيها .

ففي قوله : ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ ﴾[1] **إشارة إلى ما يزيد في النفس ، وينقص ، وخص الرحم بالذكر لكون الأكثر يعرفونها بالعادة ، ومع ذلك نفى أن يعرف أحد حقيقتها وعدم معرفة غيرها مقرر بطريق الأولى .**

---

(١) سورة الجن ، الآية ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) سورة الحجر ، الآية ٢١ .

وفي قوله : ﴿ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ ﴾ **إشارة إلى أمور العالم العلوي وخص المطر بالذكر مع أن له أسبابا تدل العادة على وقوعه بعدها لكنه من غير تحقيق .**

وفي قوله : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ **إشارة إلى أمور العالم السفلي مع أن عادة أكثر الناس أن يموت ببلده ، ولكن ليس ذلك حقيقة ، ولو مات في بلده لا يعلم في أي بقعة يدفن فيها ولو كان هناك مقبرة لأسلافه يدفن فيها معهم إلا أنه لا يمكن تحديد المساحة التى سيدفن فيها سلفا .**

وفي قوله : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ **إشارة إلى أنواع الزمان ، وما فيها من الحوادث ، وعبر بلفظ غد لأن حقيقته أقرب الأزمنة ، واذا كان مع قربه لا يعلم الإنسان حقيقة ما يقع فيه مع إمكان الأمارة والعلامة فما بعد عنه أولى .**

وفي قوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ **إشارة إلى علوم الآخرة ، فإن القيامة أولها ، واذا نفى علم الأقرب انتفى علم ما بعده .**

فجمعت الآية أنواع الغيوب وأزالت جميع الدعاوى الفاسدة ، وقد بين الله ذلك بقوله فى الآية الأخرى وهى قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ **أى إن الإطلاع على شىء من هذه الأمور لا يكون إلا بمراد الله تعالى توفيقه[٢] .**

---

(١) سورة الرعد ، الآية ٨ .

(٢) فتح البارى ج٢٨ ص١٣٩ .

المبحث الثالث

كتمان العلم وتبليغه بالوحى

نزل دين الله وحيا من الله تعالى إلى محمد ﷺ ، وقد أوحى جبريل عليه السلام بكل ما أمر به ، فهو القوى الأمين ، وبلغ الرسول ﷺ أمته بكل ما أوحى الله إليه به ... وكان ﷺ يقول : أتتني رسالة ربى فضقت بها ذرعا ، ورأيت أن الناس سيكذبونني ... فقيل لى : لتفعلن أو ليفعلن بك كذا وكذا[١]

وكان ﷺ يقول : إنما أنا بشر رسول ، أذكركم بالله ؛ فإن كنتم تعلمون أنى قصرت عن تبليغ شىء من رسالات ربى فقولوا .

فقالوا : إنما نشهد إنك بلغت رسالات ربك ، وقضيت الذى عليك[٢] .

وقد أمر الله رسوله بالبلاغ فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[٣] **وبذلك يتضح قيام رسول الله ﷺ بالبلاغ، وأدائه للأمانة، ونصحه للأمة، وصدقت السيدة عائشة رضى الله عنها فى تكذيبها أى قائل يزعم أن محمدا ﷺ كتم شيئا من الوحى .**

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

يبين حديث الباب أمورا ثلاثة تؤكد صدق رسول الله ﷺ فى الدعوة

---

(١) مسند الحميدى ج٢ ص١٣٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد . ومن حديث سمرة بن جندب ﷺ ج٣٣ ص٣٤٨ .

(٣) سورة المائدة ، الآية ٦٧ .

إلى الله تعالى ، وأنه ﷺ بلغ كل ما جاءه من ربه ، وأن الغيب كله لله لم يخبر الرسول إلا بما شاء فيه ، وأن رسول الله ﷺ لم ير ربه عندما صعد إلى سدرة المنتهى فى ليلة معراجه ﷺ .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى
تعظيم الله تعالى

الله هو خالق الخلق ، ومالك الملك ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وليس كمثله شيء ، وهو المتصف بصفات الكمال والجلال اللائقة به سبحانه وتعالى .

وعباد الرحمن خاشعون لله ، خاضعون له ، يؤمنون بأن أمرهم بيده ، والخير لهم أن يصيروا مخلصين لله فى تبتل ، وايمان ، وتسليم .

وقد نشأ خلاف بين الصحابة حول رؤية رسول الله ﷺ لربه فى ليلة الإسراء والمعراج فمنهم من أثبته ، ومنهم من نفاه ، ولكنهم أجمعوا على ما لله من هيبة ووقار ، ولم يحدد أحدهم كنه الرؤية ، ولا حقيقتها ، لأن الله فى كل مكان لا يحده حد ، ولا يحيط به مكان ، ولا يرتبط بزمان ، كما يتضح فى رؤية الحوادث الموجودة فى الكون المخلوق .

وواجب المسلمين أن يؤمنوا بأن الله مطلع عليهم ، عليم بأسرارهم وخفاياهم ، وأنه يتجلى على عباده بالرضى والنصر ، والطمأنينة ، والتوفيق

وعليهم أن يؤدوا ما عليهم ، ويتركوا السباحة فى بحر لا شاطئ له ليحققوا لأنفسهم ما يريدون ، ويصلوا فى سعيهم إلى قرار .

فالله غفور رحيم ، ورحمته وسعت كل شيء ، وهو على كل شيء قدير

الركيزة الثانية

الروح الجماعية فى الحياة الإسلامية

تميز المسلمون بالتعاون ، وتميزت الدعوة إلى الإسلام بالحث على التناصح والتحاب والتآلف فى كل أمور الحياة ، ولقد حقق رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار صورة عملية رائدة لتوحد الأمة ، وتآخيها .

وأحاديث الباب تبين حالة واقعية للترابط بين المسلمين ، فهذا مسروق ﷺ تشغله مسألة رؤية النبى ﷺ لله يوم المعراج ، فيأتى لعائشة رضى الله عنها ، ويسألها عن حقيقة ما سمعت عن هذا الموضوع من رسول الله ﷺ ، فترد عليه عائشة رضى الله عنها بأكثر مما سأل عنه ، وتبين له أن رسول الله ﷺ لم ير ربه ، وأنه ﷺ لا يعلم شيئا من الغيب بغير إذن الله تعالى ، وأنه ﷺ لم يكتم عن أصحابه وحيا نزل عليه .

وبذلك تظهر أشكال التعاون بين المسلمين ، فهم إخوة ، يستفيد كل منهم من صاحبه ، ويستعين به صاحبه ... وشعر كل مسلم ومسلمة بمسئوليته عن دين الله وعن الآخرين ، ولم يكتم علما ، ولم يسكت على إفك ، ولم يرض بضيم يقع على أحد من المسلمين .

هذه الروح الجماعية التى تميزت بها تعاليم الإسلام كلها يجب أن تسود حياة المسلمين كلها طاعة لله ، وتطبيقا لدين الله الحنيف .

الركيزة الثانية

دور المرأة المسلمة فى العلم والفتوى

لم يميز الإسلام الرجال على النساء ، ولم يفرق بينهم إلا فى الأمور الفطرية التى خلقوا بها .

وقد اتضحت هذه المساواة من اللحظة الأولى لنزول الوحى ؛ فكانت خديجة رضى الله عنها أول من أسلم كما كانت أمهات المؤمنين مصدرا للعمل يقصدهم الصحابة للفتوى ، ونقل الحديث . يقول الله تعالى : ﴿ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[1] **، ويقول النبى ﷺ : (النساء شقائق الرجال)**[2] .

وحديث الباب شاهد على هذا ، فلقد قصد مسروق ﷺ أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وسألها عن أمر كانت عند حدوثه بعيدة عن بيت النبوة فأفتته ، وأجابت ، فدل ذلك على أن للنسوة حق التعلم والتعليم ، ومباشرة الدعوة والإفتاء .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) أمهات المؤمنين أوعية علم لحفظهن من الوحى المنزل . يقول الله لهن : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[3] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٩٥ .

(٢) سنن أبى داود . كتاب الطهارة . باب في الرجل يجد البلة في منامه ج١ ص٦١ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٣٤ .

(٢) المسلم الصادق يهتم بمعرفة الحكم الشرعى من مصادره الصحيحة .

(٣) معرفة قضايا العقيدة ، وأحكام الشريعة أول واجبات المسلم .

(٤) من الأولى مصاحبة الحكم بالدليل ، تقوية له ، وتأكيدا على صدقه .

(٥) جبريل عليه السلام من الملائكة له ستمائة جناح إن ظهر بها سد الأفق .

ـ ٦٠ ـ

٧٥ ـ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى

[١١٣] ، (١) ٤٨٧٨ حديث أبي موسى ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب ، آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يؤكد حديث الباب رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى أبو موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب ، آنيتهما وما فيهما) **أى إن عدد الجنان أربعة ، اثنان منهما أنيتهما وما فيهما من فضة ، والأخريان آنيتهما ، وما فيهما من ذهب .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير : ٥٥ سورة الرحمن : ١ باب قوله : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ .

فجنات الذهب للمقربين ، وجنات الفضة لأصحاب اليمين ، والجنان الأربع مليئة بالنعم الكثيرة من مقام ، وطعام ، وشراب ، وسرر ، وأرائك ، وحور عين ... إلخ .

فإن قيل : **جاء فى أحاديث أبى هريرة ﷺ أن الصحابة قالوا لرسول الله ﷺ : حدثنا يا رسول الله عن الجنة ، وما بناؤها ؟ قال ﷺ : (لبنة من ذهب ، ولبنة من فضة)[1] فهل هذا يتعارض مع حديث الباب ؟**

أقول : **يمكن القول بأن حديث الباب يدور حول محتويات الجنة من الداخل ، وحديث أبى هريرة ﷺ يتناول البناء والجدر ، والغرف ...**

ومعنى قوله تعالى : (ومن دونهما جنتان) **أى أن جنتى الفضة أدنى إلى العرش ، وأقرب من جنتى الذهب ، وتفاضل الجنان عن بعضها كالتفاضل بين الذهب والفضة ، وقال البعض : إن نعم الجنان متقاربة .**

(وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر) **أى وما يحول بين المؤمنين وبين النظر إلى ربهم إلا رداء الكبر .**

و (رداء الكبر) **كناية عن العظمة ، ومنه ما جاء فى الحديث القدسى** (الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى)[2] .

ومعنى هذا أن لله هيبة وعظمة تخجل المؤمنين من النظر والتأمل ... إلا أن رحمة الله وتفضله على المؤمنين ترفع عنهم هذا الحاجز من الهيبة والتوقير ، ويمكنهم من النظر إلى جلاله سبحانه وتعالى بكيفية خاصة تليق بذاته سبحانه وتعالى .

---

(١) جامع معمر بن راشد ج١١ ص٤١٦ .

(٢) سنن أبى داود . كتاب اللباس . باب ما جاء في الكبر ج٤ ص٥٩ .

(في جنة عدن**) أى أن المؤمنين يتمتعون بنعم الجنة ، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم ، وهم مستقرون فى جنات عدن ، وسميت الجنة بـ (**جنة عدن**) لتفيد الإقامة الدائمة لمن دخلها ... فعدن معناها إقامة .**

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

أجمع أهل السنة على وقوع رؤية الله للمؤمنين فى الآخرة ، وقد تظاهرت أدلة الكتاب ، والسنة ، واجماع الأمة على إثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة للمؤمنين ... ومن هذه الأدلة :

(١) **يقول الله تعالى :** ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[١] **ومعنى الآية ظاهر فى إثبات النظر للمؤمنين .**

(٢) **يقول الله تعالى :** ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[٢] **والذين أحسنوا هم المؤمنون ، وهم مستحقون للحسنى وهى الجنة ، ومستحقون للزيادة وهى رؤية الله تعالى فى الآخرة .**

(٣) **يقول الله تعالى :** ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾[٣] **ومفهوم الآية يدل على حجب الفجار عن رؤية الله ، وعكس المفهوم يدل على أن المؤمنين والأبرار يرون ربهم يوم القيامة لا يمنعهم حاجب عن هذه الرؤية .**

---

(١) سور القيامة ، الآية ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سور يونس ، الآية ٢٦ .

(٣) سور المطففين ، الآية ١٥ .

(٤) ويدل حديث الباب على وقوع رؤية الله للمؤمنين فى الآخرة ، وقد أثبت أكثر من عشرين صحابيا وقوع هذه الرؤية وهم يروون أحاديثها عن رسول الله ﷺ .

(٥) يذهب أهل الحق إلى أن الرؤية قوة يجعلها الله فى خلقه ، ولا يشترط فيها المواجهة ، والإحاطة ، وصدور أشعة من الرائى للمرئى كما يحدث بين الحوادث ، والله على كل شيء قدير .

ـ د ـ

المعنى العام لحديث الباب

تبين أحاديث الباب نعم الله التى تحيط بالمؤمنين فى الآخرة ، حيث مقامهم فى الجنة وتمتعهم بخيراتها ، ورؤيتهم لله تعالى .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هى :

صدق اليقين فى يوم الدين

ليس بعد الدنيا إلا الآخرة بما فيها من حساب وجزاء ، ونار ، وجنة ... ولن ينفع الإنسان فى الآخرة إلا ما قدمت يداه فى الدنيا ... وقد أعد الله لعباده الصالحين فى الآخرة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

فلقد أعدت الجنان من ذهب وفضة يتماوجان فى الجدر ، والغرف ، والبناء ، وتخلص المحتويات الداخلية فالأوانى والأسرة من هذا وحده ،

وذاك وحده ، وللعقل البشرى أن يتصور الجنات وقد تلألأت بالبياض اللامع ، والصفرة البراقة ، وبما تحققه من سعادة وفرح لمن يسكنها ، ويقيم فيها .

ويتجلى الله بجلالته وعظمته على أهل الجنة ، ويتحقق لهم وعد الله ، فيعيشون الحسن ، ويرون الله تعالى . يقول سبحانه :

- ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[١] .
- ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾[٢] .
- ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ ﴾[٣] .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير الحديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) أعد الله الجنات ، وجملها ، وحسنها للمتقين .

(٢) يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة بنحو يليق بذات الله ، وبه يسعدون

(٣) أهمية الذهب والفضة فى الحسن والجمال .

---

(١) سورة يونس ، الآية ٢٦ .

(٢) سورة القيامة ، الآية ٢٢ ، ٢٣ .

(٣) سورة عبس ، الآية ٣٨ ، ٣٩ .

ـ ٦١ ـ

٧٩ ـ باب معرفة طريق الرؤية

[١١٤] ، (١) حديث أبي هريرة ﷺ ، أن الناس (سألوا رسول الله)

٨٠٦ قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

قال : هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟

قالوا : لا يا رسول الله .

قال : فإنكم ترونه كذلك ، يحشر الناس يوم القيامة .

فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فمنهم من يتبع الشمس ، ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت ، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله . فيقول : أنا ربكم .

فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله . فيقول : أنا ربكم .

فيقولون : أنت ربنا ، فيدعوهم ، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ : اللهم سلم ... سلم ، وفي جهنم كلاليب مثل شوك

السعدان . هل رأيتم شوك السعدان ؟

قالوا : نعم .

قال : فإنها مثل شوك السعدان ، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار ، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله ، فيخرجونهم ، ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار ، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود ؛ فيخرجون من النار قد امتحشوا ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ؛ ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ، ويبقى رجل بين الجنة والنار ، وهو آخر أهل النار دخولا الجنة ، مقبلا بوجهه قبل النار .

فيقول : يا رب اصرف وجهي عن النار ، قد قشبني ريحها ، وأحرقني ذكاؤها .

فيقول : هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك ؟

فيقول : لا وعزتك .

فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق ؛ فيصرف الله

وجهه عن النار ، فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها ، سكت ما شاء الله أن يسكت . ثم قال : يا رب قدمني عند باب الجنة .

فيقول الله له : أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت ؟

فيقول : يا رب لا أكونن أشقى خلقك .

فيقول : فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره؟

فيقول : لا وعزتك لا أسأل غير ذلك .

فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق ، فيقدمه إلى باب الجنة ، فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها ، وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت فيقول : يا رب أدخلني الجنة .

فيقول الله : ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي أعطيت ؟

فيقول : يا رب لا تجعلني أشقى خلقك ، فيضحك الله عز وجل منه ، ثم يأذن له في دخول الجنة ، فيقول : تمن ، فيتمنى ، حتى إذا انقطعت أمنيته ، قال الله عز وجل : من كذا وكذا أقبل يذكره ربه ؛ حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى : لك ذلك ومثله

معه[١] .

[١١٥] ، (٢) حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ ٧٤٣٩

قال : هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا ؟

قلنا : لا .

قال : فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما .

ثم قال ﷺ : ينادي مناد : ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم ، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم ، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم ، حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر ، وغبرات من أهل الكتاب ، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب .

فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟

قالوا : كنا نعبد عزير ابن الله .

فقال : كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد ، فما تريدون ؟

قالوا : نريد أن تسقينا .

---

(١) أخرجه البخاري في : ١٠ كتاب الأذان : ١٢٩ باب فضل السجود . وللحديث روايات أخرى عند البخارى في أرقام : (٦٥٧٣ ، ٧٤٣٧) .

فيقال : اشربوا ، فيتساقطون في جهنم . ثم يقال للنصارى : ما كنتم تعبدون ؟

فيقولون : كنا نعبد المسيح ابن الله .

فيقال : كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد، فما تريدون؟

فيقولون : نريد أن تسقينا .

فيقال : اشربوا ، فيتساقطون في جهنم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر .

فيقال لهم : ما يحبسكم وقد ذهب الناس ؟

فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم ، وانا سمعنا مناديا ينادي : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون ، وانما ننتظر ربنا ؛ قال فيأتيهم الجبار ، في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة .

فيقول : أنا ربكم .

فيقولون : أنت ربنا ؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء .

فيقول : هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟

فيقولون : الساق ؛ فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة ؛ فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا ، ثم يؤتى بالجسم فيجعل بين ظهري جهنم .

قلنا : يا رسول الله وما الجسر ؟

قال : مدحضة مزلة عليه خطاطيف وكلاليب ،

وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان ، ... (يمر) المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح ، وكأجاويد الخيل والركاب ، فناج مسلم ، وناج مخدوش ، ومكدوس في نار جهنم ، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا ، فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار ، فإذا رأوا أنهم قد نجوا وبقي إخوانهم .

يقولون : ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ، ويعملون معنا .

فيقول الله تعالى : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ، ويحرم الله صورهم على النار ، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه ، والى أنصاف ساقيه ، فيخرجون من عرفوا ثم يعودون ، فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه ؛ فيخرجون من عرفوا ، ثم يعودون فيقول : اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه ؛ فيخرجون من عرفوا .

قال أبو سعيد الخدرى: فإن لم تصدقوني فاقرءوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾ فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون .

فيقول الجبار : بقيت شفاعتي ، فيقبض قبضة من

النار فيخرج أقواما قد امتحشوا ، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له : ماء الحياة ، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة ، إلى جانب الشجرة ، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلى الظل كان أبيض ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل في رقابهم الخواتيم ، فيدخلون الجنة . فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه .

فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه[1] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تدور أحاديث الباب حول رؤية الله تعالى فى الآخرة ، وتوضيح بعض مشاهد يوم القيامة ، وبيان فضل الله ورحمته بالناس ، ولمن فى قلبه ذرة من إيمان .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٩٧ كتاب التوحيد : ٢٤ باب قول الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

حديثا الباب من طوال الأحاديث ، وفيهما تفصيلات عدة تدور حول رؤية المؤمنين لربهم فى الآخرة ، وبعض مشاهد يوم القيامة ، وسوف أوضح دلالات الحديثين فى عدد من المقاطع التى تجمع الحديثين معا فى كل مقطع :

المقطع الأول

رؤية المؤمنين لله فى الآخرة

يبين المقطع الأول رؤية المؤمنين لله فى الآخرة ، فقد سأل الصحابة رسول الله ﷺ ، و (قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟) **يريدون أن يطمئنوا على رؤيتهم لله فى الآخرة جزاء لهم إن آمنوا وعملوا الصالحات .**

فقال لهم ﷺ : و(هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟) **أى هل تشكون فى رؤية القمر ليلا والسماء صافية لا سحاب فيها .**

(قالوا : لا يا رسول الله) **أى لا نشك فى ذلك أبدا ، فالقمر فى كماله لا يختفى أبدا إذا كانت السماء صافية .**

(قال) **لهم** : (فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب ؟) **أى هل تشكون وتجادلون فى ظهور الشمس فى رابعة النهار ، والسماء لا سحاب فيها ولا غيوم ؟**

(قالوا : لا يا رسول الله) **أى لا نشك فى ذلك .**

فـ (قال) **لهم ﷺ** : (فإنكم ترونه كذلك) **أى إنكم سترون الله بعيونكم كما ترون الشمس والقمر .**

وجاء فى الحديث الثانى : (فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما) **ومعنى (تضارون) لا تنازعون أحدا بمنازعة ، أو بمجادلة ، ولا بمضايقة فى القول فى رؤية الشمس والقمر عند صفاء السماء ، وبذلك أكد الحديثان رؤية المؤمنين لله فى الآخرة على وجه الحقيقة كما يشاهدون الشمس والقمر فى الدنيا فى يوم خلا من السحب والغيوم .**

وفى التشبيه بلاغة ظاهرة ؛ لأن الإنسان أيا كان مكانه ، وزمانه فى الأرض يرى الشمس والقمر بوضوح وبلا صفاء ، وبلا إحاطة ، وبلا معرفة لحقيقتهما ، وكذلك يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة بأبصارهم بلا إحاطة ، وبلا جهة ، وبلا مواجهة مادية ، وأيضا ، فإن الناس يرون الشمس والقمر ، ويتمتعون بآثارهما ، ولا يرون منهما أذى أو شكا ، أو تداخلا مع نجم ، أو كوكب آخر ، فكذلك يرى المؤمنون ربهم ، ويتجلى عليهم فى يوم القيامة فيرونه بأبصارهم وبصائرهم ويتمتعون بنعمه وفضله بصورة قاطعة خالية من الشك بلا إحاطة ، أو تحديد .

المقطع الثانى

تنوع الناس فى المحشر

يتنوع الناس فى المحشر ، ويوضع كل فرد فى الموضع الذى يستحقه . يقول ﷺ : (يحشر الناس يوم القيامة ، فيقول) **لهم مناد من قبل الله تعالى** : (من كان يعبد شيئا فليتبعه) **أى يجمع الله الناس فى أرض المحشر ويناديهم مناد من قبل الله تعالى ، ويأمرهم بأن يذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون .**

فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ... ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ... ويذهب أصحاب الصليب إلى صليبهم ، وأصحاب الأوثان إلى أوثانهم ... ، وأصحاب كل آلهة إلى آلهتهم ... والطواغيت جمع طاغوت ، وهو كل رأس فى الضلال إنسانا أو جمادا ، أو جنا .

(وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها) **أى يبقى من كان يعبد الله من بر وفاجر ، وينتظر المؤمنون والمنافقون مصيرهم حين يأتى الله إليهم .**

(حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، وغبرات) **من أهل الكتاب أى بقايا منهم لم تذهب مع جماعتهم ، والغبرات جمع غبرة بضم الغين وفتح الباء مشددة وفتح الراء وهى الجماعة القليلة العدد .**

المقطع الثالث

لقاء الله بالمؤمنين

يأتى الله للمسلمين بارهم وفاجرهم (فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم) .

(فيقولون أنت ربنا ، فيدعوهم ، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم) **أى إن المسلمين يقرون لله بربوبيته ، فينصب لهم الصراط فوق جهنم ليمروا عليه إلى الجنة أو يقعون فى النار ، والصراط خيط مشدود فوق جهنم يرده جميع الناس فيمر فوقه أصحاب الجنة مسرعين ، كأنه طريق واسع ويراه أصحاب النار خيطا رفيعا فإذا وردوه وقعوا فى جهنم .**

يقول رسول الله ﷺ : (فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته) **أى يكون الرسول ﷺ أول من يجتاز الصراط بأمته إلى الجنة ، وينقذهم من نار جهنم فى هذا اليوم يصاب الناس بالهلع** (ولا يتكلم يومئذ أحد) **من شدة الفزع والخوف** (إلا الرسل ، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم ... سلم) .

وجاء فى الحديث الثانى : (ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنها سراب) **أى يعرض الله جهنم على الناس ، فيرونها خيالا وسرابا من بعيد ، ويظنونها على غير حقيقتها ... ويسأل الله الأمم عن عبادتها** (فيقال لليهود : ما كنتم تعبدون ؟) **... أى من كنتم تعبدون فى الدنيا .**

(قالوا : كنا نعبد عزير ابن الله) .

فيقال لهم : (كذبتم ، لم يكن لله صاحبة ولا ولد) .

ويسألهم : (فما تريدون ؟) .

قالوا : نريد أن تسقينا ... **فيقال لهم :** اشربوا ، فيتساقطون في جهنم ... **ثم يقال للنصارى :** ما كنتم تعبدون ؟ **فيقولون :** كنا نعبد المسيح ابن الله ... **فيقال لهم :** كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد ... **فيقال :** فما تريدون ؟ **فيقولون :** نريد أن تسقينا ...

(فيقال) **لهم :** (اشربوا) **فيشربون** (فيتساقطون في جهنم ... حتى يبقى) **فى الموقف** (من كان يعبد الله من بر أو فاجر) .

المقطع الرابع
هـلاك المنافقين

تتبع كل جماعة ما كانت تؤمن به ، ويبقى المنافقون مع الصادقين حتى يأتيهم ربهم ، فيأتيهم يقول لهم : (ما يحبسكم وقد ذهب الناس ؟) **أى ما الذى حبسكم هنا وقد ذهب كل إلى مصيره .**

(فيقولون : فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم) **أى نحن اليوم أشد حاجة إلى الإيمان والصدق** (وانا سمعنا مناديا ينادي : ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون ، وانما ننتظر ربنا) **أى إنهم ذهبوا إلى ما كانوا يعبدون فى الدنيا ، ونحن ننتظر ربنا الذى كنا نعبده .**

(قال) ﷺ (فيأتيهم الجبار ، في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة ؛ فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا ؟ ... فلا يكلمه إلا الأنبياء) .

(فيقول) **الله لهم** : (هل بينكم وبينه آية تعرفونه ؟) ...

(فيقولون : الساق ؛ فيكشف) **الله** (عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة ؛ فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا) **فلا يستطيع السجود ، ويستمر عاجزا حتى يدخل النار ، وهنا يفترق المؤمنون عن المنافقين ويذهب المنافقون إلى جهنم ، ويتمتع المؤمنون بالجنة ورؤية الله تعالى .**

المقطع الخامس

صورة جهنم يوم الحساب

وتبدو جهنم فى أرض المحشر ولها (كلاليب) **أى خطاطيف من الحديد تشبه الحديدة التى يعلق القصاب اللحم بها .**

(مثل شوك السعدان) **أى كلاليب جهنم تشبه شوك السعدان فكله شوك ، ولا يعلم أذاها إلا الله تعالى .**

تخطف هذه الكلاليب الضالين وتوقعهم فى جهنم ، ويتنوع عذابهم ، فمنهم من (يوبق) **أى يهلك بعمله ، ومنهم** (يخردل) **أى يقطع قطعا صغيرة كحبات الخردل ، ويستمر أصحاب جهنم فى العذاب إهلاكا وتقطيعا حتى يأذن الله بالنجاة لمن شاء سبحانه له أن ينجو** (حتى إذا أراد الله رحمة من

أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله) **ولو بمقدار وزن حبة من خردل ، ويبقى فى النار من لم يعبد الله تعالى أبدا .**

المقطع السادس
الحركة فوق الصراط يوم القيامة

وينصب الصراط ، وهو جسر رفيع يقيمه الله فوق جهنم ، سئل عنه رسول الله ﷺ حين قالوا له : (يا رسول الله وما الجسر ؟) .

قال ﷺ : (مدحضة مزلة) **والمدحضة موضع الانزلاق والزلل . والمعنى أن الجسر موضع زلل الكافرين والمنافقين ، ووقوعهم فى جهنم حيث لا يثبت لهم فوق الجسر قدم ذلك أن الجسر يمثل طريقا رقيقا ممتدا فوق جهنم يسير عليه الخلق فيجتازه المؤمنون ، ويقع الكافرون والمنافقون من فوقه إلى جهنم وتخطفهم جهنم إليها .**

(عليه خطاطيف ، وكلاليب ، وحسكة) **أى على الجسر خطاطيف تخطف الكفار والمنافقين إلى النار ، وكلاليب يتعلقون فى سهامها ، وحسكة وهى نبات به شوك يمسك بالجسم ، ويشد الناس مثل الحديد .**

(مفلطحة لها شوكة عقيفاء) **أى إن الحسكة عريضة منبسطة عقيفة أى معوجة فى طرفها شوك مثل الكلاليب ، ويوجد نبات الحسكة بنجد .**

ويمر الناس على الصراط فيمر المؤمن (كالطرف وكالبرق وكالريح) **أى ييسر الله مرور المؤمنين الناجين ، فيمرون مسرعين سرعة الخيل الحسن السريع ، ومثل ضوء البرق ، ومثل ركاب الإبل المنطلقة .**

وينقسم الناس (فناج مسلم) **أى مؤمن ينجو من جهنم سليما لا يصيبه أذى** (وناج مخدوش) **أى مؤمن ينجو بعد أن يلحق به بعض الأذى**

والإصابة بسبب إساءاته ، و (ومكدوس في نار جهنم) **أى ومعذب مركوم يلقى به فى نار جهنم .**

المقطع السابع
نجاة كل من عبد اللّه تعالى

يستمر مرور الناس على الصراط حتى يمر آخرهم فوق الصراط ، ويسحب العصاة إلى جهنم سحبا ، وينجو الباقون ، فإذا نجوا أخذوا فى مناشدة الحق (يقولون : ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا) .

فيقول الله تعالى لملائكته : (اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه) **أى يعرض الله صورهم على الملائكة ، فيأتونهم ، وبعضهم قد غاب فى النار إلى قدميه ، ... والى ساقيه ... فيخرجون من عرفوا ثم يعودون .**

فيقول الله لهم : (مثقال نصف دينار فأخرجوه ؛ فيخرجون من عرفوا ثم يعودون) .

فيقول الله لهم : (اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه ؛ فيخرجون من عرفوا) .

وهكذا يأمر الله الملائكة أن تخرج من النار من كان يعبد الله تعالى ، فيعرفونهم بآثار السجود ، ويخرجونهم ، وقد حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، (فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود ؛ فيخرجون من النار قد امتحشوا) **أى احترقوا واسودوا** (فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبتون كما

تنبت الحبة في حميل السيل) **أى أن الأجساد تنبت وتنمو كما تنمو البذرة مع ما يحمله السيل ، ويجرفه من طين وماء ونحو ذلك ... ثم ينتهى القضاء بين العباد .**

وجاء فى الحديث الثانى **أن الله** (يخرج أقواما قد امتحشوا) **أى احترقوا** (فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له : ماء الحياة ، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر ، وما كان منها إلى الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ ، فيجعل في رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة) .

(فيقول أهل الجنة : هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه) .

(فيقال لهم : لكم ما رأيتم ومثله معه) .

وهكذا ينجى الله من عبده قدر مثقال ذرة من خردل ، واقرأوا إن شئتم كما قال أبو سعيد الخدرى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا ﴾[1] .

المقطع الثامن

الأمل فى رحمة الله تعالى

يتجلى الله يوم القيامة برحمته على عباده ، فيخرج من النار كل من عبد الله تعالى بعد أن ينشئه نشأة جديدة أساسها أعضاء السجود فى بدنه.

---

(١) سورة النساء ، الآية ٤٠ .

وبين الخروج من النار ودخول الجنة مراحل متعددة تبين سعة رحمة الله بالموحدين ذلك أن الله يكرم عباده الموحدين ، ويخرجهم من النار ليدخلهم الجنة ، ويجعل الله وجه آخرهم جهة النار . (فيقول : يا رب اصرف وجهي عن النار ، قد قشبني ريحها ، وأحرقني ذكاؤها) **أى أهلكنى هواؤها ، وأحرقنى لهيبها واشتعالها ، وشدة وهجها** .

فيقول الله له : (هل عسيت إن فعل ذلك بك أن تسأل غير ذلك ؟) .

فيقول : (لا وعزتك ، فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق ؛ فيصرف الله وجهه عن النار) .

(فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها، سكت ما شاء الله أن يسكت) **التزاما بعهده مع الله** .

ثم قال بعد مدة : (يا رب قدمني عند باب الجنة) .

فيقول الله له : (أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت ؟) .

فيقول : (يا رب لا أكونن أشقى خلقك) **ببقائى محروما من دخول الجنة**

فيقول الله له : (فما عسيت إن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره ؟) .

فيقول : (لا وعزتك لا أسأل غير ذلك ؛ فيعطي ربه ما شاء من عهد وميثاق ، فيقدمه إلى باب الجنة) .

(فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها، وما فيها من النضرة والسرور ، فيسكت ما شاء الله أن يسكت) . **ثم يقول** : (يا رب أدخلني الجنة) .

فيقول الله له : (ويحك يا ابن آدم . ما أغدرك !! أليس قد أعطيت العهود والمواثيق أن لا تسأل غير الذي أعطيت ؟) .

فيقول العبد : (يا رب لا تجعلني أشقى خلقك) **بأن أرى ما فى الجنة من نعيم ، ومباهج ، وسرور ، وأحرم منها .**

(فيضحك الله عز وجل منه ، ثم يأذن له في دخول الجنة ، فيقول : تمن فيتمنى ، حتى إذا انقطعت أمنيته ، قال الله عز وجل : من كذا وكذا أقبل يذكره ربه ؛ حتى إذا انتهت به الأماني قال الله تعالى : لك ذلك ومثله معه) **وقد اعتذر الكلاباذى عن نقض الرجل للعهد فقال : كان إمساكه أولا عن السؤال حياء من ربه ، والله يحب أن يسأل ، ويحب أن يسمع صوت عبده المؤمن فيباسطه ، ولذلك سأل الرجل ربه وترك حياءه ... وليس ترك الرجل العهد جهلا ، ولا قلة مبالاة ، بل علما منه أن نقض العهد أولى من الوفاء به إذا كان فى النقض خير يجده فى الوفاء ، وقد قال النبى ﷺ** : (من حلف على يمين فرأى خيرا منها ، فليأت الذى هو خير وليكفر عن يمينه ففعل العبد ما رآه خيرا له ، وليس عليه فى الآخرة تكفير)[1] .

وقصة هذا الرجل تؤكد رحمة الله بعباده ، وتوضح ضرورة الأمل فى الله ، فهو سبحانه غفور رحيم يقبل التوبة عن عباده ، ويعفو عن كثير ، ويضاعف المثوبة لمن يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

---

(١) فتح البارى ج٢٤ ص٢٨٥ .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تتناول أحاديث الباب بيان عدد من مشاهد يوم القيامة ... وهى :

أولا : رؤية الله تعالى :

تبين الأحاديث أن المؤمنين يرون ربهم فى الآخرة ، وتشير إلى أن الله يتجلى للمؤمنين قبل دخولهم الجنة إكراما لهم ، وقد تساءل بعض الصحابة عن إمكانية رؤيتهم لله فى الآخرة ، فأكد لهم ﷺ وقوع الرؤيا ، وأنهم سيرون الله كما يرون الشمس والقمر والسماء صافية ، خالية من السحاب والعتم .

وتشير الأحاديث إلى أن الله يصرف كل إنسان إلى من كان يتبعه ويعبده ، ويأتى سبحانه وتعالى للمؤمنين ، فيرونه ، ويقضى بينهم .

ثانيا : انصراف الأمم لمن كانت تتبعه :

يأمر الله الناس بالانصراف إلى من عبدوه واتبعوه ، فيذهب كل منهم إلى إلهه الذى أظهره الله ، ومثله فى صورة أمام أتباعه ، وبقذف الله بهم فى النار ، ويقول الله لهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾[1] **، ويبقى من كان يعبد الله وحده ، ومعهم المنافقون ، ويعطى الله لكل منهم نورا بمقدار ما كان فيهم من دين ، يساعدهم على العبادة واجتياز الصراط ... وينطفئ نور المنافقين فيعجزون عن العبادة والسجود ، ويلتمسون النور ، ويقولون للمؤمنين ما حكاه الله عنهم :** ﴿ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ **، فيقال لهم :** ﴿ ٱرْجِعُواْ

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٩٨ .

وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم ﴾ ، **وبين المؤمنين** : ﴿ بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴾[١] .

ثالثا : نصب الصراط :

ينصب الله الصراط فوق جهنم ، وهو جسر يمر به المؤمنون مسرعين ويجتاز رسول الله ﷺ بأمته الصراط أول الخلق ، وحينما يمر فوقه الكافرون والمنافقون والعصاة يجدون فيه الكلاليب والخطاطيف والحسك تشدهم ، وتوقعهم فى نار جهنم يعذبون فيها إلى أن يأذن الله لمن عبده ولو بمقدار وزن حبة من خردل بالخروج منها .

وتتجلى رحمة الله بعباده وهو يخرجهم من النار ، ويحقق لهم أمانيهم كما يحدث مع آخر المعذبين خروجا من جهنم .

رابعا : إعداد الجنة والنار :

فى يوم القيامة يدخل أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، وقد أعدهما الله لأصحابهما بعد الحساب ... يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥ ﴾[٢]، **وأصحاب الجنة يومئذ** ﴿ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا ﴾[٣] .

ويسأل المؤمنون الله لإخوانهم الذين عبدوا الله معهم ، ويسألون لهم العفو والمغفرة ، فيغفر الله لهم بعد إيقاعهم فى العذاب إلى ساقيه ، والى

---

(١) سورة الحديد ، الآية ١٣ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩٢ .

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٢٤ .

ركبتيه ، ويخرج الله من عبد الله مثقال ذرة من خردل ، وينشئهم نشأة جديدة كحبة موجودة بين ما يحمله السيل فأنبتت شجرة يانعة .

إن النار لا تأكل مواضع السجود السبعة وهى الجبهة ، واليدان ، والركبتان والقدمان ، وعلى هذه المواضع ينشأ الإنسان مرة أخرى بعد خروجه من النار .

خامسا : إثبات الشفاعة :

تثبت أحاديث الباب شفاعة للمؤمنين ، وللملائكة ، وللنبيين . ويقول الله عز وجل : شفعت الملائكة ، وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم تبق إلا رحمة رب العالمين فيقبض قبضة من النار ، ويخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط ، ويلقيهم فى نهر فى الجنة فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة ، ويسمونهم (عتقاء الله) الذين أدخلهم الله الجنة بلا عمل عملوه ، أو خير قدموه .

وحينما يتعجبون من هذا يقول الله لهم : (لكم ما رأيتم ومثله معه**) فيعمهم بفضله ، ويشملهم بكرمه ورحمته ، والله ذو الفضل العظيم .**

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب عدة أمور :

- **تبين رؤية المؤمنين لله فى الآخرة .**
- **شدة الموقف فى الحشر والحساب .**

- سعادة المؤمنين فى الموقف .
- نصب الصراط ونجاة المؤمنين وهلاك الكافرين .
- عفو الله عمن فى قلبه مثقال ذرة من إيمان .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

توضيح أساسيات العقيدة

الإسلام عقيدة ، وشريعة ، وأخلاق ، وأساسه العقيدة ، وعليها تقوم الشريعة ، وتظهر الأخلاق ، وقد تضمنت الأحاديث توضيح عدة أركان من أركان العقيدة ... وهى :

(١) تأكيد وحدانية الله تعالى ، وابطال كل مخالفة لهذا التوحيد ، ورد كل شرك وكفر حيث يقال لمن آمن بأن عزيز ابن الله ، أو أن المسيح ابن الله : إن الله غنى بذاته لم يتخذ زوجة ولا ولدا ، وينادى فى الناس ليتبع كل فريق من كان يؤمن به من شمس ، أو قمر ، أو حجر ، أو طاغوت ، ويقر الجميع بأن الملك لله الواحد القهار .

(٢) تثبت الأحاديث رؤية الله فى الآخرة للمؤمنين ، بلا إحاطة ، ولا تحديد

(٣) تصور الأحاديث شدة الموقف حيث يحشر الناس حفاة عراة ، وينصب الميزان ، ويأخذ كل كتابه وفيه كل عمله فى الدنيا .

(٤) ينصب الصراط ، ويؤمر الخلق بوروده ، واجتيازه إلى الجنة ، ويجتازه المؤمنون سراعا ثابتين ... ويترنح من فوقه الكافرون والمحرمون ، وتشدهم كلاليب جهنم ، وخطاطيفها ، ويصلون إلى قعر جهنم ، ودركاتها المقدرة لهم .

(٥) يرى أصحاب الجنة أصحاب النار وهم يعذبون ليزدادوا فرحا وسرورا ويرى أصحاب النار أصحاب الجنة ليزدادوا غما وألما .

(٦) يجأر المعذبون إلى الله ، ويشفع المؤمنون لمن كانوا معهم فى الدينا ، فيأمر الله ملائكته بأن يخرجوا من النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان .

وهكذا :

تبين الأحاديث وحدانية الله ، وقدرته ، وتصور اليوم الآخر بمشاهدة والأمل أن يستفيد العقلاء من هذه الحقائق ليستعدوا للنجاة ... وأن يعمل الدعاة لإيصال هذه الحقائق إلى المدعوين ، وارشادهم إلى المنهج السليم .

الركيزة الثانية

بيان سعة رحمة الله تعالى

وسعت رحمة الله عباده جميعا ، وبخاصة من آمن منهم به ، وتتجلى رحمة الله الواسعة فى جانبين :

الجانب الأول : **عدم إحراق النار لأعضاء السجود حتى إذا أمر الله بإخراج من عبد الله من النار ، فإن الملائكة تأخذ الجزء الباقى الذى لم**

يحترق وتنميه كزرع ينمو ، وبذلك يعود المؤمن شخصا جديدا يدخله الله الجنة .

الجانب الثانى : **أن الله يرى الجنة لمن فى النار ، ويسمع دعاءهم ، ورجاءهم فيطلب بعضهم الرحمة شيئا فشيئا ، وفى كل مرة يتعهد بعدم طلب أمر جديد ، فإذا ما استقر ورأى الخير نقض العهد ، وطلب المزيد فيضحك الله منه ويعطيه ما يطلب ، ويستمر فى أمره حتى يدخل الجنة .**

إن رحمة الله فى الآخرة تتجلى فى صور شتى ، فهو يظل المؤمنين بظله ، ويجمع الذرية فى جنات النعيم ، ويحقق لأهل الجنة ما يشاءون ، ونعم دار المتقين .

الركيزة الثالثة

من فنون الدعوة فى الأحاديث

توضح الأحاديث عددا من فنون الدعوة إلى الله تعالى :

(١) **استعمال التمثيل فى تقريب المعانى البعيدة فقد بين النبى ﷺ لأصحابه أن رؤية الله فى الآخرة ثابتة ومقررة كما ترون الشمس ، والقمر ، والسماء صافية لا سحابة فيها .**

(٢) **تثبيت الحقائق الدينية الكبرى بصورة كلية ، ليحصل الإيمان بها ؛ مثل رؤية الله ، واثبات الحشر والجنة والنار والصراط .**

(٣) **تبين أن الحكم لله؛ فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وتوضح أنه سبحانه سيدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان .**

(٤) **توضح ما فى الجنة من حسن وبهاء، وما فى النار من شقاء وعذاب**

(٥) تبين الأحاديث الفرق الضالة فى الدنيا ، وتذكر منهم من كان يعبد الشمس ، أو القمر ، أو الحجر ، أو الشجر ، ومن كان يرى عزيزا ابن الله ، والمسيح ابن الله .

(٦) تبين الأحاديث الشفاعة التى تكون للمؤمنين فى الآخرة .

هذه القضايا من أساسيات الدعوة التى يهتم بنشرها الدعاة .

وتقدم الأحاديث موضوعاتها فى صورة قصصية تشد من يقرؤها أو يسمعها ويعيش معها بعقله ومشاعره .

وتقدم الأحاديث الترغيب فى الخير ، والترهيب من السوء بصورة جلية واضحة .

وعلى الدعاة أن يستفيدوا من منهجية الأحاديث فى الدعوة إلى الله تعالى .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تتضمن الأحاديث فوائد عدة ... منها :

(١) ضرورة الاستعداد للفوز فى الآخرة .

(٢) إقامة الحجة على المعذبين يوم القيامة .

(٣) رحمة الله بعباده واسعة فليتعرض لها المخلصون .

(٤) الإنسان مسئول عن عمله فى الدنيا .

(٥) الحساب فى الآخرة دقيق وشامل .

(٦) الدنيا إلى الانتهاء لتبدأ الآخرة بنعيمها وعذابها .

ـ ٦٢ ـ

٨٠ ـ باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار

[١١٦] ، (١) حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون في نهر الحيا أو الحياة (شك من أحد رجال السند) فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ، ألم ترأنها تخرج صفراء ملتوية ؟![1] .

٢٢

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أن الله يخرج الموحدين من النار ، وينقيهم ، وينشئهم نشأة جديدة ، ويدخلهم الجنة .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبى ﷺ : (يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار) **أى يدخل الله أهل الجنة الجنة التى يستحقونها ، كما يدخل أهل النار للنار التى يستحقونها عقوبة لهم على ما اقترفوا من آثام .**

---

(١) أخرجه البخاري في ٢ كتاب الإيمان : ١٥ باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال . وللحديث روليات أخرى في صحيح البخارى بأرقام :- (٤٥٨١ ، ٤٩١٩ ، ٦٥٦٠ ، ٦٥٧٤) .

(ثم يقول الله تعالى) **للملائكة** : (أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان) **أى أخرجوا من النار من دخلها ، وفى قلبه مقدار وزن حبة من خردل من عبادة الله تعالى .**

والمراد بمثقال حبة وزنها فى المعرفة لا فى المادة ، وقد عبر الحديث عن المعنوى بالمحسوس ليفهم ، ويعرف .

ويجوز أن تجسد الأعراض والمعانى حتى يصير لها وزن توزن به ، ومن المعلوم أن أمور الآخرة سمعية لا دخل للعقل فيها .

(فيخرجون منها قد اسودوا) **أى يخرج العصاة والمنافقون من النار وقد اسودت وجوههم من النار .**

(فيلقون في نهر الحيا أو الحياة) **والمراد به كل ما يحقق الحياة ، والشك فى الرواية من** "مالك" **الذى روى عنه إسماعيل رحمه الله إلا أن الحياة بالهاء أولى منها بالمد ؛ لأن الحديث يتصل بالحياة التى هى ضد الموت والفناء .**

(فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل) **والحبة بذرة النبات التى يجرفها السيل ، ويغذيها بترابه وبما يحمله .**

(ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية ؟) **أى أنها تنشأ نشأة جديدة فتظهر صفراء ملتوية ثم تخضر ، وتستقيم ، وتقوى ، وتعلو ... والمعنى أن أجزاء السجود التى لم تحرق تنمو شيئا فشيئا حتى تصير إنسانا كاملا بإذن الله تعالى .**

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الله كرمه ورحمته بعبادة المؤمنين الذين عصوه وخالفوا أمره فيطلع على ملائكته ، ويأمرهم بإخراج من فى قلبه مقدار وزن ذرة من خردل من الإيمان .

وحين يخرجون تجد الملائكة أنهم قد احترقوا واسودت جلودهم ، ولم يبق منهم إلا مواضع السجود ، فيأمرهم الله بإلقاء ما بقى من أجسادهم فى نهر الحياة فينبتون فى النهر كما تنبت الحبة فى الماء ، وكما تتحول النبتة إلى شجرة مورقة مثمرة ، تكبر أجساد الذين خرجوا من النار ودخلوا الجنة بماء الحياة حتى تصير أناسا كاملين ، والله على كل شيء قدير .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن عصاة المسلمين يعذبون فى النار بعصيانهم فيحترقون ، وتسود أجسادهم ، ولا يبقى فيهم إلا أعضاء السجود ، فيأمر الله بإخراجهم من النار ، وانبات أجسادهم فى ماء الحياة ، وادخالهم الجنة بأجساد طاهرة نظيفة .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هى :

نعم دار المتقين

يطهر الله عباده من ذنوبهم ، وينشئهم نشأة جديدة ، ويسكنهم جنات النعيم بما فيها من سرر ، وأرائك ، وطعام ، وشراب ، وحب ، ومودة ، واخاء .

ويعيش أصحاب الجنة فى نعيمها الدائم مع آبائهم وذويهم حيث السعادة الدائمة ، والرضى الدائم المتجدد ، بلا ملل ولا سآمة .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير الحديث إلى بعض الفوائد ... منها :

(١) كل من نطق بشهادة التوحيد يدخل الجنة .

(٢) يطهر الله أصحاب الجنة ، وينظف ظاهرهم وباطنهم .

(٣) لله الأمر كله ، يغفر لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ، وهو على شيء قدير .

ـ ٦٣ ـ

٨١ ـ باب آخر أهل النار خروجا

[١١٧] ، (١) ٦٥٧١ حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال النبي ﷺ : إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها ، وآخر أهل الجنة دخولا رجل يخرج من النار كبوا ، فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة .

فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى ، فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى .

فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى .

فيرجع فيقول : يا رب وجدتها ملأى .

فيقول الله له : اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا .

فيقول : تسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك .

يقول ابن مسعود : فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ، وكان يقال : ذلك أدنى أهل الجنة منزلة[١] .

---

(١) أخرجه البخاري في ٨١ كتاب الرقاق : ٥١ باب صفة الجنة والنار .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب آخر الناس خروجا من النار ، وآخرهم دخولا إلى الجنة ، وما يحدث لهذا الإنسان عند خروجه ودخوله .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النبى ﷺ : (إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها، وآخر أهل الجنة دخولا) **هذا خبر من رسول الله ﷺ يبين فيه قصة آخر إنسان يخرج من النار ، ويدخل الجنة ... وجاء مثل هذا الخبر فى حديث آخر يتحدث عمن يجوز على الصراط .**

يقول عياض : يحتمل أن يكون الخارج من النار والداخل إلى الجنة اثنين إما شخصان ، أو نوعان ، أو جنسان ... وعبر عنهما بالواحد لاشتراكهما فى الحكم ... ، فالخارج من النار (رجل يخرج من النار كبوا) **أى مشيا على يديه ورجليه ، وربما قالوا على اليدين والركبتين ، وأما الزحف فهو المشى على الإست ، فالحبو والزحف متقاربان وغير متماثلين ، وورود الروايات بالحبو والزحف يعنى أن الرجل كان يحبو حينا ، ويزحف حينا آخر .**

(فيقول الله) **له بواسطة ملائكته :** (اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى) **أى يأتى الرجل إلى الجنة فيخيل إليه أنها ممتلئة ولا يمكنه دخولها**

(فيرجع) **الرجل إلى ربه** (فيقول : يا رب وجدتها ملأى) **أى وجدت الجنة ممتلئة ، ويتكرر الأمر بالذهاب والرجوع .**

(فيقول) **الله له** (اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا) **أى يأمره الله بالذهاب إلى الجنة ، ليدخلها فقد جعل الله له عشرة أمثال الدنيا .**

(فيقول) **العبد** (تسخر مني أو تضحك مني وأنت الملك) **وفى مقالة العبد عدة تأويلات هى :**

(١) **إن قوله :** (تسخر مني) **خرج مخرج المقابلة الموجودة فى معنى الحديث دون لفظه ، لأنه عاهد الله مرارا ثم غدر ، فجعل عذره محل الاستهزاء والسخرية ... فظن الرجل أن الله أمره بدخول الجنة وهى ملأى استهزاء به ، فسمى الجزاء على السخرية سخرية .**

(٢) **أن الهمزة المقدرة فى قوله :** (تسخر مني) **للنفى . والمعنى إنك لا تسخر بى فأنت رب العالمين ، ومثل ذلك قوله تعالى :** (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) **أى لا تهلكنا .**

(٣) **أن يكون هذا الكلام صادرا عن الرجل ، وهو غير ضابط لكلامه لدهشته وسروره ، فقاله وهو لا يعتقد حقيقة معنى كلامه ، أو أنه لم يدرك المعنى لوله عقله ، وفرط سروره ، ويؤيد هذا ما قاله الرجل**

حين خرج من النار : (لقد أعطانى الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين)[١] .

يقول ابن مسعود ﷺ : (فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه) **أى ضحك رسول الله حتى ظهرت أضراسه من الضحك .**

وضحك ابن مسعود على ضحك رسول الله ﷺ .

وضحك الله معناه الرضا ، وضحك رسول الله على حقيقته ، وضحك ابن مسعود على مقالة التأسي مثل ضحك رسول الله ﷺ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين الحديث فضل الله على جميع الموحدين لأنه يخرجهم من النار ، ويدخلهم الجنة ، وينقذهم من عذاب السعير ، ويعرفهم بذلك ليعلموا وهم فى الدنيا أن الحساب دقيق ، وأنهم سيجزون على السوء سوءا ، وأنهم لن يدخلوا الجنة إلا بعد أن ينالوا ما يستحقون من عقاب .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب آخر الناس خروجا من النار ، وأولهم دخولا إلى الجنة ، وما يدور بينه وبين ربه من ود ودلال .

---

(١) فتح البارى ج ص٢٦٢ ، ٢٦٣ بتصرف .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هى :

مأوى المؤمنين فى الآخرة

قضى الله بدخول الجنة لمن آمن بالله تعالى ، وشهد بوحدانية الله تعالى بعد أن ينالوا عقوبة ما عصوا الله فيه ، ولذلك يأتى وقت على النار وقد خلت من المؤمنين .

ويوضح حديث الباب ما يحدث من آخر الناس خروجا من النار إذ يأمرهم الله بالذهاب إلى الجنة ودخولها ، فيذهبون ويتخيلون امتلاءها ، وعدم اتساعها لهم ، فيرجعون إلى الله فيعيدهم إليها ، ويتكرر هذا الحال حتى يتصوروا أن الله يسخر منهم بسبب ما قدموا من معاصى ، فيعيدهم الله إلى الجنة ، ويسكنهم فيها ، ويستقر بهم المقام فى الجنة ، وينعمون مع المنعمين .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يفيد الحديث عدة فوائد ... منها :

(١) الجنة مأوى الموحدين فى النهاية .

(٢) الخيال ليس هو الحقيقة ، فهو بعيد عنها .

(٣) يسعد رسول الله ﷺ ، ويفرح بدخول أمته الجنة .

ـ ٦٤ ـ

٨٢ ـ باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها

[١١٨] ، (١) حديث أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :
٦٥٦٥ يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون : أنت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا عند ربنا .

فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته .

ويقول (آدم عليه السلام) : ائتوا نوحا ، أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول (لهم) : لست هناكم ، ويذكر خطيئته .

(ويقول نوح عليه السلام) : ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته .

(ويقول إبراهيم عليه السلام) : ائتوا موسى الذي كلمه الله فيأتونه فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئته .

(ويقول موسى عليه السلام) : ائتوا عيسى ، فيأتونه فيقول : لست هناكم .

(ويقول عيسى عليه السلام) : ائتوا محمدا ﷺ فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر .

فيأتوني ، فأستأذن على ربي ، فإذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال : ارفع رأسك ، سل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي

فأحمد ربي بتحميد يعلمني ؛ ثم أشفع فيحد لي حدا ، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود فأقع ساجدا مثله في الثالثة أو الرابعة حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن(١) .

[١١٩] ، (٢) / ٧٥٠٩ حديث أنس بن مالك ﷺ قال : حدثنا محمد ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض ، فيأتون آدم فيقولون : اشفع لنا إلى ربك .

فيقول : لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن .

فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله .

فيأتون موسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته .

فيأتون عيسى فيقول : لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ .

فيأتوني فأقول : أنا لها ، فأستأذن على ربي فيؤذن لي ، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن ، فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجدا .

فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل

---

(١) أخرجه البخاري في : ٨١ كتاب الرقاق : ٥١ باب صفة الجنة والنار .

تعط ، واشفع تشفع .

فأقول : يا رب أمتي ، أمتي .

فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان ، فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخر له ساجدا .

فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك، وسل تعط ، واشفع تشفع .

فأقول : يا رب أمتي ، أمتي .

فيقال : انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان ؛ فأنطلق فأفعل ؛ ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا .

فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعط ، واشفع تشفع .

فأقول : يا رب أمتي ، أمتي .

فيقال : انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا .

فيقال : يا محمد ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ؛ فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله .

فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله[1] .

[١٢٠] ، (٣) ٤٧١٢ حديث أبي هريرة ﷺ قال : أتي رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، وهل تدرون مم ذلك يجمع الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ؛ فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم .

فيقول بعض الناس لبعض : عليكم بآدم ، فيأتون آدم عليه السلام ؛ فيقولون له : أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا ؟ ...

فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وانه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي نفسي ؛ اذهبوا

---

(١) أخرجه البخاري في : ٩٧ كتاب التوحيد : ٣٦ باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم .

إلى غيري ، اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون : يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول : إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ؛ وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم عليه السلام فيقولون : يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول لهم : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ؛ واني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى عليه السلام ، فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس ، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، واني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى عليه السلام ، فيقولون : يا عيسى أنت رسول الله ﷺ وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد صبيا ، اشفع لنا ، ألا ترى إلى ما نحن فيه فيقول عيسى ، إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ .

فيأتون محمدا ﷺ ، فيقولون : يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدا لربي عز وجل ، ثم يفتح الله علي من محامده ، وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي .

ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ؛ فأرفع رأسي .

فأقول : أمتي يا رب أمتي يا رب .

فيقال : يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين

مكة وحمير ، أو كما بين مكة وبصرى[١] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب حالة الناس يوم القيامة ، وهم يبحثون عن الشفعاء ، فيذهبون إلى الرسل عليهم السلام ، ولا يجدون إلا محمدا ﷺ يشفع لهم .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (يجمع الله الناس يوم القيامة) **الألف واللام فى الناس للجنس ، وهذا يشير إلى اجتماع جميع الناس فى المحشر بعد قيامهم من قبورهم ، فإن الله ينشرهم فى الأرض ، ويسيرهم إلى هذا الاجتماع الجامع لسائر الناس من لدن آدم عليه السلام إلى آخر عهد الخلق فى الدنيا ... يجمعهم الله فى أرض بيضاء ، ملساء ، مستوية ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، خالية من الشجر والحجر ، يرى الناس بعضهم بعضا ، ويسمع بعضهم بعضا ، ويفكر كل واحد فى حاله وشأنه ، فالموقف صعب ، والخوف هو المسيطر عليهم ، ومشاق الموقف تجعلهم يتمنون الخلاص منه .**

(فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا) **أى يقول بعضهم لبعض : إلى متى نستمر فى آلام المحشر ، ومصاعب الموقف ؟**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير : ١٧ سورة الإسراء : ٥ باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾ .

... فلو سلكنا طريقا نطلب فيه من الله أن ينقذنا مما نحن فيه ، ويصلح إقامتنا هذه ويشتد فزع الناس ، ويزداد اضطرابهم حتى إذا (ماج الناس بعضهم في بعض) **... أى اختلط الناس فى خوف وفزع فيلهم الله المؤمنين ليطلبوا من رسل الله أن يشفعوا لهم عند ربهم ... و** (على) **فى قوله ﷺ :** (على ربنا) **بمعنى** (إلى) .

ويبدأون بـ (آدم) عليه السلام **، ويأتون إليه ، ويقولون له ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه :** (ألا ترى ما نحن فيه ؟ ... ألا ترى ما بلغنا ؟) .

ويعرفونه بقربه عليه السلام من الله تعالى ، ويعرضون قضيتهم مبتدئين ببيان منزلة آدم عليه السلام عند الله تعالى ، ويقولون له : (أنت الذي خلقك الله بيده) **حين أمر الملائكة بتكوين هيكل من طين ، وتسويته** (ونفخ فيك من روحه) **ليصير الجسد المادى إنسانا حيا عاقلا ،** (وأمر الملائكة فسجدوا لك) **أى أن الله تعالى رفع منزلتك عن الملائكة حين أمرهم أن يعظموك ويسجدوا لك ، وقال لهم :** ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1]

(فاشفع لنا عند ربنا) **أى اطلب من ربك أن يغفر لنا ، ويخلصنا من مشاق الموقف ، وآلام المحشر .**

(فيقول) **آدم عليه السلام لهم ، ويجيبهم بقوله :** (لست هناكم ، ويذكر خطيئته) **أى لست صاحب هذا الموقف ، فمنزلى دون المنزلة المطلوبة ... وهذا تواضع منه عليه السلام وشعور منه بصعوبة الموقف ... يبين لهم ذلك ، ويذكر خطيئته حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عن الأكل منها .**

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٢٩ .

(ويقول) **لهم** : (ائتوا نوحا ، أول رسول بعثه الله) **وانما اعتبر الحديث نوحا عليه السلام أول رسول مع أن آدم وشيث وادريس عليهم السلام كانوا قبله ؛ لأن آدم وشيث عليهما السلام أرسلهم الله لأبنائهم لقيادتهم إلى الله تعالى ، وارشادهم إلى دين الله ، والتمسك بالفطرة التى كانوا عليها بعيدين عن الكفر وعبادة الأصنام اللذين لم يعرفهما أبناء آدم عليه السلام بعد ... وأما إدريس فقد أرسله الله إلى الناس نبيا على رسالة آدم وشيث عليهما السلام .**

إن أبناء آدم عليه السلام لم يعرفوا الأصنام إلا قبيل رسالة نوح عليه السلام (فيأتونه) **أى يأتون نوحا عليه السلام ويقولون له : استشفع لنا عند ربك .**

(فيقول) **نوح عليه السلام** : (لست هناكم) **أى لست أهلا لأن أتحمل طلبكم إلى الله ، واستشفع لكم عنده سبحانه وتعالى .**

(ويذكر خطيئته) **التى أصاب وهى طلبه من ربه أن يغفر لابنه لأنه كان يراه من أهله ... فقال الله له :** ﴿ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[1]

ويقول لهم نوح عليه السلام : (ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا ، فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته) **ولكن** (ائتوا موسى الذي كلمه الله ؛ فيأتونه فيقول : لست هناكم ، فيذكر خطيئته) **ويقول لهم :**

(ائتوا عيسى) **عليه السلام فهو روح الله وكلمته إلى مريم عليها السلام .**

(فيأتونه فيقول) **لهم** : (لست هناكم) **لكن** (ائتوا محمدا ﷺ ، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر) ، **فهو مغفور له غير مؤاخذ لو وقع منه ذنب**[2]

---

(١) سورة هود ، الآية ٤٦ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ج٢٣ ص٢٥٢ .

يقول ﷺ : (فيأتوني) **ويجيئون إلي ، ويسألوننى أن أشفع لهم .**

(فأقول) **لهم : أنا لها . أنا لها ... فأستأذن على ربى لأشفع لهم فيؤذن لى ، وأكون أول من يستفتح باب الجنة ، وفى رواية زيد عن أنس يقول ﷺ :** فآخذ حلقة باب الجنة فأقعقعها) **أى فأدقها** (فيقال : من هذا ؟ ...

فأقول : محمد : فيفتحون لي ، ويرحبون ، فإذا رأيت ربى خررت ساجدا شاكرا . فيلهمنى محامد أحمده بها، لا تحضرنى الآن ، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجدا (فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال) **لي على لسان جبريل عليه السلام:** (ارفع رأسك ، سل تعطه ، وقل يسمع ، واشفع تشفع) .

فأقول : (يا رب أمتي ، أمتي !!) .

فيقال لي : (انطلق) **أى اذهب إلى جهنم** (فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان) .

(فيحد لي حدا ، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ؛ ثم أعود فأقع ساجدا) **مثل ما حدث لي أول مرة ... ويتكرر هذا الموقف مرة ثانية ، وثالثة ، ورابعة** (حتى ما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن) **أى من أخبر القرآن الكريم أنه مخلد فى النار لكفره ، وخلو قلبه من مقدار ذرة من إيمان .**

وتتلاقى الأحاديث الثلاثة **فى بيان اعتذار آدم ، ونوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام عن الشفاعة للناس ، وتوضح أن الله يحاسب الناس اليوم على كل ذرة عملوها فى الدنيا ، ويعاقب العصاة ، والكافرين ، وقد سموا شدة الحساب بغضب الله تعالى ، وعدوا الغضب شديدا لدقة الحساب وشموله لكل أعمال الإنسان وأقوالهم ، وأحوالهم النفسية والعقلية .**

وكان كل رسول يعتذر لخطإ وقع فيه ، ويرشد الناس إلى من بعده من الرسل ، فينتقل الناس من آدم ، إلى نوح ، إلى إبراهيم ، إلى موسى ، إلى عيسى عليهم السلام ، وأخيرا إلى محمد ﷺ الذى يشفع لهم .

وتختلف روايات الحديث فى المسائل الآتية :

(١) **لم يذكر حديث أنس ﷺ وهو الحديث الأول المحامد التى يعلمها الله تعالى لرسوله حين أمره بالسجود .**

(٢) **يفصل الحديث الثانى فى تكرار شفاعة رسول الله ﷺ لأمته ، وصيغة طلبه من ربه .**

(٣) **يغفل الحديث الثانى ذكر نوح عليه السلام ، حيث يذكر توجه الناس بعد آدم عليه السلام إلى موسى عليه السلام .**

(٤) **فى الحديث الأول : تنتهى الشفاعة بإخراج العصاة من النار ما خلا من حبسه القرآن فى جهنم ، جاء فى الحديث الأول ، وفى الحديث الثانى : يدخل الله الجنة من قال : لا إله إلا الله ، وفى الحديث الثالث : جاء أن إدخال الجنة كل من لا حساب عليهم من أمة محمد ﷺ من بابها الأيمن فهو خاص بهم ، وهم يشاركون الناس فى بقية أبواب الجنة .**

(٥) **يبين الحديث الثالث** أحوال الناس فى الحشر، وتأكيد صدق رواية الحديث .

أما تأكيد صدق رواية الحديث ، فهو واضح فى بيان حال رسول الله ﷺ وهو يروى الحديث . فقد بين الراوى أن الصحابة رضوان الله عليهم قد جاءوا لرسول الله ﷺ بلحم (فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه) **ﷺ لسرعة**

نضجها ، ولذة طعمها ، وسرعة هضمها ، وبعدها عن إلحاق الأذى بمن يأكلها .

(فنهس منها نهسة) **أى أخذ منها قطعة بأطراف أسنانه وأضراسه** (ثم قال) ﷺ (أنا سيد الناس يوم القيامة) **أى أنا السيد ، والسيد هو الرائد الذى يفوق قومه فى المزايا ، ويقصده الناس فى الملمات ، ومحمد ﷺ هو سيد الناس فى الدنيا والآخرة ، إلا أنه ﷺ خص بالذكر سيادته الناس يوم القيامة لارتفاع السؤدد فيها ، وخشوع الجميع أمام جلال الله ، وتسليمهم لقدرهم ، ولا عظيم فى الآخرة إلا الله وحده .**

ومعنى سيد الناس يوم القيامة ، أى : أنا القائم بمعاونة الناس ومساعدتهم يوم القيامة . فقد أعطانى الله المقام المحمود ، وأذن لي بأن أشفع لمن قال : لا إله إلا الله ، ولو مرة واحدة .

(ثم قال) **رسول الله ﷺ للناس :** (وهل تدرون مم ذلك ؟) **أى هل تعرفون سبب جعلى سيد الناس ؟**

ويبين لهم السبب ، وهو قيامه بالشفاعة للناس ، والإذن له ﷺ بذلك دون غيره من الرسل على النحو الوارد فى أحاديث الباب .

وأما بيان أحوال الناس فى أرض المحشر . فقد بين الحديث ذلك ، ووضحه فى نقاط معينة ... هى :

(أ) **اجتماع الناس جميعا فى مكان واحد حيث** (يجمع الله عز وجل الأولين والآخرين في صعيد واحد) **على أرض مستوية ملساء يرى بعضهم بعضا ، ويتحدث بعضهم إلى بعض .**

(ب) **يسمع كل إنسان كل ما تقوله الملائكة ، أى أنهم** (يسمعهم الداعي) **وتصل الأصوات إليهم .**

(ج) تشتد أبصارهم ، ويرون كل ما فى الموقف من مشاهد وأحداث (وينفذهم البصر) **أى يصل إليهم بقوة ووضوح .**

(د) تدنو الشمس فوق الرءوس بشدة حرارتها ، وعدم وجود ما يظل الناس من لهيبها ، ولا وجود لظل يوم القيامة إلا ظل عرش الله يوم القيامة الذى يستظل به المؤمنون .

(هـ) يسيطر الغم والكرب على الناس ، ويبلغ درجة لا يطيقون تحملها ولا يتحملونها .

(و) يدور بين الناس حديث للبحث عن وسيلة تخلصهم مما هم فى آلام ومشاق ، ويسألون مستنكرين :

ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ...

ألا تنظرون من يشفع لكم عند ربكم ؟

فيلهمهم الله تعالى المؤمنين أن يذهبوا لآدم عليه السلام فيذهبون إليه فيعتذر لهم ويقول لهم : نفسى نفسى ، ويرشدهم إلى نوح عليه السلام ، ويستمر اعتذار الرسل حتى يأتوا محمدا ﷺ فيقول لهم : أنا لها ... أنا لها ، كما وصفته الأحاديث الثلاثة .

(ز) تبين الأحاديث الثلاثة أن الله يأمر بإخراج الموحدين من النار ، وادخالهم الجنة من باب خاص بهم يفتحه لهم .

(ح) يبين الحديث الثالث أن الله يدخل جمعا من أمة محمد ﷺ الجنة بغير حساب ، ويأمر رسول الله ﷺ بإدخالهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهو باب خاص بهم ، ويدخلون من سائر الأبواب مع غيرهم.

(ط) يبين الحديث الثالث سعة أبواب الجنة ببيان أن ما بين جانبى الباب مسافة ما بين مكة وحمير فى اليمن ، أو ما بين مكة وهجر فى

البحرين أو ما بين مكة وبصرى وهى قرية "حوران" المجاورة لـ "دمشق" .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

أحاديث الباب من الأحاديث الطوال التى قدمت فى مجموعها عددا من مشاهد يوم القيامة ، وتوضح صعوبة الموقف ، وبحث الموحدين عمن يشفع لهم وذهابهم إلى الرسل ، واعتذارهم عن القيام بالشفاعة ؛ فهم ليسوا أهلا لها ، ولهم مواقف يرجون النجاة فيها ، وأن الحساب دقيق ، فقد غضب الله غضبا شديدا .

وأحاديث الباب تتضمن عددا من القضايا ... هى :

القضية الأولى

أرض المحشر وأحوال الناس فى الحشر

تشير الأحاديث إلى أن الناس جميعا من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الزمان يجتمعون فى مكان واحد فوق أرض ملساء ، مستوية تظهر كل من يقف عليها . يقول الله عنها : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾[1] حيث تبدو الأرض ، لا معلم فيها لأحد ، ولا سكنى لأحد ، ولا بناء لأحد ، ولا مرتفعات ولا منخفضات ، وهذا معنى أن الناس يجتمعون فى صعيد واحد يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٤٨ .

وقد تكلم المفسرون عن معنى تبديل الأرض ؛ فقال بعضهم : إنها تبدل تبديلا كليا يشمل ذاتها وصفاتها . يقول ابن مسعود ﷺ : تبدل الأرض بأرض لم يسفك فيها دم حرام ، ولم تعمل فوقها خطيئة .

وقال عكرمة : بلغنا أن أرض الدنيا تطوى ، يحشر الناس فى أرض أخرى .

وقال آخرون : إن الذى يبدل هو صفات الأرض ، وخصائصها ، ويستدلون على ذلك بما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : (إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم ، وزيد في سعتها كذا وكذا ، وجمع الخلائق بصعيد واحد ، جنهم وانسهم)[1] .

ويتجمع الخلق فوق الأرض بعد تبديلها ، والشمس فوق رءوسهم ، وهم عرايا كما ولدتهم أمهاتهم ، يلجمهم العرق ، وتشتد بهم الآلام ، وتكثر المشاق .

القضية الثانية
الاستشفاع بأنبياء بعينهم

تدل أحاديث الباب على استشفاع الناس برسل معينين ، وسبب ذلك أنهم يلجأون أولا إلى أبيهم آدم عليه السلام لأنهم أبناؤه ، وقد جعل الله ذريته عمار الأرض ، واليهم جاء الرسل أجمعون ، وقد وجههم آدم إلى أبيهم الثانى نوح عليه السلام ووجههم نوح إلى إبراهيم فهو خليل الرحمن ، ووجههم إبراهيم عليه السلام إلى موسى عليه السلام فهو أكثر الخلق تابعا ، ووجههم موسى عليه السلام إلى عيسى عليه السلام لأنه ألصق الناس بمحمد ﷺ ، وسينزل داعيا الناس

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك ج٢ ص١٠١ .

بشريعة محمد ﷺ ، وقد وجه عيسى عليه السلام الناس إلى محمد ﷺ فهو خاتم الرسل ، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه ، وما تأخر .

وقد اعتذر الرسل عن القيام بالشفاعة بأمرين :

أولاهما : **أنهم ليسوا أهلا لهذه المهمة التى سألوهم القيام بها ، ولا يستطيعون القيام بهذا المقام الكريم .**

ثانيهما : **تذكر الروايات أن كل نبى ذكر معصيته التى وقعت منه ، ومع أن الله قد غفر لسائر الرسل ما وقع منهم ، وأرشدهم إلى المنهج الأمثل فى هذه المواقف ، فقد دفعهم هول الموقف إلى الخوف مما وقع منهم .**

وأنبياء الله معصومون بعد النبوة فلا تقع منهم كبيرة ، ولا يكون منهم كفر . أما قبل النبوة فقد عصمهم الله من الكبائر ، وأبعدهم عن الشرك ، والكبائر ... أما الصغائر فقد أجاز البعض وقوعها قبل النبوة ، ومنهم من أحالها ، ومذهب أهل السنة القول بعصمة الأنبياء عصمة كلية ، ودليلهم أن أمة النبي مأمورة بالاقتداء به في أفعاله ، فلو جاز منه وقوع المعصية للزم الأمر بالشيء الواحد والنهي عنه في حالة واحدة وهو باطل .

يقول القاضى عياض رحمه الله : وجميع ما ذكر في حديث الباب لا يخرج عما قلناه ، لأن أكل آدم من الشجرة كان عن سهو ، وطلب نوح نجاة ولده كان عن تأويل ، ومقالات إبراهيم كانت معاريض ، وأراد بها الخير ، وقتيل موسى كان كافرا ، والله أعلم .

القضية الثالثة
أنواع الشفاعة فى الآخرة

الشفاعة فى الآخرة أنواع عدة :

فنوع منها **الشفاعة للراحة من هول الموقف ، وهى الحاله التى يذهب بسببها الناس إلى الأنبياء يسألونهم الاستشفاع عند ربهم للتخلص من هول الموقف .**

ونوع ثان ، **وهو الشفاعة لدخول الجنة بغير حساب ، وهو ثابت لرسول الله ﷺ بدليل ما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بغير حساب ولا عذاب ، مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربي)**[١] .

ونوع ثالث ، **وهو الشفاعة لقوم حوسبوا فاستحقوا العذاب ، وهذا النوع ثابت للأنبياء جميعا وهم يقولون : رب سلم . رب سلم .**

ونوع رابع ، **وهو الشفاعة لإخراج الناس من النار ، وادخالهم الجنة ، وأحاديث الباب تبين هذا النوع الذى يخرج الله به من النار من فى قلبه ذرة من إيمان .**

ونوع خامس ، **وهو الشفاعة فى رفع الدرجات ، وقد جعل الله هذا النوع من الشفاعة لرسول الله ﷺ ولصالحى المؤمنين . يقول الله تعالى :** ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾[٢] .

---

(١) مسند الإمام أحمد . حديث أبى أمامة الباهلى صدى بن عجلان ج٣٦ ص٦٣٩ .
(٢) سورة الطور ، الآية ٢١ .

ونوع سادس ، **وهو الشفاعة لدخول الأمة الإسلامية الجنة قبل سائر الأمم ، ودليله قوله ﷺ :**

- **(أنا أول الناس يشفع فى الجنة)**[١] .
- **(آتى باب الجنة يوم القيامة ، فاستفتح ... فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد .**

فيقول الخازن : بك أمرت ، لا أفتح لأحد قبلك)[٢] .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب بعض مشاهد يوم القيامة ، وتثبت الشفاعة لمحمد ﷺ فى الآخرة .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

محمد ﷺ هو الرحمة المهداة

أرسل الله محمدا ﷺ للناس مبشرا ونذيرا ، ومرشدا إلى الحق ، وموضحا للصراط المستقيم ، وقد ترك رسول الله ﷺ للناس دينا يصلح لهم الدنيا ، ويسعدهم بجنات النعيم فى الآخرة .

---

(١) صحيح مسلم . كتاب. الإيمان. .. باب. قول. النبى ﷺ :. أنا أول. الناس. يشفع في الجنة ج١ ص١٨٨ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب. الإيمان .. باب. في قول. النبى ﷺ :. أنا أول. الناس يشفع في الجنة ج١ ص١٨٨ .

وبقى رسول الله ﷺ هاديا أمينا ، وترك للناس بعد موته الدين محفوظا بحفظ القرآن الكريم ، والسنة النبوية .

وتستمر شفقة رسول الله ﷺ بأمته فى الآخرة ، وحين يحتاجون إلى الخير يلجأون للرسل يستشفعون بهم ، ويسألون آدم ، ونوحا ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام ، أن يشفعوا لهم فيعتذرون عن الشفاعة ، ويبينون أن هذا ليس مقامهم ... وينتهى المسلمون إلى رسول الله ﷺ فيشفع لهم مرة بعد أخرى حتى يخرج من النار من فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال ذرة من خردل من إيمان .

وتبقى الصفة البارزة لرسول الله ﷺ وهى ما ذكرها الله فى قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

والجدير بالمؤمنين أن ينزلوا الرسول ﷺ فى حياتهم المنزلة التى تليق به ، ويحبونه بقلوبهم وأعمالهم وعواطفهم ، فهو طريقهم إلى الله ، وهو رائدهم إلى جنات النعيم .

الركيزة الثانية
صعوبة الموقف فى المحشر

يحشر الله الخلائق كلها فى أرض المحشر ، حفاة ، عراة ، عزلا ، وتقترب الشمس بحرارتها فوق رءوسهم ، ويلجمهم العرق ، ويشتد الحال ، ويحدث ما يلى :

(١) اجتماع الأولين والآخرين في أرض المحشر .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

(٢) كل واحد في المحشر يرى الجميع ، ويسمع الأصوات كلها .

(٣) تدنوا الشمس من الرءوس بحرارتها ، ولهيبها .

(٤) يبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون ، لهذا وغيره يبحث الناس عن مخلص لهم من هذه الشدة البالغة ولا يجدون إلا محمدا ﷺ .

الركيزة الثالثة

حسن الأدب فى الخطاب والطلب

يقضى الإنسان حاجاته بالطلب والرجاء ، وأحاديث الباب تقدم الوسيلة المثلى للطلب ، حيث يقدم الناس على الرسل يستشفعونهم ، ويقدمون لطلبهم حسن الخطاب فيصفون الرسول الذى يطلبون منه الشفاعة بمحاسن صفاته وقربه من الله .

ويعلم الله رسوله ﷺ كلمات يحمده بها ، ويلهمه إياها ، فيأخذها ﷺ بهذه المحامد ، ويخر ساجدا لله ، ويطلب من ربه أن يغفر للمذنبين من عباده ، ويستمر الرسول ﷺ فى الطلب حتى يغفر الله للمسلمين جميعا .

وللمؤمنين فى هذا المنهج درس ينفعهم ، وهو ضرورة حسن الطلب والتقديم الجيد للطلب ؛ لينالوا ما يرغبون ويطلبون .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) رسول الله ﷺ هو صاحب المقام المحمود والشفاعة العظمى .

(٢) يحقق الإنسان بالخلق الحسن ما لا يحققه بالمال ، والقوة .

(٣) الساعة حق ، والجنة ، والنار حق ، والواجب الاستعداد لذلك .

ـ ٦٥ ـ

٨٤ ـ باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته

[١٢١] ، (١) ٧٤٧٤ حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة ، فأريد ، إن شاء الله ، أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[١] .

[١٢٢] ، (٢) ٦٣٠٥ حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال : كل نبي سأل سؤالا أو قال لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيبت فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن النبى ﷺ ادخر دعوته الخاصة لأمته ؛ ليخلصهم بها من عذاب النار ، ويدخلهم الجنة .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول النبى ﷺ : (لكل نبي دعوة) أى جعل الله لكل نبى دعوة عامة لأمته يستجيب له فيها على وجه القطع ، وبقية أدعية كل رسول على رجاء الإجابة .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٩٧ كتاب التوحيد : ٣١ باب قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي ﴾ .

(٢) أخرجه البخاري في : ٨٠ كتاب الدعوات : ١ باب لكل نبي دعوة مستجابة .

(فأريد ، إن شاء الله ، أن أختبي دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة) **وقد دعا كل نبى على أمته دعوة بالخير أو بالشر ، استجيبت له كدعوة نوح عليه السلام :** ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[١] **ومثل دعوة زكريا عليه السلام :** ﴿ فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾[٢] **ومثل دعوة سليمان عليه السلام حين قال :** ﴿ وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ ﴾[٣] .

وقد نال كل نبى دعوته فى الدنيا إلا محمدا ﷺ ؛ فإنه لما دعا على قومه قال الله له : ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ ﴾[٤] **فلم يشأ أن يجيب دعوة النبى ﷺ على قومه ، ولذلك كانت حكمة النبى ﷺ أن يعلق إرادته على مشيئة الله تعالى ، وقد أراد الله أن يؤخر دعوة النبى ﷺ إلى الآخرة ليشفع بها لأمته يوم القيامة .**

وتأخير دعوة النبى ﷺ المستجابة إلى يوم القيامة بيان لشفقة رسول الله ﷺ على أمته ، لأنها تكون فى يوم يكون الخلاص فيه أعظم ثواب يناله الإنسان ، وهو خير من الدنيا وما فيها .

والمراد بالأمة أمة الإجابة التى استجابت لدعوة رسول الله ﷺ ودخلت فى الإسلام ، وبذلك دخلت فى دعوة رسول الله ﷺ وهو يسأل ربه أن يؤتيه الشفاعة لأمته فيشفع لهم ، ويدخلهم جميعا الجنة .

---

(١) سورة نوح ، الآية ٢٦ .
(٢) سورة مريم ، الآية ٥ ، ٦ .
(٣) سورة ص ، الآية ٣٥ .
(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٢٨ .

وقد جاء فى الحديث الثانى : أن كل نبى سأل سؤالا أوله دعوة دعا بها وهذا يبين أن المراد بالدعوة السؤال والطلب ، حيث جعل الله لكل نبى سؤالا يسأله ، أو دعوة يطلبها يستجيبها له ، ولا يقال : إن كل دعوات الرسل مستجابة كلها ، لأن الرسول دعا بأشياء لم تستجب، وهو ﷺ يقول: (سألت الله ثلاثا فأعطانى اثنتين)[١] .

فإن قيل : **لم دعا النبى ﷺ على أقوام من أمته ؟ فقد دعا على أحياء من العرب ، ودعا على أناس من قريش بأسمائهم ، ودعا على مضر ، ودعا على رعل وذكوان ؟**

أقول : **أغلب من دعا عليهم رسول الله ﷺ كان زجرا لهم وتخويفا من الضلال ليتوبوا ، ويرجعوا عن ضلالهم وافكهم .**

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

يتصف الرسل جميعا بالحلم والشفقة على الناس ، ولذا ميزهم الله تعالى بدعوة مستجابة على وجه القطع ، يلجأون إليها حين تنقطع بهم السبل ، ولذلك كان دعاء الرسل بهلاك الكافرين حين يرون إصرارهم على الكفر .

وقد اختلف الأمر مع محمد ﷺ ، وبقى أمل فى إيمان خصومه ، ولذلك كان ﷺ يدعو لهم بالتوفيق والهداية ، ويقول : (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون)[٢] .

---

(١) سنن الترمذى، كتاب الفتن، باب ما جاء فى سؤال النبى ﷺ ثلاثًا فى أمته ج٤ ص٤٧١ .

(٢) شعب الإيمان . كتاب حب النبى ﷺ . فصل فى بيان النبى ﷺ وفصاحته ج٣ ص٤٥ .

وحتى تنجو أمة محمد ﷺ من النار جعل الله دعوة محمد ﷺ المستجابة فى الآخرة عند الحشر والحساب ، وبذلك يتحقق عفو الله وغفرانه لكل من استجاب لدعوة محمد ﷺ ، ودخل فى الإسلام .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الله قطع لكل نبى دعوة مستجابة ، وقد أخر الاستجابة لدعوة محمد ﷺ إلى الآخرة ليشفع بها لكل من استجاب لدينه ، ودخل فى الإسلام .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... هى :

أهمية أدعية الرسل عليهم السلام

الدعاء يربط العبد بربه ، ويظهر حاجة الإنسان المخلوق إلى عطاء الخالق العظيم ، ولقد فتح الله باب الاستجابة للداعين . يقول الله تعالى :

- ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] .
- ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[2] .

ولقد خص الله كل رسول بدعوة مستجابة على وجه القطع، وعلق استجابة أدعية الرسل الأخرى لمراد الله تعالى إن شاء استجاب لها وان شاء ردها .

---

(١) سورة غافر ، الآية ٦٠ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٨٦ .

وقد ادخر الله لرسولنا محمد ﷺ دعوته المجابه لتكون فى الآخرة شفاعة لأمته ليدخل كل مؤمن الجنة ، ولا يبقى فى النار أحد ممن وحد الله تعالى ، وقال : لا إله إلا الله .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

يشير الحديث إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) الدعاء مخ العبادة ، والعبد فى دعائه عابد لله تعالى .

(٢) حرص رسول الله ﷺ على سعادة أمته .

(٣) يستحب تعليق آمال المستقبل على مشيئة الله تعالى .

(٤) الرسول ﷺ يشفع لأمته يوم القيامة .

(٥) بقاء الأمل معلق بعفو الله تعالى ، وأنه لا يأس ولا قنوط .

(٦) أن الله يحب من عباده التوبة والرجوع .

(٧) رحمة الله بأمة محمد ﷺ واسعة فى الدنيا والآخرة .

ـ ٦٦ ـ

٨٠ ـ باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾

[١٢٣] ، (١) حديث أبي هريرة ﷺ قال : قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ قال : يا معشر قريش . أو كلمة نحوها . اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ ، سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئا[١] .

[١٢٤] ، (٢) حديث ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ ورهطك منهم المخلصين ، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه فقالوا : من هذا ؟ ... فاجتمعوا إليه .

فقال : أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟

قالوا : ما جربنا عليك كذبا .

قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٥٥ كتاب الوصايا : ١١ باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ؟

قال أبو لهب : تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا ثم قام فنزلت : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[١] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

يدور موضوع الحديث حول عموم دعوة النبى ﷺ وبدئه بدعوة عشيرته الأقرب إليه على عادة الناس والفهم .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول أبو هريرة ﷺ : (قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾) **أى أن رسول الله ﷺ بعد انتهاء مرحلة الدعوة السرية ، وحين أمره الله تعالى بقوله سبحانه :** ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢] **قام بمواجهة قومه ، ودعوتهم إلى الإسلام ، ونبذ عبادة الأصنام ، وقد حدد الله تعالى لرسوله ﷺ الجماعة التى يبدأ بدعوتها ، وذلك فى قوله تعالى :** ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ **والعشيرة هى الأهل والأقرباء ، وقد أمر الله رسوله ﷺ بتخويف أهله وعشيرته الأشد قربا منه من عذاب الله يوم القيامة إن استمروا على عبادة الأصنام ، وعدم الدخول فى الإسلام ، وامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه ، فـ (صعد على الصفا) وهو**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٥ كتاب التفسير : ١١١ سورة تبت يدا أبي لهب وتب : ١ باب حدثنا يوسف .

(٢) سورة الحجر ، الآية ٩٤ .

جبل أبى قبيس المطل على بيوت أشراف مكة ، والمشرف على الكعبة ، ومنه يبدأ السعى ، وأخذ ينادى قبائل مكة فكلهم قرابته ، وبينهم وبين رسول الله ﷺ صلة ، وقال لهم : (يا معشر قريش أو كلمة نحوها) **وناداهم جميعا ، وعمم نداءه لكل قرشى ، فهم عشيرته التى أمره الله بدعوتها وقد ناداهم رسول الله بما يفيد طلب حضورهم إليه .**

فلما حضروا قال لهم ﷺ : (اشتروا أنفسكم ، لا أغني عنكم من الله شيئا) **أى خلصوا أنفسكم من عذاب الله تعالى ببذل الطاعة لله ، والاستسلام لأمره ، والإيمان بدينه ، وكأنه قال : آمنوا وأسلموا تسلموا من عذاب النار.**

وبين لهم ﷺ أنه لا يدفع عنهم جزاء أو عقابا ، لأن حكم الله إلحاق العقوبة بمن يستحقها ، وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن الإنسان لا ينفعه إلا عمله .

وبعد أن أنذر النبى ﷺ قريشا كلها بصورة عامة ، أخذ ينذر قبائل قريش قبيلة قبيلة ، فقال : (يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ سلينى ما شئت من مالى ، لا أغنى عنك من الله شيئا) .

ويورد الحديث الثانى الآية ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ **ويضيف معها تفسير لها وهو** (ورهطك منهم المخلصين) **والرهط هم جماعة الرجال التى لا تقل عن ثلاثة ، ولا تزيد عن عشرة ، ويصف هذا القول بأن هذا الرهط من المخلصين الذين أسلموا وحسن إسلامهم ، وهذا يفيد أن نداء النبى ﷺ قومه حدث أكثر من مرة لعدة قرائن هى :**

أولا : **أن أبا هريرة ﷺ أسلم بعد الهجرة إلى المدينة المنورة وهو راوى الحديث الأول .**

ثانيا : **أن ابن عباس روى الحديث الثانى ولم يكن ولد عند بدء الدعوة**

ثالثا : **أن فاطمة رضى الله عنها لم تكن بلغت حد التكليف ، ولم يجز تكليفها بالأحكام الشرعية عند بدء الدعوة .**

رابعا : **ورد أن رسول الله ﷺ لما نزل عليه قوله تعالى :** ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ **جمع أهله ونساءه وقال لهم : يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من النار ، واسعوا في فكاك رقابكم ، يا عائشة بنت أبي بكر ، يا حفصة بنت عمر ، يا أم سلمة ... وذكر حديثا طويلا ، فدل هذا على تعدد القصة لأن القصة الأولى وقعت بمكة لتصريحه في حديث الباب أنه صعد الصفا ، ولم تكن عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة من أزواجه إلا بالمدينة .**

ومن هذه القرائن نرى أن رسول الله ﷺ جمع المذكورين بعد استقرار أمر الإسلام فى المدينة وأعاد عليهم ما حدث عند بدء الدعوة(١) .

والمراد بالأقربين لرسول الله ﷺ كل من يجتمع معه فى جد أعلى ، وكلما قرب الجد زاد القرب .

ودعوة الأقربين مرحلة من مراحل الدعوة . **فقد بدأت الدعوة سرية طيلة ثلاث سنوات ، وبعدها كان الجهر بالدعوة ، وفيها أمر الله رسوله ﷺ بإنذار الأقرب إليه من قرابته وعشيرته ، وقال له :** ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

---

(١) أنظر فتح البارى ج١٨ ص١١٣ .

وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ، **ثم كانت مرحلة الهجرة ، ثم جاء تشريع الجهاد ، فوقعت الغزوات والسرايا ، وتأسست الدولة الإسلامية فى المدينة المنورة .**

ويبين الحديث الثانى : أن رسول الله ﷺ صعد على الصفا ، وأخذ ينادى ويهتف : "يا صباحاه" ، مستغيثا بالناس ليؤمنوا ، ويسلموا أمرهم لله ، وكان ذلك عند الصباح .

فقالوا : من هذا ؟

فلما علموا أنه محمد ﷺ (اجتمعوا إليه) **ليعرفوا ما يريد منهم .**

فقال لهم ﷺ : (أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟) **أى : أخبرونى عن رأيكم في ، وهل تصدقوننى لو أخبرتكم أن خيلا ورائى عند سفح هذا الجبل ؟ ... أراها ولا ترونها تريد أن تغير عليكم ... فهل تصدقون هذا الخبر الذى أسوقه لكم ؟**

فـ (قالوا : ما جربنا عليك كذبا) **أى نصدقك فى كل خبر تذكره لنا ؛ لأننا نعهد فيك الصدق دائما ، ولم نعهد منك كذبا قط .**

(قال) **لهم ﷺ** : (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) **أى إن الله قد اختارنى رسولا إليكم ، والى الناس كافة لأبلغكم دينه ، وأخوفكم من عذابه إن لم تؤمنوا ، وأن الساعة آتيه لا ريب فيها ، وعندها يكون الحساب والعقاب .**

فـ (قال أبو لهب) **وهو عم النبى ﷺ ، واسمه عبد العزى ، كنى بأبى لهب إما لابنه "لهب" أو لشدة حمرة وجهه الذى سيحرق بنار جهنم شديدة اللهب .**

وكان أبو لهب من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ ، ويرجع السبب في ذلك أن أبا طالب لاحى أبا لهب ، فقعد أبو لهب على صدر أبي طالب فجاء النبي ﷺ فأخذ بضبعي أبي لهب فضرب به الأرض فقال له أبو لهب : كلانا عمك فلم فعلت بي هذا ؟ ... والله لا يحبك قلبي أبدا ، وذلك قبل النبوة ، وقال له إخوته : لما مات أبو طالب لو عضدت ابن أخيك لكنت أولى الناس بذلك ، ولقيه فسأله عمن مضى من آبائه فقال : إنهم كانوا على غير دين ، فغضب أبو لهب وتمادى فى عداوته ، ومات أبو لهب بعد وقعة بدر ولم يحضرها بل أرسل عنه بديلا فلما بلغه ما جرى لقريش مات غما[1] .

(تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟) **أى قال أبو لهب منكرا ما سمع ، ومستهزئا برسول الله ﷺ ، ومنكرا لدعوته ، وداعيا عليه بالهلاك والتب .**

(ثم قام) **أبو لهب من المجلس ، وانتهى من معارضته ؛** (فنزلت) **سورة تبت وفيها يقول الله تعالى :** ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ **أى هلكت يدا أبى لهب ، وقد وقع ذلك ، وخسر أبو لهب ، وهلك فى الدنيا وفى الآخرة .**

ويبدو . والله أعلم . أن رسول الله ﷺ دعا قومه وعشيرته مرات عدة ولذلك كثرت الروايات فى دعوة الرسول ﷺ وهو يجهر بدين الله تعالى . ففى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : يا بني فهر فاجتمعوا ثم قال : يا بني غالب فرجع بنو محارب والحارث ابنا فهر .

فقال : يا بني لؤي فرجع بنو الأدرم بن غالب .

فقال : يا آل كعب فرجع بنو عدي وسهم وجمح .

---

(١) فتح البارى ج١٨ ص٣٩٦ ، ٣٩٧ .

فقال : يا آل كلاب فرجع بنو مخزوم وتيم .

فقال : يا آل قصي فرجع بنو زهرة .

فقال : يا آل عبد مناف فرجع بنو عبد الدار وعبد العزى .

فقال له أبو لهب : هؤلاء بنو عبد مناف عندك[١] .

وعند الواقدي أنه ﷺ قصر الدعوة على بني هاشم والمطلب وهم يومئذ خمسة وأربعون رجلا[٢] .

وقد دلت روايات الحديث على تكرار مناداة النبى ﷺ قومه ، ودعوتهم .

وفي حديث علي عند ابن إسحاق والطبري والبيهقي في الدلائل أنهم كانوا حينئذ أربعون يزيدون رجلا أو ينقصون ، وفيه عمومته أبو طالب وحمزة والعباس رضى الله عنهما وأبو لهب .

ولابن أبي حاتم من وجه آخر عنه أنهم يومئذ أربعون رجلا .

وفي حديث **علي أنه صنع لهم شاة على ثريد ، وقعب لبن وأن الجميع أكلوا من ذلك وشربوا ، وفضلت فضلة ، وقد كان الواحد منهم يأتي على جميع ذلك .**

وفى حديث **قبيصة بن محارب ﷺ : أن رسول الله ﷺ أخذ ينادى : إنما أنا نذير ، وانما مثلي ومثلكم كرجل رأى العدو فجعل يهتف: يا صباحاه ، يعني ينذر قومه .**

وفي رواية موسى بن وردان **عن أبي هريرة عند أحمد قال : أنا النذير والساعة الموعد .**

---

(١) فتح البارى ج١٨ ص١١٤ .

(٢) المرجع السابق .

وعند الطبري **من مرسل قسامة بن زهير قال : بلغني أنه ﷺ وضع أصابعه في أذنه ورفع صوته وقال يا صباحاه[١] .**

ومن حسن دعوة النبى ﷺ أنه سألهم عن صدقه فى أخباره التى تغيب عنهم ، فلما أقروا بصدقه فى كل ما أخبر عنه ، عرفهم بالوحى الذى نزل عليه ، وطلب منهم تصديقه فى رسالته لهم وللناس كافة .

ومن حسن دعوة النبى ﷺ أنه لم يكتف بلقاء واحد ، أو بكلام واحد ، أو بمخاطبة فريق من أقربائه دون فريق ، وانما عمم وخصص ، ودعاهم فرادى وجماعات ، وباشر الاتصال بهم بمختلف الصور ، وفى عدد من الأماكن والأوقات .

والحكمة فى نزول سورة "تبت" مع بدء الجهر بالدعوة إعلام الناس بهلاك أبى لهب عم رسول الله ﷺ لكفره وجحوده ، وتعريفهم أنه لا محاباة فى المسئولية والجزاء ، فمن أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها .

ومن حسن الدعوة البدء بالأقارب المقربين ، فهم الأعرف به ﷺ ، ولأن الحجة إذا قامت عليهم فإقامتها على غيرهم أظهر وأولى ... وحتى لا يتخذهم الأبعدون سببا للامتناع والكفر بدعوى أن أقرباء الإنسان أعرف به من غيرهم .

وقد ذهب بعض خصوم الإسلام إلى زعم اختصاص الدعوة لعشيرة النبى ﷺ مستدلين بقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ **، وقالوا : إن الآية واضحة الدلالة فى أن الأمر بالإنذار موجه للعشيرة الأقرب ... ونحن نقول بهذه الدلالة ، ونضيف عليها آيات أخرى هى قوله تعالى :**

---

(١) أشار ابن حجر في فتح البارى إلى الروايات المذكورة وكلها تدور حول دعوة النبى ﷺ عشيرته وأهله ... انظر فتح البارى ج١٨ ص١١٥ .

﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[١] **فهم أوسع دائرة من العشيرة ، وتشمل مكة ، ومن حولها ... وقوله تعالى :** ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾[٢] **لأنها تفيد أن الدعوة للعرب كافة ... وقوله تعالى :** ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[٣] **فهى تشمل العالم كله ... ولا يصح الاستدلال بآية تخص مرحلة من مراحل الدعوة وترك الآيات الأخرى التى توضح أن الإسلام للعالم كله ، والتسليم بآية يقتضى التسليم بغيرها من الآيات لأنها كلها كلام الله تعالى .**

والآية تخص مرحلة الدعوة الأولى حين الجهر بالدعوة ، ولذلك وجب وضعها فى موضعها فى مراحل الدعوة ، وعدم تصديق من يزعم خصوصية الدعوة لأهل النبى وعشيرته فقط ، لأن ظاهر الآية يدل على دعوة الأقرب من العشيرة ، وليس العشيرة كلها ، فلو أخذنا بالآية وحدها لاكتفى محمد ﷺ بدعوة أهل بيته .

وأيضا فإن تصديق الآية والإيمان بها جزء من كلام الله تعالى يؤدى بنا إلى الإيمان بالقرآن الكريم كله ، وقد عرفنا كلام الله تعالى بأن الله أرسل رسوله إلى الناس كافة ، وذلك فى قوله تعالى :

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[٤] .
- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ٩٢ .
(٢) سورة السجدة ، الآية ٣ ، وسورة القصص ، الآية ٤٦ .
(٣) سورة الفرقان ، الآية ١ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ .
(٥) سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧ .

- ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾[1] .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تشدنا أحاديث الباب إلى الفترة الأولى حين الجهر بالدعوة ، وحين لم يؤمن بالإسلام إلا عدد قليل لبيان عدد من الأمور :

الأمر الأول : **بيان أن مسار الدعوة اتخذ منهجا طبيعيا يتفق مع طبائع الناس ، لأن الشأن فى كل أمر جماعى أن يبدأ بفرد ، ثم يتسع شيئا فشيئا حتى يصل إلى كل محتاج إليه ، ومثله فى الناس كحجر ألقيته فى البحر الواسع فإنه يبدأ بنقطة وبعدها يصنع أمواجا دائرية تأخذ فى الاتساع حتى تصل إلى نهاية الماء .**

الأمر الثانى : **استعانة رسول الله ﷺ بالمؤمنين الصادقين ليعاونوه ويساعدوه ؛ مثل زوجته خديجة ، وصفية عمته ، وابنته فاطمة رضى الله عنهم .**

الأمر الثالث : **ربط رسول الله ﷺ فى بدء الدعوة الدنيا بالآخرة فخوف من النار ، وأنذر بالعذاب ، وعرفهم بالحساب والجزاء .**

الأمر الرابع : **يفتح الله قلوب من شاء للإيمان والهداية ، بعيدا عن العوامل المادية كالقرابة وأمور الدنيا ، ولذلك عرف رسول الله ﷺ أقرباءه بأنه ﷺ لن يغنى عنهم من الله شيئا ، وأنه لن ينقذهم من النار إلا إيمانهم وعملهم الصالح .**

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ١ .

الأمر الخامس : **بيان المشاق والمصاعب التى واجهها رسول الله ﷺ من قومه المقربين ومن العرب ومن الناس مع حرصه على هداية الناس ، وانقاذهم من ظلمات الجهل ، وسوء الكفر والضلال .**

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين الأحاديث الأيام الأولى بالجهر بالدعوة ، وموقف أهل مكة من دعوة رسول الله ﷺ ، وتوضيح المشاق التى تحملها رسول الله ﷺ ، وهو يدعو الناس إلى الله تعالى .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب عددا من الركائز ... أهمها :

الركيزة الأولى

لا محاباة فى دين الله تعالى

أرسل الله رسوله ﷺ للناس ، ليبلغهم دين الله تعالى ، ويعرفهم بما يجب عليهم ، وما يحق لهم ، ويضع لهم المعايير الدقيقة ، ويحدد لهم الحدود العادلة التى لا يصح لمسلم إن يتخطاها ، أو يعتدى عليها .

ومن أهم المقاييس الدينية أن الإنسان مؤاخذ بعمله ؛ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[1] **وأكد الله**

---

(١) سورة الزلزلة ، الآية ٧ ، ٨ .

للناس أنه ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[1] **وصار معلوما أن الإنسان مسئول عن عمله وحده .**

وقد أعلن الله هذه الحقيقة للناس فى أول البعثة على لسان رسوله ﷺ إذ جمع الناس حين الجهر بالدعوة ، وقال لهم : "اشتروا أنفسكم ، لا أغن عنكم من الله شيئا" ، ولقد نادى رسول الله ﷺ بطون قريش بطنا بطنا ، وحثهم على الإسلام ، وطاعة الله ، وعرفهم أنه لن ينفعهم إلا عملهم ، ونصحهم بطاعة الله تعالى .

إنه لا محاباة فى دين الله تعالى ، وان كل نفس بما كسبت رهينة .

وعلى هذا : **فليعمل العاملون، ويجتهد المخلصون، ويعلمون أن الله مطلع عليهم ، وسيجازيهم بما عملوا ، ولن يضيع على عامل عملا، ولن يحرم إنسا من صالح أدائه .**

ومما يدل على عدم المحاباة أن رسول الله ﷺ حذر عشيرته وقومه من المعاصى ؛ لأنه لن يغنى عنهم من الله شيئا .

ولما تجبر أبو لهب وطغى ومعه زوجته ، أهلكهم الله ولم يراع فيهم قرابتهم لرسول الله ﷺ ، وقال الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥ ﴾[2] .

---

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٦٤ .

(٢) سورة المسد .

وبقى ذم أبى لهب على مسامع المسلمين ، وعلى مدار الزمن إلى يوم القيامة واستمر هذا الذم فى القرآن الكريم ليعلم الناس أنه لا محاباة فى دين الله تعالى ، وأن النجاة فى الدنيا والآخرة مرتبطة بطاعة الله تعالى .

الركيزة الثانية

التدرج فى عرض الدعوة

الإسلام مجموعة من المعارف يصعب أن تلقى دفعة واحدة ، والأفضل أن يوجه الناس نحوها شيئا فشيئا ، وهذا ما حدث ؛ فلقد كان من أول الآيات التى أمرت رسول الله ﷺ بالإنذار إنذار قومه ، وفيها يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ وتمثل الآية المرحلة الأولى للجهر بالدعوة ، وهى خاصة بدعوة أقرب قومه إليه ، ولذلك دعا ابنته ، وعمه ، وعمته ، وأبناء عمومته ، وبعد ذلك قام بدعوة أهل مكة ومن حولها ، ثم بدعوة الناس أجمعين .

ودعوة الأهل والعشيرة هو البداية العملية الصحيحة ؛ فأهل الرجل أعرف الناس به ، وايمانهم بدعوة الرسول شهادة صدق له عند الآخرين ، والغرباء دائما يتأملون فى موقف قومه منه ، ويرون أن اتباعهم له دليل صدقه واخلاصه ... ولذلك حسن للدعاة أن يجمعوا الناس على دعوتهم ويبدأوا بالأقرب ، ليكونوا شهودا على صدق دعوتهم .

الركيزة الثالثة
بيان الثقة قبل المعارضة

أصر رسول الله ﷺ على معرفة رأى الناس فى صدقه قبل دعوتهم ، وسألهم عن رأيهم فيه فقال : "ما رأيكم لو أخبرتكم أن خيلا وراء هذا الجبل تريد أن تغير عليكم ... أكنتم مصدقى ؟" .

فقالوا : ما جربنا عليك كذبا قط .

فلما أقروا بصدق رسول الله ﷺ أخذ يحدثهم بالوحى الذى جاء من عند الله تعالى ويبلغهم به دينه سبحانه .

وكان المأمول أن يؤمن المكيون بما دعاهم إليه رسول الله ﷺ ؛ فهم يعرفون صدقه وأمانته ، وقد أقروا له بذلك ... إلا أنه الكبر ، والكفر ، والفساد .

ويبقى من ذلك درس للناس يدعوهم إلى تأكيد صدقهم حين نصح الآخرين ، لأن التسليم بالصدق سبيل إلى الإيمان والتسليم .

الركيزة الرابعة
عالمية الإسلام

تبين أحاديث الباب مرحلة الدعوة الأولى حين دعا الرسول ﷺ قومه وعشيرته ، وهذا لا يتعارض مع عالمية الإسلام ، لأن الأحاديث توضح مرحلة من مراحل الدعوة تفيد فى بابها ، ولا تعارض أدلة أخرى سواها ، والأدلة كثيرة فى إثبات عالمية الإسلام ... ومنها :

- **يقول الله تعالى :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[1] .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ .

- **ويقول النبى ﷺ : (بعثت إلى الناس كافة)[١] .**

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) مكارم الخلق عند الرجل تظهر مع أهله وعشيرته أولا .

(٢) يقوم حكم الإسلام على العدل المطلق فى المسئولية والجزاء .

(٣) قلب الإنسان هو رائده وقائده ، والذى خبث قلبه لا يكون ظاهره إلا نكدا .

(٤) جمع الناس ومصارحتهم فى القضايا أمر هام .

(٥) لا محاباة فى الإسلام ، وأكرمكم عند الله أتقاكم .

(٦) تقسيم العمل الهام إلى مراحل متعددة سبيل للنجاح فيه .

(٧) علامة الإيمان مقدمة على علاقة القرابة لينتصر الحق ، ويزهق الباطل .

(٨) يحتاج الدعاة إلى التجرد التام لله ورسوله ﷺ بعيدا عن العنصرية والعصبية .

(٩) العاقل هو من يستفيد من دنياه لآخرته ، ووجه سائر عمله للفوز بالجنة .

---

(١) مسند الإمام أحمد . مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ج٤ ص٤٧٢ .

ـ ٦٧ ـ

٨٨ ـ باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه

[١٢٥] ، (١) ٣٨٨٣ حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال : هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار[١] .

[١٢٦] ، (٢) ٣٨٨٥ حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أنه سمع النبي ﷺ ، وذكر عنده عمه ، فقال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه[٢] .

ـ أ ـ

موضوع أحاديث الباب

تتناول أحاديث الباب تخفيف عذاب أبى طالب بسبب دفاعه عن رسول الله ﷺ مع أنه مات على دين آبائه .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

سأل : (العباس بن عبد المطلب ﷺ) **رسول الله ﷺ عن أخيه أبى طالب و** (قال للنبي ﷺ : ما أغنيت عن عمك) **: أى سأل العباس رسول**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٦٣ كتاب مناقب الأنصار : ٤٠ باب قصة أبي طالب .

(٢) أخرجه البخاري فى : ٦٣ كتاب مناقب الأنصار : ٤٠ باب قصة أبي طالب . وللحديث رواية أخرى في صحيح البخارى برقم (٦٥١٤) .

الله ﷺ عن مصير أخيه أبى طالب ، وعن فائدة دفاعه عن رسول الله ﷺ قائلا : ماذا فعلت يا محمد لعمك أبى طالب ، وكان سندك ، ومعينك أمام قريش ؟ وبماذا تنفعه ؟

وكان القرشيون يستهزئون بأبى طالب فى مرضه الأخير ، ويقولون له : أرسل إلى ابن أخيك ليرسل إليك جزءا من الجنة التى يحدثك عنها ، أو يأتى لك بدواء يشفيك من المرض .

يقول ابن إسحاق : خديجة وأبو طالب هلكا في عام واحد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكانت خديجة له وزيرة صدق على الإسلام ، يسكن إليها ، وكان أبو طالب عضدا وناصرا له على قومه ، فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، ونثر على رأسه ترابا ؛ فقال رسول الله ﷺ : "ما نالتني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب"[1] .

(فإنه كان يحوطك ويغضب لك) **أى وذكر العباس لرسول الله ﷺ ما كان يفعله أبو طالب معه ، وقال له : إنه كان يرعاك ، ويدافع عنك بأقواله ، وأفعاله ، وأنه كان يثور لأى أذى يلحقك ... فماذا فعلت له ؟ ... وما الذى كافأته به ؟**

(قال) ﷺ : (هو في ضحضاح من نار) **هو فى نار إلى كعبيه ، والضحضاح من الماء ما يبلغ الكعبين ، فإذا زاد الماء عن ذلك يكون غمرا ... والمعنى أن الله خفف عنه العذاب فلا تزيد النار عن كعبيه .**

---

(١) سبل الرشاد في هدى خير العباد ج٢ ص٤٣٥ .

(ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) **ولولا شفاعتى لوضعه الله فى أشد النار عذابا ، وأسفل دركاتها وعذبه فى قعرها البعيد لكفره ، إلا أن الله خفف عنه لما كان يقوم به معى ، والنار دركات كما أن الجنة درجات .**

ويدور الحديث الثانى حول معنى الحديث الأول ، إلا أنه يقدم الخبر فى صورة رجاء إذ يقول النبى ﷺ : فلعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيوضع فى (ضحضاح من نار) **أى عسى أن يوضع أبو طالب فى النار فتحرق رجله إلى كعبيه .**

(يغلي منه دماغه) **أى يغلى دماغه من النار التى تصل إلى كعبيه .**

وفى الحديث تساؤلات :

السؤال الأول : **لم سأل العباس محمدا ﷺ عن أخيه أبى طالب مع أنه لم يوحد الله ، ولم يدخل فى الإسلام ؟**

ويبدو أن سؤال العباس عن أخيه قبل أن يدخل العباس فى الإسلام ، وكان سؤاله تعصبا لأخيه ، وانكارا لحالته فى الآخرة .

وأبو طالب هو عم رسول الله ﷺ الشقيق لعبد الله من أمه وأبيه ، كفل محمدا ﷺ بعد وفاة عبد المطلب ، وكان فقيرا كثير العيال ، فأنزل محمدا منزلة أعز أبنائه ، واصطحبه فى المجالس والسفر والتجارة ، وزوجه بخديجة رضى الله عنها ، وظل يحميه ويدافع عنه إلى أن لقى ربه ، وهو على الشرك ومن شعره قوله :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ∴ حتى أوسد في التراب دفينا

ومنه قوله :

كذبتم وبيت الله نبذي محمدا ∴ ولما نقاتل حوله ونناضل

السؤال الثانى : **هل ينتفع الكافر بعمله الصالح فى الآخرة على ضوء تخفيف العذاب عن أبى طالب ؟**

إن الكافر يجزى بعمله الصالح فى الدنيا ذكرا وكسبا ماديا ، وليس له فى الآخرة نصيب ، وما يحدث لأبى طالب إحدى خصوصيات رسول الله ﷺ

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب البدايات الأولى للدعوة إلى الله تعالى ، وتوضح عدة أمور :

الأمر الأول : **كان رسول الله ﷺ يعلم بطون قريش ، وقبائلها ، ويعرف ما بينهم وبينه من قرابة ، ولذا أخذ يدعوهم بعدما نزل عليه قوله تعالى:** ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ **فلقد دعاهم إلى الله فعمم وخصص ، ودعا القبائل والشيوخ ، والأهل ، والأقارب ، وعمته ، وبنته ، وزوجته .**

الأمر الثانى : **تتحدث الأحاديث عن أبى طالب ، وأبى لهب ، وقد اشتركا فى عدم الدخول فى الإسلام ، والتمسك بالكفر ؛ إلا أنهما افترقا فى التعامل مع ابن أخيهما محمد ﷺ فأبو طالب ظل يحيط محمدا ﷺ ، ويحميه ، ويمنع عنه أعداؤه ... وأبو لهب أخذ يؤذى محمدا ﷺ ، ويضع الشوك أمام بيته ، ويصد الناس عنه ويسبه محمدا ﷺ ، وقد قدر الله لكل أعمامه ما يستحقونه فى أسمائهم ، فسمى أبو طالب بـ "عبد مناف" ... وسمى أبو لهب بـ "عبد العزى" فهما عبيد للأصنام والبشر ، وقضى للعباس وحمزة بأسماء بعيدة عن العبودية للأصنام .**

وقدر الله لأبى طالب أن يكون فى ضحضاح من النار ... وقضى لأبى لهب بأنه ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ **وجعل ذكر أبى طالب فى الدنيا بحمايته لرسول الله ﷺ ، وذكر أبى لهب ببيان هلاكه ، وانقطاع ذكره .**

الأمر الثالث : **تبين الأحاديث أن كل إنسان مسئول عن عمله ، وأن** ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[1] .

ـ د ـ

المعنى العام لأحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن رسول الله ﷺ بدأ بإنذار عشيرته كما أمره الله تعالى ، وأنه ﷺ لقى منهم عنتا وكفرا ، وأن عمه أبا طالب أحاطه بالنصرة والحماية ولم يؤمن ، وقد شفع له ﷺ فخفف الله عنه العذاب تكريما لرسول الله ﷺ .

ـ هـ ـ

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن أحاديث الباب ركيزة هامة ... هى :

الهدى هدى الله تعالى

الأمر كله بيد الله تعالى ، يوجد القلوب والجوارح لما يريد ، وقد علم الله استعداد كل نفس لمسارها ، وميلها إليه ، فقضى به ، ويسره لها ... وهذا هو أبو طالب أحب النبى ﷺ أكثر من أبنائه ، ودافع عنه ، وتصدى

---

(١) سورة المدثر ، الآية ٣٨ .

لأعدائه ، ومنع عنه الأذى والعنت ، وقد رغب رسول الله ﷺ فى إسلامه ، فدعاه إلى الإسلام إلى آخر حياته فى الدنيا ، وقضى الله عليه بأن يموت على دين أبائه وأجداده ... وأخذ ﷺ يدعو له ويستغفر ، فخفف الله عنه العذاب خصوصية لرسول الله ﷺ ، وقال الله لرسوله ﷺ : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1] .

- ٩ -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تشير أحاديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) ينصر الله دينه بما يشاء وبمن يشاء ولله جنود السماء والأرض .

(٢) يحتاج العمل الصالح إلى التمام ، لأن النقص فيه لا يفيد .

(٣) عذاب الله أليم شديد .

(٤) البدء بترسيخ المبادئ العامة والقواعد الكلية أولى من البدء فى التفاصيل الجزئية .

(٥) يستحب البدء بالأمور المسلم بها ، واستخدامها فى التدليل على غيرها من القضايا .

(٦) محافظة الإسلام على حقوق الأقارب ما لم يتعارض مع تعاليم الدين من المسائل المشروعة .

(٧) تقوية الصلة بين الأقارب والجيران عامل للفوز والبناء والتقدم .

---

(١) سورة القصص ، الآية ٥٦ .

ـ ٦٨ ـ

٨٩ ـ باب أهون أهل النار عذابا

[١٢٧] ، (١) ٦٥٦١ حديث النعمان بن بشير ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يبين حديث الباب أهون الناس عذابا يوم القيامة .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول النعمان بن بشير ﷺ وهو راوى الحديث : (سمعت النبي ﷺ يقول : إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة) **أى أقل الناس عذابا يوم القيامة من يعذب كعذاب أبى طالب المذكور فى الباب السابق ، فقد أخبر رسول الله ﷺ بأن عمه أبا طالب سيعذب بأهون العذاب وأقله .**

(لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه) **أى توضع تحت أخمص قدميه ، والمراد بالأخمص المكان الموجود فى باطن القدم المنحنى من ناحية القدم الأخرى ، وهو المرتفع عن الأرض قليلا ، ويكون العذاب الأهون بوضع قطعة نارية مشتعلة بالنار تحت الأخمص ، فيصعد منها لهيب يغلى الدماغ بها ، ولا يرى المعذب أن أحدا أشد عذابا منه .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٨١ كتاب الرقاق : ٥١ باب صفة الجنة والنار . وللحديث رواية أخرى في البخارى برقم (٦٥٦٢) .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يبين حديث الباب أخف عذاب يوم القيامة وصورته وضع قطعة نار تحت أخمص القدم يغلى بها الدماغ ، فشبهه بقدر ملئ بالماء توقد النار أسفله ويغلى أعلاه .

وان كان هذا أهون العذاب ، فإن ما فوقه أشد وأنكى .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث أن أهون العذاب جمرة صغيره من النار توضع تحت القدم تغلى الرأس بها .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن حديث الباب ركيزة هامة ... هى :

الترهيب الشديد

يبين الحديث أهون الناس عذابا يوم القيامة من عصى الله فى أمر ولم تقبل توبته فيه ، وهو عذاب شديد فحين تغلو الرأس من نار تحت القدم ؛ فإن الجسد كله يتألم ، ولا يشعر الجسد كله إلا بآلام النار وحريقها .

وهذا ترهيب شديد يحذر الناس من المعاصى ، ولئن كان هذا أهون العذاب ... فما بالك بأكثره وأشده .

إن عذاب الله شديد ، وعلى العقلاء الحذر من الوقوع فيه ، وأهونه أليم شديد كما يبين حديث الباب .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يشير حديث الباب على عدد من الفوائد ... منها :

(١) العذاب فى الآخرة مؤلم كله ، فأخفه هوان وآلام .

(٢) العذاب الأخروى يشمل الجسد كله وحركة أهونه من الأدنى إلى الأعلى يفيد ذلك .

(٣) يعذب أبو طالب بأخف العذاب خصوصية لرسول الله ﷺ .

ـ ٦٩ ـ

٩٠ ـ باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم

[١٢٨] ، (١) ٥٩٩٠ حديث عمرو بن العاص ﷺ ، قال : سمعت النبي ﷺ جهارا غير سر يقول : إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي ، إنما وليي الله وصالح المؤمنين ، ولكن لهم رحم أبلها ببلالها يعني أصلها بصلتها[١] .

ـ أ ـ

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول بيان أن الموالاة تكون بين المؤمنين حبا وصدقا واخلاصا ، وأنه لا تجوز موالاة المؤمن لغيره ، ولو كان من خاصة قرابته .

ـ ب ـ

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يقول عمرو بن العاص ﷺ راوى الحديث عن رسول الله ﷺ : (سمعت النبي ﷺ جهارا غير سر يقول**) أى سمعت حديث رسول الله ﷺ وهو يتكلم جهارا ، وقد سمعه كل من كان موجودا فى مجلس النبى ﷺ . وجهارا حال من الفاعل بمعنى سمعت الحديث علنا لا سر فيه ولا خفاء ، ويجوز أن يكون حالا من المفعول به ، أى سمعت الحديث وكان جهرا مسموعا لا سر فيه .**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٧٨ كتاب الأدب : ١٤ باب يبل الرحم ببلاها .

وقوله : (غير سر) **تأكيد لقوله جهارا حتى لا يتصور أحد أنه روى الحديث مرة جهرا ومرة أخرى سرا .**

(إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي) **بنو فلان كناية عن قوم معينين أخفاهم الحديث منعا لضرر يلحق بهم ، أو بذويهم وأبنائهم من المؤمنين ، لأن من ينفى الرسول ﷺ ولاءه عنه فهو كافر غضب الله عليه .**

وسياق الحديث مشعر بأنهم من قبيلة النبى ﷺ وهى قريش ، بل فيه إشعار بأنها أخص من ذلك لقوله ﷺ : (إن لهم رحما)[1] .

ولقوله ﷺ فى رواية أخرى : (إن لبنى أبى طالب رحما أبلها ببلالها) .

ومن السياق ، والأحاديث نفهم أن المراد ببنى فلان بنو أبى طالب .

فإن قيل : **تفسير الكناية ببنى أبى طالب يلحق نقصا بهم ، وفيهم جعفر وعلي أولاد أبى طالب . وهما رضى الله عنهما من أحب الناس إلى النبى ﷺ وأقربهم إليه لما لهما من السابقة ، والقدم فى الإسلام ، ونصر الدين ؛ فكيف ذلك ؟**

أقول : **تفسير الكناية ببنى أبى طالب لا يستلزم نقصا فى مؤمنى آل أبى طالب ؛ لأن المراد بالنفى المجموع لا الجميع ، ويحتمل أن يكون المراد بآل أبى طالب أبو طالب نفسه ، وهو إطلاق سائغ مقبول كقوله ﷺ فى أبى موسى ﷺ : "إنه أوتى مزمارا من مزامير آل داود" والمراد بالآل : داود نفسه .**

---

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعانى ج٦ ص٥٨ .

وخص رسول الله ﷺ عمه بالذكر مبالغة فى الانتفاء ممن لم يسلم لكونه عمه ، وشقيق أبيه ، وكان القيم بأمره ، وحمايته ، ومع ذلك فلما لم يؤمن به ولم يتابعه فى دينه انتقى من موالاته .

(إنما وليي الله وصالح المؤمنين) **أى إن موالاتى لله وحده ، وصالح المؤمنين ، وقد وردت روايات بجمع** (صالح) **وقد أجاز بعض المفسرين فى قوله تعالى :** ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] **أن صالح يراد بها الجمع ، وحذفت واوه خطا لا نطقا كقوله تعالى :** ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾[2] **وقوله سبحانه :** ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ ﴾[3] **ومعنى الحديث : إن وليى من كان صالحا ، وان بعد نسبه ، وفى هذا بيان انقطاع الولاية فى الدين بين المسلم والكافر ولو جمعتهما القرابة النسبية .**

وظاهر الحديث أن من كان غير صالح في أعمال الدين دخل في النفي أيضا ، لتقييد النبى ﷺ الولاية فى الحديث بقوله ﷺ : ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وصلة رحم الكافر ينبغي تقييدها بما إذا بقى أمل فى إيمانه ، أو رجاء أن يخرج من صلبه مسلم ، وهذا أمر يعلمه الله تعالى يجيز للمسلم أن يصل رحمه الكافر ويقدم من سلوكه معه دعوة عملية تظهر أحكام الله تعالى ؛ فيحتاج من يترخص في صلة رحمه الكافر أن يقصد إلى شىء من ذلك .

---

(١) سورة التحريم ، الآية ٤ .
(٢) سورة العلق ، الآية ١٨ .
(٣) سورة القمر ، الآية ٦ .

وأما من كان على الدين ولكنه مقصر في الأعمال مثلا ؛ فلا يشارك الكافر في ذلك .

وقد وقع فى شرح المشكاة أن معنى الحديث : إنى لا أوالى أحدا بالقرابة ، وانما أحب الله تعالى لما له من الحق الواجب على العباد ، وأحب صالح المؤمنين لوجه الله تعالى ، وأوالى من أوالى بالإيمان والصلاح سواء كان من ذوى رحمي أولا ، ولكن أرعى لذوى الرحم حقهم لصلة الرحم بعيدا عن دينهم(١) .

وقد جاءت روايات عدة فى تحديد المراد بصالح المؤمنين ، فذكر بعضهم أنهم الأنبياء ، وقال آخرون : إنهم الصحابة ، وقال غيرهم : إنهم خيار المؤمنين ، وقال غيرهم إنهم أبو بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو علي رضى الله عنهم(٢) .

ولا مانع من أن المراد بصالحى المؤمنين كل هؤلاء المذكورين ، ومن ماثلهم ، أو سيكون مثلهم فى المستقبل .

وبهذا المعنى يلتقى المؤمن مع إخوانه المؤمنين المعاشرين له أو البعيدين عنه زمانا أو مكانا .

(ولكن لهم رحم أبلها ببلالها يعني أصلها بصلتها) **أى بينى وبين بنى فلان رحم أصلها بالمعروف اللائق بها ، والصلات المشروعة التى أتعامل معهم بها .**

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج٢٢ ص٢٠٢ .
(٢) المرجع السابق ج٢٢ ص٢٠٢ .

وفى قوله ﷺ : (ببلالها) **بديعة لطيفة تفيد تحقيق الصلة بما اشتهر وشاع بلا تفريط فيها .**

وفى الحديث **تشبيه الرحم بالأرض التي إذا وقع عليها الماء وسقاها أزهرت ، ورويت وظهرت فيها النضارة فأثمرت المحبة والصفاء ، وإذا تركت بغير سقي يبست وبطلت منفعتها فلا تثمر إلا البغضاء والجفاء .**

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

يقدم الحديث أصول الولاء والبراء فى الإسلام ؛ فيحصر سبب الولاء فى الإيمان والدين على غير عادة الناس قبل الإسلام ، فلقد كان ولاء العربى لقبيلته ، وعصبته ، وعشيرته بلا نظر إلى الخلق والدين ، ولذلك كان شعارهم (كذاب ربيعة خير من صادق مضر) **، فلما جاء الإسلام جعل ولاية المسلم لأخيه فى الدين سواء كان ذا رحم أو غير ذى رحم .**

ولأهمية هذه القضية يروى عمرو بن العاص رضى الله عنها أن الحديث كان مسموعا للناس لا خفاء فيه .

وللقريب ذوى الرحم حق على من يقرب منه ، ولذلك قال ﷺ : إنه سيصل رحم غير المؤمنين من قبيلته ، فهم بالقرابة أصحاب حق يحافظ عليه .

وحقوق الولاء أكثر عمقا ، وأوسع دائرة من حق القرابة ، فلو تعارضا فحق الولاء أولى بالمحافظة ، وقد أكد الله هذه الولاية فى قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

وبراءة المسلم من الكافر تكون فى حدود البراءة من كفره وجحوده ، وتبقى مسالمته ، والمحافظة على حقوقه المشروعة ما دام مسالما ، بعيدا عن العدوان . يقول الله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(٢)

أما إن تحول القريب الكافر إلى عدو يقاتل ويؤذى ؛ فالبراءة منه تكون بمقاتلته ، ورد عدواته . يقول الله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٣) .

وعلى هذا :

فإن الولاء والبراء عملية تنظيمية للمحافظة على الدين ، ومنع العابثين من إيذاء المؤمنين ، وتحقيق المعاش لسائر الطوائف ، ولجميع أصحاب الأديان .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٧١ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية ٨ .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية ٤ .

وقد حدد الشرع الحنيف الحقوق والواجبات لكل أفراد وطوائف المجتمع على اختلاف أديانهم ، ومذاهبهم ، وأجناسهم ليعيش الناس فى أوطانهم آمنين مستقرين .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين الحديث أن ولاء المؤمن يكون للمؤمن فقط ، فيعينه ، وينصره ولا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يخاصمه ليتكون منهم مجتمع قوى أصيل ، ويوضح الحديث أن الولاء لا يعنى مقاطعة غير المؤمنين ، وانما يعنى حسن معاملتهم ، والمحافظة على حقوقهم فى حدود شرع الله تعالى فللجار حق ، وللقريب حق ، ولكل مخلوق حق مشروع ، والمسلم مسئول عن كافة الحقوق الواجبة عليه .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يبين حديث الباب عددا من الركائز ... هى :

الركيزة الأولى

حقيقة الولاء والبراء

الناس بخير ما تعاونوا على البر والتقوى ، فلقد خلقهم الله من أب واحد وشرع لهم دينا واحدا ... إلا أن دعاة الباطل ، وأنصار الشياطين لا يرضون للحياة أن تسير فى طريقها المستقيم ، ويعملون على القضاء على كل خير ، واطفاء نور الله بين الناس .

ووجود أعداء الله فى الأرض أدى إلى ضرورة مقاومتهم ، والتصدى لهم ، وقهرهم ، ولذلك احتاج إلى تجمع المؤمنين لمساندة الحق ، ومعاندة الضالين ، والتبرؤ منهم منعا لضلالهم وفسادهم .

وصار من الضرورى تمسك المسلم بفكرة (الولاء والبراء) وهما معا يعنيان حماية المجتمع من أعدائه ، وحماية الدين من خصومه وأضداده ... لأن الولاء يفيد المناصرة بين المؤمن وأخيه المؤمن فى شئون الحياة ، وحماية الدين مع المحافظة على جميع الحقوق التى قررها الدين مثل حق الجار ، وحق الضيف ، وحق الذمى والمستأمن ، وحق الكبير والصغير ... لأن الحقوق المشروعية لا تتعارض مطلقا مع الولاء ، لأن الولاء مناصرة وتعاون وتكاتف ضد أعداء الدين الذين يعملون على القضاء عليه فلا صلة بالولاء للحقوق بل هو يحميها ، ويحافظ عليها ، ويتخذها سندا وقوة للمجتمع كله .

والبراء لا يكون إلا مع كل معتد ظالم ، يعمل للهدم ، ويعتدى على الدين ، ويفسد المجتمع ، ويعطل حركة الحياة .

ولهذا وصلت النظم الحديثة إلى فكرة الولاء والبراء ، ووسمتها بغير مسماها فى الإسلام فكل أمة مكلفة بحماية نفسها من كل معتد أثيم ، ومكلفة بإعداد العدة لمقاومته ، والتصدى له .

إن تأسيس الجيوش ، واقامة الحصون من الولاء الواجب لحماية الأمم ، ومن البراء ما نراه من تنافس ، وصراع حول القيم والمبادئ .

ولذلك :

وجب فهم معنى (الولاء والبراء) حتى لا يفترى عليه جاهل ، أو يعتدى على مفاهيمه ظالم غشوم .

الركيزة الثانية
قوة الجماعة فى توحدها

يبين حديث الباب ضرورة تماسك الجماعة فى الوطن الواحد بالحقوق العديدة الموجودة بين أبناء الوطن الواحد الذى يجمع مختلف الطوائف والاتجاهات فى إطار من السلمية والأخوة ، وحينئذ يسير الجميع بالحق والواجب ، ولا يكون الولاء إلا سندا للحقوق ، ولا يكون البراء إلا مقاومة للأعداء والمعتدين .

- و -
لمحات موجزة فى فوائد الحديث

يتضمن حديث الباب بعض الفوائد ... منها :

(١) كرامة الإنسان بتقواه ، وحميته لعقيدته .

(٢) تناصر المؤمنين أمر ضرورى لمواجهة قوى البغى والضلال .

(٣) تضمن الشريعة كافة حقوق الناس إلا أنها تحتاج لمن يحميها ، وينصرها .

(٤) رابطة العقيدة أعلى وأقوى من كافة الروابط الأخرى .

(٥) فى كل تجمع بشرى يوجد الولاء الذى يصونه ويحميه .

ـ ٧٠ ـ

٩١ ـ باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب

[١٢٩] ، (١) ٦٥٤٢ حديث أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدخل من أمتي زمرة هم سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر .

قال أبو هريرة : فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه . فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم .

قال : اللهم اجعله منهم ، ثم قام رجل من الأنصار .

فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فقالﷺ : سبقك عكاشة[١] .

[١٣٠] ، (٢) ٦٥٥٤ حديث سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ ، قال : ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفا ، أو سبعمائة ألف (لا يدري الراوي أيهما قال) متماسكون آخذ بعضهم بعضا ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٨١ كتاب الرقاق : ٥٠ باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب .

(٢) أخرجه البخاري في : ٨١ كتاب الرقاق : ٥١ باب صفة الجنة والنار . وللحديث رواية أخرى عند البخارى برقم (٦٥٤٨) .

[١٣١] ، (٣) ٧٥٧٢ حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : خرج علينا النبي ﷺ يوما فقال : عرضت علي الأمم فجعل يمر النبي معه الرجل ، والنبي معه الرجلان والنبي معه الرهط ، والنبي ليس معه أحد ، ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق ، فرجوت أن تكون أمتي ، فقيل : هذا موسى وقومه ؛ ثم قيل لي انظر ، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق ، فقيل لي : انظر هكذا وهكذا ، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق ، فقيل : هؤلاء أمتك ، ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب .

فتفرق الناس ولم يبين لهم ؛ فتذاكر أصحاب النبي ﷺ . فقالوا : أما نحن فولدنا في الشرك ، ولكنا آمنا بالله ورسوله ، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا فبلغ النبي ﷺ ، فقال : هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون .

فقام عكاشة بن محصن ، فقال : أمنهم أنا يا رسول الله ؟

قال : نعم .

فقام آخر فقال : أمنهم أنا ؟

فقال : سبقك بها عكاشة[١] .

[١٣٢] ، (٤) ٦٥٢٨ حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال : كنا مع النبي ﷺ في قبة ، فقال : أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟

قلنا : نعم .

قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟

قلنا : نعم .

قال : أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ؟

قلنا : نعم .

قال : والذي نفس محمد بيده ، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر[٢] .

- أ -

موضوع أحاديث الباب

تبين أحاديث الباب أن الله يدخل طوائف عديدة من المسلمين الجنة بلا حساب ، ولا سابقة عذاب ، وأن الله يجعل أكثر أهل الجنة من المسلمين .

---

(١) أخرجه البخاري في : ٧٦ كتاب الطب : ٤٢ باب من لم يَرْقِ .

(٢) أخرجه البخاري في : ٨١ كتاب الرقاق : ٤٥ باب كيف الحشر . وللحديث رواية أخرى عند البخارى تحت رقم (٦٦٤٢) .

- ب -

الدلالات اللغوية لأحاديث الباب

يقول أبو هريرة ﷺ : (سمعت رسول الله ﷺ يقول : يدخل من أمتي زمرة) **أى يدخل الجنة من أمتى جماعات جماعات بعضها فى أثر بعض واضافة** (أمتي) **إلى ضمير النبى ﷺ تشريف للأمة وبيان أنها أمة الإجابة ، وبيان أن دخول الجنة فى زمر متتابعة بلا حساب ولا سابقة عذاب تكريم خاص من الله تعالى لأمة محمد ﷺ .**

و (زمرة) **تنطق بالرفع على الفاعلية ، وبالنصب على أنها حال ، ويؤكد الحديث الثانى هذا التكريم بدخول لام القسم على الفعل المضارع لتفيد التأكيد واستمرار الدخول وذلك فى قوله ﷺ :** (ليدخلن الجنة) **... وقد شك أبو حازم راوى الحديث عن سهل بن سعد رضى الله عنهما فى عدد الزمرة فقال :** (سبعون ألفا ، أو سبعمائة ألف) .

ويبين رسول الله ﷺ هيئة الجماعات المسلمة أثناء دخولها الجنة فيقول : (متماسكون آخذ بعضهم بعضا) **أى أن الزمر أثناء دخولها الجنة لا تنفصل كل زمرة عن غيرها ، وانما تكون مترابطة كأنها زمرة واحدة فيدخلون الجنة كتلة واحدة آخرهم مع أولهم .**

وتشير الأحاديث إلى جمالهم وبهائهم ، والى النور الذى يشع منهم ؛ فهم يبدون (على صورة القمر ليلة البدر) .

يقول أبو هريرة ﷺ : إن عكاشة بن محصن الأسدى ﷺ قام إلى رسول الله ﷺ عند ذكر هذا الحديث ، وكان يلبس ثوبا ملونا بالأبيض والأسود والأحمر كأنه نمر ... و (عكاشة بن محصن الأسدي) **بضم العين**

وفتح الكاف مخففة ومشددة ، هو صحابى جليل من السابقين إلى الإسلام ، وكان من أجمل الرجال ، كنى بأبى محصن (بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد) عرف بالإقدام والشجاعة ، وقد اشترك فى غزوة "بدر" وقاتل قتالا شديدا حتى انقطع سيفه فى يده فأعطاه النبى ﷺ عودا من الحطب ، وقال له : قاتل بهذا فقاتل به ، وصار العود سيفا طويلا شديد المتن أبيض ، واشترك عكاشة فى كثير من الغزوات ، واستشهد فى حرب الردة عند ولاية أبى بكر ﷺ .

قال عكاشة لرسول الله ﷺ عندما سمع بشرى رسول الله ﷺ : (يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم) .

فقال ﷺ : (اللهم اجعله منهم) **ودعاء النبى ﷺ مجاب عند الله تعالى .**

(ثم قام رجل من الأنصار) **بعده** (فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم) .

(فقال ﷺ : سبقك عكاشة) .

وقد تكلم المحدثون فى سبب عدم دعاء النبى ﷺ للرجل الثانى ، وقالوا فى ذلك أسبابا خمسة كل منها يحتمل أن يكون سببا ... وهى :

السبب الأول : **السائل الثانى كان منافقا علم رسول الله ﷺ نفاقه ، ولذلك لم يدع له .**

السبب الثانى : **السائل الثانى لم يتصف بالصفات والأحوال التى اتصف بها عكاشة ، ولذلك لم يدع الرسول ﷺ له .**

السبب الثالث : **السائل الأول سأل عن صدق قلب فأجيب ، أما السائل الثانى فقد سأل فجأة بلا قصد سابق ، فلو أجابه الرسول لقام ثالث ورابع إلى ما لا نهاية .**

السبب الرابع : **أن رسول الله ﷺ علم بالوحى أن الله سيدخل عكاشة الجنة فسألها له ، ولم يعلم ذلك لغيره .**

السبب الخامس : **أن الرجل الأول سأل رسول الله ﷺ فى ساعة الإجابة فاستجاب الرسول ﷺ له ، أما السائل الثانى فقد سأل بعد انقطاع ساعة الإجابة فلم يدع الرسول له**[١] .

وقد استبعد ابن تيمية رحمه الله تعالى أن يكون السائل الثانى منافقًا لوجهين : أحدهما : **أن الأصل فى الصحابة عدم النفاق فلا يثبت ما يخالف ذلك إلا بنقل صحيح** . والثانى : **قل أن يصدر هذا السؤال إلا عن قصد صحيح ويقين تام بتصديق رسول الله فيما أخبر عنه ، ولا يتصور صدور هذا السؤال من منافق**[٢] **وهذا يعنى أن ابن تيمية رحمه الله يستبعد السبب الأول .**

فإن قيل : **أخرج الطبرانى ومحمد بن منحز فى مسنده وعمر بن شبة فى أخبار المدينة من طريق نافع مولى حمنة عن أم قيس بنت محصن ، وهي أخت عكاشة ، أنها خرجت مع النبي ﷺ إلى البقيع ، فقال ﷺ : يحشر من هذه المقبرة سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ، كأن وجوههم القمر ليلة البدر فقام رجل فقال : يا رسول الله وأنا ؟**

---

(١) انظر فتح البارى ج٢٢ ص٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٢) فتح البارى ج٢٢ ص٢٢٤ .

قال : وأنت .

فقام آخر فقال : وأنا .

قال : سبقك بها عكاشة .

قال : قلت لها : لم لم يقل للآخر ؟

فقالت : أراه كان منافقًا[1] .

أقول : **إن القول بنفاق السائل الثانى لا يدفع الأسباب الأخرى ، لأنه قائم على الظن ، والظن لا يفيد فى أمور العقيدة ... وقول حمنة رضى الله عنها :** (أراه) **بضم الهمزة تعنى أظنه ، وحديث حمنة فى موقف آخر غير موقف أحاديث الباب .**

ويبين الحديث الثالث والرابع كثرة المسلمين الذين يدخلون الجنة ، فلقد قص الله على رسوله ﷺ عدد سائر الأمم وهى تدخل الجنة مع رسولها (فجعل يمر النبي معه الرجل ، والنبي معه الرجلان ، والنبي معه الرهط) **فعلم رسول الله ﷺ من ذلك قلة الداخلين الجنة من الأمم السابقة .**

أما أمة محمد ﷺ ؛ فقد علم الرسول ﷺ كثرة من سيدخل الجنة فيها... يقول النبى ﷺ : (ورأيت سوادا كثيرا سد الأفق) **أى رأيت بشرا كثيرين سدوا الأفق وهو ما بين السماء والأرض** (فرجوت أن تكون أمتي) .

(فقيل : هذا موسى وقومه) .

(ثم قيل لي : انظر ، فرأيت سوادا كثيرا سد الأفق ، فقيل لي : انظر هكذا وهكذا) **أى انظر فى جميع الجهات** (فرأيت) **فى جميع الجهات** (سوادا كثيرا سد الأفق) **وهذا يفيد كثرة أمة محمد ﷺ ، فإن أمة موسى عليه السلام تسد**

---

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ج١ ص٩١ .

الأفق من جهة واحدة ، أما أمة محمد ﷺ فإنها تسد الأفق من جميع الجهات .

(فقيل : هؤلاء أمتك ، ومع هؤلاء) **أى ومع هؤلاء الذى تراهم** (سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب) .

(فتفرق الناس) **ولم يبين لهم رسول الله ﷺ تفصيلا لهذا الجمع الهائل الغفير ، ولم يعرفهم بأنه من السابقين أو من اللاحقين ، أو ممن كان مشركا وأسلم ، أو ممن ولد فى الإسلام ولذلك** (تذاكر أصحاب النبي ﷺ ، فقالوا : أما نحن فولدنا في الشرك ، ولكنا آمنا بالله ورسوله ، ولكن هؤلاء هم أبناؤنا) **الذين نشأوا فى الإسلام وهم هذا الجمع الذى سد الأفق .**

فعرفهم رسول الله ﷺ بأن الأمر ليس كما ظنوا ، وانما دخول الجنة قائم على الاعتقاد والعمل والسلوك ، ولذلك فهؤلاء الذى رأيتم هم (الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون) **أى أنهم يستسلمون لقدر الله بصورة مطلقة ، ويرضون بكل ما حل بهم ، فلا يتطيرون بطير أو هامة ، ولا يرون الرقية تشفى بذاتها ، ولا يرون الدواء والكى شافيا وانما يتوكلون على الله تعالى ، ويسلمون أمرهم له ، ويفعلون ما يأمرهم به ، ويجتنبون كل ما نهاهم عنه .**

إن هؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب ، سواء كانوا مشركين قبل الإسلام أو ولدوا فى الإسلام .

فإن قيل : **القول بدخول الجنة بغير حساب يتعارض مع قوله ﷺ :** (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ،

وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن علمه فيما عمل به ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيما أنفقه)[١] .

أقول : **العموم فى هذا الحديث مخصص بمن لا يدخل الجنة بغير حساب ، وبمن يدخل النار لأول وهلة بدليل قوله تعالى :** ﴿ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴾[٢] .

وأيضا ؛ **فإن القول بعموم الحديث معارض بإنسان لا علم عنده ، فإنه لا يسأل عن علم ما لعدمه ، وأيضا فإن الفقير الذى لا مال له ، لا يسأل عن شيء لا يملكه ، والصغير والمجنون لا يسأل عن شيء لسقوط التكليف عنه ، فدل ذلك على تخصيص عموم الحديث .**

وفى الحديث الرابع يؤكد النبى ﷺ كثرة الداخلين من أمة محمد ﷺ الجنة حين قال لهم ، وكانوا أربعين رجلا جالسين فى (منى) تحت قبة منصوبة من الخشب . قال لهم ﷺ : (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟)

(قلنا : نعم) **وفرحوا وكبروا .**

(قال) **لهم ﷺ :** (أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجن ؟) .

(قلنا : نعم) **وزاد سرورهم .**

(قال) **لهم ﷺ :** (أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ؟) .

(قلنا : نعم) **فهذا أعظم وأكرم .**

(قال) ﷺ (والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة) **أى : أقسم لكم بربى الذى يملك حياتى وموتى ، إنى أرجو ربى أن تكونوا نصف أهل الجنة ، فاستجاب الله لرجاء رسوله ﷺ وزاده إلى الثلثين**

---

(١) سنن الترمذى . كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق . باب في القيامة ج٤ ص٦١٢ .

(٢) سورة الرحمن ، الآية ٤١ .

تطبيقا لوعد الله له فى قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾[١] **وقد ثبت أن رسول الله ﷺ قال : أهل الجنة مائة وعشرون صفا ، أمتى منهم ثمانون صفا**[٢] .

وأخرج أحمد فى مسنده عن أبى هريرة ﷺ أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝١٤ ﴾[٣] **شق ذلك على الصحابة ؛ فنزل قوله تعالى :** ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ۝٤٠ ﴾[٤] **فقال النبى ﷺ :** (إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة) **أى إنى أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة ، وتقاسموا غيركم فى النصف الثانى .**

ويبين رسول الله ﷺ سبب كثرة المسلمين فى الجنة بقوله ﷺ : (إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة) **والمراد بالنفس الذات الإنسانية التى آمنت وأسلمت ودخلت فى دين الله تعالى .**

ومع كثرة المسلمين من أمة محمد ﷺ فى الجنة بالنسبة لمن فيها ؛ فإن أغلب الناس على الشرك والكفر بقوله ﷺ : (وما أنتم) **أيها المسلمون :** (في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر) **وهذا تشبيه يفيد قلة المسلمين بالنسبة لغيرهم ؛ فهم كشعرة واحدة فى جلد ثور ملىء بالشعر ، وهو تشبيه بليغ يعرفه العرب ، وأصحاب الأنعام والإبل والغنم .**

---

(١) سورة الضحى ، الآية ٥ .
(٢) شرح مشكل الآثار ج١ ص٣٣٧ .
(٣) سورة الواقعة ، الآية ١٣ ، ١٤ .
(٤) سورة الواقعة ، الآية ٣٩ ، ٤٠ .

- ج -

البيان التحليلي لأحاديث الباب

تقدم أحاديث الباب صورا عملية لمشاهد يوم القيامة ، يبشر رسول الله ﷺ المسلمين بها ، ويقرب لهم ما خفى عنهم منها ، فيعرفهم أن وجوه المؤمنين فى حسنها وبهائها تشبه القمر فى تمامه وكماله .

وتشبه الفوز بالجنة بالسبق ؛ فقد سبق "عكاشة" ﷺ سواه ، ويوضح الرسول ﷺ التساوى التام بين جميع من يدخلون الجنة بغير حساب ، فهم متماسكون أولهم كآخرهم ، يجتازون الصراط تباعا وزمرا ، ويدخلون الجنة معا فى وقت واحد .

ويحد الرسول للمسلمين حدا لعددهم فهم ثلثا أهل الجنة ، وكل ما فى الجنة مؤمنون بالله تعالى .

ولذلك دلت هذه التشبيهات والمقادير على تفهيم المسلمين ما يريد رسول الله ﷺ أن يخبرهم به ، وهو أن أكثرهم سيدخلون الجنة ، وأن منهم من سيدخل الجنة بغير حساب ، ... فالعدد لا مفهوم له ، لأن السبعين ألفا ، أو السبعمائة ألف لا تمثل كثرة أمام مليارات المسلمين الذين يملأون الأرض ويمتدون من زمن رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة .

وأحاديث الباب تبشر المؤمنين ، وتبين أنهم أكثر الأمم صدقا واخلاصا ؛ فمن الأنبياء من لم يتبعه أحد ، ومنهم من يتبعه رجل واحد ، ورجلان ورهيط ورهط . أما محمد ﷺ فإن أمته تسد الأفق من كافة الجهات .

- د -

المعنى العام لأحاديث الباب

تشير أحاديث الباب إلى فضل الله تعالى على أمة محمد ﷺ ؛ فقد هداهم الله وكثر سوادهم ، ورضى عنهم ، وأكرم كثيرا منهم بدخول الجنة بغير حساب ، وجعلهم أغلب أهل الجنة ، والله ذو الفضل العظيم .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى أحاديث الباب

تتضمن الأحاديث ركيزة هامة ... هى :

تبشير المسلمين بالجنة

الإنسان العاقل يعيش فى الدنيا ، والجنة بين عينيه ، يعمل لها ، ويسلك السبل إليها لما فيها من خير عميم ، ونعيم مقيم ، وسعادة غامرة ، وفرح وطمأنينة بلا ملل ولا سآمة .

يرى المؤمنون فى الجنة كل شيء جديدا ، جميلا ، وهم فيها خالدون .

وقد أكرم الله الصالحين بالجنة بمضاعفة ثوابهم ، وتقليل عقوباتهم لينعموا برضوان الله ورضاه .

وأحاديث الباب تبين مكرمة أخرى للمؤمنين وهى دخول كثير منهم الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وقد بشر ﷺ عكاشة ﷺ بأنه واحد من هؤلاء المنعمين .

إن العاقل الكيس هو من عمل لينال رحمة الله فى قبره ليعيش سعادة ونورا ... ويفوز بجنات النعيم إقامة وفوزا وحياة .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

تبين أحاديث الباب عددا من الفوائد ... منها :

(١) حرص رسول الله ﷺ على إيمان الناس وهدايتهم .

(٢) أصحاب الجنة متحدون ومتحابون ، يعيشون متساوين .

(٣) المسلمون هم أكثر الأمم فوزا بالجنة .

(٤) رسول الله ﷺ رحمة مهداة للمسلمين جميعا .

ـ ٧١ ـ

٩٣ ـ باب قوله : يقول اللّه لآدم :

أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين

[١٣٣] ، (١) ٦٥٣٠ حديث أبي سعيد ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله : يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في يديك قال : يقول : أخرج بعث النار ، قال: وما بعث النار ؟

قال : من كل ألف ، تسعمائة وتسعة وتسعين ، فذاك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

فاشتد ذلك عليهم ، فقالوا : يا رسول الله أينا ذلك الرجل ؟

قال : أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل.

ثم قال : والذي نفسي في يده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة .

قال : فحمدنا الله وكبرنا .

ثم قال : والذي نفسي في يده ، إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو الرقمة في

ذراع الحمار[١] .

- أ -

موضوع حديث الباب

يدور حديث الباب حول بيان رحمة الله بأمة محمد ﷺ ، وأن أغلب البشر يبعثون إلى النار .

- ب -

الدلالات اللغوية لحديث الباب

يروى أبو سعيد ﷺ فيقول : (قال رسول الله ﷺ : يقول الله : يا آدم) **أى ينادى الله آدم عليه السلام وهو أول من يدعى يوم القيامة ، فيراه بنوه جميعا**

فيرد آدم عليه السلام على ربه ويقول : (لبيك وسعديك والخير في يديك) **أى طاعة لك ربى بعد طاعة ، وسعادة وسرورا بندائك ، فأنت الحق والخير كله منك واليك ، وفى إجابة آدم عليه السلام أدب حسن مع الله تعالى حيث اقتصر على ذكر الخير مع أن الله فاعل الخير والشر .**

فيقول الله لآدم : (أخرج بعث النار) **أى أخرج بعث جهنم من ذريتك وميزهم عن أهل الجنة ، فقد ظهر لك مصيرهم جميعا .**

يقول آدم عليه السلام : (وما بعث النار ؟) **أى : يقول آدم لربه : سمعت وأطعت ، ولكن ما مقدار بعث النار ؟ ... وكم أخرج ؟ وكم أدع ؟**

---

(١) أخرجه البخاري في : ٨١ كتاب الرقاق : باب قوله عز وجل : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ .

فيقول الله لآدم : يا آدم . أنت اليوم عدل بينى وبين ذريتك . قم فانظر ما يرفع إليك من أعمالهم ، وأخرج منهم المستحقين لعذاب جهنم .

فيقول الله له : أخرج (من كل ألف ، تسعمائة وتسعة وتسعين) **أى أن أصحاب الجنة واحد من كل ألف ، والبقية كلها من أصحاب النار .**

وقد ورد فى حديث أبى هريرة ﷺ أن الناجين من كل ألف عشرة ، وهذا ما جعل ابن حجر يقول : إن مفهوم العدد لا اعتبار له ، والتخصيص بعدد لا يدل على نفى الزائد ، والمقصود من العدد بيان تقليل عدد المؤمنين ، وتكثير عدد الكافرين .

يقول ابن حجر ﷺ : وقد فتح الله تعالى في ذلك بأجوبة أخر ، وهو حمل حديث أبي سعيد ومن وافقه على جميع ذرية آدم ، فيكون من كل ألف واحد وحمل حديث أبي هريرة ومن وافقه على من عدا يأجوج ومأجوج ، فيكون من كل ألف عشرة ، ويقرب ذلك أن يأجوج ومأجوج ذكروا في حديث أبي سعيد دون حديث أبي هريرة .

ويحتمل أن يكون الأول يتعلق بالخلق أجمعين ، والثاني بخصوص هذه الأمة .

ويحتمل أن تقع القسمة مرتين مرة من جميع الأمم قبل هذه الأمة ؛ فيكون من كل ألف واحد ، ومرة من هذه الأمة فقط فيكون من كل ألف عشرة .

ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار الكفار ومن يدخلها من العصاة فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافرا ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصيا والعلم عند الله تعالى[1] .

---

(١) فتح البارى ج٢٤ ص١٩٦ ، ١٩٧ .

(فذاك حين يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) **وذلك يكون يوم القيامة حين يشتد الهول ، ويقع الفزع ويشيب الصغير من شدة الخوف ، وتضع الحامل حملها قبل موعده من الرعب، ونرى الناس حائرين كأنهم سكارى لا عقل لهم مع أنهم عقلاء وليسوا بسكارى ... وكل ما أثر فيهم رؤية عذاب الله تعالى**

فإن قيل : **كيف تضع الحامل حملها ؟ وترى الناس سكارى فى الحشر مع أنه لا حمل ولا سكر ؟**

أقول : **يحتمل أن يحمل الحديث على حقيقته ، فإن كل أحد يبعث على ما مات عليه فتبعث الحامل حاملا ، والمرضع مرضعة ، والطفل طفلا ، فإذا وقعت زلزلة الساعة ، وقيل ذلك لآدم ، ورأى الناس آدم ، وسمعوا ما قيل له وقع بهم من الوجل ما يسقط معه الحمل ، ويشيب له الطفل ، وتذهل به المرضعة .**

ويحتمل أن يكون ذلك بعد النفخة الأولى ، وقبل النفخة الثانية ، ويكون خاصا بالموجودين حينئذ وتكون الإشارة بقوله : فذاك إلى يوم القيامة وهو صريح في الآية .

ولا يمنع من هذا الحمل ما يتخيل من طول المسافة بين قيام الساعة واستقرار الناس في الموقف ، ونداء آدم لتمييز أهل الموقف ؛ لأنه قد ثبت أن ذلك يقع متقاربا كما قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ ﴾[1] **يعني بالساهرة أرض الموقف ، وقال تعالى :** ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾[2] .

---

(١) سورة النازعات ، الآية ١٣ ، ١٤ .

(٢) سورة المزمل ، الآية ١٧ ، ١٨ .

والحاصل أن يوم القيامة يطلق على ما بعد نفخة البعث من أهوال وزلزلة وغير ذلك إلى أن يتم الاستقرار في الجنة أو فى النار[١] .

ويحتمل أن يكون المعنى وقع على التمثيل والتهويل لبيان شدة الموقف وصعوبته .

(فاشتد ذلك عليهم) **أى شق ذلك على الصحابة ، وخافوا على مصيرهم من قلة عدد الداخلين الجنة ، وملكهم الحزن والبكاء .**

(فقالوا : يا رسول الله أينا ذلك الرجل ؟) **أى أنهم سألوا عن هذا الرجل الذى سيدخل الجنة ، وهل هم منه أو ليسوا منه ؟ وقد يكون السؤال تعجبا من قلة عدد الداخلين ، ولذلك بشرهم رسول الله ﷺ .**

فقال لهم ﷺ : (أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج ألفا ومنكم رجل) **أى أبشروا ، ولا تخافوا فإن يأجوج ومأجوج جمع غفير سيدخلون جهنم ، ونسبة عددهم إلى عددكم تسعمائة وتسع وتسعون رجلا إلى رجل واحد ، وهذا يعنى أن أغلب أهل النار من يأجوج ومأجوج .**

(ومنكم) **تعنى المسلمين من جميع الأمم .**

(ثم قال ﷺ : والذي نفسي في يده إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة ، قال : فحمدنا الله وكبرنا ، ثم قال : والذي نفسي في يده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو الرقمة في ذراع الحمار) **أى إن عدد المسلمين بين الأمم قليل كما سبق بيانه فى الباب السابق ، والرقمة هى جزء أبيض منزوع الشعر يكون فى باطن ذراع الحمار والحصان .**

---

(١) فتح البارى ج٢٤ ص١٩٧ .

- ج -

البيان التحليلي لحديث الباب

الحديث من الأحاديث القدسية التى رواها رسول الله ﷺ عن ربه ، وفيه يبين أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين ، ولا يدخل الجنة من كل ألف إلا واحد ، وقد انزعج المسلمون لهذا ، فسألوا عن مصيرهم فطمأنهم رسول الله ، وبشرهم ، وبين لهم أن الجنة لا يدخلها إلا مسلم ، وأن غالبية أهل النار من يأجوج ومأجوج ، وأن عدد المسلمين بين الناس قليل .

- د -

المعنى العام لحديث الباب

يبين حديث الباب أن الجنة لا يدخلها إلا الذين اتبعوا دين الله تعالى ، وأسلموا أمرهم لله رب العالمين .

- هـ -

ركائز الدعوة والإيمان فى حديث الباب

يتضمن الحديث ركيزة هامة ... هى :

تبشير المؤمنين بالجنة

يحمل الحديث بشرى للمسلمين بدخول الجنة بعد أن أصيبوا بيأس وحزن عندما علموا أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعون ، فتساءلوا : أين هم من هذا الرجل الواحد الذى سيدخل الجنة ؟ فقد خافوا أن لا يكونوا منه ، أو أن العدد لا يسع أكثرهم ، فطمأنهم رسول الله ﷺ ،

وعرفهم بأن الجنة لن يدخلها إلا نفس مسلمة من الأمم كلها ، وأن يأجوج ومأجوج كثرة كثيرة هى بعث النار فمنهم ألف ، ومنكم واحد فقط ، كما عرفهم أنهم نصف أهل الجنة ، وأنهم ثلثاها ، فسعدوا بذلك ، وعلموا أن الله معهم ، وأنهم سيدخلون الجنة بفضل الله ورحمته .

- و -

لمحات موجزة فى فوائد الأحاديث

يشير حديث الباب إلى عدد من الفوائد ... منها :

(١) إحاطة آدم عليه السلام بأعمال ذريته جميعا .

(٢) شدة الهول فى يوم القيامة ؛ فبسببه يشيب الصغير ، وتضع كل ذات حمل حملها .

(٣) جواز تقريب المعنى بالتشبيه ، وبطرق البيان المختلفة .

❖ ❖ ❖

إلى هنا ينتهى كتاب الإيمان ، وبه ينتهى الجزء الأول
ويليه الجزء الثانى ويبدأ بـ "كتاب الطهارة" بمعونة الله تعالى

فهـرس
أبواب الأحاديث

فهرس أبواب الأحاديث

م	رقم الباب	عنوان الباب	الصفحة
.	.	المقدمة	٥
		ـ ١ ـ **كتاب النهى عن الكذب على رسول الله ﷺ**	
١	١	باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ	٢٥
		ـ ٢ ـ **كتاب الإيمان**	
٢	١	باب بيان الإيمان ما هو ؟ وبيان خصاله.....	٥١
٣	٢	باب بيان الصلوات التى هى أحد أركان الإسلام	٧٣
٤	٣	باب بيان الإيمان الذى يدخل به الجنة	٨٦
٥	٤	باب قول النبى ﷺ : بنى الإسلام على خمس.	١٠٠
٦	٥	باب بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين	١١٠
٧	٦	باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله	١٣٤
٨	٧	باب أول الإيمان قول لا إله إلا الله	١٤٨
٩	٨	باب من لقى الله بالإيمان وهو غير شاك فيه..	١٦٠
١٠	٩	باب شعب الإيمان ومنزلة الحياء فى الإيمان..	١٧٩
١١	١٠	باب بيان تفاضل الإسلام، وأى أموره أفضل؟	١٨٧
١	١١	باب بيان خصال من اتصف بهن وجد	١٩٨

٢		حلاوة الإيمان	
١٣	١٢	باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد	٢١٥
م	رقم الباب	عنوان الباب	الصفحة
١٤	١٣	باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب المؤمن لأخيه ما يحب لنفسه من الخير	٢٢٨
١٥	١٤	باب الحث على إكرام الجار والضيف	٢٣٦
١٦	١٥	باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه	٢٥١
١٧	١٦	باب بيان أن الدين النصيحة	٢٦٤
١٨	١٧	باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي	٢٧٤
١٩	١٨	باب بيان خصال المنافق	٢٨٥
٢٠	١٩	باب بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر	٢٩٧
٢١	٢٠	باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم	٣٠٢
٢٢	٢١	باب بيان قول النبي ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر	٣١٣
٢٣	٢٢	باب لا ترجعوا بعدي كفارا	٣١٩
٢٤	٢٣	باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء	٣٣٢
٢٥	٢٤	باب بيان الدليل على أن حب الأنصار من الإيمان	٣٤٤

٢٦	٢٥	باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات	٣٥٦
٢٧	٢٦	باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال	٣٧١
٢٨	٢٧	باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب	٣٩٠
٢٩	٢٨	باب بيان الكبائر وأكبرها	٤٠١
٣٠	٢٩	باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة	٤٢٥
٣١	٣٠	باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله	٤٣٩
٣٢	٣١	باب قول النبي ﷺ من حمل علينا السلاح فليس منا	٤٥١
م	رقم الباب	عنوان الباب	الصفحة
٣٣	٣٢	باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية	٤٥٨
٣٤	٣٣	باب بيان غلظ تحريم النميمة	٤٧٠
٣٥	٣٤	باب بيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة	٤٧٧
٣٦	٣٥	باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه	٤٨٩
٣٧	٣٦	باب غلظ تحريم الغلول	٥١٦
٣٨	٣٧	باب هل يؤاخذ الله بأعمال الجاهلية	٥٢٦
٣٩	٣٨	باب كون الإسلام يهدم ما قبله	٥٣٥
٤٠	٣٩	باب حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده	٥٤٤
٤١	٤٠	باب صدق الإيمان واخلاصه	٥٥٣

٤٢	٤١	باب تجاوز الله عن حديث النفس	٥٦٤
٤٣	٤٢	باب إذا هم العبد بحسنة كتبت	٥٧١
٤٤	٤٣	باب الوسوسة في الإيمان	٥٨٢
٤٥	٤٤	باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار	٥٩٧
٤٦	٤٥	باب الدليل على أن من قتل دون ماله فهو شهيد	٦٠٨
٤٧	٤٦	باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار	٦١٣
٤٨	٤٧	باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب ...	٦٢٠
٤٩	٤٨	باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا	٦٤٠
٥٠	٤٩	باب جواز الاستسرار للخائف	٦٥٩
٥١	٥٠	باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه	٦٦٥
٥٢	٥١	باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة	٦٧٥
م	رقم الباب	عنوان الباب	الصفحة
٥٣	٥٢	باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ	٦٨٧
٥٤	٥٣	باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ	٧٠٣
٥٥	٥٤	باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان	٧١١
٥٦	٥٥	باب بدء الوحى إلى رسول الله ﷺ	٧٢١

٥٧	٥٦	باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات	٧٤٩
٥٨	٥٧	باب في ذكر المسيح ابن مريم عليهما السلام والمسيح الدجال	٧٧٦
٥٩	٥٨	باب في ذكر سدرة المنتهى	٧٨٩
٦٠	٥٩	باب معنى قول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾	٧٩٣
٦١	٦٠	باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة.....	٨٠٥
٦٢	٦١	باب معرفة طريق الرؤية	٨١٠
٦٣	٦٢	باب إثبات الشفاعة واخراج الموحدين من النار	٨٣٣
٦٤	٦٣	باب آخر أهل النار خروجا	٨٣٧
٦٥	٦٤	باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها	٨٤٢
٦٦	٦٥	باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته	٨٦١
٦٧	٦٦	باب في قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾	٨٦٦
٦٨	٦٧	باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب	٨٨٠
٦٩	٦٨	باب أهون أهل النار عذابا	٨٨٦
م	رقم الباب	عنوان الباب	الصفحة
٧٠	٦٩	باب موالاة المؤمنين والبراءة منهم	٨٨٩
٧١	٧٠	باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب	٨٩٧

٧٢	٧١	باب قوله : يقول الله لآدم : أخرج بعث النار	٩٠٩
.	.	فهرس أبواب الأحاديث	٩١٩
.	.	فهرس المؤلفات	٩٢٧

والحمد لله رب العالمين

كتب
مطبوعة للمؤلف

الكتب المطبوعة للمؤلف :

(١) دعوة الرسل إلى الله تعالى .
(٢) السيرة النبوية والدعوة فى العهد المكى .
(٣) السيرة النبوية والدعوة فى العهد المدنى .
(٤) القول الدقيق فى سيرة وعصر الصديق ﷺ .
(٥) نظم الدرر فى سيرة وعصر عمر ﷺ .
(٦) حسن البيان فى سيرة وعصر عثمان ﷺ .
(٧) القول الجلى فى سيرة وعصر علي ﷺ .
(٨) موسوعة فى الأديان والنحل (دراسة موسوعية للأديان والمذاهب) .
(٩) الدعوة الإسلامية . أصولها . ووسائلها من القرآن الكريم .
(١٠) الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث .
(١١) قواعد علم الخطابة وفقه الجمعة والعيدين .
(١٢) الخطابة العملية .
(١٣) النظام السياسى فى الإسلام .
(١٤) النظام الاقتصادى فى الإسلام .
(١٥) النظام الاجتماعى فى الشريعة الإسلامية .
(١٦) أصول الدعوة الإسلامية .
(١٧) عوامل النجاح من خلال تجربة حية ، ونماذج رائدة .
(١٨) الرسالة الغراء فى تربية الأبناء .
(١٩) خيال الروح فى زمن الصبا (ديوان شعرى ، كتب قبل ستين عاما) .
(٢٠) ركائز القدوة فى تفسير الدعوة بمجلداته الأربعة عشر .
(٢١) ركائز الدعوة والإيمان بشرح أحاديث اللؤلؤ والمرجان . المجلد الأول .

والله ولى التوفيق ،